

تأليف

تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر

العبيدي المقريزي

المتوفى سنة ٨٤٥ هـ

تحقيق

محمد عبد القادر عطا

الجزء السابع

سنة ٨٢٣ هـ - ٨٤٤ هـ

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH

Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.
Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

بسم الله الرحمن الرحيم

سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة

أهلت وخليفة الوقت المعتضد با لله أبو الفتح داود بن المتوكل على ا لله أبى عبد ا لله محمد. وسلطان الديار المصرية والبلاد الشامية والحجاز والروم، السلطان الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمودى الظاهرى، والأمير الكبير ألطنبغا القرمشى. وأتابك العساكر المقام الصارمى إبراهيم ابن السلطان. وأمير أخور الأمير طوغان. والدوادار الأمير مقبل، من أمراء الطبلخاناه. وأمير سلاح الأمير قجقار القردمى. وأمير مجلس الأمير ططر. ورأس نوبة الأمير ألطنبغا من عبد الواحد، المعروف بالصغير، وحاجب الحجاب الأمير ألطنبغا المرقبى[1]. ونائب الشام الأمير جقمق. ونائب حلب الأمير يشبك اليوسفى. ونائب حماة الأمير شاهين الزردكاش. ونائب صفد الأمير قطلوبغا التنمى. ونائب غزة الأمير أينال السيفى نوروز. ونائب الأبلستين وقيسارية الروم ونكدة ولارندة ولؤلؤة الأمير على باك بن قرمان. ونائب سيس الأمير بردبك العجمى[2].

---

(١) ألطنبغا بن عبد ا لله المرقبى المؤيد (٨٤٤ هـ = ١٤٤٠ م)، الأمير علاء الدين. أصله من قدماء مماليك المؤيد شيخ، اشتراه لما كان من جملة أمراء العشرينات وأعتقه، ودام بخدمته فى أيام تلك المحن والفتن إلى أن تسلطن حعلة نائب قلعة حلب، ثم نقله إلى إمرة مائة ألف بعد موت الأمير أقبردى المنقار المؤيد فى سنة عشرين وثمانمائة، ثم استقر حاجب الحجاب بالديار المصرية، فدام على ذلك إلى أن تجرد صحبة الأمير الكبير ألطنبغا القرمشى من جملة الأمراء المجردين إلى البلاد الشامية فى سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة. ومات الملك المؤيد وهم بتلك البلاد، ووقه ما حكيناه فى غير موضع من القبض على القرمشى وغيره من الأمراء. كان المرقبى هذا من جملة من قبض عليه، ثم أطلق، واستمر بطالا بالقاهرة مدة سنين إلى سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة، وأنعم عليه الملك الأشراف برسباى بإمرة عشرة بعد موت الأميلا تمراز الأعور الحاجب، فاستمر على ذلك إلى أن تجرد صحبة الملك الأشرف إلى آمد، وعاد أيضًا فى ركابة فى سنة سبع وثلاثين. ومات الملك الأشرف برسباى فى ذى الحجة سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة، والمرقبى هذا على حاله إلى أنعم عليه الملك الظاهر حقمق بإمرة وتقدمة ألف بالديار المصرية فى أوائل دولته وعاد فيه الرمق، فإنه كان من جملة الأموات وهو فى قيد الحياة، وكان يئس لطول البطالة من السعادة. ولكن أخذ أمره يتراجع حتى أدركته المنية، فكان حاله كقول القائل: إلى أن يسعد المعتر فرغ عمره. ومات فى يوم الإثنين عاشر شهر رجب سنة أربع وأربعين وثمانمائة بالقاهرة، وأنعم على الأمير طوخ من تمراز ثانى رأس نوبة، المعروف بينى بازق. وكان المرقبى جاركسى الجنس، مدور اللحية، للقصر أقرب، مهملا حدًا، ومات وهو فى السبعين تقريبًا. انظر المنهل الصافى ٣/ ٧٨ وما بعدها.

(٢) بُرْدَبَك بن عبد ا لله الجكمى، المعروف بالعجمى الأعور(٨٥٥ هـ = ١٤١٥ م)، الأمير=

ونائب طرسوس[1] الأمير بيكى باك التركمانى، ونائب أياس الأمير دُرْمِش. ونائب دوركى ناصر الدين محمد بن شهرى. ونائب ملطية الأمير منكلى بغا الأرغون شاوى. ونائب كختا الأمير كزل بغا. ونائب قلعة الروم[2] الأمير آق قجا. ونائب البيرة الأمير ألطنبغا الصفوى. ونائب الرها الأمير طور على ابن الأمير عثمان بن طور على، المعروف بقرايلك. ونائب جعبر الأمير عمر الجعبرى. ونائب الرحبة الأمير أرغون شاه الشرفى. وأمير مكة المشرفة الشريف حسن بن عجلان. وأمير المدينة النبوية الشريف عزيز بن هيازع. وأمير ينبع الشريف مقبل بن نخبار الحسنى. ونائب الإسكندرية الأمير ناصر الدين محمد بن العطار.

شهر الله المحرم، أوله الأربعاء:

أهل والسلطان فى الصيد، فقدم إلى القلعة. وجلس من الغد - يوم الخميس - بالإيوان المعروف بدار العدل. وحضر الأمراء والقضاة وسائر أرباب الدولة. وأوقفت العساكر من المماليك السلطانية. وأجناد الحلقة، والنقباء، والأوجاقية، صفوفًا من تحت القلعة إلى باب الإيوان. وأحضر بالأمير محمد بن قرمان - وهو مقيد - ومعه داود بن دلغادر، فمرا فى العساكر، ثم فى الطبردارية، والسلاح دارية، وبأيديهم السلاح، حتى دخلا، فمثلا قائمين بين يدى السلطان، وقد جلس على تخت الملك. فأمر بإيقاف

=سيف الدين. أصله من مماليك الأمير حكم من عوض، المتغلب على حلب، وخدم بعد أستاذه عند الأمير تغرى بردى ابن أخى دمرداش - المدعو بسيد الصغير - ولما أن كان بردبك المذكور راكبًا بخدمة الأمير تغرى بردى، وقعت تخفيفة الأمير تغرى بردى المذكور عن رأسه، فأشار لبردبك هذا أن يناوله التخفيفة من الأرض، فأخذ بردبك قوسه من تركاشه، ومال عن فرسه، وأخذ التخفيفة برأس قوسه. فلما رأى الأمير تغرى بردى منه ذلك، وجه التفاته له أخذ الطبر وضربه به على وجهه ضربة ذهبت منه عين بردبك المذكور. وتغيرت محاصنه من يومئذ، ثم تنقلت به الأيام. ولى عدة ولايات، ثم صار فى أواخر الدولة الأشرفية حاجب حجاب حلب. ثم نقله الملك الظاهر جقمق إلى نيابة حماة فى سنة إثنتين وأربعين وثمانمائة، فدام بها إلى سنة سبع وأربعين وثمانمائة تقريبًا، وقع بينه وبين أهل حماة فتنة آلت إلى قتاله معهم، وقتل من الفريقين جماعة كبيرة، ثم عصى بردبك، وخرج من حماة أشهرًا. ثم طلب الحضور، فلما حضر إلى الديار المصرية قبض عليه، وحبس بالإسكندرية إلى سنة ثلاث وخمسين أطلق وتوجه إلى ثغر دمياط بطالا، ثم طلب بعد ذلك بمدة يسيرة إلى القاهرة، وأنعم عليه بتقدمة ألف بدمشق، عوضًا عن الأمير يشبك النوروزى، حاجب حجاب دمشق، بحكم انتقال يشبك إلى نيابة طرابلس بعد مسك الأمير يشبك الصوفى المؤيدى، ثم استقر بردبك المذكور فى إمرة حاج دمشق، وتوجه إلى الحج وعاد إلى دمشق. انظر المنهل الصافى ٣/٢٥٣، ٢٥٤

(١) سبق ترجمتها.

(٢) سبق ترجمتها.

الأمير دواوين بن دلغادر مع الأمراء، وتأخير ابن قرمان. ثم نهض السلطان قائمًا إلى القصر، وأحضر ابن قرمان وأنعم على داود، وأُركب هو ومملوك أبيه قانباى بالقماش الذهب. ورتب له ما يليق به. ثم أمر بابن قرمان فجلس، ولامه السلطان على تعرضه لطرسوس، وشرهه لما أوجب وقوعه فى الأسر. ووبخه على قبيح سيرته، وتعرضه لأخذ أموال رعيته، وعلى خيانته لكُرشجى بن عثمان متملك برصا، وإحراقه بعض بلاده، بعدما من عليه وأطلقه. فسأل العفو. ثم قال: «لمن يعطى مولانا السلطان البلاد؟» فضحك منه، وقال له: «وما أنت والبلاد؟». ثم أمر به فأخرج إلى الاعتقال، فسجن بالقلعة. وأمر السلطان بأن يكتب ابن قرمان إلى نوابه بالبلاد القرمانية أن يسلموا ما بقى بأيديهم منها إلى نواب السلطان، وأُعلم أنهم متى لم يُسلموا ما قد بقى بأيديهم منها إلى نواب السلطان وإلا قتل، فكان هذا اليوم من الأيام المشهودة.

وفيه قدم مبشرو الحاج، وأخبروا بأن الوقفة بعرفة كانت يوم الأربعاء بخلاف ما كانت بمصر. وأخبروا بأن حاج العراق لم يأتوا. وأن الغلاء شديد بمكة، وأن الغرارة القمح أبيعت بخمسة وعشرين دينارًا، وهى سبع ويبات مصرية. ثم انحطت لما قدم الحاج إلى عشر دينارًا. وأن السمن والعسل واللحم فى غاية القلة؛ لعدم المطر. وأن مسجدى مكة والمدينة قد تشعثا، ويخاف خرابهما. وأن الجانب الشامى من الكعبة قد آل إلى السقوط.

وفى ثالثه: قدم الأميران ألطنبغا القرمشى وطوغان أمير أخور كبير من الحجاز، فكانت مدة غيبتهما تسعة وخمسين يومًا[1].

وفى رابعه: ركب السلطان للصيد، وعاد من يومه.

وقدم على بار - أحد الأمراء الأينالية من التركمان - فأكرمه السلطان، وأنعم عليه.

وجهز الأمير قجقار القردمى رسولا إلى ابن عثمان متملك برصا، وعلى يده كتاب يتضمن القبض على ابن قرمان واعتقاله.

وفيه استقر الأمير شاهين الزردكاش نائب حماة فى نيابة طرابلس. واستقر فى نيابة حماة عوضه الأمير أينال السيفى نائب غزة. واستقر عوضه فى نيابة غزة الأمير أركماس الجلبانى أحد الأمراء مقدمى الألوف بديار مصر. وأفرج عن الأمير نكباى من سجنه بقلعة دمشق، واستقر فى نيابة طرسوس، وإحضار نائبها الأمير تانى بك إلى حلب.

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٤٠.

واستقر الأمير خليل الجشارى أحد أمراء الألوف بدمشق فى الحجوبية بدمشق، عوضًا عن نكباى المذكور. واستقر الأمير سنقر المؤيدى نائب قلعة دمشق فى الحجوبية بطرابلس، عوضًا عن الأمير سودن بن على شاه بعد وفاته. واستقر الأمير كمشبغا التنمى فى نيابة قلعة دمشق. واستقر الأمير أقبغا الأسندمرى - الذى كان نائب سيس وحمص - حاجبًا بحماة، وكان بطالا بالقدس، عوضًا عن الأمير سودن السيفى علان، بحكم عزله واعتقاله[١].

وفى سادس عشره: نقل عز الدين عبد العزيز البغدادى من تدريس الحنابلة بالجامع المؤيدى إلى قضاء الحنابلة بدمشق، واستقر عوضه فى التدريس محب الدين أحمد بن نصر الله البغدادى، وخلع عليهما[٢].

وفى عشرينه: قدم الركب الأول من الحاج. وقدم الأمير التاج بالمحمل من الغد. وكتب بالإفراج عن الأمير برسباى الدقماقى الظاهرى من قلعة المرقب، واستقراره فى جملة الأمراء الألوف بدمشق.

وفى هذا الشهر: أغاث الله الزروع فى الوجه البحرى، وأسقاها، فأخصبت بعدما كانت جافة، فانحل السعر قليلا.

وفيه عز وجود القمح بالوجه القبلى، وبلغ الأردب المصرى إلى دينارين، واقتاتوا بالذرة، وأكثروا من زراعتها، لسوء حالهم، وبوار أرضهم، وخراب قراهم، وقلة المواشى عندهم، حتى لقد صار اللبن عندهم طرفة من الطرف، فسبحان مزيل النعم.

وفيه قدم الخبر بفتنة كانت فى شهر رمضان ببلاد اليمن، ثار فيها حسين بن الأشرف على أخيه الناصر أحمد، وأنه عم بلاد اليمن جراد عظيم، أهلك زروعهم، فاشتد الغلاء عندهم.

وفيه انتقض على السلطان ألم رجله، وتزايد، فلزم فراشه.

شهر صفر، أوله الخميس:

فيه عدى السلطان النيل، ونزل بناحية أوسيم على العادة فى كل سنة، فقدم عليه بها فى ثامنه رسول الأمير على باك بن قرمان، نائب لارندة، ونكدة، وقونيا، ومعه هدية وكتاب، يتضمن أنه أخذ مدينة قونيا، وأقام فيها الخطبة باسم السلطان، وضرب

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٤٠، ٢٤١.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٤٠.

الصكة المؤيدية، وأنه محاصر قلعتها.

وفى عشرينه: عدى السلطان النيل عائدا من سرحة أوسيم، فنزل فى بيت كاتب السر على النيل، وبات به، وعمل الوقيد فى ليلة الخميس ثانى عشرينه على ما تقدم. وأكثر فيه من النفط وإشعال النيران، فكانت ليلة مشهودة. وركب بكرة الخميس إلى القلعة. فقدم بالخبر بأن عذرا بن على بن نعير بن حيار احتال حتى قبض الأمير أرغون شاه نائب الرحبة، وحمل إلى عانة. وأن قرايوسف نادى فى عسكره بالتأهب إلى المسير للشام.

وفى سادس عشرينه: نزل السلطان إلى بيت الأمير أبو بكر الأستادار، يعوده وقد مرض، فقدم له تقدمة سنية.

وفى ثامن عشرينه: عُملت خدمة الإيوان بدار العدل، وأحضر برسل الأمير محمد كرجى بن عثمان صاحب برصا وهديته.

وفيه سخط السلطان على صدر الدين بن العجمى المحتسب، لكلام نقل له عنه، فأخرجه من القاهرة إلى صفد، وكتب توقيعه بكتابة السر بها، فخرج بعد الظهر، ونزل بتربة خارج باب النصر، ثم سار فى يوم الجمعة آخره، وقد أزعج إزعاجًا غير لائق.

شهر ربيع الأول، أوله السبت:

فيه أمر السلطان برد صدر الدين بن العجمى فأعيد إلى القاهرة، وأنزل عند الأمير مقبل الدوادار إلى يوم الإثنين ثالثه، أصعد إلى القلعة، فرسم له بخلعة، فلبسها، واستقر فى كتابة سر صفد. ونزل إلى بيت الأمير مقبل الدوادار، فشفع فيه ألطنبغا الصغير رأس نوبة، فقبل السلطان شفاعته. واستمر فى حسبة القاهرة على عادته، ففرح الناس به فرحًا كبيرًا لمحبتهم إياه، وبالغوا فى إظهار السرور به، وكان السلطان قد تنكر على كاتب السر من أجل إخراج ابن العجمى من القاهرة بغير خلعة، ولم يمهله حتى يأخذ عياله معه. وبالغ فى الإنكار عليه بسبب ذلك، وأسمعه مكروهًا كبيرًا، فنزل فى يوم السبت إلى داره. وكانت عادته دائمًا أن يبيت ليلة الأحد وليلة الأربعاء عند السلطان، فأشيع عزله، وركب الأعيان إليه يترغمون[1] له. فلما كان يوم الإثنين المذكور، ركب إلى القلعة، وباشر وظيفة كتابة السر، ونزل وفى ظنه أن ابن العجمى إنما لبس خلعة بكتابة سر صفد. فعندما رأى حوانيت الباعة بالقاهرة وقد أشعلوا الحوانيت بالقناديل

---

(١) راغمهم: نابذهم وحجرهم وعاداهم؛ ويقال: رغم فلانا: حجره وعاداه. انظر القاموس المحيط (رغم)، المعجم الوسيط (رغم).

والشموع فيمر ابن العجمى بخلعته عليهم، فرحا بأنه قد عاد إلى الحسبة، غضب ابن البارزى من ذلك، وأسمعهم مكروهًا. ومالت مماليكه على القناديل، فكسروا بعضها، وسبوا ولعنوا. فما كاد ابن البارزى يصل إلى بيته حتى شفع الأمير ألطنبغا الصغير فى ابن العجمى، واستقر فى الحسبة، وشق القاهرة وعليه الخلعة، فتزايد كلام الغوغاء فى ابن البارزى، وجهروا بما يقبح ذكره.

وفى يوم الثلاثاء رابعه: قدم شمس الدين محمد بن حمزة بن محمد بن الفنرى[1] الحنفى قاضى مملكة الأمير محمد كُرشجى بن عثمان ببلاد الروم. وكان قد قدم دمشق فى السنة الماضية، يريد الحج. فلما حج وعاد استدعاه السلطان ليستفهم منه أحوال البلاد الرومية، فتمثل بين يدى السلطان، فأكرمه وأنزله عند القاضى زين الدين عبد الباسط ناظر الخزانة، وأجريت عليه الإنعامات. وأمر أهل الدولة بإكرامه، فبعثوا إليه ما يليق به من الهديا.

وفى خامسه: ركب الأمير أبو بكر الأستادار إلى السلطان، وهو فى شدة المرض بحيث لا يستطيع القيام، ومعه خيول وسلاح وغير ذلك، مما تبلغ قيمته نحو ثلاثين ألف دينار، فخلع عليه، ونزل وقد اشتد به مرضه، فمات بعد أربعة أيام .

وفى سادسه: خلع على ابن البارزى كاملية صوف بفرو سمور خلعة الرضا.

وفى ليلة الجمعة سابعه: عمل المولد النبوى عند السلطان على عادته. وحضر الأمراء والقضاة ومشايخ العلم وأهل الدولة، ورسل ابن عثمان، وابن الفنرى، وكان وقتا جليلا.

وفى يوم الجمعة: أعيد داود ابن الأمير ناصر الدين محمد بك بن دلغادر بهدية إلى أبيه، وقصاد على باك بن قرمان، ومعهم فرس بقماش ذهب، وعدة تعابى فى ثياب سكندرى، وغيرها. وتوجه معه محمود العينتابى ناظر الأحباس، لتحليف نواب قلاع البلاد القرمانية وبلادها. وكتب إلى نواب الممالك، وإلى العربان والتراكمين، بالتهيؤ إلى ملاقاة السلطان، فإنه عزم على المسير لحرب قرايوسف. وسبب ذلك قدوم كتاب قرا

---

(١) الفنرى (٧٥١ - ٨٣٤هـ = ١٣٥٠ - ١٤٣١م) محمد بن حمزة بن محمد، شمس الدين الفنارى (أو الفَنَرى) الرومى: عالم بالمنطق والأصول. ولى قضاء بردسة. وارتفع قدره عند السلطان «بايزيد خان» وحج مرتين، زار فى الأولى مصر (سنة ٨٢٢هـ) واجتمع بعلمائها، والثانية (سنة ٨٣٣هـ) شكرا لله على إعادة بصره إليه، وكان قد أشرف على العمى، أو عمى، وشفى، ومات بعد عودته من الحج. انظر: الفوائد البهية ١٦٦، مفتاح السعادة ١/ ٤٥٢. الأعلام ٦/ ١١٠.

يوسف يتضمن أن السلطان يجهز إليه الجواهر- التى أخذها منه وهو مسجون بدمشق - كما هى، وإلا سار إليه وخرب البلاد وأخذها.

وفى عاشره: توجه شمس الدين محمد الهروى إلى القدس، على ما كان عليه من تدريس الصلاحية فقط، دون نظر القدس والخليل.

وفى يوم الخميس ثالث عشره: خلع على الأمير يشبك أينالى المؤيدى، واستقر فى الأستادارية، عوضًا عن الأمير أبى بكر بعد وفاته، وكان قد استقر قبلها فى كشف الجسور بالغربية، وعزل عنها، وخلع على الصاحب بدر الدين حسن بن نصر ا لله خلعة الاستمرار فى الوزارة ونظر الخاص.

وفى سابع عشره: أضيف إلى صاحب بدر الدين بن نصر ا لله أستادارية المقام العالى الصارمى إبراهيم ابن السلطان، وخلع عليه عوضا عن الأمير أبى بكر المتوفى. وأنعم على ولده الأمير صلاح الدين محمد الحاجب بإمرة طبلخاناه.

وفى ثانى عشرينه: سافر ابن الفنرى قاضى الروم بلاده، بعدما ألقى عدة دروس فى الفقه والأصول بالجامع الباسطى[١] من القاهرة، وجهزه السلطان وأهل الدولة جهازًا جليلا، فسار بتجمل كبير.

وفى رابع عشرينه: قدم قاصد الأمير شاه رخ أمير زه بن تيمورلنك.

وفى سابع عشرينه: نزل السلطان إلى جامعة بجوار باب زويلة، وحضر دروس المشياخ كلهم، فكان يجلس فى كل حلقة قليلا، والمدرس يلقى درسه. ثم يقوم إلى الحلقة الأخرى، حتى طاف الحلق السبع، وعاد إلى القلعة.

وفى هذا الشهر: عزم السلطان على السفر لقتال قرايوسف. وأخذ فى الأهبة لذلك، وأمر الأمراء به فشرعوا فى ذلك.

شهر ربيع الآخر، أوله الإثنين:

فيه وقع الشروع فى بناء منظرة على الخمس وجوه[٢] بجوار التاج[٣] خارج

---

(١) يقع فى بولاق، وهو مطل على النيل، وقد أنشئ سنة ٨١٧هـ. انظر المواعظ والاعتبار ٢/ ٣٢٧.

(٢) منظرة الخمس وجوه، قد أنشأها الأفضل ابن أمير الجيوش، وكان بها خمسة أوجه من المحال الخشب التى تنقل الماء لسقى البستان العظيم الوصف. انظر المواعظ والاعتبار ١/ ٤٨١.

(٣) منظرة التاج كانت من جملة المناظر التى ينزلها الخلفاء الفاطميون للنزهة. وقد بناها أيضا الأفضل أمير الجيوش. انظر المواعظ والاعتبار ١/ ٤٨١.

القاهرة[1]، لينشئ السلطان حولها بستانًا جليلا، ويجعل ذلك عوضًا عن قصور سرياقوس، ويسرح إليها كما كانت سرحة سرياقوس.

وفى خامسه: سافر قاضى القضاة علاء الدين على بن مغلى الحنبلى إلى مدينته[2] لينظر فى أحواله، واستخلف على قضاء القضاة بعض ثقاته.

وفى ثالث عشره: ابتدأ بالسلطان ألَمٌ تجدد له من حبس الإراقة[3]، مع ما يعتريه من ألم رجله[4].

وفى سابع عشره: صرف الصاحب بدر الدين بن نصر الله من أستادارية ابن السلطان. وأقيم بدله جمال الدين يوسف بن خضر بن صاروجا المعروف بالحجازى، وأصله من الأكراد، وقدم القاهرة، وترقى حتى عمل أستادارية الأمراء فى الأيام الناصرية فرج. وتمكن عند الأمير طوغان الحسنى الدوادار تمكنًا زائدًا، فعظم قدره. ثم لما قبض على طوغان فر إلى مكة، وأقام بها مدة. ثم حضر إلى القاهرة وباشر الدواليب السلطانية بالوجه القبلى زمانًا، فنكبه الأمير فخر الدين عبد الغنى بن أبى الفرج، وعاقبه وصادره، ثم أفرج عنه فلزم داره حتى الأمير أبو بكر الأستادار، سعى جمال الدين يوسف فى الأستادارية، فأخرق به الصاحب بدر الدين بن نصر الله، وأراد القبض عليه، فلم يمكنه السلطان منه، وعنى به، ثم ولاه بعد ذلك أستادارية ولده.

وفى ثانى عشرينه: اشتد بالسلطان الألم وتزايد به إلى يوم الأربعاء رابع عشرينه، نودى فى القاهرة بإبطال مكس الفاكهة البلدية والمجلوبة، وهو فى كل سنة نحو ستة آلاف دينار سوى ما يأخذه القبط الكتبة والأعوان - ويقارب ذلك - فبطل، ونقش ذلك على باب الجامع المؤيدى.

وفى هذا الشهر: كثر الوباء بالإسكندرية والبحيرة، وكثر الإرجاف بحركة قرايوسف إلى جهة البلاد الشامية.

شهر جمادى الأولى، أوله الأربعاء:

وفى ثانيه: ركب السلطان - وقد أبل من مرضه - إلى خارج القاهرة وعبر من

---

(١) فى النجوم «خارج القاهرة بالقرب من كوم الريش» وهى بلدة فيما بين أرض البعل ومنية الشيرج. انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٤٢، الخطط التوفيقية ١٥/ ١٣.

(٢) يقصد بها مدينة حماة.

(٣) الإرق هو امتناع النوم ليلاً. انظر المعجم الوسيط.

(٤) انظر: النجوم الزاهرة ١٢/ ٢٤٢.

باب النصر، وقد زينت المدينة فرحًا بعافيته، وأشعلت الشموع والقناديل، فمر إلى القلعة.

وفى هذه الأيام: مرض المقام الصارمى إبراهيم ابن السلطان، فركب فى يوم الثلاثاء رابع عشره من القلعة فى محفة، لعجزه عن ركوب الفرس، ونزل إلى بيت زين الدين عبد الباسط المطل على البحر، وأقام به. ثم ركب النيل فى غده إلى الخروبية بالجيزة، وأقام بها: وقد تزايد مرضه(١).

وفى ثانى عشرينه: ركب السلطان إلى الخمس وجوه، فشاهد ما عمل هناك، ورتب ما اقتضاه نظره من كيفية البناء، وعاد إلى بيت صلاح الدين خليل بن الكويز ناظر الديوان المفرد، المطل على بركة الرطلى خارج باب الشعرية، فأقام عنده نهاره، وعاد من آخره إلى القلعة، وقدم له ابن الكويز تقدمة تليق به سوى ما أعده له من المآكل والمشارب.

وفى يوم السبت خامس عشرينه: خلع على الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان البساطى شيخ الخانكاة الناصرية فرج، بتربة أبيه الظاهر برقوق خارج باب النصر، واستقر قاضى القضاة المالكية بالقاهرة ومصر، بعد وفاة جمال الدين عبد الله بن مقداد الأقفهسى، فاقتصر من نواب الحكم على أربعة، ثم زادهم بعد ذلك(٢).

وفى يوم الأربعاء آخره: نزل السلطان إلى الميدان الكبير الناصرى بموردة الجبس. وكان قد خرب وأهمل أمره، منذ أبطل السلطان الملك الظاهر برقوق الركوب إليه ولعب الكرة فيه، وتشعثت قصوره وجدرانه، وصار منزلا لركب المغاربة الحجاج، فرسم السلطان لصاحب بدر الدين بن نصر الله بعمارته فى هذا الشهر، فعمره أحسن عمارة. فعندما شاهده السلطان أعجب به، ومضى منه إلى بيت ابن البارزى كاتب السر المطل على النيل، ونزل به، وقد تحول المقام الصارمى من الخروبية بالجيزة إلى المنظرة الحجازية(٣)، وهو بحاله من المرض، فزاره السلطان غير مرة، وأنزل بالحريم إلى بيت كاتب السر، فأقاموا به عنده.

شهر جمادى الآخرة، أوله الجمعة:

فيه صلى السلطان الجمعة بجامع ابن البارزى، الذى جدد عمارته، تجاه بيته. وكان

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٤٢.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٤٣.

(٣) فى النجوم «قاعة الحجازية» ١٣/ ٢٤٣.

يعرف قبل ذلك بجامع الأسيوطى[١]. وخطب به وصلى شيخ الإسلام قاضى القضاة جلال الدين البلقينى، وركب من الغد إلى الميدان، فعمل به الخدمة، وتوجه إلى القلعة.

وفيه نودى أن لا يتحدث فى الأمور الشرعية إلا القضاة، ولا يشكو أحد غريمه على دين لأحد من الحجاب. وسبب ذلك أن القاضى زين الدين عبد الرحمن التفهنى الحنفى رفع على رجل فى مجلسه من أجل دين لزمه، فاحتمى ببيت الأمير ألطنبغا المرقبى - حاجب الحجاب - وامتنع عن الحضور إلى بيت القاضى. وضرب الحاجب رسوله ضربًا مبرحًا. فلما أعلم القاضى بهذا السلطان، أنكر على المرقبى. ووبخه على ما فعل ونادى بما تقدم ذكره؛ فسعى الأمراء فى نقض ذلك حتى نودى فى يوم الإثنين رابعه - بعد يومين - بعود الحكم إلى الحجاب، وضرب من جهر بالنداء.

وفى سادسه: نزل السلطان إلى بيت كاتب السر على النيل، وأقام به[٢].

وفى سابعه: أخذ قاع النيل، فكان ثلاثة أذرع سواء، ونودى عليه من الغد.

وفى يوم السبت تاسعه: ركب السلطان إلى الميدان وعمل به الخدمة، وصعد إلى القلعة.

وفى حادى عشره: ضرب الأمير علاء الدين على بن الطبلاوى والى القاهرة بالمقارع، بين يدى السلطان. ونزل وهو عارى البدن على حمار إلى بيت شاد الدواوين، ليستخلص منه مالا. وخلع على ناصر الدين محمد بن أمير أخور واستقر والى القاهرة ومصر وقليوب.

وفى يوم الأربعاء ثالث عشره: حمل المقام الصارمى إبراهيم ابن السلطان على الأكتاف من الحجازية إلى القلعة، لعجزه عن ركوب المحفة، فمات ليلة الجمعة خامس عشره. ودفن من الغد بالجامع المؤيدى. وشهد السلطان دفنه، مع عدم نهضته للقيام، وإنما يحمل على الأكتاف حتى يركب، ثم يحمل حتى ينزل، وأقام السلطان بالجامع إلى أن صلى الجمعة، فصلى به ابن البارزى، وخطب خطبة بليغة. ثم عاد إلى القلعة. وأقام القراء يقرأون القرآن على قبره سبع ليال[٣].

---

(١) يقع بطرف جزيرة الفيل مما يلى ناحية بولاق. كان موقعه فى القديم غامرا بماء النيل، فلما انحسر عن جزيرة الفيل وعمرت ناحية بولاق، أنشأ هذا الجامع القاضى شمس الدين محمد بن إبراهيم ابن عمر السيوطى ناظر بيت المال، ومات فى سنة ٧٤٩هـ ثم جدد عمارته بعدما تهدم وزاد فيه ناصر الدين محمد بن عثمان بن محمد المعروف بابن البارزى الحموى كاتب السر، وأجرى فيه الماء. انظر المواعظ والاعتبار ٢/ ٣١٥، ٣١٦.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٤٣، ٢٤٤.

(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٤٤، أنباء الغمر ٧/ ٣٨٠، نزهة النفوس ٢/ ٤٧٤.

وفى ثامن عشره: توقف النيل عن الزيادة، وتمادى على ذلك أيامًا. فارتفع سعر الغلال، وأمسك أربابها أيديهم عن بيعها، وكثر قلق الناس، ثم نودى فيهم أن يتركوا العمل بمعاصى الله، وأن يلتزموا الخير. ثم نودى فى ثانى عشرينه أن يصوموا ثلاثة أيام، ويخرجوا إلى الصحراء، فأصبح كثير من الناس صائما، وصام السلطان أيضًا. فنودى بزيادة أصبع مما نقصه، ثم نودى من يوم الأحد غده أن يخرجوا غدًا إلى الجبل وهم صائمون، فبكر فى يوم الإثنين خامس عشرينه شيخ الإسلام قاضى القضاة جلال الدين البلقينى، وسار من منزله راكبًا بثياب جلوسه فى طائفة، حتى جلس عند فم الوادى، قريبًا من قبة النصر، وقد نصب هناك منبر، فقرأ سورة الأنعام، وأقبل الناس أفواجًا من كل جهة، حتى كثر الجمع، ومضى من شروق الشمس نحو ساعتين أقبل السلطان بمفرده على فرس، وقد تزيا بزى أهل التصوف، فاعتم بمئزر صوف لطيف، ولبس ثوب صوف أبيض، وعلى عنقه شملة[1] صوف مرخاة، وليس فى سرجه - ولا شىء من قماش فرسه - ذهب ولا حرير، فأنزل عن الفرس، وجلس على الأرض من غير بساط ولا سجادة، مما يلى يسار المنبر، فصلى قاضى القضاة جلال الدين ركعتين كهيئة صلاة العيد، والناس من ورائه يصلون بصلاته. ثم رقى المنبر، فخطب خطبتين، حث الناس فيهما على التوبة والاستغفار، وأعمال البر، وفعل الخير، وحذرهم، ونهاهم. وتحول فوق المنبر فاستقبل القبلة، ودعا فأطال الدعاء، والسلطان فى ذلك يبكى وينتحب، وقد باشر فى سجوده التراب بجهته. فلما انقضت الخطبة انفض الناس، وركب السلطان فرسه، وسار والعامة محيطة به من أربع جهاته، يدعون له، حتى صعد القلعة، فكان يومًا مشهودًا، وجمعًا موفورًا.

وفى مشاهدة جبار الأرض على ما وصفت، ما تخشع منه القلوب، ويرجى رحمة جبار السماء، سبحانه. ومن أحسن ما نقل عنه فى هذا اليوم. أن بعض العامة دعا له، حالة الاستسقاء أن ينصره الله، فقال: «اسألوا فإنما أنا واحد منكم». فلله دره، لو كان قد أيد بوزر أصدق وبطانة خير، لما قصر عن الأفعال الجميلة، بل إنما اقترن به فاجر جرىء، أو خب[2] شقى.

---

(١) الشَّمْلَةُ: شقة من الثياب ذات خمل يتوشح بها ويُتلفع وهو أيضا كساء من صوف أو شعر يتغطى به ويتلفف به، جمع شِمال وفى حديث على «إن أبا هذا كان ينسج الشمال بيمينه». انظر المعجم الوسيط (شمل).

(٢) أخب الدابة: خببة: خدعه وأفسده، يقال: خبب عبدًا أو أمة لغيره، وخبب على فلان زوجة: أفسدها عليه، وفى الحديث «من خبب امرأة أو مملوكًا على مسلم فليس منا» انظر المعجم الوسيط.

وفى غده، يوم الثلاثاء: نودى على النيل بزيادته اثنى عشر أصبعًا، بعدما رد النقص، وهو قريب من سبع وعشرين أصبعًا، فتباشر الناس باستجابة دعائهم، ورجوا رحمة الله[١].

وقدم الخبر بنزول قرايوسف على بغداد، وقد عصاه ولده شاه محمد فحاصره ثلاثة أيام، حتى خرج إليه، فأمسكه واستصفى أمواله، وولى عوضه ابنه أصبهان أمير زاة. ثم عاد إلى تبريز لحركة شاه رخ بن تمرلنك عليه.

وفى تاسع عشرينه: خلع على الأمير مقبل الدوادار، والقاضى ناصر الدين محمد بن البارزى كاتب السر، بنظر الجامع المؤيدى، فنزلا إليه، وتفقدا أحواله.

شهر رجب، أوله السبت:

فى ثالث عشره: أدير محمل الحاج على عادته.

وفى نصفه: استدعى السلطان بخلعة لكاتب سر صفد، وبعثها إلى الأمير مقبل الدوادار، وأمر أن يطلب صدر الدين أحمد بن العجمى محتسب القاهرة إلى داره، ويلبسه الخلعة، ويخرجه إلى صفد، فأحضره فى الحال، وألبسه الخلعة، وأمره بالتوجه من القاهرة إلى صفد، فتوجه إلى داره، وانجمع عن التحدث فى الحسبة، وأخذ يسعى فى الإقامة فى القاهرة بطالا. فرسم السلطان أن يخرج إلى القدس بطالا، فسار فى يوم الثلاثاء ثامن عشره.

وفى يوم الإثنين سابع عشره: نزل السلطان إلى بيت كاتب السر المطل على النيل، ليقيم به على عادته، ونزل الأمراء بالدور من حوله. وصارت الخدمة تعمل هناك.

وفى يوم الأربعاء تاسع عشره: سبح السلطان فى النيل مع خاصته، من بيت كاتب السر إلى منية السيرج[٢]، ثم عاد فى الحراقة، وكثر التعجب من قوةسبحه مع زمانة رجله، وعجزه عن القيام، لكنه يحمل على الأكتاف، ويمشى به، أو يوضع على ظهر الفرس، ثم يحمل، وينزل عنها. ولما أراد السباحة أقعد فى تخت من خشب، وأرخى من أعلا الدار بحبال إلى الماء، فلما عاد رفع به فى التخت كذلك، حتى جلس على مرتبته. فنودى من الغد يوم الخميس، بزيادة ثلاثين أصبعًا، ولم يزد فى هذه السنة مثلها جملة،

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٤٥.

(٢) منية الشيرج: بلدة كبيرة طويلة ذات سوق، بينها وبين القاهرة فرسخ أو أكثر. انظر معجم البلدان ٥/ ٢١٨؛ وهى الأن تقع فى حى شبرا بالقاهرة.

فتيامن الناس بعوم السلطان، وعدوا ذلك من حملة سعادته. ومن صحة عقيدته أنه لما بلغه قول العوام أن النيل زاد هذه الزيادة البالغة لكونه سبح فيه، فقال: «لو علمت أن ذلك يقع لما سبحت فيه، لئلا يضل العوام بذلك».

وفى عشرينه: خلع على صارم الدين إبراهيم ابن الوزير ناصر الدين محمد بن الحسام الصقرى بوظيفة حسبة القاهرة، عوضًا عن صدر الدين بن العجمى فباشرها وهو يتزيا بزى الجند، وقد التزم بحمل ألف دينار، يجبيها من الباعة ونحوهم، فلم تحمد مباشرته.

وفى يوم الجمعة حادى عشرينه: ركب السلطان النيل للنزهة به، فزار الآثار النبوية، وبر من هناك من الفقراء بمال، ثم توجه إلى المقياس بالروضة، فصلى الجمعة بجامع المقياس[1]، ورسم بهدمه وبنائه، وتوسعته، وترميم بناء رباط الآثار النبوية أيضًا. ثم ركب من الجزيرة الوسطى[2] إلى الميدان الناصرى، وبات به. وركب من الغد يوم السبت إلى القلعة.

وفيه قدم البدر محمود العينتابى ناظر الأحباس من بلاد ابن قرمان، فخلع عليه.

وفى ثالث عشرينه: وجد بكرة النهار خارج القاهرة فرسان، فقيدا إلى بيت الأمير يشبك الأستادار، فعرفا أنهما من خيل ابن العجمى المحتسب، وذلك أنه نزل بلبيس يوم السبت أمسه، وفقد منها عشاء. فارتجت القاهرة بأنه قتل وخرج نساءه مسبيات يصحن صعدن القلعة إلى السلطان، ووجهوا التهمة بقتله إلى ابن البارزى كاتب السر، فأنكر السلطان أن يكون قتل، وقال: «هذه حيلة عملها، وقد اختفى بالمدينة». ثم بعث للكشف عن قتله من أرباب الأدراك فلم يوقف به على خبر. ونودى فى سابع عشرينه بتهديد من أخفاه عنده، وترغيب من أحضره. فظهر فى آخر النهار أنه بعث إلى أهله كتابًا يتضمن أنه من خوفه على نفسه مضى على وجهه. فطلب زوج ابنته، وعوقب على إحضاره، ثم سجن.

وفيه قدم الخبر بأن الأمير علمان بن طرعلى قرايلك كبس على بير عمر، حاكم أرزنكان من قبل قرايوسف، وأمسكه وقيده، هو وأربعة وعشرين من أهلة وأولاده، وقتل ستين رجلا، وغنم شيئًا كثيرًا.

---

(١) يقع بجوار مقياس النيل بالجزيرة. انظر المواعظ والاعتبار ٢/ ٢٩٠.

(٢) جزيرة مصر: وهى محلة من محال الفُسطاط، وإنما سميت جزيرة لأن النيل إذا فاض أحاط بها الماء وحال بينها وبين عظم الفسطاط واستقلت بنفسها. انظر معجم البلدان ٢/ ١٣٩ وهى الآن جزيرة مستقلة بنفسها.

شهر شعبان المكرم، أوله الإثنين:

فيه وصل رأس بير عمر حاكم أرزنكان، وكان السلطان قد كتب محاضر وفتاوى بكفر قرايوسف وولده حاكم بغداد، فأفتى مشايخ العلم بوجوب قتاله. ورسم للأمراء بالتهيؤ للسفر، وحملت إليهم النفقات، فوقع الشروع فى تجهيز أمور السفر. ونودى فى رابعه، وقد ركب الخليفة والقضاة الأربع بنوَّابهم، وبين يديهم بدر الدين حسن البرديني أحد نواب الحكم الشافعية، وهو راكب يقرأ من ورقة استنفار الناس لقتال قرايوسف، وتعداد قبائحه ومساوئه، فاضطرب الناس، وكثر جزعهم.

وفيه ادعى على الأمير ناصر الدين محمد بن أمير أخور والى القاهرة بأنه قتل رجلا وسطه بالسيف نصفين بغير موجب شرعى. وأقيمت البينة بذلك بحضرة القضاة، وهم بين يدى السلطان، فحكم بقتله، فأخذ ووسط فى الموضع الذى وسط فيه المذكور.

وخلع فيه على الأمير ناصر الدين محمد، ويعرف بيكلمش بن فرى نائب الوجه البحرى وابن والى العرب، واستقر والى القاهرة، عوضًا عن ابن أمير أخور، على مال كبير التزم بحمله مما يجبيه من مظالم العباد، فباشر مباشرة سيئة، وركبته الديون، وهان أمره على العامة، لعدم حرمته، حتى كان أحد المقدمين أحشم منه. وصار الناس يلقبونه «قندورى»؛ لأنه أراد أن يقول «قباى» فغلط وقال «قندورى» فنقبت عليه، وهو بزى النساء أشبه منه بالرجال.

وفى يوم الإثنين ثامنه - وخامس عشرين مسرى -: كان وفاء النيل، فركب السلطان إلى المقياس، وفتح الخليج على العادة، ثم عاد إلى قلعة(١).

وفى يوم الجمعة ثانى عشره: عقد للأمير الكبير ألطنبغا القرمشى على خوند ستيتة - ابنة السلطان - بصداق مبلغه خمسة عشر ألف دينار هرجة(٢)، بالجامع المؤيدى، بحضرة القضاة والأمراء والأعيان.

وفى يوم السبت ثالث عشره: برز الأمير الكبير ألطنبغا القرمشى إلى الريدانية خارج القاهرة، ومعه من الأمراء ألطنبغا الصغير رأس نوبة، وطوغان أمير أخو، وجلبان المؤيدى أحد مقدمى الألوف، وألطنبغا المرقى حاجب الحجاب، وجرباش الكريمى رأس نوبة، وأقبلاط السيفى دمرداش، وأزدمر الناصرى من مقدمى الألوف، ليتوجهوا إلى حلب، خشية حركة قرايوسف.

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٤٧.

(٢) أى: الدينار المصنوع من الذهب الخالص.

وفيه نزل السلطان إلى بيت كاتب السر على النيل، فأقام به يوم الثلاثاء سادس عشره، توجه إلى الميدان لعرض المماليك السلطانية الرماحة. وعاد من آخره على ظهر النيل. ثم ركب إلى الميدان نهار السبت، وبات به. وتوجه نهار الأحد، فزار الآثار النبوية، وكشف عمارة جامع المقياس بالروضة. وعاد إلى الميدان، فبات به. وعرض الرماحة فى يوم الإثنين. ثم راجع زيارة الآثار النبوية فى يوم الثلاثاء. وعاد إلى مخيمه بالجزيرة الوسطى، فأقام يومه ومعه الأمراء ومباشروه، فأكلوا وشربوا القمز. وعاد إلى الميدان، فبات به ليلتين. ثم رجع إلى بيت كاتب السر فى يوم الخميس، فبات به وصلى الجمعة بجامع كاتب السر. ثم توجه إلى الميدان، فبات به، وركب إلى القلعة بكرة السبت سابع عشرينه. وكان صائمًا فى رجب وشعبان، لم يفطر فيهما إلا نحو عشرة أيام[١].

شهر رمضان المعظم، أوله الثلاثاء:

أهل، وقد انتفض على السلطان ألم رجله.

وفى رابع عشره: خلع السلطان على الصاحب تاج الدين عبد الرازق الهيضم واستقر فى نظر الديوان المفرد، بعد موت صلاح الدين خليل بن الكويز[٢].

وقدم الخبر من غزة أن فى ليلة الأربعاء ثالثه ذبح جمل بسوق الجزارين، وعلق لحمه فى داخل بيت الجزار، فأضاء اللحم كما يضىء الشمع إذا أشعل فيه النار، فأخذ منه قطعة فأضاءت بمفردها، فقطعوه قطعا فأضاءت كل قطعة منه، فأخذوه بجملته ودفنوه من غير أن يأكل أحد منه شيئا، إلا أن رجلا قطع منه قطعة لحم وهى تضىء، وتركها عنده إلى أن أصبح وألقاها لكلب. فلم يأكلها وتركها. وكان لحم هذا الجمل بحيث لو أخذ منه زنة درهم لأضاءت كأنها النجم. وشاهد هذا جماعة لا يحصى عددهم.

وانتهت زيادة النيل فى ثالث بابة إلى ثمانية عشر ذراعًا وثلاثة أصابع، وابتدأ النقص من خامس بابة.

وفى هذا الشهر: ابتدأ مرض القاضى ناصر الدين محمد بن البارزى، كاتب السر.

شهر شوال، أوله الأربعاء:

فيه صلى السلطان صلاة العيد بالقصر الكبير من القلعة، عجزًا عن المضى إلى الجامع.

وفى رابعه: ركب السلطان فى المحفة إلى منظرة الخمس وجوه التى استجدها، وقد كملت، ثم عاد من يومه.

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٤٧، ٢٤٨.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٢٩.

وفى يوم الأربعاء خامس عشره: تنكر السلطان على الوزير الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله، وضربه بين يديه ضربًا مبرحًا. ثم أمر به فنزل إلى داره على وظائفه. هذا والسلطان مريض.

وفى يوم الإثنين عشرينه: أرجف بموت السلطان، فاضطرب الناس، ونقلوا ثيابهم خوفًا من الفتنة أن تثور. ثم أفاق فسكنوا(١).

وفيه خرج محمل الحاج إلى الريدانية، والحجاج على تخوف من النهب.

وفيه طلب القضاة والأمراء، وجلس السلطان، فعهد إلى ولده الأمير أحمد بالسلطنة من بعد. ومولده فى ثانى جمادى الأولى من السنة الماضية، وله من العمر سبعة عشر شهرًا وخمسة أيام، وجعل الأمير الكبير ألطنبغا القرمشى القائم بأمره، وأن يقوم بتدبير الدولة حتى يحضر القرمشى من حلب الأمراء الثلاثة وهم: قجقار القردمى، وتنبك ميق، وططر. وحلف الأمراء على ذلك، ثم حلف المماليك من الغد.

وفى يوم السبت خامس عشرينه: خلع على كمال الدين محمد بن ناصر الدين محمد بن البارزى، واستقر فى كتابة السر، بعد وفاة أبيه، على مبلغ أربعين ألف دينار، يحملها، وكان صدر الدين أحمد بن العجمى لم يزل مختفيًا حتى مات ناصر الدين محمد بن البارزى، فظهر، وعند جمهور الناس أن ابن البارزى ناصر الدين محمد كاتب السر هو الذى قتله، فشفع فيه بعض الأمراء، وكان السلطان فى شغل بمرضه عنه، فقبل شفاعته، ورسم أن يقيم بداره من القاهرة، فلزم داره، وظهرت براءة ابن البارزى.

وفى سابع عشرينه: خلع على بدر الدين محمد بن محمد بن أحمد بن مزهر الدمشقى، ناظر الإصطبل، واستقر فى نيابة كتابة السر، عوضًا عن كمال الدين بن البارزى المنتقل لكتابة السر.

وفى تاسع عشرينه: دخل السلطان الحمام، وقد تناقص ما به من الأمراض فنودى بالزينة، فزينت القاهرة ومصر، وفرق مال فى الناس من الفقهاء والفقراء.

وفى هذا الشهر: أعاد قاضى القضاة شمس الدين محمد البساطى المالكى نواب الحكم الذين كانوا يلون عمن قبله، واستتاب زيادة عليهم عدة من ألزامه.

شهر ذى القعدة أوله الجمعة:

فيه ظهرت دخيرة لناصر الدين محمد بن البارزى، فيها نحو من سبعين ألف دينار،

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٥٠.

أخذها السلطان.

وفى رابعه: ركب السلطان وشق القاهرة من باب زويلة، وخرج من باب القنطرة[١] فنزل بمنظرة الخمس الوجوه إلى يوم الأربعاء سابعه عاد من باب القنطرة، وشق القاهرة بثياب جلوسه، حتى صعد القلعة[٢].

وفى تاسعه: ركب السلطان إلى المنظرة أيضًا، وبات بها، وتصيد من الغد ببر الجيزة، وأقام هناك.

وفيه نزل زين الدين عبد الباسط، ومرجان الهندى الخازندار إلى بيت الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله، وقد لزم الفراش من يوم ضرب، وأخذا منه خزانة الخاص وسلمت للطواشي مرجان المذكور، فتحدث فى نظر الخاص عن السلطان من غير أن يخلع عليه، ولا كتب له توقيع، وأنفق من غده عن كسوة المماليك السلطانية نحو ثمانية آلاف دينار.

وفى يوم الثلاثاء ثانى عشره: عاد السلطان فى المحفة إلى القلعة.

وفى رابع عشره: خلع على الصاحب بدر الدين بن نصر الله خلعة الرضا، واستمراره فى الوزارة والإمرية.

وفيه قرئ توقيع كمال الدين محمد بن البارزى بكتابه السر فى الجامع المؤيدى، بحضرة الأمراء والقضاة وأرباب الدولة والأعيان. و لم يقرأ قبله توقيع كاتب السر.

وفى خامس عشره: ركب السلطان إلى منظرة الخمس الوجوه، وأقام بها إلى سابع عشره، ثم عاد إلى القلعة، وركب فى يوم الأربعاء عشرينه بثياب جلوسه، وعبر من باب زويلة، وشق القاهرة حتى خرج من باب القنطرة إلى المنظرة، فأقام بها إلى يوم الجمعة، وعدى النيل إلى الجيزة، يريد صرحة البحيرة. وخرج الناس على عادتهم بعدما نزل فى يوم الجمعة هذا بدار على شاطئ نيل مصر، وعبر الحمام بجوار الجامع الجديد. ثم خرج إلى الجامع المذكور وصلى به الجمعة. ثم ركب النيل، وهو فى هذا كله يحمل على الأكتاف[٣].

وفى هذا الشهر: فقد لحم الضأن من أسواق القاهرة عدة أيام، وعز وجود لحم

---

(١) هو باب مصر من الجهة القبلية، وسمى باسم القنطرة، التى تقع على الخليج الكبير التى يتوصل إليها من القاهرة. انظر المواعظ والاعتبار ٢/ ١٤٧.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٥١، ٢٥٢.

(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٥٢.

البقر، ثم أبيع لحم الضأن بعشرة دراهم الرطل، بعد سبعة، ثم أبيع بتسعة.

وفيه قتل العربان كاشف البهنسى، لكثرة ظلمه وفسقه، وشدة تعديه وعتوه، فلم يؤخذ له بثأر.

شهر ذى الحجة، أوله السبت:

فى ثامنه: عاد السلطان من السرحة، بعدما انتهى إلى الطرانة. وقد اشتد به المرض، وأفرط الإسهال، فأرجف بموته، وكادت تكون فتنة. ثم ركب النيل منها عجزًا عن الركوب فى المحفة، حتى نزل منبابة، فأقام بها حتى نحر قليلا من ضحاياه، ثم ركب النيل آخر يوم النحر إلى بيت كاتب السر المطل على النيل، وبات به. ثم صعد القلعة فى المحفة يوم الثلاثاء حادى عشره، وهو شديد المرض من الإسهال، والزحير[١] والحصاة، والحمى، والصداع، والمفاصل.

وفى ثامن عشره: قدم كتاب سليمان صاحب حصن كيفا، يتضمن موت قرايوسف فى رابع عشر ذى القعدة، مسمومًا، فيما بين السلطانية وتوريز، وهو متوجه إلى قتال شاه رخ بن تيمورلنك[٢].

وفى ثامن عشرينه: قدم مبشرو الحاج[٣].

وفى يوم السبت تاسع عشرينه: أرجف بموت السلطان.

وفيه أثبت عهد الأمير أحمد ابن السلطان، على قاضى القضاة زين الدين عبد الرحمن التفهنى الحنفى، بالسلطنة. ثم نفذ على بقية القضاة، فكثر الاضطراب فى الناس، وتوقعوا الفتنة، واشتد خوف خواص السلطان، ونقلوا ما فى دورهم[٤].

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

شرف الدين محمد بن على الحبرى، فى ثانى عشرين ربيع الأول. وقد ولى حسبة القاهرة ومصر غير مرة، بعدما كان من شرار العامة، بتمعش بنيابة الحكم عند المالكية

---

(١) الزُّحَارُ والزَّحِيرُ: وهو مرض يتميز بتبرز متقطع معظمه دم ومخاط ويصحبه ألم وتعنٍّ. انظر: المعجم الوسيط (زحل).

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٥٣.

(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٥٣.

(٤) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٥٣، ٢٥٤.

بمصر. ثم وقع فى كفر فى سنة ست وتسعين، فأريد قتله، ثم حقن دمه وعزر بالضرب والحبس. ثم صار بتمعش ببيع السكر فى حانوت بالقاهرة. ويشهر بقبائح من السخف، والمجون، وسوء السيرة.

ومات صاحبنا ناصر الدين محمد بن مبارك الطازى، أخو الخليفة المستعين بالله لأمه. ونعم الرجل كان.

ومات محب الدين محمد بن الخضرى الأسلمى، أحد كتاب القبط، فى عاشر ربيع الآخرة. وكان نصرانيا، وأسلم عن قريب، على يد الأمير فخر الدين الأستادار، فسماه محمدًا كما تقدم، ولقبه محب الدين.

ومات قاضى القضاة جمال الدين عبد الله بن مقداد بن إسماعيل الأقفهسى المالكى، فى رابع عشر جمادى الأولى عن نحو ثمانين سنة - وقد ولى قضاء القضاة المالكية مرتين، الأولى فى الأيام الناصرية فرج، بعد موت نور الدين على بن يوسف بن جلال، فى ثالث عشر جمادى الآخرة، سنة ثلاث وثمانمائة، فأقام أربعة أشهر وعشرة أيام، وصرف فى ثالث عشرين شهر رمضان بابن خلدون. ثم ولى ثانيًا، فأقام خمس سنين وثمانية أشهر ويومين، ومات وهو قاض، وكان فقيهًا، بارعًا فى الفقه. أخذ عن الشيخ خليل. وناب فى الحكم عن العلم سليمان البساطى[1] من سنة ثمان وسبعين وسبعمائة إلى أن استبد بالقضاء. ودرس بالقمحية وغيرها. وعرف بالستر والصيانة وصار المعول على فتاويه مدة سنين[2].

ومات شمس الدين محمد بن محمد بن حسين البرقى الحنفى، أحد نواب الحكم

---

(١) سليمان بن خالد بن نعيم بن مقدم بن محمد بن حسن بن غانم بن محمد (٧٨٦هـ = ١٣٨٤ م) قاضى القضاة علم الدين أبو الربيع البساطى المالكى. قاضى قضاة الديار المصرية. أصله من شيرابيسون من قرى الغربية بالقرب من النحريرية من أعمال القاهرة، ونزل عمه عثمان بن نعيم بقرية بساط، وكان أخوه خالد والد علم الدين هذا فى حجره، فنشأ ببساط، وولد سليمان هذا بها فعرف بالبساطى، وقدم علم الدين إلى القاهرة واشتغل بها حتى برع فى الفقه وغيره، وناب فى الحكم عن قاضى القضاة برهان الدين الإخنائى، ثم عن بدر الدين عبد الوهاب الإخنائى، ثم وقع بينه وبين البدر الإخنائى المذكور، فسعى عليه الأمير قرطاى القائم بعد قتل الملك الأشرف شعبان بأمور الدولة، وتولى القضاء فى سابع عشرين ذى القعدة سنة ثمان وسبعين وسبعمائة، عوضا عن بدر الدين الإخنائى. وباشر القضاء بعفة وتقشف، واطراح التكلف فى ملبسه ومجلسه وجميع أحواله. انظر المنهل الصافى ٦/ ٢٦ وما بعدها. الدليل الشافى ١/ ٣١٢ النجوم الزاهرة ١١/ ٣٠٠ أنباء الغمر ١/ ٢٩٣ الدرر ٢/ ٢٤٣ نزهة النفوس ١/ ١٠٨ حسن المحاضرة ٢/ ١٨٨ - ١٨٩.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٩٧، ٢٩٨.

الحنفية، فى سابع جمادى الآخرة. وكانت سيرته ذميمة[١].

ومات الشيخ على كهنفوش[٢]: صاحب الزاوية تحت الجبل الأحمر. وكان مشكور السيرة، محمود الطريقة، له حظ من الأتراك[٣].

ومات صلاح الدين خليل بن زين الدين عبد الرحمن بن الكويز، ناظر الديوان المفرد، فى عاشر رمضان[٤].

ومات ناصر الدين محمد بن كمال الدين محمد بن عثمان بن محمد بن عبد الرحيم ابن إبراهيم بن المسلم بن هبة الله بن حسان بن محمد بن منظور بن أحمد بن البارزى، الجهنى، الحموى، الشافعى، الفقيه، الأديب، النحوى، كاتب السر، فى يوم الأربعاء ثامن شوال، ودفن على ولده الشهابى أحمد تجاه قبر الإمام الشافعى بالقرافة[٥].

ومات الصاحب كريم الدين عبد الله بن شاكر بن عبد الله بن غنام، فى سابع عشرين شوال، وقد أناف على المائة، وحواسه سليمة، وُزِّر مرتين، وأنشأ مدرسة[٦] بجوار الجامع الأزهر من القاهرة.

ومات قرايوسف بن قرا محمد بن بيرم خجا، صاحب بغداد وتبريز، فى رابع عشر ذى القعدة.

وقتل ملك المغرب صاحب فاس، السلطان أبو سعيد عثمان ابن السلطان أبى العباس أحمد ابن السلطان أبى سالم إبراهيم ابن السلطان أبى الحسن على بن عثمان بن يعقوب ابن عبد الحق المرينى[٧]، فى ليلة الثالث عشر من شوال، قتله وزيره عبد العزيز اللبانى[٨]، وأقام عوضه ابنه أبا عبد الله محمد. وكانت مدته ثلاثًا وعشرين سنة، وثلاثة أشهر، وأيامًا، خربت فيها فاس[٩] وأعمالها، وذلت بنو مرين، واتضع ملكها، وتلاشى، وفى ذى الحجة سار أبو زيان محمد بن أبى طريق محمد ابن السلطان أبى

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٩٨.

(٢) فى أنباء الغمر «على القلندرى».

(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٩٨.

(٤) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٩٨.

(٥) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٩٨.

(٦) هى مدرسة ابن غنام بحارة كتامة، وتعرف بزاوية الغنامية. انظر الخطط التوفيقية ٢/ ٢٦٢.

(٧) سبق ترجمته.

(٨) وقع فى الضوء اللامع اللبابى.

(٩) سبق ترجمتها.

عنان من تازى. وكان ابن الأحمر قد بعث به مــن الأندلـس لأخـذ فـاس، فـنزل عليهـا، وبايعه الشيخ يعقوب الحلفاوى الثائر بمدينة فاس، بمن اجتمع معه من أهل البلد، وقــاتلوا اللبانى أربعة أشهر(١).

* * *

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٣٠٠.

سنة أربع وعشرين وثمانمائة

أهلت وخليفة الوقت المعتضد با لله أبو الفتح داود بن المتوكل على ا لله أبى عبد ا لله محمد. والسلطان بديار مصر والشام والحجاز الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمودى الظاهرى، وهو مريض، ومعظم عسكر مصر بمدينة حلب صحبة الأمير الكبير ألطنبغا القرمشى أتابك العساكر، ومعه من الأمراء طوغان أمير أخور، وألطنبغا من عبد الواحد - المعروف بالصغير - رأس نوبة النوب، وألطنبغا المرقبى حاجب الحجاب، وجرباش الكريمى رأس نوبة، وغيرهم. وعند السلطان من الأمراء قجقار القردمى أمير سلاح، وططر أمير مجلس، وتنبك ميق العلاى، ومقبل الدوادار. والوزير يومئذ الصاحب بدر الدين حسن بن نصر ا لله. ووظيفة نظر الخاص ليست بيد أحد، وإنما يتحدث فيها عن السلطان الطواشى مرجان الهندى الخازندار. وأستادار الأمير يشبك أينالى. وكاتب السر كمال الدين محمد بن محمد بن البارزى، وقاضى القضاة شيخ الإسلام جلال الدين عبد الرحمن بن البلقينى الشافعى. وقاضى القضاة الحنفية زين الدين عبد الرحمن التفهنى. وقاضى القضاة المالكية بديار مصر شمس الدين محمد البساطى. وقاضى القضاة الحنابلة علاء الدين على بن مغلى. ونائب الإسكندرية ناصر الدين محمد بن أحمد بن عمر بن العطار. ونائب غزة أركُماس الجلبانى. ونائب الشام جقمق الدوادار. ونائب حلب يشبك اليوسفى، ونائب قيصرية الروم محمد بك بن دلغادر التركمانى. ونائب صفد قطلوبغا التنمى. ونائب طرابلس أسنبغا الزردكاش. ونائب حماة آق بلاط. وأمير مكة الشريف حسن بن عجلان. وأمير المدينة النبوية الشريف عُزَيْر بن هيازع، ومتملك اليمن الملك الناصر أحمد بن الأشرف إسماعيل. ومتملك بلاد الشرق شاه رخ بن تيمور كُركان، ومتملك بلاد الروم سلطان محمد كرشجى بن خوندكار بايزيد بن مراد بن عثمان. ومحتسب القاهرة إبراهيم ابن الوزير ناصر الدين محمد بن الحسام. ووالى القاهرة بكلمش ابن فرى. وكاشف الوجه القبلى دمرداش. وكاشف الوجه البحرى حسين الكردى ابن الشيخ عمر، وكان مشكور السيرة على تقوى، كما ذكر.

شهر ا لله المحرم الحرام، أوله الأحد:

أهل والقمح بمائتى درهم وثمانين درهمًا الأردب فما دونها، والشعير كل أردب

بمائة وسبعين. والفول كل أردب بمائة وستين، وذلك سوى كلفه، ولحم الضأن بتسعة دراهم الرطل، ولحم البقر بستة دراهم ونصف كل رطل. والدينار المشخص بمائتين وعشرة دراهم فلوسًا. والمثقال الهرجة بمائتين وثلاثين درهمًا، وهو قليل الوجود بأيدى الناس. والدراهم المؤيدية كل مؤيدى بسبعة دراهم فلوسًا، وهى كثيرة بأيدى الناس، وقد أتلف أهل الفساد وزنها ونقصوها بهرشها، حتى خفت، وضربوا على مثالها نحاسًا يخالطه يسير من الفضة، فعن قليل تنكشف ويظهر زيفها. والفلوس كل رطل بستة دراهم، وقد فسدت، فإنه صار يخلط مع الفلوس من المسامير الحديد المكسورة، ومن نعال الخيل الحديد، ونحوها من قطع النحاس وقطع الرصاص شيء كثير، بحيث لا يكاد يوجد فى القنطار من الفلوس إلا دون ربعه فلوسًا وباقيه حديد ونحاس ورصاص.

هذا والناس فى القاهرة على تخوف وقوع الفتنة بموت السلطان. وقد كثر عبث المفسدين وقطاع الطريق ببلاد الصعيد. وفحش قتل الأنفس، وأخذ الأموال هناك. ومع ذلك فالأسواق كاسدة، والبضائع بأيدى التجار بايرة، والأحوال واقفة، والشكاية قد عمت، فلا تجد إلا شاكيًا وقوف حاله، وقلة مكسبه. وجور الولاة والحكام وأتباعهم متزايد، فتسأل الله حسن العاقبة.

وفى يوم الخميس خامسه: صعد الأمراء قلعة الجبل، وجلسوا على باب الدار، فخرج إليهم الطواشى واعتذر لهم عن دخولهم، فانصرفوا، وكانوا على هذا منذ أيام. والإرجاف يقوى، فإن السلطان أفرط به الإسهال مع تنوع الأسقام، وتزايد الآلام، بحيث قال لى طبيبه: «لم يبق مرض من الأمراض حتى حصل له». وقد افترق الأمراء فرقا، فطلب الأمراء الذين فى القلعة - وكبيرهم ططر - الأمير التاج الشويكى، وخلعوا عليه فى بعض دور القلعة، وجعلوه والى القاهرة، وشقها فى تجمل زائد، أرهب به من كان يخاف منه أن يمد يده إلى النهب من مفسدى العامة. وما برح الإرجاف بالسلطان فى كل يوم، حتى مات قبيل الظهر من يوم الإثنين تاسعه، فارتج الناس ساعة، ثم سكنوا. فطُلب القضاة والخليفة لإقامة ابن السلطان، فأقيم فى السلطنة. وأخذ فى جهاز المؤيد، وصلى عليه خارج باب القلة، وحمل إلى الجامع المؤيدى، فدفن بالقبة قبيل العصر، و لم يشهد دفنه كثير أحد من الأمراء والمماليك، لتأخرهم بالقلعة، فيما يأتى ذكره إن شاء الله تعالى(١).

واتفق فى أمر المؤيد موعظة فيها أعظم عبرة، وهو أنه لما غُسل لم يوجد له منشفة

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٥٤ وما بعدها.

ينشف بها، فنشف بمنديل بعض من حضر غسله. ولا وجد له مئزر تُستَرّ به عورته، حتى أخذ له مُئزر صوف صعيدى من فوق رأس بعض جواريه فستر به، ولا وجد له طاسة يصب عليه بها الماء وهو يغسل مع كثرة ما خلفه من أنواع الأموال.

ومات وقد أناف على الخمسين، وكانت مدة ملكه ثمانى سنين، وخمسة أشهر، وثمانية أيام. وكان شجاعًا، مقدامًا، يحب أهل العلم، ويجالسهم، ويجل الشرع النبوى، ويذعن له، ولا ينكر على من طلبه منه إذا تحاكم إليه أن يمضى من بين يديه إلى قضاة الشرع، بل يعجبه ذلك. وينكر على أمرائه معارضة القضاة فى أحكامهم. وكان غير مائل إلى شىء من البدع. وله قيام فى الليل إلى التهجُّد أحيانًا. إلا أنه كان بخيلا، مسيكًا يشح حتى بالأكل، لجوجًا، غضوبًا، نكدًا، حسودًا، معيانًا(١)، يتظاهر بأنواع المنكرات، فحَّاشًا، سبابًا بذيًا شديد المهابة، حافظًا لأصحابه، غير مفرط فيهم، ولا مضيعًا لهم، وهو أكثر أسباب خراب مصر والشام، لكثرة ما كان يثيره من الشرور والفتن أيام نيابته بطرابلس ودمشق. ثم ما أفسده فى أيام ملكه من كثرة المظالم ونهب البلاد، وتسليط أتباعه على الناس، يسومونهم الذلة، ويأخذون ما قدروا عليه، بغير وازع من عقل ، ولا ناه من دين(٢).

* * *

السلطان الملك المظفر أبو السعادات

أحمد بن المؤيد شيخ(٣)

أقيم فى السلطنة يوم مات أبوه، على مضى خمس درج من نصف نهار الإثنين، تاسع المحرم سنة أربع وعشرين وثمانى مائة، وعمره سنة واحدة، وثمانية أشهر، وسبعة أيام. وأركب على فرس من باب الستارة، فبكى. وساروا به وهو يبكى إلى القصر، حيث الأمراء والقضاة والخليفة، فقبلوا له الأرض، ولقبوه بالملك المظفر أبى السعادات. وأمر فى الحال، فنودى فى القلعة والقاهرة أن يترحم الناس على الملك المؤيد، ويدعوا للملك المظفر ولده. وأخذ فى جهاز المؤيد ودفنه.

---

(١) رجل معيان أى شديد الإصابة بالعين. انظر القاموس المحيط ومحيط المحيط ومعجم الوسيط (عين).

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٥٥، ٢٥٦ نقلا عن المقريزى.

(٣) انظر: ترجمته فى النجوم الزاهرة ١٤/ ٣ وما بعدها، نزهة النفوس والأبدان ٢/ ٤٩٤، أنباء الغمر ٧/ ٤٠٦ وما بعدها، الضوء اللامع ١/ ٣١٣، الأعلام ١/ ١٣٧.

وقبض على الأمير قجقار القردمى أمير سلاح قبل دفن المؤيد، وأحيط بمباشريه وحواصله، بإشارة الأمير ططر، وبات بالقلعة والناس على تخوف.

وفى يوم الثلاثاء عاشره: عملت الخدمة بالقصر، وعرض على الأمير تنبك ميق أن يتحدث فى أمور الدولة، رفيقًا للأمير ططر، فامتنع من ذلك أشد امتناع، فقام الأمير ططر بأعباء الدولة، وخلع عليه لالا للسلطان وكافله. وخلع على الأمير تنبك ميق هذا، والمظفر قد أجلس وهم حوله. فلما انقضت الخدمة أعيد إلى أمه. واستقر سكنى الأمير ططر بالأشرفية من القلعة، ووقف الأمراء ومباشرو الدولة بين يديه[١].

وفى يوم الأربعاء حادى عشره: قبض على الأمير جُلبان والأمير شاهين الفارسى، وهما من أمراء الألوف. وطلب قضاة القضاة الأربع إلى القلعة، وختم بحضورهم على حواصل المؤيد بعدما أخرج منها أربعمائة ألف دينار، برسم النفقة على العسكر. فلما كان عشاء، اضطرب الناس ولبس الأمراء والمماليك للحرب، فخرج الأمير مقبل الدوادار فى عدة من أمراء الطبلخاناه والعشرات ومن المماليك والأتباع، وسروا إلى جهة الشام، فاجتمع الأمراء بكرة الخميس بالقلعة. ونودى بأبطال المغارم التى حدثت على الجراريف[٢] وعمل الجسور بأعمال مصر. ونودى باجتماع المماليك السلطانية للنفقة فيهم، فأخذ كل واحد منهم مائة دينار. ونودى ثالث مرة بحضور أجناد الحلقة، ليرد عليهم ما أخذ منهم المؤيد من المال فى سنة اثنين وعشرين، فسروا بذلك سرورًا زائدًا.

وفيه أخذ الأمير الكبير ططر بيد المظفر، وفيها القلم حتى علّم على المناشير ونحوها، بحضرة الأمراء وأرباب الدولة، واستمر ذلك أحيانا[٣].

وفى يوم الجمعة ثالث عشره: حُمل قجقار القردمى وجلبان وشاهين الفارسى فى القيود إلى سجن الإسكندرية[٤].

وفيه أنفق فى بقية المماليك السلطانية أيضا كما تقدم.

وفى يوم السبت رابع عشره: خلع على الوزير الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله، وأعيد إليه نظر الخاص. وخلع على صدر الدين أحمد بن العجمى وأعيد إلى حسبة

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٤.

(٢) آله تستخدم فى تطهير الترع، وفى جرف الطمى منها. انظر: المعجم الوسيط ١/ ١٢٣.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٤/ ٧.

(٤) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٨.

القاهرة، عوضًا عن الصارم إبراهيم بن الحسام، وأنعم عليه بصرة فيها ثمانون دينارًا. وأضيف إليه حسبة مصر، ورتب له على ديوان الجوالى[١] فى كل يوم دينار[٢].

وفيه أنفق فى بقية المماليك أيضا، وأفرج عن جماعة سجنهم المؤيد.

وفى يوم الإثنين سادس عشره: خلع على الأمير الكبير ططر، واستقر نظام الملك، كافل المماليك. وخلع على الأمير تنبك ميق العلاى، واستقر أمير مجلس، عوضًا عن الأمير ططر. وخلع على الأمير تغرى بردى من قصروه، أحد رءوس النوب الطبلخاناه، واستقر أمير أخور، وأنعم عليه بتقدمة، عوضًا عن طوغان أحد المجردين بحلب. وخلع على الأمير آق قُجا الأحمدى أحد الطبلخاناه، واستقر أمير مائة. وخلع على الأمير قشتمر أحد العشرات، واستقر فى نيابة الإسكندرية عوضًا عن ابن العطار. وخلع على الأمير جانبك الصوفى، واستقر أمير سلاح عوضًا عن الأمير قجقار القردمى. وأنعم عليه بخبز آق بلاط الدمرداشى. وخلع على الأمير أينال أحد الطبلخاناه، واستقر رأس نوبة النوب، عوضًا عن الأمير ألطنبغا الصغير أحد المجردين بحلب. وخلع على الأمير يشبك أستادار، خلعة الاستمرار، وخلع على التاج باستمراره فى ولاية القاهرة، وأن يكون حاجبًا.

وفى يوم الثلاثاء سابع عشره: توجهت القصاد بتشاريف نواب الشام وتقاليدهم المظفرية باستقرارهم على عاداتهم فى كفالاتهم. وكتب الأمير نظام الملك ططر العلامة على الأمثلة ونحوها، كما يكتب السلطان[٣].

وفى يوم الأربعاء ثامن عشره: ابتدئ بالنفقة فى أجناد الحلقة، ورد على كل أحد منهم ما أخذ منه. وتولى ذلك الأمير نظام الملك بنفسه[٤].

وفيه نودى بكف الناس عن المنكرات كلها، فكثر الدعاء لناظم الملك، وتمشت أحوال الناس، وكثر البيع والشراء، فراجت البضائع وربحت التجار لتوسع أهل الدولة، مما صار إليهم من الأموال.

وفى يوم الخميس تاسع عشره: خلع على قضاة القضاة الأربع، وبقية أرباب الدولة باستمرارهم على عوائدهم فى وظائفهم. وخلع على شرف الدين محمد بن تاج الدين

---

(١) الجوالى: هو ما يؤخذ من أهل الذمة من الجزية المقررة عليهم فى كل سنة.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٨.

(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/٩.

(٤) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/٩.

عبد الوهاب بن نصر الله موقع الأمير نظام الملك. واستقر فى نظر أوقاف الأشراف. وكان يليه الأمير ططر منذ مات ناصر الدين محمد بن البارزى[١].

وفيه استعفى علم الدين داود بن الكويز من مباشرة نظر الجيش، فأعفى. وخلع عليه جبة بفرو سمور، ونزل إلى داره.

وفيه قدم الخبر بوصول الأمير مقبل الدوادار إلى قطيا، ومضيه إلى الطينة وركوبه البحر فى غراب قد أعده.

وفى يوم الجمعة عشرينه: نودى بأن الأمير الكبير نظام الملك ططر يجلس للحكم بين الناس، فجلس بعد الصلاة بالمقعد من الإسطبل، كما كان المؤيد يجلس، إلا أنه قعد عن يسار الكرسى، ولم يرقه. وحضر الأمراء على العادة، وقعد كاتب السر على الدكة، فقرأ عليه القصص، كما كان يقرأ فى الأيام المؤيدية. ووقف نقيب الجيش ووالى القاهرة بين يديه، كما كانا يقفان بين يدى المؤيد، فنظر فى ظلامات الناس[٢].

وفى يوم السبت حادى عشرينه: تنكر الأمير الكبير على الصاحب تاج الدين بن الهيصم، وعزله عن نظر الديوان المفرد[٣].

وفى يوم الأحد المبارك ثانى عشرينه: فرق الأمير الكبير نظام الملك ططر فى بقية أجناد الحلقة ما أخذ منهم.

وفيه قدم ركب الحاج الأول.

وفى يوم الإثنين ثالث عشرينه: قدم محمل الحاج ببقية الحجاج.

وفيه طلب تاج الدين عبد الرزاق بن شمس الدين عبد الله، المعروف بابن كاتب المناخات، مستوفى[٤] الديوان المفرد، وخلع عليه بوظيفة نظر الديوان المفرد، عوضًا عن ابن الهيصم. وخرج من بين يدى الأمير الكبير، حتى توسط الدهليز طلب ونزعت عنه الخلعة، وأفيض عليه تشريف الوزارة وهو يمتنع، فلم يلتفت إليه ومضى إلى داره. وكان ذلك برغبة ابن نصر الله عن الوزارة، وتعيينه لها عوضه. وطُلب ابن الهيصم، وخلع

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ١٠.
(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ١٠،١١.
(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/١١.
(٤) المستوفى من كتاب الأموال بالدواوين، وعمله هو ضبط الديوان التابع له والتنبيه على ما فيه مصلحته من استخراج أموال ونحو ذلك. انظر: صبح الأعشى ٥/ ٤٦٦، قوانين الدواوين ٢٩٨، ٣٠١ نهاية الإرب ٣/ ٢٩٩.

عليه وأعيد إلى نظر الديوان المفرد. وخلع على الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله باستقراره فى نظر الخاص. وخلع على الأمير يشبك باستقراره ملك الأمراء كاشف الكشاف[١] بالوجهين القبلى والبحرى، مضافا للأستادارية.

وفى يوم الخميس سادس عشرينه: خلع على كمال الدين محمد بن البارزى كاتب السر، واستقر فى نظر الجيش، عوضًا عن علم الدين داود بن الكويز[٢].

وفى يوم الجمعة سابع عشرينه: جلس الأمير الكبير ططر بالمقعد السلطانى من الإسطبل بعد صلاة العصر، للحكم بين الناس. وأخرج المسجونين وعرضهم، فعزل من عليه دين منهم ليصالح غرماءهم عن ديونهم.

وفى يوم السبت ثامن عشرينه: توجه الأمير يشبك أستادار، وكاشف الكشاف، إلى الوجه القبلى، فى عدة من الأجناد.

وفى يوم الإثنين سلخه: خلع على القاضى علم الدين داود بن الكويز، واستقر فى نظر ديوان الإنشاء كاتب السر عوضًا عن كمال الدين محمد بن البارزى، فتسلم القوس غير راميها، ووسدت الأمور إلى غير أهليها.

وفيه خلع أيضا على عدة من موقعى الدست، خلع الاستمرار.

شهر صفر:

أهل بيوم الثلاثاء: والإرجاف متزايد بأن أهل الشام قد امتنعوا من طاعة الأمير ططر.

وفى يوم الجمعة رابعه: جلس الأمير ططر للحكم على العادة.

وفى سابعه: قدم الخبر بأن الأمير جقمق نائب الشام أخذ قلعة دمشق واستولى على ما فيها من الأموال وغيرها، وكان بها نحو المائة ألف دينار، فاضطرب أهل الدولة.

وفى عاشره: جمع الأمير الكبير ططر عنده بالأشرفية من القلعة قضاة القضاة وأمراء الدولة ومباشريها، وكثيرًا من المماليك السلطانية، وأعلمهم بأن نواب الشام والأمير ألطنبغا القرمشى ومن معه من الأمراء المجردين لم يرضوا بما عمل بعد موت المؤيد، ولابد للناس من حاكم يتولى تدبير أمورهم، ولابد أن يعينوا رجلا ترضونه ليقوم بأعباء

---

(١) كاشف الكشاف: هو رئيس الكشاف، وكانت رتبته أمير مائة مقدم ألف، وهو الذى يشرف على أحوال الأراضى والجسور. انظر: صبح الأعشى ٤/٢٥.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/١٢.

المملكة ويستبد بالسلطنة. فقال الجميع «قد رضينا بك». وكان الخليفة حاضرًا فيهم، فأشهد عليه أنه فوض جميع أمور الرعية إلى الأمير الكبير ططر، وجعل إليه ولاية من يرى ولايته، وعزل من يريد عزله من سائر الناس، وأن يعطى من شاء ما شاء ويمنع من يختار من العطاء، ما عدا اللقب السلطاني، والدعاء له على المنابر، وضرب اسمه على الدنانير والدراهم، فإن هذه الثلاثة أشياء باقية على ما هى عليه للملك المظفر. وأثبت قاضى القضاة زين الدين عبد الرحمن التفهنى هذا الإشهاد، وحكم بصحته. ونفذ حكمه قضاة القضاة الثلاثة. ثم حلف الأمراء للأمير الكبير يمينهم المعهودة. وكان سبب هذا أن بعض فقهاء الحنفية تقرب إلى الأمير الكبير بنقل أخرجه إليه من فروع مذهبه أن السلطان إذا كان صغيرًا وأجمع أهل الشوكة على إقامة رجل ليتحدث عنه حتى يبلغ رشده نفذت أحكامه، وأقام أياما يحسن له ذلك، فاتفق ورود الخبر باستيلاء جقمق على قلعة دمشق. ثم ردفه خبر آخر، بأنه جهز عدة أمراء إلى غزة، فعمل ما تقدم ذكره ليكون فيه تقوية لقلوب العسكر، وأنهم على حق، ومن يخالفهم على باطل[١].

وفى يوم الإثنين رابع عشره: خلع على عبد القادر ابن الأمير فخر الدين عبد الغنى ابن أبى الفرج، واستقر فى كشف الشرقية وولاية قطيا، وله من العمر خمسة عشر سنة أو أكثر منها، فتحكم فى دماء الخليقة وأبشارها من لم يجعل الله له تحكما فيما يرثه من أبيه، لعدم رشده.

وفى ليلة الثلاثاء سادس عشره: خسف جميع جرم القمر.

وفى يوم الثلاثاء هذا: قدم سيف نائب حلب الأمير يشبك اليوسفى المؤيدى، وقد قتل. وكان من خبره أنه لما ورد خبر موت المؤيد على الأمير ألطنبغا القرمشى وهو بحلب، جمع الأمراء وفيهم الأمير يشبك نائب حلب، وحلّفهم للسلطان الملك المظفر، وأخذ فى رحيله بمن معه، فلم يتكامل رحليهم حتى ركب يشبك فى جمع من التركمان، وهجم عليهم وهم فى جدران المدينة، فقاتلوه وقد مالت معهم العامة، فتقنطر عن فرسه، فأخذ وقتل، وذلك فى يوم الثلاثاء ثالث عشرين المحرم. وكان من شرار خلق الله، لما هو عليه من الفجور والجرأة على الفسوق، والتهور فى سفك الدماء، وأخذ الأموال. وكان المؤيد قد استوحش منه لما يبلغه من أخذه فى أسباب الخروج عليه، وأسرَّ للأمير ألطنبغا القرمشى إعمال الحيلة فى القبض عليه، فأتاه الله من حيث لم يحتسب، وأخذه أخذًا وبيلا، ولله الحمد.

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٤/١٣، ١٤.

وفى يوم الخميس سابع عشره: قدم الأمير قُجق العيسوى حاجب الحجاب، والأمير بيبغا المظفرى وقد أفرج عنهما من سجن الإسكندرية. وقدم يشبك الساقى الأعرج وكان قد نفاه المؤيد من دمشق إلى مكة. وقد حضر إليه من حلب فى حصاره الأمير نوروز بحيلة دبرها عليه، حتى استنزله من قلعة حلب. فلما ظفر بنوروز أراد قتله فيمن قتل من أصحابه، فشفع فيه الأمير ططر فأخرجه إلى مكة فأقام بها سنين. ثم نقله إلى القدس، فلم تطل إقامته بها حتى مات المؤيد وتحكم الأمير ططر، فاستدعاه. وكان له منذ خرج من القاهرة نحو العشرين سنة، فإنه خرج فى نوبة بركة الحبش من سنة أربع وثمانى مائة.

وفيه أيضا قدم سودن الأعرج من قوص، وقد نفى إليها من سنين عديدة.

وفيه أفرج عن الأمير ناصر الدين محمد باك بن على باك بن قرمان، وخلع عليه، ورسم بتجهيزه ليعود إلى مملكته. وأنعم عليه بمال وثياب وخيول وغير ذلك، فسار فى النيل يوم السبت سادس عشرينه إلى جهة رشيد[1]، ليتوجه منها.

شهر ربيع الأول، أوله الأربعاء:

فيه ورد كتاب الأمير الكبير ألطنبغا القرمشى من حلب، يتضمن أنه لما قتل الأمير يشبك نائب حلب، ولى عوضه نيابة حلب الأمير ألطنبغا الصغير، وأنه عندما ورد عليه خبر موت السلطان بعدما عهد بالسلطنة من بعده لابنه، وأن يكون القائم بأمور الدولة ألطنبغا القرمشى، وأنه قد أقيم فى السلطنة الملك المظفر كما عهد، أخذ فى الرحيل إلى مصر كما رسم له به. فكان من أمر يشبك ما كان، فاشتغل عن المسير. ثم ورد عليه الخبر باستقرار نواب المماليك الشامية على عوائدهم فيما بأيديهم، وتحليفهم للسلطان الملك المظفر، وللأمير الكبير ططر، فحمل الأمر فى ذلك على أنه غلط من الكاتب، وسأل أن يفصح له عن ذلك، فأجيب بأنه بعد ما عهد المؤيد لابنه، وأقيم من بعده فى السلطنة طلب الأمراء والخاصكية والمماليك السلطانية أن يكون المتحدث فى أمور الدولة كلها الأمير ططر، ورغبوا إليه فى ذلك، ففوض إليه الخليفة جميع أمور المملكة، ما عدا اللقب السلطانى والخطبة والسكة، فليحضر الأمير ومن معه ليكونوا على إمرياتهم. وأنكر عليه استقرار ألطنبغا الصغير(٢) فى نيابة حلب من غير استئذان(٣).

---

(١) رشيد: بليدة على ساحل البحر والنيل قرب الإسكندرية. انظر معجم البلدان ٣/ ٤٥.

(٢) أَلْطنبُغا بن عبد الله بن عبد الواحد الظاهرى(٨٢٤ هـ = ١٤٢١ م)، الأمير علاء الدين، المعروف بالصغير هو من صغار المماليك الظاهرية برقوق، وممن ترقى فى الدولة المؤيدية شيخ إلى أن=

وفيه أيضا قدم الخبر بأن على بن بشارة قَاتَل الأمير قطلوبغا التنمى نائب صفد، فامتنع بالمدينة، فحصروه حتى فر إلى دمشق. وأن الأمير جقمق استعد بدمشق، واستخدم جماعة، وسكن قلعة دمشق.

وفى تاسعه: خلع على الأمير تنبك ميق العلاى، واستقر أتابك العساكر، عوضا عن الأمير ألطنبغا القرمشى. وأنعم عليه بإقطاعه. وأنعم بإقطاع تنبك ميقق على الأمير أينال الأزعرى. وأنعم بإقطاع أينال الأزعرى على الأمير قُجُق العيسوى. وأنعم بإقطاع الأمير طوغان أمير أخور - أحد المجردين - على الأمير تغرى بردى الأقبغاوى، المعروف بأخى قصروه. وأنعم بإقطاع الأمير ألطنبغا من عبد الواحد المعروف بالصغير رأس نوبة المستقر فى نيابة حلب، على سودن العلاى. وأنعم بإقطاع سودن العلاى على قَطُج من تمراز. وأنعم بإقطاع الأمير أزدمر الناصرى[1] - أحد المجردين - على الأمير بيبغا المظفرى. وأنعم بإقطاع الأمير جرباش من عبد الكريم على تمربيه من قرمش. وبإقطاع على أركماس اليوسفى. وبإقطاع أركماس على سودن الحموى. وبإقطاع سودن الحموى على شاهين الحسنى وتغرى بردى المحمدى قُسِّم بينهما. وأنعم

=صار أميرا ومقدم ألف ، ثم ولاه رأس نوبة النوب بعد الأمير ططر، بحكم انتقال ططر إلى إمرة مجلس. واستمر الأمير ألطنبغا على ذلك، إلى أن تجرد صحبة الأمير ألطنبغا القرمشى إلى البلاد الشامية، ووقع ما حكيناه قريبًا فى ترجمة القرمشى، ومن تولية المذكور لنيابة حلب بعد قتل الأمير بشتك اليوسفى المؤيدى. واستمر ألطنبغا الصغير هذا فى نيابة حلب إلى أن بلغه أن الأمير ططر قبض على القرمشى وقتله تخوفا منه، وخرج من حلب فارًا، فلقيه بعض تركمان الطاعة، فركبوا وقاتلوه، فقاتلهم قتالا شديدًا، ثم إنكسر وأُمسك وقُتل بمعاملة البلاد الحلبية، فى تاسع شعبان سنة أربع وعشرين وثمانمائة. وكان شابًا ظريفًا تركيا، مليح الشكل، شجاعًا، سخيًا، وله مشاركة هينة، ويستحضر بعض تاريخ وكثيرًا من السيرة النبوية، وكان منهمكا فى اللذات. انظر المنهل الصافى ٣/٦٦، ٦٧.

(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ١٨.

(١) أزدمر عبد الله الناصرى، الأمير سيف الدين (٨٢٤ هـ = ١٤٢١م). أحد أمراء الألوف بالديار المصرية، أصله من مماليك الظاهر برقوق ونسبته بالناصرى إلى جالبه خواجا ناصر الدين، مات أستاذه الملك الظاهر وهو من جملة المماليك السلطانية، وتنقل فى الدولة حتى صار فى الدولة المؤيدة شيخ أمير مائة ومقدم ألف بديار مصر، واستمر على ذلك إلى أن تجرد صحبة الأمير إلى البلاد الشامية، ومات الملك المؤيد وهم بتلك البلاد ثم سافر الأتابك ططر إلى بلاد الشام، ووقع له أمور وحوادث، وقبض على الأمير الكبير ألطنبغا القرمشى وعلى جماعة أخر ممن كانوا صحبة، قبض على أزدمر هذا أيضا معهم، وكان ذلك آخر العهد به، وذلك سنة أربع وعشرين وثمانمائة. وكان امير حليلا ذا لحية بيضاء نيرة، رأسا فى العب الرمح وغيره من أنواع الفروسية، وعنده سلامة باطن، وله وجاهة فى الدول. انظر المنهل الصافى ٢/ ٣٥١، ٣٥٢.

بإقطاع الأمير جلبان المؤيدى أمير أخور على ألى بيه من علم شيخ الدوادار. وأنعم بإقطاع ألى بيه على الديوان المفرد، زيادة فيه. وأنعم بإقطاع الأمير مقبل الدوادار على جقمق الخازندار. وأنعم بإقطاع الأمير ألطنبغا المرقبى حاجب الحجاب على قصروه التمرازى. وأنعم بإقطاع جانبك من حمزة على قانبيه الحمزاوى. وأنعم بإقطاع قصروه على مغلباى البوبكرى[١].

وفى يوم الأحد حادى عشره: عوق القاضى كمال الدين محمد بن البارزى ناظر الجيش، وحموه الأمير ناصر الدين محمد بن العطار نائب الإسكندرية بالقلعة، على مال يقومان به. ثم أفرج عنهما من الغد يوم الإثنين، وخلع على كمال الدين خلعة الاستمرار، ليقوم بمال، ورسم على ابن العطار.

وفيه قدم الأمير يشبك أستادار من الوجه القبلى، فخلع عليه فى يوم الثلاثاء حادى عشرينه، واستقر كاشف الكشاف، وفوض إليه عزل الولاة بالأعمال وولايتهم، عونًا له على كلف الديوان المفرد. بما يأخذه منهم من البراطيل.

وفى يوم الأربعاء ثانى عشرينه: فرق الأمير الكبير ططر على الأمراء والمماليك أربع مائة فرس برسم السفر إلى الشام ورُسم بالتجهيز للسفر.

وفيه قدم قصاد عديدة، من الأمراء المجردين بالشام، فى طلب جمالهم وأموالهم، فمنعوا منها. وكتب إلى الأمير ألطنبغا القرمشى بأن الجمال فرقها السلطان، وقد عزم على السفر «وأنك مخير بين أن تحضر على ما كنت عليه، وبين أن تستقر فى نيابة الشام، عوضا عن جقمق». وكثر الاهتمام بأمر السفر[٢].

وفى يوم الإثنين سابع عشرينه: خلع الأمير صلاح الدين محمد ابن الوزير الصاحب ناظر الخاص بدر الدين حسن بن نصر الله أحد الحجاب، واستقر أستادارًا عوضا عن الأمير يشبك بعد عزله من يوم الجمعة. وأنعم على الأمير صلاح الدين بإمرة مائة تقدمة ألف[٣].

وفى هذا الشهر والذى قبله: نودى أن لا يسافر أحد من الناس كافة إلى البلاد الشامية، وهدد من وجد مسافرًا إليها بأشد العقوبة. وكان القصد بذلك تعمية الأخبار عن المخالفين[٤].

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/٩.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/٢٠.

(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/٢١.

(٤) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/٢١.

شهر ربيع الآخر:

أهل بيوم الجمعة: والعسكر فى أهبة السفر.

وفى يوم الإثنين رابعه: ركب الأمير الكبير نظام الملك ططر من القلعة، ومعه الأمراء والمماليك السلطانية. ودخل إلى القاهرة من باب النصر، وخرج من باب زويلة إلى القلعة، فكان فى موكب سلطانى لم يفقد فيه إلا الجاويشية والعصابة. وهذا أول موكب ركبه، فإنه منذ مات المؤيد شيخ لم يركب سوى يومه هذا.

وفى سادسه: نودى من قبل الأمير الكبير نظام الملك ططر فى سائر المماليك السلطانية باجتماعهم لتنفق عليهم النفقة.

وفى يوم الخميس سابعه: جلس الأمير الكبير نظام الملك طَطَر بالقلعة، وأنفق فى المماليك نفقة السفر، لكل واحد منهم مائة دينار أفرنتية.

وفيه خلع على شمس الدين محمد ابن قاضى القضاة زين الدين عبد الرحمن التفهنى واستقر قاضى العسكر. وكان قضاء العسكر قد شغر منذ أعوام.

وفى تاسعه: أنفق فى الأمراء والمماليك أيضا، فحمل إلى الأمير تنبك العلاى ميق خمسة آلاف دينار.

وفى عاشره: أخرج بولدى الملك الناصر فرج بن الظاهر برقوق من القلعة، ونفيا إلى الإسكندرية[1].

وفى رابع عشره: نصب المخيم السلطانى خارج القاهرة.

وفيه وسط الأمير راشد بن أحمد بن بقر، خارج باب النصر، ظلما.

وفى ثامن عشرة: قدم الخبر بأن عساكر دمشق برزت منها، وأنها نزلت بالنجون، فركب الأمير ططر فى يوم الثلاثاء تاسع عشره من قلعة الجبل، ومعه السلطان الملك المظفر والأمراء، يريد السفر إلى الشام. ونزل بهم فى المخيم ظاهر القاهرة، وخرج الناس أفواجًا، فى إثره. وأصبح يوم الأربعاء الأمير تنبك ميق راحلا، ومعه عدة من الأمراء وغيرهم ثم استقل الأمير ططر بالمسير ومعه السلطان والخليفة وبقية العسكر فى يوم الجمعة ثانى عشرينه. وقد جعل نائب الغيبة الأمير قانبيه الحمزاوى - وهو يومئذ غائب ببلاد الصعيد - وأن ينوب عنه حتى يحضر الأمير جقمق أخو جركس المصارع، وتأخر عن السفر الوزير وأستادار.

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/٢٣.

شهر جمادى الأولى أوله الأحد:

فى ثانيه: دخل الأمير ططر[١] بالسلطان إلى غزة، فقدم إليه طائعا كثير ممن خرج من عسكر دمشق، منهم الأمير جلبان أمير أخور أحد المجردين إلى حلب فى أيام المؤيد، والأمير أينال نائب حماة، فسر بهم، وأنعم عليهم، وفر ممن كان معهم الأمير مقبل الدوادار فى طائفة يريد دمشق. وقدم الخبر بذلك إلى القاهرة فى تاسعه، فدقت البشائر بالقلعة، وخلع على القادم.

وفى سادس عشره: قدم الخبر بنزول الأمير ططر ومن معه على بيسان فى يوم الثلاثاء عاشره، وأنه ورد عليه الخبر من دمشق أن الأمير مقبل لما دخل دمشق وأخبر بدخول الأميرين جلبان أمير أخور وأينال نائب حماة فى الطاعة، شق ذلك على الأمير جقمق نائب الشام، وعلى الأمير ألطنبغا القرمشى، واختلفا، فاقتضى رأى القرمشى أن يدخل فى الطاعة، وامتنع جقمق من ذلك، وصاروا حزبين.

فلما كان فى يوم الإثنين ثالثه: بلغ القرمشى عن جقمق بأنه يريد أن يقبض عليه، فبادرا إلى محاربته، وركب فى جماعته بآلة الحرب، ووقف بهم تجاه القلعة، وقد رفع الصنجق السلطانى، فأتاه جماعة عديدة راغبين فى الطاعة. وكانت بينه وبين جقمق وقعة طول النهار. فانكسر جقمق ومضى هو والأمير طوغان أمير أخور والأمير مقبل الدوادار فى نحو الخمسين فارسًا إلى جهة صرخد. وأن القرمشى استولى على مدينة دمشق وتقدم إلى القضاة والأعيان أن يتوجهوا إلى ملاقاة السلطان. فقدموا إلى العسكر، فدقت البشائر بقلعة الجبل، وخلع على الذى قدم بذلك.

وفى يوم السبت حادى عشرينه: قدم الأمير قانبيه الحمزاوى من بلاد الصعيد، وحكم فى نيابة الغيبة، فانكفت يد جقمق عن الحكم، وكانت سيرته فى الناس جيدة.

وفيه نودى على النيل ثلاثة أصابع، وجاء القاع أربعة أذرع وأربعة وعشرين أصبعًا.

وفى تاسع عشرينه: قدم الخبر بأن الأمير ططر لما نزل بمن معه اللجون، أتاه الأمير أزدمر الناصرى، وعلى يده كتاب الأمير ألطنبغا القر ومضمونه أن جقمق نائب الشام ركب عليه فى يوم الثلاثاء ثالثه بعسكر دمشق، ووقف عند باب النصر. وأنه ركب بمن معه، ووقف عند جامع يلبغا[٢] . وكانت بينهما حرب من قبل الظهر إلى بعد

---

(١) سبق ترجمته.

(٢) يقع بسوق الخيل على نهر بردى، والذى أنشأه الأمير يلبغا بن عبد الله اليحياوى الناصرى سنة ٧٤٨هـ.

العصر، فانكسر من جقمق إلى سويقة صاروجا[1] ثم قوى وعاد، وقد نصب الصنجق السلطانى ونادى «من كان فى طاعة السلطان فليقف تحت الصنجق» فأتاه كثير ممن مع جقمق، فلم يجد بدا من الفرار، فتوجه نحو صرخد ومعه الأميران مقبل وطوغان. فسر الأمير ططر سرورًا زائدًا. وأنه قدم أيضا الأمير قطلوبغا التنمى نائب صفد، فخلع عليه. وسار الأمير ططر بمن معه إلى دمشق، فدخلها بكرة يوم الأحد، خامس عشره، وقد تلقاه الأمير ألطنبغا القرمشى والأمير ألطنبغا المرقبى والأمير جرباش قاشُق، فخلع على القرمشى ونزل الأمير ططر بالقلعة مع السلطان. وأول ما بدأ به أن قبض على القرمشى والمرقبى وجرباش، وعلى الأمير أَرْدُبُغا من أمراء الألوف بدمشق، وعلى الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين أستادار المؤيد.

وأصبح يوم الإثنين سادس عشره: وقد جلس للخدمة بالقلة. وخلع على الأمير تنبك العلاى ميق، واستقر به نائب الشام عوضا عن جقمق. وخلع على الأمير أينال الجكمى رأس نوبة النوب، واستقر به نائب حلب. وخلع على الأمير يونس الأتابك بدمشق، واستقر نائب غزة، عوضا عن أركماس الجلبانى. وخلع على الأمير جانبك الصوفى أمير سلاح واستقر أتابك العساكر، عوضا عن الأمير تنبك ميق. وبعث فى طلب الأمير جقمق الأمير بيبغا المظفرى والأمير أينال الأزعرى، والأمير يشبك أينالى، والأمير سودن اللكاشى ومعهم مائتا مملوك. فدقت البشائر بقلعة الجبل مدة ثلاثة أيام. وزينت القاهرة عشرة أيام.

شهر جمادى الآخرة أوله الثلاثاء:

فى ثامن عشره: قدم إلى دمشق جماعة من المماليك الظاهرية برقوق الذين فروا من الملك المؤيد منذ سنين، منهم الأمير طرباى نائب غزة، والأمير سودن من عبد الرحمن نائب طرابلس، والأمير يشبك الدوادار، والأمير جانبك الحمزاوى نائب طرسوس فخلع عليهم الأمير طُطر. وأنعم عليهم بالمال والخيل والسلاح والقماش. وحمل إليهم الأمراء عدة تقادم على قدر رتبهم.

وفى تاسع عشرينه: توقفت زيادة ماء النيل، ونقص خمسة أصابع. وقد بلغ خمسة أذرع واثنين وعشرين أصبعا.

وفيه قدم الخبر بتوجه الأمير ططر بمن معه من السلطان والعساكر إلى جهة حلب، فى خامس عشرينه.

---

(١) تقع سويقة صاروجا بدمشق. انظر خطط الشام ٦/ ٦٢.

شهر رجب، أوله الأربعاء:

أهل والناس فى قلق لتوقف ماء النيل عن الزيادة، وقد نقص بضع عشرة أصبعا، ثم أن الله أغاث عباده، ونودى عليه فى رابعه بزيادة أصبع، واستمرت زيادته.

وفى سادسه: دخل الأمير ططر بمن معه إلى حلب، فقدم عليه بها الأمير مقبل الحسامى الدوادار طائعا، وقد فارق جقمق بصرخد، فخلع عليه، وعفى عنه. وخلع على الأمير تغرى بردى من قصروه أمير أخور، واستقر فى نيابة حلب، عوضا عن أينال الجكمى. وخلع على أينال، واستقر أمير سلاح.

شهر شعبان، أوله الجمعة:

فى يوم الإثنين حادى عشره – الموافق لثامن عشر مسرى –: كان وفاء النيل ستة عشر ذراعا، وفتح الخليج على العادة. وقدم الخبر بأن الأمير برسباى الدقماقى نائب طرابلس – كان – بعثه الأمير ططر من حلب، ومعه القاضى بدر الدين محمد بن مزهر ناظر الإصطبل إلى صرخد، وأنه ما زال بالأمير جقمق حتى أذعن، وسار معه إلى دمشق، وصحبته الأمير طوغان أمير أخور. فلما قدموا دمشق قبض الأمير تنبك ميق النائب على جقمق وطوغان وسجنهما. وأن الأمير ططر برز من حلب بمن معه فى حادى عشره، وأنه قدم بهم إلى دمشق فى ثالث عشرينه، فقتل جقمق نائب الشام. ونفى طوغان إلى القدس بطالا. وأنه قبض فى ثامن عشرينه على كثير من الأمراء، منهم سبعة من أمراء الألوف بمصر، وهم أينال الأزعرى حاجب الحجاب وأينال الجكمى نائب حلب، وأمير سلاح، وسودن اللكاشى، وجلبان أمير أخور، وألى بيه الدوادار، ويشبك أينالى أستادار، وأزدمر الناصرى. وقبض على الطواشى مرجان الخازندار، ثم أفرج عنه. وعزم على خلع المظفر من السلطنة، وخلعه فى تاسع عشرينه، فكانت مدته سبعة أشهر وعشرين يوما.

* * *

السلطان الملك الظاهر سيف الدين أبو الفتح ططر[1]

جلس على تخت الملك بقلعة دمشق فى يوم الجمعة تاسع عشرين شعبان سنة أربع

---

(١) السلطان الملك الظاهر سيف الدين أبو الفتح ططر، تسلطن بعد خلع السلطان الملك المظفر أحمد ابن الملك المؤيد شيخ. انظر: ترجمته فى النجوم الزاهرة ١٤/ ٣٠ وما بعدها، نزهة النفوس ٢/ ٥٠٨، أنباء الغمر ٧/ ٤٣٨، بدائع الدهور ٣٢٢، الضوء اللامع ٤/ ٧، الأعلام ٣/ ٢٢٦.

وعشرين وثمانمائة، الموافق له يوم نوروز القبط بمصر، وتلقب بالملك الظاهر. وخطب له من يومه على منابر دمشق. وكتب إلى مصر وحلب وحماة وحمص وطرابلس وصفد وغزة بذلك.

شهر رمضان، أوله السبت:

نودى على النيل ثلاثة أصابع، لتتمه ثمانية عشر ذراعا وأصبعين. فلما فتح بحر أبى المنجا نقص النيل اثنى عشر أصبعا، ثم إنه تراجعها قليلا قليلا فى عدة أيام.

وفى يوم الإثنين ثالثه: خلع السلطان الملك الظاهر ططر بقلعة دمشق على الأمير طُرباى الذى كان نائب غزة، وفر من الملك المؤيد، واستقر حاجب الحجاب عوضا عن أينال الأزعرى. وخلع على الأمير برسباى الدقماقى، واستقر به دوادارًا كبيرًا، عوضا عن الأمير ألى بيه. وبرسباى هذا بعث به الأمير دقماق نائب ملطية إلى الظاهر برقوق، فنزل بالطباق من القلعة إلى أن أخرج له خيلا، وصار يركب وينزل، فلما مات الظاهر انتمى إلى الأمير جركس المصارع، وتقلبت به الأحوال فى تلك الأيام إلى أن خرج من القاهرة فارا إلى الشام. وصار من جماعة الأمير نوروز الحافظى. ثم انتقل عنه هو وأخوه ططر إلى الأمير شيخ المحمودى ومازالا معه حتى قتل الملك الناصر فرج بن برقوق، وقدم الأمير شيخ إلى مصر، وتسلطن، أنعم على برسباى بإمرة، وعمله كاشف الجسور. ثم ولاه نيابة طرابلس، فواقع التركمان فكسروه. فتنكرعليه الملك المؤيد شيخ وسجنة بالمرقب مدة، ثم أفرج عنه وأنعم عليه بإمرة فى دمشق، فمات المؤيد، وهو من جملة أمراء دمشق. فقبض عليه الأمير جقمق نائب الشام، وسجنه من أجل أنه معروف بينهما قرابة قريبة. فلم يزل مسجونا بقلعة دمشق، حتى ثار الأمير ألطنبغا على جقمق نائب الشام، وهزمه. فأفرج عن برسباى. ودخل عقيب ذلك الأمير ططر إلى دمشق، فتوجه معه إلى حلب وبعثه منها حتى أحضر جقمق من صرخد. فلما تسلطن ططر عمله دوادارًا كبيرًا. وسيظهر لك فائدة التعريف بحال برسباى هذا عن قريب، إن شاء الله تعالى.

وخلع فى هذا اليوم أيضا على الأمير يشبك الدوادار الذى فر من الحجاز إلى قرايوسف فى الأيام المؤيدية، واستقر أمير أخور، عوضا عن الأمير تغرى بردى من قصروه.

وفى يوم الأربعاء خامسه: خلع على قاضى القضاة جمال الدين يوسف البساطى، بين يدى الأمير قانبيه الحمزاوى، واستقر فى حسبة القاهرة، عوضا عن صدر الدين

أحمد بن العجمى، ونزل فى موكب جليل إلى داره. وكان سبب ولايته أنه طالت عطلته سنين، فلما استبد الظاهر ططر بالسلطنة، تذكره لصحبة بينهما، فكتب إلى الأمير قانبيه بطلبه، وعرض الحسبة عليه فإن قبلها ولاه، فلم يمتنع من قبولها لرغبته فى الحكم(١).

وفى ثامنه: قدم الخبر بسلطنة الأمير ططر، فنودى بذلك فى القاهرة، ودقت البشائر بقلعة الجبل.

وفى يوم الإثنين سابع عشره: برز السلطان من دمشق عائدًا إلى مصر، بعدما أثر بدمشق آثارًا جميلة، منها أن نائب الشام كان له محتسب دمشق فى كل سنة نحو الألف وخمسمائة دينار يحملها إليه، ويتعوضها بزيادة من مظالم العباد، فعوض السلطان نائب الشام عن هذا المبلغ بلد أربل، ويتحصل له منها فى السنة نحو الألفين وخمسائة دينار، وولى حسبة دمشق لرجل بغير مال، ونادى «إن طلب منكم المحتسب يا أهل دمشق شيئا فارجموه». ونقش بإبطال هذه الحادثة - وما كان منه فيها - على حجر بجامع بنى أمية.

ثم مر السلطان فى طريقة بمدينة القدس، فرفع إليه أن من عادة نائبها أن يجبى كل سنة من فلاحى الضياع نحو أربعة آلاف دينار، وبسبب ذلك خربت معاملة القدس، فعوض النائب عن ذلك. ونادى بإبطال هذه المغارم، ونقشه على حجر بالمسجد، فتباشر الناس بأيامه، ورجوا أن يزيل الله عنهم به ما هم فيه من الجور.

شهر شوال، أوله الإثنين، الموافق له ثانى بابة:

وفيه بلغت زيادة النيل تسعة عشر ذراعا، وأصبع واحد.

وفيه نزل السلطان بالصالحية، فخرج الناس إلى لقائه، وقد تزايد السرور به، فصعد قلعة الجبل فى يوم الخميس رابعه، وأنزل المظفر مع أمه فى بعض دور القلعة.

وفى يوم الجمعة خامسه: خلع على الطواشى مرجان الهندى، واستقر زمام الدار، عوضا عن الطواشى كافور الشبلى.

وفى يوم الإثنين: ابتدأ السلطان بعرض مماليك الطباق، وأنزل منهم عدة، فسكنوا فى الصليبة وغيرها.

وفى يوم الإثنين خامس عشره: استدعى السلطان الشيخ ولى الدين أبو زرعة أحمد

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/٤٠.

ابن الشيخ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقى الشافعى، وخلع عليه، وفوض إليه قضاء القضاة بديار مصر، بعد وفاة جلال الدين عبد الرحمن بن البلقينى. فنزل فى موكب عظيم من الأمراء والقضاة والأعيان، بعدما اشترط أن لا يقبل شفاعة أمير فى يوم الحكم. فسر الناس بولايته لكفاءته، وتمكنه من علوم الحديث والفقه وغير ذلك، مع جميل طريقته وحسن سيرته، وتصديه للإفتاء والتدريس عدة سنين، وتنزهه عن التراداد لأبواب الأمراء ونحوهم، وسعة ذات يده، وغير هذا من الصفات المحمودة(١).

وفى يوم الإثنين ثانى عشرينه: أصبح السلطان مريضا فلزم الفراش إلى آخر الشهر.

وفى هذا الشهر أنعم على كل من الأمير سودن الأشقر والأمير كزل العجمى بإمرة. وكانا منفيين، فأعادهما السلطان إلى القاهرة(٢).

وفيه انحل سعر الغلال عما كان.

شهر ذى القعدة، أوله الثلاثاء:

فيه أبلّ السلطان من مرضه، ودخل الحمام، وخلع على الأطباء وأنعم عليهم.

وفى ثالثه: خلع على فارس دوادار السلطان وهو أمير، واستقر فى نيابة الإسكندرية، عوضا عن قشتمر، وقد أحضر من الثغر.

وفيه قبض على قشتمر المذكور، وعلى الأمير قانبيه الحمزاوى نائب الغيبة، وحملا مقيدين إلى الإسكندرية، فسجنا بها.

وفى يوم الإثنين سابعه: خلع على زين الدين عبد الباسط بن خليل بن إبراهيم الدمشقى، واستقر ناظر الجيوش، عوضا عن كمال الدين محمد بن محمد بن البارزى الحموى. وخلع على شرف الدين محمد بن تاج الدين عبد الوهاب بن نصر الله، واستقر فى نظر وقف الأشراف، وفى نظر الخزانة، ونظر كسوة الكعبة عوضا عن عبد الباسط(٣).

وفى عاشره: انتكس السلطان، ولزم الفراش.

وفى خامس عشرينه: عزل قاضى القضاة ولى الدين أبو زرعة نفسه لمعارضة بعض الأمراء له فى ولاية القضاء ببعض الأعمال(٤).

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٤١، ٤٢.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٤٢.

(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/٤٢، ٤٣.

(٤) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٤٣.

وفى سادس عشرينه: رسم بالإفراج عن أمير المؤمنين أبى الفضل العباس بن محمد من سجنه بالبرج فى الإسكندرية، وأن يسكن بقاعة فى المدينة، ويخرج لصلاة الجمعة بالجامع، ويركب حيث شاء. وجهز إليه بفرس عليه سرج ذهب وكنفوش زركش وبقجة قماش تليق بمقامه، ورتب له على الثغر فى كل يوم مائة درهم من نقد القاهرة[1].

وفى يوم الأحد سابع عشرينه: درس علم الدين صالح ابن شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقينى بالزاوية المعروفة بالخشابية التى بجامع عمرو بن العاص بمدينة مصر، عوضا عن أخيه قاضى القضاة القضاة جلال الدين عبد الرحمن بن البلقينى.

شهر ذى الحجة، أوله يوم الخميس:

أهل والسلطان مرضه متزايد، والإرجاف به كبير.

وفى يوم الجمعة – ثانيه –: استدعى الخليفة والقضاة إلى القلعة، وقد اجتمع الأمراء والمباشرون والمماليك، وعهد السلطان لابنه الأمير محمد، وأن يكون القائم بدولته الأمير جانبك الصوفى، والأمير برسباى الدقماقى لالا، فحلف الأمراء على ذلك، كما حلفوا لابن الملك المؤيد.

وفيه أذن لقاضى القضاة ولى الدين بن العراقى أن يحكم، وأعيد إلى القضاء. وكان من حين عزل نفسه قد انكف هو ونوابه عن الحكم، فصلى بالناس الجمعة، بعدما خطب فى جامع القلعة، ونزل من غير أن يخلع عليه، شغلا بمرض السلطان.

وفيه أخذ الناس فى توزيع أمتعتهم من الدور والحوانيت خوفا من الفتنة، فلما كانت ضحوة نهار الأحد رابعه، توفى السلطان، فاضطرب الناس ساعة، ثم غُسل وأخرج من باب السلسة، وليس معه إلا نحو العشرين رجلا، حتى دفن بجوار الليث بن سعد من القرافة. فكانت مدة تحكمه منذ مات المؤيد أحد عشر شهرًا تنقص خمسة أيام، منها مدة سلطنته أربعة وتسعين يوما. وكان جركسى الجنس، رباه بعض التجار، وعلمه شيئا من القرآن وفقه الحنفية. وقدم به القاهرة فى سنة إحدى وثمانمائة، وهو صبى، فدل عليه الأمير قانبيه العلاى لقرابته به، فسأل السلطان الملك الظاهر فيه حتى أخذه من تاجره. ومات السلطان قبل أن يصرف ثمنه. فوزن الأمير الكبير أيتمش ثمنه اثنى عشر ألف درهم. ونزَّله فى جملة مماليك الطباق، فنشأ بينهم، وكان الملك الناصر فرج

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٤٣.

أعتقه، فلم يزل فى مماليك الطباق، حتى عاد الناصر إلى السلطنة بعد أخيه المنصور عبد العزيز، فأخرج له الخيل، وأعطاه إقطاعًا فى الحلقة، فانضم إلى الأمير نوروز الحافظى، وتقلب معه فى بحار تلك الفتن، وفر إليه بالشام، ثم صار منه إلى جماعة الأمير شيخ. ومازال معه حتى قتل الناصر، وقدم إلى مصر، وتسلطن، فأمره، وتنقل حتى صار سلطانًا، فلم يتهن. وكان أولا كالمحجور عليه مع ألى بيه الدوادار، وتغرى بردى من قصروه أمير أخور. ثم تعلل منذ خرج من حلب، فلم يقم بقلعة الجبل سوى ثمانية عشر يومًا. وألجأه تعلله إلى لزوم الفراش، حتى مات. وكان يميل إلى تدين، وفيه لين، وإغضاء، وكرم، مع طيش، وخفة. وكان شديد التعصب لمذهب الحنفية. يريد أن لا يدع أحدًا من الفقهاء غير الحنفية. وأتلف فى مدته - مع قلتها - أموالا عظيمة، وحمل الدولة كلفا كثيرة، أتعب بها من بعده. ولم تطل أيامه حتى تُشكر أفعاله أو تذم.

* * *

السلطان الملك الصالح ناصر الدين محمد بن الظاهر ططر(١)

أقيم فى السلطنة بعهد أبيه إليه، وعمره نحو العشر سنين، عقيب موت أبيه. فى يوم الأحد رابع ذى الحجة، سنة أربع وعشرين وثمانمائة. قد اجتمع الأمراء بالقلعة، إلا الأمير جانبك الصوفى فإنه لم يحضر، فمازالوا به حتى حضر، وأجلسوا السلطان، ولقبوه بالملك الصالح. ونودى فى القاهرة أن يترحموا على الملك الظاهر، ويدعوا للملك الصالح وسكن الأمير جانبك الصوفى بالحراقة من باب السلسة، وانضم إليه معظم الأمراء والمماليك. وأقام الأمير برسباى الدقماقى بالقلعة، فى عدة من الأمراء والمماليك، منهم الأمير طُرباى حاجب الحجاب، والأمير قَصْروه رأس نوبة، والأمير جقمق، وباتوا بأجمعهم مستعدين. وأصبحوا يوم الإثنين خامسه وقد تجمع المماليك يطلبون النفقة عليهم، والأضحية، وأغلظوا فى القول، حتى كادت الحرب أن تكون. فترضاهم الأمراء حتى تفرق جمعهم. وبات العسكر على أهبة القتال. وأصبحوا يوم الثلاثاء سادسه فى تفرقة الأضاحى، فأخذ كل مملوك رأسان من الضأن. وتجمعوا تحت القلعة لطلب النفقة، فطال النزاع بينهم وبين الأمير جانبك الصوفى، حتى تراضوا أن ينفق فيهم بعد عشرة أيام من غير أن يعين لهم مقدار ما ينفقه فيهم، فانفضوا وبعث الأمير جانبك إلى الأمير برسباى أن ينزل من القلعة هو والأمير طرباى والأمير قصروه، وأن يسكنوا فى دورهم. ويقيم الأمير جقمق عند السلطان. فنزل الأمير طرباى مُظْهرًا

(١) انظر ترجمته: النجوم الزاهرة ١٤/ ٤٩ وما بعدها، نزهة النفوس ٢/ ٥١٦، أنباء الغمر ٧/ ٤٣٢ وما بعدها، بدائع الزهور ٣٢٢، الضوء اللامع ٧/ ٢٧٤.

أنه فى طاعة الأمير جانبك وهو فى الباطن بخلاف ذلك، فإنه أخذ فى تدبير أمره وإحكام الأمر للأمير برسباى. واستمال كثير من المماليك، وأصبح فى يوم الأربعاء ثامنه الأمير جانبك الصوفى متوعكا، وقد أشيع أنه قصد بذلك مكيدة فتمادى الحال إلى يوم الخميس تاسعه. وأصبح يوم الجمعة عاشره، وهو يوم النحر، وقد أخرج الأمير برسباى بالسلطان من قصره إلى الجامع بالقلعة، ومعه الأمير قصروه، فصلى بهم قاضى القضاة ولى الدين العراقى صلاة العيد، وخطب على العادة. ثم مضى الأميران بالسلطان إلى باب الستارة، فذبح السلطان هناك طائفة من غنم الأضحية، وذبح الأمير برسباى ما هنالك من البقر وبقية الغنم. وبينما هم فى ذلك إذ رمى المماليك بالنشاب من أعلا القلعة على الأمير جانبك، وهو بالحراقة من باب السلسلة، فاضطرب الناس. وللحال أغلق باب القلعة، ودقت الكوسات حربيا، فخرج الأمير طرباى من داره فى عسكر كبير، وقد لبسوا جميعهم لامة الحرب. وطلع ومعه الأمير قجق إلى الأمير جانبك الصوفى بالحراقة، وأخذ يلومه على تأخره عن الطلوع لصلاة العيد، ومازال يخدعه حتى انخدع له، وركب معه ليشتوروا فى بيت الأمير بيبغا المظفرى على ما يعمل. وكان بيبغا قد تأخر عن الركوب، وأقام فى داره. ومضوا وقد ركب مع جانبك الأمير يشبك أمير أخور. فما هو إلا أن صاروا فى داخل بيت بيبغا المظفرى إذا بباب الدار قد أغلق، وأحيط بجانبك الصوفى، ويشبك أمير أخور وقيدا، وأخذا أسيرين إلى القلعة، ونودى بالنفقة فى المماليك مائة دينار لكل واحد، فكأنها جمرة طُفيت. وللحال سكنت الفتنة، كأن لم تكن، فلم تنتطح فيها عنزان. ونودى فى القاهرة بالأمان، فقد قبض على أعداء السلطان، ففتحت أبواب القاهرة، بعدما أغلقت. واطمأن الناس بعدما كان فى ظنهم أن الفتنة تطول. وكل ذلك فى ضحى النهار، فسبحان من بيده الأمر كله.

وفى يوم السبت حادى عشره: استدعى الأمير أرغون شاه أستادار الأمير نوروز الحافظى. وكان قد قدم من دمشق فى خدمة الظاهر ططر، فصعد القلعة، وخلع عليه الأمير برسباى، واستقر أستادارًا، عوضا عن الأمير صلاح الدين محمد بن نصر ا لله.

وفيه حمل الأمير جانبك الصوفى والأمير يشبك مقيدين من القلعة إلى الإسكندرية، فسجنا بها.

وفى يوم الأحد ثانى عشره: أعيد الصاحب تاج الدين بن الهيصم إلى نظر الديوان المفرد. وكان قد عزل عنه بدمشق فى شهر رمضان. وعاد إلى القاهرة بطالا.

وفى يوم الإثنين ثالث عشره: خلع على الأمير آق قجا، واستقر فى كشف الوجه القبلى. وكان قد وليه فى الأيام الظاهرية طَطَر. وساءت سيرته حتى أشيع أنه افتض مائة بكر غصبًا، إلى غير ذلك.

وفى يوم الخميس سادس عشره: اجتمع الأمراء بالخدمة فى القصر. وقد أخرج السلطان من عند أمه وأجلس ثم خلع على الأمير برسباى الدقماقى الدوادار، واستقر نظام الملك، كما كان الظاهر ططر قبل أن يتسلطن. وكان الأمير برسباى منذ اشتد مرض الظاهر مقيما بالقلعة، لم ينزل منها طول هذه المدة.

وفيه فوض الخليفة إلى الأمير الكبير نظام الملك برسباى أمور المملكة بأسرها، ليقوم بها إلى أن يبلغ السلطان رشده. وحكم بصحة ذلك قاضى القضاة الحنفى.

وفيه خلع على الأمير سودن من عبد الرحمن، واستقر دوادارًا كبيرًا، عوضا عن الأمير الكبير نظام الملك برسباى. وخلع على الأمير طُرباى حاجب الحجاب. واستقر أميرًا كبيرًا عن جانبك الصوفى. وتقرر الحال على أن يكون تدبير الدولة وسائر أمور المملكة بين الأمير برسباى والأمير طرباى شركة. وأن يسكن طرباى بداره تحت القلعة تجاه باب السلسلة، ويحضر الخدمة عند الأمير برسباى بالأشرفية. وخلع على الأمير جقمق[1] نائب القلعة، واستقر حاجب الحجاب، عوضا عن الأمير طرباى. وخلع على الأمير قَصْروه رأس نوبة، واستقر أمير أخور، عوضا عن يشبك. وخلع على الأمير أزبك، واستقر رأس نوبة كبيرًا، عوضًا عن قصروه. وخرج جميع الأمراء وسائر أهل الدولة من الخدمة السلطانية بالقصر مشاة فى خدمة الأمير نظام الملك برسباى، حتى دخل الأشرفية التى هى سكنه، وعملت بها الخدمة بين يديه. وصرف أمور الدولة على حسب أخياره، ومقتضى رأيه، واستمر الأمر على هذا.

وفى السبت ثامن عشره: ورد الخبر بأن الأمير تغرى بردى من قصروه نائب حلب استدعى جمائع التركمان إلى حلب، وقبض على الأمراء الحلبيين، وخرج عن الطاعة. وسبب ذلك أن الظاهر ططر كان قد كتب بولاية الأمير تنبك البجاسى نائب طرابلس فى نيابة حلب، وعزل تغرى بردى. فلما بلغه ذلك كان منه ما ذكر.

---

(١) جقمق العلائى (٨٥٧هـ - ١٤٥٣م) جقمق العلائى الظاهرى، سيف الدين، أبو سعيد: من ملوك دولة الشراكسة بمصر والشام والحجاز. شركسى الأصل اشتراه العلائى وقدمه إلى الملك الظاهر برقوق، فأعتقه واستخدمه. وحبس فى أيام الملك الناصر فرج، ثم أطلق وولى أعمالا فى دولتى الملك المؤيد شيخ، والظاهر ططر، إلى أن كان أتابك العساكر فى دولة الأشرفى برسباى. انظر: ابن إياس ٢/٢٤،٣٤، حوادث الدهور ٢/ ٣٤٩، ووليم موير ١٤٢، شذرات الذهب ٧/ ٢٩١، الضوء اللامع ٣/ ٧١. الأعلام ٢/ ١٣٢.

وفى ثالث عشرينه: خلع على صدر الدين أحمد بن محمود العجمى، وأعيد إلى حسبة القاهرة، عوضا عن جمال الدين يوسف البساطى.

وفيه نودى بمنع النساء من الخروج إلى الترب، وتشدد الأمير جقمق الحاجب فى ذلك. وكان قد كثر فى هذا الشهر مرض الناس. ومات عدة منهم، فصارت النساء يترددن إلى الترب فى أيام الجمع، ويقمن بها المآتم والعزاء.

وقدم الخبر بعظم الفناء ببلاد الفرنج - سيما رودس - وبشدة الغلاء ببلد العلايا[١]، ونحوها من بر التركية.

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشرينه: ابتدأ الأمير نظام الملك برسباى فى نفقة المماليك، وهو والأمراء على تخوف منهم أن يمتنعوا من أخذها. وذلك أنهم وُعدوا فى نوبة جانبك الصوفى بمائة دينار لكل واحد، فلم يصرف لكل واحد منهم سوى خمسين دينارًا من أجل قلة المال، فإن الظاهر طَطَر أتلف المال الذى كان خلفه المؤيد شيخ حتى لم يبق منه غير ستين ألف دينار. ومع ذلك فإنه زاد فى نفقة المماليك المقررة بالديوان المفرد كل شهر ما ينيف على عشرة آلاف دينار. فأحسن الأمير صلاح الدين محمد الأستادار بالعجز واستعفى؛ على أنه قام هو وأبوه الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله ناظر الخاص بعشرة آلاف دينار عن ثمن الأضحية، وبعشرين ألف دينار فى نفقة المماليك. وتسلم منهما الأمير أرغون شاه عشرين ألف أردب شعيرًا. وعندما استقر أرغون شاه أستادارًا، رهب الناس واشتد عليهم، وخشن جانبه، حتى غُلقت أسواق القاهرة ومصر عدة أيام خوفا من بطشه. وكتب يطلب متدركى النواحى ليصادرهم. وقرر على مباشرى الدولة بأسرهم أموالا يحملونها إليه، فقرر على الوزير الصاحب تاج الدين بن كاتب المناخ ستة آلاف دينار، وعلى الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله ناظر الخاص عشرة آلاف دينار، وعلى من دونهما بحسب ما سولت له نفسه، حتى اجتمع من ذلك نفقة المماليك، فأنفق فى ثلاثة آلاف ومائتى مملوك مبلغ مائة وستين ألف دينار، فأخذوا النفقة، وانفضوا بغير شر، و لله الحمد.

وفى يوم الخميس تاسع عشرينه: قدم مبشرو الحاج وأخبروا بسلامتهم، وأنهم وقفوا بعرفة يوم الجمعة، وأنه لم يرد حاج من العراق ولا من اليمن.

وفى هذه السنة: كانت حروب مثيرة بين طوائف الفرنج، اقتتل فيها طائفة الكتيلان مع الفنش، فهزموه، وقُتل بينهم عشرة آلاف فأقل ما قيل أن عدة قتلاهم ثمانون ألفا.

---

(١) العلايا: بلدة محدثة، أنشأها الملك علاء الدين السلجوقى، وهى تطل على خليج فى بحر الروم على الشاطئ الجنوبى لآسيا الصغرى. انظر تقويم البلدان ٣٨٠ - ٣٨١.

وفيها كانت حرب بمدينة فاس من بلاد المغرب بين أبى زيان محمد بن أبى طريق بن أبى عنان - وقد قام بأمره الشيخ يعقوب الحلفاوى الثائر على الوزير الحاجب عبد العزيز اللبانى لقتله السلطان أبى سعيد عثمان بن أبى العباس أحمد وثلاثة عشر أميرًا من إخوته وأولاده وبنى إخوته - وبين اللبانى، وكان قد استنصر بالشاوية، وبعث إليهم بمال كبير، فأتوه، فلم يطق الحلفاوى مقاومتهم، فأدخله مدينة فاس بجموعه، وألويته منشورة على رأسه، وأنزله دار الحرة آمنة بنت السلطان أبى العباس أحمد، فرحل الشاوية عن المدينة . وقُبض على اللبانى. وأسلم إلى الحلفاوى. فدخل السلطان أبو زيان فاس الجديد فى ربيع الآخر، وبعث بالسلطان أبى عبد الله محمد بن أبى سعيد إلى الأندلس. فما كان سوى شهر حتى ثار بنو مرين على أبى زيان، وحصروه، وطلبوا الوزير أبا البقاء صالح بن صالح أن يحمل أبا عبد الله محمد المتوكل ابن السلطان أبى سعيد، فقدم الوزير به، واستمرت الحرب أربعة أشهر إلى أن فر أبو زيان ووزيره فارح. وأخذ بنو مرين البلد الجديد، وطلبوا من ابن الأحمر أن يبعث بالسلطان الكبير أبى عبد الله محمد المستنصر بن أبى سالم إبراهيم بن أبى الحسن، فبعثه إليهم، فملكوه وأطاعوه.

وفيها - كما تقدم - كان تغير دول مصر، فبلغت عدة من قتل وسجن من أمراء مصر والشام زيادة على أربعين أميرًا.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

السلطان الملك المؤيد شيخ المحمودى - أحد مماليك الملك الظاهر برقوق فى يوم الإثنين ثامن المحرم، وقد أناف على الخميس سنة.

ومات عبد الحمن بن السمسار، فى ثالث صفر، وله شهرة فى طائفته، ومال جم.

ومات الأمير فرج بن سَكزبيه، أحدُ الأمراء العشرات، فى رابع صفر. وكان من خواص المؤيد، لجمال صورته.

ومات بهاء الدين محمد بن بدر الدين حسن بن عبد الله، المعروف بابن البرجى، عن ثلاث وسبعين سنة، فى يوم الخميس عاشر صفر. وقد ولى حسبة القاهرة غير مرة. وولى وكالة بيت المال ونظر كسوة الكعبة وباشر نظر عمارة الجامع المؤيدى. وكان أبوه يلى قضاء المحلة(١).

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٧٢.

وقتل الأمير سيف الدين يشبك اليوسفى نائب حلب، أحد المماليك المؤيدية، فى يوم الثلاثاء ثالث عشرين المحرم. وكان من شرار الخلق[١].

ومات علم الدين سليمان بن جنيبة رئيس الأطباء، وقد أناف على ثمانين سنة، فى سادس عشر صفر. كان أبوه يهوديا، ونشأ سليمان هذا مسلما، يتكسب بصناعة الطب، ويعاشر الأعيان، فصار من مشهورى الأطباء عدة سنين، وعرف بحسن العلاج. ثم ولى رياسة الأطباء فى سنة ثلاث عشرة. وكان فاضلا فى علم الطب، هشا، جميل المعاشرة، يكتب الخط الجيد. تردد إلىّ سنين، وما علمت عليه إلا خيرًا.

ومات تاج الدين عبد الوهاب بن الجباس، الذى ولى حسبة القاهرة فى سنة سبع وثمانمائة. وكان عاميا فى هئية فقيه. توفى يوم السبت سادس عشر ربيع الآخر.

وقتل الأمير ألطنبغا القرمشى فى خامس عشرين جمادى الأولى بقلعة دمشق. وهو أحد المماليك الظاهرية برقوق الذين فروا إلى الشام، وصار من جملة الأمير شيخ. وما برح يرقيه على ما تقدم ذكره[٢].

ومات الأمير الوزير المشير الأستادار بدر الدين محمد بن محب الدين عبد الله الطرابلسى. كان أبوه من مسالمة نصارى طرابلس. وبها نشأ البدر هذا، وولى بها كتابة سرها، وولى شد الدواوين بها. وتعلق بخدمة الأمير شيخ أيام تلك الفتن. وعمل أستادارًا عنده. فلما قدم مصر باشر به أستادار، ثم عزله وولاه الوزارة. ثم عزله كما تقدم. وكان يكتب الخط المنسوب، ويتظاهر بقبائح المعاصى، وينوع الظلم فى أخذ الأموال، فعاقبه الله بيد ناصره المؤيد شيخ أشد عقوبة، ثم قبض عليه الظاهر ططر وعاقبه حتى هلك تحت الضرب. وضُرب ميتًا. فأراح الله منه عباده. وذلك فى سابع عشر جمادى الآخرة بدمشق[٣].

ومات بحلب الأمير كردى بن كندر. أحد أمراء التركمان، مقتولا فى شهر رجب.

ومات متملك بلاد الروم بمدينة بُرصا، غياث الدين أبو الفتح محمد كرشجى بن بايزيد بن مراد بن أرخان بن عثمان، وملك برصا بعده ابنه خوند كار مراد شلبى محمد كرشجى بن بايزيد خوندكار، وذلك فى شهر رجب.

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٧٢.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٧٢.

(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٧٣.

وقتل الأمير ألطنبغا من عبد الواحد المعروف بالصغير، فى واقعة مع التركمان بمعاملة حلب، فى تاسع شعبان. وهو أحد المماليك الظاهرية برقوق الذين أنشأهم المؤيد شيخ، وجعله أمير مائة مقدم ألف(١).

وقتل الأمير قجقار القردمى بسجن الإسكندرية، فى سادس عشرين شعبان. وهو أحد من أنشأه المؤيد شيخ، حتى صار أمير مائة مقدم ألف، أمير سلاح.

وقتل الأمير جقمق نائب الشام بعد عقوبة شديدة، فى ليلة الأربعاء سابع عشرين شهر شعبان. وكان ممن أنشأه المؤيد شيخ، وعمله أمير مائة مقدم ألف، وأعطاه نيابة الشام. وكان فاجرا ظالما غشوما، لا يكف عن قبيح(٢).

وتوفى قاضى القضاة جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن ابن شيخ الإسلام سراج الدين أبى حفص عمر البلقينى الشافعى، فى ليلة الخميس حادى عشره، عن ثلاث وستين سنة. وصُلى عليه بالجامع الحاكمى. ودفن على قبر أبيه وأخيه، بمدرستهم من حارة بهاء الدين، فكان جمعًا موفورًا، ومشهدًا جليلا حافلا مذكورًا. وانتاب الناس قبره مدة. ولم يخلف بعده مثله فى كثرة علمه بالفقه وأصوله، وبالحديث والتفسير والعربية، مع العفة والنزاهة عما يرمى به قضاة السوء، وجمال الصورة، وفصاحة العبارة. وبالجملة فلقد كان ممن يتجمل به الوقت(٣).

ومات السلطان الملك الظاهر ططر، فى يوم الأحد رابع ذى الحجة. وقد تقدم التعريف به.

* * *

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٧٥.
(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٧٦.
(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٤ / ٧٤، ٧٥.

سنة خمس وعشرين وثمانمائة

أهلت وسلطان مصر والشام الملك الصالح ناصر الدين محمد بن الظاهر ططر. والقائم بأمور الدولة الأمير الكبير نظام الملك برسباى الدقماقى. والأمير الكبير الأتابك طرباى. والدوادار الأمير سودن من عبد الرحمن. وأمير سلاح بيبغا المظفرى. وأمير مجلس الأمير قُجق. وأمير أخور الأمير قصروه. ورأس نوبة الأمير أزبك. والوزير تاج الدين عبد الرزاق ابن كاتب المناخ. وكاتب السر علم الدين داود بن الكويز. وناظر الخاص بدر الدين حسن بن نصر الله. وأستادار الأمير أرغون شاه. وقاضى القضاة الشافعى ولى الدين أبو زرعة أحمد بن العراقى. وباقيهم كما تقدم فى السنة الخالية. وكاشف الوجه القبلى الأمير أقجا ونائب الإسكندرية الأمير فارس. ونائب الشام الأمير تنبك العلاى ميق. ونائب حلب الأمير تغرى بردى من قصروه، وقد أظهر الخلاف. ونائب طرابلس الأمير تنبك البجاسى. ونائب حماة الأمير شارقُطلوا. ونائب صفد الأمير أينال. وبلاد الصعيد قد عاث بها العربان، وكثر فسادهم.

شهر الله المحرم، أوله الجمعة:

فى ثالث عشره: قدم الخبر بفرار الأمير تغرى بردى نائب حلب منها، بعد وقعة كانت بينه وبين الأمير تنبك البجاسى نائب طرابلس. وقد كتب له باستقراره فى نيابة حلب ومحاربة المذكور، فسار إليه وحاربه، فانهزم منه وتسلم تنبك حلب، فدقت البشائر بقلعة الجبل أياما.

وفى تاسع عشره: خلع على بلبان الجمالى، واستقر كاشف الوجه القبلى، بعد موت أقجا.

وفى ثالث عشرينه: قد الركب الأول من الحجاج، وقدم المحمل ببقية الحاج فى عده صحبة الأمير تَمُر بيه اليوسفى، أحد الأمراء الألوف. وقد كثر ثناء الحجاج عليه لحسن سيرته فيهم، فقبض عليه فى ثامن عشرينه.

وفى هذا الشهر: دخل شخص يعرف بالشيخ سعد، لم يزل يعرف بالفقر، ويقبل من الناس صدقتهم، ويقرئ الأطفال بالأجرة، إلى الجامع الأزهر، وتصدق بمائتين وسبعين دينارًا إفرنتية، وبستة وعشرين دينارًا هرجة، وبأربعة آلاف وخمسمائة درهم مؤيدية. فعد هذا من نوادر الزمان.

وفيه قبض على الأمير قَرْمش أحد الأمراء الألوف، وأُخرج هو وتمربيه إلى دمياط. وأنعم على يشبك الساقى الأعرج بإقطاع قرمش وإمرته.

وفيه وقع بَرَد بناحية قصر عفرا من بلاد حوران بالشام، فكان فيه شبه خنافس وعقارب وضفادع.

شهر صفر، أوله الأحد:

فى ثانيه: قبض على الأمير أيتمش الخضرى(١)، ونفى بطالا إلى القدس(٢).

---

(١) أيتمش بن عبد الله الخضرى الظاهر (٨٤٦ هـ = ١٤٤٢ م)، الأمير سيف الدين. أحد المماليك الظاهرية برقوق، وممن صار فى الدولة الناصرية فرج من جملة الدوادارية الصغار، ثم تأمر عشرة فى الدولة المؤيدية شيخ، ودام على ذلك مدة طويلة لا يُؤْبَهُ إليه، إلى أن افتضت السلطنة للملك الظاهر ططر تحرك سعده قليلا فى الدولة الظاهرية ططر، ثم ركضت ريحة بموته، وتسلطن ولده الملك الصالح محمد بن ططر، وآل التحدث فى المملكه للأمير برسباى الدقماقى الدوادار نفى المذكور إلى القدس بطالا فى ثانى شهر صفر سنة خمس وعشرين وثمانمائة، فدام بالقدس إلى شهر ربيع الأول من السنة، ورسم بعوده إلى القاهرة، فقدم إلى القاهرة، وأقام بها يسيرا، وولى الإستادارية فى يوم حادى عشرين شهر رمضان من السنة، عوضًا عن أرغون شاه النوروزى الأعور، فلم تطل مدته ولم تحمد سيرته، وعزل فى خامس ذى القعدة بالأمير أرغون شاه المذكور، واستمر أيتمش على إقطاعه إمرة عشرة على ما كان عليه أولا، ودام على ذلك إلى سنة نيف وثلاثين وثمانمائة، ابتلى حسده بالبياض وأشيع عنه ذلك. فلما تحقق الملك الأشرف برسباى الإشاعة أخرج عنه إقطاعه، ورسم له بلزوم داره، فصار يتردد إلى الجامع الأزهر، فإن سكنه كان بالقرب من الجامع، بدار بشير الجمدار بالأبارين، ويحضر الدروس ويشوش على الطلبة، ويسأل الأسئلة التى لا محل لها من الدرس. وكان قليل الفهم، وتصوره غير صحيح، مع جهل، مفرط، وعدم اشتغال قديمًا وحديثًا، فإن أجابه أحد من الطلبة بجواب لا يفهمه، لبعده عن الفهم، سفه عليه، وإن سكت القوم ازدراهم ووبخهم بذكر العلماء الأقدمين ثم سفه على الجميع. وكان قبل تاريخ ناب فى نظر الجامع المذكور عن الأمير جرباش الكريمى حاجب الحجاب، المعروف بقاشق، ووقع له مع أهل الجامع أمور فى أيام توليته على الجامع. فلما زاد منه ذلك، بلغ الأشرف رسم بنقلته من داره المذكور وبسكناه بقرافة مصر، فسعى فى عدم نقلته، وشفع فيه جماعة فاستمر بداره على أنه لا يكثر من دخول الجامع إلا فى أوقات الصلوات، إلى أن سافر الملك الأشرف «برسباى إلى آمد فى سنة ست وثلاثين، ونفى المذكور إلى القدس، إلى أن قدم الأشرف» إلى الديار المصرية فى سنة سبع وثلاثين، وقدم المذكور إلى القاهرة، ودام بها، إلى أن تسلطن الملك الظاهر جَقْمَقَ فى سنة اثنتين وأربعين لزمه أيتمش المذكور وداخله فى الأمور من غير أن يأخذ إمرة ولا وظيفة، وزاد وأمعن، وصار يتكلم فيما لا يعنيه، لم يكن بعد مدة إلا وغضب عليه الملك الظاهر جقمق، ونفاه إلى القدس ثم شُفع فيه، وعاد إلى داره ولزمها، إلى أن توفى بالقاهرة فى شهر رجب سنة ست وأربعين وثمانمائة، ولم تطل مدة مرضه. وسببه أنه سقط من علو درج قليلة، فوعك أياما ومات. وكان من مساوئ الدهر حِسًا ومعنى، كثير الكلام فيما لا يعنيه، ويخاطب=

وفى يوم الأربعاء ثامن عشره: جُمعت الصيارف بالإصطبل للنظر فى الدراهم المؤيدية، فإنه كثر هرش الجيد منها. ومعنى الهرش أن يبرد من الدرهم حتى يخف وزنه، ويصير نحو ربع درهم. فاستقرت المعاملة بها وزنا لا عددًا. ورسم أن يكون كل درهم وزناً بعشرين درهمًا فلوسا. وأن يكون الدينار الإفرنتى بمائتين وعشرين فلوسا، وبأحد عشر درهما فضة، وازنة عنها من المؤيدية اثنان وعشرون عددًا، زنة كل مؤيدى نصف درهم، فنزل بالناس من ذلك شدة لخسارتهم. وذلك أن المؤيدى الذى كان بسبعة دراهم فلوسا صار بخمسة دراهم، وفيها ما لا يبلغ الخمسة. وكثر مع ذلك الاختلاف فى أسعار المبيعات، وقيم الأعمال، أجر المستأجرات، فذهب معظم مال الناس[1].

وفى هذا الشهر: عز وجود لحم الضأن فى الأسواق، لقلة الأغنام.

وفيه كثر فساد لهانة وهوارة ببلاد الصعيد، وقطعهم الطرقات على المسافرين، وشنهم الغارات على البلاد، وإحراقهم عدة نواحى بما فيها. هذا مع ما ببلاد الصعيد من قلة وجود القمح عندهم، بحيث صار يحمل إليهم من القاهرة، وذلك لخراب بلاد الصعيد ودثور[2] أكثر بلادها، بحيث العشرة أيام ببلاد الصعيد لا يوجد فيها أحد، ولا تزرع أراضيها، فقلت الأغنام عندهم. وصار أهلها إلى فقر وبؤس، حتى أن غالب قوت أهلها إنما هو الذرة. ومع ذلك كله، فجور الولاة فيهم لا يمكن وصفه. ولعل هذا إن تمادى أن تهلك بلاد الصعيد كلها.

وفيه تنكر الحال بين الأمير طُرباى والأمير نظام الملك برسباى. وخرج طرباى إلى بر الجيزة فى هيئة متنزه، والإرجاف يقوى حتى انسلخ الشهر.

شهر ربيع الأول، أوله الإثنين:

فى ثانيه: قدم الأمير طرباى من بر الجيزة.

وفى ثالثه: قبض الأمير برسباى على الأمير سودن الحموى، أحد أمراء الألوف، وعلى الأمير قانصوه أحد أمراء الطبلخاناة، وكانا من أصحاب الأمير طرباى، فكثرت

=الشخص بما يكره، ويوبخ الرجل بما فيه من المعاتب من غير أن يكون بينه وبين الرجل عدواة ولا صحبة، مع طيش وخفة وبادرة وجرأة وأفحاش فى اللفظ. وكان حاركسى مسرفًا على نفسه. انظر المنهل الصافى ٣/ ١٣٩ وما بعدها.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٦٤.

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٦٤.

(٢) دَثَرَ الشىء - دثورا: قَدُم ودَرَس. ويقال: دَثَرَا المنزل بلى وتهدَّم. انظر المعجم الوسيط (دثر).

القالة، وبات طرباى ليلة الخميس وجماعته يحذرونه الطلوع إلى القلعة، وهو لا يصغى لقولهم، وفى ظنه أن الأمير برسباى لا يفاجئه بسوء، لأنه فى ابتداء الأمر كان طرباى متميزا عليه منذ مات الظاهر برقوق، وفى آخر الأمر كان هو استمال المماليك للأمير برسباى، وفخذهم عن جانبك الصوفى، ثم خدع جانبك حتى نزل من الإصطبل ثم قبض عليه، فكان يرى أنه هو الذى أقام الأمير برسباى فيما هو فيه. وأصبح يوم الخميس فركب طرباى إلى الخدمة بالقلعة، فما هو إلا أن استقر جلوسه، أشار الأمير برسباى بالقبض عليه، فجذب سيفه ليدفع عن نفسه، وقام، فبدره الجماعة وعاقوه عن النهوض وغافصه الأمير برسباى بالسيف، وضربه ضربة جاءت فى يده كادت أن تبينها. وأخذ إلى السجن، وقد تضمخ بدمه فوقعت هجة بالقصر، ثم سكنت من ساعتها. ولم يتحرك أحد لنصرة طُرباى. ونودى بالأمان والبيع والشراء، وأن لا يتحدث أحد فيما لا يعنيه. وأخرج من الغد بطرباى مقيدًا إلى الإسكندرية ليسجن بها. فكان فى هذا عبرة لأولى الأبصار، وهو أن طرباى مَكَر بجانبك الصوفى، وخدعه حتى أنزله من الحراقة بباب السلسلة، وقبض عليه بحيلة دبرها، وحمله مقيدًا إلى الإسكندرية، حتى سجن بها وظن أنه قدم صفا له الوقت، فأتاه الله من حيث لم يحتسب، وخدعه الأمير برسباى حتى صعد إليه، بعدما امتنع ببر الجيزة أياما، والإرجاف قوى بوقوع الحرب، إلى أن مشى لحتفه بقدميه، حتى قبض عليه، وسجن بالإسكندرية لتجزى كل نفس ما كسبت(١).

وفيه أخرج الأمير سودن الحموى منفيا إلى دمياط، وتوجه الأمير ناصر الدين محمد ابن منجك إلى دمشق ليحضر بالأمير تنبك ميق من الشام وقد تحدث بأمر سيظهر بمجىء نائب الشام. ورسم بإحضار أيتمش الخضرى من القدس.

وفى خامس عشره: قبض على الطواشى مرجان الهندى زمام الدار، وسلم للأمير أرغون شاه، أستادار، ليستخلص منه مالا.

وفى ثانى عشرينه: خلع على الطواشى كافور الشلبى، واستقر زمام الدار على عادته.

وفى ثالث عشرينه: قدم الأمير أيتمش الخضرى من القدس، فلزم داره.

شهر ربيع الآخر، أوله الأربعاء:

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٦٦.

فى ثانيه: أفرج عن الطواشى مرجان الهندى بعد ما أخذ منه عشرون ألف دينار، وضمنه جماعة فى عشرة آلاف دينار أخرى.

وفى سادسه: قدم الأمير تنبك العلاى ميق نائب الشام، بعدما تلقاه عامة أهل الدولة، فخلع عليه واستقر على عادته فى نيابة الشام. وتحدث معه فى سلطنة الأمير برسباى، فوافق على ذلك.

وخلع الملك الصالح فى يوم الأربعاء ثامنه، فكانت مدته أربعة أشهر وثلاثة أيام.

* * *

السلطان الملك الأشرف سيف الدين أبو النصر برسباى الدقمقاى الظاهرى الجركسى(١)

تقدم التعريف به. ومازال قائمًا بتدبير أمر الدولة. ثم أحب أن يطلق عليه اسم السلطان، لما خلا له الجو، فأخذ طرباى وسجنه، تم بموافقة نائب الشام على ذلك، فاستدعى الخليفة والقضاة، وقد جمع الأمراء وأرباب الدولة، فبايعه الخليفة فى يوم الأربعاء ثامن شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وثمانمائة. ولقب بالملك الأشرف أبى العز، ونودى بذلك فى القاهرة ومصر. وكان فى هذا موعظة وذكرى لأولى الألباب، فإن الملك المؤيد أنشأ ططر وآواه، بعدما كان من أقل المماليك الناصرية الهاربين من الملك الناصر فرج. وما زال يرقية حتى صار من أكبر أمراء مصر، وائتمنه على ملكه. فقام بعد موت المؤيد بكفالة ولده أحمد المظفر. وما زال يحكم الأمر لنفسه إلى أن خلع ابن المؤيد، وتسلطن، وأودع ابن المؤيد وأمه ببعض دور القلعة فى صورة معتقل. فلما أشفى ططر على الموت، عهد إلى ابنه محمد، واستأمن برسباى - لقرابة بينهما - على ولده، بعدما كان برسباى مقيما بدمشق من جملة أمرائها وحل مناه أن يبقى المؤيد عليه مهجته، فأواه ططر، وجعله من أكبر أمراء مصر، فقام بأمر ابنه الملك الصالح قليلا، واقتدى بأخيه ططر فى أخذ الملك لنفسه. فلما أخذ طرباى، كما قبض ططر على الأمراء بدمشق، ولم يبق من يخشاه إلا نائب الشام، بعث يخيره بين أن يكون الأمير الكبير بديار مصر مكان طرباى وبين أن يستمر على نيابة الشام، فرغب فى السلامة، وأتى إلى بين يديه، فأمن برسباى عند ذلك، وتسلطن، وأودع الصالح محمد بن ططر وأمه فى دار بالقلعة. من يعمل سوءًا يجز به.

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٧٨ وما بعدها، نزهة النفوس ٣/ ٥، بدائع الزهور ٣٢٤، أنباء الغمر ٧/ ٤٥٣ وما بعدها، الضوء اللامع ٣/ ٨، شذرات الذهب ٧/ ٢٣٨.

وفى يوم الخميس تاسعه: خلع على الأمير بيبغا المظفرى أمير سلاح، واستقر الأمير الكبير الأتابك، عوضا عن طرباى. وخلع على الأمير قجق أمير مجلس واستقر أمير سلاح عوضا عن بيبغا المظفرى. وخلع على الأمير أقبغا التمرازى من مقدمى الألوف، واستقر أمير مجلس، عوضا عن قجق. وخلع على حسن الكردى، واستقر نائب الوجه البحرى على عادته. وأفرج عن جماعة كانوا مسجونين بالقلعة من أمراء العشرات قبض عليهم فيما تقدم. وكان أول ما بدأ به السلطان أن منع الناس كافة من تقبيل الأرض له، فامتنعوا. وجرت العادة عند ملوك مصر، منذ قدم أمير المؤمنين الإمام المعز لدين الله أبو تميم معد الفاطمى إلى مصر، أن كل من تمثل بين يدى الخليفة ثم بين يدى السلطان أن يخر وهو قائم حتى يقبل الأرض. فلم يعف من ذلك أمير، ولو بلغ الغاية، ولا مملوك، ولا وزير ولا صاحب قلم، ولا رسول ملك من ملوك الأقطار، إذا قدم برسالة، ولا أحد من سائر الناس على اختلافهم، إلا قضاة الشرع، وجميع أهل العلم وأهل الصلاح وأشراف الحجاز من بنى حسن وبنى حسين، فإن هؤلاء أدركناهم ولا يُقبل أحد منهم الأرض، إجلالا لهم عن ذلك. وكذلك إذا ورد مرسوم السلطان على نائب مملكة أو والى عمل، فإنه يقوم عند وروده عليه، ويقبل الأرض. فأبطل السلطان برسباى ذلك كله، وجعل بدله إما تقبيل يده لمن عظم قدره، أو يقف فقط. فكان هذا حسناً لو دام، لكنه بطل عن قليل، وعاد الأمر كما تقدم ذكره.

وفى يوم الثلاثاء رابع عشره: خلع على الأمير تنبك ميق نائب الشام قباء السفر، وتوجه إلى دمشق، فخرج عظماء الدولة لوداعه، بعدما قدموا له عدة تقادم، ما بين خيول وقماش وغير ذلك.

وفى يوم السبت خامس عشرينه: توجه الأمير سودن الحاجب، ومعه مال برسم حفر خليج سكندرية فما أجدى شيئا.

وفى هذا الشهر: أجدبت أراضى بلاد حوران والكرك والقدس والرملة وغزة، لعدم نزول المطر فى أوانه، ونزح كثير من سكان هذه البلاد عن أوطانهم، وقلت المياه عندهم. ومع هذا ففى بلاد حلب وحماة ودمشق وبلاد الساحل كلها رخاء من كثرة الأمطار التى عندهم، فسبحان الفعال لما يريد.

وفيه عظم الخطب، واشتد البلاء ببلاد الصعيد، من كثرة الفتن، ونهب البلاد.

وفيه قتل والى قوص، وتعذر أخذ الخراج.

وفيه عُمل المارستان المؤيدى[1] الذى بالصوة تحت القلعة جامعا، تقام به الجمعة والجماعة، ورتب له إمام وخطيب ومؤذنون وبواب وقومة. وجعل جهة مصرف ذلك من وقف الجامع المؤيدى. وكان المؤيد قد جعل هذا الموضع مارستان، ونزل به المرضى. فلما مات لم يوجد فى كتاب الوقف المؤيدى له جهة تصرف، فأخرجت المرضى منه، وأغلق، وصار منزلا للرسل الواردين من ملوك الشرق، فبقى حانة خمار برسم شرب المسكرات، وضرب الطنابير، وعمل الفواحش. ومع ذلك تُربط به الخيول. فكان هذا منذ مات المؤيد إلى هذا الوقت، فطهره الله من تلك الأرجاس، وجعله محل عبادة.

وفيه وقع الشروع فى هدم المنظرة التى استجدها المؤيد فوق الخمس الوجوه. ثم انتفض ذلك، فبقى بناؤها مشعثًا، وسكنها بعض فقراء العجم.

شهر جمادى الأول، أوله الأربعاء:

فى سابعه: سارات تجريدة إلى بلاد الصعيد.

وفى ثامنه: نودى أن لا يخدم أحد من اليهود والنصارى فى ديوان من دواوين السلطان والأمراء، فلم يتم ذلك.

وفى يوم الجمعة تاسعه: جُدِّدت خطبة بمدرسة شمس الدين شاكر بن البقرى بالجوانية، جددها علم الدين داود بن الكويز كاتب السر، لقربها من داره التى يسكنها.

وفيه قدم الخبر بكثرة الوباء ببلاد حلب وحماة وحمص، فهلكت خلائق.

وفيه أقيمت الجمعة بالمارستان المؤيدى، يوم الجمعة سلخه.

وفيه رسم أن لا تباع الثياب التى تجلب من بغداد أو الموصل وبلاد الشام والإسكندرية إلا بالنقد. وكانت العادة إذا ورد التاجر بشىء من القماش، تسلمته السماسرة وباعته على التجار إلى أجل، ثم جبت الثمن فى مدة أشهر، فمن أجل بيعها نسيئة يزداد ثمنها عما تباع فى النداء الحراج زيادة كبيرة، فإذا باعها التاجر أخذ ربحا آخر، فتغبن الناس دائما فيما يشتروه من التجار، سيما إذا باعوا ذلك فى النداء فإنه ربما خسر ثلث الثمن. فامتنع التجار مدة من الشراء نسيئة، ثم عادوا لما نهوا عنه.

وقدم الخبر بقحط العراق وشدة الغلاء. وسبب ذلك أن شاه محمد بن قرايوسف متملك بغداد خاف من قدوم شاه رخ بن تيمورلنك، فمنع الناس من الزرع، وطرد

---

(١) انظر المواعظ والاعتبار ٢/ ٤٠٨.

ضعفاء الناس، فنزحوا عن العراق، وقدم منهم كثير إلى بلاد الشام. وجمع أهل القوة عنده ببغداد، فكان القحط والغلاء عقوبة من الله لهم بما هم عليه من القبيح.

شهر جمادى الآخرة، أوله السبت:

فى تاسعه: توجه السيد الشريف شهاب الدين أحمد بن علاء الدين على بن البرهان إبراهيم بن عدنان الحسينى كاتب السر بدمشق ونقيب الأشراف إلى بلده. وكان قد طُلب من دمشق، فقدم القاهرة فى ثالث عشر جمادى الأولى، وسجن فى بعض المدارس، وألزم بحمل عشرين ألف دينار. وكتب باستقرار بعض مسالمة السمرة[1] - ويقال له حسين عوضه - فى كتابة السر بدمشق. وكان حسين هذا قد قدم إلى القاهرة فى الأيام الناصرية فرج، وخدم من جملة كتاب الأمير بكتمرشلق، ثم عاد إلى دمشق. واتفق أنه تزوج مملوك يقال له أزبك بابنة امرأة حسين. وكان أزبك هذا ممن أنشأه ططر، وصار أمير مائة مقدم ألف، فتحدث لحسين هذا فى استقراره ناظر الجيش بدمشق، فأجيب إلى ذلك. واستقر حسين فى نظر الجيش، عوضا عن قاضى القضاة الحنفية شهاب الدين أحمد من الكشك. ثم أضيف إليه كتابة السر، مع نظر الجيش. ولم يتفق مثل ذلك فى هذه الدول. ومازال السيد محبوسا حتى تقرر عليه عشرة آلاف دينار، فخلع عليه فى رابع جمادى الآخرة، هذا وتوجه إلى بلده لحمل ما ألزم به. وسبب ذلك تنكر السلطان عليه لأمور بدت منه فى حقه، وهو أمير بدمشق والسيد كاتب السر.

وفى يوم الإثنين حادى عشره: قدم قاضى القضاة شمس الدين محمد الهروى من القدس.

وفى رابع عشره: نودى بسفر الناس فى رجب إلى مكة، فكثرت المسرات بذلك، لبعد العهد بسفر الرجبية. ثم انتقض ذلك.

ونودى فى سابع عشرينه «لا يسافر أحد الرجبية».

وفى هذا الشهر: قدم الخبر بغلاء مدينة توريز، وأن المطر تأخر نزوله ببلاد إفريقية.

وفيه عزم تغرى بردى الجكمى- الذى قتل ابن كبك - على الفتك بالأمير تنبك ميق نائب الشام، ففطن به وقتله.

---

(١) هى فرقة أثبتوا نبوة سيدنا موسى وهارون ويوشع عليهم السلام، ورفضوا نبوة سيدنا داود وسليمان عليهما السلام وغيرهما من أنبياء بنى إسرائيل. ينظر الملل والنحل ١/ ٥١٤.

وفيه جلس السلطان للحكم بين الناس، كما كان المؤيد ومن قبله، وصار يحكم يومى الثلاثاء والسبت بالمقعد من الإسطبل السلطانى.

شهر رجب، أوله الأحد:

فيه نودى على النيل ثلاثة أصابع. وقد جاء القاع خمسة أذرع وسبعة أصابع. واستمر يزيد فى كل يوم عدة أصابع، بحيث نودى عليه فى يوم خمسة عشر أصبعا. وقل ما عهد مثل هذا شهر أبيب.

وفى خامس عشره: توجه الهروى عائدا إلى القدس، بعدما أهدى للسلطان هدية بنحو خمسمائة دينار، سوى ما أهداه للأمراء. وكاد أن يلى القضاء على أنه يقوم فى كل سنة بثمانين ألف دينار. ويثبت فى جهة جلال الدين بن البلقينى زيادة على ثمانين ألف دينار. ويحمل معجلا خمسة آلاف دينار، فألزم أن يكتب خطة بذلك كله، فأنكر أن يكون قال شيئا من ذلك، فانحل أمره، ورده الله خائبا، و لله الحمد.

وفيه زينت القاهرة ومصر لإدارة محمل الحاج على العادة، فمنع صدر الدين أحمد بن العجمى المحتسب النساء من الجلوس على حوانيت الباعة، وتشدد فى ذلك، فامتنعن. وكانت العادة أن تجلس النساء صدرًا من النهار، ويبتن بالحوانيت حتى ينظرن المحمل من الغد، فيختلطن بالرجال فى مدة يومين وليلة، وتقع أمور غير مرضية، فعد منعهن من جميل ما صنع، لكنه لم يتم، وعدن فيما بعد كما كن لإهمال أمرهن.

وفى يوم الإثنين سادس عشره: أدير محمل الحاج بالقاهرة ومصر على ما جرت به العادة. وقد كثر الاعتناء بأمره، وعملت كسوة الكعبة فى غاية الحسن، بحيث لم يعمل مثلها فيما أدركناه. وولى عملها شرف الدين أبو الطيب محمد بن تاج الدين عبد الوهاب بن نصر الله ناظر الكسوة، لحسن مباشرته وعفته.

وفى هذا الشهر: نزل الأمير تنبك البجاسى نائب حلب بعساكرها على مدينة بهسنى. وحضر الأمير تغرى بردى بن قصروه.

وفيه خرج الأمير أينال الظاهرى[1] نائب صفد عن الطاعة. وذلك أنه كان من جملة

---

(١) إينال باى بن قَجْمَاس الظاهر (٨٠٩ هـ = ١٤٠٦ م)، الأمير سيف الدين. قدم مع أبيه من بلاد الجاركسة بطلب من الظاهر برقوق، لقربة بينهما وترقى والده قجماس فى الدولة الظاهرية، إلى أن صار أمير مائة ومقدم ألف وصار والده أينال باى هذا من جملة خاصكية السلطان الخواص، ثم أمره عشرة، ثم صار فى الدولة الناصرية فرج أمير مائة ومقدم ألف، ثم أمير آخور كبير – بعد الأمير سودون طاز – وتزوج بأخت السلطان خوند يوم، بنت الملك الظاهر برقوق. وكانت توليته فى=

مماليك الظاهر ططر، رباه صغيرا، ثم ولاه نيابة قلعة صفد، لما خرج بالمظفر إلى دمشق لحفظ ذخيرة حملها إلى القلعة صفد. فلما قام السلطان برسباى بالأمر بعد ططر، ولى أينال نيابة صفد، فشق عليه خلع ابن أستاذه من السلطنة، وأخذ فى تدبير أمره، حتى أظهر ذلك، وأخرج من كان مسجونا بقلعة صفد، وهم الأمير يشبك أينالى أستادار،

=يوم الإثنين العشرين من شهر صفر سنة خمس وثمانمائة، وعظم قدره وضخم، وصار له كلمة نافذة فى الدولة، لزواجه بأخت السلطان. وسار على قاعدة الملوك من استكثار المماليك والسماط الهائل، ولازال على ذلك إلى يوم الإثنين سادس شهر صفر سنة ثمان وثمانمائة، قبض الملك الناصر فيه على الأمير يشبك بن أزدمر، رأس نوبة، وعلى الأمير تَمُر، وعلى سودون - من إخوة سودون طاز -. فلما بلغ أينال باى هذا الخبر تخوف، ونزل من باب السلسلة واختفى هو والأمير سودون الجلب، فاحتاط السلطان على موجودهما، ثم فى الغد - يوم الثلاثاء - سفروا الأمراء المقبوض عليهم إلى الإسكندرية. وإما أينال باى فإنه دار على جماعة من الأمراء، ليركبوا معه، فلم يوافقه أحد على ذلك. وسكن الحال إلى يوم الجمعة عاشر صفر، ظهر أينال باى، ووطلع به الأمير بيبرس الأتابك إلى القلعة، فكثر الكلام فى أمر أينال باى، فقبض السلطان عليه، وأوصله إلى دمياط، فاستمر بالثغر، إلى أن كانت وقعة السعيدية، أفرج عنه وعن يشبك بن أزدمر ، وخلع على أينال باى خلعة الرضى. واستمر الحال إلى يوم السبت رابع عشرين ربيع الأول من سنة ثمان استقر السلطان بالأمير يشبك بن أزدمر فى نيابة الملطية، فامتنع من ذلك فأكره حتى لبس الخلعة، ووكل به أرسطاى الحاجب، والأمير محمد ابن حلبان الحاجب، حتى أخرجاه من فوره إلى ظاهر القاهرة، ثم بعث السلطان إلى الأمير أزبك الإبراهيمى، أحد أمراء الألوف، المعروف بخاص خرجى، بأن يستقر فى نيابة طرسوس، فأبى أن يقبل، والتجأ إلى بيت أينال باى هذا، ثم احتمع جماعة من المماليك، ومضوا إلى يشبك بن أزدمر وردوه فى ليلة الجمعة ثالث عشرينه، وصار العسكر حزبين، طائفة مع السلطان، وهم الذين كانوا عليه فى وقعة السعيدية، ورأسهم الأمير يشبك الشعبانى، وطائفة عليه، ورأسهم بيبرس وأينال باى ويشبك بن أزدمر وغيرهم. وعظمت الفتنة، وجرت أمور يطول شرحها آلت إلى اختفاء الملك الناصر فرج وخلعه أخيه الملك المنصور عبد العزيز، وذلك فى يوم الأحد خامس عشرين ربيع الأخر سنة ثمان، فاختفى الملك الناصر إلى يوم الجمعة رابع جمادى الآخرة من السنة المذكورة، ظهر من بيت الأمير سودون الحمزاوى، وحصل بينه وبين من بالقلعة وقعة انتصر فيها الملك الناصر، وعاد إلى ملكه، وقبض على الأمير بيبرس، وسودون الماردينى. واختفى أينال باى صاحب الترجمة مدة، ووقعت له حوادث آلت إلى خروجه إلى البلاد الشامية وأخذه مدينة غزة. واحتمع عليه بها جماعة من الأمراء إلى شهر ذى الحجة من سنة تسع وثمانمائة، ركب الأمير شيخ المحمودى من صفد يريد أينال باى هذا ومن معه، فطرقهم على حين غفلة، فقاتلوه على الجديدة فى يوم الخميس رابع الشهر المذكور، فقتل الأمير أينال باى، والأمير يونس الحافظى نائب حماة، والأمير سودون قُرناص، وقبض على الأمير سودون الحمزاوى، وفر يشبك بن أزدمر إلى دمشق. ودفن أينال باى بغزة، ثم نقلت رمته فى شهر ربيع الآخرة سنة عشرة وثمانمائة إلى تربة أبيه قجماس، التى هى شرق تربة الظاهر برقوق، فدفن بها. انظر المنهل الصافى ٣/ ٢١٧ وما بعدها.

والأمير أينال الجكمى نائب حلب، والأمير جلبان أمير أخور. وقبض على من خالفه من أمراء صفد وأعيانها. فكتب السلطان إلى الأمير مقبل الحسامى المؤيدى حاجب دمشق باستقراره فى نيابة صفد، وأن يستمر إقطاع الحجوبية بيده، حتى يتسلم صفد، وكتب إلى الأمير تنبك ميق نائب الشام أن يخرج بالعسكر إلى قتال أينال بصفد.

وفيه كانت وقعة بين الأمير يونس نائب غزة وبين عرب جرم، هزموه فيها، وقتلوا عدة من عسكره.

وفيه كثرت الحروب والفتن والغارات والنهب والتخريب ببلاد الصعيد من عربانها.

وفى خامس عشرينه: قدم كتاب نائب الشام بمجىء أينال الجكمى ويشبك أينالى وجلبان من صفد إلى دمشق طائعين، فدقت البشائر بقلعة الجبل.

وفى سابع عشرينه: قدم الأمير فارس نائب الإسكندرية باستدعاء، فخلع عليه، وأنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف. وخلع على الأمير أسندمر النورى[1] أحد مقدمى

---

(١) أسندمر بن عبد الله النورى الظاهرى (٨٤٨ هـ = ١٤٤٤ م)، الأمير سيف الدين. أصله من مماليك الملك الظاهر برقوق، ومن آنيات الأمير جركس القاسمى المصارع بطبقة الزمام، وترقى بعد موت أستاذه الملك الظاهر برقوق إلى أن تأمر فى آخر الدولة الناصرية فرج عشرة، ثم صار من جملة أمراء الطبلخاناة فى الدلة المؤيدية شيخ، ثم صار بعد موت المؤيد شيخ من جملة أمراء الألوف بالديار المصرية، وولى الإسكندرية فى أوئل الدولة الأشرفية برسباى بعد الأمير فارس، فاستمر فى نيابة الإسكندرية إلى أن فر من سجنها الأتابك جانبك الصوفى فى العشر الأول من شهر شعبان سنة ست وعشرين وثمانمائة، وبلغ السلطان ذلك وشق عليه إلى الغاية، واستمر إلى أن أهل شهر شوال أرسل بطلب أسندمر المذكور من الإسكندرية، فحضر فى رابع عشره، وقبل الأرض ونزل، فلم يكن بعد ساعة إلا وقد نزل إليه السيفى يلخجا الساقى الناصرى بسفره إلى دمياط بطالا، فأخذه يلخجا المذكور وتوجه به إلى الثغر وعاد، وولى نيابة الإسكندرية من بعد الأمير أقبغا التمرازى أمير مجلس، فدام أسندمر بالثغر مدة ثم أنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف بدمشق فتوجه إلى دمشق ودام بها إلى أن تسلطن الملك العزيز يوسف بعد موت أبيه الملك الأشرف، ثم آل الأمر إلى أن تسلطن الملك الظاهر جقمق وأرسل بطلبه إلى القاهرة وأنعم عليه بإقطاعه ألف بدمشق على الأمير مغلباى الجقمقى أستادار الصحبة، وقدم الأمير أسندمر إلى القاهرة، وهو يظن كل خير فإنه كان آنيا لأخى السلطان الأمير جاركس كما تقدم ذكره، وقد تقدم جماعة من مماليك جركس عند السلطان فى دولته، فكيف وأسندمر من رفقة جركس وأخصائه، وقد حكى لى أسندمر من لفظه قال: لما بلغنى أن الملك الظاهر جقمق تسلطن قلت فى نفسى الآن صرت من أعيان المملكة وأحد أكابرها، فلما طلبت تحققت ما قد فى نفسى، وها أنا قد حضرت وتعلم ما وقع لى معه. انتهى. قلت: ولما أحضر أسندمر إلى القاهرة وقبل الأرض بين يدى السلطان وعد بكل خير وما مواعيدها إلا الأباطيل، ونزل إلى دار سكنها وأخذ يترقب الوعد الشريف ، وطالت الأيام به وكلما كلّم السلطان فى أمره يسوف به من=

الألوف، واستقر فى نيابة الإسكندرية(١).

وفى سلخه: نودى «من كانت له ظلامة فعليه بالإسطبل». وكان السلطان قد ترك جلوسه للحكم منذ قدم خبر صفد، فعاد للجلوس للنظر فى محاكمات المتخاصمين، على عادته.

شهر شعبان، أوله الإثنين:

فيه تكرر النداء بجلوس السلطان للحكم.

وفى ثانيه: جلس للحكم، واستدعى مدرسى المدرسة القمحية بمصر، وأوقفهم بين يديه، وألزمهم بعمل حساب أوقافها وعمارتها، مما تناولوه من ريعها فيما سلف، وأخرج وقفها - وهو ضيعتان بالفيوم يقال لهما الأعلام والخنبوشية - لمملوكين من مماليكه، ليأكلوها إقطاعا بينهما. وندب الأمير أزبك رأس نوبة للكشف عن المدرسة، فوجد الخراب قد أحاط بها من جوانبها، وصار ما هنالك كيمان تراب، وهى قائمة بمفردها ليس بجانبها عامر ولا بها ساكن، سوى رجل يحرسها، فطلب السلطان مدرسيها الخمسة، وأوقفهم بين يديه بالإصطبل، وألزمهم بعمل حسابها، والقيام بما استأدوه من العلوم، فخرجوا فى الترسيم.

وفيه نظر السلطان فى أمر جامع عمرو بن العاص، وأخذ الناس فى تتبع عورات القضاة والفقهاء لميل ولاة الشوكة إلى معرفة ذلك، فإن الأحدوثة عنهم قبحت، والقالة فيهم شنعت:

وكنا نستطب إذا مرضنا فجاء الداء من قبل الطبيب

وفى يوم الخميس رابعه - الموافق له تاسع عشرين أبيب -: كان وفاء النيل ستة عشر ذراعا. وهذا من النوادر، مع أن زيادته فى هذا العام كانت مما يتعجب له، وذلك أن العادة التى عهدت أن زيادة النيل فى شهر أبيب تكون قليلة، حتى أنه ليقال قديما

=وقت إلى وقت، وأسفرت القضية على أن كتب له جامكية فى كل شهر خمسة آلاف درهم على ديوان المفرد، وصار كآحاد الأجناد إلى أن توفى سنة ثمان وأربعين وثمانمائة بالقاهرة وهو فى حدود السبعين. وكان سامحه الله مهملا جدا، مسرفا على نفسه، صار لا يطيق الحركة لكبر سنه وضعف بدنه إلا بجهد، وهو على ما هو عليه، وكان سليم الباطن، متواضعا قليل المعرفة، كثير التغفل، وكان تركى الجنس، خفيف اللحية أبيضها، أحمر اللون، معتدل القد نحيفا. انظر المنهل الصافى ٢/ ٤٤٧ وما بعدها.

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٨٥.

«فى أبيب، يدب الماء دبيب». وأما مسرى فأيام الزيادة الكثيرة، ويقال لها عرس النيل وهى مظنة الوفاء حتى يقال «إذا لم يوف النيل فى مسرى فانتظره فى السنة الأخرى». هذه عادة الله التى أجراها بين خلقه فى أمر نيل مصر، وربما وقع الأمر فى النيل بخلاف ذلك، فيعد نادرا. واتفق فى هذه السنة أنه منذ ابتدأت الزيادة لم تزل زيادته كبيرة، بحيث نودى عليه فى يوم بزيادة خمسين إصبعا، فكثر تعجب الناس لذلك، ثم ازدادوا تعجبا لوفائه قبل مسرى، و لله الحمد. وتولى تخليق المقياس وفتح الخليج الأمير الكبير بيبغا المظفرى.

وفى يوم الثلاثاء سادس عشره: أخرج بالمظفر أحمد بن المؤيد شيخ وأخيه من قلعة الجبل نهارا، وحُملا فى النيل إلى الإسكندرية، فكانت هذه موعظة، فإن المؤيد أخرج بأولاد ابن أستاذه الملك الناصر فرج إلى الإسكندرية، فعومل بمثل ذلك، وأخرج الله ابنيه إلى الإسكندرية، كما يدين الفتى يُدان[1].

وفى ثانى عشرينه: خلع على بدر الدين محمود العينتابى ناظر الأحباس، وأعيد إلى حسبة القاهرة، عوضا عن صدر الدين أحمد بن العجمى.

وفى هذا الشهر: كثر عبث الفرنج بالسواحل، وهَجم فى الليل غرابان، فيهما طائفة من الفرنج، على ميناء الإسكندرية فوجدوا فيها مركبا للتجار فيه بضائع بنحو مائة ألف دينار، فاقتتلوا معهم عامة الليل، فخرج الناس من المدينة، فلم يقدروا على الوصول إليهم، لعدم المراكب الحربية عندهم، ولا وصلت سهامهم إلى الفرنج، بل كانت تسقط فى البحر، فلما طال الحرب بين الفرنج والتجار المسلمين، واحترقت مركب التجار، نجوا فى القوارب إلى البر، فأتت نار الفرنج على سائر ما فى المركب من البضائع، حتى تلف بأجمعها، ومضى الفرنج نحو برقة، فأخذوا ما قدروا عليه، ثم عادوا إلى الإسكندرية، ومضوا إلى نحو الشام.

وفيه قدم رسول إسكندر بن قرا يوسف، ومعه رأسان، زعم أنهما رأس متملك السلطانية نيابة عن شاه رخ بن تيمور لنك، ورأس نائبه بشيراز.

شهر رمضان، أوله الأربعاء:

فى تاسعه: أعيد الآذان بمأذنتى مدرسة السلطان حسن بسوق الخيل.

وفى حادى عشره: كان نوروز القبط بمصر، والنيل قد بلغ تسعة عشر ذراعا وستة

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٨٥، ٨٦.

أصابع، فعم به النفع عامة أراضى مصر إلا أن الجسور لم يعتن بها لسوء سيرة متوليها، فقطع ماء النيل منها عدة مقاطع، أفسدت أكثر الزراعات الصيفية كالسمسم والبطيخ ونحوه، فكان بلوغ النيل هذا القدر فى النوروز عجب آخر[١].

وفيه اتضع سعر الغلال، حتى أبيع الأردب القمح بمائة وخمسين درهما من الفلوس، وعنها يومئذ سبعة دراهم ونصف فضة أشرفية، وأبيع الشعير بخمسة وثمانين درهما الأردب عنها أربعة دراهم وربع فضة، وأبيع الفول بثمانين درهما الأردب، عنها أربعة دراهم فضة.

وفيه فتح باب مدرسة السلطان حسن، الذى سدَّه الظاهر برقوق، وهدم درجه.

وفى يوم الإثنين عشرينه: جلس السلطان بدار العدل وعمل به الخدمة، وأحضرت رسل الفرنج الفرنسيس بهدية. وهذا أول جلوس جلسه السلطان بدار العدل.

وفى حادى عشرينه: خلع على الأمير أيتمش الخضرى، واستقر أستادار عوضا عن الأمير أرغون شاه.

وفى ثالث عشرينه: خلع على صدر الدين أحمد بن العجمى، واستقر فى نظر الجوالى.

وفى سابع عشرينه: نودى أن السلطان رسم أن لا ينزل أحد من الفقهاء عن وظيفته فى وقف من الأوقاف، وهدد من نزل منهم عن وظيفته، فامتنعوا عن النزول، ثم عادوا كما كانوا، ينزل هذا عن وظفته من الطلب فى الدروس، أو التصوف فى الخوانك، أو القراءة أو المباشرة بالمال، فيلى الوظائف غير أهلها، ويحرمها مستحقوها، فإن الوظائف المذكورة صارت بأيدى من هى بيده، ينزلها منزلة الأموَال المملوكة، فيبيعها إذا شاء ويسمى بيعها نزولا عنها، ويرثها من بعده صغار ولده. وسرى ذلك حتى فى التداريس الجليلة، والأنظار المعتبرة، وفى ولاية القضاء بالأعمال يليه الصغير من بعد موت أبيه ويستناب عنه كما يستناب فى تدريس الفقه والحديث النبوى، وفى نظر الجوامع ومشيخة التصوف، فيا نفس جدى إن دهرك هازل!!

وفيه خلع على الأمير أرغون شاه أحد أمراء دمشق، واستقر كاشف الوجه القبلى، عوضا عن بلبان الجمالى.

وفيه أغلقت كنيسة قمامة بالقدس عن أمر السلطان.

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٨٦.

وفى سلخه: نودى بمنع النساء من الخروج إلى الترب فى أيام العيد، وهددن بالعقوبة إن خرجن، فامتنع كثير منهن عن الخروج إليها.

وفيه ارتفع سعر الشيرج، حتى أبيع الرطل بثمانية عشر درهما من الفلوس و لم يعهد مثل ذلك، وسببه غرق السمسم، فقل وجوده.

شهر شوال، أوله الجمعة:

فيه صلى السلطان صلاة العيد بجامع القلعة.

وفى رابعه: رفعت يد قاضى القضاة زين الدين عبد الرحمن التفهنى الحنفى عن وقف الطرحاء، ثم أعيد إليه بعد أيام، وكان لما رفعت يده عنه نودى «من مات له ميت وعجز عن كفنه فعليه بمصلى المؤمنى تحت القلعة».

وفيه رفعت يد قاضى القضاة ولى الدين أبو زرعة أحمد بن العراقى الشافعى عن وقف قراقوش، وفوض السلطان أمره إلى التاج الشويكى والى القاهرة، واستمر كذلك فلم يعد إلى القضاة، فكان هذا مما يستشنع، وكثرت الشناعات بمقت السلطان للقضاة والفقهاء، وأنه يريد الكشف عما بأيديهم من الأوقاف.

وفيه انتهت زيادة ماء النيل إلى عشرين ذراعا ونصف ذراع، وابتدأ نقصه من الغد، وهو رابع عشرين توت.

وفى هذه الأيام: ابتدئ بعمل الخربة - التى بخط الركن المخلق من القاهرة - وكالة، وهذه الخربة موضعها الآن داخل الدرب الأصفر، حيث كان يعرف قديما بالمنحر، وبابها من وسط سوق الركن المخلق، عملته خوند بركة[1] أم السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون أعوام بضع وسبعين وسبعمائة ليكون داخله قاعة، بجوار القيسارية التى أنشأتها، وعملت برسم بيع الجلود، فماتت قبل

---

(١) بركة خاتون خوند (٧٧٤ هـ = ١٣٧٢ م) والدة السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين، وزوجة الأتابك ألجاى اليوسفى كانت من أعظم نساء عصرها خيرًا، ودينًا، وبرًا، وجمالا، وكرمًا. ولما حجت فى سنة سبعين وسبعمائة، توجهت فى أبهة عظيمة إلى الغاية وفى خدمة الأمراء والخاصكية والخدام، وفرقت بالحرمين الشريفين أموالا عظيمة، وعادت إلى القاهرة، ولم يعظم ألجاى إلا بزواجها، وصار له ميزة على أكابر الأمراء بذلك. وتوفيت فى حياة ولدها الملك الأشرف فى يوم الثلاثاء آخر ذى الحجة سنة أربع وسبعين وسبعمائة، ودفنت بمدرستها التى أنشأتها بخط النيابة - خارج القاهرة تعرف بمدرسة أم السلطان ووجد ابنها الأشرف عليها وجدًا عظيمًا. وبسبب ميراثها خرج ألجاى عن الطاعة. انظر المنهل الصافى ٣/ ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧.

عمارتها، وقد فرغت واجهة الباب فقط، فتعطلت دهرًا إلى أن أخذ الأمير جمال الدين يوسف - أستادار القيسارية المذكورة - من وقف أم السلطان على مدرستها بخط التبانة قريبًا من قلعة الجبل، وصيرها من جملة أوقافه على مدرسته التى أنشأها بخط رحبة باب العيد، وضع يده أيضا على هذه الخربة، ومات قبل أن يعمل فيها شيئا، فلم تزل معطلة حتى وقع اختيار السلطان فى هذا الوقت على عملها وكالة فابتدئ بعملها.

وفى يوم السبت تاسع هذا الشهر: رسم بإعادة مكس دار التفاح الذى أبطله الملك المؤيد شيخ، فأعيد بسفارة الوزير تاج الدين عبد الرزاق ابن كاتب المناخ وطول سعيه فيه، عامله الله بعدله، فإنه جدد مظلمة يتلف فيها من أموال الناس بنهب الظلمة الفساق ما شاء الله. **﴿وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون﴾**[١].

وفى يوم الإثنين رابع عشره: برز محمل الحاج بكسوة الكعبة صحبة الطواشى افتخار الدين ياقوت - مقدم المماليك السلطانية - ونزل خارج القاهرة، ثم توجه إلى بركة الحاج على العادة.

وفى سابع عشرينه: قدم من صفد ثلاثون رجلا، ممن أسر من أصحاب الأمير أينال، فقطعت أيدى الجميع إلا واحدًا، فإنه وسط بالسيف نصفين، وأخرج الذين قطعت أيديهم من يومهم إلى بلاد الشام، فمات عدة منهم بالرمل. وكان من خبر صفد، أن الأمير مقبل لم يزل على حصارها إلى يوم الإثنين رابع شوال هذا، فنزل إليه أينال بمن معه، فتسلم أعوان السلطان القلعة، وعندما نزل أينال أمر أن تفاض عليه خلعة السلطان ليتوجه أميرًا بطرابلس، وكان قد وعد بذلك، وترددت الرسل بينه وبينهم مرارًا، حتى استقر الأمر على أن يكون من جملة أمراء طرابلس، وكتب له السلطان أمانا ونسخة يمين، فانخدع البائس ونزل من القلعة، فما هو إلا أن قام ليلبس الخلعة، وإذا هم أحاطوا به

وقيدوه وعاقبوه أشد عقوبة. ثم قتلوه، وقتلوا معه مائة رجل ممن كان معه بالقلعة، وعلقوهم بأعلاها[٢].

وفى هذا الشهر: تسلم الأمير تغرى بردى بن قصروه قلعة بهسنى، ونزل بأمان، فقيد وسجن بقلعة حلب، فأمن السلطان بعد تخوفه من جهة صفد وتغرى بردى.

شهر ذى القعدة، أوله الأحد:

---

(١) سورة الشعراء الآية ٢٢٧.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٨٦.

فى ثانيه: ركب السلطان من القلعة إلى مطعم الطير تجاه الريدانية خارج القاهرة، وألبس الأمراء الأقبية الصوف لملابس الشتاء كما كان المؤيد يفعل، ثم عبر القاهرة من باب النصر، ودخل عمارتها بخط الركن المخلق، وخرج من باب زويلة إلى القلعة، ونثر عليه الدنانير والدراهم وهذه أول ركبة ركبها فى سلطنته[١].

وفى خامسه: عزل الأمير أيتمش الخضرى، وأعيد الأمير أرغون شاه أستادارا، ولم تشكر سيرة أيتمش لعتوه وشدة ظلمه، مع عجزه عن القيام بما وليه[٢].

وفى سابعه: ركب السلطان إلى جهة بركة الحجاج، وعاد.

شهر ذى الحجة، أوله الإثنين:

فى رابعه: اختفى الوزير تاج الدين عبد الرزاق ابن كاتب المناخ، فخلع على الأمير أرغون شاه، وأضيفت إليه الوزارة، فصار وزيرًا أستادار، وذلك فى يوم الإثنين ثامنه، فظهر ابن كاتب المناخ فى عاشره، وصعد إلى القلعة فعفى عنه، ولزم بيته بطالاً على حمل مال قام ببعضه.

وفى يوم السبت سادسه: خلع على علم الدين صالح ابن شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقينى، وفوض إليه قضاء القضاة، عوضا عن ولى الدين أبو زرعة أحمد بن العراقى، بمال كبير.

وفى سابع عشرينه: نزل الحاج بينبع، وقد استعد من فيهم من المماليك السلطانية مع الأمير جانبك الخازندار[٣] أحد أمراء العشرات لحرب الشريف مقبل متولى ينبع،

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٨٧.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٨٧.

(٣) جانبك بن عبد الله من أمير، الأشرف الخازندار (٨٧٠ هـ = ١٤٦٥ م) المعروف بالظريف. أصله من مماليك الأشرف برسباى الصغار، ولم يعترض إليه الملك الظاهر جقمق لما نفى أعيان المماليك الأشرفية وحبسهم، لكونه إذ ذاك لا يوبه إليه واستمر على عادته، ثم جعله فى أواخر دولته من جملة الدوادارية الصغار إلى أن استقر بدقاق البشبكى زردكاش، بعد موت تغرى برمش الردكاش، وأمره عشرة من إقطاع تغرى برمش، أنعم بإقطاعه على جانبك هذا، فلم يباشر دقاق الزردكاشية إلا دون الجمعة، وغضب عليه السلطان وعزله من الزردكاشية بالأمير لاجين وأخذ الإمرة منه، واحتاج بالقاهرة أن يرد إقطاع دقاق الجندية إليه، ورده إليه، فصار جانبك هذا بغير إقطاع، فأعطاه الإمرة التى كانت بيد دقاق واحدة، فكان هذا سبب أخذه الإمرة. ثم صار رأس نوبة فى دولة المنصور عثمان إلى أن تسلطن الملك الأشرف أينال صار أمير طبلخاناة وخازندارا كبير، عوضا عن أزبك الساقى الظاهرى، بحكم القبض على، ولما أراد الملك الأشرف أينال أن يجدد دوران المحمل فى شهر=

وقد قدم عقيل بن وبير الحسنى من القاهرة صحبتهم، بعدما خلع عليه بها، فى شوال، واستقر أمير ينبع، شريكا لعمه مقبل، بمال التزم به للدولة، فلما علم مقبل بذلك، نزح عن ينبع إلى واد بالقرب منها. ودخل الحاج إلى ينبع فى ذى القعدة، فبعث أمراء الحاج الثلاثة، وهم افتخار الدين ياقوت أمير المحمل، وأسندمر الأسعردى من أمراء العشرات أمير الركب الأول، وجانبك أمير الركب الثانى، إلى الشريف مقبل حتى يحضر إليهم، فجرت أمور آخرها، أن يستقر عقيل شريكا له كما كان أبوه وبير، وأن يكاتب السلطان بذلك. ومهما ورد المرسوم به اعتمده. ورحل الحاج من ينبع إلى مكة، وقد وجهوا نجابا إلى السلطان بكتبهم، وتركوا عقيلا بينبع، فاقتتل هو وعمه، فظفر به عمه، وقيده، وأقام بينبع حتى عاد الحاج إليها، فاستعد الأمير جانبك - كما قلنا - وركب فى جمع من المماليك وغيرهم، ليلة الأحد ثامن عشرين ذى الحجة هذا، وطرق مقبل على حين غفلة، فكانت بينه وبين مقبل وقعة قتل فيها جماعة من الأشراف بنى حسن، وجرح كثير من العربان والعبيد، وانهزم مقبل، فمدت المماليك أيديها، وانتهبت ما قدرت عليه، وسلبت النساء الشريفات ما عليهن، وساقوا خمسمائة وخمسين جملا، وثلاثين فرسا، وأمتعة كثيرة، ومالا جزيلا، وعادوا من يومهم إلى ينبع، ومعهم عقيل قد خلصوه من الأسر ورحلوا، وقد أقام عقيل بينبع أميرًا، فلم يكن إلا ليال حتى عاد مقبل، واحترب مع عقيل، فانهزم مقبل، وقتل بينهما جماعة، كل ذلك بسوء الطبع والطمع فى القليل.

وفى سابع عشرينه: قدم مبشرو الحاج وأخبروا بسلامة الحجاج.

وفى هذا الشهر: اتفقت نادرة فيها عبرة لذوى النهى والأبصار، وهو أن رجلا من فقراء الناس الذين لا يكادون يجدون القوت، له امرأة وبنات منها، يسكنون بخرابات الحسينية، ظاهر القاهرة، فلما كان يوم عيد النحر، ذبح أرباب اليسار ضحاياهم واشتووا لحومها، فهاجت شهوات بنات هذا الرجل لأكل اللحم، وطلبن منه فلم يجد سبيلا إلى قضاء شهواتهن، وأخذ يعللهن، وهن يتصايحن وينتحبن بالبكاء، وقلبه يتقطع عليهن حسرات طول نهار العيد حتى جنه الليل، ورقدن. فكان يسمع فى الليل حركة تتوالى طول ليلته، وهو وأم أولاده لشدة الحزن قد ذهب نومهما، حتى أصبحا فإذا

=رجب على قديم العوائد، طلب معلما للرماحة سأل جانبك هذا أن يكون معلما، وارتجى معرفة ذلك، فأجابه السلطان، وسوق المحمل سنة سبع وسنة ثمان بالفقيرى وفيهما أيضا ولى إمرة حاج المحمل، وحج بالناس سنتى سبع وثمان، ولقى الحاج فى السنة الثانية شدائد من قطع الطريق، وغيره. انظر المنهل الصافى ٤/ ٢٣٩، ٢٤٠، النجوم الزاهرة ١٦/ ٣٤٤ وما بعدها، الضوء اللامع ٣/ ٥٣.

كوم كبير من اللحم فى دارهم قد باتت العرس تنقله طول ليلها، لا يدرون من أين أتت به، فسرا بذلك سرورًا كبيرًا، وأيقظ بناته فاشتووا من ذلك اللحم، فأكلوا حتى شبعوا، وطبخوا منه وقد درا باقيه، فكافهم عدة أيام. **﴿إن الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾**[1].

وفى هذه السنة: كثرت الأمطار بأرض الحجاز وبلاد الشام، وسقط بقرية تسمى حداثا من جبال صفد برد لم يعهدوا مثله، بلغ وزن بردة واحدة سبعة أرطال ونصف بالدمشقى، عنها ثلاثون رطلا مصرية، ووجدت بردة على باب دار قدر الثور. وكان سقوط هذا البرد ليلة السبت سادس ذى الحجة هذا.

وفيها كانت حروب ببلاد الروم بين أهل حصنين بالقرب من مدينة برصا، فى أحديهما طائفة من الروم المسلمين، وفى الأخرى طائفة من النصارى، فامتدت الحرب أياما، حتى كان بعض الليالى، إذا هم بصيحة من حصن النصارى، كادت تنخلع منها قلوب المسلمين، فلما أصبحوا إذا بجميع من فى الحصن من النصارى قد هلكوا هم ودوابهم، فتسلموا ما فى الحصن بلا مانع.

وفيها فشت الأمراض بالقاهرة والوجه البحرى، عند انحطاط ماء النيل فى فصل الخريف.

وفيها انحل سعر الغلال، ورخت رخاءًا زائدًا.

وفيها سار مراد بن محمد كرشجى بن عثمان فى شهر رجب من برصا إلى اصطنبول[2] وهى قسطنطينية - ونزل عليها أول شعبان، وقطع عامة أشجارها، ومنع عنها الميرة، حتى فرغ شهر رمضان من غير حرب، سوى مرة واحدة فى يوم الجمعة ثالث رمضان، فإنه زحف على المدينة فكان بينه وبين أهلها حرب شديدة، فتخلى عنه عسكره، وبينما هو فى ذلك إذ جاءه أخوه مصطفى، وكان فى مملكة محمد باك بن قرمان، فتفرق عن مراد عسكره، وكانوا نحو مائة وخمسين ألفًا، حتى بقى فى زهاء عشرين ألفًا، والتجأ مصطفى إلى اصطنبول، وواقف مراد نحو شهر، وقد عجز عنه مراد لمخالفة عسكره عليه.

* * *

---

(١) سورة آل عمران ٣٧.

(٢) سبق ترجمتها.

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

علاء الدين على ابن قاضى القضاة تقى الدين عبد الرحمن الزبيرى، ليلة الأحد ثالث المحرم، وقد أناف على الستين. وكان يعرف الفرائض والحساب، ويشارك فى الفقه، وناب فى الحكم بالقاهرة، ودرس فى عدة مدارس(١).

ومات بدر الدين محمود بن شمس الدين محمد الأقصراى الحنفى، ليلة الثلاثاء خامس المحرم، ولم يبلغ ثلاثين سنة، وكان يعرف طرفًا من الفقة، ويشارك فى غيره، وتحرك له حظ فى دولة المؤيد، وصار يحضر مجلسه فيمن يحضر من الفقهاء، فلما قام ططر بعد المؤيد اختص به، فعظم قدره، وتردد الناس لبابه، وتحدثوا برقيه إلى العليا، فلم يمهل وعوجل(٢).

ومات الأمير آق قجا، كاشف الوجه القبلى، فى العشرين من المحرم، فأراح الله منه(٣).

ومات شمس الدين محمد بن أحمد بن معالى الحبتى الدمشقى الحنبلى يوم الخميس ثامن عشرين المحرم وكان من فقهاء الحنابلة، وأحد المحدثين، ناب فى الحكم عن القضاة سنين، واتصل بالمؤيد، وكان يحضر عنده فى جملة الفقهاء، ويقرأ عنده صحيح البخارى كل سنة، وولاه مشيخة الخروبية التى استجدها بالجيزة(٤).

ومات الأمير حسن بن سودن الفقيه الجركسى(٥)، خال الصالح بن ططر، يوم

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٢٩٠.
(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٢٩٠.
(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٢٩٠.
(٤) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٢٩٠.
(٥) الحسن بن سُودُون (٨٢٥ = ١٤٢١ م)، الفقيه الأمير بدر الدين، صهر الملك الظاهر ططر، وخال ولده الملك الصالح محمد بن ططر. كان والده سودون الفقيه حنديا من جملة المماليك الظاهرية برقوق، وتزوج الأمير ططر بابنته شقيقة حسن المذكور، فصار حسن بخدمة صهره ططر، وترك والده سودون، واستمر عنده إلى أن تسلطن بدمشق فى سنة أربع وعشرين وثمانمائة، ولقربه بالملك الظاهر، قَرَّبَ حسن هذا، وأنعم عليه بإمرة طبلخاناة بالديار المصرية دفعة واحدة، بعد القبض على الأمير مُغْلْباى، ثم صار بعد مدة يسيرة أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية. ومات الملك الظاهر ططر، وتسلطن ولده الملك الصالح فلم تطل مدته، ومرض، وطال مرضه إلى أن مات فى يوم الجمعة ثالث عشر صفر سنة خمس وعشرين وثمانمائة. وورثه والده سودون المذكور «وهو على حاله حندى، غير أنه كان معظما فى الدولة» لكونه حمو الملك الظاهر ططر، وجد ولده الملك الصالح محمد. وعاش سودون المذكور إلى بعد سنة ثلاثين وثمانمائة. وكان شكله حسنًا فى شبيبته، ثم حصل فى إحدى=

الجمعة ثالث عشر صفر، وكان قد صار أمير مائة مقدم ألف فى أيام ابن أخته الصالح محمد بن ططر، بعدما عمله زوج أخته الظاهر ططر أمير طبلخاناه، فلم يتهن بالنعمة، وطال مرضه حتى مات[١].

ومات الشريف عزيز بن هيازع بن هبة بن جماز بن شيحة أمير المدينة النبوية، فى ربيع الأول، وهو مسجون بالقلعة، وقد أخذ من المدينة مقيدًا فى موسم السنة الخالية، وولى عوضه عجلان بن نعير.

ومات شمس الدين محمد بن على بن أحمد المعروف بالزراتيتى، المقرئ الحنفى، إمام الخمس بالمدرسة الظاهرية برقوق، فى يوم الخميس سادس جمادى الآخرة، وقد تجاوز السبعين، وكف بصره وصار شيخ الإقراء بالقاهرة.

ومات برهان الدين إبراهيم بن أحمد بن على البيجورى، الفقيه الشافعى [٢]، يوم

=عينيه خلل. عاريًا، مهملا، أجنبيًا عن كل علم وفن. انظر المنهل الصافى ٥/ ٧٩ وما بعدها، الدليل ١/ ٢٦٢، النجوم ١٤/ ١٥: ١١٤، الضوء ٣/ ١٠٠ بدائع الزهور ٢/ ٧٨، نزهة النفوس ٣/ ١٦.

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٢٩١.

(٢) إبراهيم بن أحمد بن على، الشيخ الإمام العلامة فقيه عصره برهان الدين البيجورى الشافعى. مولده قبل الخمسين وسبعمائة. قال ابن تغرى بردى فى تاريخ القاضى علاء الدين خطيب الناصرية، قال شيخنا برهان الدين أبو إسحاق: قدم حلب سنة سبع وسبعين وسبعمائة، ونزل بالمدرسة العصرونية، وكتب بخطه شرح الأذرعى على المنهاج المسمى بالقوت، وكان ينظر عليه فى أماكن من دماغه على الكتابة، أخبرنى أنه نظر إلى كتاب الطلاق ثم تركه حياء من الشيخ شهاب الدين الأذرعى فإنه كان نازلا عنده فى المدرسة، وكان تفقه على الشيخ جمال الدين الأسنوى، وبرع فى الفقه وأفتى وأشغل الطلبة، حضرت عنده بالقاهرة بالمدرستين الناصرية والسابقية، وقرأت عليه، ورأيته يستحضر كثيرا من الفقه خصوصا من كلام المتأخرين فى ذلك، ولم أر فى القاهرة فى ذلك الوقت وهو فى سنة ثمان أو تسع وثمانمائة من يستحضر الفقه كاستحضاره، وهو فقير جدا، ووظائفه قليلة، ثم قال: ولقد رأيته يجارى شيخنا شيخ الإسلام سراج الدين البلقينى حتى يحرد منه، ويلج هو فلا يرجع، ولا يزال الصواب يظهر معه فى النقل، انتهى كلام ابن خطيب الناصرية. قال ابن تغرى بردى: ودام بعد ذلك دهرا إلى أن بنى الأمير فخر الدين عبد الغنى بن أبى الفرج الأستادار مدرسته التى بين الصورتين من القاهرة، وأعطى مشيخة المدرسة المذكورة للشيخ شمس الدين محمد البرماوى، فباشرها مدة إلى أن تحول إلى دمشق صحبة قاضى القضاة نجم الدين عمر بن حجى فى سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة دفع القاضى نجم الدين المذكور إلى البرماوى مالا وأمره أن ينزل عن المشيخة للشيخ برهان الدين البيجورى هذا، فلما وصل النزول إلى البيجورى امتنع من قبوله حتى ألح الطلبة عليه فقبل، على العادة، ورأيت فى بعض الطبقات أن قاضى القضاة ولى الدين أحمد بن العراقى كان لا يزال يصلح فى تصانيفه مما ينقله له الطلبة عن البيجورى. انتهى. قال ابن تغرى بردى: رأيته مرارا=

السبت رابع عشر رجب، وقد أناف على السبعين، وتصدى للإشـغال عـدة سنين، ولم يخلف بعده أحفظ منـه لفـروع الفقـه، مـع إطـراح التكلـف، وقلـة الاكـتراث بـالملبس، والإعراض عن الرياسة التى عرضت عليه فأباها[١].

ومات مقدم العشير بجبال صفد، بدر الدين حسن بن أحمد بن بشارة، فى سـابع ذى الحجة[٢].

* * *

=عديدة، كان إماما بارعا، فقيه عصره بلا مدافعة مع علمى بمن عاصره من العلماء، تصـدر للتدريس والإفتاء عدة سنين، وانتفع به غالب الطلبة، وقرأ عليه غالب علماء عصرنا، ولم يزل على ذلك إلى أن توفى يوم السبت رابع عشر شهر رجب الفرد سنة خمس وعشرين وثمانمائة، وقد أناف على السـبعين. ونسبته إلى بيجورى قرية بالمنوفية من أعمال القاهرة، بباء ثانية الحروف مفتوحة وبعدها ياء آخرة الحروف ساكنة، وجيم مضمومة وواو ساكنة وراء مهملة. انتهى. انظـر ترجمتـه فـى الدليـل الشافى ١/ ٨، والنجوم الزاهرة ١٥/ ١١٤، والضوء اللامع ١/ ١٧، وشذرات الذهب ٧/ ١٦٩.

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٢٩١.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٢٩١، ٢٩٢.

سنة ست وعشرين وثمانمائة

أهلت وسلطان مصر والشام والحجاز الملك الأشرف برسباى الدقماقى، والأمير الكبير الأتابك بيبغا المظفرى، والدوادار الكبير الأمير سودن بن عبد الرحمن، وأمير سلاح الأمير قجق، وأمير مجلس الأمير أقبغا التمرازى، وأمير أخور الأمير قصروه، ورأس نوبة النوب الأمير أزبك، والوزير أستادار الأمير أرغون شاه، وكاتب السر علم الدين داود بن عبد الرحمن بن الكويز، وناظر الخاص الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله وقاضى القضاة الشافعى علم الدين صالح بن البلقينى، ونائب الشام الأمير تنبك العلاى ميق، ونائب حلب الأمير تنبك البجاسى، ونائب طرابلس الأمير أينال النوروزى[1] ونائب صفد الأمير مقبل الدوادار ونائب، حماة شار قطلوا.

وأسعار الغلال رخيصة. والأمراض فى الناس فاشية.

شهر الله المحرم، أوله الأربعاء:

فى ثالث عشرينه: قدم الركب الأول من الحجاج وقدم المحمل ببقية الحاج من الغد. وكانت سنة مشقة إلى الغاية، توالت فيها الأمطار الخارجة عن الحد، زيادة على أربعين يوما، وأتت سيول مهولة مع غلاء الأسعار بمكة، فأبيع الحمل الدقيق بخمسة وثلاثين دينارا، وأبيعت ويبة شعير فى الأزلم بخمسين مؤيديا، فيكون الأردب الشعير

---

(١) أينال بن عبد الله النوروزى (٨٢٩ هـ = ١٤٢٥ م)، أمير سلاح، الأمير سيف الدين. وأصله من مماليك نوروز الحافظى، المتغلب على دمشق ودواداره، ثم اتصل بعد قتل أستاذه بخدمة الملك المؤيد شيخ، وترقى إلى أن ولى نيابة غزة، ثم نقل إلى نيابة حماة، ثم أمس، وصار من جملة أمراء دمشق، ثم ولى فى أوائل الدولة الأشرفية برسباى نيابة طرابلس، بعد أركاس الجلبانى، واستمر فى نيابة طرابلس إلى أن عزل عنها بالأمير قصروه من تمراز، وقدم إلى القاهرة، وأنعم بإمرة مائة وتقدمة ألف بها، ثم استقر أمير مجلس بعد الأمير أقبغا التمرازى، بحكم انتقاله إلى نيابة الإسكندرية، ثم نقل إلى إمرة سلاح، واستمر على ذلك إلى أن توفى أول شهر ربيع الآخر سنة تسع وعشرين وثمانمائة. وكان أمير جليلا، مهابًا، عظيمًا فى الدولة، ذا حرمة وافرة، وجبروت، وله سطوة على خدمه وحواشيه، وكان ظالمًا سفيها شرس الخلق، وعنده حدة وبادرة، إلا أنه كان كريم النفس، متجملا فى ملبسه إلى الغاية وفى مركبه ومآكله، ومماليكه. وكان يصرف لبعض مماليكه جامكية خمسة آلاف فى كل شهر، وأقل ما فى مماليكه له جامكية عشرة دنانير فى كل شهر. وهو زوج كريمة خوند فاطمة، تزوجها بعد موت زوجها الملك الناصر فرج، ومات عنها. انظر المنهل الصافى ٣/ ٢٠٠، ٢٠١.

على ذلك بألفين ومائة درهم من نقد القاهرة، وكثر موت الجمال، ومشت النساء والصغار عدة مراحل، ومات كثير من الناس، واشتد الحر، ثم اشتد البرد، ومع هذا كله كثرة الخوف.

وفى ثامن عشرينه: أعيد زين قاسم بن البلقينى إلى نظر الجوالى، عوضا عن صدر الدين أحمد بن العجمى على مال التزم به.

وفيه أنعم على الأمير جانبك الخازندار بإمرة طبلخاناه من جملة إقطاع الأمير فارس نائب الإسكندرية، كان.

شهر صفر، أوله الخميس:

فى ثامن عشره: جمع السلطان الأمراء والقضاة ومباشريه، وأحضر جماعة من التجار، وأنكر حال الفلوس، وذلك أنها كما تقدم غير مرة أنها هى النقد الرائج بأرض مصر، فينسب إليها أثمان المبيعات وقيم الأعمال، ثم لما ضرب الملك المؤيد شيخ الدراهم المؤيدية رسم أن تنسب قيم الأعمال وأثمان المبيعات إليها، فعمل بذلك مدة من أيامه حتى مات، فعادت قيم الأعمال وأثمان المبيعات تنسب إلى الفلوس، كما كانت قبل المؤيدية، وحدث فى الفلوس مع ذلك ما لم يكن يعهد منذ ضربت، وهو أنه خلط فيها قطع الحديد وقطع النحاس وقطع الرصاص، من أجل أنها تؤخذ وزنا لا عددا، وتغافل الحكام عن إنكار ذلك فتمادى الحال على هذا من بعد موت المؤيد، حتى صارت القفة من الفلوس التى وزنها مائة رطل لا يكاد يوجد فيها قدر عشرين رطلا من الفلوس، وإنما هى - كما قدم - ذكره ما بين نحاس وحديد ورصاص وانفتح للصيارفة ونحوهم من ذلك باب ربح، وهو أنهم صاروا ينقون الفلوس ويبيعونها لمن يحملها إلى الحجاز واليمن وبلاد المغرب، كل قنطار بسبعمائة درهم، فلما بلغ السلطان ذلك أراد أن يضرب فلوسا، فاختلفوا عليه فى مقدار وزنها، فأشار بعضهم أن يكون كل ستين فلسا بدرهم أشرفى، وأشار آخرون أن تكون أوزانها مختلفة، فيها ما زنته مثقال، وفيها ما زنته غير ذلك، فجمع الناس كما تقدم ليقوى عزمه على ما يمضيه، فمازالوا به حتى رجع عن تغيير المعاملة بالفلوس التى بأيدى الناس، خوفا من وقوف أحوال الأسواق، لعنت العامة، فاستقر الرأى على أن نودى بأن يكون سعر الفلوس المنقاة من الحديد والرصاص والنحاس، بسبعة دراهم كل رطل، ويكون سعر هذه القطع بخمسة دراهم الرطل، فامتثل الناس ذلك، وصارت الفلوس صنفين بسعرين مختلفين، ومشى الحال على هذا.

وفيه أبيع الرغيف بنصف درهم فلوسا، بعدما كان بدرهم لرخاء الأسعار.

وفى سادس عشرينه: قدم الأمير أينال النوروزى نائب طرابلس باستدعاء، فأكرمه السلطان، وأنزله بدار، ثم طلب الأمير قصروه أمير أخور، وخلع عليه بنيابة طرابلس، عوضا عن الأمير أينال المذكور، وأنعم على أينال هذا بإقطاع قصروه.

وفى هذا الشهر: اتضع سعر الغلال، حتى أبيع القمح كل خمسة أرادب بدينار، ولهذا أسباب: أحدها النيل فى وقت زيادته، حتى شمل الرى عامة أراضى مصر. ثانيها غزارة الأمطار فى فصل الشتاء وتواليها أياما فأخصبت الزروع والمراعى. ثالثها رخاء الأسعار ببلاد الشام وأرض الحجاز فاستغنت العربان عن شراء الغلال، وترك التجار حملها إلى الحجاز، فتوفرت بديار مصر. رابعها أن الأمير الوزير شمس الدين أرغون شاه أستادار خرج إلى نواحى الغربية والبحيرة وعسف المزارعين والمتدركين، حتى ألجأتهم الضرورة إلى أن يبيعوا غلالهم ويقوموا له بما ألزموا به من المال، فلذلك كثرت الغلال، فاتضعت، و لله الحمد. ومع هذا فقد ساس كثير من الغلال بالوجه البحرى، فتسارع خزانها إلى بيعها خوفا عليها من التلف، و لله عاقبة الأمور.

شهر ربيع الأول، أوله السبت:

فى ثانيه: قدم الأمير الوزير أرغون شاه من الوجه البحرى، بما جمعه من الأموال التى جباها.

وفى ليلة الجمعة سابعه: عمل المولد السلطانى على العادة، فى كل سنة وحضر الأمراء وقضاة القضاة الأربع ومشايخ العلم وجمع كبير من القراء والمنشدين، فاستدعى قاضى القضاة ولى الدين أحمد بن العراقى ليحضر، فامتنع من الحضور، فتكرر استدعاؤه حتى جاء فأجلس عن يسار السلطان حيث كان قاضى القضاة زين الدين التفهنى جالسا، وقام التفهنى فجلس عن يمين السلطان، فيما يلى قاضى القضاة علم الدين صالح ابن البلقينى.

وفى ثانى عشره: توجه الأمير قصروه نائب طرابلس إلى محل كفالته.

وفى هذه الأيام: وجدت ورقة بالقصر، فيها شناعات على علم الدين بن الكويز كاتب السر، منها أنه يريد إقامة ابن الملك المؤيد شيخ فى السلطنة، فعرف من ألقاها، فدل على الذى كتبها، وهو رجل من الفقراء يقال له حسن العليمى، يخدم قبر الشيخ على بن عليم بالساحل، فاعترف أنه كتبها نصيحة للسلطان، فبعث به السلطان إلى ابن الكويز، فثبت على قوله وفاجأه بما لا يحب، فنفاه إلى بلاد الصعيد.

وفى خامس عشره: سار الأمير أرغون شاه إلى بلاد الصعيد ليجبى أهلها، كما جبى الوجه البحرى.

وفى يوم الثلاثاء خامس عشرينه: ثارت ريح مريسية طول النهار، فلما كان قبل الغروب بنحو ساعة، ظهر فى السماء صفرة من قبل مغرب الشمس، كست الجدران والأرض بالصفرة، ثم أظلم الجو حتى صار النهار مثل وقت العتمة، فكنت أمد يدى فلا أراها لشدة الظلام، فما بقى أحد بمصر إلا واشتد فزعه، فلما كان بعد ساعة وقت الغروب أخذ الظلام ينجلى قليلا قليلا، وعقبه ريح عاصف كادت المبانى تتساقط وتمادى طول ليلة الأربعاء، فرأى الناس أمرًا مهولا من شدة هبوب رياح عاصفة، وظلمة فى النهار والليل لم يعهد مثلها، بحيث كان جماعة فى هذه الليلة مسافرين وسائرين خارج القاهرة فتاهوا من شدة الظلام طول ليلتهم حتى طلع الفجر، وعمت هذه الظلمة أرض مصر حتى وصلت دمياط والإسكندرية وجميع الوجه البحرى وبعض بلاد الصعيد، ورأى بعض من يظن به الخير فى منامه كأن قائلا يقول ما معناه: لولا شفاعة رسول الله ﷺ لأهل مصر لأهلكت هذه الريح الناس، لكنه شفع فيهم، فحصل اللطف.

وفى هذا الشهر: كثر الوباء بدمشق.

وفيه أضيفت ولاية مصر وحسبتها إلى الأمير تاج الدين الشويكى والى القاهرة.

وفيه رسم بمصادرة نجم الدين عمر بن حجى قاضى القضاة الشافعى بدمشق، وشهاب الدين أحمد بن محمود بن الكشك قاضى القضاة الحنفى بها، وعدة من تجارها، فصودروا.

وفيه رسم بإيقاع الحوطة على خيول أهل الوجه البحرى من الغربية والبحيرة ونحوها فأخذت.

وفيه قدم إلى المدينة النبوية جراد عظيم أتلف عامة زروعها وأشجارها، حتى أكل الأسابيط من فوق النخل فأمحلت[1] ونزح كثير من أهلها، فمات معظم الفقراء النازحين جوعًا وعطشًا، ولا قوة إلا بالله.

شهر ربيع الآخر، أوله الأحد:

---

(١) هو أى اشتدت وحدبت، يقال أَمْحلَ المكان: أجدب. فهو ما حل. انظر القاموس المحيط «محل» المعجم الوسيط «محل».

فى ثانيه: عدى السلطان إلى بر الجيزة، وأقام بناحية وسيم فى أمرائه ومماليكه يتنزه، ثم عاد.

وفى سادس عشرينه: قدم الأمير تنبك البجاسى نائب حلب، فخلع عليه، ورتب له ما يليق به، وقدم له الأمراء على مقدارهم.

وفى هذا الشهر: كثر الوباء بدمشق.

وفيه قدم الخبر أن مدينة الكرك[1] تلاشى أمرها، وخربت قراها وتشتت أهلها، وأنها آيلة إلى الدثور.

وفيه عدى مصطفى بن عثمان من اصطنبول إلى أزنيك[2] وملكها بعدما حاصرها مدة، فسار إليه أخوه مراد بعساكره وقاتله، فظفر به وقتله، وعاد إلى برصا، وقد صفا له الجو.

شهر جمادى الأولى، أوله الثلاثاء:

فى ثالثه: توجه الأمير تنبك البجاسى إلى حلب على نيابته.

وفيه أبيع الخبز كل ثلاثة أرغفة بدرهم من الفلوس، وأبيع الأردب القمح بثمانين درهمًا، فيكون كل ثلاثة أرادب بمثقال ذهب، وكل أردب بأربعة دراهم فضة، وكل ستين رغيفًا بدرهم فضة، ولم يعهد مثل هذا الرخاء فى هذه الأزمنة، ومع ذلك فالرخاء عام بالشام والحجاز، فالله يحسن العاقبة.

وفى رابع عشره: خلع على الأمير جقمق، واستقر أمير أخور، عوضًا عن قصروه نائب طرابلس، وكانت فى هذه المدة شاغرة[3].

وفى يوم السبت تاسع عشر: أمطرت السماء مطرًا كبيرًا من أول يوم الجمعة أمسه، حتى مضى السبت، وكانت عامة فى معظم أرض مصر قبليها وبحريها، فسالت الأودية، وظهرت فى النيل زيادة نحو ذراع، ودثرت مقابر كثيرة وسقط ببلاد البحيرة برد كبار جدًا، يتعجب من كبرها وكان الزمان ربيعًا.

وفى شهر بشنس، وفى نصف نهار السبت هذا: هبت رياح قوية ألقت مبانى

---

(١) سبق ترجمتها.

(٢) أَزْنيكُ: مدينة على ساحل بحر القسطنطينية. انظر معجم البلدان ١/ ١٦٩.

(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٨٩.

عديدة وعم هبوبها فى أكثر أرض مصر، فسقط فى ناحية أبيار[1] ألف ومائتا نخلة، وسقط كثير من شجر السنط والسدر والجميز وكانت الشجرة تقتلع من أصلها وسقط كثير من طير السماء واحتملت الريح أشياء ثقيلة من أماكنها وألقتها ببعد وشملت مضرة هذا المطر وهذه الريح أشياء عديدة.

وفى هذا الشهر: انتشر ببلاد الصعيد من الطير التى يقال لها الزرازير أمة لا يحصى عددها إلا الله خالقها سبحانه، فأهلكها هذا الريح، حتى صار منها عدة كيمان يمر الفارس فيها بفرسه مدة ثلاثة أيام، ولولا هلكت لرعت الزروع.

وفيه جاء من ناحية الحجاز جراد يخرج عن الحد فى الكثرة، فلما وافى الطور يريد دخول أرض مصر كان هذا المطر، فهلك عن آخره، كفاية من الله.

وفيه تلفت زروع عدة بلاد من نواحى أرض مصر لكثرة المطر والبرد بحيث وجد فى البرد ما وزن الواحدة منه عدة أواقى، وتلفت أشجار كثيرة ونخيل كثير بالقرى من الريح، وسقط من طير السماء فيما بين الإسكندرية وبرقة شىء كثير جدًا من قوة الريح.

شهر جمادى الآخرة، أوله الأربعاء:

فى هذا الشهر: عظم الوباء بدمشق، وفشا فى البلاد إلى غزة.

وفيه تحرك سعر الغلال بأرض مصر، فارتفع الأردب القمح من مائة إلى مائة وأربعين، والشعير من سبعين درهمًا الأردب إلى مائة درهم.

وفى سابع عشره: قدم الأمير أرغون شاه من بلاد الصعيد، وقد وصل إلى مدينة هو، فجبى الأموال، وما عف ولا كف، وأحضر معه من الأغنام والأبقار والخيول ومن القند والسكر والعسل شىء كثير، فخرب فى حركتيه المذكورتين إقليم مصر، أعلاه وأسفله، ثم شرع فى رمى ما أحضره على الناس بأغلى الأثمان والعسف فى الطلب.

شهر رجب، أوله الخميس:

فيه كملت الوكالة وعلوها بخط الركتن المخلق على يد عظيم الدولة القاضى زين الدين عبد الباسط ناظر الجيوش، ولم يعسف العمال فيها، ولا بخسوا شيئًا من أجرهم، فجاءت من أحسن المواضع وكثر النفع بها.

---

(١) أبيار: بفتح أوله وسكون ثانيه بلفظ جمع البئر مخفف الهمزة: اسم قرية بجزيرة بنى نصر بين مصر والإسكندرية. انظر معجم البلدان ١/ ٨٥.

وفيه ابتدئ بهدم الحوانيت والفنادق، التى فيما بين المدرسة السيوفية[١] وسوق العنبريين لعمل[٢] موضعها مدرسة للسلطان، وكانت موقوفة على المدرسة القطبية وغيرها، فاستبدل بها أملاك أخر من غير إجبار المستحقين. وجعل الاختبار لهم فيما يستبدل به حتى تراضوا، ولم يشق عليهم. وتولى ذلك زين الدين عبد الباسط.

وفيه انحل سعر الغلال وقد أبيعت الغلال الجديدة.

وفيه قدم عدة من الفرنج الكيتلان، لزيارة القدس مستخفين، فعسر على نحو المائة منهم، وسجنوا.

وفى ثانى عشره: ابتدأت المناداة بزيادة النيل، وقد جاءت القاعدة ثمانية أذرع وعشر أصابع. وهذا مما يندر مثله.

وفيه أدير محمل الحاج على العادة[٣].

وفيه كتب بعزل قاضى القضاة الشافعى بدمشق، نجم الدين عمر بن حجى وسجنه، والكشف عنه، واستقرار شمس الدين محمد بن زيد قاضى بعلبك عوضه فى قضاء دمشق. وسبب ذلك تنكر الأمير تنبك ميق نائب الشام عليه، وتغير كاتب السر علم الدين داود بن الكويز وزين الدين عبد الباسط ناظر الجيش وبدر الدين محمد بن مُزهر ناظر الإصطبل ونائب كاتب السر، فإنه أطرح جانبهم، وصار يبلغهم عنه ما يوغر صدورهم، من استخفافه بهم لمعرفته إياهم قبل ارتفاعهم فى الأيام المؤيدية. واغتر بكثرة من يساعده من الأمراء لما له عليهم من الأفضال المستمر، فأخذ الجماعة فى مكايدته، حتى أوقعوا بينه وبين السلطان، فلم يفده مساعدة الأمراء له.

وفى يوم السبت سابع عشره: اتفقت حادثة فيها موعظة، وهى أن الأمير أرغون شاه جمع الجزارين لأخذ شىء من الأبقار التى أحضرها، ورسم على كل منهم رسولا من الأعوان الظلمة، حتى يمضى إلى بر منبابة حيث الأبقار، ويأخذ منهم ما ألزم به منها، فوافوا ساحل بولاق بكره، ونزلوا فى مركب، ونزل معهم أناس آخرون.

---

(١) تعد هذه المدرسة من جملة دار الوزير المأمون البطائحى، وقفها السلطان صلاح الدين على الحنفية، وسميت بهذا الاسم؛ لأن سوق السيوفيين كان حينئذ على بابها. انظر المواعظ والاعتبار ٢/ ٣٦٥.

(٢) كان مكان هذا السوق - سجنا فى عهد الدولة الفاطمية، فلما تسلطن السلطان المنصور قلاوون هدمه وبناه سوقا لبائعى العنبر. انظر: المواعظ والاعتبار ٢/ ١٠٢.

(٣) انظر: النجوم الزاهرة: ١٤/ ٩٠.

وأخذوا يدعون الله على أنفسهم أن يغرقهم ولا يحييهم، حتى يأخذوا هذه الأبقار ليستريحوا مما هم فيه من الغرامات والخسارات وتحكم الظلمة فيهم بالضرب والسب والإهانة. وقرأ واحد منهم فاتحة الكتاب، ودعا بذلك، وهم يؤمنون على دعائه، فما هو إلا أن توسطوا النيل وتجاوزوه حتى كادوا أن يصلوا إلى بر منبابة. وإذا بمركبهم انقلبت، فغرقوا بأجمعهم، إلا قليلا منهم، فإنهم نجوا. وكانت عدة الغرقى عشرين رجلا وأربع نسوة، فارتجت القاهرة بعويل أهاليهن عليهن، وكثرت الشناعة على الأمير أرغون شاه، وذهب الغرقى بلا قاتل ولا قود.(١)

وفى ثالث عشرينه: رسم السلطان أن لا يكون لقاضى القضاة الشافعى إلا عشرة نواب، وأن يكون للحنفى ثمانية نواب وللمالكى ستة وللحنبلى أربعة. فعمل ذلك مُديدة، ثم أعيد من عزل منهم بزيادة. وقد ساءت قالة العامة فيهم، وأكثروا من التشنيع بما يغرمه المتداعيان فى أبوابهم، حتى اتضعت نواب القضاة فى أعين الكافة، وانحطت أقدارهم عند أهل الدولة، وجهروا بالسوء من القول فيهم.

واتفق فى هذه السنة ما لم نعهده وهو انتشار الحمرة عند طلوع الفجر إلى شروق الشمس فى جميع الجهة الشمالية، التى يسميها المصريون وجه بحرى؛ وانتشار الحمرة فى الجهة الشمالية أيضًا بعد غروب الشمس حتى يمضى من الليل ساعة، وتصير الأرض والجدران وغير ذلك فى هذين الوقتين كأنها صبغت بالحمرة. وتمادى هذا الحال أربعة أشهر، وانقضى شهر رجب هذا والأمر على ذلك.

وفيه تناقص الوباء ببلاد الشام، بعدما عم كورة دمشق وفلسطين والساحل. وبلغت عدة من مات بصالحية دمشق زيادة على خمسة عشر ألف إنسان. وأحصى من ورد ديوان دمشق من الموتى فكانوا نحو الثمانين ألفًا، وكان يموت من غزة فى كل يوم مائة إنسان وأزيد، وكان معظم من مات الصغار والخدم والنساء، فخلت الدور منهم إلا قليلا.

وفيه وقع الوباء ببلاد الخليل عليه السلام.

شهر شعبان، أوله السبت:

فى يوم الجمعة سابعه: ورد الخبر بأن الأمير جانبك الصوفى فر من السجن بالإسكندرية، فلم يقدر عليه، فقبض بسببه على جماعة وعوقبوا عقوبات كثيرة.

وقدم الخبر بوقوع الوباء بدمياط.

---

(١) هو القصاص. انظر: القاموس المحيط (قود)، المعجم الوسيط (قود).

وفى يوم الخميس عشرينه: خلع على الأمير جرباش قاشق، واستقر حاجب الحجاب. وكانت شاغرة منذ انتقل جقمق عنها، وصار أمير أخور.

وفيه كتب باستقرار الأمير تنبك البجاسى نائب حلب، فى نيابة الشام، بعد موت تنبك ميق. واستقر شارقطلو نائب حماة فى نيابة حلب، عوضًا عن تنبك البجاسى، واستقر جلبان - أمير أخور الملك المؤيد شيخ - فى نيابة حماة. وقد كان من جملة أمراء دمشق. وتوجه الأمير جانبك الخازندار فى ثامن عشرينه بتقاليد المذكورين وتشاريفهم.

وفيه رسم بإعادة نجم الدين عمر بن حجى إلى قضاء القضاة بدمشق، وحمل تقليده وتشريفه.

وفيه جرى الماء فى خليج الإسكندرية، وعبرت فيه السفن، وذلك أنه غلب الرمل على أشتوم[1] بحيرة الإسكندرية[2] حتى جف ماؤها، وصارت الريح تسفى الرمال على الخليج، إلى أن علت أرضه، وجف ماؤه من بعد سنة سبعين وسبعمائة، وصار الماء لا يدخل إليه إلا أيام الزيادة، فإذا نقص ماء النيل جف الخليج. ولذلك خرجت أكثر بساتين الإسكندرية وضياعها التى على الخليج. وصار شرب أهلها من الماء المخزون بالصهاريج. وحاول السلاطين حفر هذا الخليج مرارًا، فلم ينجح عملهم، لقلة المعرفة بأمره، ثم إن السلطان ندب الأمير جرباش قاشق - أحد مقدمى الأولوف - لعمل هذا الخليج، فجمع من النواحى ثمانمائة، وخمسة وسبعين رجلا، وابتدأ فى حفره من حادى عشر جمادى الأولى من حنى فم النيل. وصار كلما حفر منه شيئًا أرسل الماء عليه من الفم، حتى انتهى حفره فى حادى عشر شعبان هذا لتمام تسعين يومًا، وعبر الماء فى اليوم المذكور إلى الإسكندرية، وقد خرج الناس لرؤيته، وسروا به سرورًا كبيرًا. وكانت كلفة الحفر مما جبى من النواحى التى تسقى من الخليج، ومن بساتين الإسكندرية.

شهر رمضان، أوله الأحد:

فى ثانيه - الموافق له سادس مسرى -: كان وفاء النيل ستة عشر ذراعًا، فنزل الأمير ناصر الدين محمد ابن السلطان، حتى خلّق عمود المقياس، وفُتح الخليج على العادة.

---

(١) أُشتُوم: بالضم ثم السكون: موضع قرب تنيس. انظر: معجم البلدان ١/ ١٩٦.

(٢) بحيرة الإسكندرية: هذه ليست بحيرة ماء، إنما هى كورة معروفة من نواحى الإسكندرية بمصر، تشتمل على قُرى كثيرة ودخل واسع. انظر: معجم البلدان ١/ ٣٥١.

وفيه قبض على الأمير سودن الأشقر أحد مقدمى الألوف، ونفى بطالا إلى القدس. ثم أنعم عليه بإمرة فى دمشق، فتوجه إليها.

وفيه خرج عدة من الأمراء إلى الإسكندرية ودمياط ورشيد، وقد ورد الخبر بحركة الفرنج، فتكامل توجههم فى سابعه.

وفى ثامن عشرينه: جمع السلطان التجار والصيارف بسبب الفلوس، فإنها من حين نودى عليها فى صفر أن تكون المضروبة بسبعة دراهم الرطل، والقطع بخمسة الرطل، قلت حتى لم تكد توجد. وسبب ذلك أن التجار كثرت تجارتهم فيها، وشدوا أحمالا كثيرة من الفلوس المنقاة، وقد بلغ القنطار منها ثمانمائة درهم، وبعثوا منها إلى الحجاز واليمن والهند وبلاد المغرب بشىء لا يدخل تحت حصر، لما لهم فيها من الفوائد. وضرب آخرون منها الأوانى النحاس كالقدور ونحوها، وباعوها بثلاثين درهمًا الرطل. وتصدى جماعة لقطع الحديد والنحاس والرصاص والقصدير، فأفرزوا كل صنف على حدة، واستعملوه فيما يصلح له، فربحوا فيها كثيرًا. ومع ذلك فمن عنده شىء منها شح بإخراجه فى المعاملة. وتصدت جماعة لجمعها، فعزت حتى لم يقدر عليها. وتوقفت أحوال الناس فى معايشهم، لفقدها. فلما اجتمع الناس عند السلطان، استقر الرأى على أن تكون الفلوس المنقاة بتسعة دراهم الرطل، وأن لا يتعامل أحد بشىء من القطع النحاس والحديد والرصاص والقصدير، ونودى بذلك، وهدد من خالف وسافر بشىء منها إلى البلاد.

شهر شوال، أوله الثلاثاء:

فى سادسه: ابتدأ الهدم فى الحوانيت والرباع التى علوها فيما بين الصنادقيين[١] ورأس الخراطين[٢]، لتبنى وكالة وربعا، تجاه العمارة الأشرفية.

وفى سابعه: قدم قاضى القضاة الحنفية بدمشق، شهاب الدين أحمد بن محمود بن الكشك، باستدعاء.

وفى يوم الخميس عاشره: خلع على جمال الدين يوسف بن الصفى الكركى، واستقر كاتب السر بعد موت علم الدين داود بن الكويز، فأذكرتنى ولايته بعد ابن

---

(١) انظر المواعظ والاعتبار ٢/ ١٠٢.

(٢) سوق الخراطين سوق كبير، وبه حوانيت الخراطين وحوانيت صناع السكاكين وصناع الدوى. نظر المواعظ والاعتبار ٢/ ١٠٣.

الكويز قول أبى القاسم خلف بن فرج الألبيرى[1] - المعروف بالسميسر - وقد هلك وزير يهودى لباديس بن حبوس الحميدى[2] أمير غرناطة من بلاد الأندلس، فاستوزر بعد اليهودى وزيرا نصرانيا:

كل يوم إلى ورا ... بدل البول بالخرا
فزماناً تهودا ... وزماناً تنصرا
وسيصبو إلى المجو ... س إذا الشيخ عُمِّرا

وقد كان أبو الجمال هذا من نصارى الكرك، وتظاهر بالإسلام فى واقعة كانت للنصارى، هو وأبو العلم داود بن الكويز، وخدم كاتبًا عند قاضى الكرك عماد الدين أحمد المقيرى. فلما قدم إلى القاهرة. وصل فى خدمته وأقام ببابه، حتى مات وهو بائس فقير، لم يزل دنس الثياب، مقتم الشكل، وابنه هذا معه فى مثل حاله. ثم خدم عند التاجر برهان الدين إبراهيم المحلى كاتبًا لدخله وخرجه، فحسنت حاله، وركب الحمار. ثم سار بعد المحلى إلى بلاد الشام، وخدم بالكتابة هناك، حتى كانت أيام الملك المؤيد شيخ، ولاّه ابن الكويز نظر الجيش بطرابلس، فكثر ماله بها. ثم قدم فى آخر أيام ابن الكويز إلى القاهرة، فلما مات وعد بمال كثير حتى ولى كتابة السر، فكانت ولايته أقبح حادثة رأيناها.

وفى رابع عشره: قدم الأمير أسندمر نائب الإسكندرية باستدعاء، فقبض عليه، ونفى إلى دمياط بطالا. واستقر الأمير أقبغا التمرازى أمير مجلس عوضه فى نيابة الإسكندرية.

---

(١) خلف بن فرج (نحو ٤٨٠هـ = ١٠٨٧م) خلف بن فرج الإلبيرى، أبو القاسم، المعروف بالسميسر: شاعر هجاء، أصله من ألبيرة وبيته فى غرناطة. أدرك الدولة العامرية وانقراضها. انظر: ابن بسام فى الذخيرة المجلد الثانى من القسم الأول ٣٧٢، الأعلام ٢/ ٣١١.

(٢) المظفر الصنهاجى (٤٦٥هـ= ١٠٧٣م) أديس بن حبوس بن ماكس الصنهاجى، أبو مناد، الملقب بالمظفر صاحب غرناطة وأعمالها. من ملوك الطوائف بالأندلس. بويع بها بعد وفاة أبيه سنة ٤٢٨هـ. وطمع به زمير العامرى (صاحب المدية) فهاجم غرناطة بجيش كثيف حتى وصل إلى بابها (سنة ٤٢٩) فقاتله باديس، فظفر، وقتل زهير فى آخر المعركة. وأراد احتلال إشبيلية، فأرسل إليه ابن عياد ابنا له اسمه إسماعيل بن محمد، فقاتله رحال باديس، وقتل إسماعيل وانهزم من معه إلى إشبيلية (سنة ٤٣٤) فارتفع شأن باديس وهابه نظراؤه . وكانت خطبته للأدارتة من بنى حمود أصحاب مالقة فنشأت بينه وبين المهدى الحمودى عداوة، فأرسل إليه باديس كأسا مسمومة فقتله (سنة ٤٤٤هـ) وخضعت له مالقة. انظر: الإحاطة ١/ ٢١٩، سيد النبلاء - خ - المجلد ١٠، العبر ٦/ ١٨٠ البيان المغرب ٣/ ١٦٧ - ٢٦٦. الأعلام ٢/ ٤٠.

وفى سادس عشره - الموافق له رابع عشرين توت -: انتهت زيادة النيل إلى تسعة عشر ذراعًا، تنقص إصبعًا واحدًا، وابتدأ نقصه من الغد.

وفى تاسع عشره: خرج محمل الحاج صحبة الطواشى افتخار الدين مثقال مقدم المماليك، ورحل من بركة الحاج فى ثالث عشرينه، وقد تقدمه الركب الأول صحبة الأمير أينال الششمانى(١) أحد أمراء العشرات.

وفى رابع عشرينه: خلع على نقيب الأشراف، السيد الشريف بدر الدين حسن بن الشريف النقيب على، وأضيف إليه نظر وقف الأشراف، عوضًا عن شرف الدين محمد ابن عبد الوهاب بن نصر الله. وكان قد باشر وقف الأشراف بعفة ونهضة، وأنفق للأشراف فى كل سنة أزيد مما كانت عادتهم.

وفى سادس عشرينه: نزل السلطان إلى عمارته.

وفيه خلع على صدر الدين أحمد بن العجمى، واستقر فى نظر الكسوة، عوضًا عن شرف الدين المذكور، وفى نظر الجوالى عوضًا عن قاسم بن البلقينى وخلع على الأمير زين الدين عبد القادر ابن الأمير فخر الدين بن أبى الفرج، واستقر كاشف الشرقية. وكان الكشف بيد الأمير أرغون شاه أستادار.

وفى سابع عشرينه: قبض على أرغون شاه المذكور لعجزه - مع ظلمه وعسفه - عن جامكية المماليك، فإن مصروف الديوان المفرد عظم، وصارت البلاد المفردة له - مع مظالم العباد - لا تفى به.

وفى ثامن عشرينه: خلع على ناصر الدين محمد بن شمس الدين محمد بن موسى المرداوى، المعروف بابن أبى والى، واستقر أستادارًا، عوضًا عن أرغون شاه. وعوقب

---

(١) أينال بن عبد الله الششمانى الناصرى (٨٥ هـ = ١٤٤٧ م)، الأمير سيف الدين. أصله من مماليك الملك الناصر فرج، وممن صار فى أيام أستاذه أمير عشرة. ولما آلت السلطنة إلى الملك المؤيد شيخ، قبض عليه، وحبسه سنين إلى قريب موته أفرج عنه، فأقام من جملة الأجناد إلى أن أنعم عليه الملك الظاهر ططر بإمرة عشرة، فدام على ذلك سنين فى دولة الأشرف برسباى إلى أن ولاه حسبة القاهرة، ثم جعله أمير طبلخاناة، وثانى رأس نوبة، ثم استقر فى نيابة صفد بعد وفاة الأمير مقبل الدوادار، فباشرها سنيات، وعزل واتجه إلى دمشق أمير مائة ومقدم ألف بها، فدام على ذلك إلى أن نقله الملك الظاهر جقمق إلى أتابكية دمشق، بعد الأمير قانى باى البهلوان، بحكم انتقاله إلى نيابة صفد بعد الأمير أينال العلائى الأجرود، فدام على ذلك إلى أن توفى بدمشق فى شهر ربيع الآخرة سنة إحدى وخمسين وثمانمائة. وكان ضخمًا، معتدل القامة، مليح الشكل، عفيفا عن المنكرات والفروج، إلا أنه كان بخيلا، جبانًا. انظر المنهل الصافى ٣/ ٢٠٧، ٢٠٨.

أرغون شاه بين يدى السلطان. ومن خبر ابن أبـى والى هـذا أن أباه مـن تجار القـدس، وتزيا هو بزى الأجناد، وخدم أستادار الأمير جقمق الدوادار فى أيام المؤيد بديـار مصر مدة، ثم صادره وصرفه، فخـدم أستادار نـائب الشام مـدة. وكثر مالـه، فأحضر مـن دمشق إلى القاهرة فى هذا الشهر، وألزم بحمل عشرين ألف دينـار، فوعـد أن يحمـل فـى هذا اليوم ثلاثة آلاف دينار. فلما قبض على أرغـون شـاه، سـولت لـه نفسـه وزيـن لـه شيطانه أن يكون أستادارًا، ويسد المبلغ الذى ألزم به منها، فاستقر[١].

وفيه خلع أيضًا على كريم الدين عبد الكريم ابن الوزيـر الصـاحب تـاج الديـن عبـد الرزاق ابن كاتب المناخ، واستقر فى الوزارة، عوضًا عن أرغون شاه.

وفى تاسع عشرينه: سلم أرغـون شـاه إلى الأمـير نـاصر الديـن محمـد بـن أبـى والى أستادار ليستخلص منه ستين ألف دينار، فنزل من القلعة مـع أعـوان الـوالى حتـى دخـل داره التى كان يسكنها أرغون شاه وقـد سـكنها ابـن أبـى والى، فعندمـا دخلهـا بكـى، وكان فى بلائه هذا أعظم عبرة. وذلك أن ابن والى فى ابتداء حاله كان من جملة أجنـاد أرغون شاه الذين يخدمونه أيام عمله وهو أستادار نوروز الحافظى، فدارت الدوائر حتـى صار ابن أبى والى أستادار عوضًا عن أرغون شاه، وسكن فـى داره بالقـاهرة التـى كـان بالأمس يتردد إليه فيها. ويجلس حتى يستأذن له عليه. ثـم أخـذ ليعلقـه فـى هـذه الـدار، يحضره من كان يخدمـه بهـا. أعاذنـا الله تعـالى مـن سـوء العاقبـة وزوال نعمـه، ورزقنـا العافية بمنه وكرمه.

وفيه خلع على الأمير إينال النوروزى الذى كان نائبًا بطرابلس، واستقر أمير مجلـس، عوضًا عن أقبغا التمرازى نائب الإسكندرية.

شهر ذى القعدة، أوله يوم الخميس:

فيه قدم للسلطان إخوان من بلاد الجركس فى ستين من الجراكسـة، فخـرج الأمـراء إلى لقائهم.

وفيه توجه الأمير قجق أمير سلاح، والأمير أركماس الظاهرى أحد مقدمى الألـوف، والقاضى زين الدين عبد الباسط ناظر الجيوش إلى مكة، على الرواحل حاجين.

وفى رابعه: تقرر على أرغون شاه عشرة آلاف دينار حالة يقوم بها، ويمهل فى مبلـغ عشرين ألف دينار مدة، فأفرج عنه.

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٩٣.

وفى سادسه: وصلت هدية الأمير قصروه نائب طرابلس، وهى مائة وخمسون فرسًا، وكثير من القماش والفرو.

وفى هذه الأيام: هبط ماء النيل سريعًا مع فساد جسور النواحى، من سوء سيرة ولاة عملها، فانقطعت منها مقاطع كثيرة، شرق بسببها عدة أراضى بالوجه القبلى وبالوجه البحرى وبالجيزة، فنسأل الله اللطف. هذا، والغلال رخيصة، فالقمح بمائة وأربعين درهمًا من الفلوس كل أردب، والشعير والفول بسبعين درهمًا الأردب.

وفى يوم الأربعاء خامس عشره – الموافق له ثانى عشرين بابه –: والشمس فى الدرجة الخامسة من برج العقرب، حدث فى السماء راعد شديد وبرق، ثم مطر كثير جدا، لم نعهد مثله فى مثل هذا الزمان. ومع ذلك فالحر موجود، فسبحان الفعال لما يريد.

وفى سادس عشره: قدم الأمير جانبك الخازندار من الشام، وقد قلد النواب، فخلع عليه، واستقر دوادارًا ثانيًا، عوضًا عن الأمير قرقماس المتوجه إلى الحجاز، بحكم انتقاله إلى تقدمة ألف. وجانبك هذا رباه السلطان صغيرًا، فحفظ حق التربية، بحيث أن جقمق نائب الشام لما ثار بعد موت المؤيد وقبض على السلطان، وهو يومئذ من أمراء دمشق، وسجنه، بذل الرغائب لجانبك هذا، فلم تستمله الدنيا، وثبت على خدمة أستاذه حتى خلصه الله، فوفى السلطان له بذلك، وأنعم عليه بإمرة عشرة، ثم إمرة طبلخاناة، وبعثه لتقليد نواب الشام فأثرى. ولما قدم، صار دوادارًا. وفى الحقيقة هو صاحب التدبير فى الدولة نقضًا وإبرامًا، لكثرة اختصاصه بالسلطان، ومزيد قربه منه(١).

وفى سادس عشرينه: ثارت المماليك بأستادار لعجزه عن تكملة النفقة، وضربوه، ففر حتى التجأ إلى بيت بعض الأمراء.

وفى ثامن عشرينه: ختم على مطابخ السكر، وألزم من يدولب طبخ السكر ألا يتعرض أحد منهم لعمله، ومنعت باعة السكر وباعة الحلوى من شراء السكر إلا من سكر السلطان. وعمل لذلك ديوان، وأقيم له جماعة ليدولبوا السكر، فامتنع كل أحد من بيع السكر، إلا السلطان، ومن شراه إلا من سكر السلطان، فضاق الناس ذرعًا بذلك، وتضرر به جماعة عديدة(٢).

شهر ذى الحجة، أوله الجمعة:

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٩٥.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٩٥.

فى ثالثه: ركب الأمير ناصر الدين محمد ابن السلطان للسرحة فى عدة من الأمراء حتى اصطاد، ودخل القاهرة من باب النصر، وصعد القلعة من باب زويلة. ومولده فى سنة تسع عشرة. وركب أيضا فى سادسه.

وفى هذه الأيام: اشتد الفحص عن الأمير جانبك الصوفى، وعوقب بعض المماليك حتى هلك بسببه. وقبض على أصهاره وعوقب بعضهم، وأخذت له أشياء وجدت له.

وفيها تحرك سعر الغلال، وفشت الأمراض فى الناس من الحميات.

وفى ليلة السبت سادس عشره: زلزلت القاهرة زلزلة كلمح البصر، ثم زلزلت كذلك فى ليلة الأحد.

وفى حادى عشرينه: ألزم الناس أن لا يتعاملوا بالذهب الإفرنتى المشخص، إلا من حساب كل دينار بمائتين وعشرين فلوسًا، وكان آخر ما استقر عليه الحال أن الدينار بمائتين وخمسة وعشرين، فلم يتغير صرفه عن ذلك مدة إلى أثناء هذه السنة، زادت العامة فى صرفه حتى بلغ مائتين وثلاثين، فأنكر السلطان ذلك عندما بلغه، ورسم أن ينقص كل دينار عشرة دراهم، حتى يبقى بمائتين وعشرين درهمًا، فخسر الناس مالا كثيرًا.

وفى ثامن عشرينه: قدم مبشرو الحاج، وأخبروا برخاء الأسعار، وكثرة الأمطار، وأن الشريف حسن بن عجلان لم يقابل أمير الحاج ونزح عن مكة، لما بلغه من الإرجاف بمسكه، فنودى من يومه بعرض الأجناد البطالين، ليجهزوا إلى التجريدة بعد النفقة عليهم لغزو مكة، فاستشنع ذلك.

وفيه كبست عدة أماكن بسبب جانبك الصوفى فلم يوجد.

وفى هذه السنة: اشتد غضب متملك الحبشة وهو أبرم - ويقال له إسحاق بن داود بن سيف أرعد - بسبب غلق كنيسة قمامة بالقدس، وقتل عامة من فى بلاده من الرجال المسلمين، واسترق نساءهم وأولادهم، وعذبهم عذابا شديدًا، وهدم ما فى مملكته من المساجد، وركب إلى بلاد جبرت[1] فقاتلهم وقتل عامة من فيها، وسبى نساءهم وذراريهم، وهدم مساجدهم، فكانت فى المسلمين ملحمة عظيمة جدًا لا يحصى عدد من قتل فيها.

وفى هذه السنة: حدث أمر الناس فى غفلة عنه معرضون، وهو أنه أخبرنى من لا

---

(١) جبرت: مدينة من أكبر مدن الحبشة، تقع غربى زيلع، وأهلها مسلمون. نظر تقويم البلدان.

أتهم فى سنة إحدى وتسعين وسبعمائة أن الأرضة التى من طبعها إفساد الكتب والثياب الصوف، أكلت له بناحية مرج الزيات - ظاهر القاهرة - ألفا وخمسمائة قتة[١] دريس وهذا الدريس يحمله خمسة عشر جملا وأكثر. فكثر تعجبى من ذلك، ومازلت أفحص عنه على عادتى فى الفحص عن أحوال العالم حتى وقفت على أن ضرر الأرضة تعدى بناحية مرج الزيات، فأتلفت الأخشاب والثياب عندهم، وقوى ضررها حتى شاهدت تلك الأعوام حوائط البساتين التى بناحية المطرية وقد جددت الأرضية فيها أخاديد طوالا. ثم لما كان بعد سنة عشرين وثمانمائة كثر عبث الأرضة بالحسينية خارج القاهرة، حتى صارت أخشاب سقوف الدور ترى مجوفة من داخلها، فشرع أربابها فى الهدم حتى أتوا على معظم تلك الديار، والأرضة ضررها يفحش، إلى أن وصلت الدور التى بباب النصر. وقد كثر ضررها أيضا بالمدينة النبوية. وحدثت فى هذه الأعوام بمكة أيضًا، وفى سقف الكعبة. ولقد مر بى قديما فى كتب الحدثان مما أنذر بوقوعه فى هذا الزمان، أن يسلط على الناس الحيوان الردىء، فكنت أفكر فى ذلك زمانا وأقول كيف يسلط الحيوان على الناس وأحسب ذلك من جملة ما رمزوه، حتى كان من أمر الأرضة ما كان، فعلمت أنها هى الحيوان المعنى، ولعمرى هذا أمر له ما بعده.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

تاج الدين فضل الله بن الرملى ناظر الدولة، فى حادى عشرين صفر وباشر نظر الدولة عدة سنين، وأناف على الثمانين، وسئل بالوزارة غير مرة فامتنع. وكان من ظلمة الكتاب الأقباط وفساقهم[٢].

وقتل ناصر الدين عبد الرحمن بن محمد بن صالح[٣] قاضى المدينة النبوية، ليلة السبت رابع عشرين صفر.

---

(١) القت: علف للدواب، وهو نباتات عشبية كلئية، فيه أنواع تزرع وأخرى تنبت برية فى المروج والحقول. انظر لسان العرب (قت)، المعجم الوسيط (قت).

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٢٩٣.

(٣) عبد الرحمن بن محمد بن صالح (٨٢٦ هـ = ١٤٢٢ م) قاضى القضاة ناصر الدين المدنى ولى قضاء المدينة مدة سنين إلى أن توفى ليلة السبت رابع عشر صفر سنة ست وعشرين وثمانمائة. وكان فاضلا، مشكور السيرة، عفيفا. انظر المنهل الصافى ٧/ ٢١١ والنجوم الزاهرة ١٥/ ١١٦، أنباء الغمر ٣/ ٣١٧، نزهة النفوس ٣/ ٣٦، التحفة اللطيفة ٢/٥٣٢، الضوء اللامع ٤/ ١٣١.

وقتل ناصر الدين محمد باك بن على باك بن قرمان، متملك بلاد قرمان فى صفر بحجر مدفع أصابه فى حرب مع عساكر مراد بن كرشجى متملك برصا. وقد ذكرنا قدومه أسيرا فى الأيام المؤيدية شيخ ثم أفرج عنه بعد موته[(١)].

ومات الأمير قطلوبغا التنمى أحد أمراء الألوف فى الأيام المؤيدية شيخ، وهو بطال بدمشق. فى ليلة السبت سابع عشرين ربيع الأول[(٢)].

وماتت خوند زينب ابنة الظاهر برقوق فى ليلة السبت ثامن عشرين ربيع الآخر وهى آخر من بقى من أولاد الظاهر، لصُلبه.

وماتت ابنتى فاطمة يوم الأربعاء ثالث عشرين ربيع الأول، وهى آخر من بقى من أولادى، عن سبع وعشرين سنة وستة أشهر.

ومات الأمير غرس الدين خليل الجشارى، نائب الإسكندرية - كان - وهو من جملة أمراء دمشق فى شهر رجب.

ومات الأمير تنبك ميق العلاى نائب الشام، فى يوم الإثنين ثامن عشر شعبان. وكان مع ظلمه سخيفًا ماجنا متجاهرًا. وهو من جملة المماليك الذين أثاروا الفتن. وفر من الناصر فرج، ولحق بشيخ المحمودى وهو ببلاد الشام، فلزمه حتى تسلطن، فرقاه كما تقدم.

ومات قاضى القضاة ولى الدين أبو زرعة أحمد بن الشيخ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقى الشافعى فى يوم الخميس سابع عشرينه، عن خمس وستين سنة. وقد نشأ على أجمل طريقة، وبرع فى الحديث الشريف والفقه، وشارك فى فنون، وناب فى الحكم بالقاهرة عن العماد أحمد بن عيسى الكركى، ومن بعده. ثم ترفع عن ذلك، وتصدى للإفتاء والتدريس، حتى ولى القضاء ثم صرف عنه كما تقدم[(٣)].

ومات علم الدين داود بن زين عبد الرحمن بن الكويز الكركى، كاتب السر، فى يوم الإثنين سلخه، ولم يبلغ الخمسين سنة. ودفن خارج القاهرة. وكان الجمع فى جنازته موفورًا. وقد كان أبوه من كتاب الكرك النصارى، يقال له جرجس، فأظهر الإسلام، وتسمى عبد الرحمن، وباشر عدة جهات بالكرك ودمشق والقاهرة، آخرها

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٢٩٣، ٢٩٤.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٢٩٤.

(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٢٩٥.

نظر الدولة. وخدم ابنه داود هذا في الجيزة، ثم لحق بالشام، وباشر نظر جيش طرابلس. واتصل بالمؤيد شيخ المحمودي - هو وأخوه صلاح الدين خليل فولاه نظر الجيش بدمشق. وعمل أخاه صلاح الدين في ديوانه فقبض عليهما في سنة اثنتي عشرة، وحملا إلى القاهرة على حمارين في أسوأ حال. ثم أفرج عنهما ففرا إلى دمشق. ومازالا في خدمة شيخ حتى قدم بهما إلى مصر وتسلطن، فولى داود هذا نظر الجيش، ثم ولاه ططر كتابة السر. وكانت تؤثر عنه فضائل، منها أنه يلازم الصلاة، وصيام أيام البيض من كل شهر، ويتنزه عن القاذورات المحرمة كالخمر واللواط والزنا، ويتصدق كل يوم على الفقراء، إلا أنه كان متعاظما، صاحب حجاب وإعجاب، مع بعد عن جميع العلوم. ولكنه في الألفاظ ذو شح زائد، وحفظت عليه ألفاظ تكلم بها سخر الناس منها زمانا، وهم يتناقلونها، وكان مهابا إلى الغاية متمكنا في الدولة، موثوقا به فيها، بحيث مات ولا أحد أعلا رتبة منه[١].

ومات قاضي القضاة مجد الدين سالم بن سالم بن أحمد المقدسي الحنبلي، يوم الخميس تاسع عشرين ذي القعدة، وقد بلغ الثمانين، وابتلى بالزمانة[٢] والعطلة عدة سنين وكان يعد من نبهاء الحنابلة وخيارهم. وباشر القضاء[٣].

* * *

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٢٩٥.

(٢) الزَّمَانَةُ: مرض يدوم أي: العاهة. انظر: المعجم الوسيط (زمن).

(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٢٩٤.

سنة سبع وعشرين وثمانمائة

أهلت هذه السنة وسلطان مصر والشام والحجاز الملك الأشرف أبو العز برسباى. والأمير الكبير الأتابك بيبغا المظفرى. والدوادار الكبير سودن بن عبد الرحمن. وأمير سلاح قجق. وأمير مجلس أينال النوروزى. وأمير أخور جقمق. ورأس نوبة أزبك. وحاجب الحجاب جرباش قاشق. والوزير كريم الدين عبد الكريم بن عبد الرزاق[1] بن محمد ابن كاتب المناخ. وناظر الخاص بدر الدين حسن بن نصر الله. وكاتب السر جمال الدين يوسف بن الصفى الكركى. وأستادار ناصر الدين محمد بن محمد بن أبى والى القدسى. ونائب الشام تنبك البجاسى. ونائب حلب شارقطلوا. ونائب حماة جلبان ونائب طرابلس قصروه. ونائب صفد مقبل. ونائب الإسكندرية أقبغا التمرازى. والسلطان فى قلق من جانبك الصوفى، وهو حثيث الطلب له، والفحص عنه. والناس فى تخوف من ذلك، فما بين الواحد وبين هلاكه، إلا أن يقول عدو له: «جانبك الصوفى عند فلان» فيؤخذ ويعاقب حتى يهلك.

ومع ذلك فالناس فى ضيق من الحجر على السكر، والامتناع من بيعه إلا للسلطان بأربعة آلاف درهم القنطار، ولا يشتريه أحد إلا من الحوانيت التى يباع منها سكر السلطان.

شهر الله المحرم، أوله الأحد:

فى ثانيه: قدم الأمير مقبل نائب صفد باستدعاء، فأكرمه السلطان، وخلع عليه

---

(١) عبد الكريم بن عبد الرزاق بن عبد الله بن عبد الوهاب (٨٥٢ هـ = ١٤٤٨ م)، الصاحب كريم الدين ابن الصاحب تاج الدين بن شمس بن علم الدين، الشهير بابن كاتب المناخ، القبطى الأصل المصرى. ولد بالقاهرة، وأمه أم ولد رومية، ونشأ بها تحت كنف والده، وعرف قلم الديونة بحسب الحال، وخدم فى عدة جهات، وباشر عند جماعة من أعيان الأمراء، ثم ولى نظر الديوان المفرد، ثم ولى الوزر بعد عزل الأمير أرغون شاه النوروزى الأعور - فى حياة والده - بعد استغناء والده من الوزر بأشهر، فإن والده كان عزل عن الوزر بأرغون شاه فى يوم الإثنين ثامن ذى الحجة سنة خمس وعشرين وثمانمائة، «وكان لبس الصاحب كريم الدين هذا للوزر فى ثامن عشرين شوال سنة ست وعشرين وثمانمائة». انظر المنهل الصافى ٧/ ٣٤٠ وما بعدها والدليل الشافى ١/ ٤٢٥، النجوم الزاهرة ١٥/ ٥٢٧ حوادث الدهور ص ٣٠، الضوء اللامع ٤/ ٢١٣.

خلعة الاستمرار[١].

وفى رابعه: ركب السلطان فى طائفة يسيرة، وعبر من باب زويلة ، حتى شاهد عمارته. ومضى عائدا إلى القلعة من باب النصر، وهو بثياب جلوسه، كآحاد الأجناد، من غير شعار المملكة.

وفى ثامنه: قدم الأمير قجق، والأمير أركماس، والقاضى زين الدين عبد الباسط من الحجاز على الرواحل، فخلع عليهم. وقدم معهم الشريف مقبل أمير ينبع، راغبا فى الطاعة، فخلع عليه[٢].

وفى رابع عشره: توجه الأمير مقبل عائدًا إلى صفد، على عادته.

وفى حادى عشرينه: قدم الركب الأولى من الحجاج. وقدم من الغد المحمل ببقية الحاج. وتأخر الأمير قرقماس الدوادار فى ينبع، وطلب عسكرًا ليقاتل به الشريف حسن بن عجلان، ويستقر عوضه فى إمارة مكة، فأجيب إلى ذلك. ونودى فى الأجناد البطالين بالعرض، كما تقدم. وعين منهم ومن المماليك السلطانية جماعة ليسافروا صحبة حسين الكردى الكاشف.

وفى ثالث عشرينه: خلع على الأمير سودن بن عبد الرحمن الدوادار، واستقر نائب الشام، عوضا عن تنبك البجاسى، ونزل من القلعة سائرًا إلى دمشق، من غير أن يدخل داره، فى عدة من مماليكه على خيولهم بغير أثقال. وكان قد تحدث منذ أيام بمخامرة تنبك.

وفى سادس عشرينه: قدمت رسل مراد بن عثمان صاحب برصا بهدية.

وفيه خلع على الشريف على بن عنان بن مغامس، واستقر فى إمارة مكة شريكا للأمير قرقماس.

وفى ثامن عشرينه: خلع على الشيخ شهاب الدين أبى الفضل أحمد بن على بن حجر، مفتى دار العدل، واستقر فى قضاء القضاة بديار مصر، عوضا عن قاضى القضاة علم الدين صالح بن البلقينى.

وفى هذا الشهر: كثرت الأمطار بالقاهرة والوجه البحرى كثرة زائدة. واشتد البرد إلى غاية لم نعهد مثلها، حتى جمد الماء فى بعض الأوانى، وتجلد الطل فى الأسحار على

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٩٦.
(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٩٦.

الأرض وعلى الزروع. وهلكت دواب كثيرة بالأرياف من البرد، وسقطت دور كثيرة بها من الأمطار، ورؤى الثلج على جبل المقطم.

شهر صفر، أوله الثلاثاء:

فى عاشره: قدم شمس الدين محمد الهروى من القدس، متعرضا بعوده إلى القضاء وغير ذلك من المناصب.

وفى رابع عشره: قدم الخبر بخروج تنبك البجاسى عن الطاعة ومحاربته أمراء دمشق. وسبب ذلك أنه لما ولى سودن بن عبد الرحمن نيابة الشام، تقدمت الملطفات السلطانية إلى أمراء دمشق، بالقبض على تنبك البجاسى، فأتوا دار السعادة فى ليلة الجمعة رابعه، واستدعوه ليقرأ عليه كتاب السلطان، فارتاب من ذلك، وخرج من باب السر، وقد لبس السلاح فى جمع من مماليكه. فثار إليه الأمراء واقتتلوا معه حتى مضى صدر نهار الجمعة، فانهزموا منه، وتحصن طائفة منهم بالقلعة، ومضى آخرون إلى سودن بن عبد الرحمن، وقد نزل على صفد.

وفى تاسع عشره: خلع على نور الدين السفطى - أحد مباشرى دواوين الأمراء - واستقر فى وكالة بيت المال، بعد موت شرف الدين يعقوب بن الجلال التبانى.

وفى ثانى عشرينه: نودى بأن يُمكن الناس من طبخ السكر وبيعه وشرائه، وارتفع تحكيره، وتضمين بيعه، فسر الناس بذلك.

وقدم الخبر بأن الأمير سودن بن عبد الرحمن لما نزل على صفد تلقاه الأمير مقبل نائبها، ونزل معه على جسر يعقوب. خرج تنبك البجاسى من دمشق بعدما تقدم ذكره من محاربة الأمراء حتى نزل على الجسر فى يوم الجمعة حادى عشره، وقد قطع سودن بن عبد الرحمن الجسر فباتوا يتحارسون، وأصبحوا يوم السبت ثانى عشره يترامون نهارهم كله حتى حجز الليل بينهم، فباتوا ليلة الأحد على تعبيتهم. وأصبح تنبك يوم الأحد ثالث عشره راحلا إلى جهة الصبيبة، فى انتظار ابن بشارة أن يأتيه تقوية له، فكتب سودن بذلك إلى السلطان، وركب بمن معه على جرائد الخيل، وترك الأثقال فى مواضعها مع نائب القدس. وساق حتى دخل دمشق فى يوم الأربعاء سادس عشره، فتمكن من القلعة. فللحال أدركهم تنبك، وقد بلغه مسيرهم، فلقوه عند باب الجابية، وقاتلوه، فثبت لهم مع كثرتهم، وقاتلهم أشد قتال، والرمى ينزل عليه من القلعة، فتقنطر عن فرسه لضربة أصابت كتفه، حتى خلّته فتكاثروا عليه، وجروه إلى القلعة، ومعه نحو عشرين من أصحابه. وكتب بذلك للسلطان، فقدم الكتاب الأول من

جسر يعقوب فى يوم الأحد عشرينه، فاضطرب الناس، ووقع الشروع فى السفر، وأحضرت خيول كثيرة من مرابطها بالربيع، فقدم الخبر الثانى بأخذ تنبك البجاسى بدمشق، فدقت البشائر، وكتب بقتل تنبك، وحمل رأسه إلى مصر، وتتبع من كان معه. وبطلت حركة السفر.

وفيه ابتدئ بهدم المأذنة التى أنشأها الملك المؤيد شيخ على باب الجامع الأزهر، من أجل أنها مالت حتى قرب سقوطها.

وفى رابع عشرينه: خلع على الشيخ سراج الدين عمر بن على بن فارس الخلاطى[1] المعروف بقارئ الهداية. واستقر فى مشيخة خانقاه شيخو، عوضا عن شرف الدين يعقوب بن التبانى.

وفى سابع عشرينه: نودى على جانبك الصوفى، ووعد من أحضره بألف دينار، وإن كان جنديا بإمرة عشرة وهدد من أخفاه وظهر عنده، بإحراق الحارة التى هو ساكن بها، وحلف المنادى على كل واحدة مما ذكر يمينا عن السلطان.

شهر ربيع الأول، أوله الخميس:

فيه خلع على ولى الدين محمد السفطى الشافعى، واستقر فى إفتاء دار العدل، لا عن أحد.

وفى ثانيه: نودى بالخروج إلى حرب مكة، فاستشنع ذلك. وكان قد بطل أمر التجريدة إلى مكة، شغلا بخبر تنبك البجاسى. فلما تفرغ قلب السلطان اشتغل بأمر مكة.

وفى رابعه: أنفق فى المجردين مبلغ أربعين دينارًا، لكل واحد.

وفى حادى عشره: قدم رأس تنبك البجاسى وعلق على باب النصر.

وفى يوم الخميس خامس عشره: رسم بفتح كنيسة قمامة بالقدس، ففتحت.

وفى سابع عشره: ركب السلطان حتى عبر من باب زويلة وشاهد عمارته ومضى من باب النصر إلى القلعة، وهو بثياب جلوسه، من غير شارة الملك.

---

(١) قارئ الهداية (٨٢٩هـ = ١٤٢٦م) عمر بن على بن فارس الكنانى القاهرى الحسينى، أبو حفص، سراج الدين المعروف بقارئ الهداية، فقيه حنفى، من أهل «الحسينية» بالقاهرة، ونسبته إليها. انتهت إليه رياسة الحنفية فى زمنه. وتصدى للإفتاء والتدريس، ولم يُقبل على التصنيف لتوقف فى ذهنه. انظر: الضوء اللامع ١٠٩/٦، شذرات الذهب ٧/ ١٩١، كشف الظنون ٢٠٣٤ الأعلام ٥/ ٥٧.

وفى ثامن عشره: خرجت التجريدة إلى مكة، صحبة الشريف على بن عنان.

وفى يوم الثلاثاء عشرينه: خلع على شمس الدين محمد بن عبد الدايم البرماوى، واستقر فى تدريس الفقه للشافعية بالجامع المؤيدى، وكان بيد قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن حجر.

وفى سابع عشرينه: خلع على الأمير أزبك رأس نوبة، واستقر دوادارًا كبيرًا، عوضا عن الأمير سودن من عبد الرحمن نائب الشام، وكانت شاغرة هذه المدة. وخلع على الأمير تغرى بردى المحمودى[1] واستقر رأس نوبة، عوضا عن الأمير أزبك[2].

---

(١) تغرى بردى بن عبد الله المحمودى الناصرى (٨٣٦ هـ = ١٤٣٣ م)، الأمير سيف الدين، رأس نوبة النوب، ثم أتابك دمشق. نسبته إلى الملك الناصر فرج بن برقوق، اشتراه وأعتقه ورقاه إلى أن أنعم عليه بإمرة عشرة بالديار المصرية، ودام على ذلك إلى أن قتل الملك الناصر، وتسلطن الخليفة المستعين با لله من بعده، وصار الأمير نوروز الحافظى نائب دمشق بعد والدى وأضيف إليه من الفرات إلى المدينة غزة يولى فيها من يشاء ويعزل من يشاء انضم إليه تغرى المحمودى هذا، وصار من جملة أمرائه وحزبه، إلى أن تسلطن المؤيد شيخ وخرج نوروز عن طاعته وافقه تغرى بردى هذا على العصيان، واستمر عنده إلى أن ظفر المؤيد بالأمير نوروز وجماعته حبس تغرى بردى هذا مدة طويلة بحبس المرقب، ثم أطلقه قبل موته بمدة يسيرة، فلما مات المؤيد وصار ططر مدبر ملك ولده الملك المظفر أحمد أنعم على تغرى بردى المذكور بإمرة طبلخاناة، ثم لما تسلطن حعله أمير مائة ومقدم ألف المصرية، واستمر على ذلك إلى أن أخلع عليه الملك الأشرف برسباى باستقراره رأس نوبة النوب بعد انتقال الأمير أزبك منه إلى الدوادارية الكبرى عوضا عن الأمير تلبك البجاسى فى سنة سبع وعشرين وثمانمائة، فباشر الوظيفة بحرمة وافرة وعظمة زائدة، ونالته السعادة، وعظم فى الدولة. وتوحه إلى غزو قبرس مقدما على العساكر إذا حلوا بجزيرة قبرس، وكان الأمير أينال الجكمى مقدما على العساكر فى المركب، وعاد من غزو قبرس بعد النصرة والظفر بصاحب قبرس، وحج أمير حاج المحمل فى بعض السنين بتحمل زائد وعظمة وافرة. ولازال فيما هو فيه إلى أن قبض عليه الملك الأشرف فى يوم الثلاثاء عاشر جمادى الآخرة ثلاثين وثمانمائة، وقيد وأخرج إلى الإسكندرية ليحبس بها، فاتفق بمسكه أمر عجيب، وهو أن رحلا يعرف بابن الشامية من مباشريه لما بلغه القبض عليه، خرج إلى حهة القلعة فوافاه نزول أستاذه مقيدا، فصار يصرخ ويبكى وهو ماشيا معه تجاه فرسه حتى وصل إلى ساحل البحر، فأنزلوا أستاذه فى الحراقة ليمضوا به، فاشتد صراخه حتى سقط ميتا، واستمر الأمير تغرى بردى المذكور بحبس الإسكندرية مدة إلى أن أفرج عنه، ورسم له بالإقامة بثغر دمياط بطالا، فرام بالثغر المذكور إلى أن نقل إلى دمشق أتابك العساكر بها، عوضا عن الأمير قانى باى الحمزاوى بحكم انتقاله إلى إمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية، فاستمر بدمشق إلى أن تجرد الملك الأشرف فى سنة ست وثلاثين وثمانمائة إلى آمد بديار بكر وحاصرها، فكان الأمير تغرى بردى هذا ممن توجه إليها مع العسكر الشامية صحبة السلطان، فأصابه سهم فى رحله لزم منه الفراش إلى أن مات فى شهر شوال من السنة المذكورة، ودفن بآمد ثم نقل صحبة العساكر فى عودهم إلى حهة الديار المصرية إلى مدينة الرها، فدفن بها. انظر المنهل الصافى ٤/ ٥١: ٥٣، الدليل الشافى ١/ ٢١٧، النجوم الزاهرة ١٥/ ١٧٩، أنباء الغمر ٣/ ٥٠٤، نزهة النفوس ٣/ ٢٦٨، الضوء اللامع ٣/ ٢٩.

شهر ربيع الآخر، أوله الجمعة:

فى ثانيه: خلع على قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن حجر، وأعيد إلى تدريس الجامع المؤيدى. وخلع على البرماوى واستقر نائبا عن حفيد قاضى القضاة ولى الدين أبى زرعة بن العراقى فيما باسمه من وظائف جده، حتى يتأهل لمباشرتها.

وفى تاسعه: خلع على قاضى القضاة شمس الدين محمد الهروى، واستقر فى كتابة السر، عوضا عن الجمال يوسف بن الصفى. ونزل فى موكب جليل ومعه عدة من الأمراء والأعيان.

وفى هذا الشهر: تحرك سعر الغلال، وأبيع القمح بمائتى درهم الأردب، بعد مائة وأربعين. وقل وجوده.

وفى سابع عشره: ختن السلطان ولده الأمير ناصر الدين محمد، وعمل لختانه مهما حضره الأمراء، ثم خلع عليهم، وأركبهم خيولا بقماش ذهب، وما منهم إلا من نقط عند الختان بمبلغ ذهب، فجمع النقوط وصرف للمزين منه مائة دينار، وحمل البقية إلى الخزانة.

وفى هذه الأيام: عثر بعض الناس بجماعة قد خزنوا من رمم بنى آدم شيئا كثيرًا، فحملوا إلى الوالى، فما زال بهم حتى أقروا أنهم ينبشون الأموات من قبورهم، ثم يغلون الميت فى الماء بنار شديدة، حتى ينهرى لحمه، ويجمعون ما يعلو الماء من الدهن، ثم يبيعونه للفرنج بخمسة وعشرين دينار القنطار، فحبسوا، ونُسى خبرهم بعدما شاهد الناس رمم الموتى عندهم والأوانى التى بها الدهن، وحملت إلى السلطان حتى رآها وشق بها القاهرة.

وفى خامس عشرينه: حضر السلطان نفقة جامكية المماليك، وقطع عدة ممن له إقطاع بالحلقة.

شهر جمادى الأول، أوله السبت:

فى ثالثه: خلع على زين الدين عبد الرحيم الحموى الواعظ، واستقر خطيبا بالجامع الأشرفى.

وفى رابعه: نودى «من نزل عن وظيفة تصوف بخانكاة أو غير تصوف ضرب بالمقارع». وسبب ذلك أن جماعة ممن له تصوف بخانكاة سعيد السعداء، وخانكاة

---

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٩٩.

بيبرس، والظاهرية المستجدة بين القصرين، وبخانكاة شيخو، وبالجامع المؤيدى، أخذوا فى النزول عما باسمهم من التصوف بمال حتى يتشفعوا بمن له جاه، ويستقروا فى عمارة السلطان من جملة صوفيتها، كما فعل جماعة عندما أنشأ الملك المؤيد شيخ الجامع بجوار باب زويلة، وجعل فيه صوفية، فوشى بذلك للسلطان، فمنع من ذلك ليستقر فى جامعه من ليس له وظيفة من فقراء أهل العلم.

وفى يوم الجمعة سابعه: أقيمت الخطبة بالجامع الأشرفى، ولم يكمل منه سوى الإيوان القبلى.

وفى خامس عشره: قدم قاضى القضاة نجم الدين عمر بن حجى من دمشقى، وقد طلب الحضور.

وفى ثامن عشره: خلع على الأمير ناصر الدين محمد بن العطار الحموى الذى كان نائب الإسكندرية، واستقر ناظر القدس والخليل عليه السلام، عوضًا عن الأمير حسام الدين حسن نائب القدس.

وفى هذا الشهر: صودر أعيان دمشق، وهى ثالث مصادرة.

وفى تاسع عشرينه: قبض على الأمير ناصر الدين محمد بن أبى والى أستادار، وعلى ناظر الديوان المفرد كريم الدين عبد الكريم بن سعد الدين بركة المعروف بابن كاتب جكم، وعُوِّقا بالقلعة.

شهر جمادى الآخرة، أوله الأحد:

فى ثانيه: خلع على الأمير صلاح الدين محمد بن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله، وأعيد أستادارًا عوضا عن ابن أبى والى، وأضيف إليه كشف الوجه البحرى، فنزل فى موكب جليل، ومعه أكثر الأمراء الأكابر، وعامة الأعيان.

وفيه قدم الخبر بوصول الشريف على بن عنان إلى ينبع بمن معه من المماليك المجردين. وتوجه الأمير قرقماس معه إلى مكة، فدخلوها يوم الخميس سادس جمادى الأولى، بغير حرب. وأن الشريف حسن بن عجلان سار إلى حلى بنى يعقوب[1] من بلاد اليمن. وأن الوباء بمكة ابتدأ من نصف ذى الحجة، واستمر إلى آخر شهر ربيع الآخر، فمات بها نحو ثلاثة آلاف نفس. وأنه كان يموت فى اليوم خمسون إنسانا عدة أيام، وأن الوباء تناقص من أوائل جمادى الأولى. وأنه جاء فى ثالث جمادى الأولى سيل عظيم، حتى صار المسجد الحرام بحرًا، ووصل الماء إلى قريب من الحجر الأسود، وصار

---

(١) حلى من أطراف اليمن من جهة الحجاز. انظر: تقويم البلدان.

فى المسجد أوساخ، وخرق كثيرة، جاء بها السيل، وأن الخطبة أعيدت بمكة لصاحب اليمن فى سابع جمادى الأولى، بعدما ترك اسمه والدعاء له من أيام الموسم.

وفى يوم الأربعاء رابعه: جمع القضاة وأهل العلم، وقد رُسم بأخذ زكوات أموال الناس للسلطان، فاتفقوا على أنه ليس له أخذها فى هذا الزمان، فإن النقود من الذهب والفضة، والناس مأمونون فيها على إخراج زكاتها. وأما العروض من القماش ونحوه مما هو بأيدى التجار، فإن المكوس أخذت منهم فى الأصل على أنها زكاة، ثم تضاعفت المكوس المأخوذة منهم، حتى جرى فيها ما جرى. وأما البهائم من الإبل والغنم، فإن أرض مصر لا ترعى فيهًا سائما، وإنما هى تعلف بالمال، فلا زكاة فيها. وأما الخضروات والزروع، فإن الفلاحين فى حال من المغارم معروفة. وانفضوا على ذلك، فبطل ما كانوا يعملون.

وفى ثانى عشره: خلع على الوزير الصاحب كريم الدين عبد الكريم ابن كاتب المناخ، وأضيف إليه نظر الديوان المفرد، رفيقا للأمير صلاح الدين أستادار، عوضا عن كريم الدين عبد الكريم ابن كاتب جكم واستقر ابن كاتب جكم على ما بيده من أستادار ابن السلطان.

وفى تاسع عشره: توجه قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن الكشك عائدًا إلى دمشق على قضاء الحنفية بها، بعدما أخذ منه نحو عشرة آلاف دينار.

وفيه قدم الشريف شهاب الدين أحمد بن علاء الدين على بن برهان الدين إبراهيم، نقيب الأشراف بدمشق، وقد طلب الحضور.

وفيه اتفقت نادرة، وهى أن زوجة السلطان لما ماتت، عمل لها ختم عند قبرها فى الجامع الأشرفى، ونزل ابنها الأمير ناصر الدين محمد من القلعة لحضور الختم، وقد ركب فى خدمته الملك الصالح محمد بن طَطَر، فشق القاهرة من باب زويلة وهو فى خدمة ابن السلطان، بعدما كان فى الأمس سلطانا. وصار جالسا بجانبه فى ذلك الجامع، وقائمًا فى خدمته إذا قام، فكان فى ذلك موعظة لمن اتعظ.

وفى يوم السبت المبارك حادى عشرينه: خلع على قاضى القضاة نجم الدين عمر ابن حجى، واستقر كاتب السر، عوضا عن شمس الدين محمد الهروى. ونزل على فرس بسرج ذهب وكنبوش زركش، فى موكب جليل إلى الغاية، فكان يومًا مشهودًا. وقد ظهر نقص الهروى وعجزه، فإنه باشر بتعاظم زائد، مع طمع شديد وجهل بما وسِّد إليه، بحيث كان لا يحسن قراءة القصص ولا الكتب الواردة، فتولى قراءة ذلك بدر الدين

محمد بن مزهر نائب كاتب السر، وصار يحضر الخدمة، ويقف على قدميه، وابن مزهر هو الذى يتولى القراءة على السلطان[١].

وفى رابع عشرينه: ابتدئ بهدم ربع الحلزون تجاه قبو الخرنفش. وكان وقفا على فكاك الأسرى ببلاد الفرنج، وعلى الحرمين. وقد خلق[٢] من قدم السنين، فعوض بدله مسمط تجاه مصبغة الأزرق، وصار من جملة الأملاك السلطانية.

وفى سلخه: خلع على الشريف شهاب الدين أحمد نقيب الأشراف بدمشق، واستقر قاضى القضاة بدمشق، عوضا عن القاضى نجم الدين عمر بن حجى كاتب السر، على مال كبير.

شهر رجب، أوله الإثنين:

فى رابعه: خلع على شخص قدم من بلاد الروم عن قرب، يقال له علاء الدين على، واستقر فى مشيخة التصوف، وتدريس الفقه، على مذهب الحنفية بالجامع الأشرفى.

وقدم الخبر بأخذ الفرنج مركبين قريبا من دمياط، فيها بضائع كثيرة، وعدة أناس، يزيدون على مائة رجل، فكتب بإيقاع الحوطة على أموال التجار التى ببلاد الشام والإسكندرية ودمياط، والختم عليها، وتعويقهم عن السفر إلى بلادهم.

وفى عشرينه: توجه قاضى القضاة شمس الدين محمد الديرى - شيخ المؤيدية - لزيارة القدس.

وفى يوم الأحد حادى عشرينه: نزل السلطان إلى الجامع الذى أنشأه، وجلس به قليلا. ثم ركب عائدًا إلى القلعة.

وفيه قدم الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن الجزرى الدمشقى[٣]، وقد غاب عن

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ١٠١.

(٢) خلق الثوب والجلد وغيرهما خلوقا بلى. انظر المعجم الوسيط (خلق).

(٣) ابن الجزرى (٧٥١ - ٨٣٣هـ = ١٣٥٠ - ١٤٢٩م) محمد بن محمد بن محمد بن على بن يوسف، أبو الخير، شمس الدين، العمرى الدمشقى ثم الشيرازى الشافعى، الشهير بابن الجزرى: شيخ الإقراء فى زمانه. من حفاظ الحديث. ولد ونشأ فى دمشق، وابتنى فيها مدرسة سماها «دار القرآن» ورحل إلى مصر مرارًا، ودخل بلاد الروم، وسافر مع تيمور لنك إلى ما وراء النهر. ثم رحل إلى شيراز فولى قضاءها. ومات فيها. نسبته إلى حزيرة ابن عمر من كتبه « النشر فى القراءات العشر»، «غاية النهاية فى طبقات القراء» «التمهيد فى علم التجويد»، «ملخص تاريخ الإسلام»، «ذات الشفاء فى سيرة النبى والخلفاء» وغيرها. انظر طبقات الحفاظ للسيوطى ٣/ ٨٥، مفتاح السعادة ١/ ٣٩٢ الأندلس الجليل ٢/ ٢٥١، غاية النهاية ٢/ ٢٤٧، الضوء اللامع ٩/ ٢٥٥ - ٢٦٠،الأعلام ٧/ ٤٥، ٤٦.

مصر والشام نحوًا من ثلاثين سنة، فإنه فر من ضائقة نزلت به إلى مدينة برصا، فأكرمه أبو يزيد بن عثمان ونوَّه به، حتى حاربه تيمورلنك وأسره، فتحول ابن الجزرى من بلاد الروم إلى سمرقند فى خدمة تيمور، وأقام ببلادهم حتى قدم فى هذه الأيام.

وفى رابع عشرينه: نودى على النيل، وقد جاءت القاعدة ستة أذرع وعشرين إصبعا.

شهر شعبان، أوله الأربعاء:

فيه تتبعت البغايا وأُلزمن بالزواج، وأن لا يزاد فى مهورهن على أربعمائة درهم من الفلوس، تعجل منها مائتان وتؤجل مائتان. ونودى بذلك، فلم يتم منه شىء.

وفيه ابتدئ بقراءة صحيح البخارى بين يدى السلطان، وحضرة القضاة، ومشايخ العلم، والهروى، وابن الجزرى، وكاتب السر نجم الدين بن حجى، ونائبه بدر الدين محمد بن مزهر، وزين الدين عبد الباسط ناظر الجيش، والفقهاء الذين رتّبهم المؤيد. فاستجد فى هذه السنة حضور كاتب السر ونائبه وحضور ناظر الجيش. وكانت العادة من أيام الأشرف شعبان بن حسين أن يبدأ بقراءة البخارى أول يوم من شهر رمضان، ويحضر قاضى القضاة الشافعى، والشيخ سراج الدين عمر البلقينى، وطائفة قليلة العدد لسماع الحديث فقط. ويختم فى سابع عشرينه، ويخلع على قاضى القضاة، ويركب بغلة رائعة بزنارى تخرج له من الإصطبل السلطانى، ولم يزل الأمر على هذا حتى تسلطن المؤيد شيخ، فابتدأ القراءة من أول شهر شعبان إلى سابع عشرين شهر رمضان. وطلب قضاة القضاة الأربع ومشايخ العلم، وقرر عدة من الطلبة يحضرون أيضا، فكانت تقع بينهم بحوث يسىء بعضهم على بعض فيها إساءات منكرة، فجرى السلطان الأشرف برسباى على هذا، واستجد كما ذكرنا حضور المباشرين، وكثر الجمع. وصار المجلس جميعه صياحا ومخاصمات، يسخر منها الأمراء وأتباعهم.

وفى هذا الشهر: كثر الوباء بدمياط، فمات عدد كثير.

شهر رمضان، أوله الخميس:

فى رابعه: أخرج الأمير أرغون شاه أستادار والأمير ناصر الدين محمد بن أبى والى، من القاهرة إلى دمشق، بطّالين.

وفى تاسعه: سار غابان من ساحل بولاق خارج القاهرة، وقد قدما منذ أيام، أحدهما من الإسكندرية، والآخر من دمياط، وأشحنا بالمقاتلة والأسلحة. وأنزل فيهما ثمانون مملوكا، وأمروا أن يسيروا فى بحر الملح من جهة طرابلس، ويأخذوا من سواحل الشام عدة أغربة، عسى أن يجدوا من يتجرم فى البحر من الفرنج(١).

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ١٠٥.

وفى يوم الجمعة سادس عشره: نودى على النيل بزيادة إصبعين لتتمة خمسة عشر ذراعا وأربعة عشر أصبعا، ثم نقص من آخر النهار نحو أربعة أصابع، فأصبح الناس فى قلق، وطلبوا القمح ليشتروه، فأمسك من عنده شيء منه يده عن البيع، وضن به، فاشتد طلبه، إلا أن الله فرَّج، وزاد فى آخر يوم الأحد. ونودى عليه يوم الإثنين تاسع عشره برد ما نقص، وزيادة أصبع. واستمرت الزيادة حتى كان الوفاء فى يوم الأربعاء المبارك حادى عشرينه، وهو ثالث عشر من مسرى، ففتح الخليج على العادة.

وفى هذا الشهر: سار مقاتل فى بحر القلزم[1] إلى مكة المشرفة.

شهر شوال، أوله السبت:

فى رابعه: ابتدئ بحفر صهريج بوسط الجامع الأزهر، فوجدت فيه آثار فسقية قديمة، فلما أزيلت، وجد - بعدما حفر - عدة أموات.

وفيه قدم الخبر بأن أبا فارس عبد العزيز بن أبى العباس أحمد - صاحب تونس وبلاد أفريقية - جهز ابنه المعتمد أبا عبد الله محمدًا، من بجاية فى عسكر إلى مدينة تلمسان، فحارب ملكها أبا عبد الله عبد الواحد بن أبى محمد عبد الله بن أبى حمو موسى حروبًا كثيرة، حتى ملكها فى جمادى الآخرة، وخطب لنفسه ولأبيه، فزالت دولة بنى عبد الواد من تلمسان[2] بعد ما ملكت مائة وثمانين سنة.

وانتهت زيادة النيل إلى سبعة عشر ذراعًا واثنى عشر أصبعا. ووقفت الزيادة من خامسه، ونقص إلى يوم الأحد تاسعه، زاد إلى يوم الأربعاء ثانى عشره، فبلغ سبعة عشر إصبعا من ثمانية عشر إصبعا من ثمانية عشر ذراعًا. ونقص فى يوم الخميس ثالث عشره، وكان قد تأخر فتح سد بحر أبى المنجا عن عادته، هو وغيره مما يفتح فى يوم النوروز، لتأخر وفاء النيل. فلما فتحت نقص الماء، وقلق الناس من ذلك، وطلبوا القمح ليشتروه، فزاد سعر الأردب عشرة دراهم.

وفى خامس عشره: ابتدئ بهدم الربع المعروف بوقف الشهبانى، تجاه الجامع الأشرفى، برأس الخراطين. وقد استبدل به لتشعث بنائه، وخوف سقوطه.

وفى عشرينه: خرج محمل الحاج إلى جهة بركة الحجاج، صحبة الأمير قراسنقر

---

(١) بحر القلزم: شعبة من بحر الهند، أوله من بلاد البربر والسودان وعدن ثم يمتد مغربا وفى أقصاه مدينة القلزم قرب مصر. انظر معجم البلدان ١/ ٣٤٤.

(٢) تِلِمسَان: بالمغرب وهما مدينتان متجاورتان مسورتان، بينهما رميةُ حجر، إحداهما قديمة والأُخرى حديثة. انظر معجم البلدان ٢/ ٤٤.

كاشف الجيزة. ورحل الركب الأول فى ثانى عشرينه، وتبعه المحمل ببقية الحجاج فى ثالث عشرينه.

وفى يوم السبت تاسع عشرينه: حضر الأمراء الخدمة السلطانية على العادة، ونزلوا إلى دورهم، فاستدعى السلطان جماعة منهم لطعام عمله، منهم الأمير الكبير بيبغا المظفرى فلما صار بالقلعة قبض عليه وقيد، وأنزل فى النيل، حتى سجن بالإسكندرية. وقد كانت الإشاعة منذ أيام، بتنكر ما بينه وبين السلطان وأنه صار له حزب.

وفى هذا الشهر: كان أوان جذاذ النخل، فلم يثمر كبير شىء وأمحل النخل أيضا ببلاد الصعيد، حتى عز وجود التمر هناك. وتلف الموز فى هذه السنة بدمياط، وقل وجوده بأسواق القاهرة، أو فقد.

شهر ذى القعدة، أوله الإثنين:

فى رابعه: خلع الأمير قجق أمير سلاح. واستقر أميرًا كبيرًا، عوضا عن بيبغا المظفرى. وخلع على الأمير إينال النوروزى أمير مجلس، واستقر أمير سلاح عوضا عن قجق. وأنعم بإقطاع بيبغا المظفرى - ومتحصله فى السنة مبلغ ستين ألف دينار - على تغرى برمش نائب القلعة وعلى إينال الجكمى وهو بطال بالقدس، وكتب بإحضاره. وتغرى برمش هذا من جملة تركمان بهسنى، اسمه حسين، خدم بحلب فى الأيام الظاهرية برقوق، بباب نائبها الأمير تغرى برمش. وتنقل فى الخدم حتى صار فى الأيام المؤيدية شيخ دوادار الأمير جقمق الدوادار. فلما تسلطن الملك الأشرف برسباى اختص به، وجعله من جملة الأمراء[1].

وفى يوم الإثنين ثامنه: خلع على شمس الدين محمد الهروى، واستقر قاضى القضاة، عوضا عن الشيخ الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر، فغير زيه. وهذه المرة الرابعة فى تغيير زيه، فإنه كان أولا يتزيا بزى العجم، فيلبس عمامة عوجاء بعذبة عن يساره. فلما ولى قضاء القضاة لبس الجبة، وجعل العمامة كبيرة، وأرخى العذبة من بين كتفيه. فلما ولى كتابة السر تزيا بزى الكتاب، وترك زى القضاة، فضيق كمه، وجعل عمامته صغيرة مدورة، ذات أضلاع، وترك العذبة، وصار على عنقه طوق، ولبس الذهب الحرير، ولم يخش الله، ولا استخفى من الناس. فلما أعيد إلى القضاء ثانيًا خلع زى الكتاب، وتزيا بزى القضاة وكان ضخما، بطينا، ألحى، فأشبه فى حالاته هذه الصفاعتة من المخايلين، الذين يضحكون أهل المجانة والهزو، وماذا بمصر من المضحكات!!.

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ١٠٥.

وفى يوم الإثنين: قدم الأمير إينال الجكمى من القدس، فخلع عليه واستقر أمير مجلس، عوضا عن إينال النوروزى. وهذا الجكمى من جملة مماليك الأمير جكم، وانتقل إلى الأمير سودن بقجة. ثم صار إلى الأمير شيخ المحمودى. فلما تسلطن، عمله من جملة المماليك الخاصكية. ثم غضب عليه ونفاه، ثم أعاده من النفى لبراءته مما رمى به، فرقاه طظر حتى صار من الأمراء المقدمين. ثم قبض عليه، ونفى حتى أعاده السلطان فى يوم تاريخه إلى الإمرة.

وفى يوم السبت عشرينه: وصل الغرابان بالأسرى والغنيمة. وذلك أنهما لما مرا بدمياط، تبعهما قوم من المطوعة فى سلورة[1]، حتى مروا بطرابلس سار معهم غربان إلى الماغوصة[2]، فأضافهم متملكها، فلم يتعرضوا لبلاده، ومضوا عنه إلى بلاد يقال لها اللمسون[3] من جزيرة قبرس، وقد استعد أهلها وأبعدوا عيالهم، وخرجوا فى سبعين فارسا وثلاثمائة راجل، فقاتلهم المسلمون، وهزموهم وقتلوا منهم فارسا واحدًا وعدة رجال، وحرقوا ثلاثة أغربة، وغرقوا ثلاثة أغربة، وعاثوا فيما وجدوه من ظروف العسل والسمن وغير ذلك. وأسروا ثلاثة وعشرين رجلا، وغنموا جوخًا كثيرًا، رفع للسلطان منه مائة وثلاث قطع، طرحت على التجار و لم يعط المجاهدون منها شيئا[4].

وفى تاسع عشرينه: نودى بخروج أهل الريف من القاهرة ومصر إلى بلادهم فلم يعمل بذلك.

وفى هذا الشهر: هبط ماء النيل، وشرق أكثر النواحى بالصعيد والوجه البحرى. ومع ذلك فالأسعار رخيصة، القمح بمائة وثمانين درهما الأردب، والشعير بخمسة وثمانين الأردب، والفول بثمانين درهما الأردب.

وفيه كثرت الفتن، وتعددت بالوجه القبلى والبحرى.

وفيه فتحت كنيسة قمامة بالقدس، وكان قد تأخر فتحها بعدما رُسم به.

شهر ذى الحجة، أوله الثلاثاء:

فى يوم النحر رمى بعض المماليك من أعلا الطباق بالحجارة، والسلطان يذبح الأضاحى، والمماليك تنهب لحومها، بخلاف العادة، فأصيب بعض الأمراء بحجر. ودخل السلطان داخل الدور، وكثر الكلام. وسبب ذلك أنه لم يفرق الأضاحى فى

---

(١) نوع من المراكب متوسطة الحجم يستعمل فى الحرب والسلم على السواء، له ثلاثة أشرعة، ويحتوى على أربعين مجدافا، وهو سريع الحركة. انظر: الحربية فى مصر الإسلامية ص ٣٤٧.

(٢) مدينة تقع بجزيرة قبرص.

(٣) هى مرفأ فى قبرص، وهى ليماسول.

(٤) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ١٠٦.

المماليك، وأعطى كل واحد منهم دينارا، فلم يرضهم هذا، ولم يكن منهم سوى ما ذكر. وسكن أمرهم.

وفى ثالث عشره: قبض على الأمير كمشبغا الفيسى، أحد أمراء الناصر فرج.

وفى ثامن عشره: خلع على سعد الدين سعد ابن قاضى القضاة شمس الدين محمد الديرى، واستقر فى مشيخة الجامع المؤيدى، بعد موت أبيه بالقدس.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

شرف الدين يعقوب بن الجلال رسولا بن أحمد بن يوسف التبانى الحنفى فى يوم الأربعاء سادس عشر صفر. وكان يعرف الفقه والعربية، وله همة ومكارم ووصلة كبيرة بالأمراء واختص بالمؤيد شيخ اختصاصا كبيرًا. وأفتى ودرس وولى نظر الكسوة، ووكالة بيت المال، ومشيخة خانكاة شيخو[١].

وقتل بدمشق الأمير تنبك البجاسى فى أول ربيع الأول، وهو أحد المماليك الذين فروا من الناصر فرج، ولحق بشيخ المحمودى، فرقاه فى سلطنته، وولى نيابة حماة وحلب ودمشق، وشكرت سيرته، لتنزهه عن قاذورات المعاصى، كالخمر والزنا، مع إظهار العدل وفعل الخير[٢].

ومات الوزير الصاحب تاج الدين عبد الرازق بن شمس الدين عبد الله ابن كاتب المناخ، فى يوم الجمعة حادى عشرين جمادى الأول، وهو متعطل، وابنه كريم الدين عبد الكريم يلى الوزارة. وباشر جده أو جد أبيه النصرانية، وترقى فى الخدم بالكتابة، وأثرى منها، حتى ولى الوزارة. وكان سيوسا، لينا، ضابطا، همه بطنه وفرجه. واستجد مكس الفاكهة بعد إبطاله، فما تهنى به، وصرف عن الوزارة، فكان كما يقال «حتى وصلها غيرى، وحملت عارها»[٣].

ومات الأمير سودن الأشقر بدمشق فى جمادى الأولى، وهو أحد المماليك الذين أنشأهم الناصر فرج. وكان عيبا كله. لشدة بخله، وكثرة فسقه وظلمه[٤].

وتوفى بمكة قاضيها محب الدين أحمد ابن قاضيها جمال الدين محمد بن عبد الله بن

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٢٩٧.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٢٩٦.

(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٢٩٧.

(٤) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٢٩٨.

ظهيرة[1] الشافعي، في ثامن عشر ربيع الآخر. وكان مشكورا في عمله وسيرته، له معرفة جيدة بالفقه والفرائض والحساب، ومشاركة في غير ذلك.

وتوفي خطيب مكة جمال الدين أبو الفضل ابن قاضي مكة محب الدين أحمد بن قاضي مكة أبي الفضل محمد النويري الشافعي، في ربيع الأول.

وتوفي إمام مقام المالكية بمكة شهاب الدين أحمد بن علي النويري. في ربيع الآخر.

وماتت خوند زوجة السلطان، وأم ابنه الأمير ناصر الدين محمد، في خامس عشر جمادى الآخرة. ودفنت بالقبة من الجامع الأشرفي. وكان لها تحكم وتصرف في الأمور.

ومات الملك الناصر أحمد بن الأشرف إسماعيل بن الأفضل عباس بن المجاهد علي بن المؤيد داود بن المظفر يحيى بن المنصور عمر بن علي بن محمد بن رسول متملك زبيد[2] وعدن[3] وتعز[4] وجبلة[5] وحرض[6]، والمهجم[7]، والمحالب[8]، والمنصورة، والدملوة[9]، والجوه[10]، والشحر[11]، وقوارير[12]، من بلاد اليمن، في سادس عشر

---

(١) ابن ظَهيرة (٨٢٥ - ٨٨٥هـ - ١٤٢٢ - ١٤٨٠م) أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن حسين بن علي، أبو الطيب، محب الدين المعروف كسلفه بابن ظهيرة القرشي المخزومي: قاضي مكة الشافعي، وابن قاضيها. مولده ووفاته بها. تفقه وناب في القضاء عن أبيه سنة ٨٤٧هـ واستقل به بعد وفاة أبيه. وفصل وأعيد وأضيف إليه نظر الحرم وقضاء جدة، ثم انفصل إلى أن مات. ورجح بعض الفضلاء أنه مصنف كتاب «الفضائل الباهرة في محاسن القاهرة». انظر: الضوء اللامع ٢/ ١٩٠ والفضائل الباهرة: مقدمة محققة. الأعلام ١/ ٢٣١.

(٢) سبق ترجمتها.

(٣) عَدَنُ: وهي مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن ردئة لا ماء بها ولا مرعى وشربهم من عين بينها وبين عدن مسيرة نحو اليوم. انظر معجم البلدان ٤/ ٨٩.

(٤) تَعز: قلعة عظيمة من قلاع اليمن المشهورات. انظر معجم البلدان ٢/ ٣٤.

(٥) سبق ترجمتها.

(٦) حَرَضُ: هو بلد في أوائل اليمن من جهة مكة. انظر معجم البلدان ٢/ ٢٤٣.

(٧) المهجم: بلد وولاية من أعمال زبيد باليمن. انظر معجم البلدان ٥/ ٢٢٩.

(٨) المحالب: بليدة وناحية دون زبيدة من أرض اليمن. انظر معجم البلدان ٥/ ٥٩.

(٩) الدَمْلُوَةُ: حصن عظيم باليمن كان يسكنه آل زُريع المتغلبون على تلك النواحي. انظر معجم البلدان ٢/ ٤٧١.

(١٠) الجُوَةُ: قرية باليمن معروفة. انظر معجم البلدان ٢/ ١٩١.

(١١) الشحر: وهو صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن، قال الأصمعي، هو بين عَدَن وعَمَان. انظر معجم البلدان ٣/ ٣٢٧.

(١٢) قوارير: من حصون زبيد باليمن. انظر معجم البلدان ٤/ ٤١١.

جمادى الآخرة، بصاعقة سقطت على حصنة قوارير خارج مدينة زبيد، فارتاع، وأقام أيام لما به. وأقيم من بعده فى مملكة اليمن ابنه المنصور عبد الله[١]، وكان من شرار ملوك الأرض، فسقًا وظلمًا وطمعًا[٢].

ومات ملك المغرب صاحب فاس السلطان المنتصر أبو عبد الله محمد بن أبى سالم إبراهيم بن أبى إسحق المرينى، فى شهر رجب. وأقيم بعده ابن أخيه أبو زيد عبد الرحمن.

وتوفى الشيخ الملك أبو عبد الله المعروف بالعطار، فى ثامن عشرين المحرم، بمدينة النحريرية[٣]، وهو آخر من بقى من أصحاب الشيخ يوسف العجمى.

وتوفى قاضى القضاة شمس الدين محمد بن عبد الله بن سعد العبسى، القدسى، الديرى، الحنفي، بالقدس. وقد توجه إليه زائرًا فى يوم عرفه. ومولده سنة أربع وأربعين وسبعمائة تخمينًا. وله معرفة بالفقه والأصول والتفسير والعربية، وفيه شهامة وقوة. نشأ بالقدس، وولى قضاء الحنفية بديار مصر، فاشتد فيه، وأجرى أموره على السداد بحسب الوقت. ثم نقل من القضاء إلى مشيخة الجامع المؤيدى، رحمه الله[٤].

وتوفى زاهد الوقت أبى بكر بن عمر بن محمد الطرينى الفقيه المالكى، فى يوم النحر، بمدينة المحلة. وكان قد ترك أكل اللحم مدة أعوام؛ تورعا لما حدث من نهب البلاد وغارتها، وقنع بما يقيم به أوده من أرض يزرعها، فكان يقتصر فى قوته وملبسه على ما لا يطيقه سواه. ولو قبل من الناس ما يحبوه به لكنز قناطير مقنطرة من الذهب والفضة، لكنه أعرض عن زينة الحياة الدنيا ولذاتها، حتى لعله مات من قلة الغذاء، مع ما اشتمل عليه مع ذلك من آثار جميلة، وأيادى مشكورة، وعلم وعمل مرضى، رفع الله درجاته فى عليين[٥].

---

(١) عبد الله بن أحمد (٨٣٠هـ - ١٤٢٧م) عبد الله بن أحمد بن إسماعيل بن العباس بن على الرسولى: من ملوك الدولة الرسولية فى اليمن. ولى بعد وفاة أبيه (سنة ٨٢٧هـ) واستمر إلى أن توفى بزبيد، وحمل إلى تعز فدفن فيها. وكان صالح السيرة عادلا أظهر أبهة الملك، ولكنه لم تطل مدته. انظر الضوء اللامع ٥/٥، الأعلام ٤/ ٦٨.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٢٩٩.

(٣) النحريرية: مدينة من أعمال الغربية ذات أسواق وقياسر وفنادق وجامع، بها تجار مياسير. انظر الانتصار ٥/ ٨٦.

(٤) انظر: النجوم الزاهرة: ١٤/ ٢٩٩.

(٥) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٣٠٠.

ومات صاحب حصن كيفا الملك العادل فخر الدين أبو المفاخر سليمان بن الكامل شهاب الدين غازى بن العادل مجير الدين محمد بن الكامل سيف الدين أبى بكر بن شادى.

وقتل محمد بن الموحد تقى الدين عبد الله بن المعظم غياث الدين تورانشاه بن السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن محمد الكامل بن أبى بكر العادل بن نجم الدين أيوب بن شادى، وأقيم بعده ابنه الأشرف أحمد.

* * *

سنة ثمان وعشرين وثمانمائة

أهلت وخليفة الوقت المعتضد با لله أبو الفتح داود بن المتوكل على ا لله أبى عبد ا لله محمد، وليس له من الخلافة إلا مجرد الاسم بلا زيادة. وسلطان مصر والشام والحجاز الملك الأشرف برسباى الدقماقى. والأمير الكبير الأتابك قجق. والدوادار الكبير أزبك - وهو اسم - معناه الأمير جانبك، فهو صاحب الأمر والنهى فى الدوادارية، بل فى سائر أمور الدولة. وأمير سلاح إينال النوروزى. وأمير مجلس إينال الجكمى. وأمير أخور جقمق. ورأس نوبة النوب تغرى بردى المحمودى. وحاجب الحجاب جرباش قاشق. وأستادار صلاح الدين محمد بن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر ا لله. وناظر الخاص الصاحب بدر الدين حسن بن نصر ا لله. والوزير الصاحب كريم الدين عبد الكريم ابن الوزير تاج الدين عبد الرزاق ابن كاتب المناخ. وكاتب السر نجم الدين عمر بن حجى الدمشقى. وناظر الجيش زين الدين عبد الباسط بن خليل. وليس لأحد فى الدولة تصرف غير، والأمير جانبك الدوادار. وقاضى القضاة الشافعى شمس الدين محمد الهروى. وقاضى القضاة الحنفى زين الدين عبد الرحمن التفهنى. وقاضى القضاة المالكى شمس الدين محمد البساطى. وقاضى الحنبلى علاء الدين على بن مغلى. ونائب الشام سودن من عبد الرحمن. ونائب حلب شار قطلوا. ونائب حماة جلبان أمير أخور. ونائب طرابلس قصروه. ونائب صفد مقبل الدوادار. ونائب الإسكندرية أقبغا التمرازى. وبمكة الشريف على بن عنان والأمير قرقماس. وأسواق القاهرة ومصر ودمشق فى كساد. وظلم ولاة الأمر من الكشاف والولاة فاش. ونواب القضاة قد شنعت قالة العامة فيهم من تهافتهم. وأرض مصر أكثرها بغير زراعة، لقصور مد النيل فى أوانه، وقلة العناية بعمل الجسور، فإن كشافها، إنما دأبهم إذا خرجوا لعملها أن يجمعوا مال النواحى لأنفسهم وأعوانهم. والطرقات بمصر والشام مخوفة من كثرة عبث العربان والعشير. والناس على اختلاف طبقاتهم قد غلب عليهم الفقر. واستولى عليهم الشح والطمع، فلا تكاد تجد إلا شاكيا مهتما لدنياه. وأصبح الدين غريبا لا ناصر له. وسعر القمح بمائتى درهم الأردب. والشعير بمائة وعشرة. والفول بنحو ذلك. ولحم الضأن السليخ كل رطل بسبعة دراهم ونصف. ولحم البقر كل رطل بخمسة دراهم. والفلوس كل رطل بتسعة دراهم، وهى النقد الذى يُنسب إليه ثمن ما يباع، وقيمة ما يعمل. والفضة كل درهم وزنا بعشرين درهما من الفلوس. والذهب الأفرنتى المشخص بمائتين وخمسة وعشرين درهما.

شهر المحرم، أوله الخميس:

فى ثانيه: قدم مبشرو الحاج وأخبروا بسلامتهم، ورخاء الأسعار بمكة، وأنه لم يقدم من العراق حاج.

وفى رابع عشرينه: قدم الركب الأول. ثم قدم من الغد المحمل ببقية الحاج، ومعهم الشريف رميثة بن محمد بن عجلان فى الحديد، وقد قبض عليه الأمير قرقماس بمكة.

وفى هذه الأيام: رُسم بتجهيز عسكر يتوجه إلى مكة، ونودى بذلك فى القاهرة.

وفى تاسع عشرينه: نزل السلطان إلى جامعه، وكشف عمائره، ودخل الجامع الأزهر لرؤية الصهريج وزار به الشيخ خليفة والشيخ سعيد، وهما من المغاربة، لهما بالجامع الأزهر عدة سنين، وشهرا بالخير. ثم خرج من الجامع إلى دار رجل يعرف بالشيخ محمد بن سلطان، فزاره، وعاد إلى القلعة(١).

وفى هذا الشهر: وقع الشروع فى عمل مراكب حربية لغزو بلاد الفرنج.

وفيه صرف صدر الدين أحمد بن العجمى عن نظر الجوالى، وأضيف نظرها إلى القاضى زين الدين عبد الباسط ناظر الجيوش. وكانت الجوالى قد كثر المرتب عليها للناس من أهل العلم وغيرهم، حتى لم تف بمالهم.

شهر صفر، أوله السبت:

فى حادى عشرينه: ركب السلطان فى طائفة يسيرة بثياب جلوسه، كما قد صارت عادته. وكشف الطريدة الحربية التى تعمل بساحل بولاق وسار وقد تلاحق به بعض أهل الدولة حتى مر على جزيرة الفيل إلى التاج. ونزل بالمنظرة التى أنشأها المؤيد شيخ فوق الخمس وجوه. ثم سار فى أرض الخندق(٢) إلى خليج الزعفران، وتوجه إلى القلعة.

وفى يوم الإثنين رابع عشرينه: خلع على الشيخ محب الدين أحمد بن الشيخ جلال الدين نصر الله بن أحمد بن محمد بن عمر التسترى البغدادى الحنبلى. واستقر قاضى القضاة الحنابلة بعد موت علاء الدين على بن مغلى. ومحب الدين هذا قدم من بغداد بعد سنة ثمانين وسبعمائة، فسمع الحديث، وقرأ بنفسه على مشايخ الوقت، ولازم الاشتغال حتى برع فى الفقه وغيره. وقدم أبوه من بغداد باستدعائه، فنزله الظاهر

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ١٠٧.

(٢) كان يقع هذا الموضع خارج باب الفتوح. انظر المواعظ والاعتبار ٢/ ١٣٦ - ١٣٨.

برقوق فى تدريس الحنابلة بمدرسته بين القصرين. ثم نزّل ابنه محب الدين هذا يدرس الحديث فيها. ثم انتقل إلى تدريس الفقه بعد أبيه، وكتب على الفتوى، وناب فى الحكم عن ابن مغلى. وصار ممن يحضر من الفقهاء بمجلس المؤيد فى كل أسبوع.

وفى ليلة الأربعاء سادس عشرينه: غرقت إمرأة لها ولزوجها شهرة، لقالة سيئة عنها.

وفيه صرف صدر الدين أحمد بن العجمى عن نظر الكسوة، وأضيفت أيضا إلى القاضى زين الدين عبد الباسط، فعنى بها، حتى لم ندرك كسوة عملت للكعبة مثلها.

شهر ربيع الأول، أوله الإثنين:

فى ليلة الجمعة خامسه: عمل المولد السلطانى، كما هى العادة فى عمله كل سنة.

وفى سابعه: سار الأمير أرم بغا - أحد أمراء العشرات - تجريدة إلى مكة، ومعه مائة مملوك. وتوجه سعد الدين إبراهيم بن المرة - أحد الكتاب - لأخذ مكوس المراكب الواصلة من الهند إلى جدة. وجرت العادة من القديم أن مراكب تجار الهند ترد إلى عدن و لم يعرف قط أنها تعدت بندر عدن. فلما كان سنة خمس وعشرين، خرج من مدينة كاليكوت ناخذاه[1] اسمه إبراهيم. فلما مر على باب المندب جور إلى جدة بطراده، حنقا من صاحب اليمن؛ لسوء معاملته للتجار، فاستولى الشريف حسن بن عجلان على ما معه من البضائع، وطرحها على التجار بمكة. فقدم إبراهيم المذكور فى سنة ست وعشرين على المندب، و لم يعبر عدن، وتعدى جدة[2] وأرسى بمدينة سواكن[3] ثم بجزيرة دهلك[4] فعامله صاحباها أسوأ معاملة. فعاد فى سنة سبع وعشرين، وجور عن عدن، ومرَّ بجدة يريد ينبع. وكان بمكة الأمير قرقمامن، فمازال يتلطف بإبراهيم حتى أرسى على جده بمركبين، فجامله أحسن مجاملة، حتى قويت رغبته، ومضى شاكرًا ثانيًا. وعاد فى سنة ثمان وعشرين، ومعه أربعة عشر مركبا موسوقة بضائع. وقد بلغ السلطان خبره، فأحب أخذ مكوسها لنفسه، وبعث ابن المرة

---

(١) لفظ فارسى يعنى ربان السفينة.

(٢) جُدَّة: بلد على ساحل بحر اليمن، وهى فرضة مكة، بينها وبين مكة ثلاث ليال. انظر معجم البلدان ٢/ ١١٤ وهى ميناء فى السعودية حاليا.

(٣) سَوَاكِنُ: بلد مشهور على ساحل بحر الجار قرب عيذاب ترفأ إليها سفن الذين يقدمون من جُدَة. انظر: معجم البلدان: ٣/ ٢٧٦.

(٤) جزيرة فى بحر اليمن، وهو مرسى بين بلاد اليمن والحبشة.

لذلك، فصارت جدة من حينئذ بندرًا عظيما إلى الغاية وبطل بندر عدن إلا قليلا. ولم تكن جدة مرسى إلا من سنة ست وعشرين من الهجرة، فإن عثمان رضى الله عنه اعتمر فيها، فكلمه مواليه أن يحول الساحل إلى جدة، وكان فى الشعيبة[١] فى الجاهلية فحوله إلى جدة، ومن كان وراء قديد[٢] يحملون من الجار[٣] والأبواء[٤]، وكان ما يحمل إلى هذه المواضع قوت أهل الحرمين وعيشهم.

وفى تاسعه: عدى السلطان النيل فى الحراقه، ونزل بناحية وسيم، وعاد إلى القلعة فى سادس عشره.

وفى هذا الشهر: كمل الصهريج الذى عمله السلطان بصحن الجامع الأزهر، وبنيت بأعلاه مصطبة، فوقها قبة برسم تسبيل الماء، وغرس بصحن الجامع أربع شجرات نارنج فلم تفلح، وهلكت من الذباب.

وفيه أيضا كملت الزيادة التى تولى عمارتها الأمير تاج الدين الشويكى بميضات الجامع الأزهر، فعظم النفع بها.

شهر ربيع الآخر، أوله الثلاثاء:

فى سابع عشره: قدم الأمير سودن من عبد الرحمن نائب الشام فخلع عليه وجاءته تقادم الأمراء، وتوجه إلى نيابته فى سادس عشرينه.

وفى هذا الشهر: الشهر ابتدئ بعمل طريدتين حربيتين، لتتمة أربع طرائد، وأنشئت بساحل بولاق فيما انحسر ماء النيل عنه تجاه جامع الخطيرى، وأخذت لها أخشاب كثيرة من قصور سرياقوس التى كان ينزل بها السلاطين أيام السرحة بسرياقوس.

وفيه أيضا كمل بناء الحوانيت والربع فوقها، والتربيعة التى زيدت فى الوراقين. وفتح لها باب كبير من آخر سوق المهامزيين[٥]. وقام بعمارة ذلك الأمير جانبك، فجاء

---

(١) اسم مرفأ السفن من ساحل الحجاز.

(٢) قُدَيْدٌ: اسم موضع قرب مكة. انظر معجم البلدان ٤/ ٣١٣.

(٣) الجار: مدينة على ساحل بحر القلزم، بينها وبين المدينة يوم وليلة. انظر معجم البلدان ٢/ ٩٢.

(٤) الأبواء: بالفتح ثم السكون وواو وألف ممدودة؛ قال قوم: يسمى بذلك لما فيه من الوباء، ولو كان كذلك لقيل الأوباء، إلا أن يكون مقلوبا وقيل غير ذلك: قال السكرى: الأبواء جبل شامخ مرتفع ليس عليه شيء من النبات غير الخزم والبشام، وهو لخزاعة وضمرة. انظر معجم البلدان ١/ ٧٩.

(٥) هو سوق كان معد لبيع المهاميز بالدولة الفاطمية. انظر المواعظ والاعتبار ٢/ ٩٧.

من أحسن العمائر. وكمل أيضا بناء الحوانيت وعلوها تجاه باب المدرسة الصالحية بجوار الصاغة، وهى من العمائر السلطانية.

وفيه وقع الهدم فى قصر الأمير صرغتمش المجاور لبير الوطاويط[١] بالصليبة، خارج القاهرة.

وفيه كملت عمارة برج حربى بالقرب من الطينة على بحر الملح، فجاء مربع الشكل، مساحة كل ربع منه ثلاثون ذراعا، وشحن بالأسلحة، وأقيم فيه خمسة وعشرون مقاتلا، فيهم عشرة فرسان. وأنزل حوله جماعة من عرب الطينة، فانتفع الناس به. وذلك أن الفرنج كانت تقبل فى مراكبها إلى بر الطينة، وتتخطف الناس من هناك فى مرورهم من قطيا إلى جهة العريش. وتولى عمارة هذا البرج الأمير زين الدين عبد القادر ابن الأمير فخر الدين عبد الغنى بن أبى الفرج. وأخذ الآجر الذى بناه به من خراب مدينة الفرما[٢] وأحرق حجارة الجير مما أخذه من الفرما، فسبحان محيل الأحوال.

شهر جمادى الأولى، أوله الخميس:

فى عاشره: خلع على الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله، واستقر أستادارًا، عوضا عن ولده الأمير صلاح الدين محمد وخلع فى ثانى عشره على كريم الدين عبد الكريم بن سعد الدين بركة المعروف بابن كاتب حكم، واستقر فى نظر الخاص، عوضا عن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله. وخلع على أمين الدين إبراهيم بن مجد الدين عبد الغنى بن الهيصم[٣] واستقر فى نظر الدولة، عوضا عن ابن كاتب جكم.

وفى هذه الأيام: كثرت الإشاعات بحركة الفرنج، فخرج عدة من الأمراء والمماليك لحراسة الثغور.

---

(١) بئر الوطاويط: أنشأه الوزير أبو الفضل جعفر بن الفرات، لينقل منها الماء إلى السبع سقايات التى أنشأها وحبسها لجميع المسلمين سنة ٣٥٥هـ . فلما خربت بنى فوق البئر، وتولد فيها كثير من الوطاويط. انظر: المواعظ والاعتبار ٢/ ١٣٥، ١٣٦.

(٢) الفَرَمَا: مدينة على الساحل من ناحية مصر. انظر معجم البلدان ٤/ ٢٥٥.

(٣) ابن الهيصم (٨٠٠ – ٨٥٩هـ = ١٣٩٧ – ١٤٥٥م) إبراهيم بن عبد الغنى بن إبراهيم القبطى، المعروف بالصاحب أمين الدين ابن الهيصم: وزير مصرى، تقدم فى أيام الجراكسة بمصر، واستوزر عدة مرات. كان يميل إلى أهل العلم وله اشتغال بالفقه الحنفى. قال ابن إياس: كان نادرة فى أبناء جنسه – القبط – مسددًا فى أمر الوزارة. انظر بدائع الزهور ٢/ ٤٨. الأعلام ١/ ٤٧.

وفيه كان بدمياط حريق شنيع، ابتدأ يوم الجمعة تاسعه، ذهبت فيه بيوت عديدة، وهلكت جماعة من الناس.

وفيه قدمت طائفة من الفرنج إلى صور من معاملة صفد، فحاربهم المسلمون، وقتلوا كثيرا منهم، واستشهد من المسلمين نحو الخمسين رجلا.

وفى ثالث عشره: خلع على زين الدين عبد القادر بن أبى الفرج(١)، واستقر شاد الخاص، وأستادار الأمير ناصر الدين محمد ابن السلطان.

وفى هذا الشهر: أصيبت عامة فواكه بلاد الشام بأسرها - من دمشق إلى حلب - فى ليلة واحدة. من شدة البرد، وكانت الشمس حينئذ فى برج الحمل، فتلفت الأعناب ونحوها.

شهر جمادى الآخرة، أوله الخميس:

فى عاشره: قبض على نجم الدين عمر بن حجى، كاتب السر، وسلم إلى الأمير جانبك الدوادار، فسجنه فى برج بالقلعة، وأحيط بداره، وسبب ذلك أنه التزم عن ولايته كتابة السر، حتى وليها بعشرة آلاف دينار، ثم تسلم ما كان جاريا فى إقطاع

---

(١) عبد القادر بن عبد الغنى بن عبد الرزاق بن أبى الفرج بن نقولا الأرمنى الأصل القبطى (٨٣٣ هـ = ١٤٢٩ م)، الأمير زين الدين بن الأمير فخر الدين ابن الصاحب تاج الدين، الشهير بابن أبى الفرج. مولده بالقاهرة فى أوائل القرن تخمينًا، ونشأ بها، وباشر بعد موت والده عدة جهات إلى أن شد الخاص وأستادارية المقام الناصرى محمد بن السلطان الملك الأشرف برسباى فى ثالث عشر جمادى الأولى سنة ثمان وعشرين وثمانمائة،واستمر على ذلك إلى يوم الخميس عاشر شعبان من السنة طُلب وأُخلع عليه باستقراره أستادارا، عوضا عن الصاحب بدرالدين حسن بن نصر الله الفوى بحكم عجزه عن القيام بالكلف السلطانى، فباشر عبد القادر هذا وظيفة الأستادارية مدة سنين، وقاسى فيها من الذل والهون والعجز ما لا يوصف، وافتقر، واستغنى منها غير مرة، والملك الأشرف لا يرق لحاله، وأخرب فى أيام مباشرته بلادا كثيرة حتى يقوم بما عليه من الجوامك والكلف، ثم إن الملك الأشرف رحمه الله عزله بالأمير آقبغا الجمالى الكاشف فى يوم السبت خامس عشرين شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانمائة، ورسم عليه وطلب بالحساب غير مرة، وبينما هو فى ذلك إذ خلصه الله بالموت بالطاعون فى يوم الأربعاء سابع عشرين جمادى الآخرة من سنة ثلاث وثمانمائة. وكان شابا جميلا، خفيف اللحية، وحسيما، متواضعا، قضى عمره بالكد والقهر والخوف، وهو أصلح حالا من أبيه وحده، بل بالنسبة إليهما. كان صالحا، على أنه كان متأصلا فى الظلم والعسف ويعرف طرق ذلك جيدا لكن لم تنله السعادة فى مباشرته. انظر المنهل الصافى ٧/ ٣٢٠، وما بعدها والدليل الشافى ١/ ٤٢١، النجوم الزاهرة ١٥/ ١٦٣ - ١٦٤، أنباء الغمر ٣/ ٤٤٧، نزهة النفوس ٣/ ١٤٩، الضوء اللامع ٤/ ٢٧٢.

ابن السلطان من حمايات علم الدين داود بن الكويز ومستأجراته، على أن يقوم لديوان ابن السلطان فى كل سنة بألف وخمسمائة دينار، فحمل فى مدة ولايته كتابة السر إلى الخزانة خمسة آلاف دينار، فى دفعات. فلما كانت هذه الأيام، طُلب منه حمل ما تأخر عليه، وهو ستة آلاف دينار وخمسمائة دينار، فسأل السلطان مشافهة أن ينعم عليه بالألف وخمس مائة دينار المقررة على الحمايات[1] والمستأجرات، وتشكى من قبله متحصلها معه، فلم يجب سؤاله. ونزل إلى داره فكتب ورقة إلى السلطان تتضمن أنه غرم من حين ولى كتابة السر إثنى عشر ألف دينار، منها الحمل إلى الخزانة خمسة آلاف دينار ولمن لا يسمى مبلغ ألفى دينار، وللأمراء أربعة آلاف دينار، وذكر بقية تفصيلها. فلما قرئت على السلطان فهم أنه أراد بمن لا يسمى الأمير جانبك. وأخذ يسأل من جانبك - عندما حضر هو والأمراء - عما وصل إليه وإليهم من ابن حجى، فأجابوه بما لا يليق فى حق ابن حجى، وحنق منه جانبك، فما هو إلا أن اجتمعا بالقلعة، جرت بينهما مفاحشات آخرها أنه قبض عليه وسجن.

وفى هذه الأيام: كملت عمارة المأذنة التى فوق الباب المجاور للمنبر بجامع الحاكم، وأنشأها بعض الباعة.

وقدم الخبر بوقعة كانت بين المسلمين وبين الفرنج، فيما بين جبلة وطرابلس قتل فيها جماعة من الفرنج، وانهزم باقيهم. وحمل غرابان مما أنشئ بساحل بولاق خارج القاهرة، وهما قطعًا - على الجمال إلى السويس، ليركبا ويطرحا فى بحر السويس، لأجل حمل الغلال ونحوها إلى مكة، مددًا للمجردين. وعملا بمجاديف لتمر سريعة، وأن تمسك عنها الريح.

وفى ليلة الثلاثاء ثالث عشره: أخرج نجم الدين عمر بن حجى من البرج فى الحديد، وحمل إلى دمشق حتى يكشف عن سيرته بها، ويؤخذ ماله هناك، وكتب فى حقه إلى النائب والقضاة بعظائم مستشنعة.

وفى يوم الإثنين ثامن عشره: خلع على بدر الدين محمد بن محمد بن أحمد بن مزهر الدمشقى، واستقر فى كتابة السر، عوضا عن نجم الدين عمر بن حجى. وابن مزهر هذا كان أبوه كاتب السر بدمشق، ولهم أصالة قديمة، رأس عدة من آبائه، تضمن ذكرهم التاريخ. وولد هو بدمشق ونشأ بها، وكتب بديوان الإنشاء، وتعلق بخدمة الأمير شيخ المحمودى، وقدم معه مصر، فولاه نظر الإصطبل، حتى مات. فلما ولى علم

---

(١) هى مكوس يفرضها السلطان أو الأمير على بعض الأراضى والمتاجر والمراكب والأرزاق.

الدين داود بن الكويز باشر معه نيابة كتابة السر، وقام بـأمر ديـوان الإنشـاء، لبعـد ابـن الكويز عن ذلك. فتمشت به الأحوال. ولم يـزل قائمـا بـأمور كتابـة السـر، لعجـز مـن وليها فى هذه المدد، من الجمال يوسف بن الصفى ومن الهروى وغيره، حتى ولى كتابـة السر، فكان أنسب الموجودين(١).

وفيه خلع على تاج الدين عبد الوهاب المعروف بالخطير، واستقر فى نظر الإصطبـل. وهذا الخطير – من سنين قريبة – أسلم، وكان يباشر بديوان السلطان وهو أمـير، فرقـاه فى سلطنته إلى هنا(٢).

وفيه كتب بالإفراج عن نجم الديـن عمـر بـن حجـى وإطلاقـه مـن الحديـد، وإقامتـه بدمشق، على أن يحمل مبلغا ذكر له.

وفى ثامن عشرينه: قبض على السيد الشريف مقبل أمير ينبع، وسجن.

وفى هذا الشهر: عرض السلطان المـماليك الذيـن عينهـم لغـزو الفرنـج فـى البحـر. وتقدم إلى كل من الأمراء الألوف بتجهيز عشرة مماليك من مماليكه.

وفيه خرج الأمير قرقماس من مكة بمن معه فـى طلـب الشـريف حسـن بـن عجـلان حتى بلغ حلى من أطراف اليمن، فلم يقابله ابن عجلان مع قوتـه وكـثرة مـن معـه، بـل تركه وتوجه نحو نجد تنزها عن الشـر، وكراهـة الفتنـة، فعـاد قرقمـاس وقـدم مكـة فـى العشرين منه.

شهر رجب، أوله السبت:

فى ثالثه: خلع على قاضى القضاة شـهاب الديـن أحمـد بـن حجـر وأعيـد إلى قضـاء القضاة عوضا عن محمد الهروى، لسوء سيرته، وقبح سريرته، وفساد طويته، وبعـده عـن كل خير، واشتماله على جملة الشر(٣).

وفى رابعه: حمل الشريف مقبل أمير ينبع والشريف رميثة بن محمـد بـن عجـلان فـى الحديد إلى الإسكندرية، وسجنا بها(٤).

وفى هذه الأيام: ارتفع سعر الفول مـن تسـعين درهمـا الأردب إلى مائـة وخمسـين. وارتفعت أسعار الغلال بدمشق.

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ١١٠.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/١١١.

(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ١١٢.

(٤) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ١١٢.

وفيها وقع الاجتهاد فى عمل الأغربة. ولم تحسن سيرة من ولى عملها، فإنه أخذ الأخشاب ظلما، وقطع أشجار الجميز والحور بغير رضاء أربابها، وسخر الناس فى حملها وعملها، فأشبه هذا الغزو، مَنْ صلى لغير القبلة بغير وضوء عمدًا.

وفيها توقفت أحوال الديوان المفرد، وتأخرت نفقة المماليك.

وفى عاشره: أدير محمل الحاج على العادة، وعرضت كسوة الكعبة على السلطان. وقد اجتهد القاضى زين الدين عبد الباسط فى تأنقها، حتى جاءت فى غاية من الحسن، بحيث لم يعمل فيما أدركناه مثلها.

وفى هذا الشهر: كان قطاف عسل النحل، فلم يوجد منه كبير شىء، فارتفع سعره، وبلغ سعر الفول مائتى درهم الأردب.

وفيه اعتبر متحصل الديوان المفرد ومصروفه، فعجز فى كل سنة مائة ألف وعشرين ألف دينار، يجبيها أستادار من النواحى بعد ما عليها من المستقر والحادث، ويتنوع فى مظالم العباد، ويبالغ فى العسف، حتى يسدها. ويأخذ المباشرون وأعوانه نحوًا منها. فلذلك خرب إقليم مصر وآلت أحوال الناس إلى التلاشى.

وفى ثالث عشره: أنفق فى الغزاة، وهم ستمائة رجل، مبلغ عشرين دينارًا لكل واحد، وجهز الأمراء ثلاثمائة رجل. ونودى من أراد الجهاد فليحضر لأخذ النفقة.

وفى عشرينه: سارت الخيول فى البر إلى طرابلس. وعدتها ثلاثمائة فرس، لتحمل صحبة الغزاة من طرابلس فى البحر.

وفى هذا الشهر: خرج مركب من اللاذقية، قد أشحن بمجاديف، حتى يحضرها إلى مصر برسم الأغربة التى أنشئت صحبة الريس فاضل. فلما حاذت جزيرة أرواد خرج طائفة من الفرنج يريدون أخذها، فقاتلهم المسلمون حتى قُتلوا عن آخرهم، وعدتهم خمسون رجلا. وأفلت منهم رجل واحد. وأخذ الفرنج المجاديف وغيرها، وحرقوا المركب. وفاضل هذا من أهل مدينة أياس، فقدم إلى السلطان فى السنة الخالية، وحسن له غزو الفرنج، ووعده بغنيمة أموال عظيمة، حتى كان من غزوة اللمسون ما كان، فأخذ فى التعبئة لغزوهم ثانيا، أيده الله تعالى بنصره عليهم.

وفيه شنع الوباء بدمياط وفارسكور، وكان ابتداؤه عندهم من جمادى الأولى.

وفى حادى عشره: توجه الهروى عائدا إلى القدس على وظيفة التدريس بالصلاحية.

وفى يوم الجمعة ثانى عشره: ركب السلطان بعد صلاة الجمعة بثبات جلوسه، كما هى عادته، حتى شاهد الأغربة بساحل بولاق، وعاد.

وفى ثالث عشرينه: ركب الأمير ناصر الدين محمد ابن السلطان والأمير جانبك، حتى شاهد توجه الأغربة. وقد أقام فى دار القاضى زين الدين عبد الباسط المطلة على النيل، فانحدر فى النيل أربعة أغربة بكل غراب أمير، ومقدم الجميع الأمير جرباش حاجب الحجاب، فكان يوما مشهودا، حُشر فيه الناس من كل جهة لمشاهدة ذلك. ثم انحدر فى يوم الإثنين غراب واحد، وانحدر فى يوم الثلاثاء غرابان، وفى يوم الخميس سادس عشرينه غراب.

وفى هذا الشهر: قطع السلطان جرايات المباشرين من القمح، وهى خمسة آلاف أردب، فتوفرت للسلطان.

شهر شعبان، أوله الإثنين:

فى ثالثه: انحدر غراب ثامن.

وفيه جاء قاع النيل خمسة أذرع وعشر أصابع، ونودى عليه من الغد خمسة أصابع. وهى ابتداء النداء على النيل.

وفى يوم السبت سادسه: حدث عند شروق الشمس زلزلة قدر ما يقرأ الإنسان سورة الإخلاص، ثم زلزلت ثانيا مثل ذلك، ثم زلزلت مرة ثالثة، فلولا أن الله لطف بسكَونها، لسقطت الدور، فإن الأرض مادت، وتحركت المبانى وغيرها حركة مرعبة، بحيث شاهدت حائطا خرج عن مكانه ثم عاد. وأخبرنى من لا أتهم أنه كان وقت الزلزلة راكبا فرسه فخرج عن السرج حتى كاد يسقط.

وفى غده: نودى - عن أمر السلطان - بصوم الناس ثلاثة أيام من أجل الزلزلة، فما أنابوا ولا سمعوا.

وفى ثامنه: نودى بأن لا يباع السكر إلا للسلطان ولا يشترى إلا منه، فعاد الأمر كما كان.

وفى ليلة الخميس ثامن عشره: وقع الحريق بثلاثة أماكن فما طفئ إلا بعد جهد.

وفى هذا الشهر: بلغ الفول دينارًا لكل أردب، بعدما كان كل ثلاثة أرادب ونصف بدينار. وتجاوز القمح المائتين بعد مائة وخمسين. وقل وجود الغلال، وطلبها الناس، فشحت أنفس أربابها وخزنتها، هذا مع توالى زيادة النيل.

وفى هذا الشهر: اتفقت حادثتان غريبتان إحداهما أن رجلا مر فى سفره ببلاد الغربية على أتان(١) له، وتحته خرج فيه قماش، فخرج عليه بعض قطاع الطريق وألقاه إلى الأرض ليذبحه، فقال له: «بالله اسقنى شربة ماء قبل أن تذبحنى» فألقى الله تعالى فى قلبه عليه رحمة، لما يريده به. وفتح خرج الرجل وتناول منه إناء وعبر فى الماء حتى يغترف فى الإناء منه، فاختطفه تمساح، وذهب فى الماء فكسره، وأكله، والرجل يراه وهو مكتوف، وأتانه واقف مع فرس قاطع الطريق، قائمان قريبا منه. فأقام كذلك حتى مر به أناس عن بعد، فصاح بهم إلى أن أتوه، فأعلمهم بما جرى له، وما كان من هلاك عدوه، فحلوا أكتافه وأتوا به وبالفرس والأتان، والخرج، إلى الوالى، فقص عليه قصته فأخذ الفرس وخلاه لسبيله. فمضى بأتانه وخُرجه، فكان فى هذا موعظة لمن اتعظ. وكفى بالله نصيرًا.

والثانية: أن متولى الحرب بتلك النواحى وسط سبعة رجالة من قطاع الطريق وعلقهم على ممر المسافرين، كما هى عادتهم فى ذلك. وأكد على الخفراء أرباب الدرك فى حراستهم طول الليل، خوفا من مجىء أهاليهم وأخذهم إياهم، وحلف بأيمانه لئن فقد أحد منهم ليوسطن الجميع فباتوا يحرسونهم حتى كاد الليل يذهب، أخذهم النوم ثم انتبهوا فى السحر، فإذا بعدة الموسطين قد نقصت واحد. فمن شده خوفهم أن يطلع النهار ويبلغ الوالى أن الموسطين قد أخذ منهم واحد فيوسطهم بدله، مروا فى الدرب المسلوك ليأخذوا من انفرد من المسافرين، يوسطوه ويعلقوه بدل الذى نقص من العدة، فإذا هم برجل على حمار وتحته قفتين، فأخذوه، ووسطوه، وعلقوه مع الموسطين. فلما طلع النهار جاءهم مقدم الوالى لكشف حال الموسطين، فإذا عدتهم قد زادت واحدًا، فأنكر على الخفراء وأحضرهم إلى الوالى، وأعلمه الخبر، فلم يجدوا بدا من الصدق. وأخبروه أنهم ناموا من آخر الليل، وانتبهوا سحرًا فرأوا العدة قد نقصوا واحدًا فما شكوا فى أنه أخذه أهله، فأخذوا رجلا على حمار من المارة ووسطوه وعلقوه مكان الذى نقص. وحلفوا أيمانًا عديدة أنهم ما رأوهم إلا ناقصين واحدًا. فأمر بفتح القفتين اللتين كانتا على حمار المقتول، فإذا فى كل قفة نصف امرأة قد نقشت، فعلم الوالى ومن حضره أنه كان قد قتل هذه المرأة وسرى بها سحرًا حتى يواريها، فقتله الله بها. وكان فى هذه تذكرة لمن وعى أن الجزاء واقع.

وفى آخر هذا الشهر: أفرج عن الأمير طربای من سجن الإسكندرية، ونقل إلى القدس ليقيم به غير مضيق عليه، وأنعم عليه بألف دينار.

---

(١) هى زوج الحمار، والجمع أُتن. انظر لسان العرب (أتن) والمذكر والمؤنث للفراء، وللتسترى لأبى بكر الأنبارى، ولابن جنى، وللمفضل، لأبى حاتم.

شهر رمضان، أوله الثلاثاء:

أهل هذا الشهر وقد انحل سعر الغلال، وكثرت فـى العراص[1] والساحل من غير سبب يظهر فى ارتفاعها أولا، ثم فى انحطاطها، إن الله على كل شىء قدير، وبالناس لرءوف رحيم.

وفى يوم الثلاثاء ثامنه: قبض على الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله أستادار، وعلى ولده الأمير صلاح الدين محمد، وعوقا بالقلعة.

وفى يوم الخميس عاشره: خلع على الأمير زين الدين عبد القادر ابن الأمير فخر الدين عبد الغنى بن أبى الفرج. واستقر أستادارًا عوضا عن الصاحب بدر الدين حسن ابن نصر الله.

وفى ثانى عشره: أفرج عن الصاحب بدر الدين، ونزل إلى داره، وقد ألزم بحمل نفقة الشهر وعليقه، وذلك نحو ثلاثين ألف دينار. وترك ابنه الأمير صلاح الدين بالقلعة رهينة على المال، فأخذ فى بيع أملاكه وخيوله وثيابه وأثاثه.

وفى رابع عشره: خلع على جمال الدين يوسف بن الصفى الكركى، واستقر فى كتابة السر بدمشق، عوضا عن بدر الدين حسن.

وفى يوم الثلاثاء ثانى عشرينه - الموافق له رابع عشر مسرى -: أوفى النيل ستة عشر ذراعا. ونزل الأمير ناصر الدين محمد ابن السلطان ففتح الخليج على العادة بعد تخليق المقياس، وركب فى خدمته الصالح بن ططر.

وفى يوم الأربعاء - صبيحة الوفاء -: نودى على النيل بزيادة عشر أصباع. ونودى فى يوم الخميس بزيادة عشر أصابع. وهذا من نوادر زيادات النيل.

وفى هذا الشهر: عز وجود اللحم بالأسواق.

شهر شوال، أوله الأربعاء:

فى تاسعه: ورد الخبر من طرابلس بنصرة المسلمين على الفرنج، فدقت البشائر بالقلعة، وجمع القضاة والأعيان بالجامع الأشرفى، وقرئ عليهم الكتاب ونودى بزينة القاهرة ومصر فزينتا. ثم قرئ الكتاب من الغد بجامع عمرو بن العاص. وكتبت البشائر

---

(١) العرصة: هى كل موضع واسع بين الدور لا يوجد بناء فيه. انظر لسان العرب ، المعجم الوسيط (عرص).

إلى الإسكندرية والبحيرة والوجه القبلى. وبينما الناس مستبشرين بنصر الله على أعدائه إذ قدم الخبر فى يوم الإثنين ثالث عشره بوصول الغزاة إلى الطينة، فكثر القلق. وكان من خبرهم أنهم لما توجهوا من ساحل بولاق، مروا على دمياط إلى طرابلس، وتوجهوا منها فى بضع وأربعين مركبا إلى جزيرة الماغوصة، فخيموا فى برها الغربى، وقد خافهم متملكها، وبعث بطاعته للسلطان، فبلغهم تهيؤ صاحب قبرس للقائهم، واستعداده لمحاربتهم، فباتوا بمخيمهم على الماغوصة ليلة الأحد العشرين من شهر رمضان. وشنوا من الغد - يوم الأحد - الغارات على ما فى غربى قبرس من الضياع، وعادوا بغنائم كثيرة، بعدما قتلوا وأسروا وحرقوا. ثم أقلعوا ليلة الأربعاء يريدون الملاحة، وتركوا فى البر أربعمائة من الرجال، يسيرون بحذائهم، فقتلوا وأسروا وحرقوا. ثم ركبوا البحر وقد وافاهم صباحا الفرنج فى عشرة أغربة وقرقورة، فلم يثبتوا وانهزموا من غير حرب، فأرسى المسلمون بساحل الملاحة. وللحال كرت أغربة الفرنج راجعة إليهم، فقاتلهم المسلمون قتالا شديدًا، وهزموهم. وباتوا ليلة الجمعة خامس عشرينه، فأقبل بكرة يوم الجمعة خامس عشرينه عسكر قبرس، وعليهم أخو الملك، فقاتله نصف العسكر الإسلامى أشد قتال وهزموه بعدما كادوا أن يؤخذوا، وقتلوا من الفرنج مقتلة كبيرة. وأخرجوا الخيول من المركب إلى البر فى ليلة السبت وساروا بكرة يوم السبت يقتلون ويأسرون ويحرقون القرى، حتى ضاقت مراكبهم عن حمل الأسرى، وامتلأت أيديهم بالغنائم، فكتب الأمير جرباش الكريمى - حاجب الحجاب ومقدم العساكر المجاهدة - إلى الأمير قصروه نائب طرابلس بذلك، صحبة قاصد، بعثه من الغزاة ليأتيه بخبرهم، فكتب الأمير قصروه كتابًا إلى السلطان وفى طيه كتاب جرباش إليه، فقرئ كما تقدم ذكره. ثم إن العسكر خاف من متملك قبرس، فإنه قد جمع واستعد، فرأى جرباش أن يعود بهم، فسار حتى أرسى على الطينة قريبا من قطيا، ومن دمياط.

وفى ثالث عشره: أفرج عن الأمير بيبغا المظفرى، ونقل من سجن الإسكندرية إلى دمياط، وجهز إليه فرس ليركبه هناك.

وفى رابع عشره: نودى بالقاهرة من أراد الجهاد فعليه بالنفقة، فكثر قلق الناس.

وفى يوم الأربعاء خامس عشره: كان نوروز القبط بمصر، وماء النيل على ثمانية عشر ذراعا وثمانية إصبعا. وهذا مما يستعظم قدره فى هذا الوقت.

وفى خامس عشرينه: قدم الغزاة بألف وستين أسيرًا، فباتوا بساحل بولاق. وصعدوا بكرة يوم الأحد سادس عشرينه إلى القلعة، وبين أيديهم الأسرى والغنائم وهى على مائة وسبعين حمالا، وأربعين بغلا، وعشرة جمال ما بين خرج، وصناديق،

وحديد، وآلات حربية، وأوانى، فعرض الجميع على السلطان، فكان يوما مشهودًا لم يعهد مثله فى الدولة التركية والجركسية، فرسم ببيع الأسرى وتقويم الأصناف، فابتدئ فى البيع من يوم الإثنين سابع عشرينه بحضرة الأمير جقمق العلاى أمير أخور. وتولى البيع عن السلطان الأمير إينال الششمانى، فاشتراهم الناس على اختلاف طبقاتهم. ورسم أن لا يفرق بين الأولاد وآبائهم، ولا بين قريب وقريبه، فكانوا يشترونهم جميعا. وأنفق السلطان فى طائفة من الغزاة ثلاثة دنانير ونصف لكل واحد، وفى طائفة سبعة دنانير لكل واحد.

وفى هذا الشهر: تعذر وجود اللحم بالأسواق أياما، وإن وجد فإنه قليل جدًا، وغلت أسعار أكثر الأقوات إلا القمح.

وفيه أنشأ زين الدين عبد الباسط، بناحية بركة الحاج بستانا وساقية ماء، وعمّر فسقية كبيرة تملأ بالماء ليردها الحجاج، فعظم الانتفاع بها.

شهر ذى القعدة، أوله الجمعة:

ويوافقه عيد الصليب. كان ماء النيل على عشرين ذراعا، تنقص أصبعا واحدًا، وقل ما عهد مثل هذا.

وفى يوم الإثنين رابعه: اتفق بالقاهرة حادثة شنعاء لم ندرك مثلها، وهى أن رجلا من العشير ببيروت[1] من سواحل الشام - يقال له شعث بن أبى بكر بن الحمراء - قدم ليسعى فى بعض تعلقاته، فخرج سحر هذا اليوم من داره على فرسه، ومعه غلامه، وقد سايره رجل من أهل بلاده، وأخذ يحادثه حتى وصلا بين القصرين عند شروق الشمس، فأخرج الرجل خنجرًا وضرب به ابن الحمراء ضربة وأتبعها بأخرى فسقط عن فرسه. وساق الرجل فرسه فلم يتبعه أحد. وبقى ابن الحمراء طريحًا عدة ساعات، ثم دفن. وبلغ الخبر السلطان، فطلب القاتل فلم يقدر عليه. وكان سبب هذا أن ابن الحمراء قتل والد هذا الرجل من سنين عديدة، وابنه هذا صبى، فتحول إلى القاهرة، وربى بها، وصار من جملة الأجناد بخدمة الأمراء. فلما قدم ابن الحمراء فى هذه الأيام القاهرة، تردد إليه هذا الرجل من أجل أنه من أهل بلاده، فأنس به وغفل عما كان منه، إلى أن جاءه الرجل فى هذا اليوم على عادته، وركب معه، فوجد الفرصة قد أمكنته من عدوه، ففعل ما فعل، وأخذ بثأره.

---

(١) بيروت: مدينة مشهورة على ساحل بحر الشام تُعد من أعمال دمشق، بينهما وبين صيداء ثلاثة فراسخ. انظر معجم البلدان ١/ ٥٢٥ وهى عاصمة لبنان حاليا.

وفى هذا الشهر: انتهت زيادة النيل إلى عشرين ذراعا سواء.

وفيه ارتفع سعر القمح حتى تجاوز الأردب مائتى درهم من الفلوس.

وفيه هدم السلطان خرائب الططر بقلعة الجبل، وكانت خطا كبيرًا يشتمل على مساكن عديدة، فسوى بها جميعها الأرض.

وفى يوم الأربعاء سادس عشرينه: نودى على الفلوس أن يتعامل الناس بها من حساب اثنى عشر درهما الرطل. وكانت قد قلت وعز وجودها لشح الناس بإخراجها، فربح من كان عنده منها شيء، وخسر من له مطالبات، فإنه صار درهمه نصفا.

شهر ذى الحجة، أوله السبت:

فى سابعه: اتفقت حادثة شنعاء، وهى أن الخبز قل وجوده فى الأسواق، فعندما خرج بدر الدين محمود العينتابى[1] - محتسب القاهرة - من داره سائرًا إلى القلعة، صاحت عليه العامة، واستغاثوا بالأمراء، وشكوا إليهم المحتسب، فعرج عن الشارع، وطلع إلى القلعة وهو خائف من رجم العامة له، وشكاهم إلى السلطان. وكان يختص به، ويقرأ له فى الليل تواريخ الملوك، ويترجمها له بالتركية. فحنق السلطان وبعث طائفة من الأمراء إلى باب زويلة، فأخذوا على المارة أفواه السكك ليقبضوا على الناس. فرجم بعض العبيد أحد الأمراء بحجر أصابه، فقبض عليه، وضرب. وقبض على جماعة كبيرة من الناس، وأحضروا بين يدى السلطان، فرسم بتوسيطهم ثم أسلمهم إلى الوالى فضربهم وقطع آنافهم وآذانهم، وسجنهم ليلة السبت. ثم عرضوا من الغد على السلطان فأفرج عنهم - وعدتهم اثنان وعشرون رجلا من المستورين - ما بين شريف وتاجر، فتنكرت القلوب من أجل ذلك، وانطلقت الألسنة بالدعاء وغيره.

وفى هذه الأيام: ارتفع سعر اللحم، وعدم أياما من الأسواق. وارتفع سعر القمح أيضا، وعز وجوده، مع كثرته بالشون والمخازن، وعلو النيل وثباته[2].

وفى حادى عشرينه: خلع على شهاب الدين أحمد بن صلاح الدين بن محمد المعروف بابن المحمرة، واستقر فى مشيخة الخانكاة الصلاحية سعيد السعداء، بعد وفاة شمس الدين محمد بن أحمد البيرى، المعروف بأخى جمال الدين الأستادار. وابن المحمرة هذا كان أبوه سمسارًا فى الغلال بساحل بولاق، وعمه طحانا، وولد هو بظاهر القاهرة، وقرأ القرآن وقرأ عدة كتب ما بين فقه ونحو وغيره، واشتغل على شيوخ العصر حتى برع فى الفقه على مذهب الشافعى. وشارك فى فنون، وجلس فى

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة «العينى» ١٤/ ١١٧.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ١١٧، ١١٨.

حوانيت الشهود زمانا، واستنابه في الحسبة بالقاهرة بوساطة الأمير يلبغا السالمى، وكان من أصحابه. ثم ناب فى الحكم بالقاهرة عن قاضى القضاة جلال الدين عبد الرحمن بن البلقينى مدة سنين. وأثرى فى قضائه، وكثر ماله. ثم صرف عن الحكم، ودرس الفقه بخانكاة شيخو بمال وزنه فى التدريس، ثم ولى الخانكاة.

وفيه قدم كتاب الأمير تغرى بردى المحمودى من مكة وقد توجه حاجبا يتضمن أنه بعث، لما نزل من عقبة أيلة، قاصدًا إلى الشريف حسن بن عجلان، يرغبه فى الطاعة ويحذره عاقبة المخالفة، فقدم ابنه الشريف بركات بن حسن، وقد نزل بطن مر، فى ثامن عشرين ذى القعدة، فسر بقدومه ودخل به معه مكة أول ذى الحجة، وحلف له بين الحجر الأسود والملتزم، أن أباه لا يناله مكروه من قبله ولا من قبل السلطان، فعاد إلى أبيه، وقدم به مكة يوم الإثنين ثالث ذى الحجة، وأنه حلف له ثانيا، وألبسه التشريف السلطانى، وقرره فى إمارة مكة على عادته، وأنه عزم على حضوره إلى السلطان صحبة الركب، واستخلاف ولده بركات على مكة.

وفى خامس عشرينه: ورد إلى ساحل بولاق اثنا عشر غراب من أغربة الغزاة.

وفى ثامن عشرينه: قدم مبشرو الحاج وأخبروا بسلامة الحجاج، وأن الوقفة بعرفة كانت يوم الإثنين، وكانت بالقاهرة يوم الأحد.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

قاضى القضاة علاء الدين أبو الحسن على بن بدر الدين أبو الثناء محمود بن أبى الجود أبى بكر بن مغلى الحموى الحنبلى، فى يوم الخميس العشرين من المحرم، وقد قارب السبعين سنة، وكانت أباؤه من سلمية، يعانون التجارة وولد هو بحماة، ونشأ بها، وعانى طلب العلم، وقدم القاهرة شابا سنة إحدى وتسعين فى زى التجار، واشتهر بكثرة الحفظ لجودة حافظته، ومازال يدأب حتى صار من أئمة الفقه والحديث والنحو، ويشارك فى فنون كثيرة، وكان يحفظ فى كل مذهب من المذاهب الثلاثة كتابا، ويحفظ من مذهبه كثيرا إلى الغاية، وولى قضاء الحنابلة بحماة بعد سنة ثمانمائة، ثم ولاه المؤيد شيخ قضاء القضاة الحنابلة بالديار المصرية، فباشره حتى مات. وكان له ثراء وسعة، ولم يخلف بعده مثله.

وقتل الأمير تغرى بردى خنقا بقلعة حلب فى ربيع الأول، فمستراح منه، لا دين ولا عقل ولا مروءة، ما هو إلا الظلم والفسق.

ومات زين الدين شعبان بن محمد بن داود الآثارى[1] فى سابع عشر جمادى الآخرة، وقد ولى حسبة مصر فى أيام الظاهر برقوق بمال عجز عنـه، ففـر إلى اليمـن بعـد عزلـه، وصار له بها حظ، لأنه كان يكتب خطا جيدا وينظم الشعر، ثم قدم مكـة بعـد سـنين، وقدم القاهرة، وتوجه إلى الشام، ثم عاد وهو مريض، فمات يوم قدومه، وورثه أخوه.

وتوفى بدر الدين محمد بن عمر بن أبـى بكـر الدمـامينى المـالكى، الأديـب، الشـاعر بمدينـة كربركـا مـن بـلاد الهنـد، فـى شـعبان، عـن نحـو سـبعين سـنة، وكـان قـد نشـأ بالإسكندرية، وفاق فى الأدب، وقال الشعر الجيد، وبرع فى العربية، وعانى دولبة عمل الثياب الحرير، فاحتج، وألجأته الضرورة إلى فراره من أرض مصر، فصار له فى بلاد الهند ثراء، فلم يتهن به، ومات.

وتوفى الأمير ناصر الدين محمد بن أحمد بن عمر بـن يوسـف بـن عبـد الله بـن عبـد الرحمن بن إبراهيم بن محمد بن أبـى بكـر التنوخـى الشـهير بـابن العطـار الحمـوى نـاظر القدس، فى ثالث عشر شوال، ببلد الخليل عليه السلام، ومولده فى سـنة أربـع وسـبعين وسبعمائة. وكان أبوه من أعيان أهل حمـاة، يباشـر أستادار الأمـراء، واختـص بالظـاهر برقوق أيام سجنه بالكرك، وقد كان بها، وخرج معه منها، فمات قبل عود الملك إليـه، فاستدنى الظاهر برقوق ابنه ناصر الدين هذا، وأنعم عليه بإمرة فى حماة، ثم ولى حجوبية حماة. ونوه به ناصر الدين محمد بن البارزى، لما ولى كتابة السر، لقرابته بـه، وولاه نيابـة الإسكندرية[2]، فلما مات – وهو المؤيد – صرف عنها ثم ولاه السـلطان نظـر القـدس

(١) شعبان بن محمـد (٧٦٥ – ٨٢٨ هـ = ١٣٦٤ – ١٤٢٥م). شعبان بـن محمـد بـن داود الموصلى المعروف بالآثارى: أديب، له شعر كثير، فيه هجو ومجون، ولد بالموصل، وتنقل فى البلـدان، وتلقب بالآثارى لإقامته فى أماكن الآثار النبوية، مدة واستقر فى القاهرة، وبها وفاتـه ولـه أكثـر مـن ثلاثين كتابا فى الأدب والنحو، منها «الحسان العرب» فى علـوم الأدب، وألفيـة فـى النحـو: «كفايـة الغلام». انظر ديوان الإسلام – خ – الضوء اللامع ٣٠١/٣، شـذرات الذهـب ٨٤/٧، الأعـلام ١٦٤/٣.

(٢) الإسكندرية: قال ابن إياس فى ذكر مدينة الإسكندرية وما فيها مـن العجـائب: هـذه المدينـة مـن أعظم مدائن الدنيا وأقدمها وضعًا، وقد بنيت غير مرة فأو ما بنيت بعـد كـون الطوفـان فـى زمـان مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام، وكان يقال لها مدينة رقـودة ثـم بنيت بعـد ذلـك مرتين، فلما كان فى أيام اليونانيين حددها الإسكندر بن فيلبس المجدونى بعد تخريب بختنصر مدينـة منف بمائة وعشر سنين شمسية فعرفت به، وانتقل بختنصر الملك مـن مدينـة منـف إلى الإسـكندرية، فصارت دار المملكة بديار مصر، ولم تزل على ذلك حتـى ظهـر ديـن الإسلام، وقـدم عمـرو بـن العاص بجيوش المسلمين وفتح الإسكندرية وصارت ديـار مصر مـع المسلمين فـانتقل تحت الملك حينئذ من الإسكندرية دار مملكة ديار مصر. انظر نزهة الأمم ١٧١.

والخليل، وكان من خير من صحبت ديانة وملازمة لتلاوة القرآن، ومعرفة وخبرة ومشاركة، فى فنون من العلم.

ومات الفقيه نور الدين على بن أحمد بن سلامة السليمى المكى، بها، فى أخريات شوال، وقد أناف على الثمانين، وكان فقيها شافعيا فاضلا فى فنون، قدم القاهرة وسمع معنا الحديث وتردد إلى سنين بالقاهرة ومكة.

وتوفى شمس الدين محمد بن أحمد بن أحمد بن جعفر بن قاسم البيرى الحلبى، أخو الأمير جمال الدين يوسف الأستادار، فى يوم الجمعة المبارك رابع عشر ذى الحجة، عن نحو الثمانين سنة، وكان يلى قضاء البيرة، ثم قدم القاهرة وولى قضاء القضاة بحلب مدة ثم عزل وعاد إلى القاهرة، ودرس بالمدرسة الناصرية المجاورة لقبة الإمام الشافعى بعد الجلال محمد أبى البقاء، وولى مشيخة الخانكاه الركنية بيبرس بعد الشريف بدر الدين حسن النسابة، كل ذلك بجاه أخيه. فلما قتل أخوه نكب وصرف، ثم أفرج عنه وولى فى أيام المؤيد شيخ الخانكاه الصلاحية سعيد السعداء حتى مات وكان فيه سكون، ويذكر عنه تدين.

وقتل الأمير طوغان - أمير أخور فى أيام المؤيد شيخ - ذبحًا بقلعة المرقب، فى ذى الحجة، وكان من جملة التراكمين، يخدم سايس خيل بعض أجنادها، فترقى حتى صار أمير أخور كبير للملك المؤيد، وله به اختصاص، ثم نكب بعده حتى قتل، وهو كما قيل: لم أبك منه على دنيا ولا دين.

ومات الأمير سيف الدين أبو بكر حاجب طرابلس بها، وقد تكرر ذكره فى أيام الأمير جكم، وكان مشكورا.

* * *

سنة تسع وعشرين وثمانمائة

أهلت وخليفة الزمان المعتضد با لله أبو الفتح داود بن المتوكل على ا لله أبو عبد ا لله محمد، وسلطان الإسلام الملك الأشرف أبو العز برسباى الدقماقى، وأتابك العساكر الأمير الكبير قجق، وأمير مجلس الأمير أينال الجكمى، وأمير سلاح الأمير أينال النوروزى، وأمير أخور الأمير جقمق، والدوادار الأمير أزبك، ورأس نوبة تغرى بردى المحمودى، وحاجب الحجاب الأمير جرباش قاشق، وأستادار الأمير زين الدين عبد القادر ابن الأمير الوزير فخر الدين عبد الغنى ابن الوزير تاج الدين عبد الرزاق بن أبى الفرج، والوزير كريم الدين عبد الكريم ابن الوزير الصاحب تاج الدين عبد الرزاق بن شمس الدين عبد ا لله بن كاتب المناخ، وناظر الخاص كريم الدين عبد الكريم بن سعد الدين بركة بن كاتب جكم، وكاتب السر بدر الدين محمد بن محمد بن أحمد بن مزهر، وناظر الجيش زين الدين عبد الباسط بن خليل، وقاضى القضاة الشافعى الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر، وقاضى القضاة الحنفى زين الدين عبد الرحمن التفهنى، وقاضى القضاة المالكى شمس الدين محمد بن عبد البساطى، وقاضى القضاة الحنبلى محب الدين أحمد بن نصر ا لله البغدادى، ونائب الشام الأمير سودن من عبد الرحمن، ونائب شارقطلوا، ونائب حماة الأمير جلبان أمير أخور، ونائب طرابلس الأمير قصروه، ونائب صفد الأمير مقبل الداوادار، ونائب الإسكندرية الأمير أقبغا التمرازى، وأمير مكة الشريف حسن بن عجلان، وأمير المدينة النبوية عجلان بن نعير.

وأسعار المبيعات بالقاهرة مع عامة الأقوات قليلة، سيما اللحم واللبن والجبن، لم نعهد مثل قلتهم فى هذا الوقت، وقد انحل سعر الغلال، وأبيع الأرز بألف درهم الأردب. والدينار الأفرنتى بمائتين وخمسة وعشرين درهما من الفلوس، والفلوس باثنى عشر درهما الرطل، وأحوال الناس بديار مصر وبلاد الشام واقفة، لقلة مكاسبهم، وقد شمل إقليم مصر - مدينتها وأريافها - الخراب، لاسيما الوجه القبلى، فمن شدة فقر أهله وفاقتهم وسوء أحوالهم لا يتبايعون إلا بالغلال، لعدم الذهب والفضة، بعدما كان ما كانوا فيه من الغنى والسعة فى غاية.

شهر ا لله المحرم، أوله الإثنين:

فى ليلة الخامس عشر: خسف جرم القمر بأجمعه، ومكث جميع جرمه منخسفا نحو ثمانى عشر درجة.

وفى يوم الإثنين: هذا خلع على الأمير أينال الششمانى، واستقر فى حسبة القاهرة، عوضا عن بدر الدين محمود العينتابى.

وفى تاسع عشره: قدم الشريف رميثة بن محمد بن عجلان، وقد أفرج عنه من سجنه بالإسكندرية.

وفى عشرينه: منع قضاة القضاة الأربع من الإكثار من نواب الحكم بالقاهرة ومصر، وأن لا يزيد الشافعى على عشرة نواب، ولا يزيد الحنفى على ثمانية، ولا المالكى على ستة ولا الحنبلى على أربعة، فعمل بذلك مدة أيام، وعادوا لما نهوا من الاستكثار منهم، ولو كان ذلك من الخير لنقص.

وفى ثالث عشرينه: قدم الركب الأول من الحجاج، وتتابع قدومهم حتى قدم الأمير تغرى بردى المحمودى رأس نوبة بالمحمل، وتبعه ساقة الحاج وهم فى ضر وبؤس شديد، من غلاء الأسعار، وقدم معه أيضا الأمير قرقماس المقيم هذه المدة بمكة، وقدم الشريف حسن بن عجلان، فأكرم، ثم خلع عليه سابع عشرينه، واستقر فى إمارة مكة على عادته، وألزم بثلاثين ألف دينار، فبعث قاصده إلى مكة حتى يحضرها، وأقام هو بالقاهرة رهينة، ولم يقع فى الدولة الإسلامية مثل هذا.

وفى هذا الشهر: كثر موت الجاموس، ولذلك قلت الألبان والأجبان.

وفيه تجددت على الحجاج مظلمة لم تُعهد من قبل، وذلك أنه منع التجار أيام الموسم أن يتوجهوا من مكة إلى بلاد الشام بما ابتاعوه من أصناف تجارات الهند، وألزموا أن يسيروا مع الركب إلى مصر حتى يؤخذ منهم مكوس ما معهم، فلما نزل الحجاج بركة الحاج وخرج مباشرو الحاج وأعوانهم، واشتدوا على جميع القادمين من التجار والحجاج، واستقصوا تفتيش محايرهم وأحمالهم، وأخرجوا سائر ما معهم من الهدية وأخذوا مكسها، حتى أخذوا من المرأة الفقيرة مكس النطع[1] الصغير عشرة دراهم فلوسا، وأما التجار فإنه كان أخرج إليهم فى السنة الخالية بعض مسالمة الأقباط من القاهرة - كما تقدم ذكره - فوصل إلى مكة، ومضى إلى جدة بأعوانه، فضبط ما وصل فى المراكب من بلاد الهند وهرمز من أصناف المتجر، وأخذ منها العشور، فقدم فى المراكب الهندية إلى جدة فى هذه السنة زيادة على أربعين مركبا تحمل أصناف البضائع، وذلك أن التجار وجدوا راحة بجدة، بخلاف ما كانوا يجدون بعدن، فتركوا بندر عدن واستجدوا بندر جدة عوضه، فاستمر بندر جدة عظيما، وتلاشى أمر عدن من أجل

---

(١) هو البساط من الأديم.

هذا، وضعف حال متملك اليمن، وصار نظر جدة وظيفة سلطانية يخلع على متوليها، ويتوجه فى كل سنة إلى مكة فى أوان ورود مراكب الهند إلى جدة، ويأخذ ما على التجار ويحضر إلى القاهرة به، وبلغ ما حمل إلى الخزانة من ذلك زيادة على سبعين ألف دينار، سوى ما لم يحمل، فجاء للناس ما لا عهد لهم بمثله، فإن العادة لم تزل من قديم الدهر فى الجاهلية والإسلام أن الملوك تحمل الأموال الجزيلة إلى مكة لتفرق فى أشرافها ومجاوريها، فانعكست الحقائق، وصار المال يحمل من مكة، ويلزم أشرافها بحمله، ومع ذلك فمنع التجار أن يسيروا فى الأرض يبتغون من فضل الله، وكلفوا أن يأتوا إلى القاهرة حتى تؤخذ منهم المكوس على أموالهم، وأنى لأذكر أن الملك المؤيد شيخا نظره مرة فى أيام قدوم الحاج فرأى من أعلى قلعة الجبل خياما مضروبة بالريدانية خارج القاهرة، فسأل عنها، فقيل عنها، فقيل له إن العادة أن ينصب ناظر الخاص عند قدوم الحاج خياما هناك ليجلس فيها مباشرو الخاص وأعوانه، حتى يأخذوا مكس ما معهم من البضائع، فقال: «والله إنه لقبيح أن يعامل الحاج عند قدومه بهذا»، واستدعى بعض أعيان الخاصكية، وأمره أن يركب ويسوق حتى يأتى تلك الخيام ويهدمها على رءوس من فيها، ويضربهم حتى يحملوها وينصرفوا، ففعل ذلك، ولم يتعرض أحد فى تلك السنة للحجاج، وكان ناظر الخاص إذ ذاك الصاحب بدر الدين حسن نصر الله، ولعمرى لقد سمعت عجائز أهلنا وأنا صغير يقلن إنه ليأتى على الناس زمان يترحمون فيه على فرعون فبرغمى إن مضين وخلفت حتى أدركت وقوع ما أنذرنا به قبل، والله عاقبة الأمور.

شهر صفر، أوله الأربعاء:

فى نصفه: جمع السلطان الأمراء والقضاة وكثيرًا من التجار، وتحدث فى إبطال المعاملة بالذهب المشخص الذى يقال له الأفرنتى، وهو من ضروب الفرنج، وعليه شعار كفرهم الذى لا تجيزه الشريعة المحمدية. وهذا الأفرنتى كما تقدم ذكره قد غلب فى زمننا من حدود سنة ثمانمائة على أكثر مدائن الدنيا، من القاهرة ومصر وجميع أرض الشام، وعامة بلاد الروم والحجاز واليمن، حتى صدر النقد الرابح، فصوب من حضر رأى السلطان فى إبطاله، وأن يعاد سبكه بدار الضرب، ثم يضرب على السكة الإسلامية، فطلب من الغد صياغ دار الضرب، وشرع فى سبك ما عنده من الدنانير الإفريقية.

وفى هذا الشهر: عز وجود الخبز فى الأسواق أحيانا، مع كثرة الغلال وقلة طالبيها. وفقد اللحم أيضا عدة أيام من قلة جلب الأغنام، وسبب ذلك أن الوزير يحتاج فى كل

يوم إلى اثنى عشر ألف رطل من اللحم برسم المماليك السلطانية، ومطبخ السلطان وحريمه، فحجر على باعة اللحم أن يزيدوا فى سعره حتى لا يزداد عليه ما يقوم بـه فـى ثمن اللحم، واقتنى أغناما كثيرة، وصار يشتريها بما يريد، فلا تصل أثمانها إلى بائعها إلا وقد بخسوا فيها، كما هى عادتهم فى بخس الناس أشياءهم، فنفر تجار الغنم وجلابتها من الحضور بها إلى أسواقها، خوفا من الخسارة، وكانت أراضى مصر فى السنة الخالية محلا من قلة ماء النيل فى أوانه، وسرعة هبوطه، حتى شرقت الأراضى إلا قليلا، فقلت المراعى، ثم ارتفع سعر الفول والشعير، فشحت الأنفس بعلف البهائم والأنعام، خصوصا الفلاحون، فإن أحوالهم ساءت فهزلت من أجل هذا بهيمة الأنعام من الغنم والبقر والجاموس، وتعذر من نصف شهر رمضان الماضى وجود لحم الضأن، وارتفع سعره من سبعة دراهم للرطل إلى عشرة دراهم ونصف، وقلت الألبان والأجبان والسمن، وبلغت أثمانا لم نعهد مثله فى زمن الربيع، واتفق مع هذا كله الموت الذريع فى الجاموس، حتى فنى معظمه، ووقع الفناء أيضا فى الأبقار وماتت أيضا الأغنام وحمير وخيل غير كثيرة العدد.

وفى سادس عشرينه: نودى بإبطال المعاملة بالدنانير الأفرنتية، وأن يتعامل الناس بالدنانير الأشرفية، وزنة الدينار منه زنة الدينار الأفرنتى، وألزم الناس بحمل ما عندهم من الأفرنتية إلى دار الضرب، حتى تسبك وتعمل دنانير أشرفية وخلع على شرف الدين أبى الطيب محمد بن تاج الدين عبد الوهاب بن نصر الله، واستقر فى نظر دار الضرب، وقد كان باشر نظر وقف الأشراف، ونظر كسوة الكعبة أحسن مباشرة، بعفة وأمانة ونهضة.

وفى نصف هذا الشهر: ارتفع سعر القمح وتجاوز الأردب ثلاثمائة درهم وقل وجود الدقيق فى الطواحين، ووجود الخبز بالأسواق، وشنع الأمر فى تاسع عشرينه، وازدحم الناس بالأفران فى طلب الخبز، وتكالبوا على ابتياع القمح، فشحت نفوس الخزان به وأبيع القدح الفول بأربعة دراهم ولهذا أسباب: أحدها أن البدر محمود العنتابى كان أيام حسبته يلين للباعة، حتى كأنه لا حجر عليهم فيما يفعلوه، ولا ما يبيعوا بضائعهم به من الأثمان، فلما ولى الششمانى أرهب الباعة وردعهم بالضرب المبرح، فكادوه، وترك عدة منهم ما كان يعانيه من البيع، واتفق فى هذه الأيام هلك كثير من الجاموس والبقر، بحيث أن رجلا كان عنده مائة وخمسون جاموسة فهلكت بأجمعها، ولم يبق منها سوى أربع جاموسات، وما ندرى ما يتفق لها، فقلت الألبان والأجبان والسمن. ثم هبت فى نصف هذا الشهر رياح مريسية، وتوالت أياما تزيد على عشرة، لم تستطع المراكب

السفر فى النيل، فانكشف الساحل من الغلة، وجاء الخبر بغلاء الأسعار فى بلاد غزة والرملة ونابلس والساحل ودمشق وحوران وحماة، حتى تجاوز سعر الأردب المصرى عندهم ألف درهم فلوسا، إذا عُمل حسابه. وقدم الخبر بغلاء بلاد الصعيد وأنها بأسرها لا يكاد يوجد بها قمح ولا خبز برّ، ومع هذه الرزايا كلها شح الأعيان وطمعهم، فإن بعض أمراء الألوف لما بلغ القمح مائتين وخمسين درهما الأردب قال: «لا أبيع قمحى إلا بثلاثمائة درهم الأردب». ومنع السلطان أن يباع من حواصله قمح لقلة ما عنده، فظن الناس الظنون، وجاعت أنفسهم، وقوى الحرص، وتزايد الشح، فأمسك خزان القمح ما عندهم منه ضنًا به وأملوا أن يبيعوا البر بالدر. هذا، ومتولى الحسبة بعيد عن معرفتها، فآل الأمر إلى ما قيل: «تجمعت البلوى على وتحد فرد».

وفيه انحط سعر اللحم من عشرة دراهم ونصف الرطل إلى ثمانية ونصف، وهو هزيل لقلة علف البهائم.

شهر ربيع الأول، أوله الجمعة:

أهل هذا الشهر والأردب القمح بثلاثمائة، سوى كلفه، وهى مبلغ عشرين درهما، والدقيق كل بطة زنة خمسين رطلا بمائة وعشرين درهما، وهما قليل، وقد خسر الناس فى تفاوت سعر الدينار الأفرنتى والدينار الأشرفى جملة مال، فإن الأفرنتى كان يصرف بمائتين وخمسة وعشرين درهما، وفى علم السلطان أنه إنما يصرف بمائتين وعشرين، ومشى الناس أيضا فيما بينهم نقصه زنة قمحة، فلما نودى أن لا يتعامل أحد بالأفرنتى وضرب السلطان الدنانير الأشرفية وأنفقها فى جوامك المماليك بالديوان المفرد، كثرت فى أيدى الناس، فصار من عنده شىء من الأفرنتية يحتاج أن يتعوض بدله من الصيارفة دنانير أشرفية فيخسر فى كل دينار أفرنتى سبعة دراهم ونصف، إن كان نقصه قمحة، وما زاد على القمحة فبحسابه، فتلفت أموال الناس بسبب ذلك، وربحت الصيارفة أرباحا كثيرة، بحيث أخبرنى من لا أتهم أنه خسر فى دنانير أفرنتية خمسة آلاف درهم.

وفى يوم السبت ثانيه: تيسر وجود الخبز فى الأسواق.

وفيه ابتدأ السلطان بعمل خبز يفرق فى الفقراء كل يوم.

وفى رابع عشره: نودى أن يقطع كل أحد ما تحت حانوته من الأرض، ويرمى بالكيمان، وأن تصلح الطرقات فى سائر أزقة القاهرة ومصر وظواهرهما، وفى جميع الحارات والخطط، وهدد من لم يفعل ذلك، فشرع كل أحد - من جليل وحقير - فى طلب الفعلة وقطع الأراضى، وطلب الحمارة لنقل الأتربة ورميها، فجاءتهم كلف

ومغارم مع ما هم فيه من غلاء الأسعار والخسارة فى الذهب، فلطف الله وبطل ذلك بعد يومين، وقد خسر فيه من خسر جملة.

وفيه قدم الأمير قصروه نائب طرابلس.

وفى هذا الشهر: ظهر رجلان أبديا صنائع بديعة أحدهما من مسلمة الفرنج الذين يتزيوا بزى الأجناد فإنه نصب حبلا أعلى مأذنة المدرسة الناصرية حسن بسوق الخيل تحت قلعة الجبل، ومده حتى ربطه بأعلى الأشرفية من قلعة الجبل، ومسافة ذلك رمية سهم أو أزيد، فى ارتفاع ما ينيف على مائة ذراع فى السماء، ثم إنه برز من رأس المأذنة، ومشى على هذا الحبل، حتى وصل إلى الأشرفية، وهو يبدى فى مشيه أنواعا من اللعب، وقد جلس السلطان لرؤيته، وحشر الناس من أقطار المدينة، فعُد فعله من النوادر التى لو لم تشاهد لما صدقت، ثم خلع عليه السلطان، وبعثه إلى الأمراء، فما منهم إلا أنعم عليه فانتدب بعد ذلك بقليل شاب من أهل البلد لمحاكاة المذكور فى فعله، ونصب حبلا عنده فى داره، ومشى عليه فلما علم من نفسه القدرة على ذلك صعد إلى رأس نخلة، ومد منها حبلا إلى نخلة أخرى ومشى عليه، فأقدم عند ذلك وأظهر نفسه، ونصب حبلا من رأس مأذنة المدرسة الظاهرية برقوق إلى رأس مأذنة المدرسة المنصورية بين القصرين بالقاهرة، وأرخى من وسط هذا الحبل الممتد حبلا، وواعد الناس حتى ينظروا ما يفعله، مما لم يقدر ذلك الرجل على فعله، فجاءوا من كل جهة، وخرج من رأس المأذنة المدرسة الظاهرية، ومشى قائما على قدميه، وقامته منتصبة، حتى وصل رأس مأذنة المدرسة المنصورية، ومسافة ما بينهما نحو المائة ذراع فى ارتفاع أكثر من ذلك، ثم إنه نام على الحبل، وتمدد، ثم قام ومشى حتى وقف على الحبل الذى أرخاه فى وسط الحبل الذى هو قائم عليه، ونزل فيه إلى آخره، ثم صعد فيه، وهو يبدى فى أثناء ذلك فنونا تذهل رؤيتها، لولا ضرورة الحس لما صدقت، وتلاشى بما فعله فعل ذلك الرجل، ثم إنه نصب حبلا من مأذنة حسن إلى الأشرفية بالقلعة، كما نصب الرجل الأول، وجلس السلطان لمشاهدته، وأقبل الناس فى يوم الجمعة تاسع عشرينه، وقد هبت رياح كادت تقتلع الأشجار، وتلقى الدور، فخرج هذا الشاب وتلك الرياح فى شدة هبوبها، فمشى على قدميه حتى وصل إلى حبل قد أرخاه فى الوسط، وأدلى رأسه ، ونزل فيه منكوسا، رأسه أسفل ورجلاه أعلاه، إلى آخره، ثم صعد على الحبل الممتد، ومشى قائما عليه حتى وصل إلى قبة المدرسة، فنزل من الحبل وصعد القبة وهو يجرى فى صعوده جريا قويا فوق شكل كرسى من رصاص أملس، حتى وقف بأعلاها، والرياح عمالة فى طول ذلك، بحيث لا يثبت لها طير السماء، ولا يقدر على المرور لشدة هبوبها، وهذا

الشاب يروح ويجىء شاقا لها، ومارا فيها، كأنما خلق من الريح، فكان شيئا عجبا، لاسيما و لم يتقدم له إدمان فى ذلك، ولا دربه فيه معلم، وإنما تاقت إليه نفسه، فامتحنها فإذا هى متأتية له فيما أراد، فبرز وأبدى ما يعجز عنه سواه.

ومن نصف هذا الشهر: انحل سعر الشعير، حتى أبيع الأردب بدينار أشرفى، وانحل سعر الفول، حتى أبيع الأردب بثلاثمائة درهم بعدما بلغ أربعمائة، ووجد القمح وكثر، و لله الحمد.

وفيه قدم الأمير أُرُنْبُغا المتوجه فى البحر إلى مكة، وكان معه هدية لصاحب اليمن، فمضى بها فى البحر من جدة ومعه شخص يقال له ألطنبغا فرنجى - ولى دمياط مرارًا - ومعهما من المماليك السلطانية خمسون نفرًا، وقد حسن للسلطان شخص أخذ اليمن بهذه العدة، فتأخر فرنجى فى مركب على ساحل حلى بنى يعقوب[1] بالمماليك، وتوجه أرنبغا ومعه منهم خمسة نفر بالهدية والكتاب، وهو يتضمن طلب مال للإعانة على جهاد الفرنج، فأخذ متملك اليمن فى تجهيز الهدية، فأتاه الخبر بأن فرنجى نهب بعض الضياع، وقتل أربعة رجال فأنكر صاحب اليمن أمرهم، وتنبه لهم وقال لأرنبغا: «ما هذا خبر خير، فإن العادة أن يقدم فى الرسالة واحد فقدمتم فى خمسين رجلا، و لم يحضر إلىّ منكم إلا أنت فى خمسة نفر، وتأخر باقيكم، وقتلوا من رجالى أربعة» وطرده عنه من غير أن يجهز هدية ولا وصله بشىء، فنجا ومن معه بأنفسهم وعادوا جميعا إلى مكة، وقدم أرنبغا مخفا.

شهر ربيع الآخر، أول السبت:

فيه توجه الأمير قصروه عائدا إلى طرابلس على نيابته بها.

وفى ثامنه: خلع على الأمير يشبك الساقى الأعرج، واستقر أمير سلاح بعد موت أينال النوروزى.

وفى يوم الثلاثاء حادى عشره: نصب تاجر عجمى حبلا فيما بين مأذنتى مدرسة حسن ليفعل كما فعل من تقدم ذكرهما، وخرج من أعلى أحديهما ومشى على الحبل عدة خطوات ثم عاد من حيث ابتدأ، ومشى ثانيا على قدميه إلى آخره، وأبدى عجائب، منها أنه جلس على الحبل وأرخى رجليه، وتناول وهو كذلك قوسا كانت على كتفه، وأخرج من كنانته سهمين رمى بهما واحد بعد آخر، ثم قام ودخل وهو قائم على الحبل فى طارة كانت معه، وخرج منها، وكرر دخوله فيها وخروجه منها

(١) سبق ترجمتها.

مرارًا، فتارة يدخل رجليه قبل إدخاله يديه، وتارة يدخل يديه قبل رجليه، ثم ينزل من الحبل الممدود فى حبل قد أرخاه، وهو حال نزوله يتقلب بطنًا لظهر وظهرًا لبطن، حتى نزل إلى أسفله ورأسه منكوسة نحو الأرض، وقامته ممتدة، بحيث صارت قدماه توازى السماء، ورمى وهو منكوس بالقوس ثلاثة سهام واحدا بعد واحد، ثم صعد من أسفل الحبل المرخاة حتى قام على قدميه فوق الحبل الممدود، ثم ألقى نفسه وهو قائم إلى جهة الأرض، فإذا هو قد تعلق بإبهامى قدميه، وصار رأسه منكوسا، ثم انقلب وهو منكوس، فصار رأسه على الحبل الممدود ورَجلاه إلى السماء، ثم انقلب فصارت قدماه على الحبل وهو قائم فوقه، ثم رفع إحدى رجليه ووقف فوق الحبل على رجل واحدة، وهو يرفع تلك الرجل، حتى ألصقها بفمه، ثم أرخاها ووقف عليها، ورفع الرجل الأخرى التى كان قائما عليها حتى ألصقها بفمه، ثم أرخاها ووقف على قدميه منتصب القامة، وخر ساجدا على الحبل حتى صار فمه عليه يشير أنه يقبل الأرض بين يدى السلطان، وهو مستقبله، فأنست أفعاله من تقدمه.

وفى خامس عشرينه: استقر كمال الدين محمد بن همام الدين محمد السيواسى الحنفى فى مشيخة التصوف وتدريس الجامع الأشرفى، عوضا عن علاء الدين على الرومى، وقد عزم على عوده إلى بلاده. و لم يكن بالمشكور فى علمه ولا عقله.

وفى يوم الخميس سابع عشرينه: خلع على بدر الدين محمود العينتابى، واستقر قاضى القضاة الحنفية، عوضا عن زين الدين عبد الرحمن التفهنى. وخلع على التفهنى، واستقر فى مشيخة خانكاه شيخو بعد وفاة سراج الدين عمر قارئ الهداية.

وفى يوم الجمعة: أركب السلطان كثيرًا من مماليكه، ونزلوا فى عدة من الأمراء إلى القاهرة متقلدى سيوفهم، حتى طرقوا الجودرية[1] - إحدى الحارات - وأحاطوا بها من جميع جهاتها، وفتشوا دورها، وقد وشى للسلطان بأن جانبك الصوفى فى دار بها، فلم يعثروا عليه، وقبض على فخر الدين بن المزوق وضرب بالمقارع ونفى، لتعلق بينه وبين جانبك الصوفى من جهة المصاهرة، ونودى من الغد بأن لا يسكن أحد بالجودرية، فأخليت عدة دور بها، واستمرت زمانا خالية، فكانت حادثة شنعة.

وفى سلخه: قدم المماليك الذين كانوا مجردين بمكة.

وفى هذا الشهر: ارتفع سعر الغلال بعد انحطاطها، وبلغ الأردب القمح ببلاد الصعيد أربعة دنانير.

---

(١) عرفت باسم طائفة من العسكر أيام الحاكم بأمر الله الفاطمى. انظر المواعظ والاعتبار ٢/٥.

وفيه تحارب الفرنج القطرانيون والبنادقة فى ميناء الإسكندرية، فغلب القطرانيون، وأخذوا مركب البنادقة بما فيه، بعدما قتل بينهم جماعة، ثم أسروا طائفة من المسلمين كانوا بالميناء، ومضوا فى البحر.

شهر جمادى الأولى، أوله الإثنين:

فى سابع عشرينه: قدم رسول صاحب اصطنبول - وهى القسطنطينية - بهدية وشفع فى أهل قبرس أن لا يغزوا.

وفى هذا الشهر: ارتفع سعر القمح حتى بلغ دينارين الأردب، ثم انحط فى آخره إلى دينار، وانحطت البطة الدقيق من مائة وخمسين درهما إلى ثمانين درهما، لكثرة وجود القمح.

وفيه تبرع قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن حجر بما له من المعلوم المقرر على القضاء، فى أنظار الأوقاف ونحوها، لمدة سنة، فجبيت للسلطان، وباشر بغير معلوم.

شهر جمادى الآخرة أوله الأربعاء:

فى ثالث عشره: قدم من عسكر الشام عدة، ومن طوائف العشير جماعة ليسيروا للجهاد، فأنزلوا بالميدان الكبير.

وفيه خلع على عز الدين عبد العزيز بن على بن العز البغدادى الحنبلى، الذى ولى قضاء الحنابلة بدمشق فى الأيام المؤيدية، واستقر قاضى قضاة الحنابلة عوضا عن محب الدين أحمد بن نصر الله البغدادى بعد عزله، وقد شنعت فيه القالة لسوء سيرة أخيه وابنه.

وفى ثالث عشرينه: جلس السلطان لعرض المجاهدين بالحوش من القلعة وأنفق فيهم فكان يوما جميلا.

شهر رجب أوله الخميس:

فيه أدير محمل بالقاهرة ومصر على العادة فى كل سنة، وعجل عن وقته لتوجه المجاهدين للغزو.

وفيه خلع على عبد العظيم بن صدقة[1] كاتب إبراهيم البرددار، واستقر فى نظر

---

(١) عبد العظيم بن صدقة (٨٦٠ هـ = ٤٥٦) الملقب تاج الدين القبطى الأسلمى، ناظر ديوان المفرد. ولى المذكور عدة وظائف بالطالع والنازل، وقاسى خطوب الدهر ألوانا، وهو معدود من الكتاب عند أبناء جنسه، وكان هو وزين الدين يحيى أستادارء - قريب أبى الفرج أستادار هذا الزمان - حموهما كفرسى رهان، وكان يقع بينهما فى تلك الأيام مقالات ومفاوضات وكل منهما=

الديوان المفرد، وكان قد شغر عن الوزير كريم الدين ابن كاتب المناخ من حين ولى الأمير زين الدين عبد القادر أستادار، وعبد العظيم من مسلمة النصارى الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون.

وفى يوم الجمعة ثانيه: سار أربعة أمراء إلى الجهاد، وهم تغرى بردى المحمودى رأس نوبة، وقد جعل مقدم عسكر البر، والأمير أينال الجكمى أمير مجلس وجعل مقدم عسكر البحر، والأمير تغرى برمش، والأمير مراد خجا وتبعهم المجاهدين، وتوجهوا فى النيل أرسالا، حتى كان آخرهم سفرًا فى يوم السبت حادى عشره.

وفى يوم الخميس عشره: نودى بمنع الناس من المعاملة بالدنانير الأفرنتية، وأن تقص ويحضر بها مقصوصة إلى دار الضرب حتى تسبك، وهدد من خالف ذلك، وكان العامة بعد النداء الأول قد تعاملوا بها كما هى عادتهم فى المخالفة، لقلة ثبات الولاة على ما يرسم به.

وفى ثامن عشرينه: قدم الخبر بأن الغزاة مروا فى سيرهم إلى رشيد، وأقلعوا من هناك يوم السبت رابع عشرينه وساروا إلى أن كان يوم الإثنين سادس عشرينه، انكسر منهم أربعة مراكب غرق فيها نحو العشرة أنفس فانزعج السلطان لذلك، وهم بإبطال الغزاة، ثم بعث فى يوم الجمعة آخره الأمير جرباش قاشق حاجب الحجاب، لكشف خبرهم، والعمل فى مسيرهم أو عودهم، بما يقتضيه رأيه، فقوى عنده إمضاء العزم على المسير، فساروا على بركة الله.

شهر شعبان، أوله الجمعة:

فى خامسه: قدم الخبر بأن طائفة من الغزاة لما ساروا من رشيد إلى الإسكندرية وجدوا فى البحر أربع قطع بها الفرنج، وهى قاصدة نحو الثغر، فكتبوا لمن فى رشيد من بقيتهم بسرعة لحاقهم، وتراموا هم والفرنج يومهم، وباتوا يتحارسون، واقتتلوا من الغد،

=كان يسعى على الآخر ويرافع فيه ويعزله، وكان الغالب فى الغالب عبد العظيم هذا إلى أن تعلق زين الدين يحيى بأذيال الأمير قيزطوغان العلائى لما ولى الأستادارية وصار زين الدين المذكور ناظر ديوان المفرد، فمن يومئذ تأخر عبد العظيم هذا وتقدم زين الدين إلى أن صار كل منهما إلى ما آل أمره إليه، وتقهقر عبد العظيم فى الدولة إلى أن بقى من مخاميل الأقباط الذين عليهم الغلاسة بالقناطير، فإنه كان فى أيام سعادته وولايته وثروته دنسا مظلما ليس عليها نورانية الإسلام: لما عزل وافتقر زادت دناسته أضعاف ما كانت عليه أولا. انظر المنهل الصافى ٧/ ٣٠٦، الدليل الشافى ١/ ٤١٩، الضوء اللامع ٤/ ٢٤٠.

فما هو إلا أن قدمت بقية الغزاة من رشيد[١]، ولىّ الفرنج الأدبار بعد ما استشهد من المسلمين عشرة.

وفى رابع عشره: جاء قاع النيل أربعة أذرع وسبعة أصابع، وابتدئ بالنداء بزيادة النيل فى يوم الجمعة خامس عشره خمسة أصابع.

وفى يوم الأربعاء عشرينه: أقلع الغزاة من ميناء الإسكندرية طالبين قبرس، أيدهم الله على أعدائه بنصره.

شهر رمضان، أوله الأحد:

فى سابعه: قدم الخبر بوصول الغزاة فى أخريات شعبان إلى قلعة اللمسون، وأن صاحب جزيرة قبرس قد استعد، وأقام بمدينة الأفقسية، وعزم على اللقاء.

وفى يوم الخميس ثانى عشره: أنعم بإقطاع الأمير الكبير قجق على الأمير يشبك الساقى الأعرج أمير سلاح وأنعم بتقدمه قرقماس وإقطاعه على الأمير بردبك أمير أخور، وأنعم بطبلخاناه بردبك على الأمير يشبك أخى السلطان، ولم يتأمر قبلها، فصار من أمراء الطبلخاناه.

وفى رابع عشره: خلع على الأمير يشبك الساقى واستقر أميرًا كبيرًا أتابك العساكر، عوضا عن الأمير قجق بعد موته.

وفى يوم الخميس تاسع عشره – الموافق له أول يوم من مسرى –: كان النيل على ثلاث عشر ذراعا وأربعة أصابع، وهذا المقدار مما يندر وقوعه فى أول مسرى لكثرته.

وفى يوم الإثنين ثالث عشرينه: قدم الخبر فى النيل بأخذ جزيرة قبرس وأسر ملكها. وكان من خبر ذلك أن الغزاة نازلوا قلعة اللمسون، حتى أخذوها عنوة فى يوم الأربعاء سابع عشرين شعبان، وهدموها وقتلوا كثيرًا من الفرنج، وغنموا. ثم ساروا بعد إقامتهم عليها ستة أيام، فى يوم الأحد أول شهر رمضان وقد صاروا فرقتين، فرقة فى البر وفرقة

---

(١) رشيد: من مدن البلاد المصرية كبيرة على كثيب رمل عظيم، إذا هبت الريح الغربية ملأت عليهم سككهم وبيوتهم رملاً، فلا يقدرون على التصرف فى أسواقهم، وهى على ضفة النيل، وضفة النيل من مصر إلى مدينة رشيد هذه من أعجب منتزهات الدنيا، وليس لغلات هذه الناحية نظير فى الدنيا، ورئى فى تلك الجهات ضيعة لأحد المصريين يغل رمانها وموزها خاصة عشر ألف مثقال فى العام، وهناك ضيعة الليث بن سعد وكان يقول: يدخل على كل سنة خمسون ألف دينار ما وجبت علىّ زكاتها قط. انظر الروض المعطار ٢٧٢، ٢٧٣، والاستبصار ٨٩، وصبح الأعشى ٣/٤٠٠، والإدريسى ١٦٢، وابن دقماق ٥/١١٣، ١١٤.

فى البحر، حتى كانوا فيما بين اللمسون والملاحة، إذا هم بجينوس بن جاك متملك قبرس[1] قد أقبل فى جموعه، فكانت بينه وبين المسلمين حرب شديدة، انجلت عن وقوعه فى الأسر بأمر من عند الله يتعجب منه لكثرة من معه وقوتهم، وقلة من لقيه، ووقع فى الأسر عدة من فرسانه، فأكثر المسلمون من القتل والأسر، وانهزم بقية الفرنج، ووجد معهم طائفة من التركمان، قد أمدهم بهم على بك بن قرمان فقتل كثير منهم، واجتمع عساكر البر والبحر من المسلمين فى الملاحة، فى يوم الإثنين ثانيه، وقد تسلم ملك قبرس الأمير تغرى بردى المحمودى، وكثرت الغنائم بأيدى الغزاة، ثم ساروا من الملاحة يوم الخميس خامسه يريدون الأفقسية، مدينة الجزيرة، ودار مملكتها فأتاهم الخبر فى مسيرهم أن أربعة عشر مركبا للفرنج قد أتت لقتالهم، منها سبعة أغربة، وسبعة مربعة القلاع، فأقبلوا نحوها وغنموا منها مركبا مربعا، وقتلوا عدة كثيرة من الفرنج، حتى لقد أخبرنى من لا أتهم من الغزاة أنه عد فى الموضع الذى كان فيه ألفا وخمسمائة قتيل، وانهزم بقيتهم، وتوجه الغزاة إلى الأفقسية وهم يقتلون، ويأسرون، ويغنمون، حتى دخلوها، فأخذوا قصر الملك، ونهبوا جانبا من المدينة، وعادوا إلى الملاحة بعد إقامتهم بالأفقسية يومين وليلة. فأراحوا بالملاحة سبعة أيام، وهم يقيمون شعائر الإسلام، ثم ركبوا البحر عائدين بالأسرى والغنيمة، فى يوم الخميس ثانى عشره وقد بعث أهل الماغوصة يطلبون الأمان.

ولما قدم هذا الخبر دقت البشائر بقلعة الجبل، ونودى بزينة القاهرة ومصر فزينتا، وقرئ الكتاب الوارد على الناس بالجامع الأشرفى، وندب جماعة من المماليك، فساروا فى النيل لحفظ مراكب الغزاة، والمسير بها من دمياط، وقد قدمت بالغزاة وما معهم، حتى يوقفوها بميناء الإسكندرية.

وفى يوم الثلاثاء رابع عشرينه: قدم الشريف بركات بن حسن بن عجلان من مكة، وقد استدعى بعد موت أبيه فخلع عليه، واستقر فى إمرة مكة، على أن يقوم بما تأخر على أبيه وهو مبلغ خمسة وعشرين ألف دينار، فإنه كان قد حمل قبل موته من

---

(١) جينوس بن جاك بين بيدو بن أنطون بن جينوس الفرنجى (٨٣٥ هـ = ١٤٢٦ م)، متملك جزيرة قبرس ملكها بعد موت أبيه جاك فى حدود سنة ثمانمائة، واستمر بها إلى أن قبض عليه العساكر الإسلامية من قبل الملك الأشرف، وقدموا به إلى القاهرة من جملة الأسرى. وأقام جينوس هذا بالقاهرة مدة، ثم أعاده الملك الأشرف إلى مملكته، بعد أن ضرب عليه الجزية فى كل سنة، إلى أن توفى سنة خمس وثلاثين وثمانمائة. انظر المنهل الصافى ٥/ ٤٦، ٤٧، الدليل ١/ ٢٥٥، النجوم ١٥/ ١٧٦، الضوء ٣/ ٨٥، بدائع الزهور، ٢/ ١٤٢، نزهة النفوس ٣/ ٢٤٥.

الثلاثين الألف التى التزم بها مبلغ خمسة آلاف دينار، وألزم بركات أيضا بحمل عشرة آلاف دينار فى كل سنة، وأن لا يتعرض لما يؤخذ بجدة من عشور بضائع التجار الواصلة من الهند وغيره.

شهر شوال، أوله الإثنين:

فيه ابتدأ عبور الغزاة، فقدم عدة منهم فى البر وفى النيل.

وفى يوم الخميس رابعه - الموافق له اليوم الخامس عشر من مسرى -: كان وفاء النيل ستة عشر ذراعا، ففتح الخليج على العادة.

وفى يوم الأحد سابعه: قدم الأمير تغرى بردى المحمودى والأمير أينال الجكمى - مقدما الغزاة المجاهدين - بمن معهما من العسكر، وصحبتهم جينوس بن جاك متملك قبرس، وعاد ومن أسروه وسبوه من الفرنج، وما غنموه. وجميعهم فى مراكبهم التى غزوا قبرس فيها، فمروا على ساحل بولاق حتى نزلوا بالميدان الكبير، فكان يوما مشهودا لم ندرك مثله. وأصبحوا يوم الإثنين ثامنه سائرين بملك قبرس والأسرى والغنائم، وقد اجتمع لرؤيتهم من الرجال والنساء خلائق لا يحصى عددها إلا الله الذى خلقها، فمروا من الميدان على ظهر أرض اللوق، حتى خرجوا من المقس، وعبروا من باب القنطرة إلى بين القصرين، وشقوا قصبة القاهرة إلى باب زويلة، ومضوا إلى صليبة جامع ابن طولون، وأقبلوا من سويقة منعم[١] إلى الرميلة، تحت القلعة، وطلعوا إليها من باب المدرج[٢] وكانوا فى مسيرهم هذا الذى لا يبعد أن يقارب البريد قد قدموا الفرسان من الغزاة المجاهدين فى سبيل الله أمام الجميع، ومن وراء الفرسان طوائف الرجالة - من عشران البلاد الشامية وزعر القاهرة ومطوعة البلاد - ومن وراء الرجالة الغنائم محمولة على رءوس الرجال، وظهور الجمال والبغال والحمير، وفيها تاج الملك وأعلامه ورايته منكسة، وخيله تقاد ومن وراء الغنائم الأسرى من الرجال والسبى من النساء والصبيان، وهم زيادة على ألف إنسان، ومن وراء الأسرى جينوس بن جاك الملك، وقد أركب بغلا، وقيد بقيد من حديد، وأركب معه ثنان من خاصته، وركب الأميران تغرى بردى وأينال الجكمى عن يمين جينوس بن جاك وشماله، حتى وصلا به باب القلعة، أنزلاه عن البغل، فكشف رأسه، وخر على وجهه إلى الأرض، فقبلها ثم

---

(١) تقع فى خط الصليبة بالقاهرة قرب جامع أحمد بن طولون. انظر النجوم الزاهرة ١٢/١٨٦.

(٢) يسمى أيضا باب الدر، وهو أحد أبواب قلعة الجبل، وينتهى منه إلى القرافة، وهو يقع بين سور القلعة والجبل. انظر المواعظ والاعتبار ٢/٢٠٥.

انتصب قائما ودخل يرسف فى قيوده، حتى مثل بين يدى السلطان قائما، وقد جلس السلطان بالمقعد، وفى خدمته أهل الدولة من الأمراء والمماليك والمباشرين، وحضر الشريف بركات بن عجلان أمير مكة، ورسل ابن عثمان ملك الروم، ورسل صاحب تونس، ورسل أمراء التركمان، ورسل عذراء أمير العرب، ومماليك نواب البلاد الشامية، فعرضت الغنائم ثم الأسرى، ثم جىء بجينوس فى قيوده مكشوف الرأس، فخرَّ على وجهه يعفره فى التراب، ويقبل الأرض، ثم قام وقد خارت قواه، فلم يتمالك نفسه لهول ما عاينه، وسقط مغشيا عليه، ثم أفاق من غشوته، فأمر به إلى منزل قد أعد له بالحوش من القلعة، فكان يومًا عظيما لم ندرك مثله، أعز الله تعالى فيه دينه.

وفيه نودى بهدم الزينة، فهدمت، وخلع على الأمراء الأربعة القادمين من الغزاة، وأركبوا خيولا بقماش ذهب.

وفى تاسعه: جمع التجار لشراء ما حضر من الغنيمة، وهى ثياب وقماش وأثاث وأوانى.

وأما جينوس فإنه لما استقر فى منزله أتته قصاد السلطان لطلب المال، فأظهر جلدًا، وقال: «مالى إلا روحى، وهى بيدكم»، فغضب السلطان من جوابه وبعث إليه من الغد يهدده إن لم يفد نفسه منه بالمال، فثبت على التجلد، وقال: «ألا لعنة الله على واحد من النصارى». فأمر السلطان بإحضاره، فأخرج إلى الحوش، وقد جعلت الأسرى فيه، فما هو إلا أن شاهدوا جينوس ملكهم قد أخرج أسيرًا ذليلا، صرخوا بأجمعهم صرخة مهولة، وحثوا بأكفهم التراب على رءوسهم، والسلطان قد جلس بالمقعد، وأوقف جينوس حيث أوقف أمس من تحت المقعد، وقد وقف معه جماعة من قناصلة الفرنج، فالتزموا عنه بفدائه بالمال من غير تعيين شىء، وأعيد إلى منزله، ودخل إليه قصاد الملك لتقرير المال.

فلما كان يوم الأربعاء، عاشره: رسم له ببدلتين من قماشه، ورتب له عشرون رطل لحم وستة أطيار دجاج في كل يوم، وفسح له فى الاجتماع بمن يختاره، وطال الكلام فيما يفدى به نفسه، وطُلب منه خمسمائة ألف دينار، فتقرر الصلح على مائتى ألف دينار، يقوم منها مائة ألف دينار، فإذا عاد إلى ملكه بعث بمائة ألف دينار ويقوم فى كل سنة بعشرين ألف دينار، واشترط على السلطان أن يكف عنه الطائفة البندقية وطائفة الكيتلان.

وفى حادى عشره: سار الشريف بركات بن حسن بن عجلان عائدًا إلى مكة أميرًا بها.

وفى خامس عشره: خلع على الأمير أينال الجكمى أمير مجلس، واستقر أمير سلاح عوضا عن الأمير يشبك، وكانت شاغرة فى هذه الأيام، وخلع على الأمير جرباش قاشق حاجب الحجاب، واستقر أمير مجلس، وخلع على الأمير قرقماس - الذى كان بمكة - واستقر حاجب الحجاب.

وفى يوم الثلاثاء سادس عشره: قدم أمير الملأ عذراء بن على بن نعير بن حيار بن مهنا، فأنزل بالميدان الكبير على عادة جده نعير، وأجريت له الرواتب، وعذراء هذا أقامه الظاهر ططر بعد موت الملك المؤيد شيخ، عوضا عن حديثة بن مانع من آل فضل. وحديثة استقر بعد حسين بن نعير بن حيار بن مهنا، وحسين استقر بعد قتل أخيه العجل ابن نعير. والأمير الملأ عدة سنين لم يقدم إلى مصر.

وفى ثامن عشره: خلع على الشريف خشرم بن دوغان بن جعفر الحسينى واستقر فى إمرة المدينة النبوية عوضا عن الشريف عجلان بن نعير بن منصور بن جماز بن شيحة، على أن يقوم بخمسة آلاف دينار.

وفى عشرينه: خرج محمل الحاج على العادة إلى ظاهر القاهرة.

وفى خامس عشرينه: توجه الأمير عذراء عائدًا إلى بلاده على إمرة العرب، بعدما خلع عليه.

وفيه كان نوروز القبط بمصر، وماء النيل قد بلغ ثمانية عشر ذراعا وإصبعا واحدًا.

وفى هذه الأيام: تعطلت أسواق القماش من البيع عدة أيام لاشتغال التجار بشراء الغنائم.

وفيها قل وجود اللحم بالأسواق لقلة الأغنام.

شهر ذى القعدة، أوله الأربعاء:

فى نصفه: قدم نجم الدين عمر بن حجى من دمشق بسعيه فى ذلك، وكان منذ أخرج بعد عزله من كتابة السر مقيما بدمشق.

وفى ثامن عشرينه - وهو رابع بابه -: انتهت زيادة النيل إلى عشرين ذراعا وخمسة أصابع، وثبت.

وفى هذا الشهر: انحط سعر الغلال.

وفيه كثر تتبع القضاة والفقهاء فيما تحت أيديهم من الأوقاف، وانطلقت الألسن بقالة السوء فيهم.

وفيه وقع بالمدينة النبوية حادث شنيع، وهو أن خشرم بن درغان قدم المدينة وقد رحل عنها عجلان لما بلغه أنه عزل، فلم يلبث غير ليلة حتى صبحه عجلان فى جمع من العربان، وحصره ثلاثة أيام، ثم دخل عربه المدينة ونهبوا دورها، وشعثوها وخربوا مواضع من سورها، وأخذوا ما كان للحجاج الشاميين من ودائع، وقبضوا على خشرم، ثم خلوه لسبيله، واستهانوا بحرمة المسجد، وارتكبوا عظائم.

شهر ذى الحجة، أوله الخميس:

وفى ثانى عشرينه: قدم الأمير شارقطلوا نائب حلب، خلع عليه وأتته تقادم الأمراء.

وفى هذه المدة انحط ماء النيل قليلا بحيث دخل شهر هتور فى سادس عشرينه والماء فى تسعة عشر ذراعا. وهذا ثبات جيد نفعه، إن شاء الله.

وفيه قدم قاضى دمشق الشريف شهاب الدين أحمد بن على بن إبراهيم الحسينى، وقدم مبشروا الحاج وأخبروا بسلامتهم.

وفى هذه الأيام: رسم السلطان بمنع الأمراء والأعيان من الحمايات، ومحيت رنوكهم عن الطواحين والحوانيت والمعاصر، حتى يتمكن مباشرو السلطان من رمى البضائع، فرميت، وهى ما بين سكر وأرز وغير ذلك، فشمل الضرر كثيرًا من الناس، لما فى ذلك من الخسارة فى أثمانها، والمغرم للأعوان.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

الشيخ المعتقد خليفة بن المغربى[١]، فى حادى عشرين المحرم، من غير تقدم مرض، بل عبر إلى الحمام فأتاه أجله هناك، وكان قد انقطع بالجامع الأزهر نيفا وأربعين سنة، وصار للناس فيه اعتقاد، وترك مالا وأثاثا له قدر.

ومات الأمير سيف الدين أينال النوروزى أمير سلاح، فى أول شهر ربيع الآخر، وقد

---

(١) خليفة، الشيخ المعتقد الصالح المغربى، نزيل جامع الأزهر. قدم من بلاده، وسكن الجامع مدة تزيد على أربعين سنة، على قدم هائل من العبادة والصلاح، وصار الناس فيه اعتقاد حسن، وترددت الناس إليه كثيرا للزيارة. وكان عليه حرمة، مهابة، خفر زائد، بحيث أن الناس كانوا لا يتحدثون معه فى الغالب إلا جوابا، واستمر على ذلك إلى أن دخل يوما إلى الحمام - حمام القاضى التى بالقرب من الجامع - فأتاه فيها أجله. انظر المنهل الصافى ٥/ ٢٣١، الدليل ١/ ٢٨٩، النجوم ١٥/ ١٣٤، الضوء ٣/ ١٨٧ أنباء الغمر ٣/ ٣٧٣.

أناف على الثلاثين سنة، فوجد له من الذهب خمسون ألف دينار، وكان ظالما فاسقا، لا يوصف بشيء من الخير.

ومات تاج الدين محمد بن أحمد بن على - المعروف بابن المكلله وبابن جماعة - فى ثامن شهر ربيع الآخر، وقد ولى حسبة القاهرة فلم ينجب وخَمُل حتى مات.

وتوفى الشيخ سراج الدين عمر بن على بن فارس المعروف بقارئ الهداية. وقد انتهت إليه رئاسة الحنفية، لمعرفته بالأصول والعربية، ومشاركته فى فنون عديدة، بعد ما تصدى للإفتاء والتدريس عدة سنين، وصار له ثراء وسعة، من كثرة وظائفه. وآخر ما ولى مشيخة خانكاه شيخو، وكان مقتصدًا فى ملبسه، يتعاطى شراء حوائجه من الأسواق بنفسه، مع جميل سيرته. ولم يخلف بعده مثله فى إتقان فقه الحنفية واستحضاره.

وتوفى الشريف حسن بن عجلان بن رميثة بن أبى نمى محمد بن أبى سعد حسن بن على بن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن على بن عبد الله بن محمد بن موسى بن عبد الله بن الحسن المثنى بن محمد الحسن السبط ابن أمير المؤمنين أبى الحسن على بن أبى طالب رضى الله عنه، فى يوم الخميس سادس عشر جمادى الآخرة بالقاهرة، ودفن خارجها، وقد أناف على الستين. ومولده ومرباته، وولى إمارتها فى أوائل سنة ثمان وتسعين وسبعمائة، فحسنت سيرته، ثم كلفه السلاطين حمل المال إليهم فجار. وولى سلطنة الحجاز كله فى شهر ربيع الأول سنة أحدى عشرة وثمانمائة، واستناب عنه بالمدينة الشريفة وخطب له على منبرها، وعارك خطوب الدهر حتى مضى لسبيله. والله يعفو عنه بمنه.

وتوفى قاضى القضاة جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن خالد بن نعيم بن مقدم بن محمد بن حسن بن غانم بن محمد بن على الطائى البساطى المالكى، فى يوم الإثنين عشرين جمادى الآخرة، عن ثمان وثمانين سنة، وهو مصروف، وكان فقيها مشاركا فى فنون، وفيه سياسة ودربة بالقضاء.

وتوفى شمس الدين محمد بن جمال الدين عبد الله بن محمد - المعروف بابن كاتب السمسرة، وبالعمرى -، عن نحو سبعين سنة، فى يوم الأربعاء العشرين من شعبان. وقد كتب فى الإنشاء عدة سنين، ووقع فى الدست، وناب عن كاتب السر، وكان فاضلا ماهرًا فى صناعته.

ومات الأمير الكبير الأتابك سيف الدين قجق الشعبانى أحد المماليك الظاهرية برقوق، فى تاسع شهر رمضان، وكان لا معنى له فى دين ولا دنيا.

ومات شهاب الدين أحمد بن محمد بن مكنون الشافعى، قاضى دمياط، ليلة الأحد ثانى عشرين شهر رمضان، عن ستين سنة. وقد قدم إلى القاهرة. وكان فاضلا يعرف الفقه، ويشارك فى غيره.

ومات شمس الدين محمد بن عطاء الله بن محمد بن محمود بن أحمد بن فضل الله بن محمد الرازى الهروى الشافعى بالقدس، فى ثامن عشر ذى الحجة. ومولده بهراة سبع وستين وسبعمائة. وقد ولى قضاء القضاة، وكتابة السر، فلم ينجب. وكان يقرئ مذهب الشافعى، ومذهب أبى حنيفة، ويعرف العربية، وعلم المعانى والبيان، ويذاكر بالأدب والتاريخ، ويستحضر كثيرًا من الأحاديث، والناس فيه بين عال ومقصر، وأرجو أن يكون الصواب ما ذكرته.

* * *

سنة ثلاثين وثمانمائة

أهلت وسلطان الإسلام ببلاد مصر والشام والحجاز الملك الأشرف برسباى الدقماقى، والأمير الكبير أتابك العساكر سيف الدين يشبك الساقى الأعرج، ورأس نوبة النوب الأمير تغرى بردى المحمودى، وأمير سلاح الأمير أينال الجكمى، وأمير مجلس الأمير جرباش الكريمى، وأمير أخور الأمير جقمق، والدوادار الكبير الأمير أزبك، وحاجب الحجاب الأمير قرقماس، وأستادار الأمير زين الدين عبد القادر بن الأمير فخر الدين عبد الغنى بن الأمير الوزير تاج الدين عبد الرزاق بن أبى الفرج، والوزير الصاحب كريم الدين عبد الكريم ابن الصاحب تاج الدين عبد الرزاق بن عبد الله، المعروف بابن كاتب المناخ، وناظر الخاص كريم الدين عبد الكريم بن سعد الدين بركة المعروف بابن كاتب حكم، وكاتب السر بدر الدين محمد بن بدر الدين محمد بن أحمد بن مزهر، وناظر الجيش زين الدين عبد الباسط بن خليل، وقاضى القضاة الشافعى الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر، وقاضى القضاة الحنفى بدر الدين محمود العنتابى، وقاضى القضاة المالكى شمس الدين محمد البساطى، وقاضى القضاة الحنبلى عز الدين عبد العزيز البغدادى، ونائب الشام الأمير سودن من عبد الرحمن، ونائب حلب شارقلطوا، ونائب حماة الأمير جلبان أمير أخور، ونائب طرابلس الأمير قصروه، ونائب صفد الأمير مقبل الدوادار، وأمير مكة الشريف بركات بن حسن بن عجلان، وأمير المدينة النبوية الشريف خشرم بن دوغان بن جعفر، ونائب الإسكندرية الأمير أقبغا التمرازى.

والأسعار مختلفة فالقمح من مائة وخمسين درهما الأردب إلى ما دونها، والشعير بمائة درهم الأردب وما دونها، والفول بمائة وخمسين درهما الأردب، وقد كثر وجوده بعدما كان قليلا، والحمص بخمسمائة درهم الأردب، واللحم متعذر الوجود فى الأحيان، فإن الوزير يمنع من الزيادة فى سعره من أجل ما يحتاج إليه من راتب السلطان ومماليكه، وإذا حضر معاملو اللحم أسواق الغنم، أخذوا الأغنام كيفما شاءوا، وأحالوا أربابها بالثمن على جهات، فيغبنوا فيما يصل إليهم من أثمان أغنامهم، فقل جلب الأغنام لأجل ذلك، والأسواق كاسدة، والجور فاش، وقد شمل الناس الفاقة، وعمت الشكاية، ولا يزداد الناس إلا إعراضا عن الله، فلا جرم أن حل بهم ما حل، ولا قوة إلا با لله.

شهر المحرم، أوله السبت:

فيه سار الأمير شارقطلوا إلى محل كفالته بحلب.

وفى سادسه: أخرج الأمير أزدمر شاية أحد الأمراء الألوف إلى حلب، على إمرة، وكان من أقبح الناس سيرة، يرمى بعظائم.

وفى يوم السبت ثامنه: خلع على نجم الدين عمر بن حجى، وأعيد إلى قضاء دمشق عوضا عن الشريف شهاب الدين أحمد، بعدما حمل عينا وأهدى أصنافا بنحو عشرة آلاف دينار، فلم يفد وعزل.

وفى هذا الشهر: منع الأمراء ونحوهم من حماية أحد على مباشرى السلطان، ورميت البضائع على جماعات، فكثرت خسارتهم فيها مع الغرامة.

وفيه أبيع بالإسكندرية فلفل للديوان على تجار الفرنج، ثم رسم بزيادة ثمنه عليهم، وقد سافروا به، فكلف قناصلتهم القيام عنهم بذلك.

وفيه قدم التجار الذين تبضعوا بمكة ليسافروا ببضائعهم إلى الشام، فمنعوا من ذلك، وألزموا بمجيئهم إلى مصر، حتى يؤخذ منهم مكسها للخاص، وحتى يباع بالشام متجر الديوان، فأصابتهم بذلك بلايا عديدة.

وفيه اشتدت مطالبة أهل الخراج بما عليهم من الخراج والمغارم.

وفيه حصل العنت على الذمة فى إلزامهم بأشياء حرجة، فلم يتم ذلك لاختلاف الآراء.

وفى سابع عشره: سافر قاضى القضاة نجم الدين عمر بن حجى، بعدما خلع عليه خلعة السفر.

وفى ثانى عشرينه: قدم بوادر الحاج.

وفيه سار أزدمر شاية إلى حيث نفى. وقدم الركب الأول من الغد، ثم قدم المحمل فى رابع عشرينه ببقية الحاج.

وفى يوم الجمعة ثامن عشرينه: توجه الشريف شهاب الدين أحمد عائدًا إلى دمشق بغير وظيفة، على أن يقوم بخمسة آلاف دينار، سوى ما حمل أولا وآخرًا، وهو مبلغ سبعة وعشرين ألف دينار، وجملة ما حمله غريمه نجم الدين عمر بن حجى فى تلك المدد ستون ألف دينار، وهذا الشىء لم نعهد مثله، وإن هذا لمحض الفساد، ولا قوة إلا بالله.

وفى هذا الشهر: حدثت زلزلة بجزيرة درحت المجاورة لهرمز من البحرين[1] فخسف ببعض إصطبل السلطان، وبدار القاضى، وانفرج جبل بالقرب منهم، فرؤى فيما انفرج منه فيران فى قدر الكلاب، وورد الخبر بذلك إلى دمشق فى كتاب من يوثق به.

---

(١) البَحْرين: فى الإقليم الثانى، وهو اسم جامع لبلاد على ساحل بحر الهند بين البصرة وعمان قيل: هى قصبة هَجَرَ، وقيل: هَجَرَ قصبة البحرين. انظر معجم البلدان ٣٤٦/١ وما بعدها.

شهر صفر، أوله الأحد:

في سادسه: خلع على شمس الدين محمد بن عبد الدايم بن موسى البرماوى الشافعى، واستقر فى تدريس الصلاحية بالقدس، عوضًا عن شمس الدين محمد الهروى، وكان شاغرًا منذ وفاته. وهذا البرماوى كان أبوه يتعيش بتعليم الصبيان القراءة، ونشأ ابنه هذا فى طلب العلم، فبرع فى الفقه والأصول والنحو وغير ذلك، وتعلق بصحبة الجلال محمد ابن قاضى القضاة بدر الدين محمد بن أبى البقاء، وحاول أن يكون من نواب القضاة فى أيام الجلال عبد الرحمن البلقينى، فأذن له فى الحكم، ثم عزله، وطالت مدته فى الخمول صغيرا وشابا وكهلا، فتحول إلى دمشق، فنوه به نجم الدين عمر بن حجى واستنابه واختص به، فحسنت حاله وتحول فى النعم إلى أن قدم مع ابن حجى، وولى كتابة السر، رفع من مقداره، ورتب له ما يقوم به فارتفع بين الناس قدره، حتى استقر فى الصلاحية.

وفى سابعه: نودى بمنع الناس من المعاملة بالدراهم البندقية، وهى فضة عليها شخوص من ضروب الفرنج، تعامل الناس بها من سنة ثمان عشرة وثمانمائة وبالعدد وبالوزن، ورسم بحمل ما فى أيدى الناس منها إلى دار الضرب لتسبك دراهم أشرفية عليها صكة الإسلام، فجرى الناس على عادتهم فى الإصرار والاستهانة بمراسيم الحكام، وتعاملوا بها، إلا قليلا منهم.

وفى ثامنه: قدم الأمير سودن من عبد الرحمن نائب الشام، فخلع عليه، وقدم للسلطان مبلغ خمسة عشر ألف دينار أفرنتية، وقماشًا وفروًا بثلاثة آلاف دينار، وتوجه عائدًا إلى محل كفالته على عادته، فى ثالث عشرينه.

وفيه قدم الطواشى افتخار الدين ياقوت - مقدم المماليك - من مكة بمبلغ ثلاثة عشر ألف دينار، مما ألزم به الشريف بركات بن حسن بن عجلان، وكان قد تأخر بعد الحج بمكة حتى استخرج ذلك منه.

وفى هذه الأيام: عز وجود اللحم بالأسواق، وفقد أياما، وقل وجود اللبن والجبن، وغلا سعر الحطب حتى أبيع بمثلى ثمنه منذ شهر. هذا والوقت شتاء والبهائم مرتبطة على الربيع، وعادة مصر فى زمن ربيعها أن يكثر وجود اللبن والجبن، ويرخص ثمنها. غير أن سيرة ولاة الأمور، وقلة معرفتهم بما ولوه، وفساد الرعية اقتضى ذلك.

وفى يوم الإثنين سلخه: جاء جراد سد الأفق لكثرته، وانتشر إلى ناحية طرا، وقد أضر ببعض الزروع، فأرسل الله عليه ريحا مريسية ألقته فى النيل ومزقته حتى هلك عن آخره، و لله الحمد.

شهر ربيع الأول، أوله الثلاثاء:

أهل والأمراض من النزلات والسعال والجدرى فاشية فى الناس، بحيث لا يخلو بيت من عدة مرضى، إلا أنها سليمة العاقبة فى الغالب، يزول بعد أسبوع. هذا والوقت شتاء. وقدم الخبر بكثرة الوباء ببلاد صفد.

وفى ليلة الجمعة رابعه: كان المولد النبوى بالقصر عند السلطان، وحضر الأمراء والقضاة ومشايخ العلم ومباشرو العلم والدولة على العادة، فكان الذى عمل فى السماط عشرة كباش، ذبحت ثم طبخ لحمها، ومد بعد سماط الطعام سماط الحلوى.

وفى يوم السبت سادس عشرينه: أفرج عن جينوس بن جاك متملك قبرس من سجنه بقلعة الجبل، وخلع عليه، وأركب فرسا بقماش ذهب، ونزل إلى القاهرة فى موكب، فأقام فى دار أعدت له، وصار يمر فى الشوارع ويزور كنائس النصارى ومعابدهم، ويمضى فى أحواله بغير حجر عليه، وقد أجرى له راتب يقوم به وبمن معه.

وفى هذا الشهر: كثرت الرياح العاصفة، فقدم الخبر بغرق ثلاثة عشر مركبا فى بحر الملح، قد ملئت ببضائع، من ناحية صيدا[1] وبيروت، وأقبلت نحو دمياط.

وفيه ألقى البحر دابة بشاطئ دمياط، أخبرنى من لا أتهم، أنها ذرعت بحضوره فكان طولها خمسة وخمسين ذراعا، وعرضها سبعة أذرع.

شهر ربيع الآخر، أوله الخميس:

فيه قدم الخبر بتشتت أهل المدينة النبوية، وانتزاحهم عنها، لشدة الخوف وضياع أحوال المسجد النبوى، وقلة الاهتمام بإقامة شعائر الله فيه، منذ كانت كائنة المدينة، فرسم الأمير بكتمر السعدى أحد أمراء العشرات إلى المدينة فأخذ فى تجهيز حاله.

وقدم الخبر بتجمع التركمان وإفسادهم فى المملكة الحلبية، فرسم فى يوم الإثنين عشرينه بتجريد ثمانية أمراء مقدمى ألوف، وعدة من أمراء الطبلخاناه والعشرات، فأخذوا فى أهبة السفر، ثم بطل ذلك.

---

(١) صيدا: بأرض الشام، بينها وبين بيروت يومان، وهى على ساحل البحر، وعليها سور حجارة، وتنسب إلى امرأة كانت فى الجاهلية، وهى مدينة كبيرة عامرة الأسواق رخيصة الأسعار محدقة بالبساتين والأشجار، غزيرة المياه، ولها أربعة أقاليم، وهى متصلة بجبل لبنان. انظر الروض المعطار ٣٧٣، ونزهة المشتاق ١١٥، وصبح الأعشى ١١.

وقدم الخبر بأن صاحب أغرناطة[١] ومالقة[٢] والمرية[٣] ورندة[٤] ووادى آش[٥] وجبل الفتح من الأندلس، وهو أبو عبد الله محمد الملقب بالأيسر ابن السلطان أبى الحجاج يوسف ابن السلطان أبى عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن يوسف ابن لشيخ السلطان أبى عبد الله محمد بن إسماعيل بن نصر الأنصارى الخزرجى الأرجونى الشهير بابن الأحمر، خرج من غرناطة - دار ملكه - يريد النزهة فى فحص غرناطة - يعنى مرج غرناطة - فى نحو مائتى فارس فى مستهل ربيع الآخر هذا. وكان ابن عمه محمد بن السلطان أبى الحجاج يوسف محبوسا فى الحمراء، وهى قلعة أغرناطة، فخرج الجوارى السود إلى الحراس المؤكلين به، وقالوا لهم: «تخلو عن الدار حتى تأتى أم مولاى تزوره وتتفقد أحواله». فظنوا أن الأمر كذلك، فخلوا عن الدار، فخرج فى الحال شابان من أولاد صنايع أبى المحبوس، وأطلقوه من قيده، وأظهروه من الحبس، وأغلقوا أبواب الحمراء، وذلك كله ليلا، وضربوا الطبول والأبواق على عادتهم، فبادر الناس إليهم ليلا، وسألوا عن الخبر، فقيل لهم من الحمراء: «قد ملكنا السلطان أبا عبد الله محمد ابن السلطان» فأقبل أهل المدينة وأهل الأرباض فبايعوه محبة فيه وفى أبيه، وكرها فى الأيسر، فما طلع النهار حتى استوسق له الأمر، وبلغ الخبر إلى الأيسر فلم يثبت وتوجه نحو رندة وقد فر عنه من كان معه من جنده، حتى لم يبق معه منهم إلا نحو الأربعين. وخرجت الخيل من غرناطة فى طلبه، فمنعه أهل رندة، وأبوا أن يسلموه، وكتبوا إلى المنتصب بغرناطة فى ذلك فآل الأمر إلى أن ركب سفينه وسار فى البحر، وليس معه سوى أربعة نفر. وقدم تونس مترامیا على متملكها أبى فارس عبد العزيز الحفصى، وبلغ ألفنش متملك قشتلة ما تقدم ذكره، فجمع جنوده من الفرنج، وسار يريد أغرناطة فى جمع موفور، فبرز إليه القائم المذكور بغرناطة،

(١) سبق ترجمتها.

(٢) سبق ترجمتها.

(٣) المَرِيَّةُ: هى مدينة كبيرة من كورة إلبيرة من أعمال الأندلس. انظر معجم البلدان ٥/١١٩.

(٤) رندة معقل حصين بالأندلس من أعمال كُرَنَا، وهى مدينة قديمة على نهر جار وبها زرع واسع وضرع سابغ. انظر معجم البلدان ٣/٧٣.

(٥) ووادى آش: مدينة بالأندلس قريبة من غرناطة كبيرة خطيرة تطرد حولها المياه والأنهار، ينحط نهرها من جبل شلير، وهو عليه أرحاء لاصقة بسورها، وهى كثيرة التوت والأعناب وأصناف الثمار والزيتون، والقطن بها كثير، ولها بابان: شرقى على النهر وغربى على خندق، وقصبتها مشرفة عليها، وعليها سور حجارة، وهو فى ركنها الذى بين المغرب والقبلة. وبقرب وادى آش قرية بها عين تجرى سبعة أعوام وتغور سبعة أعوام، قالوا: وهذه معروفة على قديم الزمان تسكن بجريان عينها وتخلو بغورها. انظر الروض المعطار ٦٠٤، ٦٠٥.

وحاربه، فنصره الله على الفرنج، وقتل منهم خلقا كثيرًا، وغنم ما يجل وصفه.

شهر جمادى الأولى، أوله الجمعة:

فى سابعه: خلع على الأمير جرباش قاشق أمير مجلس، واستقر نائب طرابلس، عوضا عن الأمير قصروه، ونقل قصروه إلى نيابة حلب، عوضا عن الأمير شارقطلوا. وكتب بحضور شارقطلوا. وقدم رسول صاحب رودس[1] يسأل الأمان، وأن يعفى من تجهيز العسكر إليه، وأنه يقوم بما يطلب منه، فأركب فرسا، وفى صدره صليب من ذهب وطلع القلعة، وقبل الأرض بين يدى السلطان، وأدى رسالة، ثم نزل إلى القاهرة.

وفى يوم الإثنين ثامن عشره: عملت الخدمة بدار العدل من قلعة الجبل، وجىء برسل رودس، فقدموا هدية قومت بستمائة دينار، وقرئ كتابهم.

وفى يوم الثلاثاء تاسع عشره: قدم ميخائيل بطركا لليعاقبة، عوضا عن غبريال. وكان ميخائيل هذا أحد الرهبان بدير شعران[2] من طرا.

شهر جمادى الآخرة، أوله الأحد:

فى خامسه: خلع على ملك قبرس خلعة السفر.

وفى تاسعه: قدم جمال الدين يوسف بن الصفى الكركى كاتب السر بدمشق معزولا.

وفى عاشره: قبض على الأمير تغرى بردى المحمودى رأس نوبة، وأخرج مقيدا إلى الإسكندرية ليسجن بها، فاتفق أمر غريب، وهو أن رجلا من مباشريه لما بلغه القبض عليه خرج إلى القلعة، فوافى نزول أستاذه مقيدًا، فجعل يصيح ويبكى وهو ماشٍ معه حتى وصل إلى ساحل النيل، وأحدر أستاذه فى الحراقة، اشتد صراخه حتى سقط ميتا.

---

(١) رودس: بضم أوله، جزيرة فى البحر من الثغور الشامية، افتتحها جنادة بن أبى أمية عنوة فى خلافة معاوية. وعن مجاهد قال: قال لى شيخ فى غزوة رودس وقد كان أدرك الجاهلية، قال: كنت أسوق لأىً لنا، يعنى بقرة، فسمعت من جوفها: يالَ ذريح، قول نصيح، رجل نصيح، يقول لا إله إلا الله، قال: فقدمنا فوجدنا النبى ﷺ قد خرج بمكة. وورودس هو حصن أغريقيا، وهو فى الأرض الكبيرة مقدار عشرين ميلاً، وبين ساحل الإسكندرية أربعة أيام، وذكر أبو نصر الفارابى أن هذه الجزيرة كانت مقرًا لتعليم الفلسفة قبل انتقال التعليم إلى الإسكندرية، ورودس بلغة الأغريقين: الورد. انظر الروض المعطار ٢٧٨، ومعجم ما استعجم ٦٨٣/٢.

(٢) هذا الدير يقال له دير شهران بالهاء، وشهران هذا أحد حكماء النصارى. انظر المواعظ والاعتبار ٥٠١/٢.

وفى خامس عشره: خلع على الأمير أركماس الظاهرى، واستقر رأس نوبة، عوضا عن تغرى بردى المحمودى، وأنعم عليه بإقطاعه، وأنعم بإقطاع أركماس وتقدمته على قانى باى البهلوان. وأنعم بطبلخاناه البهلوان على سودن ميق، وهذا المحمودى من جملة المماليك الناصرية فرج بن برقوق، ربى عنده صغيرا، ثم خدم بعد قتل الناصر عند الأمير نوروز الحافظى بدمشق، فلما قتل نوروز سجنه المؤيد شيخ بقلعة المرقب، فمازال مسجونا بها حتى تنكر المؤيد على الأمير برسباى الدقماقى نائب طرابلس وسجنه بالمرقب مع المحمودى وأينال الششمانى، فرأى تغرى بردى المحمودى فى ليلة من الليالى منامًا يدل على أن برسباى يتسلطن، فأعلمه به، فعاهده على أن يقدمه إذا تسلطن، ولا يعترضه بمكروه، فلما كان من سلطنة الأشرف برسباى ما كان، وتقدمته للمحمودى ما ذكر فيما مضى، وتمادى الحال إلى أن بات على عادته بالقصر، فقال لبعض من يثق به من المماليك ما تقدم من منامه وهو بالمرقب، وأنه وقع كما رأى وأنه أيضا رأى مناما يدل على أنه يتسلطن ولابد. فوشى ذلك المملوك به إلى السلطان، فحرك منه كوامن، منها أن المحمودى غره منامه وتحدث بما كان يجب كتمانه حتى أشيع عنه وصار يقول: «أنا لما حجبت أحضرت ابن عجلان، ولما مضيت إلى قبرس أسرت ملكها، أين كان الأشرف حتى يقال هذا لسعده؟ والله ما كان هذا إلا بسعدى». وينقل كل ذلك إلى السلطان، ومع هذا يبدو منه فى حال لعبه بالكرة مع السلطان دالة، وقديما قيل «الملك ملول».

وفى سادس عشره: سار ملك قبرس ورسل رودس فى النيل إلى الإسكندرية ليمضوا منها إلى بلادهم، فكان هذا من الفرج بعد الشدة.

شهر رجب، أوله الإثنين:

فيه قدم الخبر بموت المنصور عبد الله بن أحمد الناصر صاحب اليمن، وتملك أخيه الأشرف إسماعيل بن أحمد الناصر[1].

وفيه استقر القسيس أبو الفرج بطركا للنصارى اليعاقبة، عوضا عن ميخائيل بعد صرفه لطعن النصارى فيه، وكان يعلم أولاد النصارى بالمقيس، فرغبوا فى ولايته. وتسمى لما ولى يوحنا.

---

(١) الأشرف الرسولى (٨٣٠ هـ = ١٤٢٧ م). إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن العباس بن على الرسولى، الملقب بالملك الأشرف: من ملوك الدولة الرسولية فى اليمن، بويع وهو صغير قبل الاختتان، بعد وفاة أخيه المنصور (عبد الله بن أحمد) سنة ٨٣٠ هـ، ولم يلبث أن قبض عليه العسكر بمدينة تعز وخلعوه بعمه يحيى بن إسماعيل ومات على الأثر فى السنة نفسها بالدملوة. وفى المؤرخين من لا يذكره لصغر سنه، وقصر مدته. انظر الضوء اللامع ٢/٢٩٠. الأعلام ١/٣٠٩.

وفى ثامنه: قدم الأمير شارقطلوا من حلب فخلع عليه واستقر أمير مجلس عوضا عن جرباش قاشق المنتقل لنيابة طرابلس، وقد كانت شاغرة هذه المدة.

وفى حادى عشره: أدير محمل الحاج، وحملت كسوة الكعبة على العادة، حتى شاهدها السلطان.

وفى تاسع عشره: توجه زين الدين عبد الباسط ناظر الجيش وزعيم الدولة على الهجن إلى بلاد الشام لعمارة سور حلب، وغير ذلك من المهمات السلطانية، بعدما قدم خيوله وأثقاله بين يديه، قبل ذلك بأيام.

وفى هذه الأيام: انحط سعر الغلال عند دخول الغلال الجديدة حتى أبيع الأردب القمح من مائة وعشرة دراهم فلوسا إلى ثمانين درهما، والشعير كل ثلاثة أرادب ونصف بدينار، وأبيع الرطل من لحم الضأن السليخ بستة دراهم فلوسا، ولحم البقر بأربعة دراهم، والرغيف الخبز بنصف درهم فلوسا، فيشترى بالدرهم الفضة أربعون رغيفا، ولم نعهد مثل ذلك فلله الحمد.

وفى هذا الشهر: هدمت إحدى المآذن الثلاثة اللاتى أنشأهن المؤيد شيخ بجامعه، وهى الصغرى التى تشرف على صحن الجامع، لميلها وخوف سقوطها، ثم جددت.

وفيه كثر عبث الفرنج فى البحر، وأخذوا مراكب مشحونة بضائع للمسلمين، يقال عدتها ثمانى مراكب، آخرها مركبان قدمتا من بلاد العلايا حتى قاربتا ميناء الإسكندرية أخذتا، ولا قوة إلا با لله.

شهر شعبان، أوله الأربعاء:

فيه ابتدئ بقراءة الحديث النبوى بالقصر السلطانى من القلعة، على العادة التى استجدت، ورسم أن لا يحضر أحد من القضاة المعزولين، وأن لا يكون من الحاضرين بحث فى حال القراء، وقد كان يقع بينهم فى بحوثهم ما لا يليق.

وفيه رسم بعزل نواب قضاة القضاة، وأن يقتصر الشافعى من نوابه على عشرة، والحنفى والمالكى كل منهما على ثمانية، والحنبلى على ثلاثة، فهموا بذلك أو كادوا. ثم عادوا لما نهوا عنه، كما هى عادتهم.

وفى رابع عشره: أخذ قاع النيل بالمقياس، فكان خمسة أذرع، وخمسة عشر إصبعا.

وفى يوم السبت خامس عشرينه – وسابع عشرين بؤونة –: ابتدئ بالنداء فى الناس بزيادة النيل ثلاثة أصابع.

وفيه أيضا اتفق حادث فظيع، وهو أن بعض المماليك السلطانية الجراكسة انكشف رأسه بين يدى السلطان، فإذا هو أقرع، فسخر منه من هنالك من الجراكسة، فسأل السلطان أن يجعله كبير القرعان، ويوليه عليهم، فأجابه إلى ذلك، ورسم أن يكتب له به مرسوم سلطانى، وخلع عليه، فنزل وشق القاهرة بالخلعة فى يوم الإثنين سابع عشرينه، وصار يأمر كل أحد بكشف رأسه حتى ينظر إن كان أقرع الرأس أو لا، وجعل على ذلك فرائض من المال؛ فعلى اليهودى مبلغ عينه، وعلى النصرانى مبلغ، وعلى المسلم مبلغ، بحسب حاله ورتبته، ولم يتحاش من فعل ذلك مع أحد، حتى لقد فرض على الأمير الأقرع عشرة دنانير، وتجاوز حتى جعل الأصلع والأجلح[1] فى حكم الأقرع ليجبيه مالا فكان هذا من شنائع القبائح، وقبائح الشنائع، فلما فحش أمره نودى بالقاهرة «يا معشر القرعان لكم الأمان» فكانت هذه مما يندر من الحوادث.

وفى هذا الشهر: كثر رخاء الأسعار حتى أبيع كل أربعة أردب شعير بدينار، وفى الريف كل خمسة أرادب بديار، وأبيع الفول كل ثلاثة أرادب بأقل من دينار، وأبيع القمح كل أردبين بأقل من دينار، وأقبلت الفواكه إقبالا زائدًا على المعهود فى هذه الأزمنة، وكثرت الخضروات، ولله الحمد. ونسأل الله حسن العاقبة. فإنك مع هذه النعم الكثيرة لا تكاد تجد إلا شاكيا لقلة المكاسب، وتوقف الأحوال، وفشو الظلم، والإعراض عن العمل بطاعة الله، سبحانه وتعالى سيما من يقيم الحدود.

شهر رمضان، أوله الخميس:

فيه فتح الجامع الذى أنشأه الأمير جانبك الدوادار[2] قريبا من صليبة جامع ابن طولون، وأقيمت به الجمعة ثانية، وجاء من أبهج العمارات وأحسنها.

وفى سابع عشره: قدم زين الدين عبد الباسط ناظر الجيش، بعدما انتهى فى سفره إلى مدينة حلب، ورتب عمارة سورها، فعمل به بين يديه فى يوم واحد ألف ومائتا حجر، وبعد صيته، وانتشر ذكره، وعظم قدره، وفخم أمره، فى هذه السفرة، بحيث لم ندرك فى هذه الدولة المتأخرة صاحب قلم بلغ مبلغه. فلما نزل ظاهر القاهرة خرج الأمير جانبك الدوادار[3] وطائفة من الأمراء وسائر مباشرى الدولة، وعامة الأعيان إلى

---

(١) الجلح: هو انحسار الشعر عن جانبى الرأس. انظر القاموس المحيط.

(٢) هو جامع الجنابكية، الذى أنشأه الأمير جانبك الدوادار سنة ٨٢٨ هـ. انظر الخطط التوفيقية ١٣٤/٢.

(٣) جانبك بن عبد الله الأشرفى الدوادار الثانى (٨٣١ هـ = ١٤٢٧ م)، الأمير سيف الدين. أحد مماليك الملك الأشرف برسباى، عظيم دولته، اشتراه فى أيام إمرته وتبناه، ورباه بين حرمه،=

لقائه، فصعد القلعة، وخلع عليه، ونزل إلى داره فى موكب جليل، وقد زينت له الأسواق، وأشعلت له الشموع وجلس الناس لمشاهدته، فسبحان المعطى ما شاء من شاء.

وفى حادى عشرينه: قبض على عبد العظيم ناظر الديوان المفرد، وأسلم إلى الأمير زين الدين عبد القادر أستادار على مال يحمله، ثم أفرج عنه بعد أيام.

وفى ثالث عشرينه: طلع عظيم الدولة زين الدين عبد الباسط بهدية إلى السلطان،

=وجعله خازنداره إلى أن قبض على الملك الأشرف وهو إذ ذاك بطرابلس، وحبس بقلعة المرقب، وتخلى عنه جميع أعوانه إلا جانبك هذا، فإنه لازمه فى محبسه إلى أن أفرج عنه وآل أمره إلى سلطنة الديار المصرية، فلما جلس على تخت الملك أنعم على جانبك المذكور بإمرة عشرة وجعله خازنداره. ثم أرسله إلى حلب وعلى يده تشريف لنائبها البجاسى باستقراره فى نيابة دمشق بعد موت الأمير تنبك ميق العلائى، فتوجه إلى ما ندب إليه، وعاد إلى الديار المصرية بالأموال والتحف والهدايا، فحال قدومه. أنعم عليه السلطان بإمرة طبلخاناه والدوادارية الثانية فى يوم سادس عشر ذى القعدة سنة ست وعشرين وثمانمائة، عوضا عن الأمير قرقماس الشعبانى بحكم انتقاله إلى تقدمة ألف بالديار المصرية، وتوجه إلى مكة المشرفة على إمرتها. فباشر جانبك المذكور الدوادارية بحرمة وافرة وعظمة زائدة، وصار هو صاحب العقد والحل فى المماليك، وإليه مرجع أمور الدولة الأشرفية من الولاية والعزال، وشاع اسمه، وبعد صيته، تسامع الناس به فى الآفاق ، وقصده أرباب الحوائج من الأقطار، وصار كل كبير فى الدولة يتصاغر عنده، ويمشى فى خدمة، حتى أن الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن كاتب المناخ الوزير، والقاضى كريم الدين عبد الكريم كاتب حكم ناظر الخواص، لما ينزلان من الخدمة السلطانية يأتيان إلى بيت الأمير جانبك ويجلس كل منهما على دكة ويتعاطى أشغال الأمير جانبك المذكور، كأحد كتابه، وقع ذلك منهما غيره مرة، وكان الدوادار الكبير يومئذ الأمير أزبك فكان بالنسبة إلى الأمير دانبك الدوادار الثانى هذا كآحاد الدوادارية الصغار. ثم جعله الملك الأشرف لالا لولده المقام الناصرى محمد، فزادت حرمته بذلك وعظم وضخم، ونالته السعادة، وأخذ يقتنى من كل شيء أحسنه حتى جمع من الأموال والخيول والتحف ما يستحى من ذلك كثرة، وكثر ترداد أعيان الدولة إليه، وخضع إليه كل متكبر، ولين له كل متجبر، حتى حدثته نفسه بما كان فيه حتفه، فمرض ولزم الفراش، وطال مرضه، ونزل الملك الأشرف لعيادته غير مرة، وكان بالدار التى بابها من قبو السلطان حسن، وكان قد فتح له بابا آخر من حدوة البقر، وصار هو الباب، الباب الكبير، ولما طال مرضه نقله السلطان إلى عنده بقلعة الجبل، وصار يتردد إليه فى كل يوم حتى نصل وتعافى، ونزل إلى داره راكبا. ثم انتكس بعد أيام، إلى أن أشرف على الموت نزل إليه الملك الأشرف ليلا ودام عنده إلى أن مات فى آخر الليلة المذكورة، وهى ليلة الخميس سابع عشرين شهر صفر سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة، وسنه دون الثلاثين. انظر المنهل الصافى ٤/ ٢٣٣ وما بعدها ، الدليل الشافى ١/ ٢٣٧، والنجوم الزاهرة ١٠/ ١٤٨، أنباء الغمر ٣/ ٤٠٨ النفوس ٣/ ١٣٨، الضوء اللامع ٣/ ٢١٦.

وفيها مائتا فرس وحلى ما بين زركش ولؤلؤ برسم النساء، وثياب صوف، وفرو سمور، وغيره مما قيمته نحو العشرين ألف دينار، وعم المباشرين والأمراء بأنواع الهدايا.

وفي يوم الإثنين سادس عشرينه – وسابع عشرين أبيب –: نودى على النيل بزيادة أصبع واحد لتتمة عشر أذرع وتسعة عشر إصبعا، فنقص من الغد أربعة أصابع إلا أن الله تدارك العباد بلطفه، ورد النقص، وزاد، فنودى يوم الخميس تاسع عشرينه بزيادة سبعة أصابع و لله الحمد.

شهر شوال، أوله السبت:

فى أثناء هذا الشهر قدم الخبر بأن مراد بن محمد كرشجى بن بايزيد بن عثمان، صاحب برصا من بلاد الروم، جمع لمحاربة الأنكرس – من طوائف الروم المتنصرة – وواقعهم، عدة من عسكره، وهزموا وأن مدينة بلنسية التى تغلب عليها الفرنج – مما غلبوا عليه من بلاد الأندلس – خسف بها وبما حولها نحو ثلاثمائة ميل، فهلك بها من النصارى خلائق كثيرة، وأن مدينة برشلونة زلزلزت زلزالا شديدًا، ونزلت بها صاعقة، فهلك بها أمم كثيرة، وخرج ملكها فيمن بقى فارين إلى ظاهرها، فوقع بهم وباء كبير.

وفي يوم الخميس عشرينه: خرج محمل الحاج إلى الريدانية، ظاهر القاهرة، ورفع منها ليلا إلى بركة الحاج على العادة، فتتابع خروج الحجاج.

وفي يوم الجمعة حادى عشرينه – الموافق له ثانى مسرى –: كان وفاء النيل ستة عشر ذراعا، فركب الأمير ناصر الدين محمد ابن السلطان حتى خلق عمود بين يديه، ثم فتح الخليج على العادة، و لم تزين الحراريق فى هذه السنة، ولا كان للناس من الاجتماعات بمدينة مصر والروضة على شاطئ النيل ما جرت به عادتهم فى ليالى الوفاء، وذلك أن النيل توقفت زيادته من أوائل مسرى، وأقام أياما عديدة لا ينادى عليه فى كل يوم سوى إصبع أو إصبعين، وأجرى الله العادة فى الغالب من السنين أن تكون زيادة النيل المبارك منذ يدخل شهر مسرى فى كل يوم عدة أصابع، فيقال: «فى أبيب يدب الماء دبيب، وفى مسرى تكون الدفوع الكبرى». فجاء الأمر فى نيل هذه السنة بخلاف ذلك، حتى ظن الناس الظنون، وتوقف خزان الغلال عن بيعها، وأخذ غالب الناس فى شراء الغلال خوفا من ألا يطلع النيل، فمنع السلطان من تزيين الحراريق، ومن اجتماع الناس بشاطئ النيل لانتظار الوفاء، فانكف عن منكرات قبيحة، كانت تكون هناك و لله الحمد، فإنه تعالى أغاث عباده وأجرى النيل بعدما كادوا يقنطوا.

وفي هذا الشهر – والذى قبله –: كثر عبث المماليك الجلب الذين استجدهم السلطان، وتعدى فسادهم إلى الحُرم. وهذا أمر له ما بعده.

وفى سادس عشرينه: نودى على النيل بزيادة إصبع واحد، لتتمة ستة عشر ذراعًا وخمسة عشر إصبعًا، فما أصبح يوم الخميس إلا وقد نقص.

شهر ذى القعدة، أوله الأحد:

وكان النيل قد توقف عن الزيادة من يوم الخميس، والناس على ترقب مكروه، وإن لم يتدارك الله بلطفه فإنه نقص ثلاثة أصابع، وجمع السلطان القضاة والمشايخ عنده، وقرئت سورة الأنعام أربعين مرة فى ليلة الأحد.

هذا ودعوا الله أن يجرى النيل، ثم ركب السلطان من يوم الثلاثاء ثالثه إلى الجرف[١] الذى يقال له الرصد[٢] ووقف بفرسه ساعة، وهو يدعو، ثم عاد إلى القلعة. فلما كان يوم الخميس خامسه، نودى بزيادة إصبع بعد رد الثلاثة الأصابع اللاتى نقصت، فسر الناس ذلك، لأن الغلال ارتفع سعرها، وشره كل أحد فى طلبها، وشحت أنفس خزّانها ببيعها.

وفى عاشره: قدم الخبر بأن قاضى دمشق - نجم الدين عمر بن حجى - وُجد مذبوحا فى بستانه بالنيرب[٣] خارج دمشق، ولم يعرف قاتله.

وفى رابع عشره: خلع على الأمير قانى باى البهلوان - أحد مقدمى الألوف - واستقر فى نيابة ملطية، عوضا عن الأمير أزدمر شاية وعين معه عدة من المماليك، وأن يتوفر له إقطاعه بديار مصر، عونا له على قتال التركمان، وأن يستقر أزدمر شاية أميرًا بحلب. وقانباى هذا أحد المماليك الناصرية فرج، وخدم بعد قتل الناصر عند أمراء دمشق، ثم اتصل بخدمة الأمير ططر فلما تسلطن بدمشق أنعم على قانى باى هذا بإمرة طبلخاناه بمصر، وقدم معه، ثم نقل إلى إمرة مائة حتى ولى نيابة ملطية.

وفى هذا اليوم: أخذ النيل فى النقصان، بعدما انتهت زيادته إلى سبعة عشر ذراعًا، وستة أصابع، ويوافق هذا اليوم ثامن توت، وهذا هبوط فى غير أوانه، فما لم يقع اللطف الإلهى بعباد الله، وإلا عظم الخطب.

وفى العشر الأخير: من هذا الشهر تكالب الناس على شراء القمح ونحوه من الغلال، وارتفع الأردب إلى مائتى درهم، والشعير والفول إلى مائة وخمسين، وتعذر

---

(١) الجُرْفُ: موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام. انظر معجم البلدان ١٢٨/٢.

(٢) هذا المكان يطل من غربيه على جامع راشدة، ومن قبليه على بركة الحبش وسمى بهذا الاسم؛ لأن الأفضل بن أمير الجيوش أقام فوقه كرة لرصد الكواكب. انظر المواعظ والاعتبار ١٢٥/١.

(٣) قرية مشهورة بدمشق. انظر معجم البلدان.

وجود ذلك لشح الأنفس ببيع الغلال، مع كثرتها بالقاهرة والأرياف، فرسم السلطان للأمير أينال الششمانى المحتسب أن لا يمكن أحدًا من الناس بيع القمح بأزيد من مائة وخمسين درهما الأردب، وأن لا يشترى أحد أكثر من عشرة أرادب، وسبب ذلك أن الناس ترقبوا الغلاء، فأخذ أرباب الأموال فى الاستكثار من شراء الغلال ظنًا منهم أن يبيعوها إذا طلبها المحتاجون بأغلى الأثمان، حتى أن بعض من لم يكن شيئًا مذكورًا اشترى فى هذه الأيام ألف أردب من القمح، وكم أمثال هذا، فا لله يحسن العاقبة.

وفى سابع عشرينه: كمل نقص النيل مما زاده ستة عشر إصبعًا، ثم أغاث ا لله عباده بعدما كادوا أن يقنطوا. ونودى فى يوم السبت ثامن عشرينه بزيادة إصبعين من النقص، واستمرت الزيادة فى يوم الأحد والإثنين، فسكن قلق الناس قليلا.

وفى يوم الجمعة: هذا قدم الأمير صارم الدين إبراهيم بن رمضان أحد أمراء التركمان، ونائب طرسوس وأذنة، ونائب الملك، وقد عزل وفر إلى ابن قرمان ليحميه، فأسلمه إلى قصاد السلطان خوفا من معرة العسكر، فقيد وحمل من بلاد قرمان حتى قدم به كذلك، فسجن.

وفى يوم الإثنين سلخه: خلع على بهاء الدين محمد بن نجم الدين عمر بن حجى، واستقر فى قضاء القضاة بدمشق، عوضا عن أبيه، وهو شاب صغير لم يستتر عذاريه بالشعر، لكن قام بمال كبير، فلم يلتفت مع ذلك لحداثة سنه، ولا لكونه ما قرأ ولا درى، وقديما قيل:

تعد ذنوبه والذنب جم   ولكن الغنى رب غفور

شهر ذى الحجة:

أهل بيوم الثلاثاء، ووافقه من شهور القبط خامس عشرين توت.

وفيه انتهت زيادة ماء النيل إلى سبعة عش ذراعًا وإصبعين، بعد تراجع نقصه. وهبط شيئا بعد شىء، فكثر شراقى الأراضى بالوجه القبلى والوجه البحرى لقصور زيادة النيل وسرعة هبوطه.

وفى سابع عشره: خلع أياس أحد المماليك، واستقر نائب السلطنة بالعلايا، ورسم أن يجهز معه طائفة من العسكر ليسيروا فى البحر، وسبب ذلك أن صاحب العلايا الأمير قرمان بن صوجى بن شمس الدين ألجاته الضرورة إلى أن قدم منذ شهر بأهله مترامیا على السلطان فى أخذه بلاد العلايا منه، وأن يقيم بخدمة السلطان حتى تدخل فى الحوزة السلطانية.

وفيه جهز تشريف إلى الأمير صارم الدين إبراهيم بن قرمان وقد ورد كتابه يرغب فيه أن يدخل فى الطاعة السلطانية وينتمى إلى أبوابها، والتزم بإقامة الخطبة للسلطان ببلاد الروم وضرب الصكة باسمه، ويستمر فى نيابة السلطنة ببلاد قرمان، فأجيب إلى ذلك، وكتب له التقليد، وجهز معه التشريف.

وفيه جهز أماج - أحد الدوادارية - إلى الأمير ناصر الدين محمد بن خليل بن دلغار نائب أبلستين، ليجهز عدد أغنام التركمان، على ما جرت به العوايد القديمة، وإلا داست العساكر بلاده.

وفى هذا الشهر: اتضع سعر الغلال، وقل طالبها، وكثر كسادها، مع كثرة الشراقى فى أراضى مصر لقصور زيادة النيل، وسرعة هبوطه، وعدم العناية بعمل الجسور فكان هذا من جميل صنع الله تعالى وخفى لطفه، إن الله بالناس لرءوف رحيم.

وفى تاسع عشره: رسم بعرض المماليك على السلطان بآلة الحرب، فأخذوا فى الاستعداد لذلك، وطلب الأسلحة بعد كسادها مدة وبوار أربابها وصناعها، فنفقت سوقها وربحت تجارتهم، واشتغل بعملها صناعهم.

وفيه ركب السلطان بثياب جلوسه، وشق القاهرة من باب زويلة، وخرج من باب النصر عائدًا إلى القلعة، ونظر فى ممره وقف الشهابى بخط باب الزهومة ليؤخذ له، وهو من جملة الأوقاف التى ينصرف فيها القاضى الشافعى ويصرفها على ما يراه من وجوه البر، إلا أنه تشعث واحتاج إلى العمارة، فإنه قدم عهده مع كثرة مساكنه، وضاق الحال عن إصلاحه، فوجدوا ارتفاعه فى الشهر عن الفندق الذى يعرف بخان الحجر وعلوه وما جاوره من الحوانيت وعلوها فى الشهر ثلاثة آلاف درهم فلوسًا، عنها نحو أربعة عشر دينارًا أشرفية، فقومت أنقاضه كلها بألفى دينار، وصارت للسلطان بالطريقة التى صار يعمل بها، ولم يقبض المبلغ المذكور للمتولى، بل وُعد أنه إذا عمر هذا الوقف للسلطان جعل منه فى كل شهر ثلاثة آلاف درهم لجهة الأوقاف الحكمية فمشى الحال على ذلك.

وفى سابع عشرينه: قدم مبشرو الحاج وأخبروا بسلامة الحجاج ورخاء الأسعار بمكة، وأنه قرئ مرسوم السلطان بمكة بمنع الباعة من بسط البضائع أيام المواسم فى المسجد الحرام، ومن ضرب الناس الخيام بالمسجد على مصاطبه وأمامها، ومن تحويل المنبر من مكانه إلى جانب الكعبة، لأنه عند جره على عجلاته يزعج الكعبة إذا أسند إليها، فأمر أن يترك مكانه مسامتا لمقام إبراهيم عليه السلام، ويخطب الخطيب عليه

هناك، وأن تسد أبواب المسجد بعد انقضاء الموسم إلا أربعة أبواب، من كل جهة باب واحد، وأن تسد الأبواب الشارعة من البيوت إلى سطح المسجد، فامتثل ذلك، وأشبه هذا قول عبد الله بن عمر رضى الله عنه وقد سأله رجل عن دم البراغيث فقال: «عجبا لكم يا أهل العراق، تقتلون الحسين بن على وتسألون عن دم البراغيث؟». وذلك أن مكة استقرت دار مكس حتى أنه يوم عرفة قام المشاعلى والناس بذلك الموقف العظيم يسألون الله مغفرة ذنوبهم، فنادى معاشر الناس كافة من اشترى بضاعة وسافر بها إلى غير القاهرة حل دمه وماله للسلطان، فأخّر التجار القادمون من الأقطار حتى ساروا مع الركب المصرى على ما جرت به هذه العادة المستجدة منذ سنين، لتؤخذ منهم مكوس بضائعهم، ثم إذا ساروا من القاهرة إلى بلادهم من البصرة[1] والكوفة[2] والعراق أخذ منهم المكس ببلاد الشام وغيرها. وهذا لينكر وتلك الأمور يعتنى بإنكارها ويسعى أهل البلاد فى إزالتها، فيا نفس جدى إن دهرك هازل. ولقد كان السبب فى كتابة هذا المرسوم أن رجلا من العجم يظهر للناس النسك، ولأمراء الدولة فيه اعتقاد، أمرهم بذلك، فأتمروا. وقد أذكرنى هذا ما كتب به أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه، لما ولى الخلافة: «أما بعد فإنكم بلغتم، بالاقتداء والاتباع، فلا تلفتنكم الدنيا عن أمركم، فإن أمر هذه الأمة صائر إلى الابتداع بعد اجتماع ثلاث فيكم، تكامل النعم، وبلوغ أولادكم من السبايا، وقراءة الأعاجم والأعراب القرآن. فإن النبى ﷺ قال: «الكفر فى العُجمة، فإذا استعجم عليهم أمر تكلفوا وابتدعوا». ولم يعرف قط أن أبواب المسجد الحرام أغلقت إلا فى هذه الحادثة، فإنها أقامت مدة أشهر مغلقة ضج الناس وفتحوا جميع أبواب المسجد على عادتها، واستمر المنع فى بقية ما رسم بمنعه إلا جر المنبر، فإنه أيضا جر على عادته إلى جانب الكعبة فى يوم الجمعة.

وقدم من الهند إلى مكة رسولان أحدهما من صاحب كلبرجه[3] واسمه محمود، واسم رسوله شمس الدين الغالى بغا، وصحبته هدية لأمير مكة، وهدية السلطان، ومبلغ ستة آلاف دينار ليشترى به دارًا عن الصفا، وتعمر مدرسة، والرسول الآخر من صاحب بنكالة بهدية للسلطان وهدية للخليفة.

---

(١) المصر المشهور بأرض العراق. انظر معجم البلدن.

(٢) الكوفة: المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق. انظر معجم البلدان ٤/٤٩٠ وما بعدها.

(٣) كلبرجه: من بلاد الهند.

ووصل من العراق أحمد وعلى[1] ولدا الشريف حسن بن عجلان. وكان لهما مدة بها، وصحبتهما مال جزيل، فنهب جميعه فى الركب العقيلى قريب مكة، ونهبت أموال كثيرة، منها لتاجر واحد مائة جمل محملة بضائع ما بين شاشات وأرز وبهار، وغير ذلك.

وفى رابع عشرينه: قبض بالمدينة النبوية على أميرها الشريف خشرم بن دوغان بن جعفر بن هبة الله بن جماز بن منصور بن جماز بن شيحة، فإنه لم يقم بالمبلغ الذى وعد به، وقرر عوضه الشريف مانع بن على بن عطية بن منصور بن جماز بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنا بن حسين بن مهنا بن داود بن قاسم بن عبد الله بن طاهر بن يحيى بن الحسين بن جعفر بن الحسين بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

الأمير قشتمر الذى تولى نيابة الإسكندرية، ثم أخرج إلى حلب، فقتل فى وقعة التركمان فى المحرم، ومستراح منه.

وتوفى بدر الدين محمد بن محمد بن محمد القرقشندى الشافعى، أمين الحكم، فى يوم الإثنين رابع عشرين المحرم. ومولده أول المحرم سنة إحدى وأربعين وسبعمائة، وكان فقيها فاضلا ناب فى الحكم بالقاهرة سنين، وبرع فى الحساب والفرائض، وعمى قبل موته.

وتوفى زاهد الوقت الشيخ أحمد بن إبراهيم بن محمد اليمنى، المعروف بابن عرب[2]،

---

(١) على بن حسن (٨٠٧ - ٨٥٣ هـ = ١٤٠٤ - ١٤٤٩ م). على بن حسن بن عجلان بن رميثة الحسنى، أبو القاسم: من أشراف الحجاز. ولى إمرة مكة سنة ٨٤٥هـ، عن أخيه بركات. ونشبت بينهما فتنة، وخلعه الأتراك سنة ٨٤٦ هـ، وحملوه معتقلا مقيدا إلى القاهرة، فسجن فى البرج، ثم نقل إلى الإسكندرية، ومنها إلى دمياط، وتوفى سجينا بها. انظر التبر المسبوك ١٤، ٤٠، ٤٥ ٢٨٢، ٣٥٥، حوادث الدهور ٤٢/١، والضوء اللامع ٢١١/٥. الأعلام ٢٧٤/٤.

(٢) أحمد بن إبراهيم بن محمد، الشيخ الإمام العالم الزاهد المعتقد الكبير صاحب الكرامات اليمنى الأصل، البرصاوى المولد والمنشأ، المصرى الدار والوفاة الحنفى، الشهير بابن عرب. أحد أفراد الدنيا فى الزهد والعبادة والورع، نزيل الخانقاة الشيخونية وأحد الصوفية بها، كان والده من اليمن، ثم رحل تغلى برصا من بلاد الروم واستوطنها وتزوج بها، فولد له أحمد هذا، ونشأ برصا على قدم هائل، ثم قدم إلى القاهرة شابا ونزل بخانقاة شيخو، وطلب العلم فقرأ على إمام الخمس بها خير الدين سليمان ابن عبد الله، وعلى غيره. وكان فقيرا جدا، ينسخ للناس بالأجرة ويتقوت وهو=

=مكب على طلب العلم، ودام على ذلك مدة طويلة إلى أن استقر من جملة الصوفية بها بمبلغ ثلاثين درهما فى كل شهر، فتعفف بذلك عن النسخ وغيره، وانقطع عن مجالسة الناس والاختلاط بهم، وسكن ببيت بالخانقاة المذكورة، وأعرض عن كل أحد، واجتهد فى العبادة والعمل، واقتصر على ملبس خشن حقير إلى الغاية، وصار يقنع بيسير القوت، ولا ينزل من بيته إلا ليلا لشراء قوته، ثم يعود إلى منزله بالشيخونية، وكان لا ينزل من بيته إلا فى كل ثلاثة أيام مرة بعد العشاء الآخرة، وكان إذا حاباه أحد من السوق فيما يشتريه من قوته تركه وما حاباه به، فلما عرف بذلك ترك الباعة المحاباة له، ووقفوا عند ما يشير لهم به، وكان لا يقبل من أحد شيئا بحيث أن رجلا دس عليه شيئا فى قفته وهو قليل من الموز، والشيخ لا يشعر بذلك، فلما رآه عند طلوعه إلى منزله عاد، ولم يزل بالرجل إلى أن عرفه ورد له الموز المذكور. وكان يغتسل بالماء البارد شتاء وصيفا فى بكرة نهار كل جمعة، ويمضى إلى صلاة الجمعة من أول نهار الجمعة، ويأخذ فى الصلاة والقراءة وأنواع العبادة حتى تقام الصلاة ويصلى، ثم يعود إلى منزله من غير أن يكلم أحدا، ولا يتجرأ أحد على الكلام معه لهيبته ووقاره وعظم حرمته، ورأيته مرارا عديدة لكننى لا أعرف ما فى وجهه حياء منه ومهابة، وكان يطيل قيامه فى الصلاة مقدار أن يقرأ فى كل ركعة حزبين تقديرا، فيكون تعبده فى كل يوم جمعة يعنى من حين دخوله إلى الجامع إلى وقت الصلاة مقدار نصف ختمة من غير أن يسمع له قراءة ولا تسبيح، وكان يرى نهارا إلا عند ذهابه يوم الجمعة إلى الجامع لا غير، ولا يرى ليلا إلا فى كل ثلاث ليال مرة واحدة عند شراء قوته حسبما ذكرناه. وكان له كرامات كثيرة، من ذلك ما أخبرنى من أثق به عن بعض أهل الخانقاه أنه اشترى فى بعض الأحيان كنافة وصب فوقها خلا، فرآه ذلك الرجل والشيخ لا يشعر به، والشيخ يقول لنفسه: ما تأكلى إلا كنافة؟ كلى، فهجم ذلك الرجل على الشيخ، وكان يعرفه قديما، وقال: أنا آكل معه من هذه الكنافة التى بالخل تبركا، فقال له الشيخ: بسم الله كل يا فلان، فصار الرجل يأكل الكنافة بعسل غاية فى الحلاوة، والشيخ يأكل معه إلى أن فرغا معا. ورئى مرة بسطح الخانقاه وقد مد يدة وفيها فتات الخبز والطيور تأكل مما فى يده، وله أشياء من هذه المقولة وكرامات هائلة. ودام على ذلك نحو الثلاثين سنة. وكان إذا احتاج إلى خياطة خيشة يلبسها، أو أعانة أحد عند عجزه فى أواخر عمره عن حمل الجرة بالماء التى يتوضأ منها أعطاه من الفلوس شيئا، ويقول: هذا أجرتك، وكان تمر به الأعوام الكثيرة لا يتلفظ بكلمة مع أحد سوى قراءة القرآن وذكر الله، وكان خادم الخانقاه يحمل إليه فى كل شهر الثلاثين درهم فلا يأخذها إلا عددا، فإن المعاملة بالفلوس وزنا حدثت بعد انقطاعه عن الناس، فكان لا يعرف إلا المعادة. ولم يزل على ذلك إلى أن توفى بخانقاة شيخو فى ليلة الأربعاء ثانى شهر ربيع الأول سنة ثلاثين وثمانمائة، وحمل من الغد حتى صلى عليه بمصلى المؤمنى من تحت القلعة، وحضر السلطان الملك الأشرف برسباى الصلاة عليه، وتقدم قاضى القضاة بدر الدين محمود العينتابى الحنفى فصلى عليه بمن حضر، ثم أعيد إلى الخانقاة الشيخونية بالصلبية ودفن بها، وهناك كان سكنه، وحمل نعشه على الأصابع لكثرة ازدحام الخلق على حمله. وبالجملة فإنه فريد عصره فى العبادة والزهد، لم نر فى عصرنا من داناه ولا قاربه فى طريقته، رحمه الله تعالى. انظر الدليل الشافى ٣٦/١، والنجوم الزاهرة ١٣٩/١٥، أنباء الغمر ٣٨٤/٣، نزهة النفوس ١٢٤/٣، والضوء اللامع ٢٠٠/١.

فى ليلة الأربعاء ثانى ربيع الأول، وحمل من الغد حتى صلى عليه تحت القلعة بمصلى المرمنى. ونزل السلطان للصلاة عليه، فتقدم قاضى القضاة بدر الدين محمود العنتابى الحنفى فصلى عليه بمن حضر، وكان الجمع موفورًا، ثم أعيد إلى خانكاه شيخو بالصليبة خارج القاهرة، فدفن بها. وهناك كان سكنه، ووجد له مبلغ ألفين وسبعمائة درهم فلوسا. ومن خبره أن أباه كان من أهل اليمن، وسكن مدينة برصا من بلاد الروم، وتزوج بها، فولد أحمد هذا، ونشأ ببرصا، ثم قدم القاهرة شابًا، ونزل خانكاه شيخو، وقرأ على إمام الخمس بها، خير الدين سليمان بن عبد الله فقيرًا مملقا، يتصدق عليه بما عساه يقيم رمقه، ويسد من خلته، وينسخ بالأجرة، ثم نزل بعد مدة فى جملة صوفيتها بمبلغ ثلاثين درهما الشهر فقط، فتعفف عند ذلك عن أخذ ما كان يتصدق به عليه، وانقطع عن مجالسة الناس فى بيت بالخانكاه، وترك مخالطتهم وأعرض عن كل أحد، واقتصر على ملبس خشن حقير إلى الغاية، وتقنع بيسير القوت، وصار لا ينزل من بيته إلا ليلا ليشترى قوته، ثم يطلع إليه، فإذا حاباه أحد من الباعة فيما يشتريه من قوته تركه، وما حاباه به. فلما عرف بذلك تبرك الباعة به، ووقفوا عندما يشير لهم به، ثم صار لا ينزل من بيته إلا كل ثلاث ليال مرة، بعد عشاء الآخرة، فيشترى قوته، ويعود إلى منزله، ولا يقبل من أحد شيئا، بحيث أن رجلا دس فى قفته قليل موز وهو لا يشعر فلما رآه عند طلوعه إلى منزله لم يزل يفحص عنه حتى عرفه، فألقى إليه موزه ولم يرزأ منه شيء، وكان يغتسل بالماء البارد شتاء وصيفا فى كل يوم جمعة، ويمضى إلى صلاة الجمعة من أول النهار، ويظل يصلى حتى تقام الصلاة، فيكون قيامه فى تركعه هذا بنحو ربع القرآن، من غير أن تسمع له قراءة، إلا أنه يطيل قيامه، حتى يجوز أنه يقرأ فى كل ركعة بجزبين. ومع محبة الناس له وكثرة تعظيمهم له، صانه الله من إقبالهم إليه، فكان يمر إلى الجمعة، ولا يرى نهارًا إلا إذا راح إلى الجمعة، ولا يرى ليلا إلا كل ثلاث ليالى إذا نزل لشراء ما يتقوت به، ولا يجسر أحد أن يدنو منه، فإن دنا منه أحد وكلمه لا يجيبه، أقام على ذلك نحو الثلاثين سنة، وفى أثناء ذلك ترك النسخ بالأجرة، واقتصر على الثلاثين درهما فلوسا فى كل شهر، وأفضل منها ما وجد بعد موته، وكان يرى فى الليل، وقد قام على قدميه، وقرأ ربع القرآن، وكان يعرف القراءات، ورؤى مرة بسطح الخانكاه، وقد مد يده وفيها فتات الخبز، والطيور تأكل مما فى يده، وكان إذا احتاج إلى خياطة خيشة ليلبسها، أو إعانة أحد عند عجزه فى آخر عمره عن حمل الجرة الماء التى يتوضأ منها، أعطاه من الفلوس شيئا ويقول: «هذا أجرتك». وكانت تمر به الأعوام الكثيرة لا يتلفظ بكلمة، سوى قراءة القرآن، وذكر الله. وفى كل شهر خادم

الخانكاه يحمل إليه الثلاثين درهم، فلا يأخذها إلا عددًا لا وزنًا، فإن المعاملة بالفلوس وزنا حدثت بعد انقطاعه، وبالجملة فلا نعلم أحدًا على قدمه فى هذا الزمان.

وتوفى شهاب الدين أحمد بن موسى بن نصير المتبولى المالكى [(١)]، موقع الحكم فى يوم الأربعاء ثانى شهر ربيع الأول عن خمس وثمانين سنة. وقد حدَّث عن محمد بن أزبك، وعمر بن أميلة، وزغلس، وست العرب[(٢)] وجماعة، وناب فى الحكم بالقاهرة.

وتوفى شهاب الدين أحمد بن يوسف بن محمد الزعيفرينى الدمشقى[(٣)]، الشاعر فى يوم الأربعاء ثانى شهر ربيع الأول. وكان يقول الشعر ويكتب خطًا حسنًا، ويزعم علم الحرف، ويستخرج من القرآن الكريم ما يريد معرفته من الأخبار بالمغيبات، وخدع بذلك طائفة من المماليك فى أيام الفتن لأوائل دولة الناصر فرج، فتحرك له حظ راج به مُدَيْدة؛ ثم ركدت ريحه، وامتحن فى سنة اثنتى عشرة وثمانمائة، فإنه عثر على أبيات

(١) أحمد بن موسى بن نصير، القاضى شهاب الدين المتبولى الشافعى، أحد نواب الحكم. ولد فى حدود سنة خمس وأربعين وسبعمائة، كان فقيها محدثا، سمع الكثير، وحدث عن محمد بن أزبك، وعمر بن أميله، وست العرب، وجماعة أخر، وتوفى يوم الأربعاء ثانى شهر ربيع الأول سنة ثلاثين وثمانمائة. انظر الدليل الشافى ٩١/١، والنجوم الزاهرة ١٤١/١٥، والضوء اللامع ٢٣٠/٢، شذرات الذهب ١٩٢/٧.

(٢) هى ست العرب ابنة الجمال إبراهيم. انظر الضوء اللامع ٥٥/١٢.

(٣) أحمد بن يوسف بن محمد، الشيخ الأديب شهاب الدين أبو العباس الدمشقى الشاعر المشهور، عرف بابن الزعيفرينى. كانت له فضيلة، ويكتب الخط المنسوب، وينظم الشعر، ويشتغل بعلم الحرف، ويزعم أن له فيه اليد الطولى، وحصل له حظ لهذا المعنى عند جماعة من أعيان الأمراء وغيرهم إلى أن امتحن فى سنة اثنتى عشرة وثمانمائة، وسبب المحنة أن بعض أعيان الدولة ظفر بأبيات من نظمه بخطه قد نظمها للأمير جمال الدين للأستادار يوهمه أنها ملحمة وأنه سيملك مصر، ثم يملك بعده ابنه، فقطع الملك الناصر فرج بن برقوق لسانه وعقدتين من أصابعه، ورفق به عند القطع فلم يمنعه ذلك من النطق، ولزم داره وأظهر الخرس مدة أيام الناصر، ثم تكلم بعد ذلك، وأخذ فى الظهور والكتابة بيده اليسرى، فلم يرج فى شىء أيام المؤيدية شيخ، وانقطع حتى مات فى يوم الأربعاء ثانى شهر ربيع الأول سنة ثلاثين وثمانمائة. ومن شعره ما كتبه بيده اليسرى إلى قاضى القضاة صدر الدين على بن الآدمى الحنفى يقول:

قد عشت دهرا فى الكتابة مفردا ... صور منها أحرفا تشبه الدرا
قد عاد خطى اليوم أضعف ما ترى ... هذا الذى قد يسر الله لليسرى

فأجابه قاضى القضاة صدر الدين المذكور يقول:

ئن فقدت يمناك حسن كتابة ... لا تحتمل هما ولا تعتقد عسرًا

انظر الترجمة فى: الدليل الشافى ٩٨/١، والنجوم الزاهرة ١٤١/١٥، أنباء الغمر ٣٨٧/٣، والضوء اللامع ٢٥٠/٢، شذرات الذهب ١٥٤/٧.

بخطه قد نظمها للأمير جمال الدين يوسف الأستادار يوهمه أنها ملحمة فيها أنه سيملك مصر ويملك بعده ابنه، فقطع الناصر لسانه، وعقدتين من أصابعه ورفق بـه عنـد القطـع، فلم يمنعه ذلك من النطق، ولزم داره، وأظهر الخرس مدة أيام الناصر، ثم تكلم بعد ذلك، وأخذ فى الظهور أيام المؤيد شيخ، فلم يبرح بهرجه، فانقطع حتى مات كمدًا.

وهلك بطرك النصارى اليعاقبة غبريال، فى يوم الأربعاء ثانى شهر ربيع الأول. وكان أولا من جملة الكتـاب، ثـم ترقـى حتـى ولى البطركيـة. وكـانت أيامـه شـر أيـام مـرت بالنصارى. ولقى هو شدائد، وأهين مرارًا، وصار يمشى فى الطرقـات علـى قدميـه، وإذا دخل إلى مجلس السلطان أو الأمراء يقـف، وقلـت ذات يـده، وخـرج إلى القـرى مـرارًا يستجدى النصارى، فلم يظفر منهم بطـائل، لمـا نـزل بهـم مـن القلـة والفاقـة، وكـانت للبطاركة عوائد على الحطى ملك الحبشة، يحمل إليهم منه الأمـوال العظيمـة، فـانقطعت فى أيام غبريال هذا، لاحتقارهم له وقلة اكتراثهم بـه، وطعنهـم فيـه، بأنـه كـان كاتبـا، وذمته مشغولة بمظالم العباد. وبالجملة فما أدركنا بطركا أخمل منه حركة، ولا أقـل منـه بركة.

ومات الأمير الطواشى كافور الصرغتمشى، شبل الدولـة، زمـام الـدار، وقـد قـارب الثمانين سنة، فى يوم الأحد خامس عشرين شهر ربيع الآخر، وكـان مـن عتقـاء الأمـير منكلى بغا الشمسى، وخدم دهرًا عند زوجته خوند الأشـرفية، أخـت الأشـرف شـعبان ابن حسين مدة، ثم خدم فى بيت السلطان، فولاه الناصر فرج زمام الدار، وعـزل منهـا بعد موت المؤيد شيخ، ثم أعيد، وكان قليـل الشـر. أنشـأ بحـارة الديلـم جامعًـا، وأنشـأ بالصحراء خانكاه، وله عدة مواضع أنشأها بالقاهرة، ما بين رباع غيرها. وخلـف مـالا مثيرًا. وضرب عنق نصرانى فى يوم الإثنين سادس عشرين شهر ربيـع الآخـر، علـى أنـه ساحر، وقد حكم بعض نواب الحكم المالكية بقتله، واتهم أنه قتله لغرض، و الله العلم.

وتوفى الشيخ بدر الدين محمد بن إبراهيم بن محمد البشتكى[(١)] فى يوم الإثنـين ثـالث عشرين جمادى الآخرة. وجد فى حوض الحمام ميتًا، ومولده فى أحد الربيعين، من سـنة ثمان وأربعين وسبعمائة. وكان أحد أفراد الزمان فى كثرة الكتابة، ينسخ فى اليوم خمـس كراريس، فإذا تعب اضطجع على جنبه، وكتب كما يكتب وهو جالس. فكتـب مـا لا

---

(١) محمد بن إبراهيم بن محمد (٧٤٨ - ٨٣٠ هـ = ١٣٤٧ - ١٤٢٧ م). محمد بن إبراهيم بـن محمد ، أبو البقاء، بدر الدين الأنصارى البشتكى: أديب، من الشعراء. دمشقى الأصل. مولده ووفاتـه بالقاهرة. انظر ديوان الإسلام - خ، المطالع البـدور ١/ ٨٠، الضـوء اللامـع ٦/ ٢٧٧ التـاج ٧/ ١١٠. الأعلام ٥/ ٣٠٠.

يدخل تحت حصر، ومن النسخ كانت معيشته، مع نزاهة النفس، وحدة المزاج، والاقتداء بالسنة، والتمذهب لابن حزم الظاهرى، وكان يقول الشعر، ويذاكر بما شئت من أنواع العلوم، فالله يرحمه. ولقد أوحشنا فقده، ولم يخلف مثله بعده.

ومات نجم الدين عمر بن حجي بن موسى بن أحمد بن سعد السعدى الحسبانى الدمشقي الشافعى، قاضى القضاة بدمشق، وكاتب السر بديار مصر، فى ليلة الأحد مستهل ذى القعدة، عن ثلاث وستين سنة، وقد نقب عليه بستانه بالنيرب[١] خارج دمشق، ودخل عليه وهو نائم عدة رجال فقتلوه، وخرجوا من غير أن يأخذوا له شيئا فلم يرع زوجته إلا به وهو يضطرب. وكان أبوه من فقهاء دمشق، ونشأ بها، وولى قضاءها بعد الخراب فى واقعة تمرلنك. وعزل وأعيد مرارًا، ثم ولى كتابة السر فلم ينجح، وخرج منها بأسوأ حال، ثم أعيد إلى قضاء دمشق، فمات وهو قاض. وكان يسير غير سيرة القضاة، ويرمى بعظائم، ولم يوصف بدين قط.

ومات بعدن من بلاد اليمن التاجر شهاب الدين بركوت بن عبد الله المكينى، مولى الحاج سعيد مولى المكين، فى سادس ذى الحجة. وقد سكن القاهرة سنين.

وتوفى تقى الدين محمد بن الزكى عبد الواحد بن العماد محمد ابن قاضى القضاة علم الدين أحمد الأخناى المالكى، أحد نواب الحكم بالقاهرة عن المالكية، وهو بمكة فى ثالث ذى الحجة، عن ثلاث وستين سنة. وكان بالنسبة إلى سواه مشكورًا.

ومات متملك اليمن الملك المنصور عبد الله بن الناصر أحمد بن الأشرف إسماعيل بن الأفضل عباس بن المجاهد على بن المؤيد داود بن المظفر يحيى بن المنصور عمر بن على بن رسول[٢] فى جمادى الأولى، وأقيم من بعده أخوه الأشرف إسماعيل، ثم خلع بعده، وأقيم بدله الملك الظاهر هزبر الدين يحيى بن الأشرف إسماعيل فى ثالث شهر رجب.

* * *

---

(١) النَيْرَبُ: قرية مشهورة بدمشق. انظر معجم البلدان ٥/٣٣٠.

(٢) الظاهر الرسولى (٨٤٢ هـ = ١٤٣٨ م). يحيى بن إسماعيل بن العباس بن على، الملك الظاهر ابن الأشرف الأول الرسولى: من ملوك الدولة الرسولية فى اليمن، يُكنى هزبر الدين. ملك سنة ٨٣٠ هـ بعد خلع ابن أخيه (إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل) وانتظم له أمرها، فاستمر إلى أن توفى بزبيد. ودفن بتعز. انظر الضوء اللامع ١٠/٢٢. الأعلام ٨/١٣٨.

سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة

أهلت وخليفة الزمان المعتضد با لله أبو الفتح داود بن المتوكل على ا لله أبى عبد ا لله محمد العباسى، وسلطان الإسلام بمصر والشام والحجاز الملك الأشرف أبو العز برسباى الدقماقى الظاهرى الجركسى، ثامن الملوك الجركسة، والأمير الكبير الأتابك يشبك الأعرج الساقى، وأمير أخور الأمير جقمق العلاى وأمير سلاح أينال الجكمى. وأمير مجلس الأمير شارقطلوا، ورأس نوبة الأمير أركماس الظاهرى، والدوادار الأمير أزبك، وحاجب الحجاب الأمير قرقماس وأستادار الأمير زين الدين عبد القادر ابن الأمير فخر الدين عبد الغنى ابن الأمير الوزير تاج الدين عبد الرزاق بن أبى الفرج، والوزير الصاحب كريم الدين عبد الكريم ابن الوزير تاج الدين عبد الرزاق بن محمد، المعروف بكاتب المناخ، وناظر الخاص كريم الدين عبد الكريم بن بركة[1]، المعروف بابن كاتب حكم، وكاتب السر بدر الدين محمد بن محمد بن أحمد بن مزهر الدمشقى. وناظر الجيش القاضى زين الدين عبد الباسط، وقاضى القضاة الشافعى الحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على بن حجر، وقاضى القضاة الحنفى بدر الدين محمود العنتابى، وقاضى القضاة المالكى شمس الدين محمد البساطى، وقاضى القضاة الحنبلى عز الدين عبد العزيز البغدادى، ومحتسب القاهرة ومصر الأمير أينال الششمانى، ووالى القاهرة التاج

---

(١) عبد الكريم بن بركة (٨٣٣ هـ = ١٤٢٩ م) القاضى كريم الدين بن سعد الدين، ناظر الخواص القبطى المصرى، المعروف بابن كاتب حكم. مولده بالقاهرة، وبها نشأ، وتنقل فى عدة خدم، وباشر فى دواوين الأمراء، واتصل بخدمة الملك الأشرف برسباى - لما كان دِوادارا - فلما تسلطن أخلع عليه باستقراره فى نظر الدولة، فباشر وظيفة النظر مدة، وأخلع عليه باستقرار فى نظر الخاص، عوضا عن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر ا لله الفوى - بحكم انتقال بدر الدين إلى الأستادارية عوضا عن ولده صلاح الدين بحكم عزله - وذلك فى يوم الإثنين ثانى عشر جمادى الأولى سنة ثمان وعشرين وثمانمائة، واستقر فى نظر الدولة من بعده القاضى أمين الدين إبراهيم بن عبد الغنى بن الهيصم، فباشر كريم الدين المذكور الخاص مدة سنين، ونالته السعادة، وعظم أو ثرى، ومشى حال الخاص فى أيامه حتى قيل إنه منذ ولى الخاص إلى أن توفى لم يبطل الواصل عنه يوما واحدا مبالغة. وكان مشكور السيرة، متواضعا، كريما، وعنده معرفة وعقل وصارت له منزلة عند الملك الأشرف إلى أن توفى بالقاهرة فى ليلة الجمعة سادس عشرين ربيع الأول ثلاث وثلاثين وثمانمائة، بغير طاعون، بل بمرض تمادى به أشهرا. انظر المنهل الصافى ٧/ ٣٣٤، ٣٣٥ والدليل الشافى ١/ ٤٢٤، النجوم الزاهرة ١٥/ ١٥٨، أنباء الغمر ٣/ ٤٤٧، نزهة النفوس ٣/ ٢٠٥، الضوء اللامع ٤/ ٣٠٨.

الشويكى، ونائب الشام سودون من عبد الرحمن، ونائب حلب الأمير قصروه، ونائب طرابلس الأمير جرباش قاشق، ونائب حماة الأمير جلبان، ونائب صفد الأمير مقبل الزينى، ومتولى مكة - شرفها الله تعالى - الشريف بركات بن حسن بن عجلان الحسنى، ومتولى المدينة النبوية الشريف مانع بن على بن عطية بن منصور بن جماز الحسينى، ومتولى ينبع الشريف عقيل بن وبير بن مختار بن مقبل بن راجح بن إدريس الحسنى، ونائب الإسكندرية الأمير أقبغا التمرازى.

وأسعار الغلال رخيصة، أما القمح فمن مائة وسبعين درهما فلوسا الأردب إلى ما دونها، وأما الشعير فمن مائة وثلاثين درهما الأردب إلى ما دونها، وأما الفول فبنحو ذلك.

والناس بالنواحى فى شغل بزراعة الأراضى، وقد كثر الشراقى فى أعمال القاهرة ومصر، لقصور مد النيل، وسرعة هبوطه، على ما تقدم ذكره فى السنة الحالية. والعسكر فى الاهتمام للعرض على السلطان، والناس قد غلب عليهم فى عامة أرض مصر القلة والفاقة، وعدم المبالاة بأمور الدين، والشغل بطلب المعيشة، لقلة المكاسب.

شهر الله المحرم، أوله الأربعاء:

فى يوم الجمعة ثالثه: قدم الحمل من قبرس، ومبلغه خمسون ألف دينار، فرسم بضربها دنانير أشرفية، فضربت بقلعة الجبل، حيث يشاهد السلطان الحال فى ضربها.

وفى يوم السبت حادى عشره: ركب السلطان من القلعة إلى دار الأمير جانبك الدوادار. يعوده وقد مرض.

وفى يوم الأربعاء ثانى عشرينه: قدم الركب الأول من الحج، وقدم من الغد يوم الخميس ثالث عشرينه المحمل ببقية الحاج، ومعهم الشريف خشرم أمير المدينة الشريفة فى الحديد، وقدم الأمير بكتمر السعدى من المدينة النبوية، وقدم الحمل من عشور التجار الواردين من الهند إلى جدة وهو أصناف، ما بين بهار، وشاشات، يكون قيمة ذلك نحو الخمسين ألف دينار.

وفى يوم الأحد سادس عشرينه: ابتدئ فى هدم خان الحجر وقف الشهابى الششمانى وقد أخذه السلطان وألزم سكانه بالنقلة منه. وكانوا أمة كبيرة، قد مرت بهم وبآبائهم فيه عدة سنين، فنزل بهم مكاره كبير، لتعذر وجود مساكن يسكنون بها.

وفى هذا الشهر: كانت فتنة بين آل مهنا عرب الشام، قتل فيها الأمير عذراء بن على بن نعير، واستقر أخوه مدلج عوضه فى إمرة آل فضل.

شهر صفر، أوله الجمعة:

فيه رسم أن لا يزرع أحد من الناس قصب السكر، وأن يبقى صنفا مفردًا للسلطان يزرعه فى مزارعه بجميع الإقليم، ويعصره عسلا وقندًا وسكرًا، ويبيعه من غير أن يشاركه فى ذلك أحد، ثم بطل هذا المرسوم ولم يعمل به، وكثر فى هذا الشهر - والذى قبله - أكل الدود للزراعات؛ من البرسيم الأخضر والقمح ونحو ذلك، وسببه شدة الحر فى فصل الخريف، وعدم المطر، ومع هذا فأسعار الغلال منحطة، فالقمح بمائة وأربعين درهما الأردب، والشعير والفول بتسعين درهما الأردب.

وفى يوم الثلاثاء ثانى عشره: خلع على محب الدين أحمد بن نصر الله، وأعيد إلى قضاء القضاة الحنابلة، عوضا عن عز الدين عبد العزيز البغدادى، وقد عزل لتنكر كاتب السر عليه وسعايته به.

وفى يوم الإثنين ثامن عشره: خلع على سعد الدين إبراهيم بن المرة، واستقر فى نظر الديوان المفرد، عوضا عن عبد العظيم. واستقر عبد العظيم كاشف الجسور بالبهنساوية.

وفى يوم الثلاثاء المبارك تاسع عشره: ركب السلطان من قلعة الجبل بثياب جلوسه، وشق من باب زويلة شارع القاهرة، حتى خرج من باب النصر إلى خليج الزعفران، فرأى البستان الذى أنشأه هناك، وعاد على تربته التى أنشأها بجوار تربة الظاهر برقوق وصعد إلى القلعة.

شهر ربيع الأول، أوله يوم السبت:

ففى ليلة الجمعة: كان المولد النبوى الذى يعمله السلطان، ويحضره بقلعة الجبل، على عادته فى كل سنة.

وفى ثالث عشره: أنعم بطبلخاناه الأمير بكتمر السعدى، على الأمير قجقار جقطاى، أحد أمراء العشرات.

وفى تاسع عشره: قدم قاضى القضاة الحنفى بدمشق، شهاب الدين أحمد بن محمود ابن الكشك، وقد ألزم بحمل عشرة آلاف دينار.

وفى عشرينه: قدم قاضى القضاة الشافعى، ونقيب الأشراف بدمشق، شهاب الدين أحمد بن على بن إبراهيم بن عدنان الحسينى. وقد ألزم أيضا بحمل مال كبير.

وفيه ركب السلطان وشق القاهرة بثياب جلوسه، على عادته.

وفى أخريات هذا الشهر: تحركت أسعار الغلال، وسببه خسة الزرع بالجيزية والوجه البحرى لعدم المطر، وتوالى هبوب الراح المريسية زيادة على ثلاثين يوما، فلم تسر فيها المراكب.

شهر ربيع الآخر، أوله الإثنين:

أهل والناس على تخوف من سوء حال الزرع، وانكشاف ساحل النيل من الغلال، وقلة وجود القمح مع هذا عدة أيام، وقدمت الأخبار بكثرة أمراض أهل الشام، وكثرة موت الخيول بدمشق وحماة.

وفى ثالث عشرينه: خلع على القاضى شهاب الدين أحمد بن الكشك خلعة الاستمرار فى قضاء الحنفية بدمشق وقد حمل مبلغ ألفى دينار بعناية بعض الأمراء به، وكان قد ألزم بمال كثير.

وفى هذه الأيام: تتبعت أماكن الفساد، وأريقت منها الخمور الكثيرة، وشدد فى المنع من عصير الزبيب، ومنع الفرنج من بيع الخمر المجلوب من بلادهم.

وفى سادس عشرينه: توجه الشهاب بن الكشك إلى محل ولايته.

وفى هذه الأيام: تشكى التجار الشاميون من حملهم البضائع التى يشترونها من جدة إلى القاهرة، فوقع الاتفاق على أن يؤخذ منهم بمكة عن كل حمل قل ثمنه أو كثر ثلاثة دنانير ونصف، ويعفوا من حمل ما يتبضعونه من جدة إلى مصر، فإذا حملوا ذلك إلى دمشق أخذ منهم مكسها هناك، على ما جرت به العادة.

شهر جمادى الأولى، أوله الثلاثاء:

فى خامسه: غضب السلطان على الطواشى فيروز الساقى، وضربه وأخرجه إلى المدينة النبوية.

وفى سادسه: هدمت الحوانيت المعروفة بالصيارف وبالسيوفيين، فيما بين الصاغة ودرب السلسلة. وكانت فى أوقاف المدارس الصالحية، فأخذت باسم ولد الأمير جانبك الدوادار، لتعمر له مما ورثه من أبيه.

وفى ثانى عشرينه: برز من القاهرة طائفة من العمار، ونزلوا بركة الحجاج، وساروا منها يريدون مكة فى رابع عشرينه.

وفى سادس عشرينه: توجه السيد الشريف شهاب الدين أحمد بن عدنان إلى

دمشق، بعد ما حمل ثلاثة آلاف دينار، وألزم بحمل خمسة آلاف دينار من دمشق، سوى ما أهدى إلى أرباب الدولة، وهو بمال جم.

وفى هذا الشهر: انحلت أسعار الغلال وكسدت.

وفيه كانت الفتنة الكبيرة بمدينة تعز من بلاد اليمن. وذلك أن الملك الأشرف إسماعيل ابن الملك الأفضل عباس بن المجاهد على بن المؤيد داود بن المظفر يوسف بن المنصور عمر بن على بن رسول[١] لما مات قام من بعده ابنه الملك الناصر أحمد بن الأشرف إسماعيل، وقام بعد الملك الناصر أحمد ابنه الملك المنصور عبد الله بن أحمد، فى جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين وثمانمائة، ومات فى جمادى الأولى سنة ثلاثين، فأقيم بعده أخوه الملك الأشرف إسماعيل بن أحمد الناصر بن الملك الأشرف إسماعيل بن عباس، فتغيرت عليه نيات الجند كافة من أجل وزيره شرف الدين إسماعيل بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عمر العلوى، نسبة إلى على بن بولان العكى، فإنه أخّر صرف جوامكهم ومرتباتهم، واشتد عليهم، وعنف بهم، فنفرت منه القلوب، وكثرت حساده، لاستبداده على السلطان، وانفراده بالتصرف دونه. وكان يليه فى الرتبة الأمير شمس الدين على بن الحسام، ثم القاضى نور الدين على المحالبى مشد الاستيفاء، فلما اشتد الأمر على العسكر وكثرت إهانة الوزير لهم، وإطراحه جانبهم، ضاقت عليهم الأحوال، حتى كادوا أن يموتوا جوعا، فاتفق تجهيز خزانة من عدن، وبرز الأمر بتوجه طائفة من العبيد والأتراك لنقلها، فسألوا أن ينفق فيهم أربعة دراهم لكل منهم، يرتفق بها، فامتنع الوزير ابن العلوى من ذلك، وقال: «ليمضوا غصبا إن كان لهم غرض فى الخدمة، وحين وصول الخزانة يكون خير، وإلا ففسح الله لهم، فما للدهر بهم حاجة، والسلطان غنى عنهم». فهيج هذا القول حفائظهم، وتحالف العبيد والترك على الفتك بالوزير، وإثارة فتنة، فبلغ الخبر السلطان، فأعلم الوزير، فقال: «ما يسوءوا شيئا، بل نشق كل عشرة فى موضع، وهم أعجز من ذلك».

فلما كان يوم الخميس تاسع جمادى الآخرة هذا: قبيل المغرب، هجم جماعة من العبيد والترك دار العدل بتعز، وافترقوا أربع فرق، فرقة دخلت

---

(١) الأشرفى الرسولى (٧٦١ - ٨٠٣ هـ = ١٣٦٠ - ١٤٠٠ م). إسماعيل (الأشرف) بن العباس الأفضل ابن المجاهد على ابن المؤيد داود، من أبناء على بن رسول، من ذرية جبلة بن الأيهم، كما يقولون: ملك يمانى، من ملوك الدولة الرسولية. ولى بعد وفاة أبيه (الملك الأفضل) سنة ٧٧٨هـ وعاش محمود السيرة، استقام له الملك إلى أن توفى بتعز. أثنى عليه مؤرخوه ووصفوه بالحلم والعطف وحسن السياسة. انظر العقود اللؤلؤية ١٦٣/٢ - ٣٢٠، تاريخ ثغر عدن - خ - العقيق اليمانى - خ -، الضوء اللامع ٢٩٩/٢. الأعلام ٣١٧/١.

من باب الدار وفرقة دخلت من باب السر، وفرقة وقفت تحت الدار، وفرقة أخذت بجانب آخر فخرج إليهم الأمير سنقر أمير جندار، فهبروه بالسيوف حتى هلك، وقتلوا معه على المحالبى مشد المشدين، وعدة رجال، ثم طلعوا إلى الأشرف - وقد اختفى بين نسائه وتزيا بزيهن - فأخذوه ومضوا إلى الوزير ابن العلوى فقال لهم: «ما لكم فى قتلى فائدة؟ أنا أنفق على العسكر نفقة شهرين». فمضوا إلى الأمير شمس الدين على بن الحسام بن لاجين، فقبضوا عليه، وقد اختفى، وسجنوا الأشرف وأمه وحظيته فى طبقة المماليك، ووكلوا به وسجنوا ابن العلوى الوزير وابن الحسام قريبا من الأشرف، ووكلوا بهما، وقد قيدوا الجميع، وصار كبير هذه الفتنة برقوق من جماعة الترك، فصعد هو فى جماعة ليخرج الظاهر يحيى بن الأشرف إسماعيل بن عباس من ثعبات[1] فامتنع أمير البلد من الفتح ليلا، وبعث الظاهر إلى برقوق بأن يتمهل إلى الصبح، فنزل برقوق ونادى فى البلد بالأمان والاطمئنان والبيع والشراء، والأخذ والعطاء، وأن السلطان هو الملك الظاهر يحيى بن الأشرف. هذا وقد نهب العسكر عند دخولهم دار العدل جميع ما فى دار السلطان، وأفحشوا فى نهبهم، فسلبوا الحريم ما عليهن، وانتهكوا ما حرم الله، ولم يدعوا فى الدار ما قيمته الدرهم الواحد، وأخذوا حتى الحصر، وامتلأت الدار وقت الهجمة بالعبيد والترك والعامة.

فلما أصبح يوم الجمعة عاشره: اجتمع بدار العدل الترك والعبيد، وطلبوا بنى زياد وبنى السنبلى والخدم، وسائر أمراء الدولة والأعيان، فلما تكامل جمعهم، ووقع بينهم الكلام فيمن يقيموه، قال بنو زياد: «ما تم غير يحيى، فاطلعوا له هذه الساعة». فقام الأمير زين الدين جياش الكاملى والأمير برقوق، وطلعا إلى ثعبات فى جماعة من الخدام والأجناد، فإذا الأبواب مغلقة، وصاحوا بصاحب البلد حتى فتح لهم، ودخلوا إلى القصر، فسلموا على الظاهر يحيى بالسلطنة وسألوه، أن ينزل معهم إلى دار العدل، فقال: «حتى يصل العسكر أجمع». ففكوا القيد من رجليه، وطلبوا العسكر بأسرهم، فطلعوا بأجمعهم، وأطلعوا معهم بعشرة جنائب من الإصطبل السلطانى فى عدة بغال فتقدم الترك والعبيد وقالوا للظاهر: «لا نبايعك حتى تحلف لنا أنه لا يحدث علينا منك سوء بسبب هذه الفعلة، ولا ما سبق قبلها». فحلف لهم ولجميع العسكر، وهم يعددون عليه الأيمان، ويتوثقون منه، وذلك بحضرة قاضى القضاة موفق الدين على بن الناشرى، ثم حلفوا له على ما يحب ويختار، فلما انقضى الحلف، وتكامل العسكر، ركب ونزل إلى دار العدل فى أهبة السلطنة، فدخلها بعد صلاة الجمعة، فكان يوما مشهودا. وعندما

---

(١) موضع يقع بالقرب من تعز.

استقر بالدار أمر بإرسال ابن أخيه الأشرف إسماعيل إلى ثعبات، فطلعوا به، وقيدوه بالقيد الذى كان الظاهر يحيى مقيدا به، وسجنوه بالدار التى كان مسجونا بها، ثم حمل بعد أيام إلى الدَّملوه، ومعه أمه وجاريته، وأنعم السلطان الملك الظاهر يحيى على أخيه الملك الأفضل عباس بما كان له، وخلع عليه، وجعله نائب السلطنة كما كان فى أول دولة الناصر، وخمدت الفتنة.

وكان الذى حرك هذا الأمر بنو زياد، فقام أحمد بن محمد بن زياد الكاملى بأعباء هذه الفتنة، لحنقه على الوزير ابن العلوى، فإنه كان قد مالأ على قتل أخيه جياش، وخذل عن الأخذ بثأره وصار يمتهن بنى زياد، ثم ألزم الوزير ابن العلوى وابن الحسام بحمل المال، وعصرا على كعابهما وأصداغهما، وربطا من تحت إبطهما، وعُلقا منكسين، وضربا بالشيب والعصا، وهما يوردان المال، فأخذ من ابن العلوى - ما بين نقد وعروض - ثمانون ألف دينار، ومن ابن الحسام مبلغ ثلاثين ألف دينار، واستقر الأمير برقوق أمير جندار، واستقر الأمير بدر الدين محمد الشمسى أتابك العسكر، واستقر ابنه العفيف أمير أخور، ثم استقر الأمير بدر الدين المذكور أستادارا، وشرع فى النفقة على العسكر، وظهر من السلطان نبل وكرم وشهامة ومهابة، بحيث خافه العسكر بأجمعهم، فإن له قوة وشجاعة، حتى أن قوسه يعجز من عندهم من الترك عن جره، ومدحه الفقيه يحيى بن رويك بقصيدة، أولها:

بدولة ملكنا يحيى اليمانى　　　بلغنا ما نريد من الأمانى
سيحيى بابن إسماعيل يحيى　　　أناس أدركتهم موتتان

فكتب بخطه على الحاشية «الموتتان هى دولة المنصور والأشرف». وكانت عدة هذه القصيدة أحد وأربعين بيتا، فقال: «ثمنوها». وأجاز عليها بألف دينار أحضرت له فى المجلس، وبهذه الكائنة اختل ملك بنى رسول.

شهر جمادى الآخرة، أوله الخميس:

فى خامسه: أنعم على الأمير جارقطلوا، وخلع عليه، فاستقر أميرًا كبيرًا أتابك العساكر، عوضا عن يشبك الساقى، بحكم وفاته.

وفى سادسه: أحضرت هدية ملك كلبرجة من الهند، وهى أربعة سيوف، وستة عشر جمالا، عليها شاشات وأزر، وقد أهدى إلى غير واحد من أعيان الدولة، وسأل أن تمكن رسله من بناء رباط بالقدس، وكان من خبر الهند أن بلاد الهند قسمان، قسم بيد أهل الكفر وهم الأكثر، وقسم بأيدى المسلمين. وكان ملك الهند صاحب مدينة دله،

وهى قاعدة الملك. وكان ملكها فيروز شاه بن نصرة شاه من عظماء ملوك الإسلام، فلما مات، ملك دله بعده مملوكه ملّو وعليه قدم الأمير تيمور لنك بعد سنة ثمانمائة، وأوقع بالهند وقيعة شنعاء، وخرب مدينة دله، وعاد إلى بلاده، فأتى بلاد الشام بعد ذلك. وكان ملّو قد فرّ منه، فعاد مسير تيمور لنك إلى دله، ومضى منها إلى ملطان[١] فخرج عليه خضر خان بن سليمان، وحاربه فقتل فى الحرب. وكان قد ملك دله دولة يار، فنازله خضر خان وحصره مدة، ففر منه، وملك خضر خان دله حتى مات، فقام من بعده ابنه مبارك شاه بن خضر خان هذا، وقد انقسمت بعد أخذ تيمور مدينة دله مملكة الهند، وصار بها عدة ملوك، أجلهم ملك بنجالة، وملك كلبرجة، وملك بزرات.

فأما بنجالة فقام بها رجل من أهل سجستان يقال له شمس الدين، فلما مات قام من بعده ابنه إسكندر شاه ثم ابنه غياث الدين أعظم شاه بن إسكندر شاه بن شمس الدين، ومات سنة خمس عشرة وثمانمائة فملك بعده ابنه سيف الدين حمزة، فثار عليه مملوكه شهاب الدين وقتله، فلم يتهن بعد أستاذه، وأخذه الكافر فندو، وملك بنجالة وما معها، فثار عليه ولده - وقد أسلم - وقتله، وملك بنجالة، وتسمى بمحمد، وتكنى بأبى المظفر، وتلقب بجلال الدين، ثم جدد ما دثر أيام أبيه فندو من المساجد، وأقام معالم الإسلام.

وأما كلبرجة فإن محمد شاه صاحب مدينة دله، بعث إليها حسن بهمن، فأخذها له، وأقام نائبها عن محمد شاه حتى مات، فقام ابنه أحمد بن حسن بهمن، ثم قام بعد أحمد ابنه فيروز شاه بن أحمد بن حسن بهمن ثم قام بعده أخوه شهاب الدين أحمد أبو المغازى بن أحمد بن حسن بهمن، وهو الذى بعث الهدية المذكورة.

وأما بزرات وكنباية[٢] فإن ظفر خان كان ساقيا عند الملك فيروز شاه بن نصرة شاه صاحب دله، فولاه كنباية على ألف ألف تنكة[٣] حمراء عنها من الذهب ثلاثة آلاف ألف مثقال وخمسمائة ألف مثقال. وكان ظفر هذا كافرًا، وله أخ اسمه لاكه. وفى ولايته خرب تيمور دله، فقام عليه ابنه تتر خان وسجنه، وصانع تيمور فأقره، فلما سار تيمور عن الهند، خرج لاكه عَلَى ابن أخيه تتر خان وقتله، وأعاد أخاه ظفر خان إلى مُلكه، فوثب أحمد خان بن تتر خان بن ظفر خان على جده، وقتله، وأحرق عم أبيه

---

(١) ملطان: - أو ملتان أو مولتان -، مدينة من نواحى الهند أهلها مسلمون. انظر معجم البلدان، وتقويم البلدان لأبى الفدا.

(٢) كنباية: مدينة من سواحل الهند. انظر معجم البلدان.

(٣) عملة فارسية.

لاكه، وذلك بعد سنة عشر وثمانمائة. وقد أسلم وتلقب بالسلطان. وما عدا هذه المماليك الثلاثة، فإنها دونها كديوه[١] ومهايم وتانه[٢] ونحو ذلك مما هو بأيدى المسلمين.

وفى ثامن جمادى: المذكور خلع على الأمير الكبير جارقطلوا، واستقر فى نظر المارستان المنصورى بالقاهرة، ونزل إليه على العادة.

وفى عاشره: كتب بحضور الأمير صرماش قاشق نائب طرابلس، ليستقر أمير مجلس، وكتب إلى الأمير طرباى المقيم بالقدس بطالا أن يستقر فى نيابة طرابلس، وجهز إليه خيل ليركبها، ورسم لمن فى خدمة الأمراء من مماليكه أن يتوجهوا إليه.

وفى تاسع عشرينه: قدمت رسل ملك الروم بمدينة برصا، مراد بك بن كرشجى محمد بن بايزيد، بكتاب وهدية فاحتفل السلطان لقدومهم، وأركب العسكر إلى لقائهم. ومن خبر ملوك الروم أن خوندكار بايزيد بن مراد بن عثمن ترك أربعة أولاد: سلمان وهو أكبرهم، ومحمدا، وعيسى، وموسى، فقام بالأمر سلمان، وأقام ببر قسطنطينية فى مدينة أدرنة وكالى بولى، وقام أخوه عيسى بمدينة برصا، وتحاربا، فقتل عيسى، واستبد سلمان بمملكة أبيه، فثار عليه أخوه موسى وحاربه، فقتل سلمان، وملك بعده موسى ببر أدرنة، وقام ببرصا أخوه محمد كرشجى وقاتله، فقتل موسى، واستبد بالمملكة حتى مات فأقيم من بعده ابنه مراد بك بن محمد كرشجى.

وفى هذا الشهر: اتضع سعر الغلال بديار مصر وكسدت، فأبيع الأردب القمح بمائة وأربعين فلوسا إلى ما دون ذلك، والشعير بتسعين درهما الأردب.

وفيه أخذ السلطان خان مسرور والرباع التى تعلوه، وذلك أنه قومت أنقاضه باثنى عشر ألف دينارًا، رصد منها تحت يد مباشرى السلطان تسعة آلاف دينار لعمارة الربع، فصار النصف والربع للسلطان، وأقبض قاضى القضاة عن ثمن أنقاض الربع ثلاثة آلاف دينار، على أنه إذا كملت يكون ريعه جاريا تحت نظر الحكم العزيز الشافعى، يصرف ريعه فيما كان يصرف فيه ريع الأصل.

شهر رجب، أوله السبت:

فيه عملت الخدمة بالإيوان من دار العدل من القلعة، وأحضرت رسل مراد بن عثمن

---

(١) ديوه: جزيرة فى البحر تقابل بلاد الهند. انظر تقويم البلدان ص ٣٥٤.

(٢) تانه: بلدة بالهند. انظر صبح الأعشى ٥/‏٧١.

ملك الروم ببرصا. وكان موكبا جليلا أركب فيه الأمراء ومماليك السلطان، وأجناد الحلقة.

وفيه ابتدىء بهدم خان مسرور.

وفى سابعه: خلع على القاضى كمال الدين محمد ابن القاضى ناصر الدين محمد بن البارزى، واستقر فى كتابة السر بدمشق عوضا عن بدر الدين حسين بحكم وفاته. وكان القاضى كمال الدين منذ من عزل نظر الجيش بعد كتابة السر ملازما لداره على أجمل حالة وأمثل طريقة، من الصيانة والديانة والوقار والسكينة، وتردد الأكابر والأعيان إلى بابه، وكثرت مداراته، وبسط يده بالإحسان.

وفى عاشره: خلع على عز الدين عبد السلام بن داود بن عثمن العجلونى القدسى أحد خلفاء الحكم الشافعية، واستقر فى تدريس الصلاحية بالقدس، عوضا عن شمس الدين محمد بن عبد الدايم البرماوى. وعز الدين هذا قدم القاهرة بعد كائنة تيمور، فبلونا منه فضيلة ومعرفة بالحديث وغيره، وصحب كاتب السر فتح الله، وناب فى الحكم فاشتهر، ثم نوه به ناصر الدين محمد بن البارزى كاتب السر، وصار يزاحم الأكابر فى المحافل، ويناطح الفحول بقوة بحثه وشهامته وغزارة علمه، ونعم الرجل هو.

وفى حادى عشره: أدير محمل الحاج على العادة فى كل سنة.

وفى تاسع عشره: كتب باستقرار السيد الشريف شهاب الدين أحمد بن عدنان فى نظر الجيش بدمشق، عوضا عن بدر الدين حسين، وحملت إليه الخلعة والتوقيع على يد نجاب.

وفى ثانى عشرينه: سار القاضى كمال الدين محمد بن البارزى إلى محل ولايته. ولقد استوحشنا لغيبته، فا لله يمن علينا بجميل عودته.

وفى ثالث عشرينه: قدم الأمير جرباش قاشق من طرابلس، واستقر أمير مجلس.

وفى سابع عشرينه: استدعى السلطان من فى سجن القضاة، وأفرج عن عدة من المديونين.

وفى هذا الشهر: تحرك سعر الغلال فأبيع الشعير كل أردب بمائة وخمسة وعشرين بعد تسعين وأبيع الفول بمائة وستين، وأبيع القمح بمائة وستين، وأبيع القمح بمائة وستين بعد مائة وأربعين. هذا مع دخول الغلات الجديدة، إلا أن الفأر كثر عبثه فى الغلال، ووقعت صقعة فى عاشر طوبة من أشهر القبط ببلاد الصعيد، تلف بها أكثر الفول وهو

أخضر، وكانت الشراقى كثيرة، فلم يزرع ما شرق من الأراضى وأكلت الدودة مواضع مزروعة ولم يزل الغلاء يترقب فى هذه السنة منذ هبط النيل سريعا، إلا أن الله تعالى أرخى الأسعار لطفًا منه بعباده ﴿إن الله بالناس لرءوف رحيم﴾[١]. وقدمت الأخبار بأن أراضى حوران بالشام لم تزرع لعدم المطر، وأن الغلاء قد اشتد بالحجاز لعدم الغيث به.

وفيه فشت أمراض حادة فى الناس ببلاد الصعيد، وكثر الموتان، لاسيما بمدينة هو، وبوتيج، ومنشية أخميم[٢] وما حولها.

شهر شعبان، أوله الأحد:

أهل وأسعار الغلال آخذة فى الارتفاع، ولم يكد يوجد عند قطاف عسل النحل منه شيء. وهلك النحل من قلة المراعى، وعز وجود الفول لقلة ما تحصل منه عند الدراس، وقل الحمص أيضا، وخس الكتان.

وفى سادس عشره: توجهت تجريدة عدتها خمسون مملوكا إلى ينبع.

وكثر الوباء فى هذا الشهر بصعيد مصر، فمات بشر كثير.

شهر رمضان، أوله الإثنين:

فى ثانيه - الموافق لسابع عشرين بؤونة -: نودى على النيل ثلاثة أصابع بعدما أخذ القاع فكان ثلاثة أذرع وعشر أصابع.

وفيه عزل سعد الدين إبراهيم بن المرة من نظر الديوان المفرد، وولى عوضه زين الدين يحيى، قريب الأمير فخر الدين بن أبى الفرج.

وفى عشرينه: أخرج قانصوه - أحد أمراء الطبلخاناه - لنيابة طرسوس، وأضيف إقطاعه إلى الديوان المفرد. وقانصوه هذا أحد مماليك الأمير نوروز الحافظى، وصار إلى المؤيد شيخ بعد قتل نوروز، فرقاه حتى صار أمير طبلخاناه، وهو أحد الفرسان المشهورين، وكبير الطائفة النوروزية.

وفى هذا الشهر: بلغ القمح إلى مائتين وستين درهما الأردب، وأناف الأردب من الشعير والفول على المائتين، وبلغت البطة الدقيق - وهى خمسون رطلا - ثمانين درهما.

---

(١) سورة الحج الآية ٦٥.

(٢) المنشية: اسم لأربع قرى بمصر والمقصودة التى من أعمال أخميم يقال لها منشية الصلعاء. والصلعاء: قرية إلى جانبها. انظر معجم البلدان ٥/ ٢١٠.

وفيه قدم إلى الإسكندرية مركبان من مراكب طائفة الفرنج القطلان لأخذ المدينة، فإذا الناس على يقظة وأهبة لهم، فإن متملك قبرس كان قد بعث يحذر منهم، فردهم الله خائبين.

وفيه قدم الحمل من قبرس.

شهر شوال، أوله الأربعاء:

فى حادى عشره: ركب السلطان من قلعة الجبل، فشق القاهرة، ونظر إلى عمارته، ونزل إلى المارستان المنصورى، فعاد المرضى، وعاد إلى القلعة.

وفى ثانى عشره – الموافق لأول مسرى –: نودى على النيل بزيادة أربعة وعشرين إصبعا، لتتمة اثنى عشر ذراعا وعشر أصابع، وهذا مما يستكثر من زيادة النيل.

وفى هذه الأيام: هدمت الحوانيت التى تجاه شبابيك المدرسة الصالحية التى بجوار قبة الملك الصالح. وكانت فى وقف الجوكندار، وكان هدمها فى رابعه.

وفى سادسه: توجه سعد الدين إبراهيم بن المرة إلى جدة لأخذ مكوس التجار الواردين من الهند، وقد أعيد إلى ولايته.

وفى حادى عشره: سارت تجريدة خمسون مملوكا، عليها الأمير أرنبغا – أحد أمراء العشرات – وسببها أن الخبر ورد من مكة بأن بنى عجلان إخوة الشريف بركات بن عجلان متولى مكة طلبوا من شاهين المتوجه إلى جدة أن يأخذوا مما يتحصل ما كانت عادتهم أخذه فى أيام أبيهم الشريف حسن بن عجلان، فمنعهم من ذلك، فهددوه بالقتل، وأن كثيرا من القواد قد قام معهم، فأخرج التجريدة تقوية لابن المرة على حفظ المال.

وفى عشرينه: خرج محمل الحاج على العادة، إلا أنه أناخ ببركة الحجاج، ولم ينزل بالريدانية خارج القاهرة، وخرج معه أمير الحاج الأمير قراسنقر الذى كان كاشف الجيزة، وقد خرج أمير الركب الأول الأمير أينال الششمانى المحتسب – أحد رءوس النوب – واستناب عنه فى الحسبة دواداره.

وفى خامس عشرينه – الموافق له رابع عشر مسرى –: كان وفاء النيل ستة عشر ذراعا، وركب المقام الناصرى محمد بن السلطان، ومعه الأتابك جارقطلوا وغيره من الأمراء، حتى خلق المقياس، وفتح الخليج على العادة.

وفى ثامن عشرينه: أمسك الأمير قطش أحد أمراء الألوف، والأمير جرباش قاشق أمير مجلس، وحمل قطش فى الحديد إلى الإسكندرية، فسجن بها وأخرج الأمير جرباش قاشق الكريمى بغير قيد إلى دمياط.

وفيه خلع على الأمير أينال الجلالى الأجرود، واستقر فى نيابة غزة، عوضا عن الأمير تمراز الدقماقى، وأنعم بطبلخاناته على الأمير تمراز الدوادار، وكتب بإحضار الأمير بيبغا المظفرى من القدس، وقد نقل إليها من دمياط من نحو شهر.

وفى هذا الشهر: انحل سعر الغلال، وقل طالبها، وعز وجود اللحم بالأسواق، أحيانا.

شهر ذى القعدة الحرام، أوله الجمعة:

أهل وأسعار الغلال رخيصة، فأخذت فى الارتفاع، وعز وجود التبن، فبلغ الحمل مائتى درهم، وعز وجود اللحم أيضا، وفقد من الأسواق، وصارت المماليك تخرج إلى الضواحى فى طلب التبن لخيولها، فتأخذ بالعسف على عادتها، فامتنع الناس من جلبه من الأرياف، ولم يقدر عليه أحد بعد ذلك، فندب السلطان طائفة من غلمانه للخروج إلى الأرياف بالجمال السلطانيه، وشراء التبن من النواحى، وأن يكون بمائة درهم الحمل، وتوقف الجمال المحملة التبن تحت القلعة، ويباع الحمل منه بمائة وأربعين درهما، ومنع المماليك من الخروج إلى الضواحى فى طلب التبن، وأن لا يشترى أحد التبن إلا من تحت القلعة، فتمشى الحال فى وجوده.

وفى هذه الأيام: تعدى سعر القمح ثلاثمائة درهم الأردب، والفول مائتين وستين، والشعير مائتين وثلاثين، وفقدت الغلال من العراص مع كثرتها، وتوفر زيادة النيل، فإنه بلغ إلى يوم النوروز - وهو يوم الأحد سابع عشره - ثمانية عشر ذراعا وأربعة عشر إصبعا. وهذا مما يستكثر من زيادة النيل، إلا أن الأمراء والأعيان شرهوا فى الفوائد، وشاركوا من دونهم فى إدخار الغلال وغيرها من البضائع، رجاء الفائدة، فعز وجود الغلال، وارتفع سعرها وفقد الخبز من الأسواق أحيانا، وصارت ولاة الأمور مع ذلك بعيدة عن معرفة طرق المصالح، فإن غاية مقاصدهم إنما هى أخذ المال على كل وجه أمكن أخذه، فلهذا اختلت الأحوال، وضاعت المصالح.

وفى حادى عشرينه: قدم الأمير بيبغا المظفرى من القدس، وأنعم عليه بإمرة جرباش قاشق وإقطاعه.

شهر ذى الحجة الحرام أوله السبت:

أهل والغلال عزيزة الوجود، مع كثرتها فى الشون والمخازن، وإمساك أربابها أيديهم عن بيعها لأملهم فيها غاية الربح، فبلغ القمح أربعمائة درهم الأردب، والبطة الدقيق مائة وثلاثين درهما، والشعير ثلاثمائة درهم الأردب، والفول بنحو ذلك، وأبيع الفدان البرسيم بألف درهم، ففرج الله عن عباده، وانحل السعر، حتى أبيع القمح بثلاثمائة وخمسين درهما الأردب وما دونها، وكسدت الغلال حتى لا يجد من يطلبها.

وفى ليلة الخميس سادسه: قبض على الأمير أزبك الدوادار، وأخرج من ليلته إلى القدس بطالا، وقبض على عدة من الخاصكية، وسبب ذلك أنه فى أخريات ذى القعدة الحرام بلغ السلطان أن جماعة من خاصكيته ومماليكه يريدون الفتك به وقتله ليلا، فقبض على عدة منهم فى أيام متفرقة، ونفى جماعة منهم إلى الشام وقوص، وعاقب طائفة منهم، فكثرت القالة، واشتد الإرجاف، وأخذ السلطان فى الاستعداد والحذر، وسقط عليه مرارًا سهام من طباق المماليك، سلمه الله تعالى منها. وبلغه أن المماليك كانت تجتمع بأزبك.

وفى ثامنه: خلع على الأمير أركماس الظاهرى رأس نوبة. واستقر دوادارًا كبيرًا عوضا عن أزبك، وخلع على الأمير تمراز القادم من غزة، واستقر رأس نوبة عوضا عن أركماس، وأنعم على الأمير يشبك المشد، وأنعم بطبلخاناه يشبك على أقبغا الخازندار، واستقر الطواشى صفى الدين جوهر السيفى قنقباى اللالا خازندارًا عوضا عن أقبغا، فبلغ الاختصاص بالسلطان مبلغا كبيرًا.

وفى ثانى عاشره - الموفق ثالث عشر توت -: نودى على النيل بزيادة أصبع لتتمة زيادته عشرين ذراعا سواء، وابتدأ نقصه من الغد.

وفى سابع عشره: خلع على الأمير تاج الدين الشويكى والى القاهرة، واستقر مهمندارًا عوضا عن حرز - مضافا بما بيده من الولاية وشد الدواوين والحجوبية - وهو من مجالسى السلطان فى مجالسه الخاصة.

وفى سابع عشرينه: قدم مبشرو الحاج وأخبروا بسلامة الأمن والرخاء، وأنه قدم محمل من العراق معه أربعمائة جمل تحمل الحاج، جهزه حسين بن على ابن السلطان أحمد بن أويس من الحلة، وكان قد استولى على ششتر وصاهر العرب، فقوى بهم، وناهض شاه محمد بن قرا يوسف صاحب بغداد.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

شمس الدين محمد بن يعقوب النحاس الدمشقى، فى يوم الجمعة ثالث المحرم، وهو من عامة دمشق، تشفع بى لما قدمت دمشق فى سنة عشر وثمانمائة، أن يلى حسبة الصالحية، ثم قدم القاهرة فى سنة اثنى عشرة، وولى حسبة القاهرة ثم وزارة دمشق، فلم تحمد يرته، ولا شكرت طريقته.

ومات أمير الملأ عذراء بن على بن نعير بن حيار بن مهنا، مقتولا، فى المحرم.

ومات الأمير بكتمر السعدى، فى يوم الخميس ثالث عشر شهر ربيع الأول، وكان قد رباه الأمير سعد الدين إبراهيم بن غراب صغيرا فى حجور نسائه، فنشأ على أجمل طريقة من الديانة وطلب العلم، وترقى بعد أستاذه حتى صار من أمراء الطبلخاناه، ولم يخلف فى أبناء جنسه مثله، دينا وعلما وشجاعة ومعرفة.

ومات الشيخ سعيد المغربى فى يوم الأربعاء تاسع عشر شهر ربيع الأول. وكان مجاورًا بالجامع الأزهر عدة سنين، وللناس فيه اعتقاد، ويؤثرون عنه كرامات، وترك مالا يبلغ الألفى دينار ذهبا، ما بين ذهب وفضة وفلوس، وقد علت سنه وطال مرضه.

ومات الأمير سيف الدين جانبك الدوادار، فى يوم الخميس سابع عشرين شهر ربيع الأول وكان قد رباه السلطان صغيرًا، وتقلب معه فى تقلباته. فلما تسلطن رقاه حتى صار أجل الأمراء وعذقت به أمور الدولة كلها فاعُتبط[1] قبل بلوغ الثلاثين - وكان فطنًا ذكيا شهما - وتولى السلطان تمريضه، ونزل إليه وحضر وفاته، ودفنه وله جامع بهج الذى فى الشارع خارج باب زويلة بالقرب من اليانسية[2].

ومات الأمير أزدمر شايه فى سادس شهر ربيع الآخر بحلب، وهو أحد المماليك الظاهرية الذين خرجوا من القاهرة فى أيام الفتن، والتحق بالأمير شيخ، وتقلبت به الأحوال معه، فرقاه لما تسلطن حتى صار من أمراء الألوف، ثم خرج فى الأيام الأشرفية من القاهرة، ولم يشكر فى دينه، ولا فى أمر دنياه، بل كان من الظلم والشح والإعراض عن الله بمكان.

ومات الأمير كمشبغا الجمالى فى يوم الجمعة رابع جمادى الأولى. وهو أحد المماليك الظاهرية، ومن جملة أمراء الطبلخاناه، وشهرته جميلة.

---

(١) أى شابا صحيحا.

(٢) انظر المواعظ والاعتبار ١٦/٢.

ومات الأمير الكبير الأتابك سيف الدين يشبك الساقى الأعرج، فى يوم السبت ثالث جمادى الآخرة. وهو أحد المماليك الظاهرية الذين خرجوا فى أيام الفتن وممن له فى تلك الفتن ذكر، وكان أولا من أتباع نوروز الحافظى فى قيامه بالشام، ثم صار مع الأمير شيخ، فلم يقبل عليه، ونفاه إلى مكة، ثم حمله منها إلى القدس، فأحضره الأمير ططر بعد موت المؤيد شيخ، وأنعم عليه بإمرة، فرقاه السلطان إلى أن صار الأتابك، وهو الذى أثار الفتنة بمكة حنقا على الشريف حسن بن عجلان، حتى وقع بها ما وقع. وكان يقرأ القرآن ويشدو شيئًا من الفقه، ويؤثر عنه ديانه وعفة، إلا عن المال فإن له فى الشح والطمع أخبار سيئة.

ومات نجم الدين حسين بن عبد الله السامرى الأصل كاتب السر وناظر الجيش، بدمشق يوم الأربعاء رابع عشر جمادى الآخرة وكان من سمرة دمشق، يعانى كتابة الديونة، وخدم عند الأمير بكتمر شلق، وقدم إلينا القاهرة معه فى الأيام الناصرية، وهو بزى المسلمين، فلما كانت الأيام الأشرفية جمع له بين كتابة السر ونظر الجيش بدمشق، ولم يجتمعا لأحد قبله، وطالت أيامه وكثر ماله حتى أتاه حمامه، ولم يشهر بفضل ولا دين.

ومات شمس الدين محمد بن عبد الدايم بن موسى البرماوى، مدرس الصلاحية بالقلس، فى يوم الخميس ثانى عشرين جمادى الآخرة، وقد أناف على الستين بل قارب السبعين. كان أبوه يؤدب الأطفال، فنشأ ابنه هذا وطلب العلم حتى برع فى الفقه على مذهب الشافعى، وفى الأصول والحديث والنحو، وناب فى الحكم بالقاهرة قليلا، ثم خرج إلى دمشق لضيق حاله، فأكرمه قاضى القضاة نجم الدين عمر بن حجى، ورفع من مقداره، ثم نوه به لما ولى كتابة السر بديار مصر. وولى الصلاحية بالقدس، حتى مات بها، وله مصنفات مفيدة.

ومات بدر الدين حسن بن أحمد بن محمد البردينى أحد خلفاء الحكم الشافعى فى يوم الإثنين خامس عشرين شهر رجب، وقد أناف على الثمانين. وكانت فيه عصبية ومحبة لقضاء حوائج الناس. ولم يوصف بعلم ولا دين، صحبناه سنين، ومستراح منه.

ومات الأمير قجقار جقطاى، فى يوم الإثنين هذا. وهو أحد أمراء الطبلخاناه الذين أنشأهم المؤيد شيخ، وسار فى إقطاعه سيرة جميلة، حتى أنه عمر الخراب، ورفق بالفلاحين، فزرع فى أيامه ما كان بورًا.

ومات الأمير جانبك ابن الأمير حسين ابن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون،

فى يوم الخميس سادس عشرين شعبان، عن نحو ثمانين سنة، وكان من جملة أمراء الطبلخاناه فى أيام أخيه الأشرف شعبان بن حسين، وأقام بقلعة الجبل سنين بطالا، حتى أنزل السلطان الأسياد بنى قلاوون إلى القاهرة، فنزل فيمن نزل، ومات وهو قُعدد بنى قلاوون.

ومات شمس الدين محمد بن أحمد بن على العسقلانى الشامى الحنبلى، فى يوم السبت ثامن عشرين شعبان. ومولده سنة أربع وأربعين وسبعمائة. حدث عن العُرضى وغيره بالسماع، وناب فى الحكم بالقاهرة سنين. وكان مفيدًا.

ومات الأمير سيف الدين إبراهيم - ويقال له حرز - فى يوم الخميس ثامن عشرين ذى القعدة، وقد قدم مع الأمير شيخ من الشام، فولاه ولاية القاهرة، ثم عمله مهمندار، فمات وهو يباشر المهمندارية.

* * *

سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة

شهر الله المحرم، أوله الإثنين:

ففي ليلة الإثنين خامس عشره: حدث مع غروب الشمس برق متوال، تبعه رعد شديد، ثم مطر غزير، واستمر معظم الليل، فلم يدرك بمصر مثله برقا ورعدا، ولا عهدنا مثل غزارة هذا المطر في أثناء فصل الخريف. وقدم الخبر بأنها أمطرت وقت العشاء من ليلة الإثنين ثامنه بناحية بني عدى من البهنساوية بردًا في قدر بيضة الدجاجة وما دونها كبيضة الحمامة، فهلك به من الدجاج والغنم والبقر شيء كثير، فهلك لرجل ستون رأسا من الضأن، وهلك لآخر خمسون رأسا من المعز، ولم يتجاوز هذا البرد بنى عدى، وكان مع البرد والمطر راعد مرعب من شدته، وبرق متوال ورياح عاصفة.

وفي هذا الشهر: تتبع الأمير قرقماس حاجب الحجاب مواضع الفساد، فأراق من الخمور وحرق من الحشيشة المغيرة للعقل شيئا كثيرا، وهدم مواضع، ومنع من الاجتماع في مواضع الفساد.

وفي ثاني عشرينه: قدم ركب الحاج الأول صحبة الأمير أينال الششماني، وقدم من الغد محمل الحاج ببقيتهم.

وحدث في هذا الشهر: ثلاث مظالم، **إحداها:** أنه كان قد تقرر في العام الماضي مع القاضي كريم الدين عبد الكريم بن بركة ناظر الخاص أن تعفى تجار الشام ومشهد على والكوفة والبصرة، الذين يتبضعون من متاجر الهند، من القدوم من مكة إلى القاهرة ببضاعتهم، وأن يقوموا عن كل جمل بثلاثة دنانير ونصف، فانتقض ذلك في الموسم بمكة، وألزم سائر التجار أن يحضروا من مكة ببضائعهم صحبة الركب، وتتبعوا، بحيث لم يقدر أحد منهم أن يتأخر بمكة ولا يتوجه إلى الشام، بل حضروا بأجمعهم، وأقيمت عليهم الأعوان في طول الطريق بتفقدهم وبعد أجمالهم، حتى قدموا صحبة الحاج فحل بهم من البلاء ما لا يوصف.

ثانيها: أنه منع بالإسكندرية أن ينصب قبان لوزن بضاعة أحد من التجار، فامتنع الكافة من بيع النهار على الفرنج، وألزم الفرنج بشراء فلفل السلطان المحضر من جدة بمائة وعشرين دينارا الحمل، وكانت قيمته مع التجار ثمانين دينارا، فأخذ الفرنج منه ما وصلت قدرة مباشرى السلطان أن يبيعوه عليهم، وامتنعوا من أخذ بقيته، ورجعوا بكثير مما حملوه من بضائعهم إلى بلادهم، فشمل التجار وغيرهم من ذلك ضرر كبير.

ثالثها: أنه بلغ السلطان أن التجار الواردة إلى القاهرة من الموصل وحماة ودمشق تربح فيما تجلبه من الثياب المنسوجة من القطن مالا كثيرًا فألزم السماسرة أن لا تبيع لأحد من هذا الصنف شيئا، بل يكون بأجمعه متجرًا للسلطان، فأخذ تاجر ومعه ثمانون ثوبا، وأخذ آخر ومعه عشرة ثياب، وقومت، بأقل من ثمنها فى بلادها، وكتب إلى بلاد الشام بأن لا تمكن التجار من حمل شيء من ذلك إلى القاهرة، فصادف قدوم قفل من الموصل إلى مدينة حماة بثياب موصلية، فرسم عليهم حتى رحلوا من حماة بما معهم وعبروا إلى البرية عائدين إلى بلادهم. واحتج عليهم بأنهم ردوهم لأن طول الثياب نقص عن ثلاثين ذراعا كل ثوب، وأنه لا يمكن أحد منهم أن يبيع ثوبا حتى يكون ثلاثين ذراعا فى عرض ذراع ونصف، وأن لا يكون فيها ثوب يغلو ثمنه، فحل بالناس بلاء لا يمكن حكايته، وخربت الموصل بعد ذلك، وبطل عمل الثياب بها، كما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى. وقدم مع ذلك الحمل من جزيرة قبرس وفيه ثياب صوف، فحملت إلى دمشق، وهى ثمانمائة ثوب، فطرح الثوب بثمانية عشر دينارا، ويحتاج إلى دينار آخر كلفه، فأبيع أحسنها باثنى عشر دينارا، فخسر كل ثوب سبعة دنانير، وطرح بها أيضا السكر المعمول بالأغوار على الناس، فلم يكد يسلم أحد من الأخذ منه، و لله عاقبة الأمور.

شهر صفر، أوله الثلاثاء:

فيه جبيت أثمان البضائع بالعسف.

وفى حادى عشرينه: كتب على يد نجاب بحضور الطواشى فيروز الساقى من المدينة النبوية.

وفى رابع عشرينه: خرجت تجريدة لأخذ خيول أهل الغربية والبحيرة.

شهر ربيع الأول، أوله الخميس:

فيه ترك طائفة كبيرة من مماليك السلطان الجلب الذين يسكنون الطباق بقلعة الجبل إلى بيت الأمير زين الدين عبد القادر بن أبى الفرج أستادار، وتسوروا الجدران حتى دخلوه فنهبوا ما فيه، وكان غائبا عنه، وعبثوا فى طريقهم بالناس، فأخذوا ما قدروا على أخذه، ثم مضوا إلى بيت ناظر الديوان المفرد، ثم إلى بيت الوزير، فأدركهم مقدم المماليك والزمام، وتلطفا بهم، حتى انصرفوا عن بيت الوزير وسبب ذلك تأخر جوامكهم بالديوان المفرد لشهرين، فلما شكوا ذلك إلى السلطان قال لهم امضوا إلى المباشرين. فنزلوا وكان يوما شنعا.

وفى خامسه: نودى بمنع الناس من المعاملة بالدراهم البندقية والدراهم اللنكية، فامتنعوا وتصدى جماعة لأخذها بأقل من قيمتها، لعلمهم بأن الدولة لا يمضى لها أمر ولا تثبت على حال، فخسر طوائف من الناس جملة، وربح آخرون.

وفى حادى عشره: قبض على الأمير زين الدين عبد القادر أستادار، وضرب، ثم خلع عليه من الغد، واستقر على عادته.

شهر ربيع الآخر، أوله الجمعة:

أهل وقد ارتفع سعر القمح من أربعمائة درهم الأردب إلى أربعمائة وخمسين والشعير من مائة وثمانين درهما الأردب إلى ثلاثمائة. والفول بنحو ذلك، وأبيعت البطة من الدقيق بمائة وأربعين درهما، هذا والبهائم مرتبطة على البرسيم الأخضر. ومن العادة انحطاط أسعار الغلال فى مثل هذا الوقت، غير أن الاحتكار على الغلال متزايد، والطمع فى غلاء أثمانها كثير.

وفى ثامنه: نودى أن تكون الفلوس بثمانية عشر درهما الرطل، وقد كان الناس تضرروا من قلة وجود الفلوس، فإن التجار أكثرت من حملها إلى بلاد الهند وغيرها لرخصها بالنسبة إلى سعر النحاس الأحمر الذى لم يضرب.

وفى يوم السبت سادس عشره: ركب السلطان بثياب جلوسه ونزل من قلعة الجبل إلى بيت القاضى زين الدين عبد الباسط ناظر الجيش، فأقام عنده قليلا، وعاد إلى القلعة، فحمل إليه عبد الباسط من الغد ألفى دينار، وخيلا وبغالا.

وفى هذا الشهر: تكرر ركوب السلطان مرارًا.

وفيه ارتفع القمح إلى خمسمائة درهم الأردب، وأبيع الأرز بألف درهم الأردب، بعد خمسمائة.

وفى سادس عشرينه: تقدم أمر قاضى القضاة شهاب الدين أبى الفضل أحمد بن على ابن حجر إلى الشهود الجالسين بالحوانيت للتكسب بتحمل الشهادات بين الناس أن لا يكتبوا صداق امرأة إلا بأحد النقدين، الدراهم الفضة أو الدنانير الذهب. وأدركناهم يكتبون الصداقات من الذهب والفضة التى هى الدراهم النقرة. فلما راجت الفلوس رسم قاضى القضاة جلال الدين عبد الرحمن البلقينى - رحمه الله تعالى - فى سنة ست وثمانمائة أن لا تكتب صداقات النساء، وأجاير الدور، وسجلات الأراضى، وعهد الرقيق من العبيد والإماء، ومساطير الديون، إلا من الفلوس الجدد معاملة القاهرة، فاستمر ذلك إلى الآن.

وفى هذا الشهر: أعيد الحجر على السكر، ورسم أن لا يشتريه أحد ولا يبيعه إلا السلطان، ثم بطل ذلك.

وفيه عثر على بعض تجار العجم المنتمين إلى الإسلام وقد توجه من عند الحطى ملك الحبشة إلى الفرنج يحثهم على القيام معه لإزالة دين الإسلام وأهله، وإقامة الملة العيسوية، فإنه قد عزم على أن يسير من بلاد الحبشة فى البر بعساكره، «فتلاقوه بجموعكم فى البحر إلى سواحل بلاد المسلمين»، فسلك هذا التاجر الفاجر فى مسيره من الحبشة البرية حتى صار من وراء الواحات إلى وراء المغرب، وركب منها البحر إلى بلاد الفرنج، ودعاهم للثورة مع الحطى على إزالة ملة الإسلام وأهلها، واستعمل بتلك البلاد عدة ثياب مذهبة باسم الحطى، ورقمها بالصلبان، فإنه شعارهم، وقدم من بلاد الفرنج فى البحر إلى الإسكندرية ومعه الثياب المذكورة وراهبان من رهبان الحبشة، فنم عليه بعض عبيده، فأحيط بمركبه، وحمل هو والراهبان وجميع ما معه إلى السلطان.

وفى هذا الشهر: كشف عن أمر الديوان المفرد واعتبر متحصله فى السنة ومصروفه، فإذا هو يعجز مبلغ ستين ألف دينار عن جميع ما يرد إليه من خراج النواحى، والحمامات، والمستأجرات، ورماية البضائع، وغرامات البلاد، فعين له مبلغ ثلاثين ألف دينار برسم المتجر السلطانى وأول ما بدأ به من ذلك تحكير صنف السكر، فلا يدولب زراعة القصب واعتصاره وعمل القند سكر ثم بيع السكر إلا السلطان، وأن توزع الثلاثين ألف الأخرى على الكشاف والولاة، ثم أهمل ولم يتم، ولله الحمد.

وفى هذا الشهر: ألزم دلالو الخيل أن لا يبيعوا فرسا لمتعمم ولا لجندى من أولاد الناس، ثم بطل ذلك.

وفى سادس عشرينه: قدم الطواشى فيروز الساقى من المدينة النبوية باستدعاء، فأعيد على ما كان عليه من الخدمة.

وفى هذه الأيام: انحل سعر الغلال وانحط القمح عن خمسمائة درهم الأردب، وفرقت الجمال على الأمراء برسم التجريدة إلى بلاد الشام وحلب.

وفى يوم السبت سلخه: كثر الإرجاف بأخذ خيول الناس من مرابطها على البرسيم بالنواحى، فسارع كل أحد إلى أخذ خيله، وقودها من الربيع إلى الإصطبلات فمنهم من نجا بها ومنهم من عوجل، فأخذت خيله وسلمت إلى أمير أخور، وسبب ذلك أن الخيول شنع هلاكها، فنفق للسلطان ومماليكه نحو الألفى فرس، ثم وقف جماعة للسلطان فأفرج لهم عن خيولهم فأخذوها.

وفى هذا الشهر: هدم علو بيت الأمير منجك بخط رأس سويقة منعم، قريبا من مدرسة السلطان حسن، وأبيعت أنقاضه لرجل بألفى دينار، فباعها هو فى الناس، وكان من جملة أوقاف صهريج منجك، وسبب هدمه أن الأمراء كانت تسكنه، ولا تعطى له أجره، فإذا تهدم فيه موضع ألزموا مباشرى الوقف بعمارته، ورأى الناس أن هذا فأل ردىء فإنه قيل وقع الخراب فى بيوت الأمراء.

شهر جمادى الأولى، أوله الأحد:

فى ثامنه: برز ركب يريد المسير إلى مكة المشرفة، صحبة سعد الدين إبراهيم بن المرة ناظر جدة، فيه جماعة كبيرة.

وفى رابع عشرينه: استدعى قضاة القضاة للنظر فى أمر نور الدين على بن الخواجا، التاجر التوريزى المتوجه برسالة الحطى ملك الحبشة إلى الفرنج، فاجتمعوا بين يدى السلطان، وندب قاضى القضاة شمس الدين محمد البساطى المالكى للكشف عن أمره، وإمضاء حكم الله فيه فنقله من سجن السلطان إلى سجنه، فقامت عليه بينة بما أوجب عنده إراقة دمه، فشهر فى يوم الأربعاء خامس عشرينه على جمل بمصر وبولاق، ونودى عليه «هذا جزاء من يجلب السلاح إلى بلاد العدو ويلعب بالدينين». ثم أقعد تحت شباك المدرسة الصالحية بين القصرين، وضربت عنقه. وكان يوما مشهودا، نعوذ بالله من سوء العاقبة.

وفى هذا الشهر: سار الأمير زين الدين عبد القادر بن أبى الفرج أستادار، إلى النواحى، ففرض على كل بلد مالاً سماه الضيافة، ليستعين بذلك على عجز الديوان المفرد لنفقة المماليك السلطانية فجبى مالاً كثيرًا، فإنه كان يأخذ من البلد مائة دينار، ويأخذ من أخرى دون ذلك، على حسب ما يراه، فاختل حال الفلاحين خللا يظهر أثره فيما بعد، والله المستعان.

شهر جمادى الآخرة، أوله الإثنين:

فيه استدعى شيخ الشيوخ شهاب الدين أحمد بن الصلاح - المعروف بابن المحمرة - شيخ الخانكاه الصلاحية سعيد السعداء إلى مجلس السلطان، وعرض عليه قضاء القضاة بدمشق فقبله، فخلع عليه عوضا عن بهاء الدين محمد بن نجم الدين عمر بن حجى. وكان السلطان قد استدعى قاضى القضاة علم الدين صالح ابن شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقينى وسأله بذلك فلم يقبل، وكان منذ صرف عن القضاء ملازما لداره، وهو مقبل على عمل الميعاد فى كل يوم جمعة بمدرسة أبيه، وعلى التدريس والإفتاء.

وفى يوم الثلاثاء ثانيه: خلع على جمال الدين يوسف بن الصفى الكركى، واستقر فى نظر الجيش بدمشق، عوضا عن السيد الشريف شهاب الدين أحمد بن عدنان. وكان الجمال منذ عزل عن كتابة السر مقيما بالقاهرة.

وفيه كتب بانتقال شهاب الدين أحمد بن الكشك من قضاء الحنفية بدمشق إلى قضاء طرابلس، عوضا عن شمس الدين محمد الصفدى، ثم بطل ذلك، واستقر الصفدى عوضا عن ابن الكشك فى قضاء الحنفية بدمشق.

وفى ثامن عشره: توجه قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن المحمرة، والقاضى جمال الدين يوسف بن الصفى إلى محل ولايتهما بدمشق، وعين أحد الخاصكية مسفرا معهما، وأن يحضر الصفدى من طرابلس إلى قضاء دمشق، على أن يأخذ من الثلاثة ألف وثلاثمائة دينار ذهبًا، يخص ابن المحمرة منها ثلاثمائة دينار، وتبقى الألف نصفين على ابن الصفى والصفدى، ولم تجر العادة بأن يخرج مسفر مع متعمم.

وفى هذا الشهر: نزل القمح إلى مائتين وثمانين درهما الأردب، بعد خمسمائة. وأبيع بمائة وثلاثين درهما الأردب بعد أن كان بثلاثمائة، وأبيعت البطة من الدقيق بتسعين درهما بعدما بلغت مائة وخمسين درهما.

وفيه تتبع والى القاهرة العبيد السود، وقبض على عدة منهم، لكثرة فسادهم، ونفاهم من القاهرة.

وفيه رسم بأخذ الشعير من النواحى لعجز الديوان عن عليق خيول المماليك السلطانية، فأخذ من شعير الناس ما قدر عليه.

شهر رجب، أوله الأربعاء:

أهل والقمح من مائتين وأربعين درهما الأردب إلى ما دونها، والشعير بمائة وثلاثين درهما الأردب إلى ما دونها، والذهب عزيز الوجود، وقد بلغ الدينار الأشرفى إلى مائتين وخمسين درهما، ورخص اللحم حتى أبيع لحم الضأن بستة الرطل ولحم البقر بأربعة دراهم الرطل.

وفى ثامنه: خلع على جلال الدين أحمد بن بدر الدين محمد بن مزهر بكتابة السر، عوضا عن أبيه. وله من العمر نحو خمس عشرة سنة، وخلع على شرف الدين أبى بكر ابن سليمان الأشقر الحلبى، واستقر نائب كاتب السر، وألزم ابن مزهر بحمل تسعين ألف دينار من تركة أبيه، فشرع فى بيع موجوده وهو أصناف كثيرة ما بين بضائع للمتجر، وكتب علمية، وثياب بدنه وخيول وجمال ورقيق، وحمل ما ألزم به.

وفى تاسعه: أدير محمل الحج، فكان فيه من نهب المماليك السلطانية لمآكل الباعة، والتعرض للنساء والشباب فى ليالى الزينة شناعات، اقتضت تجمع السودان وقتالهم المماليك عدة مرار، فقتل بينهم رجلان.

وفى هذه الأيام: قدم عدة تجار من الموصل، فأخذ منهم ما معهم من الثياب الموصلية، وقومت بما لم يرضيهم، ورسم أن يكون صنف البعلبكى والعاتكى والموصلى للسلطان، لا يشتريه ممن يجلبه إلى القاهرة ويبيعه فى الناس إلا هو.

وفيه حكر بيع الحطب من بلاد الصعيد، وجعل من أصناف المتجر السلطانى، وحكر بيع غلات النواحى بأسرها، وجعلت أيضا من جملة المتجر السلطانى ثم بطل ذلك كله، و لله الحمد.

وفيه طرحت بضائع من المتجر السلطانى على الناس، ولم يعف أحد من التجار عن أخذها فارتفعت الغلة من مائتين وعشرين درهما الأردب، إلى ثلاثمائة.

وفى ثامنه: أيضا خلع على شمس الدين محمد بن يوسف بن صالح الحلاوى الدمشقى، واستقر فى وكالة بيت المال، عوضا عن نور الدين على الصفطى وكان قد وليها فى الأيام الناصرية فرج، مع نظر الكسوة.

وفى ثالث عشرينه: قدم الأمير سودن من عبد الرحمن نائب الشام، وصحبته القاضى كمال الدين محمد بن البارزى كاتب السر بدمشق، فحمل النائب تقدمته فى ثالث عشرينه، وفيها مبلغ خمسة عشر ألف دينار، وخيل وثياب حرير، وفرو سمور، وغيره، فأخذ السلطان الذهب، وأعاد ما عداه إعانة له على تقادمه للأمراء. وقدم الكمال ثياب حرير وفرو سمور بنحو خمسمائة دينار.

شهر شعبان المكرم، أوله الخميس:

فى يوم الجمعة ثانيه: نزل من مماليك السلطان سكان الطباق بالقلعة جماعة إلى بيت الوزير كريم الدين ابن كاتب المناخ، ونهبوه لتأخر لحمهم المرتب لهم كل يوم.

وفيه توجه نائب الشام ومن معه إلى دمشق على حالهم، بعدما ألزم النائب بحمل خمسين ألف دينار، حمل منها خمسة وعشرين، ووعد أن يرسل من دمشق خمسة وعشرين.

وفى ثالثه: خلع على نظام الدين عمر بن إبراهيم بن محمد بن مفلح[1] واستقر فى

(١) ابن مفلح (٧٨٢ - ٨٧٢ هـ = ١٣٨٠ - ١٤٦٧ م). عمر بن إبراهيم بن محمد بن مفلح، أبو حفص، نظام الدين، الرامينى المقدسى الصالحى: قاضى حنبلى، من أهل الصالحية (بدمشق) مولدا ووفاة.ناب فى القضاء بدمشق ثم بالقاهرة، واستقل بقضاء غزة سنة ٨٠٥ هـ وكان أول حنبلى=

قضاء الحنابلة بدمشق. وكان قد قدم القاهرة، وعمل بالجامع الأزهر عدة مواعيد، دلت على حفظه وتفننه.

وفي سادسه: ثارت فتنة بين طائفة من مماليك السلطان الجلب وبين طائفة من مماليك الأمير الكبير شارقطلوا، فباتوا على تخوف وأصبح الجلب تحت القلعة في جمع كبير، وقد امتنع الأمير الكبير منهم بداره - وهي تجاه باب السلسلة - فماج الناس، وخشوا من النهب، فكانت حركة مزعجة بالقاهرة، من تكالب الناس على شراء الخبز والدقيق، وانتشار أهل الفساد في الشوارع للنهب، ثم سكن الحال، وأقام الجلب يومهم لا يقدرون على الأمير الكبير، لعجزهم وقلة دريتهم بالحرب، وعدم السلاح، فطلب السلطان ثلاثة من مماليك الأمير الكبير وضربهم وسجنهم من أجل أنهم أصل هذه الفتنة، فخمد الشر، ولله الحمد.

وفي خامسه: ورد إلى ميناء الإسكندرية خمسة أغربة للفرنج، وباتوا وقد استعد لهم المسلمون ثم واقعوهم من الغد، وقد أدركهم الأمير زين الدين ابن أبي الفرج أستادار في سابعه. وكان بتروجة ومعه جمع كبير من العرب، فلما اشتد الأمر على الفرنج، انهزموا وردوا من حيث أتوا، في يوم الأحد حادي عشره، ولم يقتل سوى فارس واحد من جماعة ابن أبي الفرج.

وفي ثاني عشره: أنفق السلطان في ثلاثمائة وتسعين من المماليك، كل واحد خمسين دينارًا، وفي أربعة من أمراء الألوف - وهم أركماس الدوادار، وقرقماس حاجب الحجاب، وتغري بردي، ويشبك المشد - كل واحد ألفي دينار، وأنفق في عدة من أمراء الطبلخاناه والعشرات، فبلغت النفقة نحو الثلاثين ألف دينارًا، ورسم بسفرهم إلى الشام، فتوجهوا في سادس عشرينه.

وفيه سقط موضع مبني على كتاب أطفال، فمات منهم اثني عشر طفلا، وأصيب تسعة يخاف عليهم.

وفي هذا الشهر: كثر الوباء بغزة والرملة، من أرض فلسطين.

شهر رمضان، أوله الجمعة:

=ولي قضاءها. واستقل بالقضاء أيضا في الشام سنة ٨٣٣ هـ عزل ثم أعيد ثم انقطع إلى التدريس. وحدث بمصر والشام وبيت المقدس وغيره. وأنشأ مدرسة دار الحديث النظامية في شرقي الصالحية له مشيخة. انظر تاريخ الصالحية ٨٧، الضوء اللامع ٦٦/٦، الأعلام ٣٩/٥.

فيه ابتدئ بهدم حوانيت الصيارف، وسوق الكتب، وحوانيت النقليين والأمشاطيين، فيما بين الصاغة والمدرسة الصالحية، وهى جارية فى وقف المارستان المنصورى، لتجدد عمارتها.

وفى رابع عشره: خلع على الصاحب تاج الدين عبد الرزاق بن الهيصم، وأعيد إلى نظر الديوان المفرد، وكان شاغرًا.

وفيه حملت نفقة المماليك السلطانية إلى القلعة لتنفق فيهم على العادة، فامتنعوا من قبضها، وطلبوا زيادة ستمائة درهم لكل واحد.

وفى يوم الإثنين ثامن عشره – الموافق لسادس عشرين بؤونة –: أخذ قاع النيل وكان خمسة عشر ذراعا وسبعة أصابع، ونودى عليه من الغد بزيادة خمسة أصابع.

وفيه زيد فى جوامك عدة من شرار المماليك، فسكن شرهم، وأخذوا جميعا النفقة.

وفى حادى عشرينه: استعفى ابن الهيصم من نظر الديوان المفرد، فأعفى، ولزم داره على عادته.

وفى هذه الأيام: اشتد فساد المماليك الجلب، وكثر عيثهم وعبثهم بالناس، وأخذهم ما قدروا عليه من مال وحريم، فتجمع السودان وقاتلوهم، فقتل بينهم عدة، وصاروا جمعين، لكل جمع عصبة.

شهر شوال، أوله الأحد:

أهل والأسعار قد ارتفعت، فالقمح من مائتين وخمسين درهما الأردب إلى ما دونها والشعير من مائة وثلاثين إلى ما دونها وسببه هيف الزرع فى كثير من النواحى عند توالى رياح حارة فقل وقوع الغلة عند الدراس.

وفى هذه الأيام: اشتد بلاء من المماليك، وعظم الضرر بهم، حتى أن السلطان منع الناس من عمل الأعراس والولائم، وتهدد من عمل ذلك، خوفا من المماليك أن تهجم على النساء وهن مجتمعات، وتبين قصور اليد عن ردعهم، ولا قوة إلا بالله.

وفى عاشره: نودى بمنع الناس من أخذ الدراهم البندقية والقرمانية واللكنية، فعاد الضرر فى خسارة قوم وربح آخرين، ونودى أيضا أن تكون الدنانير بمائتين وثلاثين، وكانت العامة قد رفعت سعره إلى مائتين وستين، بحجة أن الذهب قليل الوجود بأيدى الناس، وأن الدراهم الأشرفية كثر فيها البندقية واللكنية والقرمانية، وكل ذلك من

إعراض ولاة الأمور عن عمل المصالح، لبعدهم عن معرفتها، مع طلبهم المال بكل وجه يذم ويستقبح.

وفى تاسع عشره: برز محمل الحاج على العادة، فرحل الركب الأول من بركة الحجاج فى ثانى عشرينه، ورحل المحمل ببقية الحاج فى ثالث عشرينه، صحبة الأمير قراسنقر. وانتهت زيادة النيل فى هذا اليوم - ويوافقه أول مسرى - إلى عشرة أذرع وخمسة عشر إصبعا. وهذا مقدار كبير، و لله الحمد.

وفى هذا الشهر: خربت مدينة الرها ، كما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى.

شهر ذى القعدة، أوله الثلاثاء:

فى رابعه - الموافق لثانى عشر مسرى -: نودى بزيادة سبعة أصابع لتتمة خمسة عشر ذراعا وتسعة عشر إصبعا، و لم يناد عليه من الغد، وتوقفت الزيادة إلى تاسعه. وذلك أنه نقص أربعة أصابع، لتقطع عدة جسور من فساد عملها، فغرق عدة جرون، تلف فيها ماشاء الله من الغلال، فتكالب الناس على شراء الغلة، خوفا من الشراقى، فنزل السلطان فى يوم الثلاثاء ثامنه إلى رباط الآثار النبوية، ودعا الله تعالى، فأغاث الله عباده، ووفى النيل ستة عشر ذراعا، ونودى عليه بالوفاء يوم الأربعاء تاسعه - الموافق له سابع عشر مسرى - فنزل المقام الناصرى محمد بن السلطان لتخليق المقياس وفتح الخليج على العادة.

وفيه قدم الخبر بأخذ مدينة الرها. وذلك أن العسكر سار من القاهرة لأخذ قلعة خرت برت، وقد مات متوليها، ونازلها عسكر قرايلك صاحب آمد، فلما وصلوا إلى مدينة حلب، ورد إليهم الخبر بأخذ قرايلك قلعة خرت برت وتحصينها، وتسليمها لولده، فتوجه العسكر وقد انضم إليه الأمير سودن من عبد الرحمن نائب الشام، وجميع نواب المماليك الشامية، ومضوا بأجمعهم إلى الرها، فأتاهم بالبيرة كتاب أهل الرها بطلب الأمان، وقد رغبوا فى الطاعة، فأمنوهم، وكتبوا لهم به كتابا، وساروا من البيرة، وبين أيديهم مائتا فارس من عرب الطاعة كشافة، فوصلت الكشافة إلى الرها فى تاسع عشر شوال، فإذا الأمير هابيل قد وصل إليها من قبل أبيه الأمير عثمن بن طور على، المعروف بقرايلك صاحب آمد، وحصنها، وجمع فيها عامة أهل الضياع بمواشيهم وعيالهم وأموالهم، فناولوها وهم يرمونهم بالنشاب من فوق الأسوار ثم برز إليهم الأمير هابيل فى عسكر نحو ثلاثمائة فارس، وقاتلهم، وقتل منهم جماعة، وعلق رءوسهم على قلعة الرها، فأدركهم العسكر، ونزلوا على ظاهر الرها فى يوم الجمعة عشرينه، وقد

ركب الرجال السور.ورموا بالحجارة، فتراجع العسكر المصرى والشامى عنهم، ثم ركبوا بأجمعهم بعد نصف النهار وأرسلوا إلى أهل قلعة الرها بتأمينهم، «وإن لم تكفوا عن القتال وإلا أخربنا المدينة». فجعلوا الجواب رميهم بالنشاب، فزحف العسكر وأخذوا المدينة فى لحظة، وامتنع الأكابر وأهل القوة بالقلعة. فانتشر العسكر وأتباعهم فى المدينة ينهبون ما وجدوا، ويأسرون من ظفروا به، فما تركوا قبيحا حتى أتوه ولا أمرا مستشنعا إلا فعلوه. وكان فعلهم هذا كفعل أصحاب تيمور لما أخذوا بلاد الشام. وأصبحوا يوم السبت محاصرين القلعة، وبعثوا إلى ما فيها بالأمان فلم يقبلوا، ورموا بالنشاب والحجارة، حتى لم يقدر أحد على أن يدنو منها. وباتوا ليلة الأحد فى أعمال النقوب على القلعة، وقاتلوا من الغد يوم الأحد حتى اشتد الضحى، فلم يثبت من بالقلعة، وصاحوا «الأمان». فكفوا عن قتالهم حتى أتت رسلهم الأمير نائب الشام، وقدم مقدم العساكر، فحلف لهم - هو والأمير قصروه نائب حلب - على أنهم لا يؤذوهم ولا يقتلون أحد منهم فركنوا إلى أيمانهم. ونزل الأمير هابيل بن قرايلك ومعه تسعة من أعيان دولته عند دخول وقت الظهر من يوم الأحد المذكور، فتسلمه الأمير أركماس الدوادار، وتقدم نواب المماليك إلى القلعة ليتسلموها فوجدوا المماليك السلطانية قد وقفوا على باب القلعة ليدخلوا إليها، فمنعوهم فأفحشوا فى الرد على النواب، وهموا بمقاتلتهم، وهجموا القلعة، فلم تطق النواب منعهم، ورجعوا إلى مخيماتهم فمد المماليك أيديهم ومن تبعهم من التركمان والعربان والغلمان، ونهبوا جميع ما كان بها، وأسروا النساء والصبيان، وألقوا فيها النار، فأحرقوها بعدما أخلوها من كل صامت وناطق، وبعدما أسرفوا فى قتل من كان بها وبالمدينة حتى تجاوزوا الحد، وخربوا المدينة وألقوا النار فيها فاحترقت. ولقد أخبرنى من لا أتهمه أنه شاهد المماليك، وقد أخذوا النساء، وفجروا بهن فكانت الواحدة منهن إذا قامت من تحت واحد منهم، مضت - إن كان لها ولد - هى وولدها، إلى موضع كان به تبن لتختفى فيه. قال فاجتمع بذلك الموضع نحو الثمانين امرأة، ومعهن أو مع غالبهن أولادهن، وقد زنوا بهن جميعا، ثم أضرموا النار عليهن، فاشتعل التبن فاحترقن جميعا. وأخبرنى الثقة أنه كان يدوس فى المدينة القتلى لكثرتهم بها، وأنه كاد الماء الذى لهم أن يمتلئ بجيف القتلى. ثم رحلوا من الغد يوم الإثنين ثالث عشرينه، وأيديهم قد امتلأت بالنهوب والسبى، فتقطعت منهم عدة نساء من التعب، فمتن عطشا، وبيعت منهن بحلب وغيرها عدة. وكانت هذه الكائنة من مصائب الدهر.

وكنا نستطب إذا مرضنا　　　فجاء الداء من قبل الطبيب

فأما بالعهد من قدم، لقد عهدنا ملك مصر إذا بلغه أحد من ملوك الأقطار أنه قد فعل ما لا يجوز أو فعل ذلك رعيته، بعث منكر عليه ويهدده، فصرنا نحن نأتى من الحرام بأشنعه، ومن القبيح بأفظعه وإلى الله المشتكى.

وفى يوم الثلاثاء ثانى عشر ذى القعدة: نودى على النيل بزيادة إصبع، لتتمة سبعة عشر ذراعا وأربعة عشر إصبعا، ولم يناد عليه من الغد.

وفيه كتب باستدعاء السيد الشريف قاضى القضاة بدمشق، وكاتب السر بها، وناظر الجيش، ونقيب الأشراف شهاب الدين أحمد بن على بن إبراهيم بن عدنان الحسينى، ليستقر فى كتابة السر، وتوجه لإحضاره من دمشق أحد الخاصكية.

وفى يوم الجمعة خامس عشره: نودى على النيل بزيادة إصبعين، بعد رد ما نقصه، لتتمة ستة عشر إصبعا من الذراع الثامنة عشر، وكان قد انقطع بعض جسور النواحى لفساد عملها، فقل وجود الغلال، وارتفع الأردب من مائتين وسبعين إلى ثلاثمائة، واستمرت زيادة النيل إلى يوم الثلاثاء تاسع عشرينه، وقد بلغ ثمانية عشر ذراعا إلا إصبعين، ونقص من يومه خمسة أصابع، لتقطع الجسور، فتكالب الناس على شراء الغلة، وشحت الأنفس ببيعها، حتى قل وجودها وارتفع ثمنها.

شهر ذى الحجة، أوله الخميس:

أهل هذا الشهر والنيل متوقف عن الزيادة، وقد نقص، فمن الله تعالى، ونودى فى يوم السبت ثالثه برد النقص وزيادة تتمة ثمانية عشر ذراعا.

وفى ليلة الخميس ثامنه: قدم السيد الشريف شهاب الدين أحمد من دمشق وقد خرج الأعيان إلى لقائه، وهو موعوك فلزم الفراش.

وفى ثانى عشره – الموافق لخامس عشر توت –: نودى بزيادة إصبعين لتتمة ثمانية عشر ذراعا وعشرين إصبعا ثم نقص من الغد لقطع الصليبيات.

وفى يوم الخميس نصفه: خلع على الشريف شهاب الدين أحمد بن عدنان، واستقر فى كتابة السر عوضا عن الجلال محمد بن مزهر، وعملت للطرحة الخضراء برقمات ذهب، فكان موكبا جليلا إلى الغاية، ركب بين يديه الأمراء والوزراء وقضاة القضاة الأربع، والأعيان، فابتهج الناس به، وسروا بقدومه.

وفى يوم الجمعة سادس عشره: نودى على النيل برد النقص وزيادة إصبع.

وفيه خلع على الجلال محمد بن مزهر، واستقر فى توقيع المقام الناصرى محمد ابن السلطان، كما كان فى أيام أبيه.

وفي رابع عشرينه: قدم الأمير هابيل بن الأمير قرايلك ومن معه في الحديد فشهروا بالقاهرة إلى القلعة، وسجنوا بها.

وفيه قدم مبشرو الحاج.

وفيه نودى على النيل بزيادة إصبع لتتمة تسعة عشر ذراعا وستة عشر إصبعا ووافق ذلك ثامن عشرين توت، ثم لم يناد عليه، فكانت هذه زيادة ماء النيل في هذه السنة.

وفي هذا الشهر: كانت حرب بنواحي المدينة النبوية بين بني حسين، قتل فيها غير واحد من أعيانهم.

وفيه كان خراب مدينة توريز. وسبب ذلك أن متملكها إسكندر بن قرا يوسف قرا محمد بين بيرم خجا، زحف على مدينة السلطانية، وقتل متوليها من جهة ملك المشرق شاه رخ بن تيمور كركان في عدة من أعيانها، ونهب وأفسد، فسار إليه جموع كبيرة، فخرج إسكندر من توريز، وجمع لحربه، ولقيه وقد نزل خارج توريز، فانتدب لمحاربته الأمير قرايلك صاحب آمد، وقد لحق بشاه رخ، وأمده بعسكر كبير، وقاتله خارج توريز في يوم الجمعة سابع عشره، قتالا شديدا، قتل فيه كثير من الفئتين، وانهزم إسكندر وهم في إثره يطلبونه ثلاثة أيام، ففاتهم هذا. وقد نهبت جقطاي عامة تلك البلاد، وقتلوا وسبوا وأسروا وفعلوا ما يشنع ذكره. ثم إن شاه رخ ألزم أهل توريز بمال كبير احتاجهم فيه أموالهم، حتى لم يدع بها ما تمتد إليه العين، ثم جلاهم بأجمعهم إلى سمرقند، فما ترك إلا ضعيفا عاجزا لا خير فيه، ورحل بعد مدة يريد بلاده، وقد اشتد الغلاء معه، فأعقب رحيله عن توريز جراد عظيم، لم يترك بها ولا بجميع أعماله خضرا وانتشرت الأكراد بتلك النواحي تعبث وتفسد، ففقدت الأقوات، حتى أبيع اللحم الرطل بعدة دنانير. وصار فيما بين توريز وبغداد مسافة عشرين يوما وأزيد خرابا يبابا. وأما إسكندر فإنه جال في بلاد الأكراد، وقد وقعت بها الثلوج مدة، ثم صار إلى قلعة سلماس[1] فحصره بها الأكراد فنجا وتشتت في البلاد.

* * *

ومات في هذه السنة من الأعيان

العبد الصالح شمس الدين محمد بن إبراهيم بن أحمد الصوفي، بعد ما عمي سنين، في ليلة الثلاثاء ثالث عشر المحرم. ومولده في سنة تسع وأربعين وسبعمائة. وهو أحد من

---

(١) مدينة مشهورة بأذربيجان. انظر معجم البلدان ١/١٢٨.

صحبته من أهل العبادة والنسك. ورأس مدة. واتصل بالظاهر برقوق. وولى نظر المارستان المنصورى. وجال فى الأقطار، فدخل بغداد والحجاز واليمن والهند، رحمه الله.

ومات شمس الدين محمد بن سعيد المعروف بسويدان أحد أئمة السلطان، فى يوم الإثنين سابع صفر. كان أبوه عبدا أسودا يسكن القرافة. وحفظ هو القرآن مع الأجواق، فأعجب الظاهر برقوق صوته، فجعله أحد أئمته، واستمر، فولاه الناصر فرج حسبة القاهرة. ثم عزل فعاد كما كان يقرأ فى الأجواق عند الناس، ويأخذ الأجرة على ذلك، وصار رئيس جوقة حتى مات على ذلك. وكان أسود اللون.

ومات ناصر الدين محمد بن عبد الوهاب بن محمد البارنباى الشافعى، فى ليلة الأحد حادى عشر شهر ربيع الأول، وقد أناف على الستين. وقد برع فى الفقه وأصوله وفى العربية، والحساب، ودرس وخطب عدة سنين بدمياط، والقاهرة.

ومات الشيخ محمد بن عبد الله بن حسن بن المواز، فى يوم الأحد حادى عشر ربيع الأول. وقد قدم إلى زيارتى على عادته. وطلع إلىّ سلمًا كنت فى بيت بأعلاه، فما هو إلا أن خلع إحدى نعليه، خر على وجهه، ثم رفع رأسه، ونزل إلى الأرض، وأنا أستدنيه إلى، وأعتبه على انقطاعه أياما عنى، فزحف قدر ذراعين وسقط إلى الأرض، فإذا هو قد مات، رحمه الله. فلقد كان لى به أنس وله فى اعتقاد كبير، وبلوت منه تألها وديانة وعبادة مرضية، فرأيته سحر يوم الجمعة العشرين من صفر سنة ثلاث وثلاثين، وقد اضطجعت بعد الوتر، وكأنه قدم علىَّ على عادته لزيارتى فقمت فرحا به وأنا أذكر أنه ميت. وقلت كالمباسط له: «كيف دار البلاء» فهش. فقلت له: «أسلمت من عذاب القبر» قال: «نعم». قلت «وأنت الآن لا تعذب ولا يشوش عليك؟» قال: «نعم». قلت «فلقيت الله». فأيقظنى صوت رجل قريب منى قبل أن يخبرنى، رحمه الله تعالى.

ومات الشيخ شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عبد الله الشطنوفى الشافعى، فى ليلة الإثنين سادس عشرين شهر ربيع الأول، وقد قارب الثمانين، وبرع فى الفقه والفرائض والعربية وغير ذلك. ودرس سنين عديدة، فانتفع به جماعة.

ومات بدر الدين محمد بن محمد بن أحمد بن مزهر الدمشقى، فى ليلة الأحد سابع عشرينه جمادى الآخرة، عن نحو خمسين سنة. ولد سنة ست وثمانين وسبعمائة. وهو من بيت رياسة. ولى أبوه كتابة الإنشاء بدمشق. واشتهرت رياسته ومكارمه، وباشر هو كتابة الإنشاء بدمشق، واتصل بنائبها الأمير شيخ المحمودى، فلما قدم بعد قتل الناصر

فرج إلى القاهرة، كان ممن قدم معه، وولاه نظر الإصطبل. ثم ناب عن القاضى كمال الدين محمد بن البارزى فى كتابة السر، وقام بأعباء الديوان فى أيام العلم داود بن الكويز ومن بعده، واستقل بكتابة السر، فاستبد بتدبير المملكة وكثر ماله، رحمه الله.

ومات نور الدين على السفطى، وكيل بيت المال المعمور فى ليلة الثلاثاء سلخ شهر جمادى الآخرة، وكان مشكور السيرة.

ومات السيد الشريف عجلان بن نعير بن منصور بن جماز بن منصور بن جماز بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنا بن حسين بن مهنا بن داود بن قاسم بن عبيد الله بن طاهر بن يحيى بن الحسين بن جعفر بن الحسين بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب، رضى الله عنه، مقتولا فى ذى الحجة. وقد ولى إمرة المدينة النبوية مرارا، وقبض عليه فى موسم سنة إحدى وعشرين وثمانمائة، وحمل فى الحديد إلى القاهرة، فسجن ببرج فى قلعة الجبل، ثم أفرج عنه وكان فى الإفراج عنه ذكرى من كان له قلب. وهو أن عز الدين عبد العزيز بن على بن العز البغدادى الحنبلى قاضى القضاة ببغداد ثم بدمشق رأى فى منامه كأنه بمسجد الرسول - ﷺ - وإذا بالقبر قد فتح، وخرج منه رسول الله - ﷺ - وجلس على شفيره، وعليه أكفانه، وأشار بيده الكريمة إلى عبد العزيز هذا فقام إليه حتى دنا منه، فقال له: «قل للمؤيد يفرج عن عجلان» فانتبه وصعد إلى قلعة الجبل. وكان من جملة جلساء السلطان الملك المؤيد شيخ المحمودى، وجلس على عادته بمجلسه وحلف له بالأيمان الحرجة أنه ما رأى عجلان قط ولا بينه معرفة. ثم قص عليه رؤياه فسكت ثم خرج بنفسه بعد انقضاء المجلس إلى مرماة النشاب التى قد استجدها بطرف الدركاه، واستدعى بعجلان من سجنه بالبرج، وأفرج عنه، وأحسن إليه. وقد حدثنى قاضى القضاة عز الدين بهذه الرؤيا غير مرة، وعنه كتبتها وعندى مثل هذا الخبر فى حق بنى حسين عدة أخبار صحيحة، فإياك والوقيعة فى أحد منهم، فليست بدعة المبتدع منهم، أو تفريط المفرط منهم فى شىء من العبادات، أو ارتكابه محرما من المحرمات، بمخرجه من بنوة الرسول ﷺ، فالولد ولد على حال، عق أو فجر.

ومات الشريف خشرم بن دوغان بن جعفر بن هبة بن جماز بن منصور بن جماز بن شيحة، الحسين مقتولا فى ذى الحجة أيضا، فى الحرب.

ومات الواعظ المذكر بالله شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عمر بن عبد الله المعروف بالشاب التائب بدمشق، فى يوم الجمعة ثامن عشر رجب عن نحو سبعين سنة، ومولده ومنشأه بالقاهرة. وكان من جملة طلبة العلم الشافعية، ثم صحب فى أثناء عمره

رجلا من الفقراء يعرف بأبى عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن عمر ابن الزيات، أحد أصحاب الشيخ يحيى الصنافيرى، فمال إلى طريقة التصوف، ورحل إلى اليمن. ثم قدم وعمل الميعاد، ونظم الشعر على طريق القوم، وبنى زواية خارج القاهرة، فحصل له قبول من العامة. وسمعت ميعاده بالجامع الأزهر، وقد تكلم فى تفسير آية من كتاب تعالى فأكثر من النقل الجيد بعبارة حسنة، وطريقة مليحة. وحج مرارًا، ثم رحل إلى دمشق وبنى بها زاوية وعمل الميعاد، فأقبل عليه الناس، وزاد اعتقادهم فيه بمصر والشام، حتى توفى. ونعم الرجل كان.

ومات بالنحريرية الأديب المعتقد نور الدين على بن عبد الله الشهير بابن عامرية، فى يوم الخميس سادس عشر شهر ربيع الآخر، وأكثر شعره - رحمه الله - فى المدائح النبوية.

* * *

سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة

أهلت هذه السنة بيوم الجمعة، الموافق له ثانى بابة: والشمس فى نصف برج الميزان، والوقت فصل الخريف.

شهر المحرم:

فى يوم السبت ثانيه: خلع على الأمير زين الدين عبد القادر أستادار خلعة الإستمرار، ثم خلع عليه ثانيا فى يوم الإثنين رابعه، وخلع على الأمير أقبغا الجمالى كاشف الوجه القبلى خلعة الاستمرار؛ وقد أرجف باستقراره أستادارًا وألزم بحمل عشرين ألف دينار.

وفى تاسعه: خلع على الصاحب كريم الدين الوزير، واستقر فى نظر الديوان المفرد، مضافا إلى الوزارة، ليتقوى به الأمير زين الدين أستادار.

وفى ليلة الجمعة تاسعه أو عاشره: أمطرت مدينة حمص مطرًا وابلا، ونزل معه ضفادع خضر حتى امتلأت بها أزقة المدينة وأسطحة الدور.

وفى العشر الثانى من هذا الشهر: حملت نفقة المماليك السلطانية من حاصل الأستادار إلى قلعة الجبل، لتنفق فى المماليك على العادة فى كل شهر، فامتنعوا من قبضها وطلبوا أن يزاد كل واحد على ماله مبلغ ثلاثمائة درهم فى كل شهر وكانوا قد فعلوا ذلك فى نفقة ذى الحجة، حتى زيد كل منهم أربعمائة درهم فى كل شهر فبلغت الزيادتان فى الشهر نحو الخمسة آلاف دينار. وكان قبل رضائهم بذلك قد استطار شرهم، وتعدوا فى العتو طورهم حتى خافهم أعيان أهل الدولة، ووزعوا ما فى دورهم خوف وقوع الفتنة.

وفى حادى عشرينه: قدم ركب من الحاج تقدم أولا، ثم قدم الركب الأول من الغد، وقدم المحمل ببقية الحاج فى ثالث عشرينه.

وفى رابع عشرينه: قدم رسول ملك المشرق - شاه رخ بن تيمور - بكتابه يطلب فيه شرح البخارى للحافظ قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن حجر، وتاريخى السلوك لدول الملوك، ويعرض فيه بأنه يريد أن يكسو الكعبة ويجرى العين بمكة.

وفى ثامن عشره: بعث صاحب تونس وإفريقية وتلمسان[١] - أبو فارس عبد العزيز - أصطولا فيه مائتا فرس، وخمسة عشر ألف مقاتل من العسكرية والمطوعة، لأخذ جزيرة صقلية[٢]، فنازلوا مدينة مارز[٣] حتى أخذوها عنوة، ومضوا إلى مدينة مالطة[٤]. وحصروها حتى لم يبق إلا أخذها فانهزم من جملتهم أحد الأمراء من العلوج، فانهزم المسلمون لهزيمته، فركب الفرنج أقفيتهم، فاستشهد منهم فى الهزيمة خمسون رجلا من الأعيان، ثم إنهم ثبتوا وقبضوا على العلج الذى كادهم بهزيمته، وبعثوا به إلى أبى فارس، فأمدهم بجيوش كثيرة.

شهر صفر، أوله الأحد:

فى رابع عشره: خلع على السيد الشريف شهاب الدين كاتب السر ونزل إلى الجامع المؤيدى، وقد استقر ناظره على العادة، فقرئ به تقليده بكتابة السر، تولى قراءته منشأه القاضى شرف الدين أبو بكر الأشقر نائب كاتب السر. وقد حضر قضاة القضاة الثلاث، ولم يحضر الحنفى، وحضر الأمير أركماس الدوادار، وكثير من الأعيان، فكان من المجامع الحفلة الحشمة.

وفى هذه الأيام: ارتفع سعر الذهب حتى بلغ الدينار الأفرنتى مائتين وستين درهما، وارتفع أيضا سعر الغلال.

وقدم الخبر بغلاء الأسعار بمدينة حلب ودمشق، وأن بدمشق وحمص طاعون فاش فى الناس.

وفى يوم الخميس سادس عشرينه: خلع على قاضى القضاة علم الدين صالح ابن شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقينى، وأعيد إلى قضاء القضاة عوضا عن الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر، وخلع على قاضى القضاة زين الدين عبد الرحمن التفهنى، وأعيد إلى قضاء القضاة الحنفية، عوضا عن بدر الدين محمود العينى، ورسم باستقراره صدر الدين أحمد بن محمود العجمى فى ميشخة خانكاه الأمير شيخو، عوضا عن قاضى القضاة زين الدين التفهنى، ورسم أن لا يزيد الشافعى على عشرة نواب، والحنفى على ثمانية، والمالكى على ستة، والحنبلى على أربعة فكان حسنا إن تم.

---

(١) سبق ترجمتها.

(٢) صَقِلِّيَةُ: من جزائر بحر المغرب مقابلة إفريقية، وهى مثلثة الشكل بين كل زاوية والأخرى مسيرة سبعة أيام. انظر معجم البلدان ٤١٦/٣ وما بعدها.

(٣) مدينة بصقلية. انظر معجم البلدان.

(٤) مَالِطَةُ: بلدة بالأندلس. انظر معجم البلدان ٤٣/٥.

شهر ربيع الأول، أوله الإثنين:

فيه خلع على صدر الدين أحمد بن العجمى، واستقر فى ميشخة الشيخونية.

وفى يوم الثلاثاء سلخه: خلع على سعد الدين إبراهيم بن كريم الدين عبد الكريم ابن سعد الدين بركة كاتب جكم، واستقر فى نظر الخاص، عوضا عن أبيه بعد وفاته، وألزم بحمل ستين ألف دينار، فشرع فى حملها.

وفى هذا الشهر: انحل سعر الغلال، وسبب ذلك أن المحتسب أينال الششمانى منع كل من ورد بغلة إلى ساحلى مصر وبولاق من بيعها، وتشدد فى ذلك، فامتنعوا وأخذوا فى بيع الغلال السلطانية، على أن كل أردب من القمح بثلاثمائة وستين درهما، فتوفرت الغلال فى مدة بيعه، ثم أذن لهم فى بيعها، وقد تكفى الطحانون بغلال السلطان، فانحل السعر و لله الحمد، وربما صحت الأجسام بعد العلل.

شهر ربيع الآخر، أوله الأربعاء:

فى رابعه: خلع على قاضى القضاة بدر الدين محمود العينى الحنفى، واستقر فى الحسبة بالقاهرة ومصر، عوضا عن الأمير أينال الششمانى، مضافا لما معه من نظر الأحباس.

وفى تاسعه: خلع على الأمير شهاب الدين أحمد الدوادار، واستقر فى نيابة الإسكندرية، عوضا عن الأمير أقبغا التمرازى، ورسم بإحضاره.

وفى ثالث عشره: خلع على الصاحب تاج الدين عبد الرزاق بن الهيصم، واعيد إلى نظر الديوان المفرد، عوضا عن الوزير الصاحب كريم الدين عبد الكريم ابن كاتب المناخ.

وفى خامس عشرينه: خلع على الأمير علاء الدين أقبغا الجمالى الكاشف، واستقر أستادارًا، عوضا عن الأمير زين الدين عبد القادر بن أبى الفرج، على أن يحمل مائة ألف دينار بعد تكفية الديوان، فلم ينهض بها.

وفى هذا الشهر: انحل سعر الغلال، فأبيع القمح بمائتين وخمسين درهما الأردب، والشعير بمائة وعشرة دراهم الأردب.

وفيه فشى الطاعون فى الوجه البحرى، سيما فى النحريرية ودمنهور، فمات خلق كثير جدا، بحيث أحصى من مات من أهل المحلة زيادة على خمسة آلاف إنسان. ومن

ناحية صا[١] زيادة على ستمائة إنسان وكان قد وقع بغزة والقدس وصفد ودمشق فى شعبان فى السنة الماضية طاعون، واستمر إلى هذا الشهر. وعد هذا من النوادر، فإن الوقت شتاء، وما عهد فيما أدركناه وقوع الطاعون إلا فى فصل الربيع. ويعلل الأطباء ذلك بسيلان الأخلاط فى الربيع، وجمودها فى الشتاء ولكن الله يفعل ما يريد. وقدم الخبر بشناعة الطاعون بمدينة برصا من بلاد الروم، وأنه زاد عدد من يموت بها فى كل يوم على ألف وخمسمائة إنسان. وأما القاهرة فإنه جرى على ألسنة غالب الناس منذ أول العام أنه يقع فى الناس عظيم، حتى لقد سمعت الأطفال تتحدث بهذا فى الطرقات.

فلما أهل شهر ربيع الآخر هذا: كانت عدة من ورد الديوان فيه من الأموات اثنى عشر إنسانا، وأخذ يتزايد فى كل يوم حتى بلغت عدة من ورد الديوان بالقاهرة فى يوم الأربعاء سلخه ثمانية وأربعين إنسانا. وجملة من أحصاه ديوان القاهرة فى الشهر كله أربعمائة وسبعة وسبعون إنسانا. وبلغ ديوان المواريث بمدينة مصر دون ذلك. هذا سوى من مات بالمارستان، ومن جهز من ديوان الطرحاء على الطرقات من الفقراء، وهم كثير.

شهر جمادى الأولى، أوله الخميس:

فيه برز سعد الدين إبراهيم بن المرة ناظر جدة إلى خارج القاهرة، وقد توجه معه كثير من الناس يريدون العمرة والحج. وفيه بلغت عدة من ورد الديوان بالقاهرة مائة، على أنهم لا يرفعون فى أوراقهم إلى الوزير وغيره إلا بعض من يرد، لا كلهم.

وفيه نودى فى الناس بصيام ثلاثة أيام، وأن يتوبوا إلى الله تعالى من معاصيهم. ويخرجوا من المظالم، ثم يخرجوا فى يوم الأحد رابعه إلى الصحراء. هذا والحكام والولاة على ما هم عليه.

لا تنه عن خلق وتأتى مثله   عار عليك إذا فعلت عظيم

وفى يوم الأحد رابعه: خرج قاضى القضاة علم الدين صالح فى جمع موفور إلى الصحراء خارج باب النصر، وجلس بجانب تربة الظاهر برقوق فوعظ الناس على عادته فى عمل الميعاد، فكثر ضجيج الرجال والنساء وكثر بكاؤهم فى دعائهم وتضرعهم ثم انفضوا قبيل الظهر، فتزايدت عدة الأموات عما كانت.

وفى ثامنه: ورد كتاب إسكندر بن قرا يوسف، بأن شاه رخ عاد إلى بلاده وأنه هو رجع إلى توريز، وقصده أن يمشى بعد انقضاء الشتاء لمحاربة قرايلك صاحب آمد.

---

(١) صا: بالقصر: كورة بمصر يقال لها صا، وصا مسماة بصا بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام. انظر معجم البلدان ٣/٣٨٧.

وقدم كتاب مراد بن عثمن صاحب برصا بأنه هادن الفرنج ثلاث سنين.

وقدم كتاب قرايلك يسأل العفو عن ولده هابيل وإطلاقه.

وفى حادى عشرينه: قبض على الأمير زين الدين عبد القادر بن أبى الفرج وكثير من ألزامه، وسلموا إلى الأمير أقبغا أستادار، ثم أفرج عنه فى رابع عشرينه على مال يحمله.

وفى سادس عشرينه: حضر تجار الإسكندرية وقد طلبوا منها، فأوقفوا بين يدى السلطان، وألزموا جميعهم أن لا يبع أحد منهم شيئا من أصناف البضائع التى تجلب من الهند، كالفلفل ونحوه، لأحد من التجار الفرنج، وهددوا على ذلك. وسبب هذا أن السلطان أقام طائفة تشترى له البضائع وتبيعها، فإذا أخذت بجدة المكوس من التجار التى ترد من الهند، حملت فلفلا وغيره فى بحر القلزم من جدة إلى الطور، ثم حملت من الطور إلى مصر، ثم نقلت فى النيل إلى الإسكندرية، وألزم الفرنج بشراء الحمل من الفلفل بمائة وثلاثين دينارا. هذا وسعره بالقاهرة خمسون دينارا. فبلغ السلطان أن بعض التجار سأل الفرنج بالإسكندرية أن يبتاعوا منه الحمل بأربعة وستين دينارًا، فأبوا أن يأخذوه إلا بتسعة وخمسين، فأحب السلطان عند ذلك الزيادة فى الفوائد، وأن يأخذ ما عند التجار من الفلفل بسعر ما دفع لهم فيه الفرنج، ليبيعه هو على الفرنج بما تقدم ذكره، فمنعهم من بيعهم على الفرنج ليبور عندهم، فيأخذه حينئذ منهم بما يريد.

وفيه أيضا طلب الأمير أقبغا الأستادار الباعة بالقاهرة ومصر ليطرح عليهم السكر، فأغلقوا الحوانيت، وفروا منه، فأعيا الناس شراء الأدوية للمرضى، و لم يكادوا أن يجدوا ما يعللوهم به.

وفى هذا الشهر: شنع الموتان الوحى السريع بالطاعون، والنزلات التى تنحدر من الدماغ إلى الصدر، فيموت الإنسان فى أقل من ساعة، بغير تقدم مرض. وكان أكثر هذا فى الأطفال والشباب، ثم فى العبيد والإماء، وأقله فى النساء والرجال. وتجاوز فى مدينة مصر الفسطاط المائتين فى كل يوم، سوى من لم يرد الديوان. وتجاوز فى القاهرة الثلاثمائة سوى من لم يرد الديوان. وضبط من صلى عليه فى مصليات الجنائز فبلغت عدتهم تزيد على ما أوردوه فى ديوان المواريث زيادة كثيرة. وبلغت عدة من مات بالنحريرية - خاصة - إلى هذا الوقت تسعة آلاف، سوى من لم يعرف، وهم كثير جدا. وبلغت عدة الأموات بالإسكندرية فى كل يوم نحو المائة. وشمل الوباء عامة البحيرة والغربية والقليوبية.

وفى العشر الأخر من هذا الشهر: وجد بالنيل والبرك التى بين القاهرة ومصر كثير من السمك والتماسيح، قد طفت على وجه الماء ميتة، واصطيدت بُنية كبيرة، فإذا هى كإنما صبغت بدم من شدة حمرتها. ووجد فى البرية ما بين السويس والقاهرة عدة كثيرة من الظباء والدياب موتى. وقدم الخبر بوقوع الوباء ببلاد الفرنج.

وفى يوم الخميس سلخه: ضبطت عدة الأموات التى صلى عليها، فبلغت ألفين ومائة، ولم يورد فى أوراق الديوان سوى أربعمائة ونيف.

وفيه مات ببولاق سبعون لم يورد منهم سوى اثنى عشر. وشنع الموتان حتى أن ثمانية عشر من صيادى السمك كانوا فى موضع فمات منهم فى يوم واحد أربعة عشر، ومضى الأربعة ليجهزوهم إلى القبور، فمات منهم وهم مشاة ثلاثة فقام الواحد بشأن السبعة عشر، حتى وصل بهم إلى المقبرة مات أيضا. وركب أربعون رجلا فى مركب، وساروا من مدينة مصر نحو بلاد الصعيد، فماتوا بأجمعهم قبل وصولهم الميمون. ومرت امرأة من مصر تريد القاهرة وهى راكبة على حمار مكارى، فماتت وهى راكبة، وصارت ملقاة بالطريق يومها كله، حتى بدأ تغير ريحها، فدفنت، ولم يعرف لها أهل. وكان الإنسان إذا مات تغير ريحه سريعا، مع شدة برد الزمان. وشنع الموت بخانكاه سرياقوس، حتى بلغت العدة فى كل يوم نحو المائتين، وكثر أيضا بالمنوفية والقليوبية، حتى كاد يموت فى الكفر الواحد فى كل يوم ستمائة إنسان.

شهر جمادى الآخرة، أوله الجمعة:

فيه تزايدت عدة الأموات عما كانت فأحصى فى يوم الإثنين رابعه من أخرج من أبواب القاهرة، فبلغت عدتهم ألفا ومائتى ميت، سوى من خرج عن القاهرة من أهل الحكورة والحسينية وبولاق والصليبة ومدينة مصر والقرافتين والصحراء، وهم أكثر من ذلك. ولم يورد بديوان المواريث بالقاهرة سوى ثلاثمائة وتسعين وذلك أن أناسا عملوا توابيت للسبيل فصار أكثر الناس يحملون موتاهم عليها، ولا يردون الديوان أسماءهم.

وفى هذه الأيام: ارتفعت أسعار الثياب التى تكفن بها الأموات، وارتفع سعر ما تحتاج إليه المرضى كالسكر وبذر الرجلة والكمثرى، على أن القليل من المرضى هو الذى يعالج بالأدوية، بل معظمهم يموت موتا وحيا سريعا فى ساعة وأقل منها وعظم الوباء فى المماليك السلطانية - سكان الطباق بالقلعة - الذين كثر فسادهم وشرهم، وعظم عتوهم وضرهم، بحيث كان يصبح منهم أربعمائة وخمسون مرضى فيموت فى اليوم زيادة على الخمسين مملوكا، وشنع الموت بمدينة فوه ومدينة بلبيس، ووقع ببلاد الصعيد الأدنى[1]. وانقطع الوباء من البحيرة والنحريرية، وكثر بمدينة المحلة.

---

(١) الصعيد الأدنى: من البهنسا إلى قرب الفسطاط. انظر معجم البلدان ٤٠٨/٣.

وفى يوم الخميس سابعه: أحصى من صلى عليه من الأموات فى المصليات المشهورة خاصة، فكانوا نحو الألف ومائتى ميت، وصلى بغير هذه المصليات على ما شاء الله. ولم يورد فى ديوان القاهرة سوى ثلاثمائة وخمسين، وفى ديوان مصر دون الثلاثين. وصلى بها على مائة. وضبط فى يوم السبت تاسعه من صلى عليه بالقاهرة، فكانوا ألفا ومائتين وثلاثا وستين، لم يرد الديوان سوى ما دون الأربعمائة، فكان عدد من صلى عليه بمصلى باب النصر فى هذا اليوم أربعمائة وخمسين ومات بعض الأمراء الألوف، فلم يقدر له على تابوت، حتى أخذ له تابوت من السبيل. ومات ولد لبعض الوزراء فلم يقدر الأعوان - مع كثرتهم وشدتهم - على تابوت له، حتى أخذ له تابوت من المارستان. وبلغ عدد من صلى عليه بمصلى باب النصر فى يوم الأحد عاشره خمسمائة وخمسة، وهى من جملة أربع عشرة مصلى. وبلغت عدة من صلى عليه فى يوم الإثنين حادى عشره فى المصليات المشهورة بالقاهرة وظواهرها ألفين ومائتين وستة أربعين. وانطوى عن الذى ضبط الكثير، ممن لم يصل عليه فيها، وبلغت عدة من صلى عليه بمصلى باب النصر خاصة فى يوم واحد زيادة على ثمانمائة ميت، ومثل ذلك فى مصلى المؤمنى تحت القلعة، وكان يصلى على أربعين ميتا معا، فما تنقضى الصلاة على الأربعين جميعا، حتى يؤتى بعدة أموات وبلغت عدة من خرج من أبواب القاهرة من الأموات اثنا عشر ألفا وثلاثمائة ميت. واتفق فى هذا الوباء غرائب منها أنه كان بالقرافة الكبرى والقرافة الصغرى من السودان نحو ثلاثة آلاف، ما بين رجل وامرأة، صغير وكبير، ففنوا بالطاعون، حتى لم يبق منهم إلا قليل. ففروا إلى أعلى الجبل، وباتوا ليلتهم سهارى لا يأخذهم نوم لشدة ما نزل بهم من فقد أهليهم وظلوا يومهم من الغد بالجبل، فلما كانت الليلة الثانية مات منهم ثلاثون إنسانا، وأصبحوا، فإلى أن يأخذوا فى دفنهم مات منهم ثمانية عشر. واتفق أن إقطاعا بالحلقة انتقل فى أيام قليلة إلى تسعة نفر، وكل منهم يموت، ومن كثرة الشغل بالمرضى والأموات، تعطلت أسواق البز ونحوه من البيع والشراء، وتزايد ازدحام الناس فى طلب الأكفان والنعوش، فحملت الأموات على الألواح والأقفاص وعلى الأيدى وعجز الناس عن دفن أمواتهم، فصاروا يبيتون بها فى المقابر، والحفارون طول ليلتهم يحفرون، وعملوا حفائر كثيرة، تلقى فى الحفرة منها العدة الكثيرة من الأموات وأكلت الكلاب كثيرا من أطراف الأموات، وصار الناس ليلهم كله يسعون فى طلب الغسال والحمالين والأكفان، وترى نعوش الأموات فى الشوارع كأنها قطارات الجمال، لكثرتها والمرور بها متواصلة بعضها فى إثر بعض، فكان هذا من الأهوال التى أدركناها.

وفى يوم الجمعة خامس عشره: جمع السيد الشريف شهاب الدين أحمد بن عدنان كاتب السر بأمر السلطان أربعين شريفا، اسم كل شريف منهم محمد، وفرق فيهم من ماله هو خمسة آلاف درهم، وأجلسهم بالجامع الأزهر، فقرءوا ما تيسر من القرآن الكريم بعد صلاة الجمعة ثم قاموا - هم والناس - على أرجلهم، فدعوا الله تعالى، وقد غص الناس بالجامع الأزهر فلم يزالوا يدعون الله حتى دخل وقت العصر، فصعد الأربعون شريفا إلى أعلى الجامع وأذنوا جميعا، ثم نزلوا فصلوا مع الناس صلاة العصر، وانفضوا، وكان هذا مما أشار به بعض العجم، وأنه عمل هذا ببلاد المشرق فى وباء حدث عندهم فارتفع عقيب ذلك، فلما أصبح الناس يوم السبت أخذ الوباء يتناقص فى كل يوم حتى انقطع وفشا ببلاد الصعيد، وببوادى العرب، وبمدينة حماة، ومدينة حمص. ووجد فى بعض بساتين القاهرة سبعة دياب قد ماتوا بالطاعون. ومات عند رجل أربع دجاجات، وجد فى كل واحدة منهن كبة فى ناحية من بدنها. وكان عند رجل نسناسة فأصابها الطاعون برأسها وأقامت ثلاثة أيام إذا وضع لها الماء والأكل لا تتناول الغذاء وتشرب مرة واحدة فى اليوم، ثم هلكت بعد ثلاث.

وفى ليلة الجمعة التاسع والعشرين: منه خرج بعد غروب الشمس بقليل كوكب فى هيئة الكرة، بقدر جرم القمر فى ليلة البدر، فمر بين المشرق والقبلة إلى جهة المغرب، وتفرق منه شرر كثير من ورائه.

شهر رجب، أوله الأحد:

أهل هذا الشهر والوباء قد تناقص بالقاهرة، إلا أنه منذ نقلت الشمس إلى برج الحمل فى ثامن عشر جمادى الآخرة، ودخل فصل الربيع، فشا الموت فى أعيان الناس وكبرائهم ومن له شهرة، بعدما كان فى الأطفال والخدم، وقد بلغت أثمان الأدوية وما تحتاج إليه المرضى أضعاف ثمنها. وذلك أن الأمراض طالت مددها، بعدما كان الموت وحيا فلا تخلو دار من ميت أو مريض. وشنع فى هذا الوباء ما لم يعهد مثله إلا فى النادر، وهو خلو دور كثيرة جدًا من جميع من كان بها، حتى أن الأموال المخلفة عن عدة من الأموات أخذها من لا يستحقها. وشنع أيضا الموت والأمراض فى المماليك السلطانية، بحيث ورد كتاب من طرابلس فلم يجد الشريف عماد الدين أبو بكر بن على بن إبراهيم ابن عدنان من يتناوله حتى يفتحه السلطان. وكان السيد أبو بكر إذ ذاك يباشر بعد موت أخيه السيد شهاب الدين، وقد عين كتابة السر، فأخبرنى - رحمه الله - أنه خرج من بين يدى السلطان حتى وجد واحدًا من المماليك خارج القصر، فدخل به حتى أخذ الكتاب من القادم به وفتحه ثم قرأه هو على السلطان.

وفى يوم الإثنين تاسعه: خلع على الطواشى زين الدين خشقدم[1]، واستقر مقدم المماليك بعد موت الأمير فخر الدين ياقوت. وخشقدم هذا رومى الجنس، رباه الأمير يشبك وأعتقه، واشتهر فى الأيام المؤيدية شيخ، وترقى حتى عمل نائب المقدم، وعرف بالمهابة والحرمة الوافرة.

وفى سادس عشره: قدم الأمير تغرى بردى المحمودى من سجنه بدمياط، فرسم أن يتوجه من قليوب إلى دمشق، ليكون أتابك العساكر بها، فتوجه إليها.

وفى ثالث عشرينه: خلع على بدر الدين حسن بن القدسى، واستقر فى مشيخة الشيخونية بعد موت صدر الدين أحمد بن محمود العجمى.

وفى هذه الأيام: انحل سعر الغلال، وقد دخلت الغلة الجديدة، فأبيع الشعير بتسعين درهما الأردب، والقمح بمائتين وما دونها، وكثر الإرجاف بحركة قرايلك على البلاد الفراتية وأن شاه رخ بن تيمور شتا على قراباغ، فأخذ السلطان فى تجهيز العسكر للسفر.

---

(١) خُشْقَدَم بن عبد الله اليَشْبَكِي (٨٥٦ هـ = ١٤٥٢ م)، الطوشى الرومى، الأمير زين الدين، مُقَدَّمُ المماليك السلطانية فى الدولة الأشرفية برسباى. أصله من خدام تغرى بردى الأتابكى اشتراه فى نيابته بحلب، ثم قدمه فى جملة خدام ومماليك إلى أستاذه الملك الظاهر برقوق فى سنة تسع وتسعين وسبعمائة، فأنعم به الملك الظاهر على مملوكه الأمير فارس حاجب بالديار المصرية، ثم انتقل من ملك فارس المذكور إلى ملك الأمير يشبك الشعبانى فأعتقه يشبك المذكور، وبه عرف باليشبكى، واستمر خشقدم هذا فى خدمة أستاذه يشبك إلى أن قتل هو والأمير جاركس القاسمى المصارع بيد نوروز الحافظى بالقرب من بعلبك. فى سنة عشرة وثمانمائة عاد إلى خدمة تغرى بردى الأتابكى وصار عنده مقدم المماليك، واستمر على ذلك إلى أن توفى تغرى بردى المذكور فى نيابته الأخيرة بدمشق فى سنة خمس عشرة وثمانمائة، اتصل بخدمة السلطان الملك المؤيد، وصار من جملة الجمدارية الخاص، إلى أن جعله الملك الظاهر ططر نائب مقدم المماليك السلطانية «فاستمر فيها سنين إلى أن نقله الملك الأشرف برسباى إلى تقدمة المماليك السلطانية» بعد موت الأمير الطواشى افتخار الدين ياقوت الأرغون شاوى فى سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة، وولى النيابة من بعده الطواشى الرومى فيروز الركنى، فاستمر خشقدم فى وظيفته إلى أن توفى الملك الأشرف برسباى فى سنة إحدى وأربعين وثمانمائة. وتسلطن ولده الملك العزيز يوسف من بعده. ثم وقع بين الملك العزيز وبين الأتابك حقمق عند خلع الملك العزيز وسلطنة حقمق وقعة، فكان خشقدم هذا من حزب الملك العزيز هو ونائبه فيروز. فلما تسلطن الملك الظاهر حقمق قبض عليهما مع من قبض عليه من الأمراء، وحبسهما بثغر الإسكندرية، فدام خشقدم هذا فى الحبس مدة، ثم نقل إلى القدس، ثم المدينة الشرفية، ثم عاد إلى القاهرة. ودام بها بطالا إلى أن توفى فى شوال سنة ست وخمسين وثمانمائة. انظر المنهل الصافى ٥/ ٢٠٥ وما بعدها، الدليل ١/ ٢٨٥، النجوم ٧/ ٤٧، الوافى ١٣/ ٣١٧.

شهر شعبان، أوله الأربعاء:

فى ثالثه: منع نواب القضاة من الحكم، ورسم أن يقتصر الشافعى على أربعة نواب، والحنفى على ثلاثة، والمالكى والحنبلى كل منهما على نائبين، فما أحسن هذا إن تم.

وفى يوم الإثنين ثامنه: أدير محمل الحاج على العادة، ولم نعهده أدير قط فى شعبان، وإنما يدار دائما فى نحو نصف من شهر رجب، غير أن الضرورة بموت المماليك الرماحة اقتضت تأخير ذلك، حتى أن معلمى اللعب بالرماح أخذوا فى تعليم من بقى من المماليك ما عرفوا منه كيف يمسك الرمح، فكان الجمع فيه دون العادة.

وفى ثالث عشرينه: خلع على جمال الدين يوسف بن أحمد التزمنتى - المعروف بابن المجير - أحد فضلاء الشافعية، واستقر فى مشيخة الخانكاه الصلاحية سعيد السعداء. وكان قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن المحمرة قد استنابه فيها. واستقر أيضا بدر الدين محمد بن عبد العزيز - المعروف بابن الأمانة - أحد خلفاء الحكم الشافعى فى تدريس الشافعية بالشيخونية، وكان ابن المحمرة قد استنابه عنه، فاستقل كل منهما بالوظيفة عوضا عن مستنيبه بحكم إقامته على قضاء دمشق. وخلع أيضا على أمين الدين يحيى بن محمد الأقصراى، واستقر فى مشيخة الأشرفية المستجدة، وتدريس الحنفية بها، عوضا عن كمال الدين محمد بن الهمام لرغبته عنها، تعففا وزهادة.

وفى هذا الشهر: انحطت الأسعار فأبيع القمح بمائة وخمسين درهما الأردب فما دونها، والشعير بتسعين فما دونها، والفول بسبعين درهما فما دونها. وبلغ الدينار الأشرفى إلى مائتين وثمانين درهما، والأفرنتى إلى مائتين وستين.

وفيه كثر الاستعداد لسفر السلطان.

شهر رمضان، أوله الأربعاء:

فى تاسعه: قرر السلطان فى جامعه المستجد بجوار قيسارية العنبر من القاهرة دروسا ثلاثة، فجعل مدرس الشافعية شمس الدين محمد بن على بن محمد بن يعقوب القاياتى. وقرر عنده عشرين طالبا، وجعل مدرس المالكية عبادة بن على بن صالح الزرزارى، مولده سنة ثمان وسبعين وسبعمائة وعنده عشرة من الطلبة وجعل مدرس الحنابلة زين الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله المعروف بابن الزركشى، ومعه عشرة من الطلبة. ومولد عبد الرحمن الزركشى فى تاسع عشر شهر رجب سنة ثمان وخمسين وسبعمائة. وسمع على محمد بن إبراهيم البنانى صحيح مسلم.

وفى يوم السبت ثامن عشره: قدم كاتب السر بحلب، شهاب الدين أحمد بن صالح ابن السفاح، باستدعاء ليستقر فى كتابة السر بديار مصر، ويستقر عوضه فى كتابة السر بحلب ابنه زين الدين عمر، على أن يحمل عشرة آلاف دينار. وكانت كتابة السر قد شغرت بعد موت السيد الشريف شهاب الدين، فباشر أخوه عماد الدين أبو بكر أياما قلائل، ومات فباشر شرف الدين أبو بكر الأشقر نيابة حتى يلى أحد، وسعى فيها جماعة، فاختار السلطان ابن السفاح، وبعث فى طلبه وخلع عليه فى عشرينه.

وفى ثالث عشرينه: قدم رجل أدعى أنه شريف - اسمه هاشم - بكتاب شاه رخ ابن تيمور، ومعه هدية هى عدة قطع فيروزج، ولم يختم الكتاب، ولا كتب فيه بسملة، بل ابتدأه بقوله تعالى: ﴿**ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل**﴾[1] إلى آخر السورة، وخاطب السلطان فيه بالأمير برسباى، وأبرق وأرعد.

وفى تاسع عشرينه: ابتدئ بالنداء على النيل، وقد بلغت القاعدة ستة أذرع وثلاثة أصابع.

شهر شوال، أوله الخميس:

أهل هذا الشهر وعامة المبيعات من الغلال واللحوم والفواكه رخيصة جدا.

وفى يوم الثلاثاء عشرينه: برز محمل الحاج وكسوة الكعبة إلى الريدانية خارج القاهرة. فرحل الركب الأول فى ثانى عشرينه، ورحل المحمل من بركة الحاج فى ثالث عشرينه.

وفى يوم الخميس ثانى عشرينه: نودى على النيل بزيادة إصبع واحد لتتمة خمسة وعشرين إصبعا من الذراع التاسعة، ولم يناد عليه من الغد، فتوقفت الزيادة، ثم نودى عليه من يوم الأحد.

وفى يوم السبت رابع عشرينه: قدم المماليك السلطانية من التجريدة إلى الرها. وخلع على سليمان بن عذراء بن على بن نعير بن حيار بن مهنا، واستقر أمير الملأ عوضا عن مدلج بن نعير، وعمره نحو خمس عشرة سنة.

شهر ذى القعدة، أوله السبت:

فى ثانيه: قدم رسول شاه رخ أيضا بكتابه.

---

(١) سورة الفيل آية (١).

وفى ثالثه: خلع على الوزير الصاحب كريم الدين ابن كاتب المناخ، واستقر أستادارًا عوضا عن الأمير علاء الدين آقبغا الجمالى مضافا إلى الوزارة.

وفى سادس عشره: قبض على آقبغا الجمالى، وعوقب على المال.

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشره - وخامس عشر مسرى -: كان وفاء النيل ستة عشر ذراعا، فركب السلطان حتى خلق المقياس، وفتح الخليج. ولم يركب لذلك منذ تسلطن إلا هذه السنة.

وفى رابع عشرينه: خلع على آقبغا الجمالى وأخرج لكشف الجسور.

وفى سادس عشرينه: نودى على النيل بزيادة ثلاثة أصابع لتتمة سبعة عشر ذراعا، وتسعة أصابع.

وفيه نقص النيل لتقطع الجسور، من فساد عمالها، فتوقفت الزيادة.

وفى ليلة السبت خامس عشره: ظهر للحجاج - وهم سائرون من جهة البحر الملح. - كوكب يرتفع ويعظم، ثم يفرع منه شرر كبار، ثم اجتمع. فلما أصبحوا اشتد عليهم الحر فهلك من المشاة ثم من الركبان عالم كثير، وتلف من جمالهم وحميرهم عدد عظيم، وهلك أيضا فى بعض أودية ينبع جميع ما كان فيه من الإبل والغنم، كل ذلك من شدة الحر والعطش.

شهر ذى الحجة، أوله الإثنين:

فيه نودى على النيل برد النقص وزيادة ثلاثة أصابع، لتتمة سبعة عشر ذراعا ونصف.

وفى يوم الثلاثاء ثامنه: نزل السلطان من قلعة الجبل إلى بيت ابن البارزى المطل على النيل، وقدم بين يديه فى النيل غرابان حربية، فلعبا كما لو حاربا الفرنج، ثم ركب سريعا، وعاد إلى القلعة.

وفى عاشره: توجه عظيم الدولة القاضى زين الدين عبد الباسط ناظر الجيوش ومدبر الدولة فى جماعته لزيارة القدس.

وفى عشرينه - الموافق لثانى عشر توت -: نودى على النيل بزيادة إصبع واحد، لتتمة تسعة عشر ذراعا وعشر أصابع ولم يناد عليه من الغد، ونقص عشر أصابع لتقطع الجسور.

وفى سابع عشرينه: قدم مبشرو الحاج، وأخبروا بهلاك من هلك من العطش.

وفى تاسع عشرينه: قدم القاضى زين الدين عبد الباسط من القدس.

وفى سلخه: نودى على النيل برد النقص وزيادة إصبعين.

وفى هذا الشهر: توجه الأمير قصروه نائب حلب والأمراء المجردون من مصر بمن معهم لمحاربة قرقماس بن حسين بن نعير، فلقوا جمائعه تجاه قلعة جعبر[1] وقد أخلى الجليل، فأخذ العسكر فى نهب البيوت، فخر عليهم العرب فقتلوا كثيرا منهم، وفيهم أتابك حلب، وسلبوهم، فعادوا إلى حلب بأسوأ حال.

فكانت هذه السنة ذات مكاره عديدة من أوبئة شنعة، وحروب وفتن، فكان بأرض مصر - بحريها وقبليها - وبالقاهرة ومصر وظواهرهما، وباء مات فيه - على أقل ما قيل - مائة ألف إنسان والمجازف يقول المائة ألف من القاهرة فقط، سوى من مات بالوجه القبلى والوجه البحرى، وهم مثلى ذلك، وغرق ببحر القلزم فى شهر ذى القعدة مركب فيه حجاج وتجار يزيد عددهم على ثمانمائة إنسان، لم ينج منهم سوى ثلاثة رجال، وهلك باقيهم، وهلك فى ذى القعدة أيضا بطريق مكة - فيما بين الأزلم وينبع - بالحر والعطش ثلاثة آلاف ويقول المكثر خمسة آلاف، وغرق بالنيل فى مدة يسيرة اثنتا عشرة سفينة، تلف من البضائع والغلال ما قيمته مال عظيم. وكان بغزة والرملة والقدس وصفد ودمشق وحمص وحماة وحلب وأعمالها وباء، هلك فيه خلائق لا يحصى عددها إلا الله تعالى. وكان ببلاد المشرق بلاء عظيم، وهو أن شاه رخ بن تيمور ملك المشرق، قدم إلى توريز فى عسكر يقول المجازف عدتهم سبعمائة ألف. فأقام على خوى[2] نحو شهرين، وقد فر منه إسكندر بن قرا يوسف، فقدم عليه الأمير عثمن بن طر على - المعروف بقرايلك التركمانى - صاحب آمد فى ألف فارس، فبعثه على عسكر لمحاربة إسكندر، وسار فى إثره، وقد جمع إسكندر جمعا يقول المجازف إنهم سبعون ألفا، فاقتتل الفريقان خارج توريز، فقتل بينهما آلاف من الناس، وانهزم إسكندر وهم فى أثره يقتلون ويأسرون وينهبون فأقام إسكندر ببلاد الكرج، ثم نزل بقلعة سلماس، وحصرته العساكر مدة، فنجا منهم، وجمع نحو الأربعة آلاف، فبعث إليه شاه رخ عسكرا أوقعوا به وقتلوا من معه، فنجا بنفسه جريحا.

---

(١) قلعة جعبر: على الفرات مقابل صفين التى كانت فيها الوقعة بين معاوية وأمير المؤمنين على ابن أبى طالب رضى الله عنهما. انظر معجم البلدان ٤/٣٩٠.

(٢) خوى: إحدى مدن أذربيجان. انظر تقويم البلدان.

وفى مدة هذه الحروب ثار أصبهان بن قرا يوسف، ونزل على الموصل ونهب تلك الأعمال، وقتل وأفسد فسادا كبيرا، وكانت بعراقى العرب والعجم نهوب وغارات ومقاتل، بحيث أن شاه محمد بن قرا يوسف - متملك بغداد - من عجزه لا يتجاسر على أن يتجاوز سور بغداد، وخلا أحد جانبى بغداد من السكان، وزال عن بغداد اسم التمدن، ورحل عنها حتى الحياك، وجف أكثر النخل من أعمالها، ومع هذا كله، فوضع شاه رخ على أهل توريز مال الأمان، حتى ذهبت فى جبايته نعمهم، ثم جلاهم بأجمعهم إلى بلاده، وكثر الإرجاف بقدومه إلى الشام، فأوقع الله فى عسكره الغلاء والوباء حتى عاد إلى جهة بلاده، وعاد قرايلك إلى ماردين فنهبها، ونهب ملطية وما حولها إلى عينتاب وحرقها.

وكان ببلاد السراى والدشت وصحارى فى هذه السنة والتى قبلها قحط شديد، ووباء عظيم جدا، هلك فيه عالم كبير، بحيث لم يبق منهم ولا من أنعامهم إلا أقل من القليل. وكان ببلاد الحبشة بلاء لا يمكن وصفه، وذلك أنا أدركنا ملكها داود بن سيف أرعد بن قسطنطين - ويقال له الحطى - ملك أمحرة، وهو وهم نصارى يعقوبية. فلما مات فى سنة اثنتى عشرة وثمانمائة، قام من بعده ابنه تدرس بن داود، فلم تطل مدته، ومات. فملك بعده أخوه أبرم، ويقال له إسحاق بن دواد بن سيف أرعد، وفخم أمره، وذلك أن بعض مماليك الأمير بزلار نائب الشام ترقى فى الخدم، وعرف بألطنبغا مغرق، حتى باشر ولاية قوص من بلاد الصعيد، ثم فر إلى الحبشة واتصل بالحطى هذا، وعلّم اتباعه لعب الرمح، ورمى النشاب وغير ذلك من أدوات الحروب، ثم لحق بالحطى أيضا بعض المماليك الجراكسة - وكان زرد كاشا - فعل له زرد خاناه ملوكية، وتوجه إليه مع ذلك رجل من كُتاب مصر الأقباط النصارى - يقال له فخر الدولة - فرتب له مملكته، وجبى الأموال وجند له الجنود، حتى كثر ترفه، بحيث أخبرنى من شاهده وقد ركب فى موكب جليل وفى يده صليب من ياقوت أحمر، وقد قبض عليه ووضع يده على فخذه، فصار يبين ويظهر لهذا الصليب الياقوت طرفان كبيران من قبضته، فشرهت نفسه إلى أخذ ممالك الإسلام لكثرة ما وصف له هؤلاء من محاسنها، فبعث بالتوريزى التاجر ليدعو الفرنج للقيام معه، وأوقع فى بمن مملكته من المسلمين، فقتل منهم وأسر وسبى عالما عظيما. وكان ممن أسر منصورًا ومحمدًا، ولدى سعد الدين محمد بن أحمد على بن وَلَصْمَع الجبرتى - ملك المسلمين بالحبشة، فعاجله الله بنقمته، وهلك فى شهر ذى القعدة، فأقيم بعده ابنه اندراس بن إسحاق، فهلك لأربعة أشهر، فأقيم بعده عمه حَزْبناى بن داود بن سيف أرعد، فهلك فى شهر رمضان سنة أربع وثلاثين، فأقيم بعده

ابن أخيه سلمون بن إسحاق بن داود بن سيف أرعد، فكانت على أمحرة أربعة ملوك فى أقل من سنة.

وفى هذه المدة: ثار جمال الدين ابن الملك سعد الدين محمد بن أحمد بن على بن ولصمع الجبرتى. وذلك أن سعد الدين محمد لما قام بأمر المسلمين أكثر من محاربة النصارى، واتسعت مملكته، وحارب الحطى غير مرة حتى استشهد بعد سنة عشر وثمانمائة، فتمزق أصحابه، وذهب ملكه، ولحق أولاده بزبيد، فأكرمهم ملك اليمن، ثم عادوا إلى الحبشة بعد سنين، فقام بالأمر صبر الدين على بن سعد الدين مدة ثمانى سنين، ومات، فقام من بعده أخوه منصور بن سعد الدين بأمر المسلمين فى بلاد الحبشة، وحارب الحطى مرارًا آخرها فى سنة ثمان وعشرين وثمانمائة، وقد سار إليه فى عدد جم، وأوقع بالنصارى واقعة شنعاء، قتل فيها وأسر وسبى عالما كبيرا، بحيث كان عدة من أسر عشرة آلاف، ورجع مظفرا منصورًا، فسار عليه الحطى فى آلاف كثيرة وواقعه، فقتل من أمحرة أتباع الحطى خلق كبير، ولم يقتل من المسلمين سوى دون العشرين رجلا، إلا أنه وقع فى قبضة الحطى إسحاق بن داود بن سيف أرعد منصور بن سعد الدين[1]، وأخوه محمد، وانهزم المسلمون، فقيدهما ورجع إلى مقر ملكه، وقد كاد يطير

(١) إسحاق بن داود بن يوسف أرعد، ملك الحبشة، وصاحب أمحر الملقب بالحطىء (٨٣٣ هـ، ١٤٣٠م). قال المقرزى فى «الإلمام» ص: ٤ وما بعدها. أدركنا أبا داود، وقدمت رسله بكتابه وهديته إلى الملك الظاهر برقوق، وهلك سنة اثنتى عشرة وثمانمائة، وقد طالت مدته فأقيم بعده ابنه تَدْرُوس وهلك سريعا، فأقيم من بعده أخوه إسحاق، وفخم أمره، وذلك أن بعض المماليك الأتراك أو الجراكسة كان يسمى ألطنبغا مغرق فر إليه وحظى عنده لما يتقنه من الآلات الحربية وأدوات القتال كاللعب بالرمح ورمى السهام ونحو ذلك، ولحق به أيضا زردكاش من المماليك الجراكسة فعمل له زردخاناة عظيمة، وتعلم عسكره أنواعا من صنائع الحرب، ثم قدم عليه رجل من كتاب مصر النصارى يعرف بفخر الدولة، فرتب له مملكته وجبى له الأموال، فصار ملكا بعدما كانت مملكته ومملكة أبائه همجا، ولا ديوان لها ولا قانون، فانضبطت عنده الأمور، وتميز زيه عن رعيته، بحيث أخبرنى من شاهده وهو راكب وفى يده صليب من ياقوت أحمر قد قبض عليه بيده اليمنى، ووضعها على فخذه، وطرفا الصليب بارزان عن يده، وذلك بعدما أخبرنى برهان الدين إبراهيم الدمياطى، وكان الظاهر برقوق بعثه رسولا إلى الحطى داود بن يوسف أرعد، أنه لا يزال عريانا، حاسر الرأس، وأنه يعصب رأسه بعصابة حمراء، وانه شاهده وقد جئ إليه بكرش بقوة قد نفض منها ما فيها من الفرث ولم تغسل على نار فصار يأكلها نيئة وما بقى بها من الفرث يسيل من جانبى فمه. فلما كبرت مملكة إسحاق وسوس إليه شياطينه بأخذ ممالك الإسلام فأوقع بمن فى ممالك الحبشة من المشلمين وقائع شنيعة طويلة، قتل منهم فيها وسبى وأسر مما لا يحصيهم إلا الله خالقهم، فأزال دولة سعد الدين وأسر ابنه منصور أبو محمد، وكتب إلى بلاد الفرنج من بها من الفرنج على «المسير إلى=

فرحا، فلما قرب من مدينة الملك، أركب الملك المنصور كهيئته فى مملكته، وسار فى العساكر به حتى دخل المدينة، فأنزله وأخاه محمدا بدار وأجرى لهم ما يليق بهما، ووكل بهما الحرس، فقام بأمر المسلمين بعد منصور أخوه جمال الدين بن سعد الدين، فلما مات الحطى إسحاق بن داود جمع جمال الدين المسلمين وأغار على بلاد أمحرة، فدوخ تلك البلاد، وقتل وأسر وسبى عالما عظيما، واستسلم منهم أمما كثيرة، فأقر كل من أسلم ببلاده، وولى عليهم من قبله، فاتسع نطاق مملكته، وقويت عساكره، وكثرت أموالهم، وبعث بالسبى إلى الآفاق، فكثر الرقيق من العبيد والإماء ببلاد اليمن والهند وهرمز والحجاز ومصر والشام والروم، وظهر من ثبات جمال الدين وشجاعته وصرامته ومهابته وعدله ما يتعجب منه، بحيث أن بعض أولاده الصغار لعب مع صبيان من الحبشة، فضرب منهم صبيا كسر يده، فكتموا ذلك عنه مدة ثم بلغه الخبر، فجمع أعيان الدولة ولامهم على كتمان خبر ولده عنه، ثم أمر بولده فجيء به محمولا على الكتف لصغره حتى يقتص به، فقام إليه الأعيان بأجمعهم يشفعون فيه ويلتزمون بإحضار أولياء الغريم، فلم يقبل شفاعتهم فيه، فأحضروا أبا الصبى وأهله، فأسقطوا حقهم، وتضرعوا إليه جهدهم فى العفو عن ولده، فلم يجبهم، وأخذ ابنه بيده، ومد يَدَهُ على حجر، وضرب عضده بحديدة، فكسره، والأعيان قيام يبكون لبكاء الصغير، وهو يقول له: «تألم كما آلمت هذا الصغير». ثم سار به الخدم وهو يصيح من الألم إلى أمه، حتى تمرضه فكان يوما مهولا، و لم يجسر بعد ذلك أحد فى مملكته أن يظلم أحدًا. وله من هذا النمط عدة أخبار، مع العفة والنسك والاستبداد بجميع أموره، وأمور مملكته، ووفور الحرمة، وقمع أهل الفساد، وإزالة المنكرات، فالله يؤيده بعونه.

وأما بلاد المغرب، فإن متملك فاس أبا زيد عبد الرحمن حفيد السلطان أبى سالم إبراهيم، ثار عليه السعيد أبو عبد الله محمد المعروف بالجبلى ابن أبى عامر عبد الله بن أبى سعيد عثمان بن أبى العباس أحمد بن أبى سالم إبراهيم بن أبى الحسن، فى أوائل سنة ثمان وعشرين، وملك فاس، وقتله، وخرج إلى الشاوية فقتلوه، وأقيم ولده أبو عبد الله محمد، فقام الوزير صالح وبايع الناصر أبى على بن أبى سعيد عثمان، فقدم أبو عمرو بن السعيد محمد بن عبد العزيز بن أبى الحسن من إفريقية، وملك فاس، ثم فر، فأعيد الناصر

=بلاد» المسلمين ليوافوه بالبحر إذا قدم هو فى البر، وواعدهم على ذلك فعاجله الله بنفسه وأهلكه عقيب ذلك فى ذى القعدة سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة، وأيد عليه وعلى قومه - أمحرة النصارى - جمال الدين بن سعد الدين محمد فجمع من المسمين طائفة وقام يعيث فى بلاد الحطى ويسبى ويغنم. انظر المنهل الصافى ٢/ ٣٥٨ وما بعدها.

أبو على، فعالجه أخوه أبو محمد عبد الحق بن أبى سعيد(١) وملك فاس بعد قتال فى آخر شهر رجب، سنة ثلاث وثلاثين.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

ولى الدين محمد بن الدمياطى فى ليلة الثلاثاء ثانى شهر ربيع الأول، وقد تجاوز الثمانين، ولى وكالة بيت المال ونظر الكسوة فى الأيام الناصرية، ثم تعطل حتى مات، وكان قليل الشر.

ومات شرف الدين أبو الطيب بن تاج الدين عبد الوهاب بن نصر الله فى ليلة الأربعاء سابع عشر شهر ربيع الأول، ومولده فى ليلة السبت خامس عشرين شهر ذى القعدة، سنة سبع وتسعين وسبعمائة. وكتب فى الأنشاء، وولى نظر وقف الأشراف ونظر الكسوة، ودار الضرب، فشكرت سيرته.

ومات كريم الدين عبد الكريم بن سعد الدين بركة، المعروف بابن كاتب جكم، ناظر الخاص، فى ليلة الجمعة العشرين من شهر ربيع الأول. خدم أبوه بكتابة الديونة حتى باشر ديوان الأمير جكم، وترقى ابنه كريم الدين فى الخدم الديوانية، وباشر استيفاء الدولة ثم نظر الدولة ثم نظر الخاص. وكان مشكورا، فيه خير وبر، وله صدقات كثيرة.

ومات الأمير أزبك الدوادار بالقدس، فى يوم الثلاثاء سادس عشر شهر ربيع الأول، وهو أحد مماليك الظاهر برقوق. وكان غير مشهور بارتكاب الفواحش.

ومات الأمير كمشبغا الفيسى بدمشق فى رابع عشر شهر ربيع الآخر، وهو أحد الأمراء الناصرية فرج. وكان بها أمير أخور، ثم انحطت رتبته فى الأيام المؤيدية، وأخرج إلى الشام ولم يشهر بشىء من الخير.

ومات الملك المظفر أحمد بن المؤيد شيخ المحمودى بثغر الإسكندرية، فى ليلة الخميس آخر شهر جمادى الأولى، هو وأخوه إبراهيم، وحملا إلى القاهرة، بعدما دفنا بالثغر، فقدما فى يوم الإثنين نصف شعبان، ودفنا بجوار أبيهما فى القبة من الجامع المؤيدى، ولم يبق للمؤيد بعدهما ولد ذكر.

---

(١) المرينى (٨٦٩ هـ = ١٤٦٥ م). عبد الحق بن عثمان بن أحمد، أبو محمد المرينى: آخر ملوك بنى مرين، من بنى عبد الحق بالمغرب. قال السلاوى. وهو أطولهم مدة. وأعظمهم محنة وشدة ولى بفاس بعد وفاة أبيه سنة ٨٢٣ هـ. انظر الاستقصا ١٤٩/٢، جذوة الاقتباس ٢٧٤، ٣٣٦، لقط الفرائد - خ - الضوء اللامع ٣٧/٤ ابن إياس ١٥٣، سلوة الأنفاس ١٦٨/٣. الأعلام ٢٨١/٣.

ومات الشريف على بن عنان بن مغامس بن رميثة بن أبى نمى محمد بن حسن بن على بن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسن بن سليمان ابن على بن عبد الله بن محمد بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب، رضى الله عنه، أمير مكة، وهو بالقاهرة، مطعونا، فى يوم الأحد ثالث جمادى الآخرة. وكان قد توجه بعد عزله إلى بلاد المغرب، فأكرمه أبو فارس عبد العزيز صاحب تونس، ثم عاد فطالت عطلته وإقامته بالقاهرة. وكان جميل المحاضرة، له معرفة بالأدب.

ومات الأمير بيبغا المظفرى، فى ليلة الأربعاء سادس جمادى الآخرة. وهو أحد المماليك الظاهرية، وترقى فى الخدم حتى صار من أمراء الألوف فى الأيام الناصرية فرج، ونكب وسجن مرارا، وعمل أتابك العساكر، وكان تركى الجنس، قوى النفس، لم يبك منه على دين ولا دنيا.

ومات الأمير برد بك أحد الألوف، فى يوم الأحد، عاشر جمادى الآخرة.

ومات الأمير صارم الدين إبراهيم ابن الأمير الوزير ناصر الدين محمد بن الحسام الصقرى، فى ليلة الثلاثاء ثامن عشر جمادى الآخرة. وكان يتزيا بزى الأجناد، ويكتب الخط المنسوب، ويحب الأدب وأهل الفضائل، وباشر الحسبة فى الأيام المؤيدية شيخ.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن السلطان الملك الناصر فرج بن الظاهر برقوق بالإسكندرية فى يوم الإثنين حادى عشره؛ وله من العمر إحدى وعشرون سنة، وأمه أم ولد، اسمها عاقولة.

ومات الأمير زين الدين قاسم ابن الأمير الكبير كمشبغا الحموى، أحد الحجاب، فى ليلة الثلاثاء تاسع عشره.

ومات الشيخ يحيى سيف الدين يوسف بن محمد بن عيسى السيرامى، الحنفى، شيخ الظاهرية المستجدة، بين القصرين. وكان من أعيان الفقهاء الحنفية، وفضلائهم، أفتى ودرس عدة سنين.

ومات الخليفة أمير المؤمنين المستعين بالله أبو الفضل العباس بن المتوكل على الله أبى عبد الله محمد بن المعتضد بالله أبى الفتح أبى بكر بن المستكفى بالله أبى الربيع سليمان ابن الحاكم أبى العباس أحمد بن أبى على الحسن بن أبى بكر العباسى بالإسكندرية، فى يوم الأربعاء العشرين من جمادى الآخرة، ولم يبلغ الأربعين وترك ولدًا ذكرًا اسمه يحيى. وكان خيرًا دينا هينا لينا، حشما وقورًا، إلا أن الأيام لم تسعده، والأقدار لم تساعده.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن السلطان الملك الأشرف برسباى، فى يوم الثلاثاء سادس عشرينه. وقد ترشح للسلطنة بعد أبيه، فدفن على أمه بالأشرفية المستجدة بالقاهرة.

ومات الأمير الطواشى مرجان الهندى الخازندار، فى سادس عشرين جمادى الآخرة، وبلغ فى أيام السلطان الملك المؤيد شيخ مبلغا كبيرًا من التمكن فى الدولة، ثم انحط بعد موته.

ومات الأمير زين الدين عبد القادر أستادار ابن الأمير الوزير أستادار فخر الدين عبد الغنى بن الأمير الوزير أستادار عبد الرزاق بن أبى الفرج، فى يوم الأربعاء سابع عشرينه، ودفن على أبيه بمدرسته، وكان ساكنا لينا محبا لأهل الخير.

ومات السلطان الملك الصالح محمد بن الظاهر ططر، فى ليلة الخميس ثامن عشرينه، وانقرض بموته عقب ططر.

ومات السيد الشريف شهاب الدين أحمد بن علاء الدين على بن برهان الدين إبراهيم بن عدنان بن جعفر بن محمد بن عدنان الحسينى كاتب السر، فى ليلة الخميس ثامن عشرين جمادى الآخرة. ومولده فى سابع شوال سنة أربع وسبعين وسبعمائة بدمشق. ونشأ بها، وولى كتابة السر، وقضاء القضاة الشافعية، ونظر الجيش بها، ثم طُلب وولى كتابة السر بديار مصر، فسار فيها أجمل سيرة ، رحمه الله.

ومات تقى الدين يحيى بن العلامة شمس الدين محمد الكرمانى الشافعى، فى يوم الخميس ثامن عشرين جمادى الآخرة، وكان فاضلا فى عدة فنون، قدم من بغداد قبل سنة ثمانمائة، وأشهر شرح أبيه على البخارى، وصحب الأمير شيخ المحمودى، وسافر معه إلى طرابلس لما ولى نيابتها، وتقلب معه فى أطوار تلك الفتن، وقدم معه القاهرة، فلما تسلطن، عمله ناظر المارستان المنصورى. وكان ثقيل السمع.

ومات الشريف سرداح بن مقبل بن نخبار بن مقبل بن محمد بن راجح بن إدريس بن حسن بن أبى عزيزة قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسن بن سليمان بن على بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه فى آخر جمادى الآخرة، وولى أبوه مقبل ابن نخبار إمرة ينبع مدة، ثم وثب عليه ابن أخيه عقيل بن وبير بن نخبار وحاربه بأهل الدولة فى سنة خمس وعشرين وثمانمائة، ثم قبض عليه وحمل إلى سجن الإسكندرية، فمات به، وكحل ابنه سرداح هذا حتى تفقأت حدقتاه وسالتا، وورم دماغه، ونتن.

فتوجه بعد مدة من عماه إلى المدينة النبوية، ووقف عند قبر المصطفى ﷺ وشكا ما به، وبات تلك الليلة، وأصبح وعيناه أحسن ما كانتا. وذلك أنه رأى رسول الله ﷺ، فمسح عينيه بيده المقدسة، فانتبه وهو يبصر، واشتهر ذلك عند أهل المدينة، ثم قدم القاهرة، فشق ذلك على السلطان وأغضبه، واستدعى الذين تولوا كحله، وسمل عينيه، وضربهما. فأقاما عنده من أخبره بمشاهدة الميل وقد أحمى فى النار ثم كحل به فسالت حدقتاه بحضورهم، وكذلك أخبر أهل المدينة أنهم رأوه ذاهب الحدقتين، وأنه أصبح عندهم وهو يبصر، وقص عليهم رؤياه، فترك حاله حتى مات بالطاعون، فضم - أعزك الله - هذه إلى قضية عجلان بن نعير وأخواتها، وتنبه بها لإكرام الله تعالى لآل بيت نبيه ﷺ عساك تقوم لهم ببعض ما يجب من حقوقهم، إن وفقك الله لذلك.

ومات الطبيب الفاضل جمال الدين يوسف بن البرهان إبراهيم بن عبد الله بن داود ابن أبى الفضل بن أبى المنى بن أبى البيان الدوادارى الإسرائيلى فى أول شهر رجب، وقد أناف على التسعين.

ومات الأمير الطواشى فخر الدين ياقوت مقدم المماليك، فى يوم الإثنين ثانى شهر رجب. وكان حبشى الجنس، وشهرته جميلة.

ومات الأمير سيف الدين يشبك أخو السلطان، فى رابع رجب، وهو أحد الأمراء الألوف.

وماتت خوند هاجر ابنة الأمير منكلى بغا الشمسى، فى رابع رجب، وأمها خوند فاطمة بنت الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون وتزوجها الظاهر برقوق بكرا، وحظيت عنده حتى مات. وهى آخر نسائه موتا، ولم تعقب.

ومات الشيخ نصر الله بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل العجمى، فى ليلة الجمعة سادس رجب. وكان قدم القاهرة بعد الثمانمائة على قدم التجريد، فصحب الأمراء حتى كثر ماله، وعين لكتابة السر، وكان يكتب الخط المنسوب، ويتكلم فى علم التصوف على طريقة ابن العربى، وله مشاركة فى فنون وعدة مصنفات.

ومات فخر الدين ماجد، ويدعى عبد الله بن السديد، أبى الفضائل بن سناء الملك المعروف بابن المزوق فى ليلة الخميس ثانى عشر رجب. وولى كتابة السر، ونظر الجيش فى الأيام الناصرية، ثم ولى نظر الإصطبل، وتعطل بعد ذلك مدة.

ومات الشريف عماد الدين أبو بكر بن على بن إبراهيم بن عدنان الحسينى فى ليلة

الجمعة ثالث عشر رجب، ولم يبلغ الأربعين. وكان قد قدم على أخيه السيد شهاب الدين أحمد، فوقع الوباء ومات أخوه، فباشر بعده، وتعين لكتابة السر، فقافصته المنايا، وعاجله ريب المنون، ومات رحمه الله.

ومات الشيخ زين الدين أبو بكر بن عمر بن عرفات بن عوض القمني، فى ليلة الجمعة ثالث رجب، عن نحو الثمانين، وقد صار من أعيان الفقهاء الشافعية وفضلائهم، مع الديانة والنسك، رحمه الله.

ومات أبو مسلم هابيل بن الأمير عثمن بن طر على - المعروف بقرايلك التركمانى - فى يوم الجمعة ثالث عشر رجب، وهو مسجون.

ومات صدر الدين أحمد بن جمال الدين محمود بن محمد بن عبد الله القيصرى - المعروف بابن العجمى [1] - فى يوم السبت رابع عشر رجب. وقد ولى الحسبة بالقاهرة مرارًا، وولى نظر الجيش بدمشق، وكان من فضلاء الحنفية، وله معرفة جيدة بالنحو.

---

(١) أحمد بن محمود بن محمد بن عبد الله، العلامة صدر الدين ابن قاضى القضاة جمال الدين القيصرى العجمى الحنفى، الشهير بابن العجمى محتسب القاهرة، وشيخ الشيخوخة. مولده بالقاهرة وبها نشأ وطلب العلم، ولازم علماء عصره إلى أن برع فى الفقه والأصول والعربية والمعانى والبيان وغير ذلك، وأفتى ودرس، وكان معدودا من فقهاء الحنفية الأذكياء الفضلاء، وتولى عدة وظائف: نظر حيش دمشق، وحسبة القاهرة غير مرة، ونظر الجوالى ومشيخة الشيخونية دينية. وكان عنده حذق وذوق ومحاضرة حسنة، وكرم وتواضع، مع بلاغة وفصاحة عبارة، وإقدام وطلاقة لسان، بحاثا مستحضرا ذكيا، وكان يجالس الملك المؤيد شيخ وينادمه، مما وقع له من حسن الاستدراك معه أن الملك المؤيد أرسل مرة تجريدة من الأمراء والمماليك السلطانية إلى الصعيد وعليهم الأمير فخر الدين بن أبى الفرج الأستادار، فلما كان فى بعض الأيام، وحد الملك المؤيد شيخ مقبوض الخاطر مع جلسائه مهموما، فقيل له فى ذلك، فقال رأيت الليلة فى منامى أن فخر الدين الأستادار مكشوف الرأس فأهمنى ذلك، فلما سمع جلساء المؤيد منه منه ذلك سكت الجميع إلا صدر الدين هذا، فإنه بادر وقال أبشر له بالنصر يا مولانا السلطان، فالتفت إليه المؤيد وقال: وكيف ذلك؟، ومن أين لك هذا؟ قال من قول الشاعر:

نا ابن جلا وطلاع الثنايا   تى أضع العمامة تعرفونى

فكان يا مولانا السلطان عندهم كشف الرأس علامة النصر، وكذا يجرى إن شاء الله، فاستحسن الملك المؤيد منه ذلك، ووقع بعد أيام كما قال صدر الدين، وانتصر فخر الدين بن أبى الفرج وعاد منصورا، وله من هذا أشياء. توفى بالطاعون فى يوم السبت رابع عشر شهر رجب سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة، رحمه الله تعالى. وانظر الترجمة فى: الدليل الشافى ٨٩/١، والنجوم الزاهرة ١٦٧/١٥، وأنباء الغمر ٤٤٢/٣، والضوء اللامع ٢٢٣/٢، وشذرات الذهب ٢٠٢/٧، ونزهة النفوس ٢١٣/٣.

ومات جلال الدين محمد بن بدر الدين محمد بن محمد بن مزهر، فى ليلة الإثنين سادس عشرين رجب، عن نحو عشرين سنة. وولى كتابة السر بعد أبيه، فكان حظه منها الاسم.

ومات زين الدين محمد بن شمس الدين محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الملك الدميرى، فى يوم الأربعاء ثالث شعبان. وولى حسبة القاهرة ونظر البيمارستان المنصورى. وكان من الفقهاء المالكية، وله معرفة بالعربية.

ومات الأمير مدلج بن على بن نعير بن حيار بن مهنا، أمير آل فضل، مقتولا، فى ثانى عشر شوال، بظاهر حلب.

ومات شيخ الرفاعية الشيخ نور الدين على فى العشرين من جمادى الآخرة عن خمس وستين سنة.

ومات شمس الدين محمد بن المعلمة السكندرى، فى سابع شعبان. وولى حسبة القاهرة.

* * *

سنة أربع وثلاثين وثمانمائة

أهل شهر الله المحرم بيوم الأربعاء: والأسعار رخيصة؛ القمح كل أردبين - وشىء - بدينار، والشعير والفول كل أربعة أرادب بدينار هرجة.

وفى يوم الخميس عاشره - وثانى بابة -: انتهت زيادة النيل إلى تسعة عشر ذراعا وعشرين إصبعا؛ ونقص من الغد.

وفى ثامن عشره: قدم الأمراء المجردون، وهم قرقماش حاجب الحجاب، وأركماس الدوادار، وبقية الأمراء.

وفى ثالث عشرينه: قدم ركب الحاج الأول، وقدم المحمل ببقية الحاج فى رابع عشرينه، وقد هلك كثير منهم - ومن جمالهم وحميرهم - عطشا فيما بين أكره وينبع، وهم متوجهون إلى مكة.

وفى سابع عشرينه: برز الأمراء المجردون إلى ظاهر القاهرة، وهم الأمير الكبير شارقطلوا، والأمير أينال الجكمى، والأمير تمراز الدقماقى، والأمير أقبغا التمرازى، والأمير مراد خجا، فى عدة من أمراء الطبلخاناه والعشرات، ومن المماليك السلطانية خمسمائة مملوك، وسبب تجردهم أن قرايلك نزل فى أول هذا الشهر على معاملة ملطية فنهبها وحرقها، وحصر ملطية، فخرج إليه الأمير سودن من عبد الرحمن نائب الشام بالعساكر الشامية، وأردف بالعسكر المذكور.

شهر صفر، أوله الجمعة:

فيه رسم بعود الأمراء والمماليك المجردين فرجعوا من خانكاه سرياقوس، واستعيدت منهم النفقات التى أنفقت فيهم، فاحتاجوا إلى رد الأمتعة والأزواد على من ابتاعوها منهم، واحتاجوا إلى استعادة ما أنفقوه على غلمانهم، وقد تصرف الغلمان فيما أخذوه، فاشتروا منه احتياجهم، ودفعوا منه إلى أهاليهم، فنزل من أجل هذا بالناس ضرر كبير.

وفى هذا الشهر: نزل الفول إلى خمسين درهما الأردب، والشعير إلى ستين درهما الأردب، والقمح إلى مائة وثلاثين درهما الأردب. هذا والذهب بمائتين وثمانين درهما الدينار.

وفى يوم الإثنين حادى عشره: ركب السلطان من قلعة الجبل فى موكب جليل

ملوكى، احتفل له، ولبس قماش الركوب كما كان يلبس الظاهر برقوق، وهو قباء أخضر بمقلب أحمر، وعلى رأسه كلفتاه، وجر الجنائب، وصاحت الجاويشية وهو سائر، وحوله الطبردارية، حتى عبر من باب زويلة، فشق القاهرة وخرج من باب الشعرية يريد الصيد، فبات ليلة الثلاثاء وعاد يوم الثلاثاء آخر النهار. ولم يركب منذ تسلطن للصيد سوى هذه الركبة.

وكانت الدراهم الأشرفية التى يتعامل الناس بها فى القاهرة ومصر، ويصرف كل درهم منها بعشرين من الفلوس - زنتها رطل وأوقية وثلث أوقية - قد كثر فيها أنواع من الدراهم، وهى البندقية ضرب الفرنج، والقرمانية ضرب بنى قرمان أصحاب الروم، واللنكية ضرب بلاد العجم، والقبرسية ضرب قبرس، والمؤيدية التى ضربت فى الأيام المؤيدية شيخ، والدراهم الزغل وهى عمل الزغلية [1] فترد عند النقد لكثرة ما فيها من الغش، فنودى فى يوم الأحد رابع عشرينه أن لا يتعامل بشىء من الدراهم سوى الأشرفية. وكان قد نودى بمثل ذلك فيما تقدم، وعمل به الناس مدة، ثم ترخصت الباعة فى التعامل بها كلها، لما جمعوه منها فى أيام النهى عنها، حتى مشت فى أيدى الناس، وتعاملوا بها، فلما نودى بالمنع منها عاد الأمر كما كان، فخسر أناس عدة خسارات، وأخذت الباعة وغيرها فى جمعها لتتربص بها مدة، ثم تخرجها شيئا فشيئا، لعلمهم أن الدولة لا تثبت على حال، وأن أوامرها لا تمضى.

وفى خامس عشرينه: ركب السلطان للصيد، ورمى الجوارح، وعاد من الغد. وتكرر ركوبه لذلك مرارا.

وفى هذا الشهر: توقف التجار فى أخذ الذهب، من كثرة الإشاعة بأنه ينادى عليه، فنودى فى يوم السبت سلخه أن يكون سعر الدينار الأشرفى بمائتين وخمسة وثلاثين، والمشخص بمائتين وثلاثين، وهدد من زاد على ذلك بأن يسبك فى يده، فعاد الضرر فى الخسارة على كثير من الناس، لانحطاط سعر الدينار خمسين درهما.

شهر ربيع الأول، أوله السبت:

فى رابعه: جمع الصيارفة والتجار، وأشهد عليهم أن لا يتعاملوا بالدراهم القرمانية، ولا الدراهم اللنكية، ولا القبرسية، وأن هذه الثلاثة أنواع تباع بالصاغة على حساب وزن كل درهم منه بستة عشر درهما من الفلوس، حتى يدخل بها إلى دار الضرب، وتعمل دراهم أشرفية خالصة من الغش، ونودى بذلك وأن تكون المعاملة بالدراهم

---

(١) على هامش ط: الزغلية هم المزيفون.

الأشرفية والدراهم المؤيدية، والدراهم البندقية، فإن هذه الثلاثة فضة خالصة ليس فيها نحاس، بخلاف الدراهم التى منع من المعاملة بها، فإن عشرتها إذا سبكت تجىء ستة، لما فيها من النحاس. واستقر الذهب الأشرفى بمائتين وثمانين، والأفرنتى بمائتين وسبعين، وأخذت الدنانير الأفرنتية فى القلة، لكثرة ما يسبك منها فى دار الضرب، وتعمل دنانير أشرفية، فإنها بوزن الأفرنتية، وسعرها عشرة دراهم على الأفرنتى.

وفى تاسعه: ركب السلطان للصيد، وعاد من الغد.

شهر ربيع الآخر، أوله الأحد:

أهل هذا الشهر والسلطان والأمراء فى الاهتمام بحركة السفر لمحاربة قرايلك، والأسعار رخيصة جدا.

وفى سادسه: برز الأمير شاهين الطويل - أحد الأمراء العشرات - ليسير إلى طريق الحجاز، ومعه كثير من البناة والحجارين والآلات والأزواد والأمتعة، لإصلاح المياه التى فيما بين القاهرة ومكة، وحفر آبار فى المواضع المعطشة، فساروا فى نحو المائة بعير.

وفى سابعه: نودى بأن الفضة على ما رسم به، وأن لا يتعامل بالقرمانية ولا اللنكية، وأن الدينار الأشرفى بمائتين وثلاثين، والأفرنتى بمائتين وخمسة وعشرين. وحذر من خالف ذلك، فتزايدت المضرة لكثرة التناقض، وعدم الثبات على الأمر، واستخفاف العامة براعيها، وقلة الاهتمام بما يرسم به.

شهر جمادى الأولى، أوله الثلاثاء:

فى سابعه: برز سعد الدين إبراهيم بن المرة ناظر جدة يريد التوجه إلى مكة فسار معه ركب فيه جماعة ممن يريد الحج والعمرة، تبلغ عدة جمالهم نحو الألف وخمسمائة جمل، ثم رفعوا من بركة الحاج فى ثانى عشره، فلما وصلوا إلى الوجه - وكنت فيهم بأهلى - وجدنا فيما بين الوجه وأكره عدة موتى، ما بين رجال ونساء، ممن هلك فى عطشة الحاج، فدفن منهم نحو الألف، وترك ما شاء الله.

وفى رابع عشرينه: خلع على قاضى القضاة شهاب الدين أبى الفضل أحمد بن حجر، وأعيد إلى قضاء القضاة بديار مصر، عوضا عن قاضى القضاة علم الدين صالح ابن البلقينى.

شهر جمادى الآخرة، أوله الأربعاء:

فى تاسع عشره: عارض ركب المعتمرين رفقة ابن المرة عرب زبيد، فأنخنا فى غير وقت النزول، وكادت الفتنة أن تثور، حتى صولحوا على مائة دينار، قام بها ابن المرة من ماله، ولم يكلف أحد وزن شىء، فلما نزلنا رابغ(١) أهلينا بالعمرة، ونحن على تخوف. وسرنا، فبينما نحن فيما بين الجرينات وقديد(٢) أغار علينا، ونحن سائرون ضحى، الشريف زهير بن سليمان بن زيان بن منصور بن جماز بن شيحة الحسينى، فى نحو مائة فارس وعدة كثيرة من المشاة، وقاتلنا فقاتله القوم صدرا من النهار، والجمال مناخة بأحمالها، فقتل منا رجلان، ومن العرب نحو العشرة، وجرح كثير، ثم وقع الصلح معه على ألف ومائة دينار أفرنتية، وعلى ثياب جوخ وصوف وعبى بنحو أربعمائة دينار، فكف الناس عن القتال بعدما تعين الظفر لزهير، وبتنا بأنكد ليلة من شدة الخوف، والمال يجبى من كل أحد بحسب حاله، فمنهم من جبى منه مائة دينار، ومنهم من أخذ منه دينار واحد، وحمل ذلك من الغد، وسرنا فقدمنا مكة و لله الحمد فى يوم الثلاثاء ثامن عشرينه، فكانت مدة سيرنا من القاهرة إلى مكة - شرفها ا لله تعالى - ستة وأربعين يوما.

وفى هذا الشهر: استقر جانبك الناصرى الإسكندرية، بعد موت الأمير شهاب الدين أحمد الدوادار، واصله من مماليك الأمير يلبغا الناصرى، ثم عمل فى الأيام المؤيدية رأس نوبة المقام الناصرى إبراهيم ابن السلطان، وصار من جملة الأمراء وولى كشف الجسور بالغربية.

وفيه أنذر المنجمون بكسوف الشمس، فنودى بالقاهرة أن يصوم الناس ويفعلوا الخير، فلم يظهر الكسوف، ووقع الإنكار على من أنذر به، ثم قدم الخبر بحدوث كسوف الشمس بجزيرة الأندلس، حتى استولى على جرم الشمس كله، إلا مقدار الثمن منه، وذلك بعد نصف النهار من ثامن عشرينه.

شهر رجب، أوله السبت:

فى سابع عشره: أدير محمل الحاج على العادة.

شهر شعبان، أوله الإثنين:

فى حادى عشره: كانت زلزلة عظيمة شديدة، بعد صلاة الظهر، بجزيرة الأندلس، وبمرج أغرناطة، سقطت بها أبنية كثيرة على سكانها فهلكوا، وخسف بثلاث بلاد

(١) رابغ: واد يقطعه الحاج بين البزواء والجحفة دون عزور. انظر معجم البلدان ٣/١١.

(٢) قديد: موضع قرب مكة. انظر معجم البلدان.

كبيرة فى مرج أغرناطة - وهى بلد همدان[1] وبلد أوطورة وبلد دارما - فابتلعت الأرض هذه البلاد بأناسها وبقرها وغنمها وسائر ما فيها، حتى صار من يمر من حولها يقول كان هنا بلد كذا وبلد كذا، وانخسف فى كثير من البلاد عدة مواضع، وسقط نصف قلعة أغرناطة، وتهدم كثير من الجامع الأعظم، وسقط أعلى منارته، ورؤى حائط الجامع يرتفع ثم يرجع، ومقدار ارتفاعه نحو عشرة أذرع، ارتفع كذلك مرتين، وخاف رجل عند حدوث الزلزلة، فأخذ ابنه وأراد أن يخرج من باب داره، فالتصق جانبا الباب، وانفرج الحائط فخرج من ذلك الفرج هو وابنه وامرأته، فعاد الحائط كما كان، وتراجع جانبا الباب إلى حالهما قبل الزلزلة، وأقامت الأرض بعد ذلك نحو خمسة وأربعين يوما تهتز، حتى خرج الناس إلى الصحراء ونزلوا فى الخيم خوفا من المدينة أن تسقط مبانيها عليهم، وكان هذا كله بعد وصول السلطان المخلوع أبى عبد الله محمد الأيسر من تونس إلى الأندلس، وحصره قلعة أغرناطة سبعة أشهر، وقتله الأجناد والرجال حتى فنيت العدد والأموال، فبلغ ذلك ملك قشتالة الفنشى فجمع عساكره من الفرنج، وركب البحر إلى قرطبة يريد أخذ أغرناطة من المسلمين، فاشتد البلاء عليهم لقلة المال بأغرناطة، وفناء عسكرها فى الفتنة، وموت من هلك فى الزلزلة، وهم زيادة على ستة آلاف إنسان، ونزل الفرنج عليهم، فلقوهم فى يوم الجمعة عاشر رمضان من هذه السنة، وقاتلوهم يومهم ومن الغد، قتل من المسلمين نحو الخمسة عشر ألف، وألجأهم العدو إلى دخول المدينة، وعسكر بإزائها على بريد منها، وهم نحو خمسمائة وثمانين ألف، وقد اشتد الطمع فى أخذها، فبات المسلمون ليلة الأحد فى بكاء وتضرع إلى الله، ففتح عليهم الله تعالى، وألهمهم رشدهم، وذلك أن الشيخ أبا زكريا يحيى بن عمر ابن يحيى بن عمر بن عثمن بن عبد الحق - شيخ الغزاة - خرج من مدينة أغرناطة فى جمع ألفين من الأجناد، وعشرين ألفا من المطوعة، وسار نصف الليل على جبل الفخار حتى أبعد عن معسكر الفرنج إلى جهة بلادهم، ورفع أمارة فى الجبال يعلم بها السلطان بأغرناطة، فلما رأى تلك العلامات من الغد خرج يوم الأحد، بجميع من بقى عنده إلى الفرنج، فثاروا لحربهم، فولى السلطان بمن معه من المسلمين، كأنهم قد انهزموا، والفرنج تتبعهم، حتى قاربوا المدينة، ثم رفعوا الأعلام الإسلامية، فلما رآها الشيخ أبو زكريا نزل بمن معه إلى معسكر الفرنج، وألقى فيه النار، ووضع السيف فيمن هنالك، فقتل وأسر وسبى، فلم يدع الفرنج إلا والصريخ قد جاءهم، والنار ترتفع من معسكرهم، فتركوا

---

(١) همذان: بالتحريك والذال معجمة، وآخره نون كانت همذان أكبر مدينة بالجبال وكانت أربعة فراسخ فى مثلها، وكان فتحها فى جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من مقتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه. انظرمعجم البلدان ٥/ ٤١٠ وما بعدها.

أهل أغرناطة ورجعوا إلى معسكرهم، فركب السلطان بمن معه أقفيتهم، يقتلون ويأسرون، فبلغت عدة من قتل من الفرنج ستة وثلاثون ألفا، ولحق باقيهم ببلادهم، بعد ما كادوا أن يملكوا أغرناطة.

وبلغت عدة من أسر المسلمون من الفرنج نحو اثنى عشر ألفا، ويقول المكثر إنه قتل ومات وأسر من الفرنج فى هذه الكائنة زيادة على ستين ألفا. وكان سبب هذه الحادثة أنه وقع بين ملك القطلان صاحب برجلونة، وبين ملك قشتالة[١] صاحب أشبيلية[٢] وقرطبة، فجمع القشتيلى، وسار لحرب القطلانى، حتى تلاقى الجمعان، فمشى الأكابر بين الملكين فى الصلح، فاعتذر القشتيلى بأنه أنفق فى حركته مالا كثيرًا، فأشير عليه بأخذ ما أنفقه من المسلمين، بأن يغزوهم فإنهم قد ضعفوا، وما زالوا حتى تقرر الصلح، ونزل على أغرناطة، وكان ما تقدم ذكره.

وفى شهر رمضان: هذا ابتدأت فى إسماع كتاب إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأحوال والحفدة والمتاع ﷺ من أول يوم فيه بقراءة - المحدث الفاضل تقى الدين محمد بن محمد بن فهد الهاشمى، بالمسجد الحرام تجاه الميزاب، وكان جمعا موفورا.

شهر شوال، أوله الثلاثاء:

فى يوم الأربعاء تاسعه - الموافق لسادس عشرين بؤونة -: أخذ قاع النيل، فجاء ستة أذرع وثلاثة أصابع، ونودى عليه من الغد بزيادة ثلاثة أصابع، واستمرت الزيادة.

وفى حادى عشرينه: خرج محمل الحاج إلى الريدانية خارج القاهرة، صحبة الأمير قراسنقر، ورفع منها إلى بركة الحجاج، وحج القاضى زين الدين عبد الباسط ناظر الجيش، عظيم الدولة ومدبرها، وحجت خوند جلبان زوجة السلطان أم ولده، فى تجمل كبير بحسب الوقت.

وفى هذا الشهر: اتفقت حادثة غريبة، وهو أنه اجتمع بأجران كوم النجار[٣] بالغربية، من الفيران، عدد لا يحصيه إلا الله تعالى، واقتتلوا من العصر إلى قريب عشاء الآخرة، فوجد من الغد نحو خمسة آلاف فأر ميت، فجمعوا، وأحرقوا، وأفسد الفأر مقاتى البطيخ ونحوه، وأكلوا الغلال وهى فى سنبلها، وأكلوا أكثر ما فى جرون نواحى

---

(١) سبق ترجمتها.

(٢) إشْبِيلِية: مدينة كبيرة عظيمة وليس بالأندلس أعظم منها تُسمى حِمْص أيضا. وبها قاعدة ملك الأندلس وسريره، وبها كان بنو عباد. انظر معجم البلدان ١/١٩٥.

(٣) من القرى الغربية القديمة.

الغربية، بحيث أن بعض النواحى لم ترد بذارها. وكان يجتمع فى المواضع الواحد أكثر من ثلاثمائة فأر.

شهر ذى القعدة، أوله الخميس:

فى يوم الإثنين ثانى عشره – الموافق له تاسع عشرين أبيب –: كان وفاء النيل ستة عشر ذراعا. وركب الأمير قرقماس حاجب الحجاب حتى خلق المقياس وفتح الخليج على العادة.

وفيه زاد النيل اثنى عشر إصبعا من الذراع السابعة عشر، وفى هذا نادرتان من نوادر النيل، إحداهما الوفاء قبل مسرى، وقد أدركنا ذلك وقع مرتين. والثانية زيادة هذا القدر فى يوم الوفاء ولم يدرك مثل ذلك، واستمرت زيادة النيل والنداء عليه فى كل يوم.

وفى هذا الشهر: استجد بعيون القصب من طريق الحجاز بئر، حفرت بإشارة القاضى زين الدين عبد الباسط، فعظم النفع بها. وذلك أننى أدركت عيون القصب، وتخرج من بين الجبلين ماء يسيح على الأرض، فينبت فيه القصب الفارسى وغيره شىء كثير، ويرتفع فى الماء حتى يتجاوز قامة الرجل فى عرض كبير، فإذا نزل الحاج عيون القصب أقاموا يومهم على هذا الماء يغتسلون منه ويردون ثم انقطع هذا الماء، وجفت تلك الأعشاب فصار الحاج إذا نزل هناك، احتفروا حفائر يخرج منها ماء ردىء إذا بات ليلة واحدة فى القرب نتن فأغاث الله العباد بهذه البئر، وخرج ماؤها عذبا. وكان قبل ذلك بنحو شهرين قد حفر الأمير شاهين الطويل بئرين بموضع يقال له زعم وقبقاب وذلك أن الحاج كان إذا ورد الوجه، تارة يجد فيه الماء، وتارة لا يجده. فلما هلك الناس من العطش فى السنة الماضية، بعث السلطان بشاهين هذا كما تقدم ذكره، فحفر البئرين بناحية زعم، حتى لا يحتاج الحاج إلى ورود الوجه، فيروى الحاج منهما، وعم الانتفاع بهما، وبطل سلوك الحاج على طريق الوجه من هذه السنة.

شهر ذى الحجة، أوله السبت:

فى ثانى عشرينه: خلع على تاج الدين عبد الوهاب بن الخطير، واستقر فى نظر الديوان المفرد، عوضا عن الصاحب تاج الدين عبد الرزاق بن الهيصم بعد موته. وابن الخطير هذا من نصارى القبط، وله بيتوته مشهورة. كان اسمه جرجس، وتلقب بالشيخ التاج، وترقى فى الخدم الديوانية، وباشر ديوان الأمير برسباى فى الأيام المؤيدية شيخ، فألزمه بالإسلام، فأسلم وتسمى تاج الدين عبد الوهاب، وخدم بديوان الخاص

وبالديوان المفرد، فلما تسلطن الأشرف برسباى، رقاه، وولاه نظر الإصطبل، عوضا عن بدر الدين محمد بن مزهر لما ولاه كتابة السر، وأضاف إليه عدة رتب، منها أستادار المقام الناصرى ابن السلطان، فشكرت سيرته من عفته وأمانته ورفقه بالفلاحين، ولين جانبه، وحسن سياسته، مع كثرة بره وإحسانه، بحيث لا يوجد فى أبناء جنسه من يدانيه فكيف يساويه. وإن أراد الله عمارة البلاد جعل إليه تدبير أمرها.

وفى يوم السبت سلخه: قدم مبشرو الحاج، وقد مات كبيرهم الأمير فارس بينبع، وكان مجردًا بمكة على طائفة من المماليك، وهو أحد أمراء العشرات.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

مجد الدين إسماعيل بن أبى الحسن بن على بن عبد الله البرماوى الشافعى، فى يوم الأحد خامس عشر ربيع الآخر. ومولده فى حدود الخمسين وسبعمائة. مهر فى الفقه والعربية، وعدة فنون، وتصدى للاشغال سنين كثيرة، وخطب بجامع عمرو بن العاص بمصر.

ومات الأمير شهاب الدين أحمد الدوادار بن الأقطع نائب الإسكندرية، فى يوم الأحد تاسع عشر جمادى الآخرة. كان أبوه من الأوشاقية فى الإصطبل السلطانى. وترقى أحمد هذا فى الخدم حتى اتصل بالأمير برسباى، وعمل دواداره، فرقاه فى سلطنته، وعمله من جملة الأمراء، ثم ولاه نيابة الإسكندرية.

ومات برهان الدين إبراهيم بن على بن إسماعيل بن الظريف أمين الحكم، فى يوم السبت خامس عشر شوال، عن نحو ستين سنة.

ومات سراج الدين عمر بن منصور البهادرى فى يوم السبت ثانى عشر شوال. وقد برع فى الفقه والنحو، وناب فى الحكم عن القضاة الحنفية، وانفرد بالتقدم فى علم الطب، فلم يخلف بعده مثله.

ومات الصاحب تاج الدين عبد الرزاق بن الهيصم، فى يوم الخميس العشرين من ذى الحجة. وقد ولى أستادار وولى الوزارة، ونكب غير مرة.

* * *

سنة خمس وثلاثين وثمانمائة

شهر الله المحرم، أوله الأحد:

فى عاشره – الموافق لعشرين مسرى –: انتهت زيادة النيل إلى عشرين ذراعا واثنى عشر إصبعا، ثم نقص خمسة عشر إصبعا، وزاد ونقص إلى حادى عشرينه، وهو أول بابه. ثم لم يناد عليه لاستمرار النقص.

وفى ثانى عشرة: قدم الأمير طرباى نائب طرابلس، فأكرمه السلطان وأعاده إلى محل كفالته، فسار بعد خمسة أيام.

وفى ثالث عشرينه: قدم القاضى زين الدين عبد الباسط، وصحبته خوند جلبان، وبقية الركب الأول، وقدم بعدهم من الغد محمل الحاج صحبة الأمير قراسنقر، وقدمت معهم، وقد عسف الأمير الناس فى المسير، مع ما أصابهم من العطش فى توجههم.

شهر صفر، أوله الثلاثاء:

فى خامسه: انتشر بآفاق السماء جراد كثير، كفى الله شره.

وفى نصفه: خلع عى الأمير أقبغا الجمالى، وأعيد إلى كشف الوجه القبلى، عوضا عن مراد خجا، وقد ساءت سيرته، ومبالغته فى ظلم الناس.

وقدم الخبر بأن الخراب شمل البلاد من توريز إلى بغداد، مسيرة خمسة وعشرين يوما بالأثقال، وأن الجراد وقع بتلك البلاد حتى لم يدع بها خضرا، مع شدة الوباء وانتهاب الأكراد ما بقى، وأن الغلاء شنع عندهم حتى أبيع المن من لحم الضأن – وهو رطلان بالمصرى – بدينار ذهب، وأبيع لحم الكلب كل من بستة دراهم، وقد كثر الوباء ببغداء والجزيرة وديار بكر، ومع ذلك فقد عظم البلاء بأصبهان بن قرا يوسف بناحية الحلة والمشهد.

شهر ربيع الآخر، أوله الجمعة:

فى سابع عشره: نزل عدة من المماليك السلطانية – سكان الطباق – من قلعة الجبل، إلى دار الوزير كريم الدين بن كاتب المناخ أستادار، يريدون الفتك به، وكان علم من الليل، فتغيب واستعد، فلم يظفروا به ولا بداره، وعادوا، وقد أفسدوا فيما حوله، فسأل الإعفاء من الأستادارية، فأعفى، واستدعى الوزير الصاحب بدر الدين

حسن بن نصر الله فى يوم السبت ثالث عشرينه، وخلع عليه، وأعيد إلى الأستادارية. فكان فى ذلك موعظة، وهى أن المماليك كانت جراياتهم ولحومهم وجوامكهم وعليقهم مصروفة، ولا يخطر ببال أحد عزل ابن كاتب المناخ لثباته وسداد أمور الديوان فى مباشرته، وانقطاع ابن نصر الله فى بيته منذ نكب عدة سنين، فألقى الله فى نفس ابن كاتب المناخ الخوف من المماليك، حتى طالب الإعفاء، وألهم الله السلطان ذكر ابن نصر الله، فبعث إليه بالقاضى زين الدين عبد الباسط، والوزير كريم الدين، وسعد الدين ناظر الخاص فى يوم الأربعاء يسلمون عليه من قبل السلطان، ويعلموه بأنه عينه أستادارًا، فاعتذر بقلة ماله، وتغير أحواله، وهم يرددون سؤاله فى القبول، ويشيرون عليه بذلك، ويحذرونه من المخالفة، فاستمهلهم حتى يستخير الله، فتركوه وانصرفوا، فأشار عليه من يثق به أن يقبل فأجاب، وأرسلوا إليه، فوافقهم على رأيهم.

وفى سابع عشرينه: نودى بأن لا يسافر أحد صحبة ابن المرة إلى مكة، فشق ذلك على الناس لتجهز كثير منهم للسفر.

شهر جمادى الأولى، أوله السبت:

فى ثامنه: خلع على سعد الدين إبراهيم بن المرة خلعة السفر إلى جدة وحذر من أخذ أحد معه، خوفا عليهم من العرب.

وفى ليلة الجمعة رابع عشره: خسف جرم القمر جميعه مدة ثلاث ساعات من أول الليل.

وفى سادس عشره: ابتدئ بهدم قصر بيسرى بين القصرين، وكان قد أخذ رخامه وعمل فى داير الأشرفية المستجدة.

وفى خامس عشرينه: ركب السلطان من القلعة، وغير القاهرة من باب زويلة، ونزل فى بيت عظيم الدولة القاضى زين الدين عبد الباسط، ثم ركب منه بعد ساعة إلى بيت سعد الدين إبراهيم ناظر الخاص، فجلس عنده قليلا، وعاد إلى القلعة، وأكثر فى هذا الشهر - بل فى هذه السنة - من الركوب وعبور القاهرة، وإلى الصيد والنزهة، بخلاف ما كان عليه أولا.

وفى سادس عشرينه: حمل القاضى زين الدين عبد الباسط، والقاضى سعد الدين ناظر الخاص إلى السلطان تقادم جليلة.

وفى هذه الأيام: قدم بيرم التركمانى الصوفى صاحب هيت فارًا من أصبهان بن قرا

يوسف، وقد قتل السلطان حسين، وملك الحلة، فخرج بيرم من هيت فى ستمائة من أصحابه، فيهم ثلاثمائة فارس، فلقيته غزية عرب تلك البلاد، فأخذوا من كان معه، وكان جمعا غفيرا ما بين تجار وغيرهم ونجا فى طائفة معه، فأكرمه السلطان، وأنزله وأجرى له راتبا يليق به، ثم أقطعه بناحية الفيوم إقطاعا معتبرا.

شهر جمادى الآخرة، أوله الإثنين:

فى ثانيه: عزل الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله، ورسم لأقبغا الجمالى كاشف الوجه القبلى أن يتحدث فى وظيفة الأستادارية، ثم خلع عليه من الغد، ولزم ابن نصر الله داره. وسبب ذلك لما بلغ اقبغا عزل ابن كاتب المناخ من الأستادارية سأل فى الحضور، فأجيب، وقدم، فسعى فى الأستادارية على أن يحمل عشرة آلاف دينار، وإن سافر السلطان إلى الشام حمل معه نفقة شهرين، وهى مبلغ أربعين ألف دينار، فأجيب، وأبقى الكشف أيضا معه، وأضيف إليه كشف الوجه البحرى.

وفى عاشره: برز سعد الدين بن المرة يريد السفر إلى جدة، ثم رحل فى ثانى عشره، ولم يمكن أحدًا من السفر معه، فلم يتمكن إلا ألزامه وحاشيته.

وفى سابع عشرينه: خلع على بدر الدين محمود العينتابى، وأعيد إلى قضاء القضاة الحنفية، عوضا عن زين الدين عبد الرحمن التفهنى، وقد طالت مدة مرضه، فباشر القضاء والحسبة ونظر الأحباس جميعا.

شهر رجب، أوله الثلاثاء:

فيه خلع على الأمير صلاح الدين أستادار ابن الأمير الوزير الصاحب بدر الدين حسن ابن نصر الله، واستقر محتسب القاهرة، عوضا عن قاضى القضاة بدر الدين محمود العينتابى. وكان الأمير صلاح الدين - منذ نكب هو ووالده - ملازما لداره، وعمل مع الحسبة حاجبا.

وفى ثالثه: أدير محمل الحاج على العادة، إلا أنه عجل به فى أول الشهر لأجل حركة السلطان إلى سفر الشام، فإنه تجهز لذلك هو وأمراؤه.

وفى عشرينه: قدم الأمير سودن من عبد الرحمن نائب الشام باستدعاء، وقدم معه القاضى كمال الدين محمد بن البارزى كاتب السر بدمشق، فباتا فى تربة الظاهر برقوق خارج القاهرة، وصعدا من الغد إلى قلعة الجبل، وقبلا الأرض، فلما انقضت الخدمة نزل النائب إلى بيته ولم يخلع عليه، فعلم أنه معزول، وخلع عليه من الغد واستقر أميرًا كبيرا

عوضا عن الأمير شارقطلوا، وخلع على شارقطلوا واستقر عوضه فى نيابة الشام، ورسم بإبطال الحركة إلى السفر، فبطلت.

شهر شعبان، أوله الأربعاء:

فيه خلع على الأمير شارقطلوا نائب الشام خلعة السفر، وتوجه إلى مخيمه خارج القاهرة، وخلع على القاضى كمال الدين بن البارزى خلعة السفر، ثم خلع عليه من الغد يوم الجمعة ثالثه، واستقر قاضى القضاة الشافعية بدمشق، عوضا عن شهاب الدين أحمد بن المحمرة، مضافا لما بيده من كتابة السر، ولم يعهد مثل ذلك فى الجمع بين القضاء وكتابة السر، إلا أنه أخبرنى - أدام الله رفعته - أن والده المرحوم ناصر الدين محمد بن البارزى جمع بين قضاء حماة وكتابة السر بها.

شهر رمضان، أوله الخميس:

فى يوم الثلاثاء ثالث عشره: خلع على الأمير أقبغا الجمالى أستادار، وسبب ذلك أنه سافر إلى بلاد الصعيد، فعاث فى البلاد عيث الذئب فى زريبة غنم، فصادر أهلها وعاقبهم أشنع عقوبة، حتى أخذ أموالهم، وتعتع ما بقى من الإقليم، فشنعت القالة فيه، فوعد لما قدم أن يحمل عشرين ألف دينار، فحاققه القاضى تاج الدين عبد الوهاب بن الخطير ناظر الديوان المفرد على ما أخذ من أموال النواحى، حتى تسابا بين يدى السلطان، فرسم بمحاسبته، فحقق فى جهته خمسة عشر ألف دينار، فخلع عليه تقوية له، ونزل على أنه يحمل ما وجب عليه.

وفى هذه الأيام: أوقعت الحوطة على فلفل التجار بالقاهرة ومصر والإسكندرية، ليشترى للسلطان من حساب خمسين دينارًا الحمل، وكان قد أبيع عليهم فلفل السلطان فى أول هذه السنة بسبعين دينارًا الحمل، ورسم بأن يكون الفلفل مختصا بمتجر السلطان، لا يشتريه من تجار الهند الواردين إلى جدة غيره، ولا يبيعه لتجار الفرنج القادمين إلى ثغر الإسكندرية سواه، فنزل بالتجار من ذلك بلاء كبير.

وفى سادس عشرينه: خلع على دولات خجا[1]، واستقر فى ولاية القاهرة، عوضا

---

(١) دُولات خُجَا بن عبد الله الظاهرى (٨٤١ هـ = ١٤٣٧ م)، سيف الدين والى القاهرة ومحتسبها هو من أصاغر مماليك الملك الظاهر برقوق الذين كانوا لا يؤبه به إليهم. كان المذكور من جملة المماليك السلطانية، ودام على ذلك دهرًا طويلا إلى أن جعله الملك الأشرف برسباى كاشفًا ببعض أقاليم الوجه البحرى، فأظهر فى ولايته للكشف من الظلم والعسف ما صيره بعد ذلك واليا بالقاهرة لما كثر فساد الزعر. فلما ولى القاهرة عدة من المحابيس أرباب الجرائم، وهدد من أمسكه=

عن التاج الشويكى وأخيه عمر. ودولات هذا أحد المماليك الظاهرية، وولى كشف الوجه القبلى فتعدى الحدود فى العقوبات، وصار ينفخ بالكير فى دبر الرجل حتى تنذر عينيه وتنفلق دماغه إلى غير ذلك من سيء العذاب، ثم ولى كشف الوجه البحرى، وكان التاج قد ترفع عن مباشرة الولاية، وأقام فيها أخاه عمر، فشره فى المال، حتى كان كلما أتاه أحد بسارق أخذ منه مالا وخلى عنه، فأمن السراق فى أيامه على أنفسهم، وصاروا له رعية يجبى منهم ما أحب، فلما ولى دولات خجا بدأ بالإفراج عن أرباب الجرائم من سجنهم، وحلف لهم أنه متى ظفر بأحد منهم وقد سرق ليوسطنه، وأرهب إرهابا زائدًا، وركب فى الليل، وطاف، وأمضى وعيده فى السراق، فما وقع له سارق إلا وسطه، فذعر الناس منه.

وفيه خلع على عمر أخى التاج، واستقر من جملة الحجاب، ليرتفق بمطالع العباد على بلوغ أغراضه ونيل شهواته.

وأكثر دولات خجا من الركوب ليلا ونهارا بفرسانه ورجالته، وألزم الباعة بكنس الشوارع، ثم رشها بالماء، وعاقب على ذلك، ومنع النساء من الخروج إلى الترب فى أيام الجمع.

وفى هذا الشهر: أجريت العين حتى دخلت إلى مكة، بعدما ملأت البرك داخل باب المعلاه، ومرت على سوق الليل إلى الصفا، وانتهت إلى باب إبراهيم، وساحت من هناك فعم النفع بها، وكثر الخير، لشدة احتياج الناس بمكة إلى الماء، وقلته أحيانا، وغلاء سعره، وتولى ذلك سراج الدين عمر بن شمس الدين محمد بن المزلق الدمشقى، أحد التجار وأنفق فيه من ماله جملة وافرة.

شهر شوال، أوله السبت:

=منهم ثانيًا بالتوسيط، فوسط جماعة منهم عندما ظفر بهم. ولما كثر ظلمه، عزله السلطان عن الولاية، وولاه الكشوفية ففعل فى الكشوفية أيضا ما لا يليق ذكره. ثم عزل عن الكشوفية، وطلبه السلطان، وولاه حسبة القاهرة، عوضا عن القاضى صلاح الدين محمد بن نصر الله، فأظهر فى حسبة القاهرة أيضا من الظلم والعقوبة للباعة، ما هو مشهور عنه، فلم تطل أيامه، وأخذه الله بالموت بالطاعون فى يوم السبت أول ذى القعدة سنة إحدى وأربعين وثمانمائة، وقد قارب السبعين تخمينا. وكان شيخًا تركيًا، للقصر أقرب، ذا لحية بيضاء، وضيعًا فى الدول، وعنده ظلم وعسف وجور، إلا أنه كان قليل الطمع فتّاكًا. انظر المنهل الصافى ٥/ ٣٣٠، ٣٣١ والدليل ١/ ٢٩٩، والنجوم ٢١٧/١٥، الضوء ٢٢١/٣ بدائع الزهور ١٨٦/٢، نزهة النفوس ٤١٦/٣ عقد الجمان حوادث سنة ٨٤١ هـ.

فى ثالثه: قدم النجاب من دمشق بجواب الأمير شارقطلوا نائب الشام، يعتذر عن حضور قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن الكشك. وكان قد كتب بحضوره ليستقر فى كتابة السر، عوضا عن شهاب الدين أحمد بن السفاح بعد موته، ويحمل عشرة آلاف دينار، فامتنع من ذلك واحتج بضعف بصره وآلام تعتريه، فاستدعى السلطان عند ذلك الوزير الصاحب كريم الدين عبد الكريم ابن كاتب المناخ، ورسم له بكتابة السر.

فلما أصبح يوم الثلاثاء رابعه: خلع عليه خلعة الوزارة، واستقر فى كتابة السر مضافا إلى الوزارة، ولم يقع مثل ذلك فى الدولة التركية أنهما اجتمعا لواحد، فنزل فى موكب جليل إلى الغاية، وباشر مع بعده عن صناعة الإنشاء وقلة دربته بقراءة القصص والمطالعات الواردة من الأعمال، غير أن الكفاءة غير معتبرة فى زماننا، بحيث أن بعض السوقة ممن نعرفه ولى كتابة السر بحماة على مال قام به، وهو لا يحسن القراءة ولا الكتابة، فكان إذا ورد عليه كتاب وهو بين يدى النائب لا يقرأه مع شدة الحاجة إلى قراءته، ليعلم ما تضمنه، ثم يمضى إلى داره حتى يقرأه له رجل أعده عنده لذلك، ثم يعود إلى النائب فيعلموه بمضمون الكتاب، وتداعى بالقاهرة خصمان عند كبير من قضاتها، فقضى على المدعى عليه، فقال له ما معناه أنه حكم بغير الحق، فأمر بإخراجهما حتى ينظر فى مسألتهما، ثم طلع بعض كتب مذهبه، فوجد الأمر على ما ادعاه الرجل من خطأ القاضى، فردهما، وقال: وجدنا فى الكتاب الفلانى الأمر كما قلت، ولم يبال بما تبين من جهله، ولهذا نظائر لو عددنا ما بلغنا منها، لقام من ذلك سفر كبير مع الحجاب وإعجاب، وفرط الرقاعة، وإلى الله المشتكى.

وفى الخميس ثالث عشره: ابتدأ السلطان بالجلوس فى الإيوان بدار العدل من القلعة. وكان قد ترك من بعد الظاهر برقوق الجلوس به فى يوم الإثنين والخميس، إلا فى النادر القليل، سيما فى الأيام المؤيدية شيخ، فتشعث ونسيت عوائده ورسومه، إلى أن اقتضى رأى السلطان أن يجدد عهده، فأزيل شعثه وتتبعت رسومه. ثم جلس فيه، وعزم على ملازمته فى يومى الخدمة، ثم ترك ذلك.

وفيه قدم ركب الحجاج المغاربة، وقدم ركب الحاج التكرور أيضا، وفيهم بعض ملوكهم، فعوملوا جميعا بأسوأ معاملة من التشدد فى أخذ المكوس مما جلبوه من الخيل والرقيق والثياب، وكلفوا مع ذلك حمل مال، فشنعت القالة.

وفى عشرينه: خرج محمل الحاج إلى بركة الحجاج.

وفى حادى عشرينه: أخذ قاع النيل، فكان ستة أذرع وعشرين إصبعا.

وفى هذه الأيام: رسم بشراء الغلال للسلطان، فإنها رخيصة، وربما توقفت زيادة النيل، فغلت الغلال، فيكون السلطان أحق بفوائدها، فخرجت المراسيم إلى أعمال مصر بشراء غلال الناس، وألزم سماسرة الغلة بساحل مصر وساحل بولاق أن لا يبيعوا لأحد شيئًا من الغلال، حتى يتكفى السلطان، فكثر من أجل هذا تطلع الناس إلى شراء الغلة، بعد ما كان عدة أشهر وهى كاسدة، وسعر القمح من مائة وثلاثين درهما الأردب إلى ما دونها، والفول والشعير من ثمانين درهما الأردب إلى ما دونها، وسائر أسعار المبيعات رخيصة جدًا، فا لله يحسن العاقبة.

وفى ثانى عشرينه: ابتدئ بالنداء على النيل، فنودى بزيادة أربعة أصابع، وقدم الخبر من مكة المشرفة بأن عدة زنوك قدمت من الصين إلى سواحل الهند، وأرسى منها اثنان بساحل عدن، فلم تنفق بها بضائعهم من الصينى والحرير والمسك وغير ذلك لاختلال حال اليمن، فكتب كبير هذين الزنكين إلى الشريف بركات بن حسن بن عجلان أمير مكة وإلى سعد الدين إبراهيم بن المرة ناظر جدة، يستأذن فى قدومهم إلى جدة، فاستأذنا السلطان فى ذلك، ورغباه فى كثرة ما يتحصل فى قدومهم من المال، فكتب بقدومهم إلى جدة وإكرامهم.

شهر ذى القعدة، أوله الإثنين:

فيه استدعى قضاة القضاة الأربع، بجميع نوابهم فى الحكم بالقاهرة ومصر إلى القلعة، لتعرض نوابهم على السلطان، وقد ساءت القالة فيهم، فدخل القضاة الأربع إلى مجلس السلطان، وعوق نوابهم عن العبور معهم، فانفض المجلس على أن يقتصر الشافعى على خمسة عشر نائبا، والحنفى على عشرة نواب، والمالكى على سبعة، والحنبلى على خمسة، وقد تقدم مثل هذا كثير ولا يتم.

وفى سابعه: خلع على الأمير تاج الدين الشويكى، وأعيد إلى ولاية القاهرة عوضا عن دولات خجا.

وفى ثامن عشرينه: ورد الخبر بموت جينوس بن جاك صاحب قبرس.

وفيه خلع على عز الدين عبد العزيز بن على بن العز البغدادى، واستقر فى قضاء القضاة الحنابلة بدمشق، عوضا عن نظام الدين عمر بن مفلح، وخلع عليه من بيت الوزير كاتب السر كريم الدين، ولم يعهد قضاة القضاة يخلع عليهم إلا من عند السلطان، غير أن الوزير أعاد لكتابة السر بعض ما كان من رسومها لوفور حرمته واستبداده، وكان مع ذلك القضاة والفقهاء قد انحط جانبهم، واتضع قدرهم.

شهر ذى الحجة، أوله الثلاثاء:

فيه نودى بوفاء النيل ستة عشر ذراعا وثلاثة أصابع، ووافق ذلك خامس مسرى. وهذا مما يندر وقوعه، فركب الأمير جقمق أمير أخور لفتح الخليج على العادة.

وفى خامس عشرينه: سارت سرية عدتها ستون مملوكا مع بعض أمراء العشرات إلى قبرس، ومعهم خلعة لجوان بن جينوس باستقراره فى مملكة قبرس، عوضا عن أبيه، نيابة عن السلطان، ومطالبته بما تأخر على أبيه، وهو أربعة وعشرون ألف دينار، وما التزم به فى كل سنة، وهو خمسة آلاف دينار.

وفى سادس عشرينه: قدم مبشرو الحاج.

وفى هذا الشهر: كثر تقطع الجسور بالنواحى، فغرقت بلاد عديدة، ودخل الماء إلى كثير من البلاد قبل أوانه، فغرقت الجرون وهى ملآنة بالغلال، وتلف من المقاتى والسمسم والنيلة ما يبلغ قيمته آلاف دنانير، وشرقت عدة بلاد، وكل ذلك من فساد عمل الجسور وأخذ الأموال من النواحى عوضا عن رجال العمل وأبقارها.

وفيه فرقت عدة بلاد من بلاد الديوان المفرد على جماعة ليعمروها، فإنها خربت من سوء ولاية الأستادارية وعسفهم، وكثرة المغارم، فسلم إلى القاضى زين الدين عبد الباسط وإلى الوزير كريم الدين، وإلى سعد الدين ناظر الخاص، وإلى التاج بن الخطير، كل منهم بلد من البلاد، وسلم إلى آخرين دون هؤلاء عدة بلاد.

وفيه رسم أن يعلق على كل حانوت من حوانيت الباعة بالأسواق قنديل يضىء الليل، فعمل ذلك.

وفيه كثرت زيادة ماء النيل، فانسلخ ذو الحجة بيوم الأربعاء رابع أيام النسىء، والماء على ثمانية عشر ذراعا وعشرين إصبعا.

وهذه السنة: تحول الخراج فيها من أجل أنه لم يقع فيها نوروز، فحولت سنة ست إلى سنة سبع وثلاثين.

وفيها نزل الطاغية النشو بن دون فرنادو بن أندريك بن جوان قتيل الفرس بن فدريك بن أندريك ملك الفرنج القطلان، وصاحب برشلونة، على جزيرة صقلية، فى شهر رمضان، وسار ومعه صاحب صقلية فى نحو مائتى قطعة بحرية حتى أرسى على جربة فى سابع عشر ذى الحجة وملكها. وكان ملك المغرب أبو فارس عبد العزيز غائبا عن تونس فى جهات تلمسان، فلما بلغه ذلك ترك معظم عسكره وسار على الصحراء

حتى دنا من جربة، وكانت بينه وبين الفرنج وقعة كاد يؤخذ فيها، وقتل من الفريقين جماعات كثيرة. وهذا الطاغية النشو مات جده أندريك، وملك بعده ابنه جوبان بن أندريك بن جوبان. خرج فرناندو بن أرندريك من بلد أشبيلية يريد محاربة القطلان أهل برشلونة - وقد مات ملكهم مرتين، فغلبهم، وملك برشلونه وأعمالها، حتى مات، فملك بعده ابنه النشو هذا.

وفيه قدم أحد ملوك التكرور للحج، فسار إلى الطور ليركب البحر إلى مكة، فمات بالطور ودفن بجامعه. وكان خيرًا كثير التلاوة للقرآن، فيه بر وإحسان.

* * *

ومات في هذه السنة من الأعيان

السلطان حسين بن علاء الدولة بن القان غياث الدين أحمد بن أويس. وكان قد أقيم بعد أحمد بن أويس في السلطنة ببغداد شاه ولد بن شاه زاده بن أويس، ثم قتل بعد ستة أشهر بتدبير زوجته تندو ابنة السلطان حسين بن أويس، وقامت بالتدبير، ثم خرجت من بغداد بعد سنة فرارًا من شاه محمد بن قرا يوسف، ونزلت ششتر في عدة من العسكر، وملك شاه محمد بغداد، فأقيم مع تندو في السلطنة السلطان محمود بن شاه ولد؛ فدبرت عليه وقتلته بعد خمس سنين، وانفردت بمملكة ششتر، وملكت البصرة، بعد حرب شديدة، ثم ماتت بعد انفرادها بثلاث سنين، فأقيم ابنها أويس بن شاه ولد، وقتله أصبهان بن قرا يوسف في الحرب بعد سبع سنين، وأقيم بعده بششتر أخوه شاه محمد بن شاه ولد، فمات بعد ست سنين وقام من بعده حسين بن علاء الدولة وملك البصرة، وواسط، وعامة العراق ما عدا بغداد، فإنها بيد شاه محمد بن قرا يوسف. ولم يزل محاربا لأصبهان بن قرا يوسف حتى نزل عليه أصبهان وحصره بالحلة مدة سبعة أشهر، حتى أخذه وقتله في ثالث صفر من هذه السنة، فانقرضت بمهلكه دولة الأتراك بني أويس من العراق، وصار عراقا العرب والعجم بيد إسكندر وشاه محمد وأصبهان - أولاد قرا يوسف - وقد خرب على بأيديهم.

ومات شرف الدين عيسى بن محمد بن عيسى الأقفهسي الشافعي، أحد نواب الحكم، في ليلة الجمعة سادس عشرين جمادى الآخرة، ومولده في سنة خمسين وسبعمائة. وبرع في الفقه، وناب في الحكم عن العماد أحمد الكركي، ومن بعده من سنة اثنين وتسعين، وكان كثير الاستحضار للفروع.

ومات شهاب الدين أحمد بن صلاح الدين صالح بن أحمد بن عمر المعروف بابن السفاح الحلبي[١]، في ليلة الأربعاء رابع عشر شهر رمضان، عن ثلاث وستين سنة، وباشر هو وأخوه وأبوه كتابة السر بحلب، ولهم بها رياسة وتمكن وأموال، ثم باشر كتابة السر بديار مصر، فلم يسعد و لم ينجب، وكان فيه هوج وطيش.

ومات الصاحب علم الدين يحيى أبو كم الأسلمي، في ليلة الخميس ثاني عشرين رمضان، وقد أناف على السبعين، فباشر نظر الأسواق، وتنقل حتى ولي الوزارة في الأيام الناصرية فرج، وكان يريد الانتفاء من النصرانية، فحج وجاور بمكة، وأكثر من زيارة الصالحين، وا لله أعلم بما كانوا عاملين.

ومات قاضي القضاة زين الدين عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن التفهني الحنفي، بعد مرض طويل، في ليلة الأحد ثامن شوال، وقد أناف على السبعين. ومولده سنه أربع

---

(١) أحمد بن صالح بن أحمد بن أحمد بن عمر، القاضي شهاب الدين ابن القاضي صلاح الدين، المعروف بابن السفاح؛ الحلبي الأصل والمولد والمنشأ والدار، المصري الوفاة، كاتب السر بالمملكة الحلبية، ثم بديار مصر. هو من بيت رئاسة ووجاهة وعراقة بحلب، ولي كتابة سر حلب هو وأبوه وأخوه، وطالت مدته في كتابة سر حلب، وبنى بها جامعا، وعدة أملاك ثم أشخص إلى القاهرة، وولي كتابة السر بها، بعد موت السيد الشريف شهاب الدين أحمد بن علي بن إبراهيم بن عدنان الدمشقي، وبعد موت أخيه عماد الدين أبي بكر، وذلك في سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة، وتولى كتابة سر حلب من بعده ولده سراج الدين عمر فباشر شهاب الدين المذكور كتابة سر مصر بغير دربة، وعدم سياسة لأهل مصر، فلم ينتج أمره، وصار لا يلتفت إليه في الدولة، لما كان احتوى عليه من الجهل، وعدم معرفة صناعة الإنشاء، كلاما كثيرا يظهر منه ذلك في الملأ من الناس، وكان يتكلم في بعض الأحيان مع نفسه كلاما كثيرا يظهر عليه الغضب، وكان يتكرر منه ذلك إلى أن يحتد منه نفسه، ويظهر عليه الغضب، وكان يعتريه ذلك حتى في الصلاة. وكان باشر التوقيع عند والدي في نيابته لحلب، فأخذ مرة يحدثني عن ما وقع له بحلب، وشرع يتكلم، وقبل أن يتم الحكاية تركها والتفت يحدث نفسه، وانفض المجلس على ذلك، وكان لا يعتريه ذلك غالبا إلا في حالة الغضب، أو إذا شرع في أمر مهم. وكان إذا تكلم يظهر من كلامه أنه غير فاضل، ووقع له مرة أنه أرسل من حلب وهو كاتب سرها كتابا إلى الملك الأشرف برسباي بواقعة حال، وكان القاضي بدر الدين محمد بن مزهر إذ ذاك كاتب سر مصر، وكانت كتابة ابن السفاح هذا ضعيفه قلقة، وتركيب ألفاظه في الكتب ركيكة، فلم يفهم ابن مزهر ما تضمنه الكتاب، فختمه ثانيا وأرسله في طي كتاب يقول فيه: قد عجزنا عن فهم ما في كتابك، فالمخدوم ينقل خطواته إلى الديار المصرية ليقرأه على مولانا السلطان، فغرم بسبب هذا الكتاب جملة مستكثرة. و لم يزل في وظيفة كتابة السر إلى أن توفي ليلة الأربعاء رابع عشر شهر رمضان سنة خمس وثلاثين وثمانمائة عن ثلاث وستين سنة، وتولى عوضه كاتب السر الصاحب كريم الدين عبد الكريم ابن كاتب المناخ، رحمهما الله تعالى. الضوء اللامع ٥٠/١١.

وستين وسبعمائة تخمينا. وقد برع فى الفقه والأصول والعربية وولى قضاء القضاة فحسنت سيرته، ولم يترك فى الحنفية مثله، ويقال إن بعض جواريه سمعته وقد أوصى بخمسة آلاف درهم لمائة فقير يذكرون [ا لله] قدام جنازته، وسبعة آلاف درهم لكفنه وجهازه ودفنه وقراءة ختمات.

ومات جينوس بن جاك بيروس بن أنطون بن جينوس ملك قبرس، وملك بعده ابنه فى حدود سنة ثمانمائة، وقدم إلى القاهرة مأسورا، ثم أعيد إلى مملكته، وصار نائبا عن السلطان يحمل إليه المال كل سنة.

وقتل نصرانى فى سابع شوال، ضربت رقبته تحت شباك المدرسة الصالحية؛ بسبب وقوعه فى حق نبى ا لله داود بعد ما سجن مدة، وعرض عليه الإسلام، فامتنع.

* * *

سنة ست وثلاثين وثمانمائة

أهلت هذه السنة والخليفة المعتضد با لله أبو الفتح داود بن المتوكل، وسلطان مصر والشام والحجاز وقبرس الملك الأشرف أبو الفرج برسباى، والأمير الكبير الأتابك سودن من عبد الرحمن، وأمير سلاح أينال الجكمى، وأمير مجلس أقبغا التمرازى، ورأس نوبة الأمير تمراز القرمشى، وأمير أخور جقمق، والدوادار الأمير أركماس الظاهرى، والوزير كاتب السر كريم الدين عبد الكريم ابن كاتب المناخ، وناظر الجيش عظيم الدولة ومدبرها القاضى زين الدين عبد الباسط وناظر الخاص سعد الدين إبراهيم ابن كاتب الجكمى، وقاضى القضاة الشافعى الحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن حجر، وقاضى القضاة الحنفى ناظر الأحباس بدر الدين محمود العينتابى، وقاضى القضاة المالكى شمس الدين محمد البساطى، وقاضى القضاة الحنبلى محب الدين أحمد بن نصر ا لله البغدادى، والمحتسب الأمير الحاجب صلاح الدين محمد بن نصر ا لله، والوالى التاج الشويكى، ونائب الشام الأمير شار قطلوا، ونائب حلب الأمير قصروه، ونائب طرابلس الأمير طرباى، ونائب حماة الأمير جلبان، ونائب صفد الأمير مقبل الزينى، ونائب غزة الأمير أينال الأجرود، ومتولى مكة - شرفها ا لله تعالى - الشريف بركات بن حسن بن عجلان، ومتولى مدينة الرسول - ﷺ - الشريف مانع بن على بن عطية، ومتولى ينبع الشريف عقيل بن وبير بن نخبار، وملك المغرب أبو فارس عبد العزيز بن أبى العباس الحفصى، وملك المشرق شاه رخ بن تيمورلنك، ومتملك بغداد شاه محمد بن قرا يوسف، وملك الروم مراد بن محمد كرشجى بن عثمن، وملك اليمن الظاهر يحيى بن الأشرف إسماعيل بن العباس بن رسول .

ونيل مصر متزايد، والأسعار رخيصة، القمح من مائة وثلاثين درهما الأردب إلى ما دون ذلك والشعير والفول من ثمانين درهما الأردب إلى ما دونها. والدينار الأشرفى بمائتين وستين درهما من الفلوس التى كل رطل منها بثمانية عشر درهما، ومصر الدرهم الأشرفى بعشرين درهما من الفلوس، والدينار الأفرنتى بمائتين وخمسين درهما من الفلوس، والأسواق كاسدة.

شهر ا لله المحرم، أوله الخميس:

فى يوم الجمعة ثانيه: كان نوروز القبط بأرض مصر، وهو أول توت.

وقد صار ماء النيل على ثمانية عشر ذراعا، وثلاثة وعشرين إصبعا . واتفق من الغرائب أن يوم الخميس أول السنة وافقه أول يوم من تشرين وهو رأس سنة اليهود، فاتفق أول سنة اليهود مع أول سنة المسلمين، ويوم الجمعة وافقه أول توت - وهو أول سنة النصارى القبط - فتوالت أوائل سنى الملل الثلاث فى يومين متوالين واتفق ذلك أن طائفة اليهود الربانيين يعملون رءوس سنينهم وشهورهم بالحساب، وطائفة القرائين يعملون رءوس سنينهم وشهورهم برؤية الأهلة.

كما هو عند أهل الإسلام، فيقع بين طائفتى اليهود فى رءوس السنين والشهور اختلاف كبير، فاتفق فى هذه السنة مطابقة حساب الربانيين والقرائين للرؤيا، فعمل الطائفتان جميعا رأس سنتهم يوم الخميس. وهذا من النوادر التى لا تقع إلا فى الأعوام المتطاولة.

يوم الأحد ثامن عشره: وافقه سابع عشر توت، وهو يوم عيد الصليب عند أقباط مصر. ونودى فيه على النيل بزيادة إصبع لتتمة عشرين ذراعًا، تنقص إصبعا واحدا. وهذا أيضا مما يندر من كثرة ماء النيل.

وفى ثالث عشرينه: قدم الركب الأول من الحجاج، وقدم المحمل من الغد ببقية الحاج.

وفى سادس عشرينه: ضرب السلطان الأمير أقبغا الجمالى أستادار، وأنزله على حمار إلى بيت الأمير التاج وإلى القاهرة ليعاقبه على استخراج المال. وخلع من الغد يوم الثلاثاء سابع عشرينه على الوزير كريم الدين ابن كاتب المناخ، وأعاده إلى الأستادارية. ورفعت يده من مباشرة كتابة السر، فاستقل بالوزارة والأستادارية، ورسم لشرف الدين الأشقر نائب كاتب السر بمباشرة كتابة السر، حتى يستقر أحد، وعين جماعة لكتابة السر، فوقع الاختيار منهم على قاضى القضاة كاتب السر بدمشق كمال الدين محمد بن البارزى.

وفى ثامن عشرينه - الموافق لسابع عشرين توت -: نودى على النيل بزيادة إصبع لتتمة عشرين ذراعا وخمسة أصابع.

وفى هذا الشهر: طرق الفرنج ميناء طرابلس الشام، فى يوم السبت عاشره، وأخذوا مركبا فيه عددكثير من المسلمين، وبضائع لها قيمة جليلة. وبينا هم فى ذلك إذ قدمت مركب من دمياط فأخذوها أيضا بما فيها وساروا، فلما ورد الخبر بذلك كتب بإيقاع الحوطة على أموال الفرنج الجنوية والقطلان دون البنادقة، فأحيط بأموالهم التى بالشام والإسكندرية.

وفيه أقلع الطاغية صاحب برشلونة عن جزيرة جربة فى عاشره، ومضى إلى جزيرة صقلية بمن معه من جمائع القطلان، وأهل صقلية.

شهر صفر، أوله السبت:

فى ثانيه: توجه القاصد لاستدعاء القاضى كمال الدين محمد بن البارزى ليستقر فى كتابة السر، وأن يستقر عوضه فى قضاء القضاة بدمشق بهاء الدين محمد بن حجى. وأن يستقر عوضه فى كتابة السر بدمشق قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن الكشك الحنفى، ويستقر ولده شمس الدين محمد بن الكشك فى قضاء القضاة الحنفية، ويستقر جمال الدين يوسف بن الصفى فى نظر الجيش بدمشق عوضا عن بهاء الدين محمد بن حجى؛ كل ذلك بمال.

وفى سابعه: قدمت الرسل المتوجهة إلى قبرس. وكان من خبرهم أنهم ركبوا البحر من دمياط فى شينين، فوصلوا إلى الملاحة يوم السبت عاشر المحرم، وسار أعيانهم فى البر يريدون مدينة الأفقسية دار مملكة قبرس، فتلقاهم وزير الملك جوان بن جينوس بن جاك فى وجوه أهل دولته، وأنزلهم خارج المدينة، وعبروا المدينة من الغد يوم الإثنين ثانى عشره، ودخلوا على الملك جوان فى قصره، فإذا هو قائم على قدميه، فسلموا عليه وأوصلوه كتاب السلطان وهو قائم، وبلّغوه الرسالة، فأذعن وأجاب بالسمع والطاعة وقال: «أنا مملوك السلطان، ونائب عنه، وقد كنت على عزم أن أرسل التقدمة». فطلبوا منه أن يحلف، فأجابهم إلى ذلك، واستدعى القسيس، وحلف على الوفاء والاستمرار على الطاعة، والقيام بما يجب عليه من ذلك، فأفيض عليه التشريف السلطانى المجهز له.

وخرجت الرسل من عنده، فداروا بالمدينة وهو ينادى بين أيديهم باستمرار الملك جوان فى نيابة السلطنة، وأن للناس الأمان والاطمئنان، وأمروا بطاعته وطاعة السلطان، ثم أنزلت الرسل فى بيت قد أعد لهم، وأجرى لهم ما يليق بهم من المأكل، وحمل إليهم سبعمائة ثوب صوف قيمتها عشرة آلاف دينار مما تأخر على أبيه أظهر خصم أربعة آلاف دينار ووعد بحمل العشرة آلاف دينار بعد سنة، وبعث إليهم أيضا بأربعين ثوبا صوفا برسم الهدية للسلطان الملك، المالك الأشرف أبو النصر برسباى الدقماقى، وأرسل لكل من الرسل شيئا يليق به على قدره.

وساروا بعد عشرة أيام من قدومهم إلى اللمسون، وركبوا البحر ستة أيام حتى أرسوا على دمياط، وعبروا فى النيل إلى القاهرة فقبل السلطان ما حملوه إليه وقرئ كتابه، فإذا هو يتضمن السمع والطاعة، وأنه نائب السلطنة فيما تحت يده، ونحو هذا.

وفى ثامنه: خلع على حسن باك بن سالم الدكرى أحد أمراء التركمان، وابن أخت قرايلك، واستقر فى نيابة البحيرة، ورسم أن يكون ملك الأمراء، عوضا عن أمير على، وأنعم عليه بمائة قرقل، ومائة قوس، ومائة تركاش، وثلاثين فرسا.

وفى سادس عشرينه: ضربت رقبة رجل ارتد عن الإسلام. وكان من خبره أنه كان نصرانيا، فوجده بعض الناس عند زوجته، فاتقى من القتل بأن أظهر الإسلام، ومضى لسبيله، فلم يقم سوى أشهر وجاء يوم جمعة إلى بعض القضاة وذكر له أنه كان نصرانيا وأسلم، ثم أنه رغب أنه يعود إلى النصرانية.

وقصد أن يُطَهَّر بالسيف، وتكلم بما لا يليق من القدح فى دين الإسلام وتعظيم دين النصرانية وصرح بما يعتقد من إلاهية المسيح وأمه، فتلطف به القاضى ومن عنده، وهو يلح ويعاند ويفحش فى القول، فأمر به فسجن، وعرض عليه الإسلام مرارا فى عدة أيام وهو متماد فى غيه، فلما أعياهم أمره، وملت الأسماع من فحش كلامه، وجهره بالسوء، ضربت رقبته ثم أحرقت جثته.

وفى سابع عشرينه: كتب باستقرار تاج الدين عبد الوهاب بن أفتكين - أحد موقعى الدست بدمشق - فى كتابة السر بها، لامتناع قاضى القضاة شهاب الدين أحمد ابن الكشك من ولايتها. وكتب أيضا باستقرار محيى الدين يحيى بن حسن بن عبد الواسع الحيانى المغربى فى قضاء المالكية بدمشق، عوضا عن شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد الأموى بعد موته.

شهر ربيع الأول، أوله يوم الإثنين:

فيه قدم رسول ملك القطلان من الفرنج بكتابه، وقد نزل على جزيرة صقلية، فى ثانى رمضان، بما ينيف على مائتى قطعة بحرية، فتضمن كتابه الإنكار على الدولة ما تعتمده من التجارة فى البضائع، وأن رعية الفرنج لا يشترون من السلطان ولا من أهل دولته بضاعة، فرد رسوله ردًا غير جميل.

وفى رابعه: فتحت القيسارية المستجدة بخط باب الزهومة من القاهرة، وسكنها الكتبيون؛ وكان سوق الكتب المقابل للصاغة قد هدم وما حوله فى سنة ثلاث وثلاثين، وبنى قيسارية يعلوها ربع، وبدائرها حوانيت، حيث كانت الصيارف تجاه الصاغة، وحيث كانت النقليون وسوق الكتب والأمشاطيين تجاه شبابيك المدرسة الصالحية، وسكن الكتبيون بقيسارية خارج باب زويلة، وسكن عدة منهم فى حوانيت متفرقة

بالقاهرة والصليبة، وسكن فى القيسارية التى عملت بجوار الكتبيين أرباب الأقفاص[1] الذين كانوا بالقفيصات تحت شبابيك القبة المنصورية وشبابيك المدرسة المنصورية، وصارت هذه القيسارية سوقا يضاهى الصاغة، وأسكن فى مقاعد القفيصات ودككها قوم من الخريزاتية - بياعى الخرز - وطائفة من أرباب المعايش. فلما كملت القيسارية المستجدة بباب الزهومة، تجاه درب السلسلة، تحول إليها الكتبيون، وجاءت من أحسن ما بنى بالقاهرة.

وفى ثامن عشره: سرح السلطان إلى جهة أطفيح، برسم الصيد، وقدم من الغد آخر النهار، وسرح قبل هذا إلى جهة شيبين، وإلى بركة الحجاج أربع سرحات.

وفى تاسع عشره: قدم القاضى كمال الدين محمد بن البارزى من دمشق، ومثل يدى السلطان، وقد خرج الناس إلى لقائه، ثم نزل فى داره وخلع عليه من الغد يوم السبت عشرينه، واستقر فى كتابه السر ونزل فى موكب جليل، فسر الناس به سرورا كثيرا لحسن سيرته وكفايته وجميل طويته وكرمه، وكثرة حيائه، يؤيده.

شهر جمادى الأولى، أوله الخميس:

فيه قدم الأمير مقبل الزينى نائب صفد، وكان السلطان قد ركب إلى خارج القاهرة، فركب فى الخدمة إلى القلعة، ثم نزل فى دار أعدت له.

وفى خامسه: خلع على ابن [...[2]...] واستقر فى كشف الوجه القبلى، عوضا عن طوغان العثمانى، على مبلغ اثنى عشر ألف دينار يحملها من البلاد.

وفى ثامنه: خلع على الأمير أسنبغا الطيارى[3]، أحد أمراء العشرات، واستقر فى

---

(١) أقفاص: كذا يتلفظ به العوام وينسبون إليه الأقفاصى، وصوابه أقفهص: اسم بلد بمصر بالصعيد من كورة البهنسا فيما حسب. انظر معجم البلدان ١ / ٢٣٧.

(٢) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٣) أسنبغا بن عبد الله الناصرى الطيارى (٨٥٧ هـ = ١٤٥٣ م)، الأمير سيف الدين رأس نوبة النوب قدم من بلاده وهو فى سن التمييز صحبة الملك الظاهر حقمق، لكن جالبهما غير واحد، فإن تاجره الملك الظاهر حقمق كان الخواجا كَرْلك، وكان تاجر أسنبغا هذا الخواجا عبد الرحمن، فقدم به تاجره المذكور إلى الديار الصرية فابتاعه منه الأمير الوزير ناصر الدين محمد بن رجب وأعتقه واستمر بخدمته إلى أن توفى، خدم عند الأمير سودون الطيار، وبه عرف، وغلب عليه شهرته بالطيارى، واختص به، وصار دواداره والمتحدث عنه فى جميع أموره إلى أن توفى يوم الثلاثاء ثامن عشرين شوال سنة عشرة وثمانمائة، وبعد موت أستاذه سودون الطيارى اتصل بخدمة الملك الناصر فرج وحظى عنده، وصار من جملة الدوادارية الصغار، إلى أن توفى الناصر تنقلت بأسنبغا المذكور=

نظر جدة، عوضا عن سعد الدين إبراهيم بن المرة، وأذن لابن المرة أن يتوجه معه.

وفي حادى عشره: نودى للناس بالإذن فى السفر صحبة الطيارى إلى مكة، فسروا بذلك سرورًا زائدًا، وتجهزوا للسفر.

وفيه توجه الأمير مقبل نائب صفد إلى محل كفالته على عادته، بعدما قدم مالا وغيره بنحو اثنى عشر ألف دينار.

وفي ليلة الثلاثاء ثالث عشره: بالرؤية ورابع عشره بالحساب، خسف جميع جرم القمر فى الساعة الحادية عشر، وأقام فى الخسوف ثلاث ساعات ونصف ساعة.

وفي سابع عشرينه: توجه الوزير الأمير أستادار كريم الدين ابن كاتب المناخ إلى الوجه البحرى، لتحصيل ما يقدر عليه من الجمال والخيل والغنم والمال، لأجل سفر السلطان إلى الشام.

وفي تاسع عشرينه: ورد كتاب شاه رخ بن تيمور ملك المشرق على يد بعض التجار، يتضمن أنه يريد كسوة الكعبة. و لم يخاطبَ السلطان إلا بالأمير برسباى وقد تكررت مكاتبته بسبب كسوة الكعبة مرارا عديدة، و لم يظهر لذلك أثر.

شهر جمادى الآخرة، أوله يوم الجمعة:

=الأحوال إلى أن صار فى الدولة الأشرفية برسباى أمير عشرة، ثم خلع عليه بعد مدة باستقراره مقدم البريدية بعد موت بيبغا، ثم رسم له بالتوجه إلى شد بندر جدة بالبلاد الحجازية لحصد أموال السلطنة بها فى سنة ست وثلاثين وثمانمائة على عادة من تقدمه فتوجه المذكور إليها وباشر البندر أحسن مباشرة، وحسنت سيرته، و لم يسلم من الحساد وأوغروا خاطر الملك الأشرف عليه، فرسم بمسكه ومصادرته ثم بنفيه إلى مدينة طرابلس، فتوجه المذكور إلى طرابلس فلم يلبث بها إلا يسيرا، وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه بها، ثم نقل إلى دمشق، فما أظن، ثم طلب إلى ديار مصر، وأنعم عليه بإمرة عشرة بها، ثم نقل إلى الحجوبية الثانية وإمرة طبلخاناه، ودام على ذلك إلى أن توفى الملك الأشرف برسباى فى ذى الحجة سنة إحدى وأربعين وثمانمائة، وتسلطن من بعده ولده العزيز يوسف نقل أسنبغا من الحجوبية الثانية إلى الدوادارية الثانية بعد الأمير أيتال الأبى بكرى بحكم الظاهر جقمق إلى إمرة مائة وتقدمة ألف، «فباشر الدوادارية إلى أن نقله الملك الظاهر جقمق إلى إمرة مائة وتقدمة ألف»، وتولى الدوادارية عوضه الأمير دولات باى المحمودى الأمير آخور الثانى، واستقر فى الأمير آخورية الثانية عوضه الأمير جرباش المحمدى الناصرى المعروف بكرت، كل ذلك فى سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة، فاستمر أسنبغا من جملة الأمراء مقدمى الألوف من يوم تاريخه إلى شهر ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة، واستقر رأس نوبة النوب بعد موت الأمير تمرباى التمربغاوى. انظر المنهل الصافى ٢/ ٤٣٨، وما بعدها.

فى خامسه: أنفق السلطان فى المماليك المجردين إلى مكة صحبة الأمير أسنبغا الطيارى، وهم خمسون مملوكا، كل واحد مبلغ ثلاثين دينارا.

وفى ثامن عشره: برز الطيارى بمن معه.

وفيه خلع على سعد الدين بن المرة ليكون رفيقا للطيارى.

وفيه ابتدئ بصرف نفقة السفر إلى الشام.

وفى حادى عشره: أنفق فى الأمراء نفقة السفر، فحمل إلى الأمير الكبير الأتابك سودن من عبد الرحمن فضة عن ثلاثة آلاف دينار، وإلى كل من الأمراء الألوف - وهم عشرة - ألفا دينار، وإلى كل من أمراء الطبلخاناه خمسمائة دينار، كل ذلك فضة.

وفى ثالث عشرينه: استقل الطيارى بالمسير من بركة الحجاج فى ركب يزيد على ألف ومائة جمل.

وفى سلخه: ابتدئ بنفقة المماليك السلطانية، وهم ألفا وسبعمائة، لكل منهم صرة فيها ألف درهم أشرفى، وخمسون درهما أشرفية، عنها من الفلوس اثنان وعشرون ألف درهم؛ وهى مصارفة مائة دينار، من حساب كل دينار بمائتين وعشرين درهما فلوسا، والدينار يومئذ يصرف بمائتين وثمانين. وكذلك نفقات الأمراء التى تقدم ذكرها، إنما حملت إليهم دراهم على هذا الحساب.

وفى هذا الشهر: نزل بأهل الوجه البحرى من نزول الأستادار على بلاء عظيم.

شهر رجب أوله، الأحد:

فى ثالثه: قدم الوزير أستادار من الوجه البحرى، وقد احتاج أهله بأخذ خيولهم وأغنامهم وأموالهم، هو وأتباعه، فما عفوا ولا كفوا.

وفى يوم الخميس ثانى عشره: أدير محمل الحاج، ولم يعمل ما جرت العادة به من التجمل، بل أوقف تحت القلعة، وأعيد، ولم يتوجه إلى مصر، وهذا شىء لم يعهد مثله.

وفى رابع عشره: نصبت خيام السفر خارج القاهرة، بطرق الريدانية، تجاه مسجد تبر.

وفى سادس عشره: خرج أمراء الجاليش - وهم الأمير الكبير سودن من عبد الرحمن، وأمير سلاح أينال الجكمى، وحاجب الحجاب قرقماس، وقانباى الحمزاوى، وسودن ميق - ونزلوا بالمخيمات، ورسم بإخراج البطالين من الأمراء والمماليك، فتوجه

الأمير ألطنبغا المرقبى - صاحب الحجاب فى الأيام المؤيدية - والأمير أيتمش الخضرى أستادار إلى القدس. وكان كل منهما عدة سنين ملازما لداره، ومنع من بقى من الأسياد أولاد الملوك من ذرية الناصر محمد بن قلاوون من سكنى القلعة وطوعها، وأخرجوا من دورهم بها، وكانوا لما منعوا من سنين، سكن أكثرهم بالقاهرة وظواهرها، فذلوا بعد عزهم، وتبذلوا بعد تحجبهم، وبقى من أعيانهم طائفة مقيمة بالقلعة، وتنزل بالقاهرة لحاجاتها، ثم تعود إلى دورها، فأخرجوا بأجمعهم فى هذه الأيام، ومنعوا من القلعة، فتفرقوا شذر مذر، كما فعل أبوهم الناصر محمد بن قلاوون بأولاد الملوك بنى أيوب، وكذلك فعل الله ببنى أيوب كما فعل أبوهم الكامل محمد بن العادل أبو بكر بن أيوب بأولاد الخلفاء الفاطميين، **﴿ولا يظلم ربك أحدا﴾**(١).

وفى سابع عشره: أعيد دولات خجا إلى ولاية القاهرة، عوضا عن التاج، لسفره فى الخدمة السلطانية مهمندار وأستادار الصحبة، وجليسا. وخلع على شهاب الدين أحمد ابن محمد بن على(٢) - ويعرف بابن النسخة شاهد القيمة - واستقر فى حسبة مصر، عوضا عن شمس الدين أحمد بن العطار.

وقدم كتاب متملك تونس - وعامة بلاد المغرب - أبى فارس عبد العزيز، يتضمن واقعته مع ملك الفرنج القطلان، على جزيرة جربة.

وفى يوم الخميس تاسع عشره - الموافق له أول فصل الربيع -: وانتقال الشمس إلى برج الحمل - ركب السلطان، وعبى أطلابه، وتوجه فى أثناء الساعة الثالثة من النهار، فسار فى ركب جليل إلى الغاية، وقد تجمع الناس لرؤيته، حتى نزل بمخيمه، وصحبته الأمير جقمق العلاى أمير أخور، والأمير أركماس الظاهرى الدوادار، والأمير تمراز القرمشى رأس نوبة، والأمير جانم ابن أخى السلطان، والأمير يشبك المشد، والأمير جانبك الحمزاوى، هؤلاء أمراء الألوف، ومن الطبلخاناه الأمير تمرباى الدوادار الثانى، والأمير قراخجا الشعبانى، والأمير قراسنقر من عبد الرحمن، واستقر فى نيابة الغيبة بباب

---

(١) سورة الكهف ٤٩.

(٢) الشهاب الحجازى (٧٩٠ - ٨٧٥ هـ = ١٣٨٨ - ١٤٧١). أحمد بن على الأنصارى الخزرجى، شهاب الدين المعروف بالحجازى: من شيوخ الأدب فى مصر. مولده ومنشأه ووفاته فى القاهرة. نظم الشعر، وعنى بالموسيقى، وقرأ الحديث والفقه واللغة، وتصدر للتدريس. انظر نظم العقيان ٦٣، بدائع الزهور ٢ / ١٢٥، آداب اللغة ٣ / ١٢٦، الضوء اللامع ٢ / ١٤٧. الأعلام ١/ ٢٣٠.

السلسة من القلعة الأمير تغرى برمش التركمانى[1] أحد الألوف، واستقر بالقلعة المقام الجمالى ولد السلطان أحد الألوف، والأمير خشقدم الزمام أحد الطبلخاناه، والأمير تانى بك والى القلعة، فى عدة من المماليك. واستقر خارج القلعة الأمير أقبغا التمرازى أمير مجلس، وقد رسم بحضوره من عمل الجسور بعد فراغها. ورسم للأمير أينال الششمانى أحد الطبلخاناه أن يكون أمير الحاج فى الموسم، ورسم بإقامة الأمير الإسماعيلى أحد الطبلخاناه وحاجب الميسرة، وإقامة الأمير الوزير كريم الدين أستادار.

وفى يوم الجمعة عشرينه: سار السلطان من الريدانية ومعه من ذكرنا من الأمراء والمماليك، ومعه الخليفة وقضاة القضاة الأربع، وسافر فى الصحبة ناظر الدولة أمين الدين إبراهيم بن مجد الدين عبد الغنى بن الهيصم، ونديم السلطان ولى الدين محمد بن قاسم الشيشينى.

شهر شعبان، أوله الإثنين:

فيه وصل السلطان إلى غزة، ورحل منها فى رابعه، وقدم النجاب بذلك فى ثامنة، فنودى بالقاهرة فى الناس بالأمان، ورفع الظلم، ومنع الرمايات على الباعة.

وفى يوم الإثنين خامس عشره: وصل السلطان إلى دمشق، وسار عنها يريد حلب فى يوم السبت عشرينه، وقدم النجاب بذلك فى سادس عشرينه، فدقت البشائر بقلعة الجبل، ونودى فى القاهرة وظواهرها بذلك.

---

(١) هو تغرى برمش بن يوسف (٨٢٠ هـ = ١٤١٤ م)، الشيخ زين الدين التركمانى الجندى الحنفى أبو المحاسن، أصله من بلاد الروم، واعتنى بطلب العلم ببلده، ثم قدم إلى القاهرة فى دولة الملك الظاهر برقوق وهو شاب، واشتغل بالعلم، وأخذ عن المشايخ وتفقه بجماعة من أعيان العلماء كالشيخ الدين التبانى وغيره، وكان كثير الإستحضار لفروع منذهبه، يحفظ بعض مختصرات إلا أن ذكاءه لم يكن بذاك وكان يميل إلى الصوفية، مع أنه كان يبالغ فى ذم ابن عربى، وأحرق كتبه. وكان لجماعة من الأمراء فيه محبة ونال بصحبتهم جاها وتعظيما عنده الأعيان وقتا بعد وقت فى دولة الظاهر برقوق، ثم فى دولة ابنه الملك الناصر فرج، ثم فى الدولة المؤيدة شيخ، وأرسله الملك المؤيد إلى الحجاز وعلى يده مراسيم تتضمن النظر فى أحوال مكة المشرفة، وجاور بمكة، وأخذ فى الأمر فيها بالمعروف والنهى عن المنكر، ومنع المؤذنين من المدائح النبوية فوق المنبر ليلا، ومنع المداحين من الإنشاد فى المسجد الحرام، ومنع الصغار من الخطابة فى الليالى رمضان، والوقيد فى الليالى المعروفة بالحرم، وجرى له مع أهل مكة أمور بسبب ذلك بطول الشرح فى ذكرها، ثم عاد إلى القاهرة، وكان يميل إلى دين وخير. وتوفى سنة عشرين وثمانمائة. انظر المنهل الصافى ٤/٥٦، ٥٧، الدليل الشافى ١/ ٢١٨ العقد الثمين ٣/ ٣٨٨، شذرات الذهب ٧/ ١٥٧.

شهر رمضان، أوله الثلاثاء:

وفي خامسه: وصل السلطان إلى حلب، فنزل بظاهرها فى المخيمات، ورحل يريد مدينة آمد فى حادى عشرينه.

وفيه قدم الخبر بذلك إلى قلعة الجبل، فدقت البشائر، ونودى بإعلام الناس، فنزل السلطان إلى البيرة فى سادس عشرينه، وكتب منها إلى القاهرة على يد نجاب.

شهر شوال، أوله الخميس:

فى تاسعه: قدم النجاب برحيل السلطان من البيرة، بعد تعدية الفرات فى سادس عشرين رمضان.

وفى يوم الإثنين تاسع عشره: خرج محمل الحاج صحبة الأمير أينال الششمانى إلى الريدانية خارج القاهرة، ورفع منها إلى بركة الحجاج، ثم استقل بالمسير من البركة فى ثالث عشرينه، والحاج ركب واحد لقلتهم، ولم نعهد الحاج فيما سلف بهذه القلة.

وفى هذا الشهر: تعدد وقوع الحريق فى أماكن، فظهرت نار فى الجرون بناحية شبيين القصر، وأحرقت غلات كثيرة، وكان وقت الدراس، واجترت فأرة فتيلة سراج فى خن مركب قد أوسق بثياب وسيرج وغير ذلك، ووقف بساحل مدينة مصر ليسير إلى الصعيد، فأحرقت النار جميع ما كان فى الركب، وسرت إليها فاحترقت بأجمعها، وهي فى الماء حتى صارت فحما، ووقعت النار فى دور متعددة بالقاهرة ومصر.

وفى يوم الأربعاء ثامن عشرينه: كسف من جرم الشمس نحو الثلثين فى برج السرطان، بعد العصر بزيادة على ساعة، فما غربت حتى بدأ الكسوف ينجلى، وفى مدة الكسوف اعتمت الآفاق، وظهر بعض الكواكب.

شهر ذى القعدة، أوله السبت:

فيه أخذ قاع النيل، فجاء ستة أذرع وثلاثة أصابع، ونودى من الغد بزيادة خمسة أصابع، واستمر النداء بزيادة ماء النيل.

وفى ليلة الجمعة رابع عشره: خسف أكثر جرم القمر، فطلع من الأفق الشرقى منخسفا، وانجلى الخسوف وقت العشاء. وهذا من النوادر، وقوع الخسوف القمرى بعد كسوف الشمس بخمسة عشر يوما.

وفى خامس عشره: قدم ساع على قدميه من حلب بكتاب السلطان من آمد بأنه

نزل عليها وقد خرج عنها عثمان بن ططر على المعروف بقرا يلك، وأشحنها بالمقاتلة، فحصرها العسكر.

وفى حادى عشرينه: قدم نجاب بكتاب السلطان من آمد مؤرخ بعشرين شوال، بأن قرا يلك عزم تعدية الفرات يريد حلب، فأدركته العساكر السلطانية، وقد نزل بعض أصحابه الفرات، فقاتلوهم، وقتلوا منهم، وغرق منهم جماعة، وأسر جماعة، ضربت أعناقهم.

وفى رابع عشرينه: دقت البشائر بقلعة الجبل، ونودى بأن إسكندر بن قرا يوسف قدم بعساكره نجدة للسلطان، ثم تبين كذب هذا الخبر.

وفى هذا الشهر: تحركت أسعار الغلال فأبيع القمح بمائة وثلاثين درهما الأردب بعد مائة، وأبيع الأردب الشعير والفول من ثمانين إلى بضع وتسعين بعدما كان بستين. وسبب ذلك أن طائفة من الناس قد اعتادت منذ سنين أن ترجف فى أيام زيادة النيل بأنه لا يبلغ الوفاء، يريدون بذلك غلاء الأسعار، فتكف أرباب الغلال أيديها عن البيع، ويأخذ آخرون فى شراء الغلال وخزنها، ليتربص بها دوائر الغلاء، فيتحرق السعر من أجل ذلك، فإذا بلغ النيل القدر المحتاج إليه فى رى الأراضى، وزرع الناس، أيس طلاب الغلاء فباعوا ما قد اختزنوه منها، فينحل السعر، ويتضع.

وفى ثامن عشرينه: عزل نائب الغيبة دولات خجا عن ولاية القاهرة، وأقام عوضه دواداره - أعنى دولات خجا - وهو مجهول لا يعرف ونكرة لا يتعرف، ومع ذلك فأحوال الناس بالقاهرة جميلة لحسن سيرة نائب الغيبة، وتثبته وإظهار العدل، مع كثرة الأمن ورخاء أسعار عامة المبيعات كلها.

شهر ذى الحجة، أوله الأحد:

فى سادسه: قدم الأمير كمشبغا الأحمدى أحد الطبلخاناه بكتاب السلطان من الرها، مؤرخ بثامن عشر ذى القعدة، يتضمن أنه رحل عن آمد بعدما أقام على حصارها خمسة وثلاثين يوما، حتى طلب قرايلك الصلح، فصولح، ورحل العسكر فى ثالث عشر ذى القعدة، فدقت البشائر، ونودى بذلك فى الناس، وقدم الخبر بقدوم السلطان إلى حلب فى خامس عشرين ذى القعدة، ورحيله منها فى خامس ذى الحجة، وقدومه دمشق فى تاسع عشره.

وفى ثامن عشرينه: نودى على النيل بزيادة إصبع واحد، لتتمة خمسة عشر ذراعا،

وثمانية عشر إصبعا. وأصبح الناس يوم الأحد عشرينه - وهو ثالث عشرين مسرى - وقد نقص ستة أصابع، فازدحم الناس على شراء القمح، وقد بلغ إلى مائة وأربعين درهما الأردب، فتعدى مائة وخمسين.

وفيه خرج الأمير الوزير كريم الدين أستادار إلى لقاء السلطان.

وفي ثامن عشرينه: برز السلطان من دمشق يريد القاهرة. وكان من خبره أنه سار من حلب في حادى عشرين رمضان، ونزل البيرة في خامس عشرينه، وقد ترك الأثقال والقضاة ونحوهم بحلب، فعدى الفرات بالمقاتلة في يومين، ودخل الرها في سلخه، وسار من الغد، فنزل على آمد في ثامن شوال، ومعه من المماليك السلطانية والأمراء ومماليكهم ونواب البلاد الشامية بأتباعهم، ومن انضم إليهم من التركمان، ومن عرب كلاب، ما يقارب عددهم عشرة آلاف، والمجازف يقول ما لا يعلم، فأناخ عليها، وقد خرج قرا يلك منها إلى أرقنين[1] وترك بآمد ولده، فترامى الفريقان بالنشاب، ثم زحف السلطان بمن معه في يوم السبت عاشره من بكرة النهار إلى ضحاه وعاد فلم يقع زحف بعد ذلك، وقتل في هذا الزحف مراد بك بن قرا يلك بسهم، وقتل حمزة الخازندار نائب آمد وجماعة، وجرح من أهل آمد ومن العسكر كثير، وقبض على جماعة من أهل آمد، فقتل بعضهم وترك بعضهم في الحديد، ونزل محمود بن قرا يلك في عسكر على جبل مشرف على العسكر، وصار يقتل من خرج من الغلمان ونحوهم لأخذ القمح ونحوه، ومنع الميرة عن العسكر. فقدم في يوم الإثنين ثاني عشره صاحب أكِلّ[2] - واسمه دولات شاه - فخلع عليه، وأنزل في العسكر، ثم قدم الملك الأشرف أحمد بن سليمان ابن غازى بن محمد بن أبي بكر بن عبد الله، صاحب حصن كيفا، باستدعاء، حتى قارب العسكر، فخرج عليه عدة من العسكر قرا يلك، فقتلوه وقتلوا معه قاصد السلطان المتوجه إليه، فاشتد ذلك على السلطان وبعث في إحصار قاتليه جماعة من العربان والتركمان، فأحضروا من جماعة قرا يلك عشرين رجلا، ثم توجهوا ثانية فأحضروا ثلاثين رجلا وسطوا تجاه قلعة بآمد[3] ثم توجهوا ثالثا فأحضروا واحدًا وعشرين رجلا،

---

(١) أرقنين: بلد بالروم غزاه سيف الدولة حمدان، وذكره أبو فراس فقال: إلى أن وردنا أرقنين نوقها وقد نكلت أعقابنا والمخاصر. ورواه بعضهم بالفاء، والأول أكثر. انظر معجم البلدان ١ / ١٥٣.

(٢) سبق ترجمتها، وهي قرية من قرى ماردين.

(٣) سبق ترجمتها.

منهم قرا محمد أحد أمراء قرا يلك، ومنهم صاحب ماردين[١] فوسط قرا محمد ومعه عشرون رجلا. فاتفق أن واحدًا منهم انفلت من وثاقه، فمر يعدو والعسكر تنظره، فما أحد رماه بسهم، ولا قام فى طلبه حتى نجا، وطلع القلعة. وفى أثناء ذلك سار الأمير شار قطلوا نائب الشام، ومعه عدة من التركمان والعرب وغيرهم لقتال قرا يلك، فكانت بينهم وقعة، قتل وجرح فيها من التركمان والعرب وأصحاب قرا يلك جماعة، وتأخر شار قطلوا عن لقائه، فبعث قرا يلك بقرا أحمد بن عمه، وبكاتب سره بكتبه يترامى على نواب الشام فى الصلح، فمازالوا بالسلطان حتى أجاب إلى ذلك، وبعث إليه شرف الدين أبا بكر الأشقر نائب كاتب السر، حتى عقد الصلح معه، وحلفه على الطاعة، وجهز إليه كاملية حرير مخمل بفرو سمور، وقباء حرير بوجهين وعليه طراز عرض ذراع ونصف وربع، وثلاثون قطعة قماش سكندرى، وسيف بسقط ذهب، وفرس بقماش ذهب، وخلع على قصاده. فقدم قاصدا إسكندر بن قرا يوسف صاحب توريز وعراق العجم بأنه قادم إلى الخدمة السلطانية، فأجيب بالشكر، وأنه قد وقع الصلح مع قرا يلك.

وكان الذى وقع الصلح عليه أن قرا يلك لا يتعرض إلى شىء من أطراف المملكة من الرحبة، وإلى دوركى، وأن يسهل طرق الحجاج والتجار ونحوهم من المسافرين، ولا يتعرض لحصن كيفا ولا لرعيتها وحكامها، ولا لدولات شاه حاكم أكل وقلاعه، وأن يضرب السكة، ويقيم الخطبة للسلطان بديار بكر، وأن يمتثل ما يرد عليه من مراسيم السلطان.

ثم قدم الملك شرف الدين يحيى بن الأشرف صاحب كيفا - وقد استقر فى سلطنة الحصن أخوه الملك الصالح صلاح الدين خليل بن الملك الأشرف - بتقدمة أخيه، فخلع عليه، وجهز للصالح خلعة وسيف.

ثم رحل السلطان ومن معه عن آمد، بعد الإقامة عليها خمسة وثلاثين يوما، فى ثالث عشر ذى القعدة، وقد غلت عندهم الأسعار، فبلغ الأردب الشعير نحو دينارين ونصف، وأنه كان يعطى فيه إثنان وسبعون درهما مؤيدية، عن كل مؤيدى سبعة دراهم ونصف من الفلوس، نقد القاهرة، ويصرف دينار بثلاثين مؤيديا فضة، وبلغ القمح كل أربعة أقداح بدرهمين فضة، وبلغ القدح الواحد من الملح خمسة عشر درهما فضة، وبلغ الرطل من الزيت ومن السرج بثلاثين درهما فضة، ونهب من ضواحى آمد غلال لا

---

(١) سبق ترجمتها.

تحصى، منها زيادة على مائتى ألف أردب بمقتضى المحاسبة، سوى ما انتهبه العسكر، وخرب ما هنالك من الضياع، وأخذت أخشابها، وقطعت أشجارها، ونهب ما فيها، وفعل بأهلها ما لا يمكن وصفه، فلما وصل السلطان من آمد إلى الرها أقر الأمير أينال الأجرود نائب غزة بالرها، وقواه بنحو خمسة آلاف دينار وشعير وبشماط وأرز وزيت وصابون وسلاح كثير، وولى عوضه نيابة غزة الأمير جانبك الحمزاوى، وقدمه إليها، ثم رحل، فقدم حلب فى خامس عشرينه، وسار منها فى خامس ذى الحجة، ودخل دمشق فى تاسع عشره. وكانت سفرة مشقة زائدة الضرر، عديمة النفع، أنفق السلطان فيها من المال الناض[1] خمسمائة ألف دينار، وتلف له من سلاح والخيل والجمال وغير ذلك. وأنفق الأمراء والعساكر بمصر والشام، وتلف لهم من الآلات والدواب والقماش ما تبلغ قيمته مئات قناطير من ذهب، وتلف لأهل آمد وذهب مال عظيم جدا. وقتل خلق كثير، ونفق من دواب العسكر زيادة على عشرة آلاف، ما بين جمل وفرس، ولم يبلغ أحد غرضا من الأغراض، ولا سكنت فتنة. وإنى لأخشى أن يكون الأمر فى هذه الكائنة كما قيل:

لا تحقرن سبيبا ... كم جر شرًا سبيب

و لله عاقبة الأمور.

وفيها تحيل أصبهان بن قرا يوسف على أخذ بغداد من أخيه محمد شاه، بأن بعث أربعين رجلا قد حلقوا لحاهم، كأنهم قلندرية، ثم دخلوا بغداد شيئا بعد شىء، وقد واعدهم على وقت، فلما وافاهم ليلا إذا هم قد ركبوا السور، ورفعوا من أصحاب أصبهان جماعة، ثم قتلوا الموكلين بالباب، ودخل بمن معه، ففر شاه محمد بحاشيته فى الماء، واستولى أصبهان على بغداد، وسلب من بها جميع ما بأيديهم، بحيث لم يبق بها من الأسواق سوى حانوتين فقط، ولحق شاه محمد بالموصل.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

نور الدين على جلال الدين محمد الطنبدى التاجر، فى ليلة الجمعة رابع عشر صفر، عن سبعين سنة، وترك مالا جما.

ومات الشهاب أحمد بن غلام الله بن أحمد بن محمد الكومريشى[2] فى سادس

---

(١) النض: يقصد الدرهم الصامت.

(٢) الكوم الريشى (٧٧٨٣ - ٨٣٦ هـ = ١٣٨١ - ١٤٢٢م). أحمد بن غلام الله بن أحمد=

عشرين صفر، وقد أناف على الخمسين. وكان يجيد حل التقويم من الزيج ويشدو شيئًا من أحكام النجوم، ولم يخلف بعده مثله.

ومات قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن محمد بن الأموى المالكى بدمشق، فى يوم الثلاثاء حادى عشر صفر. وقد ولى قضاء القضاة المالكية بديار مصر فى الأيام المؤيدية شيخ، ولم يشهر بعلم ولا دين.

ومات الأمير علاء الدين منكلى بغا الصلاحى، أحد الحجاب، فى ليلة الخميس عشر ربيع الأول، بعد مرض امتد سنين. وهو من جملة المماليك الظاهرية برقوق، وأحد دواداريته. وولى حسبة القاهرة فى الأيام المؤيدية، وعزل عنها وصار من جملة الحجاب. وكان يدرى طرفا من الفقه، ويكتب الخط الجيد وأرسل إلى تيمور لنك رسولا فى الأيام الناصرية فرج.

وماتت قنقباى خوند أم المنصور عبد العزيز بن برقوق، فى سلخ جمادى الآخرة، عن مال كثير، وكانت تركية الجنس. وهى آخر من بقى من أمهات أولاد الظاهر برقوق. وكانت شهرتها جميلة.

ومات الأمير تغرى بردى المحمودى أتابك العساكر بدمشق، مقتولا على آمد فى شوال.

ومات الأمير سودن ميق أحد الألوف، مقتولا على آمد أيضا.

ومات الأمير جانبك الحمزاوى. وقد ولى نيابة غزة، وتوجه إليها فأتته المنية فى طريقه. ومستراح منه ومن أمثاله.

ومات الأمير تنبك المصارع أحد أمراء العشرات مقتولا على آمد.

ومات تاج الدين عبد الوهاب بن أفتكين كاتب سر دمشق فى ذى القعدة، وولى عوضه نجم الدين يحيى بن المدنى، ناظر الجيش بحلب.

ومات الملك الأشرف أحمد بن العادل سليمان بن المجاهد غازى بن الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن الأوحد عبد الله بن المعظم توران شاه بن السلطان الملك الصالح نجم

=ابن محمد، شهاب الدين الكوم الريشى القاصدى: فلكى مصرى، من أهل «كوم الريشى» اشتغل فى فن النجوم وصار يحل الزيج ويكتب التقادم. وعين مؤقتا بجامع الملك المؤيد بالقاهرة. له «اللمع فى حل الكواكب السبعة». انظر الضوء اللامع ٢ / ٦٢ والأعلام ١ / ١٩٢.

الدين أيوب[١] بن الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن نجم الدين أيوب بن شادى، صاحب حصن كيفا. وقد سار من بلده يريد لقاء السلطان على آمد، فاغتيل فى ذى القعدة. وكان قد أقيم فى سلطنة الحصن بعد أبيه فى سنة سبع وعشرين. وكان فاضلا بارعا أديبا، له ديوان شعر. وكان جوادًا محبًّا فى العلماء. وولى بعده ابنه الكامل أبو المكارم خليل.

* * *

(١) الملك الصالح (٦٠٣-٦٤٧هـ= ١٢٠٦-١٢٤٩م) أيوب (الملك الصالح) بن محمد (ملك الكامل) بن أبى بكر (العادل) بن أيوب، أبو الفتوح نجم الدين: من كبار الملوك الأيوبيين بمصر ولد ونشأ بالقاهرة وولى بعد خلع: أخيه (العادل) سنة ٦٣٧هـ. وظبط الدولة بحزم. وكان شجاعا مهيبا عفيفا صموتا، عمر بمصر ما لم يعمر، أحد من ملوك بن أيوب. وفى أواخر أيامه أغار الإفرنج على دمياط (سنة ٦٤٧٩هـ) وأصاب البلاد ضيق شديد، وكان الصالح غائب فى دمشق، فقدم ونزل أمام الفرنج وهو مريض بالسد فمات بناحية المنصورة ونقل إلى القاهرة. من آثاره قلعة الروضة بالقاهرة. انظر خطط المقريزى ابن إياس ٨٣/١ السلوك ٢٩٦/١-٣٤٢ وتاريخ الإسحاقى ١٨٩، ومرآة الزمان ٧٧٥/٨. والأعلام٣٨/٢.

سنة سبع وثلاثين وثمانمائة

أهلت هذه السنة وخليفة الوقت المعتضد با لله داود. وسلطان الإسلام بمصر والشام والحجاز وقبرس الملك الأشرف برسباى. والأمير الكبير سودن من عبد الرحمن. وأمير سلاح أينال الجكمى. وأمير مجلس أقبغا التمرازى. ورأس نوبة الأمير تمراز القرمشى، وأمير أخور جقمق. و الدوادار أركماس الظاهرى. وحاجب الحجاب قرقماس. والوزير وأستادار كريم الدين عبد الكريم ابن كاتب المناخ. وكاتب السر كمال الدين محمد بن ناصر الدين محمد بن البارزى. وناظر الجيش القاضى زين الدين عبد الباسط، وهو عظيم الدولة وصاحب تدبيرها. وناظر الخاص سعد الدين إبراهيم ابن كاتب حكم. وقضاة القضاة على حالهم. ونواب السلطنة وملوك الأطراف كما تقدم فى السنة الخالية.

والنيل قد تأخر وفاءه، والناس لذلك فى قلق وتخوف، وقد كثر تكالبهم على شراء الغلة، وبلغ القمح إلى مائة وأربعين درهما الأردب. على أن الذهب بمائتين وخمسة وثمانين درهما الدينار.

شهر ا لله المحرم، أوله الثلاثاء:

فيه نودى على النيل برد ما نقص، وزيادة ثلاثة أصابع، فعظم سرور الناس بذلك، وباتوا على ترجى الوفاء، فنودى من الغد - يوم الأربعاء ثانيه، وسادس عشرين مسرى - بوفاء النيل ستة عشر ذراعا، وزيادة أصبعين من سبعة عشر ذراعا، فكاد معظم الناس يطير فرحا. وغيظ من عنده غلال يتربص بها الغلاء، ففتح الخليج على العادة.

وفى ثالثه: قدم مبشرو الحاج.

وفى ثانى عشره: ورد الخبر بمسير السلطان من دمشق بمن معه فى أوله فنودى بالزينة، فزين الناس الحوانيت. ووافق هذا اليوم أول توت، وهو نوروز أهل القبط بمصر. وماء النيل على سبعة عشر ذراعا وثمانية أصابع.

وفيه قدمت أثقال كثير من العسكر.

وفى رابع عشره: قدم الأمير أيتمش الخضرى من القدس، وتتابع مجىء الأثقال من أمتعة العسكر وجمالهم، واستعد الناس للملاقاة.

وفيه خرج المقام الجمالى يوسف[1] ابن السلطان؛ لملاقاة أبيه.

وفيه أمطرت السماء، ولم نعهد قبله مطرا فى فصل الصيف، فأشفق أهل المعرفة على النيل أن ينقص، فإن العادة جرت بأن المطر إذا نزل فى أيام الزيادة هبط ماء النيل، فكان كذلك، ونقص فى يوم الجمعة ثامن عشره، وقد بلغت زيادته سبعة عشر ذراعا، وثمانية عشر إصبعا. وكان نقصه فى هذا اليوم ستة وعشرين أصبعا، فشرق من أجل هذا كثير من أراضى مصر؛ لفساد الجسور، وإهمال حفر الترع.

وفى يوم الأحد عشرينه: قدم السلطان بمن معه من سفره، ومر من باب النصر فى القاهرة، وقد زينت لقدومه، فنزل بمدرسته، وصلى بها ركعتين، ثم ركب وخرج من باب زويلة إلى القلعة. وخلع على أرباب الدولة، فكان يوما مشهودا.

وفيه خلع على الأمير تاج الدين الشويكى، وأعيد إلى ولاية القاهرة على عادته، مع ما بيده من شد الدواوين وغيره.

وفى ثانى عشرينه: قدم سوابق الحاج. ونزل المحمل ببركة الحاج فى غده، وقد مات من الحاج بطريق المدينة من شدة الحر عدة كثيرة.

شهر صفر:

أهل بيوم الخميس، وقلق الناس متزايد، فإن النيل تراجع نقصه، حتى صار على سبعة عشر ذراعا. ثم نقص تسعة أصابع، فشره الناس فى ابتياع الغلال، وشح أربابها بها. فبلغ الأردب القمح مائة وثمانين درهما، والشعير مائة وأربعين. وفُقد الخبز من الأسواق عدة ليالى.

---

(١) يوسف بن برسباى (الملك العزيز- جمال الدين) [٨٢٧- ٨٦٨هـ= ١٤٢٤-١٤٦٣م] (الأشرف) الدقماقى الظاهرى، أبو المحاسن، جمال الدين: من ملوك دولة الجراكسة بمصر والشام. ولد بالقاهرة، ونودى به سلطانا بعد وفاة أبيه سنة (٨٤١هـ) بعهد منه فولّى الأتابكى «جقمق العلائى» تدبير مملكته، فاستولى هذا على أمور الدولة صغيرها وكبيرها. ولم يلبث مماليك جقمق أن خلعوا العزيز (سنة ٨٤٢) ونادوا بجقمق ملكا، فأدخله دور الحرم، فكانت مدة سلطنته ثلاثة أشهر وخمسة أيام وخرج من دور الحرم متخفيا، يريد استنفار مماليكه ومماليك أبيه فقبض عليه، وأرسل إلى برج الإسكندرية معتقلا، فأقام إلى أن كانت دولة الظاهر «خشقدم» سنة ٨٦٥ هـ فأفرج عنه وسمح له بالسكنى فى الإسكندرية حيث شاء على ألا يخرج منها فسكنها إلى أن مات.

مورد اللطافة لابن تغرى بردى ١٢٢ والضوء اللامع ١٠:٣٠٣ وحوادث الدهور: انظر فهرسته. وصفحات لم تنشر من بدائع الزهور ١٠١ ووليم موير ١٤٢ وشذرات ٧:٢٣٩،٢٤٢،٣٠٨ وابن إياس ٢:٢٣،٢٥- ٢٦. وفيه أن الذى أفرج عنه وألزمه الإقامة بالإسكندرية، هو «الأشرف أينال سنة ٨٥٧ هـ. ونظم العقيان ١٧٩هـ وفيه: ولد سنة ٨٠٧هـ».

وفيه ألزم السلطان الوزير الصاحب كريم الدين أستادار بحمل ما توفر من العليق بالديوان المفرد فى مدة السفر، وهو خمسون ألف أردب [١]، وما توفر من العليق بديوان الوزارة، وهو عشرون ألف أردب، وبعث إلى النواحى من يتسلمها منه.

وفى ثانى عشرينه: عزل داود التركمانى من كشف الوجه القبلى، وسلم إلى الأمير أقبغا الجمالى أستادار - كان - وقد أنعم عليه بإمرة طبلخاناه، عوضا عن تنبك المصارع.

وفى هذا الشهر: ظهر فى جهة المغرب بالعشايا كوكب الذُّؤابة [٢] وطوله نحو الرمحين، ورأسه فى قدر نجم مضىء، ثم برق، حتى تبقى ذنبه كشعب برقة الشعر، وذنبه مما يلى المشرق.

وفيه أيضا توالت بروق ورعود وأمطار غزيرة متوالية بالوجه البحرى، وفى بلاد غزة والقدس.

وفيه أيضا أخذ الفرنج قريبا من طرابلس الغرب تسع مراكب، تحمل رجالا وبضائع بآلاف دنانير، وتصرفوا فى ذلك بما أحبوا.

شهر ربيع الأول، أوله الجمعة:

فى ليلة الجمعة ثامنه: عمل السلطان المولد النبوى على العادة. وفى هذه الأيام انحل سعر الغلال لقلة طالبها. وكان ظن الناس خلاف ذلك.

وفيها طلب السلطان بعض الكُتاب، فهرب منه فرسم بهدم داره، فهدمت حتى سوى بها الأرض.

وفيها أمر بإحراق معصرة بعض المماليك، فأحرقت بالنار حتى ذهبت كلها.

وفى ثانى عشره: ركب السلطان فى موكب ملوكى، وسار من قلعة الجبل، فعبر من باب زويلة، وخرج من باب القنطرة يريد الرماية بالجوارح لصيد الكراكى [٣] ثم عاد فى آخر رابع عشره.

---

(١) ينظر أنباء الغمر (حوادث سنة ٨٣٧هـ).

(٢) الذئبان: كوكبان أبيضان بين العوائذ والفرقدين؛ وأظفار الذئب كواكب صغار قدامهما، والذؤيبان مصغرا ما آن لهم.انظر تاج العروس (ذئب).

(٣) نوع من الطيور. المعجم الوسيط (كرك).

وفى خامس عشره: نصب المدفع الذى أعد لحصار آمد، وهو مكحلة من نحاس زنتها مائة وعشرون قنطارا مصريًا. وكان نصبها فيما بين باب القرافة وباب الدرفيل، فرمت إلى جهة الجبل بعدة أحجار، منها ما زنته خمسمائة وسبعون رطلا. وقد جلس السلطان بأعلا سور القلعة لمشاهدة ذلك، واجتمع الناس. واستمر الرمى بها عدة أيام.

وفى تاسع عشره: رسم أن يخرج الأمير الكبير سُودن بن عبد الرحمن إلى القدس بطالا، فاستعفى من سفره وسأل أن يقيم بداره بطالاً، فأجيب إلى ذلك، ولزم داره، وأنعم بإقطاعه زيادة فى الديوان المفرد. ولم يقرر أحد عوضه فى الإمرة (١).

وفى هذا الشهر: ثارت رياح عاصفة بمدينة دمياط، فتقصفت نخيل كثيرة، وتلف كثير من قصب السكر المزروع، وهدمت عدة دور، وخرج الناس إلى ظاهر البلد لهول ما هم فيه. وسقطت صاعقة فأحرقت شيئا كثيرا ونزل مطر مغرق. ولم يكن بالقاهرة شيء من هذا.

وفى سادس عشرينه: خلع على شمس الدين محمد بن شهاب الدين أحمد بن محمود ابن الكشك، واستقر فى قضاء الحنفيه بدمشق، عوضا عن أبيه بعد وفاته، بمال وعد به. وفيه خلع على عبد العظيم بن صدقة الأسلمى، وأعيد إلى نظر ديوان المفرد، عوضا عن تاج الدين الخطير(٢). وكان قد ترك ذلك تنزها عنه من قبل سفر السلطان إلى الشام، ولم يباشر أحد عوضه.

شهر ربيع الآخر، أوله السبت:

فيه خلع على دُولات شاه المعزول من ولاية القاهرة، واستقر فى ولاية المنوفية والقليوبية (٣) وفى ثالثه سَرَح السلطان للصيد وعاد فى خامسه.

وفى عاشره: خلع السلطان على الأمير أينال الششمانى، واستقر فى نيابة مدينة صفد عوضا عن الأمير مقبل بعد وفاته. واستقر خليل بن شاهين (٤) فى نظر

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٢٧/١٤.

(٢) انظر الضوء اللامع ١١٤/٥، ١١٥.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ٢٢٧/١٤.

(٤) خليل بن شاهين الظاهرى، غرس الدين، يعرف بابن شاهين: أمير، من المماليك، اشتهر بمصر كان من المولعين بالبحث، وله تصانيف ونظم. ولد ببيت المقدس، وتعلم بالقاهرة. وولى نظر الإسكندرية ثم نيابتها سنة ٨٣٧هـ وحمدت سيرته فنقل إلى الوزارة بالقاهرة، فاستعفى بعد مدة يسيرة. وسافر سنة ٨٤٠هـ أمير للحاج المصرى وولى نيابة الكرك، فأتابكية صفد، فنيابة ملطية، فأتابكية حلب وشكا نائبها سنة، فاعتقل وسجن بقلعتها مقيدًا، ثم أطلق. وولى إمرة الحاج الدمشقى مرتين، وتوفى فى طرابلس. نسبته إلى الظاهر برقوق، وكان أبوه شاهين من مماليكه. من كتبه وهى نحو ٣٠ مصنفا منه «زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك».=

الإسكندرية، عوضا عن فخر الدين بن الصغير. وخليل هذا أبوه من مماليك الأمير شيخ الصفوى، وسكن القلس، وبه ولد له خليل هذا ونشأ.

ثم قدم القاهرة من قريب، واستقر حاجب الإسكندرية. ثم عزل، فسعى فى النظر بمال، حتى وليه مع الحجوبية.

وفى حادى عشره: خلع على الأمير أقبغا الجمالى، واستقر كاشف الوجه البحرى، عوضا عن حسن باك بن سقل سيز التركمانى، وأضيف له كشف الجسور أيضا.

وفى ثالث عشره: ركب السلطان بعد الخدمة، ومعه ناظر الجيش، وكاتب السر، والتاج الشويكى. ونزل إلى المارستان المنصورى للنظر فى أحواله ليلى التحدث فيه بنفسه، فإنه لم يول نظره أحدًا بعد الأمير سودن بن عبد الرحمن.

وأقام الطواشى صفى الدين جوهر الخازندار لما عساه يحدث من الأمور، فاستمر على ذلك.

شهر جمادى الأولى: أوله الإثنين.

فى سادسه: خلع على نظام الدين بن مفلح وأعيد إلى قضاء الحنابلة بدمشق. عوضا عن عز الدين عبد العزيز البغدادى.

وفى ثامن عشرينه: استقر حسين الكردى فى كشف الوجه البحرى عوضا عن أقبغا الجمالى، بعد قتله فى خامس عشرينه، فى حرب كانت بينه وبين عرب البحيرة. وقتل معه جماعة من مماليكه ومن العربان وخلع على الوزير أستادار كريم الدين جبه بفرو سمور؛ ليتوجه إلى البحيرة - ومعه حسين الكردى - لعمل مصالحها، واسترجاع ما نهبه أهلها من متاع أقبغا الجمالى. وكتب إليهم بالعفو عنهم، وأن أقبغا تعدى عليهم فى تحريق بيوتهم، وأخذ أولادهم، ونحو ذلك مما يطمئنهم، عسي أن يؤخذوا بغير فتنة ولا حرب [١].

وفى ليلة الجمعة سادس عشرينه: وقع بمكة المشرفة مطر غزير، سالت منه الأودية، وحصل منه أمر مهول على مكة، بحيث صار الماء فى المسجد الحرام مرتفعا أربعة أذرع. فلما أصبح الناس يوم الجمعة ورأوا المسجد الحرام بحر ماء، أزالوا عتبة باب إبراهيم، حتى خرج الماء من المسفلة، وبقى بالمسجد طين فى سائر أرضه قدر نصف ذراع فى ارتفاعه فانتدب عدة من التجار لإزالته.

=انظر الضوء اللامع ١٩٥/٣، خطط مبارك ٦٨/٨، هدية العارفين ٣٥٣/١ الأعلام ٣١٨/٢.

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٢٨/١٤.

وتهدم فى الليلة المذكورة دور كثيرة، يقول المكثر زيادة على ألف دار. ومات تحت الردم اثنا عشر إنسانا، وغرق ثمانية أنفس. ودلف سقف الكعبة، فابتلت الكسوة التى بداخلها، وامتلأت القناديل التى بها ماء. وحدث عقيب ذلك السيل بمكة وأوديتها، وبأطرق من اليمن.

شهر جمادى الآخرة: أوله الثلاثاء.

فيه أحصى ما بالإسكندرية من القزازين، وهم الحُيَّاك، فبلغت ثمانمائة نول، بعدما بلغت عدتها فى أيام محمود أستادار - أعوام بضع وتسعين وسبعمائة - أربعة عشر ألف نول ونيف، شتت أهلها ظلم ولاة الأمور وسوء سيرتهم [(١)].

وفى ثالثه: سار الوزير إلى البحيرة.

وفى ثانى عشره: رسم بإعادة أبى السعادات جلال الدين محمد بن أبى البركات ابن أبى السعود بن زهيرة [(٢)] إلى قضاء الشافعية بمكة، عوضا عن جمال الدين محمد بن على بن الشيبى بعد موته.

وفى سابع عشره: رجم مماليك الطباق بالقلعة المباشرين عند خروجهم من الخدمة السلطانية؛ لتأخر جوامكهم بالديوان المفرد عن وقت إنفاقها.

وفى يوم السبت سادس عشرينه: أصبح السلطان ملازما للفراش من آلام حدثت فى باطنه من ليلة الخميس، وهو يتجلد لها إلى عصر يوم الجمعة، فاشتد به الألم، وطلب رئيس الأطباء، فحقنه فى الليل مرارا. وأصبح لما به، فلم يدخل إليه أحد من المباشرين. وبعث بمال فرقه فى الفقراء. ومازال محجوبا عن كل أحد، وعنده نديماه ولى الدين محمد بن قاسم، والتاج الشويكى فقط.

ثم دخل فى يوم الثلاثاء تاسع عشرينه الأمراء لعيادته وقد تزايد ألمه. ثم خرجوا سريعا، فأبل تلك الليلة من مرضه.

شهر رجب الفرد، أوله الخميس:

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٢٨/١٤.

(٢) ابن ظهيرة (٧٩٥-٨٦١م=١٣٩٣-١٤٥٧م) محمد بن محمد بن محمد بن الحسين بن ظهيرة المخزومى المكى، أبو السعادات، جلال الدين: قاضى مكة. مولده ووفاته فيها. كان شافعى المذهب من كتبه ذيل على طبقات السبكى، وتعليق على جمع بجوار للسبكى. انظر نظم العقيان ١٦٧، الضوء اللامع ٢١٤/٩ الأعلام ٤٧/٧.

فيه عملت الخدمة السلطانية بالبيسرية، وقد زال عن السلطان ما كان به من الألم. وشهد الجمعة من الغد بالجامع على العادة. وخلع على الأطباء فى يوم السبت ثالثه. ثم ركب فى يوم الخميس ثامنه، وشق القاهرة من باب زويلة، ومضى إلى خليج الزعفران بالريدانية، وعاد إلى القلعة.

وفى ثانى عشره: أدير محمل الحاج على العادة.[١]

وفى خامس عشره: نودى فى القاهرة بسفر الناس إلى مكة صحبة الأمير أرنبغا [٢] وقد عين أن يسافر بطائفة من المماليك، فأخذ طائفة من الناس فى التأهب للسفر.

وفى سابع عشرينه: قدم الأمير بربغا التنمى الحاجب بسيف الأمير جار قطلوا نائب الشام، وقد مات بعدما مرض خمسة وأربعين يوما، فى تاسع عشره [٣].

وفيه قدم الوزير من البحيرة، وقد مهد أمورها على ما يجب.

وفى تاسع عشرينه: كتب بانتقال الأمير قصروه من نيابة حلب إلى نيابة دمشق، عوضا عن جارقطلوا، وأن يتوجه له بالتشريف وتقليد النيابة الأمير خجا سودن رأس نوبة من أمراء الطبلخاناه. وخلع على الأمير قرقماس الشعبانى حاجب الحجاب، واستقر فى نيابة حلب، عوضا عن الأمير قصروه، وأن يتوجه متسفره الأمير شادى بك رأس نوبة من الطبلخاناه. وخلع على الأمير يشبك المشد الظاهرى ططر، واستقر حاجب الحجاب عوضا عن قرقماس. وأنعم بإقطاع قرقماس على الأمير أقبغا التمرازى أمير مجلس، وبإقطاع أقبغا على الأمير يشبك المذكور. وخلع على الأمير أينال الجمكى أمير سلاح، واستقر أميرا كبيرًا أتابك العساكر، وكانت شاغرة منذ لزم سودن بن عبد الرحمن داره.

وخلع على الأمير جقمق أمير أخور، واستقر أمير سلاح، عوضا عن الأمير أينال الجمكى. وخلع على الأمير تغرى برمش، واستقر أمير أخور عوضا عن جقمق. وأخرج سودن بن عبد الرحمن إلى دمياط. وسار الأمير بربغا التنمى؛ ليبشر الأمير قصروه بنيابة الشام [٤].

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٢٨/١٤.

(٢) هو أرنبغا بن عبد الله اليونسى الظاهرى الناصرى. انظر المنهل الصافى، الضوء اللامع ٢٦٩/٢.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ٢٢٨/١٤.

(٤) انظر النجوم الزاهرة ٢٢٩/١٤.

شهر شعبان، أوله الجمعة:

فيه نودى ألا يتعامل الناس بالدراهم القرمانية ونحوها بما يجلب من البلاد، وأن تكون المعاملة بالدراهم الأشرفية فقط، وأن يكون الذهب والفلوس على ما هما عليه. وذلك أنه كان قد عزم السلطان على تجديد ذهب ودراهم وفلوس، وإبطال المعاملة بما بأيدى الناس من ذلك، فكثر اختلاف أهل الدولة عليه بحسب أغراضهم. ولم يعزم على أمر، فأقر النقود على حالها، وجمع الصيارفة، وضرب عدة منهم وشهرهم من أجل الدراهم القرمانية وإخراجها فى المعاملة، وقد نهوا عن ذلك مرارا فلم ينتهوا.

وفى سابعه: خلع على الأمير الكبير أينال الجكمى، واستقر فى نظر المارستان المنصورى على عادة من تقدمه.

وفى تاسعه: رزت المماليك المتوجهة إلى مكة صحبة الأمير أرنبغا، ورافقهم عدة كبيرة من الرجال والنساء يريدون الحج والعمرة.

وفى هذا الشهر: - والذى قبله - فرض السلطان على جميع بلاد الشرقية والغربية والمنوفية والبحيرة وسائر الوجه البحرى خيولا تؤخذ من أهل النواحى(١).

وكان يؤخذ من كل قرية خمسة آلاف درهم فلوسا عن ثمن فرس، ويؤخذ من بعض النواحى عشرة آلاف عن ثمن فرسين. ويحتاج أهل الناحية مع ذلك إلى مغرم لمن يتولى أخذ ذلك منهم. وأحصى كُتاب ديوان الجيش قُرى أرض مصر كلها - قبليها وبحريها - فكانت ألفين ومائة وسبعين قرية. وقد ذكر المسَّبحى [٢] أنها عشرة آلاف قرية [٣] فانظر تفاوت ما بين الزمنين.

وفى رابع عشره: برز الأمير قرقماس نائب حلب، فى تجمل حسن بالنسبة إلى الوقت؛ ليسير إلى محل كفالته. وخلع عليه خلعة السفر طرى بفرو سمور ومن فوقه قباء نخ بفرو قاقم.

وفى تاسع عشره: ختن السلطان ولده، المقام الجمالى يوسف، وأمه أم ولد اسمها

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٣١/١٤.

(٢) يقصد به محمد بن عبيد الله بن أحمد المسبحى (٣٦٦-٤٢٠هـ) أحد العلماء المؤرخين المشهورين، له كتاب فى أخبار مصر لم يصل إلينا إلا جزءا واحدًا منه. انظر الأعلام ١٤٠/٧.

(٣) فى النجوم الزاهرة وقد ذكر المسيحى فى تاريخه أنها كانت فى القرن الرابع ألف قرية عامرة ٢٣١/١٤. وينظر خطط المقريزى ٧٣/١-٧٤ فتوح مصر ١٥٦.

جلبان، جركسية. وختن معه نحو الأربعين صبيا، بعدما كساهم. وقدم له المباشرون ذهبا وحلاوات، فعمل مهما للرجال وللنساء، أكلوا فيه وشربوا.

وكتبتُ عند ذلك كتابا سميته «الأخبار عن الأعذار»، وما جاء فيه من الأخبار والآثار، وما لأئمة الإسلام فيه من الأحكام، وما فعله الخلفاء والملوك. وفيه من المآثر الجسام، والأمور العظام، لم أُسبق بمثله فيما علمت.

وفي يوم السبت ثالث عشرينه: فُقد الوزير كريم الدين ابن كاتب المناخ، فخلع على أمين الدين إبراهيم بن مجد الدين عبد الغنى بن الهيصم ناظر الدولة، واستقر فى الوزارة.

وفي يوم الأربعاء سابع عشرينه: ظهر الوزير كريم الدين، وصعد إلى القلعة، فخلع عليه قباء من أقبية السلطان . ونزل على أنه أستادار. ثم خلع عليه من الغد، فكان موكبه جليلا إلى الغاية. هذا وقد ألزم السلطان فى غيبة الوزير عظيم الدولة، القاضى زين الدين عبد الباسط ناظر الجيش بإقامة دواداره جانبك أستادار، فلم يرض بذلك خوف العاقبة، وأخذ يسعى فى دفع ذلك عنه حتى أعفى، فعين سعد الدين إبراهيم بن كاتب حكم ناظر الخاص أستادار، فمازال يسعى فى الإعفاء، حتى ظهر الوزير كريم الدين، فتنفس خناق الجميع.

وفيه قدم الحمل من قبرس على العادة فى البحر فى كل سنة.

وفي هذا الشهر: اشتد الوباء بمكة وأوديتها، حتى بلغ بمكة فى اليوم عدة من يموت خمسين، ما بين رجل وامرأة [١]

شهر رمضان، أوله السبت:

في ثامنه: ورد الخبر من دمياط بأخذ الكيتلان من الفرنج خمس مراكب من ساحل بيروت، فيها بضائع كثيرة ورجال عديدة. وبعث ملكهم إلى والى دمياط كتابا ليوصله إلى السلطان، يتضمن جفاء ومخاشنة فى المخاطبة؛ بسبب إلزام الفرنج أن يشتروا الفلفل المعد للمتجر السلطاني، فغضب السلطان لما قرئ عليه، ومزقه.

وفي هذه الأيام: قطع عدة مرتبات للناس على الديوان المفرد، وعلى الإسطبل السلطاني، وعلى ديوان الوزارة. وذلك ما بين نقد فى كل شهر، ولحم فى كل يوم، وقمح فى كل سنة. واغتنم لذلك كثير من الناس وكانت العادة أن تكثر الصدقات والهبات فى شهر رمضان، فاقتضى الحال قطع الأرزاق لضيق حال الدولة.

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٣٣.

وفيها عينت تجريدة فى النيل لتركب بحر الملح من دمياط، وتجول فيما هنالك، عسى تنكف عادية الفرنج ويقل عبثهم وفسادهم.

وفى ثانى عشرينه: دخل الأمير قرقماس إلى حلب. فما كاد أن يستقر بها حتى ورد الخبر بوقعة كانت بين الأمير أينال الأجرود نائب الرها وبين أصحاب قرا يلك، انهزم فيها. فأخذ فى أهبة السفر إلى الرها.

وفى هذا الشهر: تناقص الوباء بمكة.

شهر شوال، أوله الإثنين:

واتفق فى الهلال ما لم يذكر مثله، وهو أن أرباب تقويم الكواكب، اقتضى حسابهم أن هلال شهر رمضان فى ليلة السبت يكون مع جرم الشمس، فلا تمكن رؤيته. فلما غربت الشمس تراءى السلطان بمماليكه من فوق القلعة الهلال، وتراءاه الناس من أعلى الموادن والأسطحة بالقاهرة ومصر وما بينهما وما خرج عنهما، وهم ميون ألوف، فلم ير أحد منهم الهلال، فانفضوا وقد أظلم الليل.

وإذا برجل ممن يتكسب فى حوانيت الشهود بتحمل الشهادة جاء إلى قاضى القضاة الشافعى، وشهد بأنه رأى الهلال، فأمر أن يرفع للسلطان. فلما مثل بين يديه ثبت وصمم على رؤيته الهلال. وكان حنبليا، وهو من أقارب نديم السلطان ولى الدين بن قاسم، فبالغ فى الثناء عليه عند السلطان، فأمر بإثبات الهلال، فأثبت بعض نواب قاضى القضاة الحنبلى بشاهدة هذا الشاهد أول رمضان، ونودى فى الليل بصوم الناس من الغد بأنه من رمضان. فأصبح الناس صائمين، وألسنتهم تلهج بالوقيعة فى القضاة والشهود، وتمادوا على ذلك، فتوالت الكتب من جميع أرض مصر، قبليها وبحريها، ومن البلاد الشامية وغيرها. بأنهم تراءوا الهلال ليلة السبت، فلم يروه، وأنهم صاموا يوم الأحد. فلما كان ليلة الإثنين التى يزعم الناس أنها أول ليلة من شوال، تراءى الناس الهلال من القلعة، وبالقاهرة ومصر وما بينهما وحولها، فلم يروه، فجاء بعض نواب القضاة، وزعم أنه رآه، وأنه شهد عنده برؤيته من أثبت بشهادته أن هلال شوال غدا يوم الإثنين، فكانت حادثة لم ندرك قبلها مثلها، وهى أن الهلال بعد الكمال عدة ثلاثين يوما لا يراه الجم الغفير الذى لا يحصى عددهم إلا خالقهم، مع توفر دواعيهم على أن يروه، وقد خلت السماء من الغيم. وجرت العادة بأن يتساوى الناس فى رؤيته، وأوجب ذلك تزايد الوقيعة فى القضاة بل وفى سائر الفقهاء، حتى لقد أنشدنى بعضهم لمحمود الوراق:

كنـا نَفِـر مـن الـولاة   الجـائرين إلى القضـاة
فـالآن نحـن نـفـر مـن   جـور القضاة إلى الـولاة

وفى ثامنه: سارت التجريدة فى النيل، وهـى مائتـا مملوك من المماليك السلطانية، ومائة من مماليك الأمراء. وعليهم ثلاثة أمراء من أمراء العشرات، بعدما أنفق فى كل مملوك ألف وخمسمائة درهم فلوسا، عنها خمسة دنانير وكسر.

وفيه برز الأمير قرقماس نائب حلب إلى الرها.

وفى يوم الأربعاء ثالثه: وسط الأمير علم الدين حذيفة بن الأمير نور الدين على بن نصير الدين، شيخ لواته، خارج القاهرة.

وفى ثامن عشره: قدم الخبر بوقعة أينال الأجرود المذكورة، وهى أن بعض من معه من أمراء حلب صادف بين بساتين الرها طائفة من التركمان، وهو يسير خيله، فقاتلهم وهزمهم. فلما بلغ ذلك أينال خرج من مدينة الرها نجدة له، فخرجت عليه ثلاث كمائن، فكانت بينه وبينهم وقعة، قتل فيها من الفريقين عدة. ولحق أينال بالمدينة، فوقع العزم على سفر السلطان. وكتب إلى بلاد الشام بتعبئة الإقامات من الشعير ونحوه.

وفى عشرينه: خرج محمل الحاج صحبة الأمير قراسنقر إلى بركة الحاج، وصحبته كسوة الكعبة على العادة. وقد قدم من بلاد المغرب، ومن التكرور، ومن الإسكندرية وأعمال مصر حاج كثير، فتلاحقوا بالمحمل شيئا بعد شيء.

ثم استقل الركب الأول بالمسير من البركة فى ثانى عشرينه. ورحل الأمير قرا سنقر بالمحمل وبقية الحاج فى ثالث عشرينه.

وكتب إلى البلاد الشامية بخروج نواب المماليك للحاق بالأمير قرقماس نائب حلب. ثم أبطل ذلك: وكتب بمنعهم من المسير، حتى يصح لهم نزول قرايلك على الرها بجمائعه وبيوته. فإذا صح لهم ذلك ساروا لقتاله.

وفيه أيضا كتب باستقرار خليل بن شاهين ناظر الإسكندرية وحاجبها فى نيابة الثغر، مع النظر والحجوبية. وكان قد بعث بثلاثة آلاف دينار، ووعد بحمل مثلها، وسأل فى ذلك فأجيب إليه. ولم ندرك مثل ذلك، وهو أن يكون النائب حاجبا، فإن موضوع الحاجب الوقوف بين يدى النائب والتصرف بأمره، هى الأيام كلها قد صرن عجائب حتى ليس فيها عجايب وقدم قاصد من بغداد كان قد توجه لكشف الأخبار، فأخبر أن أصبهان بن قرا يوسف لما أخذ بغداد من أخيه شاه محمد بن قرا يوسف أساء

السيرة، بحيث أنه أخرج جميع من ببغداد من الناس بعيالاتهم وأخذ كل مالهم من جليل وحقير، فتشتتوا بنسائهم وأولادهم فى نواحى الدنيا، وصارت بغداد وليس بها سوى ألف رجل من جند أصبهان (١)، لا غير. وليس بها إلا ثلاثة أفران تخبز الخبز فقط، و لم يبق بها سكان ولا أسواق. وأنه أخرب الموصل حتى صارت يبابا، فإنه سلب نعم أهلها وأمر بهم فأخرجوا وتمزقوا فى البلاد. واستولت عليها العربان، فصارت الموصل منازل العرب بعد التمدن الذى بلغ الغاية فى الترف. وأنه أخذ أموال أهل المشهد، وأزال نعمهم، فتشتتوا بعيالهم. وصار من أهل هذه البلاد إلى الشام ومصر خلائق لا تعد ولا تحصى. (٢)

وفيه قدم جنيد - أحد أمراء أخورية - وقد توجه إلى أبى فارس عبد العزيز ملك المغرب، وعلى يده كتاب السلطان بمنع التجار من حمل الثياب المغربية المحشاة بالحرير من ملابس النساء، وأن يلزمهم بقود الخيول بدل ذلك. فوجده متوجها من بجاية (٣) إلى فاس، فأكرمه ونادى بذلك فى عمله، وأجاب عن الكتاب. وبعث بهدية، هى ثلاثون فرسا، منها خمسة مسرجة ملجمة، ونحو مائتين وخمسين بعيرا وقدم صحبة جنيد ركب فى نحو ألف بعير يريدون الحج.

وفى يوم الإثنين تاسع عشرينه: كسفت الشمس فى آخر الساعة الرابعة، فتغير لونها تغيرا يسيرا، و لم يشعر بها أكثر الناس ولا اجتمعوا للصلاة بالجوامع على العادة؛ لقلة الشعور بذلك. ثم انجلى الكسوف سريعا. وكان بعض من يزعم علم النجوم لقلة درايته وكثرة جرأته قد أرجف قبل ذلك بأيام، وشنع بأمر الكسوف، وما يدل عليه، حتى اشتهر إرجافه وتشنيعه، وداخل بعض الناس الوهم. فلما لم يكن من أمر الكسوف كبير شىء، طلب السلطان طائفة ممن يتحل هذا الفن من أهل التقويم، وأنكر عليهم وهددهم.

وفى هذه الأيام: قطعت أيضا عدة مرتبات للناس من ديوان السلطان، ما بين عليق لخيولهم، ومبلغ دراهم فى كل شهر.

وفيها ارتفع سعر الغلال قليلا، فكان القمح من مائة وخمسين درهما الأردب إلى ما دونها، فبلغ مائة وسبعين مع كثرته لزكاة الغلال وقت الدراس، ورخاء بلاد الشام والحجاز.

---

(١) سبق ترجمتها.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٢٣٤/١٤.

(٣) بِجَايةُ: مدينة على ساحل البحر بين: إفريقية والمغرب. انظر معجم البلدان ٣٣٩/١.

وفيها ظفر المجردون فى البحر على بيروت بغراب للبنادقة، فيه صناديق مرجان ونقد وغير ذلك. وظفروا بمركب آخر للجنويين على طرابلس فيه بضائع، فأحرقوه بما فيه، وأسروا سوى من غرق بضعا وعشرين رجلا.

وقتل من المماليك المجردين سبعة، فلم يحمد هذا من فعلهم، وذلك أن البنادقة والجنوية مسالمون المسلمين.

شهر ذى القعدة، أوله الأربعاء:

فيه توجه الأمير جقمق أمير سلاح إلى مكة حاجا، وسار معه كثير ممن قدم من المغاربة وغيرهم.

وفى ثالث عشره: ابتدىء بالنداء على النيل بزيادته، وقد أخذت القاعدة فكانت خمسة أذرع واثنين وعشرين أصبعا، والنداء بزيادة ثلاثة أصابع.

شهر ذى الحجة:

أهل بيوم الخميس، وسعر القمح قد ارتفع إلى مائتى درهم، والفول إلى مائتى درهم أيضا. والشعير إلى مائة وسبعين لتكالب الناس على شرائه، مع استمرار زيادة النيل من غير توقف. لكنها عوائد سوء قد ألفوها منذ هذه الحوادث والمحن، أن يكثر إرجاف المرجفين بتوقف النيل، رغبة فى بيع الغلال بأغلى الأثمان، فيأخذ كل أحد فى شرائها، ويمسك أربابها ما بأيديهم منها، لاسيما أهل الدولة، فيرتفع لذلك سعرها.

وفى يوم الأحد ثامن عشره: نودى بزيادة ماء النيل اثنى عشر إصبعا، لتتمة ثلاثة عشر ذراعا، واثنتين وعشرين أصبعا. ووافق هذا اليوم أول مسرى. وهذا القدر مما يستكثر من الزيادة فى هذا الوقت، ويؤذن بعلو النيل وكثرة زيادته إن شاء الله تعالى.

وفى يوم السبت رابع عشرينه – وسابع مسرى –: نودى بزيادة عشر أصابع لتتمة ستة عشرة ذراعا، وهى التى يقال لها أذرع الوفاء، وزيادة أربعة أصابع من سبعة عش ذراعا ويعد هذا من الأنيال الكبار، وفيه نادرتان، إحداهما زيادة عشر أصابع فى يوم الوفاء، وقل ما يقع ذلك والنادرة الثانية وفاء النيل فى هذا العام مرتين، إحداهما فى ثانى المحرم كما تقدم، والأخرى هذا.

اليوم من ذى الحجة: ولا أذكر أنى أدركت مثل ذلك. ونادرة ثالثة أدركنا مثلها مرارًا، وهى الوفاء فى سابع مسرى، بل أدركنا وفاه قبل ذلك من أيام مسرى، إلا أن ذلك قل ما وجد فى الأنيال القديمة.

وفيه ركب المقام الجمالى يوسف ابن السلطان حتى خلق عمود المقياس بين يديه، ثم فتح الخليج على العادة، فكان يوما مشهودا.

وفى غده نودى على النيل بزيادة ثمانية أصابع لتتمة ستة عشر ذراعا ونصف ذراع. ثم نودى من الغد بزيادة خمسة عشر أصبعا لتتمة سبعة عشر ذراعا وثلاثة أصابع، وهذه الزيادة بعد الوفاء من النوادر أيضا. فالله يحسن العاقبة.

وفى سادس عشرينه: قدم مبشرو الحاج، وأخبروا بسلامتهم. وهذا أيضا مما يندر وقوعه.

وفى هذه السنة: أخذ الفرنج ثمانى عشرة مركبا من سواحل الشام، فيها من البضائع ما يجل وصفه، وقتلوا عدة ممن كان بها من المسلمين، وأسروا باقيهم.

وفيها طلق رجل من بنى مهدى بأرض البلقاء امرأته وهى حامل، فنكحها رجل غيره، ثم فارقها، فنكحها رجل ثالث، فولدت عنده ضفدعا فى قدر الطفل، فأخذوه ودفنوه خوف العار.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

أحمد بن محمود بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن أبى العز قاضى القضاة، شهاب الدين أحمد بن قاضى القضاة محيى الدين المعروف بابن الكشك الحنفى، بدمشق فى ليلة الخميس، سابع شهر ربيع الأول، وقد ولى قضاء القضاة الحنفية بدمشق مرارا. وجمع بينها وبين نظر الجيش. وكثر ماله، وصار عين دمشق، وعين لكتابة السر بديار مصر، فامتنع.

ومات الأمير مقبل نائب صفد بها، فى يوم الجمعة تاسع عشرين ربيع الأول، وكان مشهورا بالشجاعة. وهو أحد المماليك المؤيدية شيخ.

ومات قاضى مكة جمال الدين محمد بن على أبى بكر الشيبى الشافعى[1] بها، فى ليلة الجمعة ثامن عشرين ربيع الأول، عن نحو سبعين سنة. وكان خيرا، ساكنا، سمحا، مشكور السيرة، متواضعا، لينا؛ رحمه الله.

ومات الأمير أقبغا الجمالى الأستادار مقتولا بالبحيرة، فى حادى عشرين شهر ربيع الآخر، ومستراح منه.

---

(١) النجوم الزاهرة ٦/٨٣٠، أنباء الغمر (وفيات سنة ٨٣٧هـ)، عقد الجمان.

ومات الشيخ أبو الحسن على بن حسين بن عروة بن زكنون الحنبلى [١]، الزاهد، الورع، فى ثانى عشر جمادى الآخرة، خارج دمشق، وقد أناف على الستين. وشرح مسند الإمام أحمد وكان فى غاية الزهد والورع، منقطع القرين.

ومات الأمير جار قطلوا نائب الشام بها،فى ليلة الإثنين تاسع عشر شهر رجب. وهو أحد المماليك الظاهرية. ومستراح منه.

ومات الشريف رميثة بن محمد بن عجلان مقتولا خارج مكة، فى خامس شهر رجب. وقد ولى إمارة مكة قبل ذلك ثم عزل. ولم يكن مشكورا.

ومات تقى أبو بكر بن على بن حجة - بكسر الحاء - الحموى، الأديب، الشاعر، فى خامس عشرين شعبان، بحماة. ومولده سنة سبع وستين وسبعمائة. وقدم إلى القاهرة فى الأيام المؤيدية، وصار من أعيانها.

ثم عاد بعد ذلك إلى حماة. وكان فيه زهو وإعجاب، وعلمه الأدب، فنظم كثيرا، وصنف شرحا على بديعية نظمها بديع فى بابه.

ومات ملك المغرب أبو فارس عبد العزيز بن أبى العباس أحمد بن محمد بن أبى بكر ابن يحيى بن إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد بن عمر بن ونودين الهنتاتى الحفصى، عن ست وسبعين سنة، منها مدة ملكه إحدى وأربعين سنة وأربعة أشهر وأيام. فى رابع عشر ذى الحجة، بعدما خطب له بتلمسان وفاس وكان خير ملوك زمانه صيانة، وديانة، وجودا، وأفضالا، وعزما، وحزما، وحسن سياسة، وجميل طريقة. وقام من بعده حفيده المنتصر أبو عبد الله محمد ابن الأمير أبى عبد الله محمد ابن السلطان أبى فارس[٢].

ومات ملك بغداد شاه محمد بن قرا يوسف بن قرا محمد، فى ذى الحجة، مقتولا

(١) على بن حسين (٧٥٨-٨٣٧هـ= ١٣٥٧- ١٤٣٤م) هو على بن حسين بن عروة، أبو الحسن المشرقى، ويقال له ابن زكنون فقيه حنبلى عالم بالحديث وأسانيده. وفاته فى دمشق. أشهر تصانيفه «الكواكب الدرارى فى ترتيب مسند الإمام أحمد على أبواب البخارى» كبير جدا و «السيرة النبوية»، منتزعة من الكواكب. انظر الضوء اللامع ٢١٤/٥، كتاب مشيخة - خ - السحب الوابلة -خ - الأعلام ٢٨٠/٤،٢٨١.

(٢) المنتصر الحفصى (٨٣٩هـ =١٤٣٥م) محمد (المنتصر) بن محمد (المنصور) ابن أبى فارس عزوز بن أحمد الحفصى: من ملوك الدولة الحفصية بتونس بويع بعد وفاة جدة عزوز (سنة ٨٣٧هـ) وكان فى طرابلس الغرب، فانتقل إلى تونس ولازمه مرض عضال إلى أن توفى بسانية بادو ومدته سنة و٧١ يوما. كان محمود السيرة، من أثاره ابتادؤه بناء المدرسة المنتصرية بسوق الفلقة بتونس، وقد أكملها بعده أخوه عثمان أبو عمرو. انظر الخلاصة النقية ٨١/ شذرات الذهب ٢٣٢/٧، خلاصة تاريخ تونس ١٢٣ الأعلام ٤٦/٧.

على حصن من بلاد شاه رخ بن تيمور، ويقال شنكان، فأقيم بدله أمير زاه على ابن أخى قرا يوسف وكان شر ملوك زمانه لفسقه وجوره وعتوه، وإبطاله شرائع الإسلام، فإنه ربى بمدينة إربد [١]، وصحب نصاراها، فلقن منهم عقائد سوء. فلما أقامه أبوه فى بغداد بعد قتل أحمد بن أويس أظهر فيها سيرة جميلة، وعفة عن القاذورات المحرمة مدة سنين. وكان الغالب على دولته نصرانى يعرف بعبد المسيح، فأظهر بعد ذلك تعظيم المسيح وفضله على من عداه، وصرح باعتقاده النصرانية: وأخرج عساكره من بغداد. وبقى فى طائفة، فكثر فى الأعمال قطاع الطريق حتى فسدت السابلة، وجلت الناس عن بغداد، وانقطع ركب الحاج منها، إلى أن غلبه أخوه أصبهان، وأخرجه من بغداد، فقتل، وأراح ا لله الناس منه. وا لله يلحق به من بقى من إخوته، فإنهم شر عصابة، سلطت على الناس بذنوبهم.

ومات سلطان بنجالة من بلاد الهند، جلال الدين أبو المظفر محمد بن فندو ويعرف بكاس. كان كاس كافرا، فثار على شهاب الدين مملوك سيف الدين حمزة ابن غياث الدين أعظم شاه بن إسكندر شاه بن شمس الدين، وملك منه بنجالة وأعمالها، وأسره. فثار عليه ابنه وقد أسلم، وتسمى محمدا، وتكنى بأبى المظفر، وتلقب جلال الدين، وجدد مآثر جليلة، منها عمارة ما أخربه أبوه من المساجد، وإقامة شعائر الإسلام. وبعث بمال إلى مكة وهدية للسلطان بمصر فى سنة اثنتين وثلاثين، على يد شميل ومرغوب [٢] وعلى يدهما كتابه بأن يفوض إليه الخليفة سلطنة الهند، فجهز له التقليد عن الخليفة مع تشريف، فبعث عند وصول ذلك إليه هدية ثانية، فى سنة أربع وثلاثين، فجهزت إليه هدية أخرى، فوصلت إليه. ومات فى شهر ربيع الآخر من هذه السنة وأقيم بعده ابنه المظفر أحمد شاه، وعمره أربع عشرة سنة.

* * *

---

(١) أَرْبَدُ: بالفتح، ثم السكون والباء الموحدة: قرية بالأردن، قرب طبرية، عن يمين طريق المغرب. انظر معجم البلدان ١/١٣٦.

(٢) انظر النجوم الزاهرة، عقد الجمان.

سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة

شهر الله الحرام، أوله السبت:

فى ثالثه: قدمت التجريدة المجهزة فى البحر، بغير طائل.

وفى رابعه: قدم قاصد الأمير عثمان قرا يُلك بكتابه، وتسعة أكاديش تقدمة للسلطان، وبعث بدراهم، عليها سكة السلطان.

وفى حادى عشره: قبض على الأمير بردبك الإسماعيلى، أحد أمراء الطبلخاناه وحاجب ثانى، وأُخرج إلى دمياط. وأنعم بإقطاعه على الأمير تغرى بردى البكلمشى(١)، المعروف بالمؤذى، أحد رءوس النوب. واستقر الأمير جانبك الذى عزل

---

(١)تغرى بردى بن عبد الله البكلمشى الدوادار (٨٤٦ هـ = ١٤٤٢ م)، المعروف بالمؤذى، الأمير سيف الدين أحد مماليك الأمير بكلمش العلائى، أمير فى دولة الظاهر برقوق، لما قبض الظاهر على أستاذه بكلمش المذكور صار تغرى هذا من جملة المماليك السلطانية إلى أن تأمر عشرة فى الدولة الناصرية فرج، وأقام على ذلك زيادة على عشرين سنة إلى أن نقله الملك الأشرف برسباى إلى إمرة طبلخاناه فى سنة أربع وثلاثين وثمانمائة، ثم جعله أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية فى سنة تسع وثلاثين تخمينًا، فدام على ذلك إلى أن ولاه الملك الظاهر جقمق حجوبية الحجاب بالديار المصرية عوضا عن الأمير يشبك السودونى المشد، بحكم انتقال يشبك إلى إمرة مجلس عوضا عن الأمير آقبغا التمرازى المنتقل إلى إمرة سلاح بعد استقرار الأمير قرقاس الشعبانى أتابك العساكر بالديار المصرية عوضا عن السلطان الملك المظفر جقمق. فلم تطل مدة تغرى بردى هذا فى الحجوبية، ونقل إلى الدوادارية الكبرى بعد نفى الأمير أركماس الظاهرى إلى ثغر دمياط، كل ذلك فى سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة، وباشر الدوادارية بحرمة وافرة،وعظمة زائدة بحيث أنه لم يدع لأرباب الدولة شيئا من الأمر والنهى، وسار على قاعدة السلف من الأمراء المتقدمين، ونالته السعادة. وكان مشكور السيرة فى أحكامه لا يسمع رسالة مرسل بل يجتهد فى عمل الحق حسب ما يظهر له، إلا أنه كان غليظا بذئ السان، شرس الخلق، يخاطب الرجل بما يكره، غير بشوش، متكبر وعنده جبروت، ولما عظم أظهر ما كان مخفيا من لقبه، فانطبق الاسم على المسمى. وكان له مشاركة هينة، ويذكر بالتاريخ فيمن عاصره، ويحفظ مسائل يمارى الفقهاء، وكان عنده نباهة وفطنة، ومعرفة بأنواع الفروسية يحب الجد ويكره الهزل، وعمر جامعا ليفل بخط صليبة جامع أحمد ابن طولون، ووقف عليه عدة أوقاف، وكان يروم المرتبة العليا،ويقول فى نفسه أنه هو حرف التاء، فأدركته المنية بعد أن لزم الفراش مدة طويلة، ومات فى يوم حادى عشرين جمادى الآخرة سنة ست وأربعين وثمانمائة،وهو فى عشر الثمانين تقريبا. انظر المنهل الصافى ٤/ ٥٤: ٥٦، الدليل الشافى ١/ ٢١٧ النجوم الزاهرة ١٢/ ١٥٤.

من نيابة الإسكندرية حاجبا، عوض الإسماعيلى.(١)

وفى خامس عشره: قدم الأمير جقمق من الحج، بمن معه، على الرواحل.

وفيه شرع سودون المحمدى - المجهز لعمارة الحرمين - فى هدم سقف الكعبة.

وفى ثانى عشرينه: - الموافق لآخر أيام النسيء نودى على النيل بزيادة أصبعين، لتتمة تسعة عشر ذراعا ونصف ذراع.

وفيه خلع على الأمير دولات خجا وأعيد إلى ولاية القاهرة، عوضًا عن التاج الشويكى (٢) وكان أخوه عمر يتحدث عنه فى الولاية، وقد ترفع عنها بمنادمته السلطان.

وفى ثالث عشرينه: قدم الركب الأول من الحاج. ووافق هذا اليوم نوروز القبط. ونودى فيه بزيادة أصبعين لتتمة تسعة عشر ذراعا وأربعة عشر إصبعا. وهذه زيادة كبيرة يندر أن يكون يوم النوروز والنيل على ذلك.

وفى رابع عشرينه: قدم المحمل ببقية الحاج، وقد هلك جماعة من المشاة، وتلفت جمال كثيرة.

وفى يوم الخميس سابع عشرينه: عملت الخدمة السلطانية وأقيم الموكب بالإيوان المسمى دار العدل من قلعة الجبل، بعدما هُجر مدة. وأحضر رسول شاه رخ بن تيمور ملك المشرق، وهو من أشراف شيراز - يقال له السيد تاج الدين على، فدفع ما على يده من الكتاب، وقدم الهدية، تتضمن كتابه وصول هدية السلطان المجهزة إليه. وأنه نذر أن يكسو الكعبة البيت الحرام، وطلب أن يبعث إليه من يتسلمها، ويعلقها من داخل البيت. واشتملت الهدية على ثمانين ثوب حرير أطلس، وألف قطعة فيروزج ليست بذاك، تبلغ قيمة الجميع ثلاثة آلاف دينار. ولم يكلف الرسول أن يقبل الأرض رعاية لشرفه. ووجد تاريخ الكتاب فى ذى الحجة سنة ست وثلاثين. وكان قدومه من هراه (٣) إلى هرمز، ومن هرمز إلى مكة. ثم قدم صحبة ركب الحاج، فأنزل وأجرى له ما يليق به (٤).

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٣٦/١٤.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٢٣٦/١٤.

(٣) هراة: مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان. انظر معجم البلدان ٣٩٦/٥.

(٤) انظر النجوم الزاهرة ٢٣٦/١٤.

وفى ثامن عشرينه: وصل من القدس مائة وعشرة رحال من الفرنج الجرجان، وقد قدموا لزيارة قمامة على عادتهم، فاتهموا أن فيهم عدة من أولاد ملوك الكيتلان الذين كثر عيثهم وفسادهم فى البحر، فأحضروا ليكشف عن حالهم، وهم بأسوأ حال فسجنوا مهانين. ثم أفرج عنهم بعد أيام، وقد مات منهم عدة.

شهر صفر، أوله الإثنين:

فى سادسه: رُسم باستقرار سراج الدين عمر بن موسى بن حسن الحمصى - قاضى طرابلس - فى قضاء القضاة الشافعية بدمشق، عوضا عن بهاء الدين محمد بن نجم الدين بن عمر بن حجى. وقد وَعد بأربعة آلاف دينار يقوم بها. واستقر عوضه فى قضاء طرابلس صدر الدين محمد بن شهاب الدين أحمد بن محمد النويرى، بمبلغ ألف وثلاثمائة دينار. وأُعيد القاضى شمس الدين محمد بن على بن محمد الصفدى إلى قضاء القضاة الحنفية بدمشق، على أن يقوم بألفى دينار. وعزل شمس الدين محمد بن شهاب الدين أحمد بن نجم الدين محمود بن الكشك.

وفى سادسه: عُقد بين يدى السلطان مجلس جمع فيه قضاة القضاة الأربع بسبب نذر شاه رخ أن يكسو الكعبة، فأجاب قاضى القضاة بدر الدين العينى بأن نذره لا ينعقد، فانفضوا على ذلك [١].

وفيه خلع على نكار الخاصكى، واستقر شاد جدة. وخُلع معه على علم الدين عبد الرزاق الملكى، واستقر عوضا عن سعد الدين بن المرة. وساروا بعد أيام إلى مكة - شرفها الله تعالى - فى البحر.

وفى تاسعه - الموافق لسابع عشر توت: وهو يوم عيد الصليب عند قبط مصر - نودى بزيادة إصبع لتتمة عشرين ذراعا وعشر أصابع.

وفى ثالث عشره: كتب إلى مكة - شرفها الله تعالى - بأن يتحدث الأمير سودن المحمدى المجرد هناك فى نظر الحرم. وكتب أيضا بألا يؤخذ من التجار الواردين إلى جدة من الهنود سوى العُشر فقط، وأن يؤخذ من التجار الشاميين والمصريين إذا وردوا جدة ببضائع اليمن عشران. وأنَّ من قدم إلى جدة من التجار اليمنيين ببضاعة تؤخذ بضاعته بأجمعها للسلطان من غير ثمن يدفع له عنها.

وسبب ذلك أن تجار الهند فى هذه السنين صاروا عندما يعبرون من باب المندب

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٣٦/١٤ وما بعدها.

يجوزون عن بندر عدن حتى يرسوا بساحل جدة كما تقدم، فأقفرت عدن من التجار، واتضع حال مَلِك اليمن لقلة متحصله. وصارت جدة هى بندر التجار، ويحصل لسلطان مصر من عشور التجار مال كبير. وصار نظر جدة وظيفة سلطانية، فإنه يؤخذ من التجار الواردين من الهند عشور بضائعهم. ويُؤخذ مع العشور رسوم تقررت للناظر والشاد، وشهود القبان، والصيرفى، ونحو ذلك من الأعوان وغيرهم. وصار يُحمل من قبل سلطان مصر مرجان ونحاس وغير ذلك مما يحمل من الأصناف إلى بلاد الهند، فيطرح على التجار. وتشبه به فى ذلك غير واحد من أهل الدولة. فضاق التجار بذلك ذرعا، ونزل جماعة منهم فى السنة الماضية إلى عدن، فتنكر السلطان بمصر عليهم؛ لما فاته من أخذ عشورهم، وجعل عقوبتهم أن من اشترى بضاعة من عدن وجاء بها إلى جدة، إن كان من الشاميين أو المصريين، أن يضاعف عليه العشر بعُشْرَيْن، وإن كان من أهل اليمن أن تؤخذ بضاعته بأسرها. فمن لطف الله تعالى بعباده أنه لم يعمل بشىء من هذا الحادث، لكن قُرئت هذه المراسيم تجاه الحجر الأسود، فراجع الشريف بركات ابن عجلان أمير مكة فى أمرها للسلطان، حتى عفا عن التجار وأبطل ما رسم به.

وكانت العادة التى أدركناها أن الحرم يلى نظره قاضى مكة الشافعى، فبذل بعض التجار العجم المجاورين بمكة - وهو داود الكيلانى - مالا للسلطان حتى ولاه نظر الحرم، وعزل عنه أبا السعادات جلال الدين محمد بن ظهيرة قاضى مكة فى السنة الماضية. فلما قدم مكة وقُرئ توقيعه تجاه الحجر الأسود على العادة، أنكره الشريف بركات، وراجع السلطان فى كتابه إليه بأن الفقراء وغيرهم من أهل الحرم لم يرضوا بولاية داود، وأنه منعه من التحدث، وأقام سودن المحمدى المجهز لعمارة الحرم يتحدث فى النظر حتى يرد ما يعتمد عليه، فكتب لسودن المحمدى فى التحدث فى نظر الحرم، فباشر ذلك.

وفى يوم الخميس ثالث عشره: ثارت مماليك السلطان سكان الطباق بقلعة الجبل، وطلبوا القبض على المباشرين بسبب تأخر جوامكهم فى الديوان المفرد، ففر المباشرون منهم، ونزلوا من القلعة إلى بيوتهم بالقاهرة، فنزل جمع كبير من المماليك إلى القاهرة، ومضوا إلى بيت القاضى زين الدين عبد الباسط ناظر الجيش، وهو يومئذ عظيم الدولة، وصاحب حلّها وعقدها، فنهبوا ما قدروا عليه. وقصدوا بعده بيت الوزير أمين الدين إبراهيم بن الهيصم، وبيت الأمير كريم الدين عبد الكريم ابن كاتب المناخ أستادار، فنهبوهما. و لم يقدروا على أحد من الثلاثة؛ لفرارهم منهم، فكان يوما شنيعا.

وفى يوم الثلاثاء غده: غُلقت أسواق القاهرة، وماج الناس فى الشوارع والأزقة، وفرَّ الأعيان من دورهم لإشاعة كاذبة بأن المماليك قد نزلوا من القلعة للنهب. وكان ذلك من أشنع ما جرى، إلا أن الحال سكن بعد ساعة؛ لظهور كذب الإشاعة، وأن المماليك لم تتحرك (١).

وفى سابع عشره: ركب القاضى زين الدين عبد الباسط إلى القلعة بعدما نزل له الأمراء فى أمسه بأن يتوجه إلى الإسكندرية، فمازال حتى انصلح حاله. وركب بقية المباشرين إلى القلعة للخدمة السلطانية على العادة، فتقرر الأمر على أن يقوم عبد الباسط للوزير من ماله بخمسمائة ألف درهم مصرية، عنها نحو ألفى دينار أشرفية، تقوية له، وأن السلطان يساعد أستادار بعليق المماليك لشهر، ونزلوا وقد أمنوا واطمأنوا.

وفى يوم الأربعاء: هذا نودى على النيل بزيادة إصبع لتتمة عشرين ذراعا وأحد عشر أصبعا. وكان قد نقص بعد عيد الصليب عندما فتحت جسور عديدة لرى النواحى، فرد النقص فى هذه المدة، وزاد إصبعا، وقد طبق الماء جميع أراضى مصر، قبليها وبحريها، وشمل الرى حتى الروابى؛ و لله الحمد.

وفى يوم الخميس – ثامن عشره: – نودى بزيادة إصبع لتتمة عشرين ذراعا ونصف.

وفى يوم الجمعة – تاسع عشره: – عين شمس الدين بن سعد الدين بن قطارة لنظر الدولة، وألزم بتكفية يومه. ورُسم بطلب الأمير أرغون شاه الوزير – كان – من دمشق، وهو أستادار بها؛ ليستقر فى الوزارة، عوضا عن أمين الدين إبراهيم بن الهيصم، بعدما تنكر السلطان على أستادار كريم الدين عبد الكريم ابن كاتب المناخ من أجل أنه عرض عليه الوزارة فلم يقبلها، فرسم بعقوبته، وضمنه ناظر الخاص سعد الدين إبراهيم ابن كاتب حكم.

وفيه بدأ النقص فى ماء النيل، وهو سابع عشرين توت.

وفى يوم السبت عشرينه: خلع على أستادار كريم الدين على عادته. وخلع على الوزير أمين الدين واستقر بعد الوزارة فى نظر الدولة، كما كان قبل الوزارة (٢).

وألزم بتكفية الدولة إلى حين قدوم الأمير أرغون شاه، فاختفى فى ليلة الإثنين.

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٣٨،٢٣٧/١٤.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٢٣٨/١٤.

وفي يوم الإثنين ثاني عشرينه: قبض على الأمير كريم الدين أستادار، وألزم سعد الدين ناظر الخاص بولاية الوزارة، فلم يوافق على ذلك.

وفيه سار الشريف تاج الدين علي - رسول شاه رخ - وصحبته الأمير أقطوة المؤيدي المهمندار. وأُجيب شاه رخ عن طلبه كسوة الكعبة بأن العادة قد جرت ألا يكسوها إلا ملوك مصر، والعادة قد اعتبرت في الشرع في مواضع وجُهزت إليه هدية.

وفي خامس عشرينه: تغير السلطان على سعد الدين ناظر الخاص لامتناعه من ولاية الوزارة، وأمر به فضرب - وقد بطح على الأرض - ضربا مبرحا. ثم نزل إلى داره [١].

وفي هذا الشهر: ارتفع سعر اللحم، وقلَّ وجوده في الأسواق. وارتفع سعر الأجبان وعدة أصناف من المأكولات، مع رخاء سعر الغلال.

وفيه طرح من شون السلطان عشرة آلاف أردب من الفول على أصحاب البساتين والمعاصر وغيرها من الدواليب، بسعر مائة وخمسة وسبعين درهما من الفلوس كل أردب. ورسم ألا يحمى أحد ممن له جاه، فلم يعمل بذلك. ونجا من الطرح من له جاه، وابتلي به من عداهم. فنزل بالناس منه خسارات متعددة، لا من زيادة السعر، بل من كثرة الكُلف.

وفي يوم الخميس خامس عشرينه: ضُرب الوزير الصاحب أستادار كريم الدين ابن كاتب المناخ بالمقارع، وقد عرى من ثيابه زيادة على مائة شيب. ثم ضُرب على أكتافه بالعصي ضربا مبرحا، وعصرت رجلاه بالمعاصير. وكان له - منذ قُبض عليه وهو مسجون ومقيد - عدةُ مرسمون عليه في موضع بالقلعة ثم أنزل في يوم الجمعة غد من القلعة، وأركب بغلا، ومضى به إلى الأعوان الموكلون به، إلى بيت الأمير التاج والي القاهرة؛ ليورد ما ألزم به وقد حوسب، فوقف عليه خمسة وخمسون ألف دينار ذهبا، صولح عنها بعشرين ألف دينار، فشرع في بيع موجوده وإيراد المال.

شهر ربيع الأول، أوله الثلاثاء:

فيه خُلع على سعد الدين إبراهيم ناظر الخاص جبة. واستقر على عادته [٢].

وخلع على أخيه جمال الدين يوسف، واستقر في الوزارة. وكانت منذ تغيب أمين الدين إبراهيم بن الهيصم، وسعد الدين ناظر الخاص يباشرها، ويسدد أمورها من غير

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٣٩.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٤٠.

لبس تشريف، فغرم فيها جملة مال لعجز جهاتها عن مصارفها: وخلع أيضا على ابن قطارة، واستقر فى نظر الدولة [١].

وفى ليلة الجمعة رابعه: عمل المولد النبوى بين يدى السلطان بقلعة الجبل على العادة. وضبط الوزير أمور الدولة ونفذ أحوالها بقوة. وقطع عدة مرتبات من لحم ودراهم. ولم يفرج لأحد من أرباب الجهات عن شىء له عليه مقرر فهابه الناس وطلبت الغلال للبذر، فارتفع السعر قليلا. وطرحت من الغلال على الناس ما بلغت جملته بما تقدم ذكره ثمانية عشر ألف أردب فولاً وثمانية آلاف أردب قمحًا، فنزل بالناس فى هذا الشهر شدائد.

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشرينه: أفرج عن الصاحب كريم الدين من ترسيم التاج، فسار إلى داره، بعدما حمل نحو عشرين ألف دينار، وضمنه فيما بقى جماعة من الأعيان.

وفى هذا الشهر: انتهت عمارة سقف الكعبة - شرفها الله تعالى - على يد سودن المحمدى، وشرع فى هدم المنارة التى على باب اليمنى من المسجد الحرام، فهدمت وبنيت بناء عاليا.

شهر ربيع الآخر، أوله الخميس:

فى ثالثه - قبيل الظهر بقليل -: حدثت زلزلة بالقاهرة اهتزت لها الدور هزة، فلو قد طالت قليلا لأخربت ما زلزلت.

وفى رابعه: قدم الأمير أرغون شاه المطلوب للوزارة من دمشق فأخذت تقدمته [٢].

وفى خامسه: ركب السلطان من قلعة الجبل باكرا، وشق القاهرة، فمضى للصيد، ورجع من آخر نهار يوم الأربعاء. وتكرر ركوبه لذلك مرتين أخريين، يبيت فى كل مرة ثم يعود.

وفى هذا الشهر: كثرت الأمطار ببلاد غزة وعامة بلاد الشام، فانتفعوا بها.

وفيه ارتفع بالقاهرة سعر اللحم والخبز والجبن واللبن والعسل وعدة من الأقوات، حتى بلغ بعضها مثلى ثمنه، مع رخاء سعر القمح والشعير، وغلاء الأرز أيضا.

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٤٠.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٤٠.

وفيه احترقت مركب بساحل الطور، تلف فيها بضائع كثيرة.

وفيه منع التجار بالإسكندرية من بيع البهار على الفرنج، فأضرَّهم ذلك.

شهر جمادى الأولى، أوله الجمعة:

فى ثانيه: ركب السلطان إلى الصيد، وشق القاهرة وعاد آخر يوم الثلاثاء خامسه، وهذه رابع ركبة له للصيد.

وفى سابعه: سافر الأمير غرس الدين خليل بن شاهين نائب الإسكندرية وناظرها بعدما حمل خمسة آلاف دينار ذهبا، سوى قماش وغيره بألف دينار. وكان قد قدم من الثغر فى الشهر الماضى.

وفى هذه الأيام وقع الشروع فى حركة سفر السلطان إلى الشام (١).

وفى خامس عشره: خلع على دولات خجا والى القاهرة، واستقر فى ولاية منفلوط وكاشف القبض. وشغرت ولاية القاهرة إلى يوم الأحد سابع عشره، فخلع على علاء الدين على بن ناصر الدين محمد بن الطبلاوى، وأعيد إلى ولاية القاهرة (٢) على أن يحمل ألفا ومائتى دينار وكان له منذ عزل من الولاية بضع عشرة سنة يتسخط فى أذيال الخمول.

وفى هذه الأيام: حُمل إلى مكة - شرفها الله تعالى - من الرخام ما ذرعه ستون ذراعا لمرمة الحجر وشاذروان البيت. وحمل من الجبس خمسون حملا؛ لبياض أروقة المسجد الحرام، ومن الحديد عشرة قناطير لعمل مسامير، وأربعون قطعة خشب لشد أروقة المسجد الحرام.

وفى سلخه: برز الأمير تمراز رأس نوبة النوب، وصحبته عدة مائتى مملوك، وخجا سودن رأس نوبة من أمراء الطبلخاناه، وأمير آخر من أمراء العشرات؛ ليتوجهوا إلى الوجه القبلى، وذلك أن الأمير تغرى برمش - أمير أخور - خرج إلى سرحة الوجه القبلى لأخذ تقادم العربان وغيرهم، فلقيه على بن غريب على ناحية دهروط (٣)، وهو يومئذ يلى أمر هوارة البحرية؛ ليحضر تقدمته على العادة.

---

(١) وقع الشروع فى حركة سفر السلطان إلى الشام؛ لقتال قرايلك والفحص أيضا عن جانبك الصوفى. انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٤٠.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٤٠.

(٣) دَهْروط: بُليدة على شاطىء غربى النيل من ناحية الصعيد قرب البهنسا. انظر معجم البلدان ٢/٤٩٢.

وحضر ملك الأمراء بالوجه القبلى - وهو محمد الصغير - وجاءت طائفة من محارب وطائفة من فزارة ليقدموا تقادمهم، فاقتضى الحال إرسال ملك الأمراء وعلى ابن غريب معهم لأخذ التقادم منهم، فغدروا بهم، وثاروا عليهم، فقاتلهم ملك الأمراء، وعاد مهزوما، وقد جرح، وقتل عدة من جماعته. ثم إن السلطان عين لكشف الوجه القبلى الصاحب كريم الدين ابن كاتب المناخ.

وفى هذا الشهر: قبض الأمير قرقماس نائب حلب على الأمير فياض ابن الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر بمرعش. وأقام بدله عليها حمزة باك بن على باك بن دلغادر. هذا وأبوه ناصر الدين محمد بن دلغادر على أبلستين وقيصرية الروم وهما بيده. وسبب ذلك أنه كان فى نيابة مرعش الأمير حمزة بك بن الأمير على بك بن دلغادر، فوثب عليه فياض المذكور، وولى مرعش بغير مرسوم.

شهر جمادى الآخرة، أوله السبت:

فيه خلع على الأمير الوزير الصاحب كريم الدين عبد الكريم ابن كاتب المناخ، واستقر كاشف الوجه القبلى. ورسم أن يستقر محمد الصغير المعزول عن الكشف دواداره، وأمير على الذى كان كاشفا بالوجه القبلى والوجه البحرى رأس نوبته. ونزل من القلعة إلى داره فى موكب جليل.

وفى سادسه: خلع على الصاحب أمين الدين إبراهيم بن الهيصم، واستقر شريكا لعبد العظيم بن صدقة فى نظر الديوان المفرد.

وقدم الخبر بأن الأمير عثمان قرايلك صاحب آمد وماردين نزل على ظاهر الرها، وأخذ فى جمع جمائعه، وأن ابنه نهب معاملة دوركى ومعاملة ملطية.

وفى يوم الأحد سادس عشره: قبض السلطان على سعد الدين [1] ناظر الخاص، وأخيه الوزير جمال الدين يوسف، وأوقع الحوطة على دارهما، ثم أفرج عنهما من الغد. وخلع على ناظر الخاص باستمراره على عادته. وعزل أخوه عن الوزارة، وألزما بحمل ثلاثين ألف دينار فنزلا وشرعا فى بيع موجودهما وإيراد المال المذكور [2] وفيه ألزم تاج الدين عبد الوهاب بن الشمس نصر الله الخطير بن الوجيه توما ناظر الإصطبل بولاية الوزارة، وخلع عليه من الغد يوم الثلاثاء ثامن عشره.

---

(١) هو سعد الدين إبراهيم. انظر النجوم الزاهرة ٢٤١/١٤.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٢٤١/١٤.

وفيه قدم سيف الأمير أركماس الجلبانى (١) أحد مقدمى الألوف بدمشق، وقد مات.

وفيه خلع على الأمير التاج الشويكى، واستقر مهمندارا عوضا عن الأمير أقطوة المتوجه رسولا إلى شاه رخ.

وفى يوم الأربعاء تاسع عشره: رسم بإقطاع أركماس الجلبانى لِتِمْراز المؤيدى (٢).

وأنعم بطبلخاناه تمراز على الأمير سنقر العزى نائب حمص، واستقر عوضه طغرق أحد أمراء دمشق.

وفى العشرين منه: خلع على شمس الدين أبى الحسن ابن الوزير تاج الدين الخطير، واستقر فى نظر الإسطبل عوضا عن أبيه.

وفى يوم الأحد ثالث عشرينه: توجه الأمير الكبير أينال الجكمى والأمير جقمق أمير سلاح، والأمير يشبك حاجب الحجاب والأمير قانباى الحمزاوى، فى عدة من الأمراء إلى العرب بالوجه البحرى، وذلك أن لبيد عرب برقة قدم منهم طائفة بهدية، وسألوا أن ينزلوا البحيرة، فلم يجابوا إلى ذلك وخلع عليهم، فعارضهم أهل البحيرة فى طريقهم، وأخذوا منهم خلعهم. وكان السلطان يلهج كثيرا بإخراج تجريدة إلى البحيرة، فبلغهم ذلك فأخذوا حذرهم.

واتفق مع ذلك أن شتاء هذه السنة لم يقع فيه مطر ألبتة، لا بأرض مصر ولا بأرض الشام، فدَفَّت دافة (٣) من لبيد إلى البحيرة لمحل بلادهم، وصالحوا أهل البحيرة، وساروا إلى محارب وغيرها من العرب بالوجه القبلى لرعى الكتيح من الأراضى البور. وكان قد كتب إلى الكاشف بألا يمكنهم من المراعى حتى يأخذ منهم مالاً، فأنفوا من ذلك؛ لأنه حادث لم يعهد قبل ذلك، وأظهروا الخلاف، فخرجت إليهم هذه التجريدة.

وفى هذا الشهر: رسم أن يكشف عن شروط واقفى المدارس والخوانك، ويعمل بها. وندب لذلك قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن حجر الشافعى، فبدأ أولا بمدرسة الأمير صرغتمش بخط الصليبة وقرأ كتاب وقفها. وقد حضر معه رفقاؤه

---

(١) مات فى الرملة، ودفن بالقدس. انظر الضوء اللامع ٢٦٨/٢، المنهل الصافى (ترجمته).

(٢) فى النجوم: أنعم السلطان على تمراز المؤيدى الخازندار بإمرة مائة وتقدمة ألف بدمشق، بعد موت الأمير أركماس الجلبانى. انظر النجوم الزاهرة ٢٤٢/١٤.

(٣) دفت دافة، أى أتى قوم من أهل البادية، ويقال دفت علينا من بنى فلان دافة. انظر لسان العرب.

الثلاث قضاة القضاة، فأجمل فى الأمر، فلم يعجب السلطان ذلك، وأراد عزل جماعة من أرباب وظائفها، فروجع فى ذلك حتى أقرهم على ما هم عليه. وأبطل الكشف عما رسم به، فسر الناس بهذا لأنهم كانوا يتوقعون تغييرات كثيرة.

وفيه اشتد قلق الناس لقلة البرد فى فصل الشتاء، وعدم المطر، وهبوب رياح حارة فى أوقات عديدة، خوفا على الزرع. و لله الأمر.

شهر رجب، أوله الإثنين:

فى ثامنه: أدير محمل الحاج بمصر والقاهرة، وكانت العادة ألا يدار إلا بعد النصف من رجب، فأدير فى هذه الدولة قبله غير مرة (١).

وفى ثامن عشره: خلع على الأمير تمرباى الدوادار الثانى، واستقر أمير الحاج، وخلع على الأمير صلاح الدين محمد بن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر ا لله محتسب القاهرة؛ ليكون أمير الركب الأول.

وفى حادى عشرينه: ورد الخبر بأن العرب - من محارب - لما علموا نزول الأمير أينال الجكمى على الفيوم، ساروا إلى جهة الواحات. ثم بدا لهم فنزلوا بالأشمونين، فركب الأمير كريم الدين الكاشف، والأمير تغرى برمش أمير أخور، والأمير تمراز رأس نوبة النوب، وقاتلوهم وهزموهم، وظفروا منهم بستمائة جمل، غير ما نهب لهم وأن ذلك كان فى يوم الثلاثاء سادس عشره.

وفى حادى عشرينه: قدم الأمير فياض ابن الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر تحت الحوطة، فسجن بقلعة الجبل.

وفى هذا الشهر: بعث الملك شهاب الدين أحمد بدلاى بن سعد الدين (٢) سلطان المسلمين بالحبشة، أخاه خير الدين لقتال أمحرة الكفرة، ففتح عدة بلاد من بلاد الحطى ملك الحبشة، وقتل أميرين من أمرائه، وحرق البلاد، وغنم مالا عظيما، وأكثر من القتل فى أمحرة النصارى، وخرب لهم ست كنائس.

هذا وقد شنع بعامة بلاد الحبشة الوباء العظيم، فمات فيه من المسلمين ومن النصارى عالم لا يحصى، حتى لقد بالغ القائل بأنه لم يبق ببلاد الحبشة أحد.

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٤٤/١٤ وفيه أدير المحمل على العادة فى كل سنة.

(٢) هو بدلاى؛ شهاب الدين أحمد بن سعد الدين أبى البركات بن أحمد بن على الجبرتى. سلطان المسلمين ببلاد الحبشة تولى الملك سنة ٨٣٥هـ وقتل سنة ٨٤٧هـ. انظر الضوء اللامع ٣،٤، عقد الجمان (حوادث سنة ٨٣٨هـ).

وهلك فى هذا الوباء الحطى ملك الحبشة الكافر، وأقيم بدله صبى صغير.

شهر شعبان، أوله الأربعاء:

وفى سادسه: قدم بقية المماليك والأمراء المجردين إلى العرب بالوجه القبلى.

وفى سادس عشره: خلع على الأمير قانباى الحمزاوى أحد الأمراء الألوف. واستقر فى نيابة حماه عوضا عن الأمير جلبان. ونقل جلبان إلى نيابة طرابلس عوضا عن الأمير طراباى بعد موته. وأنعم بإقطاع قانباى وإمرته على الأمير خجا سودن أحد أمراء الطبلخاناه. ووفرت إمرة خجا سودن وأُضيف إقطاعه إلى الدولة؛ تقوية للوزير تاج الدين.

وفى يوم الجمعة سابع عشره: نودى بمنع الناس من المعاملة بالفلوس، وألا يتعامل الناس إلا بالفلوس التى ضربها السلطان. وكان من خبر ذلك أن الفلوس الجدد لما ضُربت فى سنة تسع وخمسين وسبعمائة عمل زنة كل فلس منها مثقال، على أن الدرهم الفضة المعاملة يعد فيه منها أربعة وعشرون فلسا، فكانت زنة القفة الفلوس مائة وثمانية عشر رطلا، عنها خمسمائة درهم من الفضة الظاهرية، معاملة مصر والشام. والمثقال الذهب الهرجة المضروب بسكة الإسلام يصرف بعشرين درهما من هذه الدراهم، ويزيد تارة ثُمن درهم على العشرين درهما، وتارة ربع درهم عليها. ثم تزايد صرف الدينار فى آخر الأيام الظاهرية برقوق، حتى بلغ نحو خمسة وعشرين درهما. وكان النقد الرائج بديار مصر وأرض الشام الفضة المذكورة، ويعمل ثلثها نحاس، وثلثاها فضة. ثم يلى الفضة المذكورة فى المعاملة الذهب المختوم الإسلامى، ولا يعرف دينار غيره. وكانت الفلوس أولا إنما هى برسم شراء المحقرات، التى لا تبلغ قيمتها درهم. فلما كانت الأيام الظاهرية برقوق، وقام بتدبير الأموال الأمير جمال الدين محمود بن على بن أصفر عينه أستادار، أكثر من ضرب الفلوس الجدد المذكورة، حتى صارت هى النقد الرائج بديار مصر، وقلت الدراهم. فلما كانت الأيام الناصرية فرج بن برقوق، تفاحش فى دولته أمر نقود مصر، وكادت الدراهم الفضة المعاملة التى تقدم ذكرها أن تعدم، وصارت تباع كما تباع البضائع، فبلغت كل مائة درهم منها إلى ثلاثمائة وستين درهما من الفلوس، التى يعد عن كل درهم منها أربعة وعشرون فلسا. وزاد سعر الذهب، وراج منه الدينار الأفرنتى، وهو ضرب الفرنج، حتى عدمت الدنانير الذهب الهرجة المختومة بسكة الإسلام، وبلغ الدينار الأفرنتى المذكور مائتين وستين درهما من الفلوس المذكورة وفسدت مع ذلك هذه الفلوس، فعملت كل قنطار مصرى - وهو مائة رطل مصرية - بستمائة درهم، وصارت معاملة الناس بها فى ديار مصر كلها بالوزن لا

بالعدد، فيحسب فى كل رطل منها ستة دراهم، وصارت قيم الأعمال وثمن المبيعات كلها - جليلها وحقيرها - وأجرة البيوت والبساتين، وسجلات الأراضى كلها، ومهور النساء، وسائر إنعامات السلطان، إنما هى بالفلوس، وصار النقدان - اللذان هما الذهب والفضة - ينسبان إلى هذه الفلوس، فيقال كل دينار بكذا أو كذا من الفلوس، وكل درهم من الفضة إن وجد ـ ولا يكاد يوجد ـ بكذا من الفلوس، فلم يبق للناس بديار مصر نقد سوى الفلوس. ثم بعد الفلوس، الذهب الأفرنتى أو الذهب السالمى أو الذهب الناصرى، وهو بأنواعه إنما ينسب إلى الفلوس. وصار الذهب مع ذلك أصنافا، الهرجة وهو قليل جدا، والأفرنتى وهو من الذهب النقد الرائج، والسالمى وهى دنانير ضربها الأمير يلبغا السالمى أستادار زنتها مثقال كل دينار، والناصرى وهى دنانير ضربها الملك الناصر فرج بن برقوق.

فلما كانت الأيام المؤيدية شيخ ضرب دراهم عرفت بالمؤيدية، تعامل الناس بها عددًا مدة أيامه، وحسن موقعها من الناس، فصارت النقود بمصر الفلوس، والذهب بأنواعه، والفضة المؤيدية. والنقد الرائج منها إنما هو الفلوس، وإليها تنسب قيم الأعمال وثمن المبيعات، كما تقدم.

فلما كانت الأيام الأشرفية برسباى رد الدراهم إلى الوزن، وأبطل المعاملة بها بالعدد، فإنه كثر قص المفسدين منها فتعنت الناس فى أخذها.واستمرت المعاملة بالدراهم وزنًا. وضرب أيضا دراهم أشرفية، يصرف كل درهم وزنا بعشرين درهما من الفلوس. ثم تزايد سعر الفلوس حتى بلغ كل قنطار منها ألفًا وثمانمائة، فتعمل الناس بها من حساب كل رطل بثمانية عشر درهمًا فلوسا. ومازالت تقل لكثرة ما يحمل التجار منها إلى بلاد الهند وغيرها، وما يضرب منها بالقاهرة أوانى كالقدور التى يطبخ فيها ونحوها من آلات النحاس. وصار على من يتولى ضرب الفلوس أوانى ضمانا مقررًا لديوان الخاص، فى كل شهر خمسة عشر ألف درهم. ثم زاد مبلغ الضمان عن ذلك، فاقتضى رأى السلطان بعد اختلاف واضطراب كثير فى مدة أيام أن يضرب فلوسا، يعد فى كل درهم من دراهم الدينار ثمانية فلوس، على أن الدينار الأشرفى بمائتين وخمسة وثمانين درهما، والدينار الأفرنتى بمائتين وثمانين. فتكون هذه الفلوس الأشرفية كل رطل منها بسبعة وعشرين درهما. ويؤخذ فى كل دينار أشرفى ألفان ومائتا فلس وثمانون فلسا. فلما ضربت الفلوس على هذا الحكم، نودى أن يتعامل الناس بها، وألا يتعاملوا بما فى أيديهم من الفلوس القديمة، بل يحملوها إلى دار الضرب على حساب كل رطل بثمانية عشر. وما أحسن هذا لو استمر.

شهر رمضان، أوله الخميس:

فى خامسه: خلع على محمد الصغير، وأعيد إلى كشف الوجه القبلى، عوضا عن الصاحب كريم الدين.

وفيه توجه الأمير قانباى إلى محل كفالته من نيابة حماة، بعدما اقترض نحو خمسة آلاف دينار بفوائد حتى تجهز بها لقلة ذات يده. وهذا من نوادر ما يحكى عن أمراء مصر.

وفى خامس عشره: قدم الصاحب كريم الدين من الوجه القبلى، فنزل داره.

وفى هذه الأيام - وموافقتها من شهور القبط برمودة: - وقع بالقاهرة ومصر مطر كثير غزير، دلفت منه سقوف البيوت، وسال جبل المقطم سيلا عظيما، أقام منه الماء بالصحراء عدة أيام. وهذا أيضا فى هذا الوقت مما يندر وقوعه بأرض مصر.

وفى هذا الشهر: الأمير قرقماس نائب حلب منها بالعسكر، ونزل العمق، وجمع تركمان الطاعة؛ وسبب ذلك أن الأمير صارم الدين إبراهيم بن قرمان قصد أخذ مدينة قيصرية من الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر نائب أبلستين فى الأيام المؤيدية شيخ. وكان ابن دلغادر قد تغلب عليها، وانتزعها من بنى قرمان، وولى عليها ابنه سليمن، فترامى ابن قرمان على السلطان فى هذه الأيام أن يملكه - بإعانته بعسكر حلب - بمدينة قيصرية، ووعد بمال، وهو عشرة آلاف دينار فى كل سنة، وثلاثون بختيا، وثلاثون فرسا، سوى خدمة أركان الدولة. فكتب السلطان إلى نائب حلب أن يخرج إلى العمق ويجمع العساكر لأخذ قيصرية. وبعث بذلك الأمير خش كلدى مقدم البريدية، فخرج فى ثانى عشر رمضان هذا، ونزل العمق، وجمع تركمان الطاعة، وكتب إلى ابن قرمان بأن يسير بعسكره إلى قيصرية.

وفى هذا الشهر: أيضا ورد الخبر بأن أصبهان بن قرايوسف حاكم بغداد توجه لأخذ الموصل، فبعث زينال الحاكم بها إلى الأمير عثمن قرايلوك صاحب آمد بمفاتيح الموصل، وحثه على المسير إليها، فبعث نائبه محمود بن قرايلوك، ومعه بشلمش أحد أمرائه فى مائتى فارس، فلما قدموا على زينال، جعلهم فى الموصل كالمسجونين مدة، فجهز محمود إلى أبيه قرايلوك يعلمه بحاله، فأمده بأخيه محمد بيك بن قرايلوك على ألف فارس، فنزل على الموصل مدة. ولم يتمكن من رؤية أخيه محمود، فسار قرايلوك بنفسه

من مشتاه برأس عين [١]، ونزل على نصيبين [٢]، فبلغه توجه إسكندر بن قرا يوسف إليه، وقد فر من شاه رخ ملك المشرق، وكان الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر لما بلغه خروج العساكر من حلب لأخذ قيصرية منه بعث بامرأته الحاجة خديجة خاتون بتقدمة للسلطان، ومعها مفاتيح قيصرية، وأن يكون زوجها المذكور نائب السلطنة بها، وأن يفرج عن ولدها فياض المسجون بقلعة الجبل. وكتب على يدها بذلك كتابا، ووعد بمال، فقدمت حلب فى سابع عشرينه.

شهر شوال، أوله يوم السبت:

فى رابعه: قدم كتاب الخان شاه رخ ملك المشرق، يتضمن أنه عازم على زيارة القدس الشريف وأرعد فيه وأبرق، وأنكر أخذ المكوس من التجار بجدة [٣].

فى رابع عشره: خلع على علاء الدين على بن التلوانى أحد أجناد الحلقة، واستقر فى نيابة دمياط، عوضا عن سودن المغربى أحد المماليك الظاهرية برقوق.

وفى خامس عشره: خلع على الأمير تاج الدين الشويكى أحد ندماء السلطان وجلسائه، وأعيد إلى ولاية القاهرة عوضا عن ابن الطبلاوى، بحكم عزله. فأقام أخاه الأمير عمر يتحدث فى الولاية عنه.

وفى ثامن عشره: خرج محمل الحاج صحبة الأمير تمرباى الدوادار، فنزل بركة الحاج. ورحل فى ثانى عشرينه الركب الأول صحبة الأمير صلاح الدين محمد بن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله [٤] وفيهم خوند فاطمة بنت الملك الظاهر ططر زوجة السلطان. وقد أذن لوالده الصاحب بدر الدين أن يتحدث فى الحسبة، حتى يقدم من الحج. ورحل الأمير تمرباى بالمحمل وبقية الحاج فى يوم الأحد ثالث عشرينه.

وفى هذا الشهر: زاد ماء النيل نحو أربعة أذرع قبيل أوان الزيادة، فأغرق كثيرًا من مقاثى البطيخ. واستمرت الزيادة إلى ثالث بؤونة، وهذا مما يستغرب وقوعه، فتلف للناس مال عظيم بسبب ذلك.

وفى هذا الشهر: قدمت خديجة خاتون امرأة الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر إلى

---

(١) رَأسُ عَيْنٍ: بين تمم وبكرين وائل. انظر معجم البلدان ١٣/٣.

(٢) نَصيبين: هى مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام. انظر معجم البلدان ٢٢٨/٥و٢٨٩.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ٢٤٥/١٤.

(٤) انظر النجوم الزاهرة ٢٤٥/١٤، أنباء الغمر (حوادث نفس السنة).

القاهرة، فأنزلت، وأقيم لها بما يليق بها. وقبلت هديتها لما صعدت قلعة الجبل. وأفرج لها عن ولدها فياض، وخلع عليه وولى نيابة مرعش وكان الأمير إبراهيم بن قرمان قد بلغه توجه خديجة خاتون إلى القاهرة، فبعث يسأل أن تكون قيصرية له. فقدم قاصده إلى حلب فى ثامن عشرين شهر شوال هذا، ووعد بالمال المذكور وقد رحل الأمير قرقماس نائب حلب فى رابع عشرينه من مرج دابق يريد عينتاب، بعدما أقام بالعمق خمسا وثلاثين ليلة.

وفى هذا الشهر: ظهر الأمير جانبك الصوفى، بعدما أقام منذ خرج من سجن الإسكندرية فى شهر شعبان سنة ست وعشرين لا يوقف له على خبر، حتى قدم فى يوم الثلاثاء حادى عشر شوال هذا إلى مدينة حلب تركمانى يقال له محمد، قد قبض عليه الأمير قرقماس نائب حلب بالعمق، ومعه كتاب جانبك الصوفى فى سابعه، فسجن بقلعة حلب، وجهز الكتاب إلى السلطان (١).

شهر ذى القعدة، أوله يوم الإثنين:

فيه نزل الأمير قرقماس نائب حلب بمن معه عينتاب، وقد جمع التركمان على كينوك، فأتاه الخبر بأن حمزة بن دلغادر خرج عن الطاعة، وتوجه إلى ابن عمه سليمن ابن ناصر الدين محمد بن دلغادر، بعدما بعث إليه، وحلفه له. وأن دوادار الأمير جانبك الصوفى ومحمد بن كندغدى بن رمضان التركمانى وصلا إلى الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر بأبلستين، وحلفاه أنه إذا قدم عليه جانبك الصوفى لا يسلمه، ولا يخذله، وأن جانبك كان عند أسفنديار، فسار من عنده يريد سليمن بن دلغادر، فخرج إليه، وتلقاه هو وأمراؤه التركمان، وكان السلطان قد جهز خديجة خاتون - كما تقدم ذكره - فسارت بابنها فياض فى أوائل هذا الشهر. وقد جمع الأمير صارم الدين إبراهيم بن قرمان، ونزل على قيصرية، فوافقه أهلها، وسلموها له. ففر سليمان بن ناصر الدين محمد بن دلغادر، فبلغه ظهور جانبك الصوفى، وأنه اجتمع عليه الأمير أسلماس بن كبك، ومحمد بن قطبكى، وهما من أمراء التركمان، ونزلوا على ملطية. فقدم على أبيه بأبلستين، ولم يبلغهما خبر الإفراج عن ولده فياض، وخروجه مع أمه خديجة من القاهرة، فأراد أن يتخذ يدًا عند السلطان؛ ليفرج عن ابنه فياض، وينعم له بقيصرية، فجهز فى ذلك ابنه سليمان، بعد عوده منهزما من قيصرية، بكتابه.

وقدم الخبر بأن إسكندر بن قرايوسف مشى على قرايلوك وغزا على مدينة أرزن

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٤٥.

الروم [1] وأخذها. فعاد قرايلوك إلى آمد، وخرج منها بعد ليلة إلى أرقنين [2] خوفا من إسكندر. وأن كتاب الأمير جانبك الصوفى ورد على الأمير بلبان نائب درنده، فقبض على قاصده، وسجنه، وحمل كتابه إلى السلطان.

وفى سابع عشرينه: عاد الأمير قرقماس نائب حلب إليها، بعد غيبته عنها بالعمق ومرج دابق وعينتاب خمسة وسبعين يوما، وقد فات أخذ قيصرية؛ لاستيلاء إبراهيم بن قرمان عليها. وكان القصد أخذها واستنابة أحد أمراء السلطان بها، ولظهور جانبك الصوفى، وانتمائه إلى ابن دلغادر، ووصلت خديجة خاتون وابنها فياض إلى زوجها ناصر الدين محمد بن دلغادر فبلغ مراده، وترك مداة السلطان، وأشغل فكر الدولة؛ لأنه قد جاء من خروج جانبك ما هو أدهى وأمر.

وفى يوم الثلاثاء ثالث عشرينه – وهو سابع عشرين بؤونة: – ابتدأ بالنداء على النيل، فزاد إصبعين، وجاءت القاعدة أحد عشر ذراعا وعشر أصابع، وهذا مما يندر وقوعه، ولم ندرك مثله.

وفى سادس عشرينه: لم يناد على النيل إلى سلخه، ونقص ستة عشر أصبعا.

شهر ذى الحجة، أوله الأربعاء:

فى سادسه: نودى بزيادة أصبع من النقص، واستمرت الزيادة فى كل يوم.

وفى تاسعه: أضيف إلى زين الدين عمر بن شهاب الدين أحمد بن صلاح الدين محمد بن السفاح كاتب السر بحلب نظر الجيش بها، عوضا عن جمال الدين يوسف بن أبى أصيبعة، بمال وعد به.

وفى سابع عشره: خرج على مبشرى الحاج طائفة من عنزة، [3] فأخذت جميع ما معهم، وقتلوا منهم مملوكا، وتركوهم حفاة عراة، بادية عوراتهم، فمشوا إلى أن لقوا أرباب الأدراك من جهينة بأرض السماوة فآووهم، وذبحوا لهم الأغنام، وأضافوهم، وكسوهم من ملابسهم، وحملوهم إلى القاهرة، وقد قلق الناس بهذا لتأخرهم عن عادة قدومهم عدة أيام.

---

(١) أرزَن: بالفتح ثم السكون، وفتح الزاى، ونون، وهى مدينة مشهورة قرب خلاط، ولها قلعة حصينة، وكانت من أعمر نواحى: إرمينية. انظر معجم البلدان ١/ ١٥٠.

(٢) أرْقنين: بلد بالروم. انظر معجم البلدان.

(٣) بطن من أسد بن ربيعة. انظر نهاية الأرب ص٣٤٨.

وحج فى هذه السنة الملك الناصر حسن بن أبى بكر بن حسن بن بدر الدين متملك ديوة - التى تسميها العامة دينة، وهى جزائر فى البحر تجاور سيلان [١].

وفيها وقع وباء عظيم ببلاد كرمان. [٢] وابتدأ فى مدينة هراة من بلاد خراسان، فى شهر ربيع الأول، وشنع، فمات فيه عالم عظيم، يقول المكثر ثمانمائة ألف.

وخرج شاه رخ منها فى ثانى عشر شهر ربيع الأول هذا، وقد جمع عسكرا عظيما يريد قتال اسكندر بن قرايوسف. وتأهب ومن معه لمدة أربع سنين؛ وسبب ذلك أن إسكندر نزل على شماخى من مملكة شروان [٣]، وقاتل ملكها خليل بن إبراهيم شيخ الدربندية [٤] مدة. فلما كان فى بعض الأيام توجه إسكندر من معسكره للصيد، فهجم خليل فى غيبته على المعسكر، وقتل وأسر ابن إسكندر وابنته وزوجته، وبعث بالابن إلى شاه رخ، فأكرمه وتركه يركب معه أياما. ثم حمله إلى سمرقند [٥] وأوقف خليل بنت إسكندر وزوجته فى الخرابات للزنا بهما. فلما رجع إسكندر من متصيده ألح فى القتال، حتى أخذ شماخى وخربها، حتى جعلها دكًا، ونهب أموال أهلها، وأفحش فى قتلهم، وسبيهم، وقد فر خليل وبعث يستنجد بشاه رخ، ويترامى على الخاتون امرأته، فمازالت به حتى خرج لقتاله. وكان إسكندر فى شماخى بابنة خليل وامرأته، فأوقفهما للزنا بهما، وألزمهما أن يزنى بكل واحدة، خمسون رجلا فى كل يوم؛ نكاية فى خليل.

وفيها كانت بين الفرنج حروب سببها أن ألفنش الذى يقال له ألفنت صاحب مملكة أرغون، وهو الذى غزا مدينة أغرناطة [٦] من الأندلس وأخذ من المسلمين النقيرة [٧] وغيرها، وكان وصيا على ولد أخيه بقشتالة [٨]، فلما هلك قام من بعده ابنه بترو بن

---

(١) سَيَلانُ: حزيرة عظيمة دورها ثمانمائة فرسخ، بها سرنديب وعدة ملوك لا يدين بعضهم لبعض. انظر معجم البلدان ٢٩٨/٣.

(٢) كَرْمَان: بالفتح ثم السكون، وآخره نون، وربما كسرت والفتح أشهر بالصحة، وهى ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان. انظر معجم البلدان ٤٥٤/٤ وما بعدها.

(٣) شَرْوَرَنُ: مدينة من نواحى باب الأبواب. انظر معجم البلدان ٣٣٩/٣.

(٤) دَرْبَند: وهو باب الأبواب. انظر معجم البلدان ٢: ٤٤٩.

(٥) سبق ترجمتها.

(٦) سبق ترجمتها.

(٧) النقيرة: ركية معروفة ماؤها رواء بين ثاج وكاظمة. انظر معجم البلدان ٣٠١/٥.

(٨) سبق ترجمتها.

ألفنت صاحب برشلونة وبلنسية [(١)]، وغير ذلك من مملكة أرغون، حتى هلكت ملكة نابل [(٢)] فاستضاف الجنويون مملكة نابل إلى مملكتهم، فشق ذلك على بترو بن ألفنت، وسار إليهم فى أربعين قطعة فى البحر، ونزل على قلعة كايات، وحصرها إلى أن أخذها عنوة وخربها بعد أن صلب ثلاثة من رؤسائها على السور وأسر جميع من فيها، وتوجه إلى جزيرة غيطلة، وهى من أجلّ مملكة نابل، وأقام عليها مدة، فبعث الجنويون إلى المنتصر أبى عبد الله محمد صاحب تونس ومملكة إفريقية رجلا من أخواله، فإن أمه جنوية، يستنجدونه على بترو، فأمدهم بمال، وجهز لهم اثنى عشر مركبا حربية. فلما قدمت عليهم مع رسولهم نجدة صاحب تونس، ساروا فى خمسة وأربعين مركبا - منها ثمانية عشر كبارا وخمسة عشر غرابا - وقد اشتد الأمر على أهل غيطلة وكثرت محاربتهم لبترو، فلقوه وحاربوه، فانتخب ألفا من عسكره، ونزل فى مركب عظيم ليخالفهم إلى بلادهم. ففطنوا به، فأدركوه، وحاربوه حتى غلبوه وأسروه وأخويه، ومن معه فى آخر يوم من ذى الحجة. وعادوا بهم إلى بلادهم، وسجنوه وأخويه وردوا إلى المنتصر مراكبه الخمسة عشر.

وفيها قوى عرب إفريقية وحصروا مدينة تونس. وذلك أن المنتصر أبا عبد الله محمد ابن الأمير أبى عبد الله محمد ابن السلطان أبى فارس عبد العزيز، لما قام فى سلطنة أفريقية بعد موت جده عبد العزيز بن أبى العباس أحمد فى سفره بنواحى تلمسان، قدم إلى مدينة تونس دار ملكه فى يوم عاشوراء، وأقام بها أياما، ثم خرج إلى عمرة، ونزل بالدار التى بناها جده أبو فارس، وضيق على العرب ومنعهم من الدخول إلى بلاد إفريقية. وكان مريضا، فاشتد به المرض، وفر من عنده الأمير زكريا ابن محمد ابن السلطان أبى العباس وأمه ابنة السلطان أبى فارس عبد العزيز بن أبى العباس، ونزل عند العرب المخالفين على المنتصر.

فسار عند ذلك المنتصر من عمرة عائدا إلى تونس، وقد تزايد مرضه، فتبعه زكريا ومعه العرب حتى نزلوا على مدينة تونس، وحصروها عدة أيام، فخرج عثمان أخو المنتصر من قسنطينة، وقدم تونس فسر به المنتصر هذا، والفقيه أبو القاسم البرزلى مفتى البلد وخطيبها يجول فى الناس بالمدينة، ويحرضهم على قتال العرب، ويخرجهم فيقاتلون العرب، ويرجعون مدة أيام، إلى أن حمل العرب عليهم حملة منكرة، هزموهم، وقتل من

---

(١) بَلَنْسِيَةُ: مدينة مشهورة بالأندلس متصلة بجوزة كورة تدمير، وهى شرقى تدمير شرقى قرطبة، وهى برية بحرية ذات أشجار وأنهار. انظر معجم البلدان ١/٤٩٠.

(٢) أى نابلى بإيطاليا.

الفريقين عدد كبير. كل ذلك والمنتصر ملقى على فراشه لا يقدر أن ينهض للحرب، من شدة المرض.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

الحطى ملك الحبشة.

ومات ملك كربرجة - من بلاد الهند - وهو السلطان شهاب الدين أبو المغازى أحمد شاه بن أحمد بن حسن شاه بن بهمن، فى شهر رجب، بعدما أقام فى المملكة أربع عشرة سنة. وقام من بعده ابنه ظفر شاه، واسمه أحمد. وكان من خير ملوك زمانه. وقد ذكرت ترجمته فى كتاب «درر العقود الفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة».

ومات الأمير سيف الدين طراباى نائب طرابلس، بكرة نهار السبت، رابع شهر رجب، من غير وعك ولا تقدم مرض، بل صلّى الجمعة، وصلى الصبح، فمات فى مصلاه فجأة. وهو أحد المماليك الظاهرية برقوق وممن نبغ بعد موته، واشتهر ذكره. ثم خرج عن طاعة الناصر فرج فيمن خرج، وتنقل فى أطوار من المحن، إلى أن صار من أعظم الأمراء بديار مصر. ثم سجن عدة سنين بالإسكندرية فى الأيام الأشرفية، ثم أفرج عنه وعمل فى نيابة طرابلس، وكان عفيفا عن القاذورات، متدينا.

وقتل الشريف زهير بن سليمن بن زيان بن منصور بن جماز بن شيحة الحسينى فى محاربة أمير المدينة النبوية مانع بن على بن عطية بن منصور بن جماز بن شيحة فى شهر رجب. وقتل معه عدة من بنى حسين، منهم ولد عزيز بن هيازع بن هبة بن جماز بن منصور بن جماز بن شيحة، وكان زهير هذا فاتكا، يسير فى بلاد نجد، وبلاد العراق، وأرض الحجاز، فى جمع كبير فيه نحو ثلاثمائة فرس، وعدة رماة بالسهام، فيأخذ القفول، وخرج فى سنة أربع وثلاثين وثمانمائة على ركب عُمَّار، توجهوا إلى مكة من القاهرة، وكنت فيهم، ونحن مُحْرِمون بعد رحيلنا من رابغ، فحاربنا، وقتل منا عدة رجال، ثم صالحناه بمال تحابيناه له، حتى رحل عنا.

ومات أمير زاه إبراهيم بن القان معين الدين شاه رخ سلطان ابن الأمير تيمور[1]

---

(١) إبراهيم بن شاه رخ بن تيمورلنك، بقية نسبة تأتى فى ترجمة جده تيمور، السلطان أمير زاه إبراهيم بن القان معين الدين شاه رخ ابن الطاغية تيمور كوركان. ملك إبراهيم المذكور شيراز من قبل والده شاه رخ، فأظهر فيها النجابة والعدل، فأضاف إليه ما والى شيراز وأعمالها، وحسنت=

كوركان، متولى شيراز، فى شهر رمضان. وكان قد جهز جيشا إلى البصرة فى شعبان، فملكوها له. ثم وقع بينهم وبين أهل البصرة خلاف، واقتتلوا ليلة عيد الفطر، فهزم أهل البصرة أصحاب إبراهيم، وقتلوا منهم عدة. فورد عليهم خبر موته، فسروا به. وكان من أجلّ الملوك، وله فضيلة، ويكتب الخط الذى لا أحسن منه فى خطوط أهل زماننا.

ومات صاحب مملكة كرمان، باى سنقر بن شاه رخ بن تيمور لنك(١)، فى العشر الأول من ذى الحجة، وكان ولى عهد، وعنده جرأة وشجاعة وإقدام، فعظم مصابه على أبيه.

* * *

=سيرته فى رعيته، واستمر بها مدة إلى أن أرسل عسكرا إلى البصرة فى شعبان من سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة فملكوها له، ثم وقع بينهم وبين أهل البصرة خلاف، فاقتتلوا ليلة عيد الفطر، فهزم أهل البصرة أصحاب أمير زاه إبراهيم هذا، وقتلوا منهم عدة، وصاروا بعد ذلك فى أمر عظيم من الخوف والرعب من أمير زاه إبراهيم، فورد عليهم فى أثناء ذلك خبر موته فى شهر رمضان من السنة المذكورة، فسر أهل البصرة بموته سرورا زائدا.وكان أمير زاه إبراهيم شابا جميلا من عظماء الملوك، وأجل أولاد شاه رخ، وكان له فضيلة تامة، وهو صاحب الخط المنسوب الذى يضرب بحسنه المثل، رحمه الله. أنظر الدليل الشافى ١٦/١، وأنباء الغمر ٥٥٤/٣، نزهة النفوس ٣٢٥/٣، والضوء اللامع ٥٢/١، شذرات الذهب ٢٩٩/٧.

(١) باى سُنْقر بن القان معين الدين شاه رخ بن تيمور كور كان (٨٣٨ هـ = ١٤٣٤ م)، صاحب مملكة كرمان ولاها من قبل والده شاه رخ.. وباى سنقر هذا هو ولى عهد أبيه من بعده، وأمه كهرشاه خاتون زوجة شاه رخ، وهى صاحبة العقد والحل فى ممالك شاه رخ، وهى والدة غالب أولاده، ولكن كان ميلها لباى سنقر هذا أكثر من جميع أولادها حتى من ألوغ بك أكبر أولادها صاحب سمرقند. واستمر باى سنقر فى مملكة كرمان إلى أن توفى فى العشر الأول من ذى الحجة سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة، وعظم مصابه على والديه - لاسيما والده -. ومستراح منه، فإنه كان ذا قوة، وجبروت، وبطش، وجرأة، مع شجاعة، وإقدام، وظلم. وهؤلاء أولاد باى سنقر المذكور الذين ملكوا بعد موت جدهم شاه رخ غالب ممالك العجم وهم، علاء الدولة - الذى سلطنته جدته كهرشاه بعد موت زوجها شاه رخ، وهو أسن أولاد باى سنقر - ودام فى مملكة هراة إلى أن أخرجه عمه ألوغ منها مع جدته، وتشتت شملها - ومحمد - وهو الذى استفحل أمره الآن، وملك غالب بلاد العجم - وبابور - وهو أصغرهم -. انظر المنهل الصافى ٣/ ٢٣٣ وما بعدها.



سنة تسع وثلاثين وثمانمائة

شهر الله المحرم، أوله يوم الخميس:

فى خامسه – الموافق ثامن مسرة: – كان وفاء النيل ستة عشر ذراعا، وأربعة أصابع، فركب المقام الجمالى يوسف ابن السلطان حتى خلق المقياس، وفتح الخليج على العادة.

وقدم الخبر بأن شاه رخ، لما خرج من مدينة هراة – كرسى مُلكه – فى ثانى عشر شهر ربيع الأول من السنة الماضية نزل على مدينة قزوين فى شهر رجب منها. ورسم لأمير الأمراء فيروز شاه أن يتوجه إلى بغداد. ونادى فى معاملة قزوين إلى السلطانية وتبريز وسائر ممالك العراقيين، بعمارة ما خُرب، وزراعة ما تعطل من الأراضى، وغراسة البساتين. وأن من زرع أرضا لا يؤخذ منه خراجها مدة خمس سنين، ومن عجز عن العمارة دفع إليه ما يقوى به على ذلك.وأن أصبهان بن قرايوسف حاكم بغداد كتب بدخوله فى طاعة شاه رخ، فكفَّ عن تجهيز العسكر إليه، وسار حتى نزل على تبريز فى عساكر كثيرة جدا؛ لقتال إسكندر بن قرايوسف، وأن جانبك الصوفى بكماخ عند ابن قرايلوك، وقد أمده قرايلوك بخيل ومال. وجهز شاه رخ ابنه أحمد جوكى إلى نحو ديار بكر على عسكر فى ذى الحجة من السنة الحالية، ونزل هو على قراباغ، وبعث إلى بلاده بحمل الميرة إليه، فأتته من كل جهة. وأخذ فى عمارة مدينة تبريز فى محرم هذا. ونادى فى مملكة أذربيجان بالعدل. وتقدم إلى جميع عساكره بألا يؤخذ لأحد قمح فما فوقها إلا بثمنه، ومن خالف ذلك قتل.

شهر صفر، أوله السبت:

فيه كانت وقعة بين إسكندر بن قرايوسف وعثمن قرايلوك، لقتال إسكندر، وقد فر منه. فجمع عثمان فلقى إسكندر فاقتتلا، فخرج كمين لإسكندر على عثمن، فانهزم، وقصد أرزن الروم، والخيل فى طلبه. فلما خاف أن يؤخذ باليد رمى نفسه فى خندق المدينة فغرق ثم أخرجه أولاده، ودفن فى مسجد هناك. فقدم إسكندر وهو يسأل عن عثمن، فدلّه بعضهم على قبره، فأخرجه بعد ثلاثة أيام من دفنه وقطع رأسه، وحمله إلى السلطان بمصر، ومعه خمسة رءوس، منها رءوس بعض أولاده. وكان شاه رخ قد بعث

بولده أحمد جوكى والأمير بابا حاجى على عسكر فى أثر إسكندر؛ نجدة لقرايلوك، فقدما بعد هزيمته وقتله، فلقى إسكندر مقدمة هذا العسكر على ميافارقين (١) وقاتلهم، وقتل منهم. ثم انهزم إلى جهة بلاد الروم، وكتب بخبره إلى السلطان. فملك أحمد جوكى بن شاه رخ أرزن، ونزلها، وفرض على أهلها مالا عظيما، وتزوج بإبنة عثمن قرايلوك، وأخذ منها نحو ألف حمل دقيق وشعير ونحو ذلك، وعاد إلى أبيه شاه رخ، وقد نزل على قراباغ ليشتى هناك، كما كان أبوه يشتى بها.

وأما إسكندر بن قرا يوسف فإنه نزل على آقشهر، فقام متوليها بخدمته، وبعث فى السر يُعرّف أحمد جوكى به، فلم يشعر إلا وقد طرقه العسكر بغتة، ففر فى جماعة، وغنم جوكى ما كان معه، وعاد فمضى إسكندر يريد القدوم على ملك الروم مراد بن محمد كرشجى بن عثمن، حتى نزل توقات، فكتب حاكمها أركُج إلى مراد، يعلمه بقدوم إسكندر. فجهز له عشرة آلاف دينار، وعدة من الخيل والمماليك والجوارى والثياب. هذا وقد عاث إسكندر - هو ومن معه - فى معاملة توقات، ونهبوا وخربوا، فجرت بينه وبين أركج بسبب ذلك مقاولات، آلت إلى أن كتب إلى مراد يعرفه بما حلَّ ببلاده من النهب والتخريب، فشق عليه ذلك، وجهز من رد الهدية، وبعث بعسكر، وكتب إلى ابن قرمان وغيره بإخراج إسكندر وقتاله، ففر منهم إلى جهة البلاد الفراتية.

وفى هذا الشهر: بعث القان شاه رخ إلى مراد بن عثمان ملك الروم، وإلى صارم الدين إبراهيم بن قرمان، وإلى قرايلوك وأولاده، وإلى الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر بخلع (٢).

شهر ربيع الأول أوله يوم الأحد: الموافق لسابع عشر توت، ابتدأ نقص ماء النيل، وذلك قبل انقضاء أيام الزيادة، ثم رد فى ثالثه، واستمرت الزيادة إلى يوم الخميس خامسه، وهو أول بابه، وقد بلغت الزيادة إلى عشرين ذراعا وعشرين أصبعا، فثبت أيامًا ثم انحط بخير. و لله الحمد.

وفى يوم الإثنين ثانيه: خلع على شرف الدين أبى بكر الأشقر نائب كاتب السر، واستقر كاتب السر بحلب، عوضا عن عمر بن أحمد بن السفاح، بعدما امتنع من ذلك أشد الامتناع، وهُدد بالقتل. وسبب ذلك أن ابن السفاح كتب مرارًا بالحط على الأمير

---

(١) ميافارقين: أشهر مدينة بديار بكر. انظر معجم البلدان ٥/٢٣٥.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٤٨.

قرقماس نائب حلب، وأنه يريد الخروج عن الطاعة، ويخامر على السلطان، وآخر ما ورد كتابه فى ذلك فى نصف صفر، فطلب الأمير قرقماس ليحضر، وتوجه النجاب بذلك، وقد حصل القلق خوفا من عدم حضوره؛ لامتناعه، فلم يكن بأسرع من مجىء نجاب نائب حلب فى خامس عشرينه، يستأذن فى القدوم، وقد بلغه شىء مما رمى به من المخامرة. فغضب السلطان على ابن السفاح، ورسم بعزله، واستقرار شرف الدين المذكور عوضه؛ لأنه علم أنه لو كان قرقماس مخامرًا لما استأذن فى الحضور، وسرّ بذلك، وكتب بحضوره. وكان هو عندما ورد عليه المثال الأول خرج على الفور من حلب، فقدم خارج القاهرة فى سادس ربيع الأول هذا.

وفيه ورد الخبر بقتل قرايلوك، كما تقدم.

وفى ثامنه: خلع على الأمير جقمق أمير سلاح، واستقر أميرًا كبيرا أتابك العساكر، عوضا عن الأمير أينال الجكمى. واستقر الأمير أينال المذكور فى نيابة حلب، عوضا عن الأمير قرقماس. واستقر قرقماس أمير سلاح، عوضا عن جقمق هذا.

وفيه قدم الأمير طوغان حاجب غزة، وقد عين أن يستقر فى نظر القدس الخليل، فقام الأمير تغرى برمش أمير أخور فى الاعتناء بتوليها، فأعيد طوغان إلى غزة على حجوبيته.

وفى عاشره: خُلع على معين الدين عبد اللطيف ابن القاضى شرف الدين أبى بكر ابن العجمى المعروف بالأشقر كاتب السر بحلب، واستقر فى وظائف أبيه.

وفى ثالث عشره – الموافق لثامن بابة: – ابتدأ نقص ماء النيل، وقد انتهت زيادته كما تقدم إلى عشرين ذراعا وعشرين أصبعا. وقد بلّغ الله به المنافع على عوائد لطفه بخلقه.

وفيه برز الأمير أينال الجمكى نائب حلب ليتوجه إلى محل كفالته، وصحبته القاضى شرف الدين كاتب السر بحلب.

وفى سابع عشره: خلع على الأمير الكبير جقمق بنظر المارستان المنصورى، على العادة فى ذلك [١].

وفى رابع عشرينه: خلع على الأمير عمر، واستقر فى ولاية القاهرة بعد موت أخيه التاج.

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٤٩.

وفى هذا الشهر: كثر الوباء بمدينة بروسا [١] - التى يقال لها برصا - من مملكة الروم، واستمر بها وبأعمالها نحو أربعة أشهر [٢].

وفى هذا الشهر: قُبض على جانبك الصوفى، وكان من خبره أنه ظهر بمدينة توقات فى أوائل شوال من السنة الماضية، فقام متوليها أُرْكُج باشا بمعاونته، حتى كتب إلى الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر نائب أبلستين، وإلى أَسْلَماس بن كُبَك، ومحمد ابن قُطْبكى، وعثمن قرايلوك، ونحوهم من أمراء التركمان، فانضم إليه جماعة. وخرج من توقات، فأتاه الأمير قَرْمِش الأعور وابن أَسْلَماس وابن قُطبكَى، ومضوا إلى الأمير محمد بن عثمان قرايلك صاحب قلعة جُمُرْكَسَك [٣] فقواهم. وشنوا منها الغارات على قلعة دوركى، وضايقوا أهلها ونهبوا ضواحيها.

فاتفق ورود كتاب القان شاه رخ ملك المشرق على قرايلك، يأمره بالمسير بأولاده وعسكره لقتال إسكندر بن قرايوسف سريعا عاجلا، فكتب إلى ولده محمد بالقدوم عليه لذلك، فترك محمد جانبك ومن معه على دوركى، وعاد إلى أبيه. فسار جانبك بابن أَسْلَماس وابن قُطْبكى حتى نزلوا على ملطية وحصروها، فكادهم سليمان بن ناصر الدين محمد بن دلغادر وكتب إلى جانبك بأنه معه فكتب إليه أن يقدم عليه، وبعث بكتابه قرمش الأعور، فأكرمه وسار معه فى مائة وخمسين فارسا. فتلقاه جانبك وعانقه، ثم عادا، وحصرا ملطية، فأظهر سليمان من المناصحة ما أوجب ركون جانبك إليه، فأخذ فى الحيلة على جانبك، وخرج هو وإياه فى عدة من أصحابه ليسيرا إلى مكان يتنزهوا به. ورتبا قَرْمِش وبقية العسكر على الحصار، فلما نزل سليمن وجانبك للنزهة، وثب به أصحاب سليمن، وقيدوه، وسرى به سليمن على أكديش ليلته ومن الغد، حتى وافى به بيوته على أبلستين، وكتب يعلم السلطان بذلك. وكان القبض على جانبك فى سابع عشر شهر ربيع الأول هذا.

شهر ربيع الآخر، أوله يوم الإثنين:

فيه قدم جمال الدين يوسف بن الصفى الكركى ناظر الجيش بدمشق مطلوبًا، وهو مريض بضربان المفاصل، ومعه تقدمة جليلة، فقبلت تقدمته، وأمر بالإقامة فى منزله حتى يبرأ.

---

(١) بروسا أو بروسة أو بورسة - بروما - هى مدينة تركية. انظر دائرة المعارف الإسلامية ٧/١٧-١٧٧.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٤٩.

(٣) وردت فى النجوم الزاهرة: «جهر كشك»انظر النجوم الزاهرة ٦/٧٣٧.

وفيه ورد إلى السلطان كتاب شاه رخ إلى جانبك الصوفى وقد قبض على حامله وحبس بحلب، فتضمن الكتاب تحريضه على أخذ البلاد الشامية، وأنه سيقدم عليه أحمد جوكى، وبابا حاجى، نجدة له. فكتب إلى نواب الشام بالتأهب والاستعداد، لنجدة نائب حلب، إذا استدعاهم.

وفى ثالثه: ورد الخبر بالقبض على جانبك الصوفى، كما تقدم.

وفى يوم السبت سادسه: خلع على ولى الدين أبى اليمن محمد بن تقى الدين قاسم ابن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن عبد القادر الشيشينى ثم المحلى، مضحك السلطان ونديمه وجليسه، واستقر فى نظر الحرم الشريف بمكة، عوضا عن سودن المحمدى، وفى مشيخة الخدام الطواشية بالمسجد النبوى، عوضا عن الطواشى بشير التنمى. و لم نعهد مشيخة المسجد النبوى يليها دائمًا - منذ عهد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب - إلا الخدام الطواشية. فكانت ولاية ابن قاسم هذا حدثًا من الأحداث، وبلية تساق إلى أهل الحرمين.

وفى حادى عشره: قدم سيف الأمير قصروه نائب الشام بعد موته، على يد أمير على بن أينال باى، أحد الحجاب بدمشق.

وفى ثانى عشره: قدم الأمير ناصر الدين محمد بن قَصْروه، وقَراجا دواداره، فقرر عليهما مالاً يحملاه من تركة قَصْروه، وهو من النقد مائة ألف دينار، وغلال، وبضائع، وخيل، وغير ذلك ما قيمته نحو مائة ألف دينار، وعاد إلى دمشق.

وفى ثالث عشره: نودى بعرض أجناد الحلقة؛ ليستعدوا للسفر إلى الشام، ولا يُعفَى أحد منهم (١).

وفيه جمع قضاة القضاة بين يدى السلطان وسئلوا فى أخذ أموال الناس للنفقة على العساكر المتوجهة لقتال شاه رخ، فكثر الكلام، وانفضوا. هذا، وقد تزايد اضطراب الناس وقلقهم (٢).

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٥٢/١٤.

(٢) جاء فى النجوم الزاهرة وجمع السلطان قضاة القضاة بين يديه وسألهم فى أخذ أموال الناس للنفقة المتوجحة (أى اللازمة) لقتال شاه رُخ بن تيمور، فكثر الكلام وانفضوا من غير أن يفتون بذلك. فقبل إن بعض الفقهاء قال: كيف نفديه بأخذ أموال المسلمين، وكان لبس زوجته يوم طهور ولدها- يعنى الملك العزيز يوسف - ما قيمته ثلاثون ألف دينار، وهى بدلة واحدة. انظر النجوم الزاهرة ٢٥٢/١٤.

وفى يوم الإثنين خامس عشره: ابتدئ بعرض أجناد الحلقة، فجمع المشايخ والأطفال وعدة عميان فى الحوش من قلعة الجبل، وعرضوا على السلطان، فقال لهم: «أنا ما أعمل كما عمل الملك المؤيد من أخذ المال منكم، ولكن اخرجوا جميعكم، فمن قدر منكم على فرس، ركب فرسا، ومن قدر على حمار ركب حمارا». فنزلوا على ذلك إلى بيت الأمير أركماس الدوادار، فكان يوما شنعا [١].

وفى هذا اليوم ورد كتاب أصبهان بن قرا يوسف حاكم بغداد، على يد قاصده حسن بيك، يشتمل على التودد، وأنه هو وأخوه إسكندر يقاتلون شاه رخ [٢] وتاريخه قبل قدوم أحمد جوكى وبابا حاجى بعساكر شاه رخ، وقبل موت.

وفى سادس عشره: أصيب القاضى زين الدين عبد الباسط ناظر الجيش بضربة فرس على ركبته اليمنى، وهو سائر مع السلطان إلى الرماية عند جامع الماردينى خارج باب زويلة، فتجلد حتى وصل ناحية كوم أشفين من البلاد القليوبية. ثم عجز فألقى نفسه عن الفرس، فأركب فى محفة إلى داره، ولزم الفراش ثلاثة عشر يوما.

وفى سابع عشره: قدم قصاد إسكندر بن قرايوسف صحبة الأمير شاهين الأيدكارى، برأس الأمير عثمن قرايلوك، ورأسى ولديه، وثلاثة رءوس أخر. وكان السلطان قد توجه للرماية بالجوارح على الكراكى، فقدم من الغد يوم الخميس ثامن عشره، فطيف بالرءوس الستة على رماح، وقد زينت القاهرة لذلك فرحا بقتل قرايلوك. ثم علقت على باب زويلة ثلاثة أيام، ودفنت. ولقد أخبرنى من له معرفة بأحوال قرايلوك أنه كان فى ظنه أنه يملك مصر. وذلك أن شخصا منجما قال له إنك تدخل القاهرة، فدخل ولكن برأسه وهى على رمح يطاف بها، وينادى عليها[٣]، ﴿**نكالا من الله والله عزيز حكيم**﴾[٤].

وفى يوم السبت عشرينه: خلع على الأمير تغرى برمش [٥] أمير أخور، واستقر فى نيابة حلب، عوضا عن الأمير أينال الجكمى. وكتب بانتقال الجكمى إلى نيابة الشام، عوضا عن قصروه بحكم وفاته، وجهز له التشريف والتقليد [٦].

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٥٢.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٥٣.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٥٣.

(٤) سورة المائدة الآية ٣٨.

(٥) هو الأمير حسين بن أحمد البهسنى المدعو تغرى بَرْمش. انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٥٤.

(٦) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٥٤.

وفيه حضر قصاد إسكندر بن قرايوسف بين يدى السلطان بكتابه، فقرئ، وأجيب بالشكر والثناء. وحمل إليه مال وغيره بنحو عشرة آلاف دينار. ووعد بمسير السلطان إلى تلك البلاد [١].

وفيه عرض السلطان الإصطبل بنفسه [٢].

وفى حادى عشرينه: سار الأمير تغرى برمش إلى محل كفالته بحلب.

هذا وقد ارتفعت الأسعار بالقاهرة، فبلغ الأردب القمح ثلاثمائة وستين، والبطة الدقيق مائة وعشرة، والخبز نصف رطل بدرهم، والأردب من الشعير أو الفول مائتى درهم وعشرة دراهم، ولحم الضأن ثمانية دراهم، ولحم البقر خمسة دراهم ونصف، وكل ذلك من الفلوس، وبلغ الزيت الطيب - وهو زيت الزيتون - أربعة عشر درهما الرطل. وبلغ الشيرج اثنى عشر درهما الرطل. وقد حكر الفلفل، فلا يباع إلا للسلطان فقط، ولا يشترى إلا منه خاصة.

وفى رابع عشرينه: ركب السلطان للرماية، فضج العامة واستغاثوا من قلة وجود الخبز فى الأسواق، مع كثرة وجود القمح بالشون، فلم يلتفت إليهم.

وفى ثامن عشرينه: ركب القاضى زين الدين عبد الباسط إلى القلعة، وقد عوفى مما كان به.

وفى تاسع عشرينه: توجه شادى [٣] بك، أحد رءوس النوب، بمال وخيل وغير ذلك إلى الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر نائب أبلستين، وإلى والده الأمير سليمن، وكتب لهما بأن يسلما شادى بك جانبك الصوفى، ليحمله إلى قلعة حلب [٤].

وفى هذا الشهر: قدمت طائفة من أعيان التجار بدمشق إلى القاهرة، وقد طُلبوا، فإنه بلغ السلطان أنهم حملوا مما اشتروه من جدة من البهار عدة أجمال إلى دمشق.

وقد تقدم مرسوم السلطان من سنين بأن من اشترى بهارًا من جدة لابد أن يحمله إلى القاهرة، سواء كان المشترى شاميًّا أو عراقيا أو عجميا أو روميا. وأنكر على

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٥٥/١٤.

(٢) وأرسل إلى الصاحب كريم الدين ابن كاتب المناخ وإلى الأمير يلخجا بجمال كثيرة، وكان بهما للسفر إلى بندر جدة. انظر النجزم الزاهرة ٢٥٥/١٤.

(٣) فى النجوم الزاهرة « شادبك» وفى نزهة النفوس «شادى بك».

(٤) انظر النجوم الزاهرة ٢٥٥/١٤.

المذكورين حملهم بضائعهم من الحجاز إلى دمشق. وختم على حواصلهم بالقاهرة وغيرها. ثم أفرج لهم عنها بعدما صالحوا ناظر الخاص بمال قاموا به.

شهر جمادى الأولى، أوله يوم الثلاثاء:

فيه قدم الحمل من جزيرة قبرس على العادة.

وفي ثالثه: خلع على الصاحب كريم الدين عبد الكريم ابن كاتب المناخ، واستقر في نظر جدة. وخلع على الأمير يَلْخُجا أحد رءوس النوب من أمراء الطبلخاناه، واستقر شاد جَدّة. ونودى بسفر الناس إلى مكة صحبتهما، فسروا بذلك، وتأهبوا له.

وفي خامسه: خلع على الجمال يوسف بن الصفى واستقر في كتابة السر بدمشق، عوضا عن يحيى بن المدنى، ورسم لقاضى القضاة بهاء الدين محمد بن حجى بنظر الجيش بدمشق، عوضا عن الجمال المذكور، وجهز له التشريف والتوقيع في يوم الإثنين سابعه.

وفيه رسم باستقرار السيد الشريف بدر الدين محمد بن على بن أحمد الجعفرى في قضاء القضاة الحنفية بدمشق، عوضا عن الشريف ركن الدين عبد الرحمن بن على بن محمد المعروف بالدخان، وكان قد شغر قضاء الحنفية بدمشق من حين توفى الدخان في سابع عشر المحرم مدة ثلاثة أشهر وخمسة وعشرين يوما، وكانت ولايته بغير مال.

وفي خامس عشره: خلع على الطواشى جوهر اللالا [١] واستقر زمام الدار [٢] عوضا عن الأمير زين الدين خُشْقَدم بعد موته، وكانت شاغرة منذ مات [٣].

وفي تاسع عشرينه: استعفى الوزير الصاحب تاج الدين الخطير على عادته، وقوى بمال إعانة له.

وفي هذه الأيام: رسم بإخراج الفرنج المقيمين بالإسكندرية ودمياط وسواحل الشام، فأخرجوا بأجمعهم.

شهر جمادى الآخرة، أوله يوم الأربعاء:

---

(١) هو جوهر الصفوى الجُلبانى اللالاَ، ولالا: لفظ فارس بمعنى مربى الأطفال. انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٥٥.

(٢) الزمام دار هو المتحدث على باب ستارة السلطان من الخدام الخصيان، وهو الموكل بحفظ الحريم وأصل التسمية «زنان - دار» انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٥٥ «الهامش».

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٥٥.

فى ثالثه: عرض أرباب السجون ليفرج عنهم، من كثرة شكواهم بالجوع.

ثم أعيدوا إلى سجونهم لما يترتب على إطلاقهم من المفاسد، ورسم لأرباب الديون أن يقوموا بمؤونة مسجونهم، حتى تنقضى أيام الغلاء، هذا إن كان الدين مبلغا كبيرا، فإن كان الدين يسيرًا أُلزم رب الدين بتقسيطه عن المدين أو الإفراج عن الديون، فاتفق أن رجلا ادعى عند بعض نواب القاضى الحنفى على رجل بدين، واقتضى الحال أن يُسجن، فكتب القاضى المدعى عنده، على ورقة اعتقال المدين، «يُعتقل بشرط أن يفرض له رب الدين ما يكفيه من المؤونة».

ثم فى ثالث عشره: عرض السلطان جميع من فى السجون، وأفرج عنهم بأسرهم، حتى أرباب الجرائم من السراق وقطاع الطريق ورسم ألا يسجن القضاة والولاة أحدًا، وأن من قبض عليه من السراق يقتل ولا تقطع يده، فغلقت السجون، ولم يبق بها مسجون. ثم نقض ذلك بعد قليل، وسجن من استحق السجن.

وفى هذه الأيام: اشتد البرد بالقاهرة وضواحيها، حتى جمدت برك الماء ومقطعات النيل ونحوها، وأُبيع الجليد فى الأسواق مدة أيام، ولم نعهد هذا، ولا سمعنا به.

وفى ثامنه: كان آخر عرض أجناد الحلقة.

وفى حادى عشره: قدم الأمير غرس الدين خليل بن شاهين نائب الإسكندرية بهدية، فخلع عليه من الغد يوم الإثنين ثانى عشره. ونزل من القلعة، فأدركه من خلع عنه الخلعة، وأعادها إلى ناظر الخاص، وذلك أنه بلغ السلطان عنه أنه أفرج للتجار عن عدة أحمال فلفل، حتى باعوها للفرنج بمال أخذه منهم، وكان قد تقدم مرسوم السلطان بمنع التجار من بيع الفلفل، وأن الفرنج لا تشتريه إلا من الديوان السلطانى.

وفى تاسع عشره: خلع على رجل أسود من المغاربة - يقال له سرور - لم يزل يدخل فيما لا يعنيه، ويناله سبب ذلك المكروه، فاستقر فى قضاء الإسكندرية ونظرها، على أن يكفى أجناد الثغر معاليمهم، ويقوم للمرتبين بمرتباتهم، ويقوم بالكسوة السلطانية، ويقوم بعد ذلك كله بمائة وثلاثين دينارًا فى كل يوم. وكتب عليه بذلك تقرير قرره على نفسه. ونزل بالقلعة، فلم يقم سوى أياما، وطلع فى يوم الثلاثاء حادى عشرينه، واستعفى من وظيفة النظر، فضرب. ورسم بنفيه، فأخرج فى الترسيم من القاهرة فى ثالث عشرينه.

وفى يوم السبت ثامن عشره: برز الصاحب كريم الدين والأمير يلخجا [١] بمن معهم من المعتمرين [٢] إلى ظاهر القاهرة، ثم ساروا فى تاسع عشره إلى مكة [٣].

وفيه فتحت السجون، وسجن بها.

وفى عشرينه: [٤] خلع على أقباى البشْتكَى [٥] أحد الدوادارية، واستقر فى نيابة الإسكندرية، عوضا عن خليل [٦] وجهزت خلعة إلى جمال الدين عبد الله بن الدماميني، باستقراره على عادته فى قضاء الإسكندرية. وخلع على شرف الدين بن مفضَّل، واستقر فى نظر الإسكندرية، عوضا عن خليل المذكور.

وفى ثامن عشرينه: [٧] وصل الأمير أَقْطَوه المتوجه فى الرسالة إلى شاه رخ. وقدم من الغد شيخ صفا رسول شاه رخ بكتابه فأنزل، وأجرى له ما يليق به [٨].

وفيه ورد الخبر بأن جانبك الصوفى قد أفرج عنه ناصر الدين محمد بن دُلغادر نائب أبلستين، وصار فى جمع، بعدما أخذ من شاد بك ما على يده من المال وغيره، فكثر القلق بسبب ذلك.

وفى هذا الشهر: قدمت رسل أصبهان بن قرايوسف حاكم بغداد إلى القان معين الدين شاه رخ، وهو على قراباغ، بدخوله فى الطاعة، وأنه من جملة الخدم. فأقامت رسله ثلاثين يوما لا تصل إلى القان. ثم أجابه ينكر عليه خراب بلاده، ويأمره بعمارتها، وأنه إن لم يعمرها وإلا وإلا، وأمهله سنة. وكان أصبهان قد بعث بهدية، فلم يعوضه عنها شيئا، وإنما جهز له خلعة وتقليدا، وخلع على رسله [٩].

شهر رجب، أوله الجمعة:

فى ثانيه: أحضر صفا رسول شاه رخ ومن معه، وقرئ كتابه، فإذا هو يتضمن أن

---

(١) هو الأمير يلخجا الساقى أحد أمراء العشرات ورأس نوبة.

(٢) فى النجوم «من الحاج».

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٥٥.

(٤) فى النجوم «فى يوم الخميس ثالث عشرين جمادى الآخرة».

(٥) هو آقباى اليشبكى الجاموسى أحد دوادارية السلطان الأحناد.

(٦) يقصد خليل بن شاهين الشيخى. انظر النجوم ١٤/٢٥٥.

(٧) فى النجوم «فى ثانى عشرينه».

(٨) انظر النجوم ١٤/٢٥٦.

(٩) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٥٦.

يخطب وتضرب السكة باسمه، وأخرج صفا خلعة بنيابة مصر ومعها تاج ليلبس السلطان ذلك. وخاطب السلطان بكلام لم يسع معه صبر، فضرب صفا ضربا مبرحا، وألقى فى بركة ماء. وكان يوما شديد البرد ثم أنزلوا، ورسم بنفيهم، فساروا فى البحر إلى مكة، فوصلوها، وأقاموا بها بقية السنة، وحجوا [١].

وفى رابعه: كتب إلى مراد بن عثمان - متملك بلاد الروم - بأن يكون مع السلطان على حرب شاه رخ. وكتب إلى بلاد الشام بتجهيزهم الإقامات للسفر.

وفى سابعه: خُلع على شيخ الشيوخ محب الدين ابن قاضى العسكر شرف الدين عثمان الأشقر بن سليمان بن رسول بن الأمير يوسف بن خليل بن نوح الكرانى التركمانى الحنفى، واستقر فى كتابة السر، عوضا عن القاضى كمال الدين محمد بن ناصر الدين محمد بن البارزى. وخلع على ولده شهاب الدين أحمد، واستقر شيخ الشيوخ، وخلع على الأمير غرس الدين خليل بن شاهين، الذى ولى نيابة الإسكندرية، واستقر فى نظر دار الضرب، وكان بيد ابن قاسم المتوجه إلى الحجاز، وقد أقام فيه أخاه، واستقر أيضا أمير الحاج.

وفى حادى عشره: قدم الأمير شاد بك [٢] المتوجه لأخذ جانبك الصوفى من عند الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر، وقد أخذ ما على يده من المال وغيره، ولم يمكن من جانبك الصوفى، فشق على السلطان ذلك، وعزم على السفر، وجمع الأمراء، وحلّفهم على طاعته. وعين سبعة أمراء للسفر، وألفًا من المماليك السلطانية، وألفًا من أجناد الحلقة، فأخذوا فى أهبة السفر.

وفى ثانى عشره: رسم بأن القضاة لا تحبس من عليه من دين إلا بالمقشرة حيث تحبس أرباب الجرائم. وألا يحبس إلا من عليه من الذين مبلغ ثلاثمائة درهم فصاعدًا، لا أقل من ذلك. ثم انتقض هذا بعد قليل، كما هى عادة الدولة فى تناقض ما ترسم به.

وفى ليلة الأربعاء ثالث عشره: بعث الشريف زين الدين أبو زهير بركات بن حسن بن عجلان أمير مكة، بعثًا لمحاربة بشر، من بطون حرب، إحدى قبائل مدحج، ومنازلهم حول عسفان [٣] نزلوها من نحو ستة عشر وثمانمائة، وقد أخرجهم بنو لام من أعمال المدينة النبوية، فكثر عبثهم وأخذهم السابلة من المارة إلى مكة بالميرة. وجعل

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٥٦/١٤.

(٢) قدم من بلاد أبلستين انظر. النجوم ٢٥٨/١٤.

(٣) عُسْفَانُ: منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة. انظر معجم البلدان ١٢١/٤.

على هذا البعث أخاه الشريف على بن حسن بن عجلان، ومعه من بنى حسن الشريف ميلب بن على بن مبارك بن رميثة، وغيره. والوزير شكر فى عدة من الناس. وسار معهم الأمير أرنبغا أمير الخمسين المركزين بمكة من المماليك السلطانية، وصحبته منهم عشرون مملوكا، فنزلوا عسفان يوم الخميس رابع عشره، وقطعوا الثنية التى تعرف اليوم بمدرج على، حتى أتوا القوم، وقد أنذروا بهم، فتنحوا عن الأرض، وتركوا بها إبلا مع خمسة رجال. فأول ما بدأوا به أن قتلوا الرجال الخمسة، وامرأة حاملا كانت معهم، وما فى بطنها أيضا، واستاقوا الإبل حتى كانوا فى نحو النصف من الثنية المذكورة، وركب القوم عليهم الجبلان يرمونهم بالحراب والحجارة، فانهزم الأمير أرنبغا فى عدة من المماليك، وقد قتل منهم ثمانية، ومن أهل مكة وغيرهم زيادة على أربعين رجلا، وجرح كثير ممن بقى. وغنم القوم منهم اثنين وثلاثين فرسا، وعشرين درعا، ومن السيوف والرماح والتجافيف [1] ونحو ذلك من الأسلحة. ومن الأسلاب والأمتعة ما قيل أنه بلغ قيمته خمسة آلاف دينار، وأكثر. فلما طلعت شمس يوم الجمعة النصف منه دخل أرنبغا - بمن بقى معه من المماليك - مكة، وهم يقولون «قتل جميع من خرج من العسكر». فقامت عند ذلك صرخة بمكة من جميع نواحيها، لم نر مثلها شناعة. وأقبل المنهزمون إلى مكة شيئا بعد شىء فى عدة أيام. وحُمل الشريف ميلب فى يوم السبت ميّتًا. ومات بعده بأيام شريف آخر من جراحة شوهت وجهه، بحيث ألقته كله من أعلا جبهته إلى أسفل ذقنه.

وفى هذا الشهر: طرح على التجار بالقاهرة ودمشق ألف حمل فلفل بمائة ألف دينار، حسابا عن كل حمل مائة دينار، نزل بهم منها بلاء لا يوصف.

وفى يوم الإثنين خامس عشرينه: أدير محمل الحاج. ورسم أنه إذا وصل إلى الجامع الجديد خارج مدينة مصر، يرجع به والقضاة أمامه، إلى الخانكاه الشيخونية بالصليبة خارج القاهرة فقط، ويمضى الفقراء معه إلى تحت قلعة الجبل، ثم منها إلى الجامع الحاكمى، وأبطلت الرماحة من الركوب مع المحمل فى هذه السنة.

وفى هذا الشهر: كملت عمارة القان شاه رخ لمدينة تبريز. وقد تقدم لأهل البلاد بزراعة أراضيها، فتراجع الناس إليها. وولى شاه رخ على تبريز شاه جهان بن قرايوسف، عوضا عن إسكندر.

---

(١) التَّجْفَافَ: ما يلبسه المحارب كالدرع وما يُجَلَّلُ به الفرس من سلاح وآله تقياه الجراح فى الحرب جمع تجافيف. انظر المعجم الوسيط (جفف).

شهر شعبان، أوله يوم الأحد:

فى أوله: قدم ركب العمار إلى مكة - شرفها الله تعالى - وفيهم ولى الدين محمد ابن قاسم، مضحك السلطان، والصاحب كريم الدين عبد الكريم ابن كاتب المناخ، والأمير يَلْخجا ومعه عدة مماليك، بدل من بمكة من المماليك الذين صحبة أَرَنْبُغا وبلغ ركبهم نحو ستمائة جمل.

وفى ثالثه: أنفق السلطان فى الأمراء المجردين من القاهرة إلى الشام ومن معهم، سبعة عشر ألف دينار.

وفى يوم الخميس خامسه: قدم الشريف بركات إلى مكة، فقرئ بحضوره تجاه الحجر الأسود توقيع ابن قاسم باستقراره فى نظر الحرم الشريف وعمارته، وتوقيع باستقرار الصاحب كريم الدين فى نظر جدة، وأن إليه أمر قضائها وحسبتها. وتوقيع باستقرار الأمير يَلْخُجا فى شد جدة.

وفى سابعه: رسم بفتح سجن الرحبة بالقاهرة، فصار يسجن فيه وفى المقشرة فقط.

وفى ليلة الأربعاء حادى عشره: توجه الصاحب كريم الدين من مكة إلى جدة، ومعه الأمير يلخجا. ومضى الشريف بركات لمحاربة حرب. ثم خرج الأمير أرنبغا بمن بقى من المماليك المركزين معه من مكة يريد القاهرة، وقد تأخر منهم - سوى من قتل - أربعة؛ لعجزهم من شدة جراحاتهم عن الحركة. فنزل جدة، ثم مضى منها على الساحل، خوفا من العرب.

وفى سابع عشرينه: سار الأمراء المجردون إلى الشام، بمن معهم. وقد كانوا برزوا خارج القاهرة فى خامس عشرينه. وهم الأمير جقمق الأتابك، والأمير أركماس الدوادار الكبير، والأمير يَشْبك حاجب الحجاب، والأمير تنبك نائب القلعة، والأمير قراجا، والأمير تغرى بردى المؤذى، والأمير خُجا سودن.

وكان قد وقع بعدن - من بلاد اليمن وباء استمر أربعة أشهر، آخرها شعبان. هذا بعدما طبق بلاد الحبشة بأسرها، وامتد إلى بربرة [1].

وقد شنع ببلاد الزنج. ثم كان بعدن فمات بها - أعنى عدن - عالم عظيم قدم علينا منها بمكة كتاب موثوق به يخبر أنه مات بعدن فى هذه الأربعة أشهر - خاصة

---

(١) بَرْبَرةُ: هذه بلاد الحبش والزنج واليمن على ساحل بحر اليمن وبحر الزنج، وأهلها سودان جدًا ولهم لغة برأسها لا يفهمها غيرهم. انظر معجم البلدان ١/٣٦٩.

ممن عرف اسمه - سبعة آلاف وثمانمائة. وفى كتاب آخر أنه مات بها ثلاثة أرباع الناس، ولم يبق إلا نحو من الناس. وفى كتاب آخر أنه خلا بعدن نحو ثلاثمائة دار مات من كان بها، وأن الوباء ارتفع منها آخر شهر شعبان، وأنه انتقل من عدن إلى نحو صعدة (١).

وفى سابع عشرينه: ورد كتاب إسكندر بن قرايوسف يستأذن فى القدوم، فوعد بخير.

شهر رمضان، أوله يوم الثلاثاء:

فيه تسلم الشريف أميّان بن مانع بن على بن عطية بن منصور بن جماز بن شيحة الحسينى (٢) إمرة المدينة النبوية عوضا عن أبيه بعد قتله. وقد قدم تشريف ولايته، وتوقيع استقراره.

وفى رابعه: خلع على رسول إسكندر بن قرايوسف، وأعيد إليه بجوابه.

وفى سابعه: خلع على الأمير غرس الدين خليل بن شاهين، واستقر فى الوزارة، عوضا عن تاج الدين بن الخطير؛ وسبب ذلك أن مماليك الطباق بالقلعة رجموا فى رابعه الوزير تاج الدين حتى كاد أن يهلك، فسأل أن يعفى من المباشرة، فرسم بطلب كريم الدين ابن كاتب المناخ من جدة ليلى الوزارة، فتهيأت لغرس الدين هذا.

وفيه جهز لطوغان حاجب غزة خلعة بنيابة القدس، ونظر الخليل، وكشف الرملة ونابلس، عوضا عن حسن التركمانى، وعمل حسن حاجبا بحلب عوضا عن الأمير قنصوه.(٣) وأنعم على قنصوه بتقدمة ألف بدمشق عوضا عن جانبك المؤيدى، بحكم وفاته.

وفى رابع عشرينه: قدم الأمير أسلماس بن كبك التركمانى مفارقا لجانبك الصوفى، فأكرم وأنعم عليه.

وفى هذا الشهر: وقع الوباء بمدينة تعز من بلاد اليمن، وعم أعمالها.

شهر شوال، أوله يوم الخميس:

---

(١) صَعْدَةُ: مخلاف باليمن بينه وبين صنعاء ستون فرسخا. انظر معجم البلدان ٢٠٦/٣.

(٢) انظر ترجمته المنهل الصافى، الضوء اللامع.

(٣) هو قنصوة النوروزى نوروز الحافظى. انظر ترجمته فى الضوء اللامع ١٩٩/٦.

فيه خلع على الأمير أَسْلَماس فيمن خلع عليه، ورسم بتجهيزه.

وفى ثامنه: عزل الوزير غرس الدين خليل عن الوزارة، وألزم الصاحب أمين الدين إبراهيم بن الهيصم ناظر الدولة لسد أمور الدولة، ومراجعة القاضى زين الدين عبد الباسط فى جميع أحوال الدولة، فتمشت الأحوال، وتوجه النجاب فى تاسعه بطلب الصاحب كريم الدين ابن كاتب المناخ ليلى الوزارة بعد فراغه من أمر جدة.

وفى سابع عشرينه: رسم بطلب الأمير أينال الأجرود نائب الرها. واستقر الأمير شاد بك الذى توجه لأخذ الأمير جانبك الصوفى من ابن دلغادر عوضه.

وعزل الأمير أينال الششمانى من نيابة صفد، وإقامته بطالاً بالقدس. وأن يستقر عوضه فى نيابة صفد الأمير تمراز المؤيدى.

وفى هذا الشهر: شنع الوباء بمدينة تعز من بلاد اليمن، فورد علينا منها كتاب إلى مكة بأنه صلى فى يوم واحد بجامع تعز على مائة وخمسين جنازة. وفى كتاب آخر أنه مات بها فى ثلاثة أيام ألفان، وخلت عدة قرى من سكانها. فشمل الوباء جميع بلاد الحبشة، كافرها ومسلمها، وسائر بلاد الزنج، ومقدشوه إلى بربرا وعدن وتعز وصعدة والجبال.

وفى هذا الشهر: رحل القان شاه رخ عن مملكة أذربيجان، بعدما زوج نساء إسكندر بن قرايوسف لشاه جهان الذى استنابه على تبريز فى شهر رمضان شهر ذى القعدة، أوله يوم الجمعة.

فى ثانى عشره: رسم باستقرار شمس الدين محمد بن على بن عمر الصفدى فى قضاء الحنفية بدمشق، عوضا عن بدر الدين الجعفرى، بمال وعد به.

وفى رابع عشره: منع الناس بالقاهرة من ضرب أوانى الفضة وآلاتها، وأن يحمل ذلك إلى دار الضرب ليضرب دراهم.

وفى تاسع عشرينه: قبض بمكة على رسل ملك بنجاله من بلاد الهند، وسبب ذلك أن السلطان جهز فى سنة خمس وثلاثين هدية من القاهرة إلى السلطان جلال الدين أبى المظفر محمد بن فندوا صحبة بعض الطواشية، فوصل بها إلى بنجالة، وقدمها إلى السلطان جلال الدين فقبلها، وعوض عنها بهدية قيمتها عندهم اثنا عشر ألف تنكة حمراء، ومات فى أثناء ذلك، وقام من بعده ابنه المظفر أحمد، فأمضى هدية أبيه، وزادها من عنده هدية أخرى، فيها ألفا شاش، وعدة ثياب بيرم، وخدام طواشيه، وطُرف.

وجهز الجميع، وبعث معهم عدة من خدامه الطواشية، وعلى أيديهم خمسة آلاف شاش ليبيعوها ويشتروا له بها أمتعة. فركبوا فى البحر، فحيرهم الريح وألقاهم إلى بعض جزائر ذيبة، فمات بها الطواشى المجهز من مصر. وبلغ صاحب ذيبة أنه عتيق غير السلطان، فأخذ ما تركه، و لم يتعرض لشيء من الهدية فاتفق مع ذلك قتل ملك بنجالة أحمد الذى جهز الهدية الثانية، وقام آخر بعده. فلما اعتدل الريح، ساروا عن ذيبة إلى أن قاربوا جدة، غرق مركبهم بما فيه عن آخره. فنهض الصاحب كريم الدين من مكة، وقد بلغه الخبر، حتى نزل جدة، وندب الناس، فأخرج من تحت الماء الشاشات والثياب البيرم، بعد مكثها فى الماء ستة أيام. وتلفت المراطبينات التى بها الزنجبيل المربا والكابلى المربا، ونحو ذلك. فسلّم الشاشات والبيارم إلى القصّارين حتى أعادوا جدتها. وكتب إلى السلطان بذلك. فكتب بالقبض على طواشية ملك بنجالة، وأخذ الخمسة آلاف شاش منهم، ومنعهم من المجيء إلى القاهرة. وأن من ورد ببضاعة إلى جدة من ذيبة أخذت للديوان بأسرها، فندب أبو السعادات ابن ظهيرة [1] قاضى مكة الشافعى، معه أبو البقاء بن الضياء [2] قاضى الحنفية لإيقاع الحوطة على الشاشات. ورسم على الطواشية، حتى أخذت منهم بأسرها، بعضها صنفا، وثمن ما باعوه منها، وضمت إلى مال الديوان.

وفى هذا الشهر: نزل القان شاه رخ على سلطانية، وعزم على أنه لا يرحل عنها إلى هراة دار ملكه، حتى يبلغ غرضه من إسكندر بن قرايوسف.

شهر ذى الحجة، أوله يوم السبت:

فى يوم الخميس سادسه وسابع عشرين بؤونة: نودى على النيل بزيادة خمسة أصابع. وقد جاءت القاعدة ستة أذرع وثمانية عشر أصبعا، واستمرت الزيادة. و لله الحمد.

---

(١) سبق ترجمته.

(٢) ابن الضياء (٧٨٩-٨٥٤هـ = ١٣٨٧-١٤٥٠م) محمد بن أحمد بن الضياء محمد القرشى العمرى المكى، بهاء الدين أبو البقاء، المعروف بابن الضياء فقيه حنفى صاغانى الأصل ولد وتوفى بمكة وولى قضاءها. من كتبه «شرح مجمع البحرين» فى الفقه «والبحر العميق فى مناسك الحج»، وتنزيه المسجد الحرام عن بدع جهلة العوام، و«النكت على الصحيح»، فى الحديث، وتاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف. انظر نظم العقبان ١٣٧، البدر الطالع ١٢٠/٢و ٢٢٢والتبر المسبوك ٣٣٤، فهرست الكتبخانة ٦٧/٣، الدهلوى، فى مجلة المنهل ٢٩٧/٧، والضوء اللامع ٨٤/٧ ودار الكتب ١١٥/٥. الأعلام ٣٣٢/٥.

وفى سابع عشرينه: وصل الأمير حمزه بك بن على بك بن دلغادر، فأنزل. ثم وقف بين يدى السلطان فى تاسع عشرينه، فقبض عليه، وسجن فى البرج بالقلعة.

وفى هذه السنة: غزت العساكر السلطانية الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر غير مرة، فسار الأمير تغرى برمش نائب حلب، ومعه الأمير قانباى الحمزاوى نائب حماة بعساكر حلب وحماة، فى أول شهر رمضان إلى عينتاب، وقد نزل جانبك الصوفى على مرعش فتوجهوا إليه من الدربند، ونزلوا بَزرْجُق، وأقاموا يومين، وقد عدوا نهر جيحان، وقطعوا الجسر من ورائهم، وقصدوا الأمير ناصر الدين محمد بن خليل بن قراجا بن دلغادر من جهة دربند كينوك، فلم يقدروا أن يسلكوه من كثرة الثلوج التى ردمته، فمضوا إلى دربند أُتْرنيت من عمل بهنسى، وقد ردمته الثلوج أيضا، فقدم نائب حلب بين يديه عدة رجال ممن معه، ومن أهل البلاد المجاورة للدربند لفتح الطريق، ودروس الثلج بأرجلهم، حتى يحمل مسير العسكر ثم ركب فى يوم الإثنين ثامن شهر رمضان، وعبر الدربند المذكور بمن معه، وسار يومه. ثم نزل تحت جبل بزقاق وقدَّم أربعين فارسا كشافة، فظفروا فى خان زلىّ بدمرداش مملوك ناصر الدين محمد بن دلغادر، وقد بعثه فى ثلاثة لكشف خبر العساكر، ففر الثلاثة، وقبض على دمرداش وأتوا به، فأخبر أن القوم على أبلستين. فركب نائب حلب بمن معه فى الحال، وجد فى سيره حتى طرق أبلستين يوم الثلاثاء تاسعه، وقد رحل ابن دلغادر بمن معه عند عود رفقة دمرداش إليه بخبر قبض كشافة العساكر عليه، فسار فى أثره يومه، وقد عبر بمن معه نهر جيحان فلم يدركهم. ثم عاد نائب حلب وجماعته ونزل ظاهر أبلستين، وأمر بأهلها، فرحلوا إلى جهة درنده، وأضرم النار فى البلد حتى احترقت بأجمعها، بعدما أباحها للعسكر فنهبوها وسائر معاملاتها، فحازوا من الخيول والبغال والأبقار والجواميس والأغنام والحمير والأقمشة والأمتعة ما لا نهاية له، بحيث أنه لم يبق أحد من العسكر إلا وأخذ من ذلك ما قدر عليه. وعاد نائب حلب بمن معه، والغنائم تساق بين يديه على طريق بهسنى، ثم عبر عينتاب، فلم يبق بأبلستين ولا معاملتها قدح واحد من الغلال. وحرقت ونهبت - هى وبلادها - فبقيت قاعا صفصفا. وعبر بالعسكر إلى حلب بعد غيبتهم عنها خمسين يوما.

ثم إن ابن دلغادر جمع جمائعه ورحل ببيوته إلى أولخان، بالقرب من كينوك وكانت الأمراء المجردة من مصر نازلة بحلب، فجهز الأمير تغرى برمش نائب حلب الأمير حسام الدين حسن خجا حاجب الحجاب بحلب، ومعه مائة وخمسون فارسا، إلى عينتاب تقوية للأمير خجا سودن، وقد نزل بها.

فلما كان يوم الإثنين رابع عشرين ذى الحجة: وصلاالصوفى، ومعه الأمير

قرمش الأعور وكمشبغا أمير عشرة - من أمراء حلب - وقد خامر منها، وصار من جملة جانبك الصوفى، وأولاد ناصر الدين محمد بن دلغادر - سوى سليمان - يريدون لقاء الأمير خجا سودن، فنزلوا على مرج دلوك، ثم ساروا منه إلى عينتاب، فقابلهم الأمير خجا سودن فى آخر النهار وباتوا ليلتهم، وأصبحوا يوم الثلاثاء خامس عشرينه. فقدم الأمير حسن خجا حاجب حلب فى جمع كبير من تركمان الطاعة، فتقدم إليهم جانبك الصوفى بمن معه، وهم نحو الألفى فارس، فقاتلهم عسكر السلطان المذكور، وقد انقسموا فرقة عليها الأمير خُجا سودن حاجب حلب، وفرقة عليها الأمير تمرباى الدوادار بحلب، وتركمان الطاعة، كل فرقة فى جهة فكانت بينهم وقعة انجلت عن أخذ الأمير قُرمش الأعور، وكمشبغا أمير عشرة، وثمانية عشر فارسًا، فانهزم جانبك الصوفى ومن معه، وتبعهم العسكر إلى انْحاصُوا. ثم عادوا، وحمل المأخوذون إلى حلب، فسجنوا بقلعتها فى الحديد، وكتب بذلك إلى السلطان.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

عبد الرحمن بن على بن محمد، الشريف ركن الدين، عرف بالدُّخان قاضى القضاة الحنفية بدمشق، ليلة الأحد سابع عشر المحرم، وقد أناف على ستين سنة، وكان فقيها حنفيًا، ماهرًا فى معرفة فروع مذهبه، وله مشاركة فى غير ذلك، ولد بدمشق، ونشأ بها، ثم مات فى الحكم عن قضاتها، ودرس. وهو ممن ولى القضاء بغير رشوة، فشكرت فيه سيرته. ومات قاضيا. وهو من بنى أبى الحسن الحسينيين.

ومات ملك تونس وبلاد إفريقية من الغرب، السلطان المنتصر أبو عبد الله محمد بن أبى عبد الله محمد بن أبى فارس، فى يوم الخميس حادى عشرين صفر بتونس. ولم يتهن فى ملكه لطول مرضه وكثرة الفتن، وسفكت فى أيامه - مع قصرها - دماء خلق كثير. وقام بمملكة تونس من بعده أخوه شقيقه عثمان، فقتل عدة من أقاربه وغيرهم. وكان من خبر المنتصر أنه ثقل فى مرضه، حتى أقعد، وصار إذا سار يركب فى عمَّاريّه (١) على بغل. وتردد كثيرًا إلى قصر بخارج تونس للتنزه به، إلى أن خرج يوما ومعه أخوه أبو عمرو عثمان (٢) صاحب قسنطينه. وقد قدم عليه وولاه الحكم بين

(١) هو ما يشبه الهودج.

(٢) أبو عمرو الحفصى (٨٢١-٨٩٣هـ = ١٤١٨-١٤٨٨م) عثمان بن محمد بن عزوز (عبد=

الناس. ومعه أيضا القائد محمد الهلالى، وقد رفع منه حتى صار هو وأبو عمرو عثمان المذكور - مرجع أمور الدولة إليهما، وحجباه عن كل أحد. فلما صارا معه إلى القصر المذكور تركاه به، وقد أغلقا عليه، يوهما أنه نائم. ودخلا المدينة، وعبرا إلى القصبة واستولى أبو عمرو على تخت الملك، ودعا الناس إلى بيعته، والهلالى قائم بين يديه. فلما ثبتت دولته، قبض على الهلالى، وسجنه، وغيبه عن كل أحد. ثم التفت إلى أقاربه، فقتل عم أبيه الأمير الفقيه الحسين بن السلطان أبى العباس. وقتل معه ابنيه وقد فر بهما إلى العرب، فنزل عندهم، فاشتراه منهم بمال جم. وقتل ابنى عم أبيه الأمير زكريا بلد العناب [(١)] ابن أبى العباس.

وقتل ابنى الأمير أبى العباس أحمد صحب بجاية، فنفرت عنه قلوب الناس. وخرج عليه الأمير أبو الحسن بن السلطان بن أبى فارس عبد العزيز، متولى بجاية.

ومات الأمير تاج الدين التاج بن سيفا القازانى، ثم الشويكى الدمشقى [(٢)] فى ليلة الجمعة حادى عشرين شهر ربيع الأول، بالقاهرة. وكان أبوه قد قدم دمشق من بلاد حلب، وصار من جملة أجنادها، وممن قام مع الأمير منطاش، فأخرج عنه الملك الظاهر برقوق إقطاعه، وولد له التاج بناحية الشريكة التى تسميها العامة الشويكة، خارج دمشق، ونشأ بدمشق فى حال خمول، وطريقة غير مرضية، إلى أن اتصل بالأمير شيخ وهو يلى نيابة الشام، فعاشره على ما كان مشهورًا به من اتباع الشهوات، وتقلب معه فى أطوار تلك الفتن. وولاه وزارة حلب، لما ولى نيابتها، فلما قدم القاهرة بعد قتل الناصر فرج بن برقوق، قدم معه من جملة أخصائه وندمائه، فولاه فى سلطنته ولاية القاهرة مدة أيامه، فسار فيها سيرة ما عفّ فيها عن حرام، ولا كفّ عن إثم، وأحدث من أخذ الأموال ما لم يعهد قبله، ثم تمكن فى الأيام الأشرفية وارتفعت درجته، وصار جليسا نديما للسلطان، وأضيفت له عدة وظائف، حتى مات من غير نكبة. ولقد كان عارًا على جميع بنى آدم، لما اشتمل عليه من المخازى التى جمعت سائر القبائح، وأرست بشاعتها على جميع الفضائح.

=العزيز) بن أحمد الهنتاتى الحفصى، أبو عمرو: من ملوك الدولة الحفصية بتونس بويع بعد وفاة أخيه المنتصر سنة ٨٣٩هـ وتلقب بالمتوكل على الله. انظر الخلاصة النقية ٨١، الدولة الحفصية ١٥٧، التبر المسبوك ٧ فى حوادث سنة ٨٤٥، البدر الطالع، ٤١٤/١ الضوء اللامع ١٣٨/٥، لقط الفرائد -خ معجم دوزى ١٥٩/٢، الأعلام ٢١٣/٤.

(١) العُنَابُ: جبل فى طريق مكة، ويقال: أنه طريق المدينة من فَيْد. انظر معجم البلدان ١٥٩/٤.

(٢) الشُويكى نسبة إلى الشويكة، أحد الأماكن بدمشق، انظر ترجمته فى الضوء اللامع ٢٤/٣.

ومات الأمير قَصْرَوه نائب الشام بدمشق، ليلة الأربعاء ثالث شهر ربيع الآخر، وهو على نيابتها، وترك من النقد والخيول والسلاح والثياب والوبر وأنواع البضائع والمغلات ما يبلغ نحو ستمائة ألف دينار، وكان من أقبح الناس سيرة وأجمعهم لمال من حرام.

ومات الأمير عثمان قَرَايُلوك بن الحاج قُطْلوبَك بن طُرْ على التركماني، صاحب مدينة آمد ومدينة ماردين، فى خامس صفر، وقد انهزم من إسكندر ابن قرايوسف، وألقى نفسه فى خندق أرزن الروم فغرق، وقد بلغ نحو المائة سنة، وكان من المفسدين فى الأرض. وهو وأبوه من جملة أمراء التركمان، أتباع الدولة الأَرْتقية أصحاب ماردين. وله أخبار كثيرة، وسير قبيحة. وقد ذكرته فى كتاب درر العقود الفريده فى تراجم الأعيان المفيده.

ومات الأمير الطواشى خُشْقَدم زِمام الدار، فى يوم الخميس عاشر جمادى الأولى بالقاهرة، وترك مالاً جمًا، منه نقدا ستون ألف دينار ذهبا، إلى غير ذلك من الفضة والقماش والغلال والعقار، ما يتجاوز المائتى ألف دينار. وكان شحيحا بذىء اللسان، فاحشًا.

ومات الشريف مانع بن على بن عطية بن منصور بن جماز بن شيحة الحسينى، أمير المدينة النبوية. وقد خرج يتصيد خارج المدينة، فوثب عليه حيدر بن دوغان بن جعفر ابن هبة بن جماز بن منصور بن شيحة، قتله بدم أخيه خَشْرم بن دوغان أمير المدينة، فى عاشر جمادى الآخرة. وكان مشكور السيرة.

ومات بدر الدين محمد بن أحمد بن عبد العزيز، عرف بابن الأمانة، أحد نواب القضاة بالقاهرة، فى ليلة الثلاثاء ثالث عشر شعبان، ومولده فى سنة اثنتين وستين وسبعمائة تخمينا. وكان فقيها شافعيا بارعا فى الفقه والأصول والعربية، وغير ذلك، ذكيا متقنا لما يعرف، عارفا بالقضاء، كثير الاستحضار. ناب فى الحكم وأفتى عدة سنين. رحمه الله.

ومات الشريف كبش بن جماز من بنى حسين. وكان قد مالأ حيدر بن دوغان على قتل أمير المدينة مانع بن على، ومضى يريد القاهرة ليلى إمرة بالمدينة حتى لم يبق بينه وبين القاهرة إلا نحو يوم واحد، صدفه جماعة من بنى حسين، لهم عليه دم، فقتلوه فى أخريات جمادى الآخرة.

وماتت خوند جُلْبَان الجركسية[(١)]، زوجة السلطان، وأم ولده المقام الجمالى يوسف، فى يوم الجمعة ثانى شوال. ودفنت بتربة السلطان التى أنشأها بالصحراء خارج باب المحروق. وكانت قد تصدت لقضاء الحوائج، فقصدها أرباب الدولة لذلك وكثر مالها، فأبيعت تركتها بمال كبير.

ومات السلطان أبو العباس أحمد بن أبى حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمر أسن بن زيان بن ثابت بن محمد بن زكداز بن بيدوكس بن طاع الله بن على بن القاسم. [(٢)] وهو عبد الواد متملك مدينة تلمسان والمغرب الأوسط، فى يوم [...(٣)...] شوال. وكان السلطان أبو فارس عبد العزيز بن أبى العباس أحمد الحفصى صاحب تونس وبلاد أفريقية - رحمه الله - قد سار إلى تلمسان مرة ثالثة، وبها محمد بن أبى تاشفين عبد الرحمن بن أبى حمو المعروف بابن الزكاغية ففر منه، فمازال حتى

---

(١) حلبان بنت عبد الله الجاركسية الأشرفية (٨٣٩ هـ = ١٤٣٥ م)، زوجة الملك الأشرف برسباى، والخوند الكبرى صاحبة القاعة فى أيامه إلى أن ماتت، وأم ولده الملك العزيز يوسف. اشتراها الملك الأشرف فى أوائل سلطنته، واستولدها الملك العزيز يوسف ثم تزوجها بعد وفاة زوجته خوند الكبرى وأم ولده الماقم الناصرى محمد فى خامس عشر جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين وثمانمائة، فأقامت بعد وفاة خوند المذكورة أياما، وعقد عليها، ورسم لها بالسكنى فى قاعة العواميد على عادة من تقدمها من الخوندات، وحظيت عنده ونالتها السعادة وعظمت حرمتها فى الدولة، وقصدها الناس لقضاء حوائجهم، وبعث السلطان يطلب إخوتها وأقاربها من بلاد الجاركس، فقدموا بعد مدة شيئًا بعد شىء، وكانوا عدة كثيرة يزيدون على عشرة أنفس، وهم: والدتها، ثم زوجة ولدها اضرة أمها، وإخوتها الرجال وهم: بيبرس، وأخته، وهما غير أشقتها من زوجة والدها المذكورة، ثم حكم وقانى باى، وهما شقيقاها، وأختها أصيل، وأختها أرزُّ، ومعها أولادها عدة بنات، وزوجها خوتى تبعها، وحضر إلى القاهرة، هؤلاء أيضًا أشقتها. ومن أشقتها أيضًا: أخوها أبا يزيد كان قد قدم القاهرة فى الدولة المؤيدية شيخ، ففر بهم الملك الأشرف وأبناهم، وأنعم عليهم بالرواتب والإقطاعات والوظائف. ثم حجت حلبان ومعها أهلها وأقاربها فى سنة أربع وثلاثين وثمانمائة بتجمل زائد وأبهة عظيمة، وفى خدمتها الزينى خشقدم الزمام أمير الركب الأول، والزينى عبد الباسط بن خليل ناظر الجيش، إلى أن قضت المناسك وعادت. واستمرت فى عزها إلى أن مرضت وطال مرضها. واختلفت الأقاويل فى ضعفها، واتهم جماعة بسمها إلى أن توفيت يوم الجمعة ثانى شوال سنة تسع وثلاثين وثمانمائة، ونقلت خوند فاطمة بنت الملك الظاهر زوجة الملك الأشرف إلى قاعة العواميد بعدها. وكانت خوند حلبان من عظماء النساء، ولو عاشت حتى تسلطن ولدها العزيز لكانت دبرت ملكه أحسن تدبير. انظر المنهال الصافى. الدليل ١/ ٢٤٩، النجوم ١٥/ ٢٠٣ بدائع الزهور ٢/ ١٦٩، نزهة النفوس ٢/ ٣٦١.

(٢) انظر ترجمته فى الضوء اللامع ١/٢٩٢.

(٣) بياض فى نسخ المخطوطة (هامش الأصل).

ظفر به، وقتله، وأقام على تلمسان عوضه أحمد هذا فى أول شهر رجب سنة أربع وثلاثين وثمانمائة، وهو أصغر أولاد أبى حمو، فلم يزل على تلمسان حتى مات بها، وولى بعده أخوه أبو يحيى بن أبى حمو.

ومات أحمد جُوكى بن القان معين الدين شاه رخ سلطان بن الأمير تيمور كوركان، بعد قتل قرايلوك وعوده من أرزن الروم، فى شعبان، بمرض عدة أيام، فاشتد حزن أبيه عليه، وعظم مصابه، فإنه فقد ثلاثة أولاد فى أقل من سنة.

ومات ملك بنجالة من بلاد الهند، السلطان الملك المظفر شهاب الدين أحمد شاه بن السلطان جلال الدين أبى المظفر أحمد شاه بن فندو كاس، فى شهر ربيع الآخر، ثار عليه مملوك أبيه كالوا الملقب مصباح خان، ثم وزير خان. وقتله واستولى على بنجاله.

ومات الشيخ الملك زين الدين أبو بكر بن محمد بن على الخافى ثم الهروى، فى يوم الخميس ثالث شهر رمضان، بهراه فى الوباء الحادث بها.

نادرة قلَّ ما وقع مثلها، وهى أن ثمانى عشر دولة من دول العالم بأقطار الأرض زالت فى مدة بضعة عشر شهرا، وأكثر أرباب هذه الدول الزائلة مات، وهم: الحطى ملك أمحرة، وسلطان الحبشة.

ومات ملك كلبرجه من بلاد الهند السلطان شهاب الدين أبو المغازى أحمد شاه بن أحمد بن حسين شاه بن بَهْمن. كلاهما مات فى شهر رجب سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة.

ومات الأمير سيف الدين طرباى نائب طرابلس، فى رجب هذا.

ومات الشريف زهير بن سليمان بن زيان بن منصور بن جماز بن شيحة الحسينى، فى رجب أيضا.

ومات أمير زاده إبراهيم سلطان بن القان الأعظم معين الدين شاه رخ ابن الأمير الكبير تيمور لنك. صاحب شيراز، فى شهر رمضان.

ومات ملك دله مدينة الهند، وهو الملك بن مبارك خان بن خضر خان.

ومات صاحب مملكة كرمان [١]، باى سنقر سلطان بن القان شاه رخ.

ومات ملك تونس وبلاد إفريقية، المنتصر أبو عبد الله محمد بن الأمير أبى عبد الله محمد بن السلطان أبى فارس عبد العزيز، فى حادى عشرين صفر سنة تسع وثلاثين.

---

(١) سبق ترجمتها.

ومات الأمير قصروه نائب الشام، فى ليلة الثالث من شهر ربيع الآخر، وهو أعظم مملكة من كثير من ملوك الأطراف.

ومات الأمير عثمان قرايلوك بن الحاج قطلوبك بن طر على صاحب مدينة آمد [١] ومدينة ماردين[٢] وأرزن الروم [٣] وغير ذلك، فى صفر.

وقتل أمير المدينة النبوية الشريف مانع بن على بن عطية بن منصور بن جماز بن شيحة الحسينى، فى جمادى الآخرة، ولم تطل مدته بعد قتل ابن عمه زهير بن سليمان، وكان ينازعه فى الإمرة.

ومات متملك مدينة تلمسان [٤] وصاحب المغرب الأوسط أحمد بن أبى حمو العبد وادى، فى شوال.

ومات أحمد جوكى سلطان بن القان شاه رخ.

ومات قطب الدين فيروز شاه بن محمد شاه بن تَهَمْ تَمْ بن جُرْدُن شاه بن طُغْلق بن طِبْق شاه، ملك هرمز والبحرين [٥] والحسا [٦] والقطيف [٧].

وفر إسكندر بن قرايوسف عن مملكته بتبريز [٨] وتشتت فى الآفاق.

وأسر بترو بن ألفنت صاحب برشلونة وبلنسية [٩] وغير ذلك من مملكة أرغون[١٠]، وزالت دولته.

* * *

---

(١) سبق ترجمتها.

(٢) سبق ترجمتها.

(٣) سبق ترجمتها.

(٤) سبق ترجمتها.

(٥) سبق ترجمتها.

(٦) الحَسا: بالفتح، والقصر: موضع.الحُسا: بالضم، والقصر: واد بأرض الشربة من ديار عبس غطفان. انظر معجم البلدان ٢٥٨/٢.

(٧) القَطيف: وهى مدينة بالبحرين هى اليوم قصبتها وأعظم مدنها وكان قديما اسما لكورة غلب عليها الآن اسم هذه المدينة. انظر معجم البلدان ٣٧٨/٤.

(٨) سبق ترجمتها.

(٩) سبق ترجمتها.

(١٠) سبق ترجمتها.

سنة أربعين وثمانمائة

أهلت وخليفة الوقت والزمان أمير المؤمنين المعتضد با لله أبو الفتح داود بن المتوكل على ا لله أبى عبد ا لله محمد، وسلطان الإسلام بديار مصر وبلاد الشام وأراضى الحجاز - مكة والمدينة وينبع - وجزيرة قبرس، السلطان الملك الأشرف سيف الدين أبو النصر برسباى الدقماقى. والأمير الكبير أتابك العساكر جقمق السيفى رأس الميمنة. والمقام الجمالى يوسف ولد السلطان رأس الميسرة. وأمير سلاح الأمير قُرقْماس الشعبانى. وأمير مجلس أقبغا التمرازى. والدوادار الأمير أرْكُماس الظاهرى. ورأس نوبة النوب الأمير تمراز القَرْمِشى [1].

وحاجب الحجاب الأمير يشبَك. وأمير آخور جانم أخو السلطان. وبقية المقدمين الأمير تغرى بردى البكلمشى المؤذى، وخُجا سودن، وقراقُجا الحسنى، وأينال الأجرود نائب الرها، والأمير تنبك، فهم ثلاثة عشر، بعدما كانوا أربعة وعشرين مقدما.

ونواب السلطنة بالممالك الأمير أينال الجمكى نائب الشام. والأمير تغرى برمش الجقمقى [2] نائب حلب. والأمير قانباى الحمزاوى نائب حماة. والأمير جُلُبان المؤيدى

---

(١) انظر المنهل الصافى، الضوء اللامع، النجوم الزاهرة ٧٥٧/٦.

(٢) تغرى برمش (٨٤٢ هـ = ١٤٣٩ م)، اسمه الأصلى حسين بن أحمد. كان أبوه يدعى بابن المصرى، من أهل بهسنا، وكان أحد الأجناد بها، وكان له ثروة فى أول أمره، فلما قدم تيمور إلى بهسنا وأخذها افتقر، وقدم إلى حلب، ومعه أولاده حسن هذا، ثم أنه مات فانتقل تغرى برمش هذا مع أخيه حسن ووالدتهما إلى القاهرة، واتصلا بخدمة الأمير قراسنقر الظاهرى أمير الحاج فأقام مدة إلى أن أخذ تغرى برمش المذكور الأمير أينال حطب أحد مقدمى الألوف بالديار المصرية، واستمر أخوه حسن بخدمة الأمير قراسنقر، وسمى أيضا حسن شاه. قال ابن تغرى بردى: لما مات أينال حطب اتصل تغرى برمش هذا بخدمة والدى بسفارة دوادار الأمير أينال حطب، وكان تغرى برمش المذكور إذ ذاك صغيرا، فأخرج له والدى خيلا وقماشا، وجعله من جملة الجمدارية، وسمى تغرى برمشى، واستمر عندنا سنين إلى أن استقر والدى فى نيابة الشام سنة ثلاث عشرة وثمانمائة، فلما وصل والدى إلى دمشق، وأقام بها مدة، فر تغرى برمش هذا من عنده وأخذ معه جماعة من طبقته، وكان تغرى برمش ومن هرب معه من المماليك آنيات شاهين أمير آخور والدى الكبير، وكان شاهين المذكور له ميل زائد إلى تغرى برمش هذا، فأخفى شاهين خبر تغرى برمش، ورفقته عن والدى مدة لكثرة مماليكه ثم علم ذلك فشق عليه، ثم بلغه أنه هو ورفقته بمدينة طرابلس، فرسم بأن يكتب إلى نائب طرابلس الأمير جانم من حسن شاه بالقبض على تغرى برمش المذكور ورفقته، فلما سمع شاهين أمير=

نائب طرابلس، والأمير تمراز المؤيدى نائب صفد، والأمير يونس نائب غزة والأمير عمر شاه نائب الكرك، والأمير أقباى البْشبَكى نائب الإسكندرية. والأمير أَسَنْدَمُر الأسعردى نائب الوجه القبلى، والأمير حسن بيك الدُّكرى التركمانى نائب الوجه البحرى، ولم يعد فى الدول الماضية أن يستقر أحد من النواب تركمانيا، إلا فيما بعد عن بلاد حلب، فاستجد فى هذه الدولة الأشرفية ولاية عدة من التركمان ولايات ونيابات وإمريات بمصر والشام.

وأمير مكة المشرفة الشريف زين الدين أبو زهير بركات بن حسن بن عجلان

=آخور ذلك صعب عليه، ولم يمكنه مراجعة ملك الأمراء فى الكلام، فسأل أن يتوجه هو إلى طرابلس ويقبض عليهم، ويعود بهم إلى دمشق، قصد شاهين بذلك الشفقة عليهم، وتوجه إلى طرابلس، فبلغه خبرهم أنهم يتعاطون الشراب فى قاعة بطرابلس، فترك شاهين مماليكه وخدمه، وركب وتوجه إليهم، ودخل عليهم هجما فى القاعة المذكورة، فلما وقع نظره عليهم سبهم قبل السلام، فقام إليه تغرى برمش المذكور. وسل سيفه وضربه به ضربة أتلفه فيها، ومات من وقته وفر هو وأصحابه، وبلغ الخبر الأمير جانم نائب طرابلس، فركب من وقته إلى القاعة المذكورة، فوجد شاهين قد مات، بعد أن أشهد عليه جماعة من الناس قبل موته أن الذى قتله هو تغرى برمش، فكتب الأمير جانم بذلك محضرا وأثبته على قاضى طرابلس، وأرسل به غلى والدى وأعتذر أنه لم يعلم بمجىء شاهين إلى طرابلس، ولا بما وقع له إلا بعد فواتَ الأمر، وأنه شدد الطلب على تغرى برمش المذكور، ومتى حصل فى يده أرسله مقيدا إلى الخدم العالية فلما سمع والدى بموت شاهين أمير آخور شق عليه ذلك، وكتب إلى نواب البلاد الشامية يعلمهم بواقعة تغرى برمش المذكور، ويأمرهم بشنقه متى ظفروا به. وكان والدى ملازما للفراش من مرضه الذى مات فيه، فلم تطل أيامه، ومات، وتقلبت الدولة، واتصل تغرى برمش بخدمة الأمير طوخ نائب حلب ودام المحضر عندنا، ثم صارا بخدمة جقمق الأرغون شاوى الدوادار فحظى عنده، وصار رأس نوبته، ثم دواداره إلى أن قتل جقمق بدمشق فى سنة أربع وعشرين وثمانمائة ومات اتصل تغرى برمش هذا بعد قتله بالأمير ططر، فلما تسلطن ططر أمره طبلخاناة وجعله نائب قلعة الجبل، فدام بقلعة الجبل إلى سنة سبع وعشرين وثمانمائة نقله الملك الأشرف برسباى إلى تقدمة ألف بالديار المصرية، وتولى القلعة عوضه الأمير تبك البردبكى...... وكان تغرى برمش أميرا جليلا، عاقلا عارفا سيوسا ذا رأى وتدبير، ودهاء ومكر مع ذكاء مفرط وفطنة، وكان رجلا طوالا، أسود اللحية، مليح الوجه فصيح اللسان باللغة التركية، عارفا بأمور الدنيا وجمع المال، وله قدرة على مداخلة الملوك، وكان جاهلا بسائر العوم حتى لعله لم يحفظ مسألة فى دينه، بل كانت جميع حواسه على أمر دنياه، وكان جبانا، بخيلا بالبر والصدقة، كريما على مماليكه، متجملا فى مركبه وملبسه ومأكله، وكان حريصا، جبار يميل إلى الظلم والعسف، ولقد أخرب فى حروبه هذه عدة قرى من أعمال حلب وما حولها، وقتل من أهلها جماعة، لا جرم أن الله عامله وجازاه من جنس أعماله ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾. انظر المنهل الصافى ٤/ ٥٨: ٦٥، الدليل الشافى ١/ ٢١٨ النجوم الزاهرة ١٥/ ٤٧١ الضوء اللامع ٣/ ٣٥، بدائع الزهور ٢/ ٢١٦ - ٢١٧.

الحسنى. وبالمدينة النبوية الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام الشريف، وميان ابن مانع بن على بن عطية بن منصور بن جماز بن شيحة الحسينى، وبالينبع الشريف عقيل بن وبير بن نخبار بن مقبل بن محمد بن راجح بن إدريس بن حسن بن أبى عزيز قتاده الحسنى. وهؤلاء الأشراف الثلاثة نواب عن السلطان.

وفى بقية ممالك الدنيا القان معين الدين شاه رخ سلطان ابن الأمير تيمور كوركان صاحب ممالك ما وراء النهر، وخراسان (١) وخوارزم (٢) وجرجان (٣) وعراق العجم، ومازندران، (٤) وقندهار، (٥) ودله من بلاد الهند، وكرمان (٦)، وجميع بلاد العجم إلى حدود أذربيجان، التى منها مدينة تبريز، ومتملك تبريز إسكندر بن قرايوسف بن قرا محمد، وهو مشرد عنها خوفا من القان شاه رخ.

وحاكم بغداد أخو أصبهان بن قرايوسف، وقد خرجت بغداد ولم يبق بها جمعة ولا جماعة، ولا أذان، ولا أسواق. وجف معظم نخلها، وانقطع أكثر أنهارها، بحيث لا يطلق عليها اسم مدينة بعدما كانت سوق العلم. وعلى حصن كيفا الملك الكامل خليل بن الأشرف أحمد بن العادل سليمان بن المجاهد غازى بن الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن الموحد عبد الله ابن السلطان الملك المعظم توران شاه ابن السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب بن شادى(٧) وعلى بلاد قرمان - من بلاد الروم - إبراهيم بن قرمان. وملك الإسلام ببلاد الروم خوندكار مراد بن محمد بن كُرْشجى بن بايزيد يلدَريم بن مراد بن أُرخان بن أُردِن على

---

(١) سبق ترجمتها.

(٢) خُوارزم: أوله بين الضمة والفتحة، والألف مسترقة مختلسة ليست بألف صحيحة هكذا يتلفظون به، وهى فى الإقليم السادس، وهو ليس اسما للمدينة وإنما هو اسم للناحية بجملتها. انظر معجم البلدان ٣٩٥/٢ وما بعدها.

(٣) سبق ترجمتها.

(٤) مَازندران: اسم لولاية طبرستان. انظر معجم البلدان ٤١/٥.

(٥) قندهار: مدينة فى الإقليم الثالث، وهى من بلاد السند أو الهند مشهورة فى الفتوح. انظر معجم البلدان ٤٠٢/٤،٤٠٣.

(٦) سبق ترجمتها.

(٧) الكامل الأيوبى (٨٥٦هـ= ١٤٥٢م» خايل بن أحمد بن سليمان، من بنى أيوب: أمير، من الشعراء، كان صاحب حصن كيفا (فى ديار بكر) ويلقب بالملك الكامل. استقر فى حصن كيفا بعد قتل والده سنة ٨٣٦هـ واستمر إلى أن وثب عليه ابن له فقتله على فراشه. له كتاب الدر المنضود القصد الجليل فى نظم السلطان خليل. انظر التبر المسبوك ٣٩٩ص، مجلة المجمع العلمى العرب ١٩٠/٥، حوادث الدهر ١٢٨/١ معجم المطبوعات ١٥٤٤. الأعلام ٣١٤/٢.

ابن عثمان بن سليمان بن عثمان، صاحب برصا وكالى بولى. وبجانب من بلاد الروم أسفنديار بن أبى يزيد، وعلى ممالك إفريقية من بلاد المغرب أبو عمرو عثمانبن أبى عبد الله محمد بن أبى فارس عبد العزيز الحفصى [١] صاحب تونس وبجاية وسائر إفريقية. وعلى مدينة تلمسان والمغرب الأوسط أبو يحيى بن أبى حمو، وبمملكة فاس ثلاثة ملوك أجلهم صاحب مدينة فاس، وهو أبو محمد عبد الحق بن عثمان بن أحمد بن إبراهيم ابن السلطان أبى الحسن المرينى، وليس له أمر ولا نهى ولا تصرف فى درهم، فما فوقه. والقائم بالأمر دونه أبو زكريا يحيى بن أبى جميل زيان الوِطَاسى [٢] وبعد صاحب فاس صاحب مكناسة الزيتون [٣] على نحو نصف يوم من فاس.والآخر بأصِيلا[٤] على نحو خمسة أيام من فاس، وهما أيضا تحت الحجر، ممن تغلّب عليهما. وقد ضعفت مملكة بنى مرين هذه، ويزعم أهل الحدثان أن الشاوية تملكها، وقد ظهرت إمارات صدق ذلك. وبالأندلس أبو عبد الله محمد بن الأيسر ابن الأمير نصر ابن السلطان أبى عبد الله بن نصر المعروف بابن الأحمر، صاحب أغرناطة. وببلاد اليمن الملك الظاهر يحيى بن الأشرف إسماعيل صاحب تعز [٥] وزبيد [٦] وعدن. وعلى صنعاء[٧] وصعدة [٨] الإمام على بن صلاح الدين محمد بن على الزينى. وبممالك الهند الإسلامية عدة ملوك. ومماليك الفرنج بها أيضا نحو سبعة عشر ملكا، يطول علينا إيرادهم. وببلاد الحبشة الحطى الكافر، ويحاربه ملك المسلمين شهاب الدين أحمد بدلاى ابن سعد الدين أبى البركات محمد بن أحمد بن على بن صبر الدين محمد بن ولخوى بن منصور بن عمر بن ولَسْمَعَ الجبرتى.

---

(١) سبق ترجمتها.

(٢) ابن زَيَّان (٨٥٣هـ= ١٤٤٩م) يحيى بن زيان بن عمر بن زيان، أبو زكريا، الوطاسى المرينى اللمتونى: وزير المغرب الأقصى (بفاس) فى أيام عبد الحق بن عثمان. قال السخاوى: كان عادل بحيث أن ترجمته أفردت بالتأليف، وقتل ظلما. انظر الضوء اللامع ٢٢٥/١٠، التبر المسبوك ٢٥٣، جذوة الاقتباس ٣٣٦. الأعلام ١٤٦/٨.

(٣) مِكْنَاسَةُ: مدينة بالمغرب فى بلاد البربر على الأعظم، بينها وبين مراكش أربع عشرة مرحلة نحو المشرق، وهى مدينتان صغيرتان على ثنية بيضاء بينهما حصنٌ حواد. انظر معجم البلدان ١٨١/٥.

(٤) أصِيل: بلد بالأندلس، ربما كان من أعمال طليطلة. انظر معجم البلدان ٢١٢/١.

(٥) سبق ترجمتها.

(٦) سبق ترجمتها.

(٧) صنعاء: موضعان: أحدهما باليمن، وهى العظمى وهى المقصودة، وأخرى قرية بالغوطة من دمشق. انظر معجم البلدان ٤٢٦/٣.

(٨) سبق ترجمتها.

وأرباب المناصب بالقاهرة الأمير جانبك أستادار. والقاضى محب الدين محمد بن الأشقر كاتب السر. وناظر الجيش عظيم الدولة زين الدين عبد الباسط، ولا يبرم أمر ولا يحل ولا يولى أحد ولا يعزل إلا بمشورته. وناظر الخاص سعد الدين إبراهيم بن كاتب حكم. وقاضى القضاة الشافعى الحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على ابن حجر، وإليه المرجع فى عامة الأمور الشرعية لسعة علمه وكثرة اطلاعه، لاسيما علم الحديث ومعرفة السنن والآثار فإنه أعرف الناس بها فيما نعلم. وقاضى القضاة الحنفى بدر الدين محمود العينى. وقاضى القضاة المالكى شمس الدين محمد البساطى. وقاضى القضاة الحنبلى محب الدين أحمد بن نصر الله البغدادى. والمحتسب الأمير صلاح الدين محمد ابن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله. ووالى القاهرة عمر الشويكى.

شهر الله المحرم ، أوله يوم الإثنين:

فى عاشره: وصل العسكر المجرد إلى مدينة حلب ونزلها.

وفى رابع عشرينه: قدم المحمل الحاج مع الأمير طوخ مازى أحد أمراء الطبلخاناه، وأحد رءوس النوب، وكنتُ صحبة الحاج، فساءت سيرته فى الحاج، وفى ذات نفسه.

وفى ثامن عشرينه: جمعت أجناد الحلقة المأخوذ منهم المال - كما تقدم ذكره - فى بيت الأمير تَمِرْباى الدوادار، وأعيد لهم ما كان أُخذ منهم من المال، من أجل أن التجريدة بطلت. و لله الحمد.

وفيه قبض على الصاحب تاج الدين عبد الوهاب بن الخطير أستادار المقام الجمالى يوسف ولد السلطان، ثم أُفرج عنه. وخُلع من الغد على الصاحب جمال الدين يوسف ابن كريم الدين بن عبد الكريم بن سعد الدين بركة، المعروف والده بابن كاتب جكم. واستقر عوضه فى الأستادارية.

وفى يوم الأحد تاسع عشرينه - الموافق لتاسع عشر مسرى -: نودى على النيل بزيادة عشر أصابع فوفى ستة عشر ذراعا وأربعة أصابع، وركب المقام الجمالى يوسف - ولد السلطان - حتى خَلق المقياس وفتح الخليج بين يديه على العادة.

وقدم الخبر بمسير العسكر المجرد من حلب فى عشرينه إلى جهة الأبلستين.

وأنه فى حادى عشرينه: طرق ميناء بوقير - خارج مدينة الإسكندرية - ثلاثه أغربة من الفرنج الكيتلان وأخذوا مركبين للمسلمين، فخرج إليهم أقباى اليشبكى [1]

---

(١) هو أقباى بن عبد الله الدوادار. انظر المنهل الصافى، عقد الجمان. (حوادث سنة ٨٤٠هـ).

الدوادار نائب الثغر، ورماهم حتى أخذ منهم أحد المركبين، وأحرق الفرنج المركب الآخر، وساروا.

وأن في ثاني عشرينه: غد هذه الوقعة طرق ميناء الإسكندرية مركب آخر للكيتلان، وكان بها مركب للجنوية، فتحاربا، وأعان المسلمون الجنوية حتى انهزم الكيتلان.

وفي هذا الشهر: خرج من مدينة بجاية (١) بإفريقية أبو الحسن على ابن السلطان أبي فارس عبد العزيز، حتى نزل على قسنطينة، وحصرها.

شهر صفر، أوله يوم الثلاثاء:

في رابعه: قدم قاصد نائب حلب برأس الأمير قَرْمش الأعور. وكان من خبره أنه من جملة المماليك الظاهرية برقوق، وترقى في الخدم حتى صار من الأمراء وأُخرج إلى الشام. فلما خامر الأمير تَنْبَك البجاسي على السلطان كان معه، ثم هرب بعد قتله فلم يعرف خبره، إلى أن ظهر الأمير جانبك الصوفي، انضم عليه. فلما قدم العسكر المجرد إلى حلب، ومن جملته الأمير خجا سودن نزل بمن معه على عنتاب، فطرقه قَرْمِش المذكور، وهو في مقدمة جانبك الصوفي. فكانت بينهما وقعة أُخذ فيها قَرْمش وكُمُشْبُغا من أمراء حلب المخامر إلى جانبك الصوفي في جماعة، فقطعت رأس قرمش وكمشبغا وجهزتا إلى السلطان، ووسط الجماعة، فشهرت الرأسان بالقاهرة، ثم أُلقيتا في سراب مملوء بالأقذار والغدرة (٢).

وفي خامسه: استقر خُشْكَلْدى أحد الخاصكية في نيابة صهيون، عوضا عن الأمير غرس الدين خليل الهذباني بحكم وفاته. ثم عزل بعد يومين بأخي المنوفي.

وفي ثامن عشرينه: قدم الصاحب كريم الدين بن كاتب المناخ من جدة وصحبته الأمير يلخجا والمماليك المركزة بمكة.

وفي هذا الشهر: سار أبو عمرو عثمان بن أبي عبد الله محمد ابن السلطان أبي فارس عبد العزيز من مدينة تونس يريد قسنطينه؛ لقتال عمه أبي الحسن علي.

شهر ربيع الأول، أوله يوم الخميس:

فيه عاد العسكر المجرد إلى أبلستين بعدما وصلوا إلى مدينة سيواس، في طلب

---

(١) سبق ترجمتها.

(٢) الغَدَرَةُ: ما بقي من شيء، والغدارة: بقية الشيء. انظر المعجم الوسيط (غدر).

جانبك الصوفى وابن دلغادر، حتى بلغهم لحاقهما بمن معهما ببلاد الروم، والانتماء إلى ابن عثمان صاحب برصا، فنهبوا ما قدروا عليه، وعادوا.

وفيه رسم بعزل الأمير تمراز المؤيدى عن نيابة صفد، واستقراره فى نيابة غزة، عوضا عن الأمير يونس الأعور، واستقرار يونس فى نيابة صفد، وتوجه بذلك دولت بيه أحد رءوس النوب (١).

وفيه قدم الصاحب كريم الدين ابن كاتب المناخ تقدمة قدومه من جدة، فخلع عليه فى يوم السبت ثالثه، ونزل إلى داره، فسأل فى يوم الأحد رابعه القاضى زين الدين عبد الباسط ناظر الجيش والسلطان فى استقرار الصاحب كريم الدين المذكور فى الوزارة على عادته. وكان السؤال على لسان الأمير صفى الدين جوهر الخازندار، فأجيب بأن «هذا الأمر متعلق بك، فإن شئت استمريت على مباشرتك للوزارة، وإن شئت تعين من تريد». فتكلم من الغد يوم الإثنين مع السلطان مشافهة فى ذلك، فتوقف السلطان خشية ألا يسد لقصور يده. فمازال بالسلطان حتى أجاب إلى ولايته، ونزل إلى داره، فاستدعى الصاحب كريم الدين وقرر معه ما يعمل. وأسعفه بأن عين له جهات يسد منها كلفة شهرين. وأنعم له بألفى رأس من الغنم، وأذن له أن يوزع على مباشرى الدولة كلفة شهرين آخرين.

فلما كان الغد يوم الثلاثاء سادسه: خلع على الصاحب كريم الدين، واستقر فى الوزارة على عادته، ونزل إلى داره فى موكب جليل. وسر الناس به، فصَّرف الأمور، ونفذ الأحوال. وخلع معه على الصاحب أمين الدين إبراهيم بن الهيصم ناظر الدولة خلعة استمرار، فنزل فى خدمته، وجلس بين يديه كما كان أولا، وكانت الوزارة منذ عزل الأمير غرس الدين خليل عنها فى شوال سنة تسع وثلاثين لم يستقر فيها أحد، وإنما كان القاضى زين الدين عبد الباسط ينفذ أمور الوزارة، وقررها على ترتيب عمله، وهو أنه أحال مصروف كل جهة من جهات المصروف على متحصل جهة من جهات المتحصل، فإن لم تف تلك الجهة بما أحيل به عليها قام بالعوز من ماله.

وندب للمباشرة عنه الصاحب أمين الدين بن الهيصم، وهو يلى نظر الدولة، فتمشت أحوال الدولة فى هذه المدة على هذا.

وفى ليلة الإثنين خامسه: فقد سليمان بن أَرْخُن بك بن محمد كُرشجى بن عثمان، وأخته شاه زاده، وجماعته، وكانوا يسكنون بقلعة الجبل، وتمشى سليمان هذا فى خدمة

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٦٣.

المقام الجمالى ولد السلطان. ومن خبره أن مراد بن كُرشجى صاحب برصا وغيرها من بلاد الروم، قبض على أخيه أَرْخن بك، وكحله، وسجنه مدة، فكان يقوم بخدمته وهو فى السجن مملوك من مماليكه يقال له طوغان. فأدخل إليه جارية إلى السجن، وهى متنكرة، فاشتملت من أَرْخن على هذا الولد وغيره. ومملوكه هذا يخفى أمرهم حتى مات أرخُن فى سجنه. ففر المملوك بهذين الولدين، وهما سليمان وأخته شاه زاده وأمهما إلى مدينة حلب، وأقاموا بها حتى قدم السلطان حلب فى سنة ست وثلاثين، وقف بهما إليه، فأكرمهم وأنزلهم بقلعة حلب، ثم سيرهم إلى القاهرة وأسكنهم فى الدار التى كانت قاعة الصاحب من قلعة الجبل، وكساهم، ورتب لهم فى كل شهر اثنين وعشرين ألف درهم من معاملة القاهرة، ولم يحجر عليهم فى النزول إلى القاهرة. وأضاف هذا الصبى سليمان بن أُرخُن إلى خدمة ولده المقام الجمالى، فكان يركب معه إذا ركب، ويظل بين يديه، ويبيت - إذا شاء عنده - إلى أن فقدوا.

وفى ليلة الإثنين: المذكور قُتل جاسوس معه كتب من جانبك الصوفى [1].

وفى ليلة الجمعة عاشره: عُمل المولد النبوى بين يدى السلطان، على العادة فى كل سنة.

وفى يوم الجمعة: المذكور عدا رجل من الهنود على رجلين، فقتلهما بعد صلاة الجمعة تجاه شبابيك المدرسة الصالحية بين القصرين، بمشهد من ذلك الجمع الكثير. فأخذ وقطعت يده، ثم قُتل، فكانت حادثة شنعة.

وفى يوم السبت حادى عشره: توجه الأمير قُرْقُماس أمير سلاح، والأمير جانم أمير أخور، فى جماعة إلى الوجه البحرى، من أجل أن أولاد بكّار بن رحاب وعمهم عيسى من أهل البحيرة انضم إليهم الطائفة التى يقال لها محارب، وأفسدوا.

وفى ثالث عشره: وصل الأروام الهاربون، وعدتهم خمسة وستون شخصا، منهم ثمانية من مماليك السلطان، فوسطوا الثمانية تحت المقعد السلطانى بالإصطبل من القلعة بين يدى السلطان. ووسط طوغان لالا سليمان بن أرخن، ورجل آخر لتتمة عشرة. وقطعت أيدى سبعة وأربعين رجلا وضرب رجل بالمقارع.فكانت حادثة شنعة. وكان من خبرهم أن طوغان المذكور قصد أن يفر بموسى إلى بلاد الروم. ونزل فى غراب قدم فى البحر، ومعه جماعة، منهم المماليك الثمانية، وعدة من الأروام. ورافقهم فى المركب

---

(١) ذكر ابن تغرى فى النجوم أحداث تتعلق بيوم الثلاثاء سادس شهر ربيع الأول فلتراجع هناك. انظر النجوم الزاهرة ٢٦٣/١٤.

جماعة من الناس ليسوا مما هم فيه فى شىء، إنما هم ما بين تاجر وصاحب معيشة ومسافر لغرض من الأغراض. وانحدروا فى النيل ليلا يريدون عبور البحر، فأدركهم الطلب من السلطان، وقد قاربوا رشيد. وكانت بينهم محاربة فى المراكب على ظهر النيل، قتل فيها عدة. وتخلصوا حتى عبروا بغرابهم من النيل إلى بحر الملح، فخرجت عليهم ريح ردتهم حتى نزلوا على وحلة، فلم يقدروا أن يحركوا غرابهم من شدة الوحل، فأدركهم الطلب، وهم كذلك، فقاتلوا ليدافعوا عن أنفسهم، وقد جاءهم نائب الإسكندرية فى جمع موفور. فمازالوا يقاتلون حتى غلبوا وأخذوا، فسيقوا فى الحديد إلى أن نزل من البلاء ما نزل. وسجن سليمان بن أرخن مدة ثم أفرج عنه، ونودى فى الشوارع بخروج الهنود من القاهرة، فلم يخرج أحد.

وفى يوم الجمعة سادس عشره: رحل العسكر من أبلستين، بعد أن أقاموا بها عشرة أيام، وهم ينهبون أعمالها، ويخربون ويحرقون، فمازالوا سائرين حتى نزلوا تجاه مدينة سيواس، وقد رحل العدو المطلوب إلى جبل آق طاغ، ومعناه الجبل الأبيض، ثم مضوا منه إلى أنكورية.

وفى يوم الإثنين تاسع عشره: نودى ألا يلبس أحد زمط أحمر(١)، ثم نودى من الغد لا يحمل أحد سلاحا.

وفى رابع عشرينه: خلع على سعد الدين إبراهيم بن المرة، واستقر فى نظر جدة على عادته من قبل.

وفى سابع عشرينه: خلع على الأمير جانبك الناصرى(٢) رأس نوبة الأمير إبراهيم ابن المؤيد، وحاجب ميسرة. واستقر أمير المجردين إلى مكة ويتحدث مع ابن المرة فى أمر جدة، وتعين معه مائة وعشرة مماليك، السبتوى ثلاثين مملوكًا فى خدمته. وأنعم عليه بألف دينار أشرفية وقطارى جمال، وخمس عشرة ألف فردة نشاب، وأربعة أفراس.

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشرينه: أعيد يونس خازندار نائب حلب الوارد بعود

---

(١) وهو رداء يكون للرأس.

(٢) جانبك بن عبد الله الناصرى (٨٧١ هـ = ١٤٦٦ م)، المعروف بالمرتد، الأمير سيف الدين نسبته إلى معتقه الملك الناصر فرج، وترقّى من بعده حتى صار خاصكيا فى دولة الأشرف برسباى، ثم صار ساقيا فى أوائل دولة الملك الظاهر جقمق، ثم تأمر عشرة وصار من جملة رؤس النوب. ودام على ذلك سنين لا يؤبه إليه فى الدولة إلى أن أنعم عليه الملك الأشرف أينال بأمرة طبلخاناة، واستمر على ذلك. انظر المنهل الصافى ٤/ ٢٤٢، ٢٤٣. والدليل الشافى ١/ ٢٣٩، الضوء اللامع ٣/ ٥٦.

العسكر المجرد إلى أبلستين. وجهز على يده لنائب حلب فرس بقماش ذهب، وقباء فوقانى، وخمسة آلاف دينار أشرفية. وأنعم على الأمير الكبير جقمق الأتابك بألف دينار. وعلى كل من أمراء الألوف المجردين - وعدتهم ستة أمراء - بخمسمائة دينار. وعلى أمراء حلب المقدمين الذين خرجوا فى التجريدة بألف وخمسمائة دينار، وعدتهم ثلاثة أمراء، وعلى أمير من طبلخاناه حلب بمائتى دينار. وعلى سبعة من أمراء العشرين بحلب لكل أمير منهم بمائة وخمسة وعشرين دينارا، جملتها ثمانمائة وخمسة وسبعين دينارا وأنعم على ستة عشر من أمراء العربان بحلب بألف وستمائة دينار. وأنعم على خمسة عشر من أمراء الجهات لكل أمير خمسين دينارا. وأنعم على أمراء التركمان ونواب القلاع ممن كان فى التجريدة بخمسة آلاف دينار. وبلغت جملة هذه الإنعامات تسعة عشر ألف دينار ومائة دينار وخمسة وسبعين دينارًا، سوى ثلاثين قرطية [١]، وثلاثين ثوب صوف، وعشرة أقبية سنجاب، كل قباء خمس شقات.

وفيه نودى فى الناس بالإذن فى السفر إلى مكة، صحبة المجردين.

شهر ربيع الآخر، أوله الجمعة:

فى سادس عشره: ركب السلطان من قلعة الجبل، وشق القاهرة، وخرج من باب القنطرة للصيد. وهذه أول ركبة ركبها فى هذه السنة للصيد.

وفيه جمع الأمير جوهر الخازندار الجزارين، وأشهد عليهم ألا يشتروا اللحم إلا من أغنام السلطان التى تذبح. وصار يذبح لهم من الأغنام ما يبيعوا لحمه للناس، ولم يسمع بمثل ذلك.

وفى غده: عاد السلطان من الصيد، وخرج ثانيا فى حادى عشرينه.

شهر جمادى الأولى، أوله السبت:

فيه قدمت رسل مراد بن محمد كرشجى بن بايزيد بن عثمان ملك الروم، بهدية.

وفى سادسه: برز الأمير جانبك وابن المرة إلى ظاهر القاهرة، وتلاحق بهما جماعة، إلى أن استقلوا بالمسير إلى مكة فى عاشره.

وفى ثالث عشره: خلع على دمرداش، وأعيد إلى نيابة الوجه البحرى، عوضا عن حسن بيك التركمانى.

---

(١) القرطية: ضرب من الإبل. لسان العرب (قرط).

وفى سابع عشره: قدم الأمراء المجردون لقتال جانبك الصوفى، وناصر الدين محمد ابن دلغادر. وهم الأمير الكبير جقمق العلاى، والأمير أركماس الظاهرى الدوادار، وأمير يشبك الظاهرى ططر حاجب الحجاب، والأمير قراخجا الحسنى، والأمير تنبك السيفى، والأمير تغرى بردى البكلمشى المعروف بالمؤذى، ومثلوا بين يدى السلطان، وقبلوا الأرض، فخلع على الأمير الكبير متمر [1]، ومن فوقه قباء فوقانى. وخلع على كل من بقية الأمراء المذكورين فوقانى بطرز ذهب. وأركبوا جميعهم خيولا سلطانية بقماش ذهب. وتأخر من الأمراء الأمير خجا سودن لبطئه فى المسير.

وفيه أيضا قدم الأمير قرقماس الشعبانى أمير سلاح، والأمير جانم أمير أخور، والأمير قراجا شاد الشرابخاناه، والأمير تمرباى الدوادار الثانى من تجريدة البحيرة، وصحبتهم الأمير حسن بك بن سالم الدكرى التركمانى، وقد عزل ومحمد بن بكار ابن رحاب، وقد دخل فى الطاعة.

وفى هذا الشهر: كثر ركوب السلطان للصيد.

وفيه رفعت يد قاضى القضاة بدر الدين محمود العينى الحنفى عن وقت الطرحاء من الأموات، وفوض إلى الأمير صفى الدين جوهر الخازندار، ورسم له أن يسترفع حساب الوقف فيما مضى. ثم نقض ذلك، واستمر بيد قاضى القضاة على العادة.

وفى سابع عشرينه: نودى بأن من كانت له ظلامة فعليه بالوقوف إلى السلطان. ورسم أن تجتمع قضاة القضاة الأربع بمجلس السلطان للحكم فى يومى الثلاثاء والسبت. ثم انتقض ذلك، ولم يعمل به. وجلس السلطان للحكم فى يوم السبت تاسع عشرينه. وحضروا عنده. ثم بطل واستمر على عادته من غير حضور القضاة.

شهر جمادى الآخرة، أوله يوم الإثنين:

فى ثالثه: ركب الأمير تمرباى الدوادار النيل إلى الإسكندرية، حتى يبيع الفلفل المحمول من جدة على الفرنج الواردين الثغر ببضائعهم، بعدما عين لذلك القاضى زين الدين عبد الباسط، ثم أعفى منه.

وفى ثامنه: قدم الأمير خجا سودن أحد المجردين، فخلع عليه.

وفى ثانى عشره: ورد كتاب الأمير إبراهيم بن قرمان، يتضمن أن ناصر الدين محمد ابن دلغادر وجانبك الصوفى نزلا بعد توجه العسكر قريبا من أنكوريه.

---

(١) نوع من القماش.

وجهز الأمير سليمان بن ناصر الدين محمد بن دلغادر إلى مراد بن عثمان، فلقيه على مدينة كالى بولى، وترامى عليه. وكان ابن قرمان المذكور قد قاتل حاكم مدينة أماية فقتله، فغضب ابن عثمان وتحركت كوا من العداوة التى بين القرمانية والعثمانية، وعزم على المسير إلى أخذ ابن قرمان. وبرز من كالى بولى يريد مدينة برصا فلما قدم عليه سليمان بن دلغادر جهز معه عسكرا، وأنعم عليه بالمال والسلاح، وندب معه حاكم مدينة توقاته (١) لمحاصرة مدينة قيصرية، وأخذها من ابن قرمان. وجهز أيضا الأمير عيسى أخا إبراهيم بن قرقمان على عسكر آخر، وبعثه إلى بلاد قرمان؛ ليسير هو من وراء العسكرين، فأهم السلطان هذا الخبر، وجهز إلى كل من عنتاب وملطية وكختا وكركر المال والسلاح، وكتب إلى تركمان الطاعة بمعاونة إبراهيم بن قرقمان على عدوه.

وفى هذا الشهر: رسم أن يشترى من الغلال ثلاثون ألف أردب ليخزن، فأخذ الناس فى شراء الغلة من القمح والشعير والفول، خوفا من غلاء السعر.

وفى ثامن عشره: قدم الأمير تمرباى الدوادار من الإسكندرية، بعدما باع بها ألف حمل من الفلفل، بحساب مائة دينار الحمل، وقيمته دون ذلك بكثير، بلغ ثمن ذلك مائة ألف دينار.

وفى تاسع عشره: قدم القاضى شرف الدين أبو بكر الأشقر المعروف بابن العجمى، كاتب سر حلب، وقدم من الغد السلطان تقدمة جليلة، ما بين ثياب حرير ووبر وخيل وبغال.

وفى عشرينه: رسم للأمير يشبك حاجب الحجاب والأمير أينال الأجرود - الوارد من الرها - بالتوجه لحفر خليج الإسكندرية. وتوجه القاضى زين الدين عبد الباسط ليرتب الأحوال فى ذلك، ثم يعود. فتوجه فى رابع عشرينه وسار الوزير الصاحب كريم الدين ابن كاتب المناخ أيضا للنظر فى أمر الحفير.

وفى هذا الشهر: اتفقت نادرة لم نر ولا سمعنا بمثلها، وهى استقرار الأمير صفى الدين جوهر الخازندار فى قضاء دمياط، وكانت العادة أن يفوض قاضى القضاة الشافعى قضاء دمياط لمن يقع اختياره عليه من الفقهاء، فلما اتصل ولى الدين محمد بن قاسم المحلاوى بالسلطان، شره فى المال، وأخذ قضاء عدة بلاد، منها دمياط. وقرر

---

(١) تَوْقات: بلدة فى أرض الروم بين قونيا وسيواس ذات قلعة حصينة وأبنية مكينة، بينها وبين سيواس يومان. انظر معجم البلدان ٢/٥٩.

على من أقامه فى قضاء البلاد التى وليها مالا يحمله على سبيل الفريضة فى كل شهر أو كل سنة، كما هى ضرائب المكوس، سوى ما يتبع ذلك من هدايا الريف. وكان الجاه عريضا، فما عفت نوابه ولا كفت، فلما ذهب إلى الحجاز، نزل عن قضاء دمياط للقاضى جلال الدين عمر والقاضى كمال الدين محمد بن البارزى كاتب السر بمبلغ خمسين ألف درهم مصرية. فجرى على عادة ابن قاسم فى ذلك إلى أن عين السلطان القاضى كمال الدين لقضاء دمشق، سأله الأمير صفى الدين جوهر الخازندار أن ينزل له عن قضاء دمياط، فلم يجد بدًا من إجابته، ونزل له عن ذلك. فأمضى قاضى القضاة النزول رغما، وصار أحد نواب الحكم العزيز بدمياط، فاستناب عنه على العادة فى هذا، واستمر. وصار يكتب فى مكاتبته إلى نائبه بدمياط «الداعى جوهر الحنفى»، كما كان قاضى القضاة يكتب. وحمد أهل البلد سيرته بالنسبة لمن كان قد ابتدأ ذلك.

ولم يعهد فى مثل ذلك نزول، ولا ما يشبهه؛ فلله الأمر.

شهر رجب، أهل بيوم الثلاثاء:

وفيه خلع على القاضى كمال الدين محمد ابن القاضى ناصر الدين محمد بن البارزى. وأعيد إلى قضاء القضاة بدمشق، عوضا عن سراج الدين عمر الحمصى بغير مال يحمله، ولا سعى منه. وإنما كثرت القالة السيئة فى الحمصى، فعين السلطان عوضه القاضى كمال الدين ثم ولاه.

وفى ثالثه: أدير محمل الحاج بالقاهرة ومصر، ولم نعهد فيما تقدم أنه أدير قبل النصف من شهر رجب إلا فى هذه الدولة الأشرفية، فإنه أدير غير مرة قبل النصف منه. ونزل بالناس فى ليلة إدارته من المماليك السلطانية بلاء كثير من صفع أقفية المارة فى الشارع، ومن حرق لحاهم بالنار، وخطف عمائمهم، إلى غير ذلك مما لا نستجيز ذكره.

وفيه خلع على الأمير الوزير غرس الدين خليل، واستقر أمير الركب.

وفى يوم السبت خامسه: توجه القاضى زين الدين عبد الباسط لكشف قناطر اللاهون من عمل الفيوم، وقد خربت.

وفى سادسه: قدم الأمير يشبك الحاجب، والصاحب كريم الدين، والأمير أينال الأجرود، وقد قاسوا خليج الإسكندرية، فإذا عرضه عشرة قصبات فى طول ثلاث وعشرين ألف قصبة، منها ستة آلاف وأربعمائة قصبة تحتاج إلى أن تحفر، وبقيتها تحتاج إلى الإصلاح.

وفى سابعه: توجه جكم خازندار المقام الجمالى، وخاله إلى طرابلس، بانتقال الأمير الكبير بها. وهو تمربغا المحمودى إلى الحجوبية الكبرى بها. وانتقال الأمير آق قجا العلاى من الحجوبية إلى الإمرة الكبرى. وأن يقوم تمربغا بأربعة آلاف دينار وللمسفر المذكور بألف دينار. ورسم لجكم المذكور أن يكون مسفر قاضى القضاة كمال الدين ابن البارزى، فبعد جهد حتى أخذ منه فى يومه ثلاثمائة دينار. ولم تجر العادة بمثل ذلك.

وفى عاشره: [١] خلع على الأمير أينال العلاى الأجرود، واستقر فى نيابة صفد، عوضا عن الأمير يونس، ورسم ليونس أن يقيم بالقدس بطالا [٢] وخلع على الأمير طوخ بن بازق الجكمى [٣] رأس نوبة ليخرج مسفر الأمير أينال إلى صفد [٤].

وفى رابع عشره: أنعم بإقطاع الأمير أينال الأجرود وإمرته على الأمير قراجا شاد الشرابخاناه. واستقر أينال الخازندار أحد الأمراء الطبلخاناه شادا، عوضا عن قراجا، واستقر على باى الأشرفى الساقى الخاصكى خازندارا، عوضا عن أينال. وخلع على الأمير أقبغت التمرازى ليلى حفر خليج الإسكندرية [٥].

وفى تاسع عشره: خلع على حسن بيك بن سالم الدكرى التركمانى، وأعيد إلى كشف البحيرة، عوضا عن دمرداش.

وفى سابع عشرينه: ركب الأمير جانبك أستادار إلى ناحية شبرا الخيام من ضواحى القاهرة، وهدم كنيسة النصارى بها، ونهبت حواصلها، وأحرقت عظام رمم كانت بها، يزعمون أنها رمم شهداء منهم.

وفى هذا الشهر: جبى ما فرض على نواحى الغربية والمنوفية والبحيرة، برسم حفر خليج الإسكندرية، وهو عن عبرة كل ألف دينار نصف راجل، يؤخذ عنه مبلغ ألفين وخمسمائة درهم من معاملة القاهرة. وندب للحفر ثلاثمائة رجل، تصرف أجورهم من هذا المتحصل، وعمل بالميدان تحت القلعة بين يدى السلطان من الجراريف والمقلقلات مائتى قطعة، وعشر قطع. وعين من البقر ستمائة وعشرين رأسا. وجهز ذلك لحفر الخليج المذكور.

---

(١) أى فى يوم الخميس.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٢٦٤/١٤.

(٣) فى النجوم «الأمير طُوخ مِن تِمراز المعروف بابن بازق» وهو لفظ تركى معناه غليظ الرقبة انظر الضوء اللامع ٩/٤.

(٤) انظر النجوم الزاهرة ٢٦٤/١٤.

(٥) انظر النجوم الزاهرة ٢٦٤/١٤.

شهر شعبان، أهل بيوم الخميس:

فى ثانيه: توجه قاضى القضاة كمال الدين محمد بن البارزى إلى محل ولايته بدمشق.

وفى ثالثه: خلع على القاضى معين الدين عبد اللطيف، أحد موقعى الدست، وشيخ خانكاة قوصون. واستقر فى كتابة السر بحلب، عوضا عن والده القاضى شرف الدين أبى بكر الأشقر المعروف بابن العجمى الحلبى، وخلع على القاضى شرف الدين المذكور ليكون نائب كاتب السر على ما كان عليه قبل انتقاله إلى كتابة السر بحلب. وأنعم على الأمير ناصر الدين محمد بن إبراهيم بن منجك بتقدمة أرغون شاه وإقطاعه بدمشق. وأضيف إلى الأمير طوغان العثمانى نائب القدس أستادارية الشام، والتحدث فى الأغوار، عوضا عن أرغون شاه.

وفى يوم الأربعاء رابع عشره: نودى باجتماع الجماعة التى قطعت أيديهم عندما أخذوا من الغراب، ليفرق فيهم السلطان مالا. فلما اجتمعوا جىء بهم ليأخذوا صدقات السلطان حتى صاروا بقلعة الجبل، قبض عليهم، وساقهم أعوان الظلمة بأسوأ حال. وأنزلوا فى مركب ليسيروا إلى بلاد الروم، وقد جعل كل اثنين منهم فى قرمة خشب، فكان هذا من شنيع الحوادث، ولو شاء ربك ما فعلوه.

شهر رمضان، أهل بيوم الجمعة:

فى عاشره: عقد السلطان المشور. وقد ورد الخبر بأن ناصر الدين محمد بن دلغادر - ونزيله جانبك الصوفى - زحفا بمن معهما على بلاد قرمان، فقوى العزم على السفر إلى بلاد الشام، وأخذ الأمراء فى أهبة السفر، ثم انتقض ذلك فى ثامن عشره. وكتب بمسير نواب الشام إلى نحو بلاد قرمان نجدة لإبراهيم بن قرمان، فإن القوم أخذوا مدينة أقشهر، ونازلوا قلاعا أخر [١].

وفى هذا الشهر: كثر عبث المماليك السلطانية بالناس فى الليل.

شهر شوال، أوله الأحد:

فى خامسه: خلع على قاضى القضاة علم الدين صالح ابن شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقينى، وأعيد إلى قضاة القضاة، عوضا عن الحافظ شهاب أحمد بن حجر [٢].

---

(١) جاء فى النجوم «عمل السلطان مشورة بالأمراء، لما ورد عليه الخبر بأن ناصر الدين بك بن دلغادر ونزيله جانبك الصوفى زحفا بمن معهما على بلاد ابن قرمان». انظر النجوم الزاهرة ٢٦٤/١٤.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٢٦٤/١٤.

وفي سادسه: خلع على القاضى نور الدين عمر بن مفلح ناظر المارستان، واستقر وكيل بيت المال، عوضا عن شمس الدين محمد بن يوسف بن صالح الحلاوى بعد موته.

وفي تاسع عشره: خرج محمل الحاج صحبة الأمير غرس الدين خليل. ورحل من بركة الحاج فى ثالث عشرينه، بعدما رحل الركب الأول فى أمسه صحبة الأمير ناصر الدين محمد ولد الأمير أركماس.

وفي هذا الشهر: نزلت صاعقة بجدة - بندر مكة - فأتلفت شيئا كثيرا، وهلك نحو المائة نفس.

وفيه كانت بجدة أيضا وقعة بين القواد والأمير جانبك، قتل فيها وجرح عدة. ثم قدم الشريف بركات بن حسن بن عجلان، فساس الأمر حتى سكنت الفتنة.

شهر ذى القعدة، أوله الثلاثاء:

فيه قدم سيف الأمير تمرباى الدوادار بحلب، وسيف الأمير أقباى نائب الإسكندرية، وقد ماتا. فتقررت ولاية زين الدين عبد الرحمن ابن كاتب السر علم الدين داود بن الكويز أحد دوادارية السلطان نيابة الإسكندرية، وخلع عليه فى ثانيه (١).

وفي عشرينه: قدم نائب حلب إليها، وكان قد سار عندما ورد الخبر بمشى مراد بن عثمان ملك الروم على بلاد ابن قرمان، فلما تقرر الصلح بينه وبين إبراهيم بن قرمان عاد نائب حلب من مرعش.

وقدم الخبر بأن أصبهان بن قرايوسف متملك بغداد جمع لحرب حمزة بن قرايلك حاكم ماردين، فجمع له حمزة وحاربه، فهزم أصفهان، بعدما قتل عدة من أمرائه وجنده، وأن من بقى معه أرادوا قتله، فامتنع منهم بقلعة فولاد.

شهر ذى الحجة، أوله الخميس:

فى حادى عشره - الموافق له سابع عشرين بؤونة -: نودى على النيل بزيادة ثلاثة أصابع واستقر الماء القديم على خمسة أذرع واثنين وعشرين أصبعا وتسميها الناس اليوم القاعدة. واستمرت زيادة النيل؛ و لله الحمد.

وفى يوم الخميس ثانى عشرينه: خلع على الأمير صلاح الدين محمد ابن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله، واستقر كاتب السر عوضا عن شيخ الشيوخ محب الدين محمد بن شرف الدين الأشقر، مضافا لما بيده من حسبة القاهرة ونظر دار الضرب ونظر

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٦٥.

الأوقاف ومنادمة السلطان، فنزل فى موكب جليل، وقد لبس العمامة المدورة، والفرجية، هيئة أرباب الأقلام، فسر الناس به، وكان من خيره أنه نشأ من صغره بزى الأجناد، وبرع فى الحساب، وكتب الخط المنسوب، وصار أحد الحجاب فى الأيام الناصرية فرج بن برقوق. وتقلب مع والده فى مباشرة نظر الجيش، ونظر الخاص، والوزارة [١]. وشكرت مباشرته لذلك، بما طبع عليه من لين الجانب ، وطيب الكلام، وبشاشة الوجه، وحسن السياسة، فصار فى الأيام المؤيدية شيخ من جملة الأمراء، وولى أستادارية السلطان فى الأيام الظاهرية ططر، وملك الأمراء. ثم عزل عن ذلك، وأعيد إليه فى الأيام الأشرفية برسباى، وكان ما كان من مصادرته ومصادرة والده الصاحب بدر الدين، على مال كبير، أخذ منهما حتى ذهب مالهما، إلا أنه لم يمسهما - بحمد الله - سوء، ولا أهينا، فلزما دارهما عدة سنين. ثم تنبه لهما الإقبال، فولى الحسبة، ومازال يترقى حتى عينه السلطان لمنادمته بعد ابن قاسم بن المحلاوى، وصار يبيت عنده، وشكرت خصاله، ولم يسلك من الطمع وأخذ الأموال من الناس ما سلكه غيره، بل عف وكف، وأفضل وزاد فى الأفضال، إلى أن سعى بعض الناس فى كتابة السر بمال كبير جدًا، وأرجف بولايته، فاقتضى رأى السلطان ولاية الأمير صلاح الدين، وعرض عليه ذلك ليلا، وهو مقيم عنده على عادته، فاستعفى من ذلك، فلم يعفه، وصمم عليه، ورسم بتجهيز التشريف له، ثم أصبح فخلع عليه، وأقره على ما بيده. واستمر به فى منادمته، والمبيت عنده، فضبط أمره، وصار يكتب المهمات السلطانية بخطه بين يدى السلطان، لما هو عليه من قوة الكتابة وجودتها، ومعرفة المصطلح، والدربة بمعاشرة الملوك، وتدبير الدول، ومقالبة الأحوال. فتميز بذلك عمن تقدمه من كتاب السر، بعد ابن فضل الله، فإنهم منذ عهد فتح الله صارت المهمات السلطانية إنما يتولى كتابتها الموقعون بإملاء كاتب السر، حتى باشر هو، فاستبد بالكتابة، وحجب كل أحد عن الاطلاع على أحوال المملكة بحسن سياسته، وتمام معرفته.

وفى ثامن عشرينه: قدم مبشرو الحاج.

وفى هذه السنة: شنع الموات بصعدة وصنعاء من بلاد اليمن، بحيث ورد إلى مكة كتاب موثوق به أنه مات بصعدة وصنعاء وأعمالهما زيادة على ثمانين ألف إنسان.

وفيها أيضا وقع الوباء بنواحى ديار بكر وآمد، وملك الديار، فمات منها بشر كثير.

وفيها كانت حروب ببلاد الروم وديار بكر وما يليها؛ و لله عاقبة الأمور.

* * *

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٦٥/١٤.

ومات فيها ممن له ذكر

زين الدين عبد الرحمن بن محمد بن سليمان بن عبد الله [١] - المعروف بابن الخراط - المروزى الأصل، ثم الحموى، الأديب، الشاعر، أحد موقعى السلطان، فى ليلة الإثنين أول المحرم، عن نحو ستين سنة، بالقاهرة، ودفن من الغد.

ومات الشيخ شهاب الدين أحمد بن أبى بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان بن عمر الكنانى. شهاب الدين البوصيرى الشافعى، أحد مشايخ الحديث، فى ليلة الأحد ثامن عشرين المحرم.

ومات الأمير قرمش الأعور أحد المماليك الظاهرية برقوق، ترقى فى الخدم حتى صار أحد الأمراء، وأخرج بعد قتل الناصر فرج بن برقوق إلى الشام. فلما خرج الأمير تنبك البجاسى على السلطان ثار معه، حتى قتل تنبك ففر وتشتت مدة، حتى ظهر الأمير جانبك الصوفى انضم إليه، فقوى به وسار فى جماعة يريد عنتاب، وبها من أمراء السلطان الأمير خجا سودن، فقاتله بمن معه وأخذه، وأخذ معه من أمراء حلب المخامرين كمشبغا فى طائفة ممن معهم. وحمل هو وكمشبغا إلى حلب، فقتلا بها. وحملت رءوسهما إلى قلعة الجبل، فألقتا فى قناة، بعد إشهارهما. وكان قتلهما فى المحرم.

ومات بدمشق قاضى القضاة شمس الدين محمد ابن قاضى القضاة شهاب الدين أحمد ابن محمود، المعروف بابن الكشك، الحنفى، بدمشق، فى يوم الثلاثاء ثالث عشر شهر ربيع الأول، عن نحو ثلاثين سنة، وهو معزول.

ومات قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن محمد بن صلاح، المعروف بابن المحمرة [٢]، الشافعى، بالقدس، فى ليلة السبت سادس عشر شهر ربيع الآخر. ومولده فى صفر سنة تسع وستين وسبعمائة، خارج القاهرة. وقد ناب فى الحكم بالقاهرة، وولى مشيخة خانكاة سعيد السعداء، وقضاء القضاة بدمشق، ثم مشيخة الصلاحية بالقدس حتى مات بها.

---

(١) عبد الرحمن بن محمد (٨٤٠هـ=١٤٣٥م)عبد الرحمن بن محمد بن سليمان، أبو الفضل، زين الدين المعروف بابن الخراط: أديب شاعر، من القضاة مروزى الأصل، حموى المولد، حلبى المنشأ، نزيل القاهرة نادم نائب حلب وعمل فى يوسف بن مالك ألف مقطوعة سماها ألفية ابن مالك وولى القضاء بالباب، من أعمال حلب، ثم ولى كتابة السر بطرابلس وانتقل إلى القاهرة، فولى رياسة الإنشاء بعد تقى الدين بن حجة وصنف كتبا منها «المعانى التيمية والمثانى الرخيصة». انظر الضوء اللامع ٤/١٣٠، شذرات الذهب ٧/٢٣٥. الأعلام ٣/٣٢١.

(٢) انظر أنباء الغمر (وفيات سنة ٨٤٠هـ) عقد الجمان.

ومات الأمير بردى بك الإسماعيلى [١] أحد العشرات، فى سابع عشر جمادى الأولى، بقلعة الجبل، وهو مسجون.

ومات مقتولا الأمير حمزة بك بن على بك بن دلغادر، فى ليلة الخميس سابع عشرين جمادى الأولى، بقلعة الجبل، وهو مسجون.

ومات الأمير أرغون شاه بدمشق، فى حادى عشرين رجب. وكان قد ولى الوزارة والأستادارية بديار مصر، ثم أخرج إلى الشام على إمرة، وباشر بها للسلطان. وكان ظلوما غشوما. وهو من مماليك الأمير نوروز الحافظى.

ومات شمس الدين محمد بن يوسف بن صالح الحلاوى الدمشقى، وكيل بيت المال، فى ليلة الجمعة سادس شوال. ومولده فى سنة خمس وستين وسبعمائة بدمشق.

ومات أمير الملأ قرقماس بن عذرا بن نعير بن حيار بن مهنا.

وماتت المرأة الفاضلة أم عبد الله عائشة، بنت قاضى القضاة بدمشق علاء الدين أبى الحسن على بن محمد بن على بن عبد الله بن أبى الفتح العسقلانى الحنبلى، فى يوم الأربعاء سادس عشرين ذى القعدة. ومولدها سنة إحدى وستين وسبعمائة، حدثت عن غير واحد، فسمع عليها جماعة. وهى من بيت علم ورياسة. وذكرت منهم فى هذا الكتاب وغيره أباها وأخاه جمال الدين عبد الله، وزوجها قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن نصر الله الحنبلى[٢]، وولدها عز الدين أحمد ابن قاضى القضاة برهان الدين.

ومات صاحب صنعاء اليمن الإمام المنصور نجاح الدين أبو الحسن على ابن الإمام صلاح الدين أبى عبد الله محمد بن على بن محمد بن على بن منصور بن حجاج بن

---

(١) انظر عقد الجمان (٨٦٢/٢٥) المنهل الصافى (ترجمته).

(٢) إبراهيم بن نصر الله بن أحمد بن محمد بن أبى الفتح بن هاشم بن إسماعيل بن إبراهيم بن نصر الله بن أحمد قاضى القضاة برهان الدين أبو إسحاق ابن قاضى القضاة ناصر الدين الحنبلى العسقلانى قاضى قضاة الديار المصرية. كان مشكور السيرة، محمود الطريقة، ولد آخر شهر رجب سنة ثمان وستين وسبعماة بالقاهرة، وبها نشأ وتفقه بجماعة وناب فى الحكم عن أبيه، ثم استقل بوظيفة القضاء بعد موت والده فى يوم الخميس ثانى عشرين شعبان سنة خمس وتسعين وسبعمائة، وعمره سبع وعشرون سنة، وحمدت سيرته لعفته ولصيانته ولدينه مع الشهامة والمهابة والتواضع وبشاشة الوجه، واستمر قاضيا إلى أن توفى فى يوم السبت ثامن شهر ربيع الأول سنة اثنتين وثمانمائة، رحمه الله. ولى بعده أخوه موفق الدين أحمد بن نصر الله انظر الدليل الشافى ٣٠/١، والنجوم الزاهرة ١٧/١٣، أنباء الغمر ١٣٣/٢، نزهة النفوس ٦٩/٢، والضوء اللامع ١٧٩/١، شذارت الذهب ١٤/٧.

يوسف، من ولد يحيى بن الناصر أحمد بن الهادى يحيى بن القاسم الرسى بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم، فى سابع صفر، بعدما أقام فى الإمامة بعد أبيه ستا وأربعين سنة وثلاثة أشهر، وأضاف إلى صنعاء وصعدة عدة من حصون الإسماعيلية أخذها منهم، بعد حروب وحصار، فقام من بعده ابنه الإمام الناصر صلاح الدين محمد بعهده إليه وبيعة الجماعة له. فمات بعد ثمانية وعشرين يوما فى خامس عشرين شهر ربيع الأول، فأجمع الزيدية بعده على رجل منهم يقال له صلاح بن على بن محمد بن أبى القاسم [١] وبايعوه، ولقبوه بالمهدى. وهو من بنى عم الإمام المنصور. وقام بأمره ابن سنقر على أن يكون الحكم له، فعارضه الإمام، وصار يحكم بما يؤدى إليه اجتهاده، ولا يلتفت إلى ابن سنقر، فثار عليه بعد ستة أشهر رجل يقال له محمد بن إبراهيم الساودى. وأعانه قاسم ابن سنقر، وقبضا عليه وسجناه فى قصر صنعاء. ووكل به محمد بن أسد الأسدى. وقام قاسم بالأمر. فدبرت زوجة الإمام المهدى فى خلاصه، ودفعت إلى الأسدى الموكل به ثلاثة آلاف أوقية، فأفرج عنه، وخرج به من القصر. وسار إلى معقل يسمى ظفار، وفيه زوجة المهدى. ومضى الأسدى إلى معقل يسمى دمر، وهو من أعظم معاقل الإسماعيلية التى انتزعها الإمام المنصور على بن صلاح. وأقام المهدى مع زوجته بظفار. ثم جمع الناس، ويسار إلى صنعاء، فوقع بينه وبين ابن سنقر وقعة، انكسر فيها الإمام، وتحصن بقلعة يقال لها تلى. فلما بلغ ذلك زوجته، ملكت صعدة [٢]، وأطاعها من بها من الناس، فاضطرب أمر قاسم. وكان الناس مخالفين عليه، فأقام ولدًا صغيرًا وهو ابن بنت الإمام المنصور على، وأبوه من الأشراف الرسية، فازداد الناس نفورا عنه وإنكارا عليه. واستدعوا الإمام المهدى إلى صعدة، فقدمها وبايعه الأشراف بيعة ثانية، حتى تم أمره. وبعث إلى أهل الحصون يدعوهم إلى طاعته، فأجابوه، وانفرد قاسم بصنعاء وحدها على كره من أهلها، وبغض له.

* * *

(١) انظر النجوم الزاهرة ٨٤٦/٦، عقد الجمان (ج٢٥ق٤ورقة ٦٨٣).

(٢) سبق ترجمتها.

سنة إحدى وأربعين وثمانمائة

شهر المحرم، أوله يوم السبت:

فى ليلة الأحد تاسعه: بلغ القاضى زين عبد الباسط، والوزير كريم الدين، وسعد الدين ناظر الخاص، أن المماليك السلطانية على عزم نهب دورهم، فوزعوا ما عندهم، واختفوا. ثم صعدوا إلى الخدمة السلطانية على تخوف، وعادوا إلى دورهم، والإرجاف مستمر إلى يوم الأحد سادس عشره، فنزل عدة من المماليك، فاقتحموا دار عبد الباسط ودار الأمير جانبك أستادار ودار الوزير، ونهبوا ما وجدوا فيها (١).

وفى ثانى عشرينه: قدم الركب الأول من الحجاج. وقدم من الغد المحمل ببقية الحاج.

وقدم الخبر بأن نائب دوركى توجه فى خامس عشره فى عدة من نواب تلك الجهات وغيرهم، وعدتهم نحو الألفى فارس، حتى طرقوا بيوت الأمير ناصر الدين محمد ابن دلغادر. وقد نزل هو والأمير جانبك الصوفى على نحو يومين من مرعش، فنهبوا ما هنالك، وحرقوا. ففر ابن دلغادر وجانبك الصوفى فى نفر قليل. وذلك أن جموعهما كانت مع الأمير سليمان بن ناصر الدين بن دلغادر على حصار قيصرية الروم (٢).

شهر صفر، أوله يوم الأحد:

فيه توجه الأمير أينال الجكمى نائب الشام من دمشق يريد حلب. وقد سارت نواب الشام حتى يوافوا قيصرية، مددًا لابن قرمان على سليمان بن دلغادر.

وفى رابعه - الموافق له رابع عشرى مسرى - : كان وفاء النيل ستة عشر ذراعا، فركب المقام الجمالى يوسف ابن السلطان حتى خلق عمود المقياس بين يديه، ثم فتح خليج القاهرة على العادة، وعاد إلى القلعة.

وفى سابعه: قدمت تقدمة الأمير أينال الجكمى نائب الشام، وهى ذهب عشرة آلاف دينار، وخيول مائتا فرس، منها ثلاثة أرؤس بسروج ذهب وكنابيش ذهب،

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٦٥،٢٦٦.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٦٦.

وسمور عشرة أبدان، ووشق [(١)] عشرة أبدان، وقاقم عشرة أبدان، وسنجاب مائة بدن، وثياب بعلبكى خمسمائة ثوب، وأقواس حلقة مائة قوس، وجمال بخاتى ثلاث قطر، وجمال عراب ثلاثمائة جمل، وصوف مربع مائة ثوب، ذات ألوان.

وفى يوم الإثنين سادس عشره: خلع على جلال الدين أبى السعادات محمد بن ظهيرة قاضى مكة خلعة الاستمرار. وكان قد قدم من مكة صحبة الحاج بطلب. وأرجف بعزله، فقام بأمره القاضى صلاح الدين محمد بن نصر الله كاتب السر، حتى رضى عنه السلطان، وأقره على قضاء مكة، على مال قام به للسلطان، وهو نحو خمسمائة دينار، فكان ذلك من المنكرات التى لم ندرك مثلها قبل هذه الدولة.

وفى يوم الخميس سادس عشرينه: كان نوروز القبط بمصر، وهو أول توت رأس سنتهم، فنودى على النيل بزيادة أصبعين لتتمة تسعة عشر ذراعا وأصبع من عشرين ذراعا. وهذا فى زيادة النيل مما يندر وقوعه؛ و لله الحمد.

وفى هذا الشهر: - والذى قبله - كثر الوباء بحلب وأعمالها، حتى تجاوزت عدة الأموات بمدينة حلب فى اليوم مائة.

شهر ربيع الأول، أوله يوم الثلاثاء:

فيه استقر القاضى بدر الدين محمد ابن قاضى القضاة شيخ الإسلام شهاب الدين أبى الفضل أحمد بن حجر فى نظر الجامع الطولونى ونظر المدرسة بين القصرين، نيابة عن قاضى القضاة علم الدين صالح بن البلقينى، بسؤال القاضى زين الدين عبد الباسط له فى ذلك، فأذن له حتى استنابه عنه.

وفى خامسه: خلع الأمير غرس الدين خليل الذى ولى الوزارة بعد نيابة الإسكندرية، واستقر فى نيابة الكرك. وسار بطلبه وأثقاله من ساعته(٢).

وفيه توجه قاضى مكة الجلال أبو السعادات يريد مكة.

وفى يوم السبت ثانى عشره: - وهو يوم عيد الصليب عند قبط مصر - نودى على النيل بزيادة أصبعين لتتمة عشرين ذراعا وثمانية أصابع. هذا وقد فتحت السدود الصليبية فى يوم الجمعة أمسه. وكان هذا أيضا من نوادر زيادات النيل. ومازال يزيد حتى انتهت زيادته فى سادس عشره، الموافق له حادى عشرين بابه، إلى عشرين ذراعا وثلاثة عشر أصبعا.

---

(١) هو جلد الفهد.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٤/ ٢٧٦.

وفى يوم السبت تاسع عشره: خلع على الصاحب جمال الدين يوسف بن كريم الدين عبد الكريم بن بركة - المعروف بابن كاتب جكم - واستقر فى نظر الخاص، بعد موت أخيه سعد الدين إبراهيم (١).

وفى سادس عشرينه - وهو أول بابة: - بلغ ماء النيل عشرين ذراعا وخمسة عشر أصبعا.

شهر ربيع الآخر، أوله يوم الأربعاء:

فى هذا الشهر: ثبت ماء النيل إلى نحو النصف من شهر بابة فكمل رى الأراضى والحمد لله. ثم انحط، فشرع الناس فى الزرع.

وفيه كملت عمارة الجامع الذى أنشأه السلطان بناحية خانكاة سرياقوس على الدرب المسلوك، وذرعه خمسون ذراعا فى خمسين ذراعا. ورتب فيه إماما للصلوات الخمس، وخطيبًا وقراء يتناوبون القراءة فى مصاحف (٢).

وفى هذا الشهر: - والذى قبله - فشا الموت فى الناس بمدينة حماة وأعمالها، حتى تجاوز عدة من يموت فى كل يوم مائة وخمسين إنسانا.

وقدم الخبر بأن عدن من بلاد اليمن احترقت بأجمعها، واحترقت دار الملك بزبيد مع جانب من المدينة، وأن الملك الظاهر يحيى - ملك اليمن - كانت بينه وبين المعازبة من عرب اليمن وقعة، وقتل فيها عدة من عسكره، ونجا بنفسه إلى تعز. وأن العرب اليمانية انتقضت عليه من باب عدن إلى الشحر، وأنه قبض على كبير دولته الأمير سيف الدين برقوق وسلبه ماله وسجنه، ثم أفرج عنه.

وفيه أيضا كانت بين المسلمين وبين ملك البرتقال وقعة على مدينة طنجة (٣) من أعمال المغرب.

شهر جمادى الأولى، أوله يوم الخميس:

فى ثالثه: ركب السلطان من قلعة الجبل، وشق القاهرة من باب زويلة، وخرج من

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٦٧.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٦٧.

(٣) طَنْجَة: بلد على ساحل بحر المغرب مقابل الجزيرة الخضراء وهو من البر الأعظم وبلاد البربر. انظر معجم البلدان ٤/٤٣.

باب القنطرة، فمضى إلى القليوبية لصيد الكراكى [١] وهذه أول ركبة ركبها فى هذه السنة للصيد[٢].

وفيه قدم الأمير تمراز المؤيدى نائب غزة.

وفى خامسه: قدم السلطان من الصيد، وعبر من باب القنطرة، وشق القاهرة حتى خرج من باب زويلة إلى القلعة، و لم يقع له صيد ألبتة.

وفى سادسه: قبض على الأمير تمراز نائب غزة، وحمل مقيدًا إلى الإسكندرية فسجن بها. واستدعى الأمير جرباش قاشق من دمياط، وهو مسجون بها ليلى نيابة غزة، فلم يتم له ذلك. ورجع إلى دمياط.

وفى ثامنه: ركب السلطان ليصطاد من بركة الحجاج. ومضى إلى جامعه بخانكاة سرياقوس، وعاد من يومه. ثم ركب فى ليلة السبت عاشره يريد أطفيح. فاصطاد، وعاد فى يوم الإثنين ثانى عشره.

وفى سابع عشره: خلع على الأمير آقبردى القجماسى[٣]، واستقر فى نيابة غزة.

وفيه قدم مملوك نائب حلب برأس الأمير جانبك الصوفى ويده، فطيف بالرأس على رمح شارع القاهرة، ثم ألقيت فى قناة، وكان من خبره أنه لما كبسه نائب دوركى فى شهر الله المحرم - كما تقدم ذكره - فر هو وابن دلغادر، فمضى ابن دلغادر على وجهه يريد بلاد الروم، وقصد الأمير جانبك الصوفى أولاد قرايلك ونزل على محمد ومحمود ابنى قرايلك، وأقام عندهم، فأخذ الأمير تغرى برمش نائب حلب فى استمالة محمد ومحمود حتى مالا إليه، وواعداه أن يقبضا على جانبك على أن يحمل إليهما

---

(١) الكراكى جمع كُرْكُى طائر كبير، أغبر اللون، طويل العنق والرجلين، أبتر الذنب، قليل اللحم، يأوى إلى الماء أحيانا. انظر المعجم الوسيط (كرك).

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٢٦٧/١٤.

(٣) آقبردى بن عبد الله القجماسى، الأمير سيف الدين نائب غزة. نسبته إلى معتقه الأمير قجماسى ابن عم الملك الظاهر برقوق، والد أنيال باى، وتنقل فى الخدم إلى أن صار فى أواخر الدولة المؤيدية شيخ أمير عشرة، واستمر على ذلك سنين لا يلتفت إليه فى الدول إلى أن سعى فى أواخر الدولة الأشرفية بمال فى نيابة غزة، فوليها بعد القبض على نائبها الأمير تمراز المؤيدى فى سابع عشر جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين وثمانمائة، وتوجه إليها وباشرها مدة يسيرة، إلى أن توفى بها فى شهر ذى القعدة سنة إحدى وأربعين وثمانمائة، وهو فى عشر الثمانين. وكان ضخما طويلا تركيا أشقر، لم يشهر بدين ولا فروسية، عفا الله عنه. انظر الدليل الشافى ١٤٠/١، والنجوم الزاهرة ٢١٧/١٥، الضوء اللامع ٣١٥/٢.

خمسة آلاف دينار، فنقل ذلك لجانبك، فبادر، وخرج ومعه بضعة وعشرون فارسا لينجو بنفسه، فأدركوه، وقاتلوه، فأصابه سهم، سقط منه عن فرسه، فأخذوه وسجنوه عندهم. وذلك فى يوم الجمعة خامس عشرين شهر ربيع الآخر. فمات من الغد، فقطع رأسه، وحمل إلى السلطان، فكاد يطير فرحا، وظن أنه قد أمن، فأجرى الله على الألسنة أنه قد انقضت أيامه، وزالت دولته. فكان كذلك كما سيأتى هذا. وقد قابل نعمة الله تعالى عليه فى كفاية عدوه بأن تزايد عتوه وكثر ظلمه، وساءت سيرته، فأخذه الله أخذًا وبيلا، وعاجله بنقمته ولم يهنيه.

وفى تاسع عشره: ركب السلطان إلى الصيد بالقليوبية، وعاد من الغد. وفيه ورد كتاب الحطى ملك الحبشة، وهو الناصر يعقوب بن داود ابن سيف أرعد، ومعه هدية، ما بين ذهب وزباد [(١)] وغير ذلك، فتضمن كتابه السلام والتودد، والوصية بالنصارى وكنائسهم.

وفى هذا الشهر: شنع الوباء بحماة، حتى تجاوزت عدة الأموات عندهم فى كل يوم ثلاثمائة إنسان، ولم يعهدوا مثل ذلك فى هذه الأزمنة.

شهر جمادى الآخرة، أوله الجمعة:

فيه رسم بنقل جمال الدين يوسف بن الصفى الكركى كاتب السر بدمشق إلى نظر الجيش بها، عوضا عن بهاء الدين محمد بن نجم الدين عمر بن حجى، على أن يحمل أربعة آلاف دينار. وأن يستقر بن حجى فى كتابة السر، عوضا عن ابن الصفى، على أن يحمل ألف دينار.

وفى ثانيه: توجه السلطان إلى الصيد فى بركة الحجاج.

وقدم الخبر بوقوع الوباء فى مدينة طرابلس الشام.

وفى هذا الشهر: كثر ركوب السلطان إلى الصيد.

وفيه وقع الوباء بدمشق، وفشا الموت بالطاعون الوحى.

وقدم الخبر بأن إسكندر بن قرايوسف نزل قريبا من مدينة تبريز [(٢)] فبرز إليه أخوه جهان شاه، المقيم بها من قبل القان معين الدين شاه رخ بن تيمور لنك ملك المشرق،

---

(١) نوع من الطيب يتخذ من دابة كالسنور. انظر لسان العرب (زبد).

(٢) سبق ترجمتها.

فكانت بينهما وقعة انهزم فيها إسكندر [١] إلى قلعة يلنجا [٢] من عمل تبريز، فنازله جهان شاه، وحصره بها. وأن الأمير حمزة بن قرايلك - متملك ماردين [٣] وأرزنكان[٤] - أخرج أخاه ناصر الدين على باك من مدينة آمد، وملكها منه. فقلق السلطان من ذلك. وعزم على أن يسافر بنفسه إلى بلاد الشام، وكتب بتجهيز الإقامات بالشام ثم أبطل ذلك.

شهر رجب، أوله الأحد:

فى خامسه: أدير محمل الحاج. وقد تقدم أنه إنما كان يدار بعد النصف من شهر رجب، وأنه أدير فى هذه الدولة قبل النصف، فجرت فى ليلة الإثنين ويوم الإثنين خامسه شنائع. وذلك أن مماليك السلطان - سكان الطباق بالقلعة - نشأوا على مقت السلطان لرعيته، مع ما عندهم من بغض الناس، فنزل كثير منهم فى أول الليل، وأخذوا فى نهب الناس، وخطف النساء والصبيان للفساد. واجتمع عدد كثير من العبيد السود، وقاتلوا المماليك فقتل من العبيد خمسة نفر، وجرح عدة من المماليك، وخطف من العمائم وأخذ من الأمتعة شيء كثير، فكان ذلك من أقبح ما سمعنا به.

وفيه قدم ولد محمود بن قرايلك بسيف الأمير جانبك الصوفى، الذى قتل.

وفى يوم السبت سابعه: رسم بخروج تجريدة إلى بلاد الشام، وعين من الأمراء المقدمين ثمانية، وهم الأمير قرقماس الشعبانى أمير سلاح، والأمير أقبغا التمرازى أمير مجلس، والأمير أركماس الظاهرى الدوادار، والأمير تمراز الدقماقى رأس نوبة النوب، والأمير يشبك حاجب الحجاب، والأمير جانم أمير أخور، والأمير خجا سودن، والأمير قراجا الأشرفى.

وفى تاسعه: نودى بألا يحمل أحد من العبيد السلاح، ولا سيفا ولا عصى، ولا يمشى بعد المغرب. وأن المماليك لا تتعرض لأحد من العبيد. وذلك أنه لما وقع بين المماليك والعبيد فى ليلة المحمل ما وقع، أخذ المماليك فى تتبع العبيد، فقتلوا منهم جماعة، ففر كثير منهم من القاهرة، واختفى كثير منهم. فلما نودى بذلك سكن ذلك الشر، وأمن الناس على عبيدهم، بعد خوف شديد.

---

(١) انظر المنهل فى ترجمة « إسكندر بن قرايوسف».

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٧٥٧/٦.

(٣) سبق ترجمتها.

(٤) سبق ترجمتها.

وفيه رسم بمنع المماليك من النزول من طباقهم بالقلعة إلى القاهرة، وذلك أنهم صاروا ينزلون طوائف طوائف إلى المواضع التى يجتمع بها العامة للنزهة، ويتفننوا فى العبث والفساد، من أخذ عمائهم الرجال واغتصاب النساء والصبيان، وتناول مَعايش الباعة، وغير ذلك، فلم يتم منعهم، ونزلوا على عادتهم السيئة.

وفى عاشره: حمل إلى الأمراء الثمانية نفقة السفر، وهى لكل أمير ألفا دينار أشرفية[١].

وفى يوم الأربعاء ثامن عشره: ركب السلطان إلى خليج الزعفران [٢] من الريدانية خارج القاهرة وعاد من يومه. فأصبح موعك البدن، ساقط الشهوة للغذاء، ولزم الفراش[٣].

وفى هذا الشهر: وقع الوباء ببلاد الصعيد من أرض مصر [٤] وكثر بدمشق، وشنع بحلب وأعمالها، فأظهر أهلها التوبة، وأغلقوا حانات الخمارين، ومنعوا البغايا الواقفات للبغاء، والشباب المرصدين لعمل الفاحشة، بضرائب تحمل لنائب حلب وغيره من أرباب الدولة فتناقص الموت وخف الوباء، حتى كاد يرتفع. ففرح أهل حلب بذلك، وجعلوا شكر هذه النعمة أن فتحوا الخمارات، وأوقفوا البغايا والأحداث للفساد بالضرائب المقررة عليهم، فأصبحوا وقد مات من الناس ثمانمائة إنسان. واستمر الوباء الشنيع، والموت الذريع فيهم، رجب، وشعبان، وما بعده.

شهر شعبان أوله، يوم الإثنين:

أهل هذا الشهر والسلطان مريض، وقد أخرج مالا فرق فى جماعة من الناس على سبيل البر والصدقة، فمازال إلى يوم الثلاثاء تاسعه، فخلع فيه على الأطباء لعافية السلطان. وركب من الغد، فزار القرافة، وفرق مالا فى الفقراء، وعاد والمرض بين فى وجهه [٥].

وفى هذا اليوم: - أعنى يوم الأربعاء عاشره - حدثت ريح شديدة فى معاملة طرابلس واللاذقية وحماة وحلب وحمص وأعمالها، واستمرت عدة أيام، فألقت من الأشجار ما لا يدخل تحت حصر.

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٧١.

(٢) فى النجوم « ونزل إلى خليج الزعفران فنزل به وأكل السماط» ١٤/٢٧١.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٧١.

(٤) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٧١.

(٥) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٧٢.

وفى يوم السبت ثالث عشره: برز سعد الدين إبراهيم بن المرة إلى ظاهر القاهرة ليسير إلى الطور ويركب البحر إلى جدة، وكان قدم من مكة، وصادره السلطان على مال حمله، ثم خلع عليه، واستقر فى نظر الخاص بجدة على عادته. وخلع معه على التاجر بدر الدين حسين بن شمس الدين محمد بن المزلق الدمشقى، ليكون عوضا عن الأمير المجرد إلى جدة.

وفيه ركب السلطان إلى خارج القاهرة، وعبر من باب النصر، ثم نزل بالجامع الحاكمى، وقد ذكر له أن بهذا الجامع دعامة قد ملئت ذهبا، فشره لذلك، وطمع فى أخذه. فقيل له: «إنك تحتاج إلى هدم جميع هذه الدعائم حتى تظفر بها، ثم لابد لك من إعادة عمارتها». فعلم عجزه عن ذلك، وخرج، فركب عائدا إلى القلعة [١].

وفيه قدم الخبر بأن الوباء شنع بدمشق، وأنه مات من الغرباء الذين قدموا من بغداد وتبريز والحلة والمشهد وتلك الديار - فرارا من الجور والظلم الذى هنالك - وسكنوا حلب وحماة ودمشق عالم عظيم، لا يحصرهم العاد لكثرتهم.

وفى سابع عشره: خلع على الأمير أركماس الجاموس أمير شكار[٢]، وأعيد إلى كشف الوجه القبلى، واستقر ملك الأمراء ليحكم من الجيزة إلى أسوان.

وفيه أيضا حدثت بالقاهرة زلزلة عند أذان العصر، اهتز بى البيت مرتين، إلا أنها كانت خفيفة جدا؛ و لله الحمد.

وفى يوم الجمعة تاسع عشره: هبت بدمشق ريح شديدة فى غاية من القوة. واستمرت يوم الجمعة ويوم السبت، فاقتلعت من شجر الجوز الكبار ما لا يمكن حصره لكثرته. وألقت أعالى دور عديدة، وألقت بعض المنارة الشرقية بالجامع الأموى، فكان أمرا مهولا، وعمت هذه الريح بلاد صفد والغور، وأتلفت شيئا كثيرا.

وفى عشرينه: استقل ابن المزلق وابن المرة بالمسير إلى الطور ليركبوا البحر من هناك إلى جدة. وبعث السلطان على يد ابن المزلق خمسة آلاف دينار، بسبب عمارة عين عرفة.

وفى يوم الخميس: خرج الأمير قرقماس - أمير سلاح - مقدم العسكر المجرد إلى

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٧٢.

(٢) أركماس بن عبد الله اليشبكى. نسبة إلى معتقة الأتابك يشبك الشعبانى، ترقى فى الدول إلى أن صار فى الدولة الظاهرية جقمق أمير عشرة، ونعم الرجل هو. انظر الترجمة فى: الضوء اللامع ٢/٢٦٨، والمنهل الصافى ٢/ ٣٣٥.

الشام، وصحبته الأمراء، من غير أن يرافقهم فى سفرهم أحد من المماليك السلطانية، لسوء سيرتهم. فنزلوا بالريدانية خارج القاهرة، إلى أن استقلوا بالمسير فى يوم السبت سابع عشرينه. وكتب لنائب الشام - الأمير أينال الجكمى، أن يتوجه بمن معه صحبة الأمراء إلى حلب، ويستدعوا حمزة باك ابن قرايلك صاحب ماردين وأرزن كان، فإن قدم إليهم خلع عليه بنيابة السلطنة فيما يليه، وإلا مشوا بأجمعهم عليه وقاتلوه وأخذوه[١].

وقدم الخبر بأن محمد بن قرايلك توجه إلى أخيه حمزة بالك باستدعائه، وقد حقد عليه قتله جانبك الصوفى، فإنه لما بلغه نزول جانبك على أخويه محمد ومحمود، كتب إلى أخيه محمد بأن يبعث به إليه؛ ليرهب به السلطان، فمال محمد إلى ما وعده به نائب حلب من المال، وقتل جانبك، فمازال حمزة يعد أخاه ويمنيه، حتى سار إليه، وفى ظنه أنه يوليه بعض بلاده، فما هو إلا أن صار فى قبضته، قتله وظهر عاجل عقوبة الله له على بغيه.

وفى هذا الشهر: وقع فى كثير من الأبقار داء طرحت منه الحوامل عجولا وفيها الطاعون، وهلك كثير من العجاجيل بالطاعون أيضا.

شهر رمضان، أوله يوم الثلاثاء:

وفيه كانت عدة الأموات التى رفعت بها أوراق مباشرى ديوان المواريث بالقاهرة ثمانية عشر إنسانا، وتزايدت عدتهم فى كل يوم حتى فشا فى الناس الموت بالطاعون فى القاهرة ومصر، لاسيما فى الأطفال والإماء والعبيد، فإنهم أكثر من يموت موتا وحيًا سريعًا. هذا وقد عم الوباء بالطاعون بلاد حلب [٢] وحماة [٣]، وطرابلس [٤] وحمص [٥]، ودمشق، وصفد [٦]، والغور [٧]، والرملة [٨] وغزة [٩]، وما بين ذلك،

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٧٢/١٤.
(٢) سبق ترجمتها.
(٣) سبق ترجمتها.
(٤) سبق ترجمتها.
(٥) سبق ترجمتها.
(٦) سبق ترجمتها.
(٧) غَوْر: ما بين ذات عرق إلى بحر غور تهامة. انظر معجم البلدان ٢١٧/٤.
(٨) سبق ترجمتها.
(٩) سبق ترجمتها.

حتى شنعت الأخبار بكثرة من يموت، وسرعة موتهم. وشناعة الموتان أيضا ببلاد الواحات من أرض مصر، ووقوعه قليلا بصعيد مصر [١].

وفى يوم الأربعاء ثالث عشرينه: ختمت قراءة صحيح البخارى بين يدى السلطان بقلعة الجبل [٢]، وقد حضر قضاة القضاة الأربع، وعدة من مشايخ العلم وجماعة من الطلبة، كما جرت العادة من الأيام المؤيدية شيخ. وهو منكر فى صورة معروف، ومعصية فى زى طاعة. وذلك أنه يتصدى للقراءة من لا عهد له بممارسة العلم، لكنه يصحح ما يقرأه، فيكثر مع ذلك لحنه وتصحيفه وخطاه وتحريفه. هذا، ومن حضر لا ينصتون لماعه، بل دائما دأبهم أن يأخذوا فى البحث عن مسأله يطول صياحهم فيها، حتى يفضى بهم الحال إلى الإساءات التى تؤول أشد العداوات. وربما كفر بعضهم بعضا، وصاروا ضحكة لمن عساه يحضرهم من الأمراء والمماليك. واتفق فى يوم هذا الختم أن السلطان لما كثر الوباء قلق من مداخلة الوهم له، فسأل من حضر من القضاة والفقهاء عن الذنوب التى إذا ارتكبها الناس عاقبهم الله بالطاعون، فقال له بعض الجماعة: إن الزنا إذا فشا فى الناس ظهر فيهم الطاعون، وأن النساء يتزين ويمشين فى الطرقات ليلا ونهارا فى الأسواق. فأشار آخر أن المصلحة منع النساء من المشى فى الأسواق. ونازعه آخر فقال لا يمنع إلا المتبرجات، وأما العجائز ومن ليس لها من يقوم بأمرها لا تمنع من تعاطى حاجتها. وجروا فى ذلك على عادتهم فى معارضة بعضهم بعضا، فمال السلطان إلى منعهن من الخروج إلى الطرقات مطلقا، ظنا منه أن بمنعهن يرتفع الوباء. وأمر باجتماعهم عنده من الغد، فاجتمعوا فى يوم الخميس، واتفقوا على ما مال إليه السلطان. فنودى بالقاهرة ومصر وظواهرهما بمنع جميع النساء بأسرهن من الخروج من بيوتهن، وألا تمر امرأة فى شارع ولا سوق ألبتة، وتهدد من خرجت من بيتها بالقتل، فامتنع عامة النساء، فتياتهن وعجائزهن وإمائهن من الخروج إلى الطرقات. وأخذ والى القاهرة وبعض الحجاب فى تتبع الطرقات، وضرب من وجدوا من النساء، وأكدوا من الغد - يوم الجمعة - فى منعهن، وتشددوا فى الردع والتهديد، فلم تر امرأة فى شىء من الطرقات. فنزل بعدة من الأرامل وربات الصنائع، ومن لا قيم لها يقوم بشأنها، ومن تطوف على الأبواب تسأل الناس، ضيق وضرر شديد. ومع ذلك فتعطل بيع كثير من البضائع والثياب والعطر، فازداد الناس وقوف حال، وكساد معايش، وتعطل أسواق، وقلة مكاسب.

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٧٣/١٤.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٢٧٣/١٤.

وفى يوم السبت سادس عشرينه: أمر السلطان بإخراج أهل السجون من أرباب الجرائم، ومن عليه دين، فأخرجوا بأجمعهم، وأطلقوا بأسرهم.

ورسم بغلق السجون كلها، وألا يسجن أحد، فأغلقت السجون بالقاهرة ومصر. وانتشرت السراق والمفسدون فى البلد. وامتنع من له مال على آخر أن يطالبه به [١].

وفى سابع عشرينه: عزم السلطان على ولاية الحسبة لرجل ناهض، فذكر له جماعة، فلم يرضهم. ثم قال: «عندى واحد ليس بمسلم، ولا يخاف الله». وأمر فأحضر إليه الأمير دولت خجا، فخلع عليه واستقر به محتسب القاهرة، عوضا عن المقر الصلاحى محمد ابن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله، رغبة من السلطان فى جبروته، وقسوته، وشدة عقوبته وقلة رحمته [٢].

وفيه نودى بخروج الإماء لشراء حوائج مواليهن من الأسواق، وألا تنتقب واحدة منهن، بل يكن سافرات عن وجوههن، وأن تخرج العجائز لقضاء أشغالهن، وأن تخرج النساء إلى الحمامات، ولا يقمن بها إلى الليل، فكان فى ذلك نوع من أنواع الفرج.

وفيه قدم الأمراء المجردون إلى البحيرة بغير طائل، وقد أتلفوا كثيرا من زروع النواحى.

وفيه ابتدأ انتشار الجراد الكثير بالقاهرة وضواحيها، واستمر عدة أيام.

وفيه أقيم بعض سفلة العامة الأشرار فى التحدث على مواريث اليهود والنصارى، وخلع عليه، وكانت العادة أن بطرك النصارى ورئيس اليهود يتولى كل منهما أمر مواريث طائفته، فتوصل هذا السفلة إلى السلطان، والتزم له أن يحصل من هذه الطائفتين مالا كبيرا، فجرى السلطان على عادته فى الشره فى جمع المال، وولاه.

وفيه كشف عن بيوت اليهود والنصارى، وأحضروا ما فيها من جرار الخمر لتراق.

وفى هذا الشهر: هدم للنصارى دير المغطس عند الملاحات، قريب من بحيرة البرلس [٣] وكانت نصارى الإقليم - قبليا وبحريا - تحج إلى هذا الدير كما يحجون إلى كنيسة القيامة بالقدس، وذلك فى عيده من شهر بشنس، ويسمونه عيد الظهور، وقد

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٧٤/١٤.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٢٧٤/١٤.

(٣) بَرَلُّسُ: بُليدة على شاطئ نيل مصر قرب البحر من جهة الإسكندرية. انظر معجم البلدان ٤٠٢/١.

بسطت الكلام على هذا عند ذكر الكنائس والديارات من كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (١).

وفى هذا الشهر: شنع الموت بالطاعون فى بلد عانة من بلاد العراق، بحيث لم يبق بها أحد. واستولى أمير الملا عاذر بن نعير على موجودهم جميعه. وشنع الموت أيضا فى أهل الرحبة، حتى عجزوا عن مواراة الأموات، وألقوا منهم عددا كثيرا فى الفرات. وشنع الموت أيضا فى أزواق التركمان، وبيوت العربان بنواحى بلاد الفرات، حتى صار الفريق من العرب، أو الزوق من التركمان، ليس به إنسان. ودوابهم مهملة، لا راعى لها. وأحصى من مات بمدينة غزة فى هذا الشهر، فبلغوا اثنى عشر ألفا ونيف، ووردت الأخبار بخلو عدة مدن ببلاد المشرق لموت أهلها، وبكثرة الوباء ببلاد الفرنج.

شهر شوال، أهل بيوم الخميس:

وقد شمل الناس بالقاهرة ومصر من القبض والأنكاد ما لا يوصف، وذلك من تزايد عدة الأموات فى كل يوم، فكانت عدة من رفع ذكره من ديوان المواريث فى هذا اليوم - وهو يوم العيد - من القاهرة مائة إنسان، ومن مصر اثنان وعشرون. هذا، وقد تعطل بيع كثير من البضائع وأمتعة النساء لامتناعهن من المشى فى الطرقات واستوحش نساء الأمراء المجردين وأولادهم لغيبتهم عنهم، وقلق الناس من عسف متولى الحسبة، وشدة بطشه، ومن كثرة ما داخل الناس من الوهم؛ خوفا على أولادهم وخدمهم من الموت الوحى السريع بالطاعون، ومن نزول أنواع المكاره بالذمة من اليهود والنصارى، بحيث أنى لم أدرك فى طول عمرى عيدًا كان أنكد على الناس من هذا العيد (٢).

وفى ليلة هذا العيد: اشتد برد الشتاء فى بلاد الشام، فأصبح الناس من صفد إلى دمشق وحماة وحلب وديار بكر، إلى أرزن كان، وقد صقعت أشجارهم، بحيث لم يبق عليها ورقة خضراء إلا اسودت، ما عدا شجر الصفصاف، والجوز فتلفت الباقلاء المزروعة، والشعير والبيقياء والهليون (٣) وعامة الخضروات، فزادهم ذلك بلاء على بلائهم بكثرة الموتان الفاشى فى الناس وهبت مع ذلك بصفد ريح باردة، هلك بعدها من الناس والدواب ما شاء الله. وتلفت بها الزروع والأشجار.

---

(١) ينظر المواعظ والاعتبار ٥٠٨/٢.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٢٧٩/١٤.

(٣) نبات تخرج منه عدة عيدان كثيرة القضبان، بيض فى غاية البياض، تؤكل. نهاية الأرب ٦٦/٦٥/١١.

واتفق أيضا فى ليلة عيد الفطر أن هجم على مدينة فاس من بلاد المغرب الأقصى، سيل عظيم جدا، فأخذ خلائق وهدم عدة مساكن، فكان أمرًا مهولا وحادثًا شنيعًا.

وفى رابعه: قدم الأمراء المجردون إلى حلب.

وفيه خلع السلطان على الأمير أسنبغا الطيارى، واستقر حاجب ميسرة، عوضا عن جانبك الناصرى المتوفى بمكة، فأراق الخمور من دور النصارى وغيرهم.

وفى يوم الثلاثاء سادسه: خلع على الإمام الحافظ شهاب الدين أبى الفضل أحمد ابن على بن حجر، وأعيد إلى قضاء الشافعية بديار مصر، عوضا عن قاضى القضاة علم الدين صالح البلقينى. وألزم أن يقوم لعلم الدين صالح بما حمله إلى الخزانة. هذا، وقد أظهر السلطان أنه لا يولى أحدا من القضاة بمال، فإنه داخله وهم عظيم من كثرة تزايد الموت الوحى السريع فى الناس، وموت كثير من المماليك السلطانية سكان الطباق من القلعة، وموت الكثير من خدام السلطان الطواشية، ومن جواريه وحظاياه وأولاده، فحمل إلى البلقينى من مال شهاب الدين بن حجر، لا من مال السلطان.

وفيه ركب السلطان من القلعة، وأقام يومه بخليج الزعفران خارج القاهرة.وعاد من آخره بعد أن فرق مالا فى الفقراء، فتكاثروا على متولى تفرقة ذلك، حتى سقط عن فرسه، فغضب السلطان من ذلك، وطلب سلطان الحرافيش، وشيخ الطوائف، وألزمهما بمنع الجعيدية [1] أجمعين من السؤال فى الطرقات، وإلزامهم بالتكسب، وأن من شحذ منهم يقبض الوالى عليه، وأخرج ليعمل فى الحفير. فامتنعوا من الشحاذة، وخلت الطرقات منهم، ولم يبق من السؤال إلا العميان والزمناء [2] وأرباب العاهات، ولم نسمع بمثل ذلك. فعم الضيق كل أحد، وانطلقت الألسنة بالدعاء على السلطان، وتمنى زواله، فأصبح فى يوم الأربعاء سابعه مريضا قد انتكس، ولزم الفراش.

وفى هذه الأيام: اشتد البلاء بأهل الذمة من اليهود والنصارى، وألزمهم الذى ولى أمر مواريثهم أن يعملوا له حساب من مات منهم من أول هذه الدولة الأشرفية، وإلى يوم ولايته. وأخرق بهم وأهانهم. وألزمهم أيضا أن يوقفوه على مستنداتهم فى الأملاك التى بأيديهم، فكثرت الشناعة عليه، وساءت القالة فى الدولة.

واتفق مع ذلك كله حوادث مؤلمة منها أن امرأة مات ولدها بالطاعون، ولم يكن لها سواه فلما غسل وكفن وأخرج به ليوضع فى التابوت ليدفن فى الصحراء أرادت أمه

(١)على هامش ط: أشبه بالزعر والحرافيش والدهماء.

(٢)على هامش ط: أصحاب العلل والأمراض والعاهات المزمنة.

أن تخرج وراء جنازته، فمنعت من ذلك؛ لأن السلطان رسم ألا تخرج امرأة من منزلها. فشق عليها منعها من تشنيع جنازة ولدها، وألقت نفسها من أعلى الدار إلى الأرض، فماتت. وخرجت امرأة أخرى من دارها لأمر مهم طرأ لها، فصدفها دولت خجا متولى الحسبة، فصاح بأعوانه بأن يأتوه بها ليضربها، فما هو إلا أن قبضوا عليها، إذ ذهب عقلها وسقطت مغشيا عليها من شدة الخوف، فشفع فيها بعض من حضر ألا يعاقبها، فتركها، وانصرف عنها. فحملت إلى دارها وقد اختلت وفسد عقلها فمرضت مع ذلك مدة.

وفى يوم الجمعة تاسعه: اتفقت حادثه لم ندرك مثلها، وهو أن الخطيب بالجامع الأزهر رقى المنبر فخطب، وأسمع الناس الخطبة - وأنا فيهم - حتى أتمها على العادة. وجلس للاستراحة بين الخطبتين، فلم يقم حتى طال جلوسه. ثم قام وجلس سريعا، واستند إلى جانب المنبر ساعة قدر ما يقرأ القارئ ربع حزب من القرآن، والناس فى انتظار قيامه، وإذا برجل من الحاضرين يقول: مات الخطيب. فارتج الجامع وضج الناس، وضربوا أيديهم بعضها على بعض؛ أسفا وحزنا، وأخذنى البكاء وقد اختلت الصفوف، وقام كثير من الناس يريدون المنبر، فقام الخطيب على قدميه، ونزل عن المنبر، فدخل المحراب وصلى من غير أن يجهر بالقراءة، وأوجز فى صلاته حتى أتم الركعتين، وقدمت عدة جنائز فلم أدر من صلى بنا عليها. وإذا بالناس فى حركة واضطراب، وعدة منهم يجهرون بأن الجمعة ما صحت. وتقدم رجل فأقام وصلى الظهر أربعا، وجماعة يأتمون به. فما هو إلا أن قضى هؤلاء صلاتهم إذا بجماعة أخر قد وثبوا وأمروا فأذن المؤذنون على سدة المؤذنين بين يدى المنبر، ورقى رجل المنبر، فخطب خطبتين، ونزل ليصلى فمنعوه من التقدم إلى المحراب، وأتوا بإمام الخمس، فقدموه حتى صلى بالناس جمعة ثانية. فلما انقضت صلاته بالناس ثار آخرون وصاحوا بأن هذه الجمعة الثانية لم تصح، وأقاموا الصلاة، وصلى بهم رجل صلاة الظهر أربع ركعات، وكان فى هذا اليوم بالجامع الأزهر إقامة خطبتين وصلاة الجمعة مرتين، وصلاة الظهر مرتين، وانصرف الناس، وكل طائفة تخطئ الأخرى، وتطير كثير منهم على السلطان بزواله من أجل إقامة خطبتين فى موضع واحد هذا، وقد كان الناس عندما قيل: «مات الخطيب» قد ملكهم الوهم، فأرعد بعضهم، وبكى جماعة منهم، ودهش آخرون. وهبت عند ذلك ريح باردة، فظنوا أنهم جميعا ميتون حتى أنه لو قدر الله موت الخطيب على المنبر لهلك جماعة من الوهم . و لله عاقبة الأمور.

وفى هذه الأيام: تزايد بالسلطان مرضه. ومنذ ابتدأ به المرض، وهو آخذ فى

التزايد، إلا أنه يتجلد، ويظهر أنه عوفى. ويخلع على الأطباء، ويركب وسحنته متغيرة، ولونه مصفرًا، إلى أن عجز عن القيام من ليلة الأربعاء سابعه. هذا، وقد شنع الموت بالدور السلطانية فى أولاد السلطان الذكور والإناث، وفى حظاياه وجواريه، وجوارى نسائه، وفى الخدام الطواشية، وفى المماليك السلطانية سكان الطباق بالقلعة. وشنع الموت أيضا فى الناس بالقاهرة ومصر وما بينهما، وفى سكان قلعة الجبل، سوى من ذكرنا، وفى بلاد الواحات والفيوم، وبعض بلاد الصعيد، وبعض الحوف بالشرقية [١].

وفى يوم الإثنين تاسع عشره: خرج محمل الحاج مع الأمير أقبغا الناصرى - أحد الطبلخاناه - ونزل بركة الحجاج على العادة، فمات عدة ممن خرج بالطاعون، منهم ابن أمير الحاج وأبيه، فى هذا اليوم ومن الغد بعده.

وفى هذا الشهر: ثار عشير بلاد الشام - قيسها ونميها - وتحاربوا فى سادسه، فقتل من الفريقين جماعات يقول المكثر زيادة على ألف، ويقول المقل دون ذلك، فنزل بأهل الشام الخوف الشديد، مع ما بهم من البلاء العظيم بكثرة الموتان عندهم، حتى لا يكاد يوجد بها إلا حزين على ميت. ومع ما أصابهم من تلاف فواكههم عن آخرها.

وفى يوم الأربعاء حادى عشرينه: رفعت أوراق ديوان المواريث بعدة من مات فى هذا اليوم بالقاهرة، فكانوا ثلاثمائة وأربعا وأربعين ميتا. وضبطت عدة من صلى من الأموات فى المصليات، فبلغوا ما ينيف على ألف ميت.

وفى يوم الخميس ثانى عشرينه: خلع على الأطباء لعافية السلطان.

وفى ثالث عشرينه: استقل الحاج من البركة بالمسير.

وفى يوم السبت رابع عشرينه: وسط السلطان طبيبيه اللذين خلع عليهما بالأمس، وهما العفيف وزين خضر، وذلك أنه حرص على الحياة، وصار يستعجل فى طلب العافية، فلما لم تحصل له العافية ساءت أخلاقه، وتوهم أن الأطباء مقصرون فى مداواته، وأنهم أخطأوا التدبير فى علاجه، فطلب عمر بن سيفا والى القاهرة، فلما مثل بين يديه، وهو جالس - وبين يديه جماعة من خواصه، منهم صلاح الدين محمد بن نصر الله كاتب السر، والأمير صفى الدين جوهر الخازندار - فى خرف، وفيهم العفيف وخضر أمره أن يأخذ العفيف ويوسطه بالقلعة. فأقامه ليمضى فيه ما أمر به، وإذا الخضر فأمره أن يوسط خضر أيضا، فأخذ الآخر وهو يصيح. فقام أهل المجلس

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٨٠،٢٨١.

يقبلون الأرض، ومنهم من يقبل رجل السلطان، ويضرعون إليه فى العفو، فلم يقبل، وبعث واحدًا بعد آخر يستعجل الوالى فى توسيطهما وهو يتباطأ، رجاء أن يقع العفو عنهما. فلما طال الأمر بعث السلطان من أشد أعوانه من يحضر توسيطهما فخرج وأغلظ للوالى فى القول. فقدم لعفيف فاستسلم، وثبت حتى وسط قطعتين بالسيف. وقدم خضر، فجزع جزعا شديًا، ودافع عن نفسه، وصاح، فتكاثروا عليه فوسطوه توسيطا شنيعا، لتلويه واضطرابه. ثم حملا إلى أهليهما بالقاهرة. فساء الناس ذلك، ونفرت قلوبهم من السلطان، وكثرت قالتهم، فكانت حادثة لم ندرك مثلها. ومن حينئذ تزايد البلاء بالسلطان إلى يوم الخميس تاسع عشرينه، فاستدعى السلطان الأمير الكبير جقمق العلاى الأتابك ومن تأخر من الأمراء المقدمين، وقال لهم: «انظروا فى أمركم»، وخوفهم مما جرى بعد المؤيد شيخ من الاختلاف وإتلاف أمرائه، فطال الكلام، وانفضوا عنه، على غير شىء عقدوه، ولا أمرًا أبرموه.

شهر ذى القعدة، أهل بيوم السبت:

والناس فى أنواع من البلاء الذى لم نعهد مثله مجتمعا، وهو أن السلطان تزايدت أمراضه، وأرجف بموته غير مرة، وشنع الموت فى مماليكه سكان الطباق، حتى لقد مات منهم فى هذا الوباء نحو آلاف. ومات من الخدام الخصيان مائة وستون طواشى، ومات من الجوارى بدار السلطان زيادة على مائة وستين جارية، سوى سبع عشرة حظية وسبعة عشر ولدا، ذكورا وإناثا.

وشمل عامة دور القاهرة ومصر وما بينهما الموت أو المرض، وكذلك جميع بلاد الشام من الفرات إلى غزة، حتى أن قفلا توجه من القاهرة يريد دمشق، فما نزل بالعريش حتى مات ممن كان سائرا فيه زيادة على سبعين إنسانا، منهم عدة من معارفنا. ومع هذا كساد المبيعات وتعطل الأسواق، إلا من بيع الأكفان وما لابد للموتى منه، كالقطن ونحوه، إلا أنه منذ أهل هذا الشهر أخذت عدة الأموات تتناقص فى كل يوم.

وفى أوله: وصل العسكر المجرد إلى مدينة أبلستين.

وفى يوم الثلاثاء رابعه: عهد السلطان إلى ولده المقام الجمالى يوسف، وذلك أنه لما تزايد به المرض، حدث عظيم الدولة القاضى زين الدين عبد الباسط الأمير صفى الدين جوهر الخازندار فى أمر المقام الجمالى، وأشار له أن يفاوض السلطان فى وقت خلوته به، أن يعهد إليه بالسلطنة من بعد وفاته، ويحسن له ذلك، فاتفق أن السلطان أمر الأمير

جوهر أن يحرر له جملة ما يتحصل من أوقافه على أولاده، فلما أوقفه على ذلك، وجد السبيل إلى الكلام، فأعلمه بما أشار به القاضى زين الدين عبد الباسط من العهد إلى المقام الجمالى، فأعجبه ذلك، وأمر باستدعائه. فلما مثل بين يديه، سأله عما ذكر له جوهر عنه، فأخذ يحسن ذلك، ويقول: «فى هذا اجتماع الكلمة، وسد باب الفتن، وعمارة بيت السلطان، ومصلحة العباد، وعمارة البلاد» ونحو ذلك من القول. فأجاب السلطان إلى ذلك، ورسم له باستدعاء الخليفة والقضاة والأمراء والمماليك وأهل الدولة، وحضورهم فى غد، فمضى عنه القاضى زين الدين ون زل إلى داره بالقاهرة، وبعث إلى المذكورين أن يحضروا غدًا بين يدى السلطان بكرة النهار، وتقدم إلى القاضى شرف الدين أبى بكر الأشقر - نائب كاتب السر - بكتابة عهد المقام الجمالى، وذلك أن القاضى صلاح الدين محمد بن نصر الله كاتب السر - من حين وسط العفيف وخضر - تغير مزاجه، واشتد جزعه إلى أن حم فى ليلة الجمعة، ونزل من القلعة، ولزم الفراش ومرضه يتزايد، وقد ظهر به الطاعون فى مواضع من بدنه، فبادر القاضى شرف الدين، وكتب العهد ليلا. وأصبح الجماعة فى يوم الثلاثاء رابعه وهم بالقلعة، فأخرج السلطان إلى موضع يشرف على الحوش، وقد وقف به الأمير خشقدم الطواشى مقدم المماليك، ومعه جميع من بقى من المماليك السلطانية سكان الطباق بالقلعة، وجميع من هو أسفل القلعة، من المشتروات والمستخدمين. وجلس الخليفة أمير المؤمنين المعتضد بالله أبو الفتح داود، وقضاة القضاة الأربع على مراتبهم، والأمير الكبير جقمق العلاى أتابك العساكر، ومن تأخر من أمراء الألوف والمباشرون، ماعدا كاتب السر فإنه شديد المرض. ثم قام القاضى زين الدين عبد الباسط وفتح باب الكلام فى عهد السلطان من بعد وفاته لابنه المقام الجمالى بالسلطنة وقد حضر أيضا مع أبيه، فاستحسن الخليفة ذلك وأشار به. فتقدم القاضى شرف الدين الأشقر بالعهد إلى بين يدى السلطان، فأشهد السلطان على نفسه بأنه عهد إلى ولده الملك العزيز جمال الدين أبى المحاسن يوسف - من بعد وفاته - بالسلطنة فأمضى الخليفة العهد، وشهد بذلك القضاة. ثم إن السلطان التفت إلى مقدم المماليك وكلمه بالتركية - والمماليك تسمعه - كلاما طويلا؛ ليبلغه عنه إلى المماليك، حاصله أنه اشتراهم ورباهم، وأنهم أفسدوا فسادا كبيرا، عدد فيه ذنوبهم، وأنه تغير من ذلك عليهم ومازال يدعو الله عليهم حتى هلك منهم من هلك فى طاعون سنة ثلاث وثلاثين، ثم إنه اشترى بعدهم طوائف ورباهم، فشرعوا أيضا فى الفساد، كما فعل أولئك الهالكون بدعائه: «وأنه قد وقع فيكم الطاعون فمات منكم من مات، وقد عفوت عنكم، وأنا ذاهب إلى الله وتارك ولدى هذا وهو وديعتى

عندكم، وقد استخلفته عليكم، فاسمعوا له وأطيعوه، ولا تختلفوا، فيدخل بينكم غيركم فتهلكوا». وأوصاهم ألا يغيروا على أحد من الأمراء وأن يبقوا الأمراء المجردين على أمرياتهم، ولا يغيروا نواب الممالك. فاشتد عند ذلك بكاؤهم، وبكى الحاضرون أيضا ثم أقسم السلطان وأعيد إلى فراشه، وقد كتب الخليفة بإمضاء عهد السلطان، وشهد عليه فيه القضاة بذلك، ثم كتب القاضى شرف الدين الأشقر إشهادًا على السلطان بأنه جعل الأمير الكبير جقمق العلاى قائما بتدبير أمور الملك العزيز، وأخذ فيه خط الخليفة بالإمضاء، وشهادة القضاة عليه بذلك، فألصقه بالعهد، وانفضوا جميعهم.

وفى هذا اليوم: أنفق فى المماليك السلطانية كل واحد مبلغ ثلاثين دينارا، فكانت جملتها مائة وعشرون ألف دينار.

وفيه خلع على تغرى بردى - أحد أتباع التاج الشويكى - واستقر فى ولاية القاهرة، عوضا عن عمر بن سيفا أخى التاج، فإنه مرض بالطاعون من آخر نهار الجمعة.

وفى يوم الجمعة سادسه: [1] استدعى الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله إلى القلعة. فلما مثل بين يدى مولانا السلطان أمر به، فخلع عليه، واستقر به فى كتابة السر، عوضا عن ولده صلاح الدين محمد، وقد توفى. فنزل فى موكب جليل على فرس رائع بقماش ذهب، أخرج له من الإسطبل السلطانى [2]. وخلع معه أيضا على نور الدين على بن السويفى، واستقر فى حسبة القاهرة، عوضا عن دولت خجا، وقد مات فى أول الشهر.

وفى هذا الشهر: أتلف الجراد بضواحى القاهرة كثيرا من المقاتى، كالخيار والبطيخ والقثاء والقرع. ووقع الطاعون فى الغنم والدواب. ووجد فى النيل سمك كثير طاف قد مات من الطاعون.

وأما الطاعون - فإنه كما تقدم - ابتدأ بالقاهرة من أول شهر رمضان، وكثر فى شوال حتى تجاوز عدة من يصلى عليه فى مصلى باب النصر كل يوم أربعمائة ميت، سوى بقية المصليات وعدتها بضع عشرة مصلى. ومع ذلك فلم تبلغ عدة من يرفع فى أوراق ديوان المواريث قط أربعمائة. وسببه أن الناس أعدوا توابيت للسبيل، ومعظم من يموت إنما هم الأطفال والإماء والعبيد، فلا يحتاج أهلهم إلى إطلاقهم من الديوان [3].

---

(١) فى النجوم الزاهرة « سابع».

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٢٨٣/١٤.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ٢٨٣/١٤.

ومن أعجب ما وقع فى هذه الأيام أن رجلا نادى على قباء فى عدة أسواق، فلم يجد من يشتريه لكساد الأسواق. وكان سوق الرقيق قد أغلق وتعطل بيع الرقيق فيه لكثرة من يموت منهم، فاحتاج رجل إلى بيع عبد له، فأخذه بيده وصار ينادى عليه فى شارع القاهرة: «من يشترى هذا العبد» فلم يجبه أحد، مع كثرة الناس بالشارع، وإنما تركوا شراءه خوفا من سرعة موته بالطاعون.

وفى حادى عشره: رحل الأمراء المجردون من أبلستين، ومعهم نواب الشام وعساكرها من غزة إلى الفرات، وجميع تركمان الطاعة، وتوجهوا فى جميع كبير يريدون مدينة آقشهر، حتى نزلوا عليها وحصروها.

ومن يوم السبت خامس عشره: (١) اشتد مرض السلطان، ثم حجب عن الناس، فلم يدخل إليه أحد من الأمراء والمباشرين عدة أيام، سوى الأمير أينال شاد الشربخاناه، والأمير على بيه، والأمير صفى الدين جوهر الخازندار، والأمير جوهر الزمام. فإذا صعد القاضى زين الدين عبد الباسط والمباشرون إلى القلعة، أعلمهم هؤلاء بحال السلطان. هذا، والإرجاف يقوى، والأمراء والمماليك السلطانية فى حركة، وقد صاروا فرقا مختلفة الآراء. والناس على تخوف من وقوع الحرب، وقد وزعوا فى دورهم، وأخفى أهل الدولة أولادهم ونساءهم خوفا من النهب، وأهل النواحى بالصعيد والوجه البحرى قد نجم النفاق فيهم، وخيفت السبل، شاما ومصرا. وقد تناقصت عدة الأموات بالقاهرة ومصر منذ أهل هذا الشهر، كما تقدم.

وفى أخريات هذا الشهر: هجم على المسجد على الحرام بمكة سيل عظيم، ملأ الحرم من غير تقدم مطر بمكة.

شهر ذى الحجة، أهل بيوم الإثنين: والناس بديار مصر من قلة الخدم فى عناء وجهد، فإنه مات بالقاهرة ومصر وما بينهما فى مدة شهر رمضان وشوال وذى القعدة زيادة على مائة ألف إنسان، معظمهم الأطفال، وأكثر الأطفال البنات، ويلى الأطفال فى كثرة من مات الرقيق، وأكثر من مات من الرقيق الإماء، بحيث كادت الدور أن تخلو من الأطفال والإماء والعبيد. وكذلك جميع بلاد الشام بأسرها.

وأما السلطان فحدث له مع سقوط شهوة الغذاء مدة أشهر، ومع انحطاط قواه، ما ليخوليا (٢) فكثر هذيانه وتخليطه، ولولا أن الله تعالى أضعف قوته لما كان يؤمن مع ذلك من إفساد شىء كثير بيده، إلا أنه فى أكثر الأوقات غائب، فإذا أفاق هذى وخلط.

---

(١) جاء فى النجوم « فى يوم الثلاثاء خامس عشرين ذى القعدة» ١٤/٢٨٤.

(٢) هو الانقباض واضطراب العقل.

وصار العسكر فى الجملة قسمين: قسم يقـال عنهـم أنهـم قرانصـة، وهـم الظاهرية والناصرية والمؤيدية، وكلمتهم متفقة على طاعة الملك العزيـز، وأن يكـون الأمـير الكبـير جقمق العلاى نظام الملك، كما قرره السلطان، وأنهم لا يصعدون إلى القلعة خوفا على أنفسهم مـن المـاليك الأشرفية. والقسـم الآخـر المـاليك الأشـرفية - سـكان الطبـاق بالقلعة - ورأيهم أن يكون الملك العزيز مستبدًا بـالأمر وحـده، وأعيـانهم الأمـير أينـال شاد الشرابخاناه، والأمير يخشى باى أمير أخور ثانى، والأمير على بيه الخازندار، والأمـير مغلباى الجقمقى أسـتادار الصحبـة، والأمـير قرقمـاس قريـب السـلطان. وهـذه الطائفـة الأشرفية مختلفة بعضها علـى بعـض. فلمـا اشـتهر أمـر هذيـن الطـائفتين وشـنعت القالـة عنهما، قام عظيم الدولة القاضى زين الدين عبد الباسط فى لم هذا الشعث، وإخماد نـار الفتنة؛ ليصلح بين الفريقين. ووافقه علـى ذلـك الأمـير أينـال الشـاد، فاستدعى سـكان الطباق من المماليك إلى جامع القلعة، وأرسل إلى القضاة [1].

فلما تكامل الجمع مازال بهم حتى أذعنوا إلى الحلف، فتولى تحليفهم القـاضى شـرف الدين الأشقر نائب كاتب السر، على الإقامـة على طاعـة الملـك العزيـز، والاتفـاق مـع الأمير الكبير جقمق، وألا يتعـرض أحـد منهـم لشـر ولا فتنـة، ولا يتعرضـوا لأحـد من الأمراء المقيمين بديار مصر، ولا إلى الأمراء المجردين ولا إلى كفلاء ممالك الشام فى نفس ولا مال ولا رزق. فلما حلف الأمير أينال والأمير علـى بيـه، والأمـير تمربـاى الـدوادار، وعامة المماليك، حلف القاضى زين الدين عبد الباسط أن يكون مع الفريقين، ولا يباطن طائفة على الأخرى، ثم قام الجميع، وقصد القاضى زين الدين دار الأمير الكبير جقمـق، ومعه عدة من أعيان الأشرفية، حتى حلفه، وحلف بعده من بقى بديار مصر من الأمراء. ثم نزل بعد ذلك الأمير أينال ثم الأمير على بيه إلى الأمير الكبير جقمق، وقبل كل منهما يده، فابتهج بهما، وبالغ فى إكرامهما. وسكنت تلك الثائرة. و لله الحمد.

وفى يوم الأربعاء عاشره: - وهو يـوم عيـد النحـر - خـرج الملـك العزيـز، فصلـى صلاة العيد بجامع القلعة، وقد صعد إلى خدمته بالجامع الأمير الكبير جقمق، ومـن عـداه من الأمراء. ثم مشوا فى الخدمة بعد الصلاة، حتـى جلـس علـى بـاب السـتارة. وخلـع على الأمير الكبـير، وعلـى مـن جـرت عادتـه بـالخلع فـى يـوم عيـد النحـر. ونزلـوا إلى دورهم. فقام الملك العزيز، ودخل، وذبح، ونحر الضحايا بالحوش[2] هـذا، وقـد توالـت على السلطان نوب الصرع مرارا، وتخلت قواه، حتى صار كما قيل.

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٤/ ٢٨٤،٢٨٥.

(٢) فى النجوم « بالحوش السلطانى».

ولم يبق إلا نفس خافت ومقلة إنسانها باهت

يرثى له الشامت مما به ياويح من يرثى له الشامت

حتى مات عصر يوم السبت ثالث عشره. تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته[١].

* * *

السلطان الملك العزيز جمال الدين

أبو المحاسن يوسف ابن الأشرف برسباى [٢]

أقيم فى الملك بعد أبيه، وذلك أن السلطان برسباى لما مات بادر القاضى زين الدين عبد الباسط، والأمير أينال الشاد، والأمير على بيه، والأمير تمرباى الدوادار، وقد اجتمعوا بالقلعة، وبعثوا فى الحال القاضى شرف الدين الأشقر فى استدعاء الخليفة، وبعث القاضى زين الدين بعض غلمانه فى طلب القضاة، فأتوا جميعًا. ودخل الأمير جوهر الزمام، فأخرج بالملك العزيز إلى باب الستارة، وأجلس هناك، وطلب الأمير الكبير جقمق وبقية الأمراء، ونزل المماليك من الطباق. فلما تكامل جمعهم، وحضر الوزير وكاتب السر، وناظر الخاص، فوض الخليفة السلطنة للملك العزيز، وأفاض عليه التشريف الخليفتى، وقلده السيف وقد بقى لغروب الشمس نحو ساعة. وعمر السلطان يومئذ أربع عشرة سنة وسبعة أشهر، فقام من باب الستارة، وركب فرسه، ورفعت القبة والطير على رأسه، وقد حملها الأمير الكبير. وسار، والكل مشاة فى ركابه، حتى عبر إلى القصر، فجلس على تخت الملك وسرير السلطنة، وقبل الأمراء وغيرهم الأرض له. وقرأ العهد بالسلطنة الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله كاتب السر، فخلع على الخليفة، وعلى الأمير الكبير، وعلى كاتب السر. وخرجوا من القصر، وقد غسل السلطان الملك الأشرف برسباى وكفن، وأخرج بالجنازة من الدور إلى باب القلة فوضعت هنالك. وتقدم قاضى القضاة شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن حجر الشافعى فصلى بالناس عليها قبيل الغروب، وشيع الأمراء والمماليك وغيرهم الجنازة حتى دفنت بالتربة التى أنشأها رحمه الله خارج باب المحروق بالصحراء، تحت القبة. وقد اجتمع من الناس ما لا يحصيهم إلا خالقهم، سبحانه. والناس بالقاهرة فى بيعهم وشرائهم بالأسواق فى أمن ودعة وسكون. ونودى فى القاهرة بالأمان والاطمئنان والبيع والشراء، وأن يترحموا على الملك الأشرف، والدعاء للسلطان الملك العزيز جمال الدين

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٨٥.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٨٦ ١٥/٣ وما بعدها.

أبى المحاسن. وأن النفقة فى يوم الإثنين مائة دينار، لكل واحد من المماليك، فازداد الناس طمأنينة. و لم يكن شىء مما كان يتوقع من الشر، والحمد لله.

وفى يوم الأحد رابع عشره: اجتمع أهل الدولة للصبحة عند قبر السلطان. وقد بات القراء يتناوبون القراءة، عند قبره ليلتهم، فختموا القرآن الكريم، ودعوا، ثم انفض الجمع. وأقام القراء للقراءة عند القبر سبعة أيام.

وفيه عملت الخدمة السلطانية بالقصر، وحضر الأمير الكبير وسائر أهل الدولة على العادة، فزاد السلطان الخليفة جزيرة الصابونى [1] زيادة على ما بيده.

وفيه كتبت البشائر إلى البلاد الشامية وأعمال مصر، بسلطنة الملك العزيز.

وفى يوم الإثنين خامس عشره: جلس السلطان بالحوش من القلعة، وعنده الأمراء والمباشرون، وابتدئ فى النفقة على المماليك، فأنفق فيهم مائة دينار لكل واحد.

وفيه توجه الأمير أينال الأحمدى - المعروف بالفقيه - بالبشارة إلى البلاد الشامية، وعلى يده مع الكتب للنواب، الكتب للأمراء المجردين.

وفى سادس عشره: أنفق فيمن بقى من المماليك.

وفيه قدم مراد بك رسول الأمير حمزه بن قرايلك صاحب ماردين وأرزن كان، وصحبته شمس الدين القطماوى، ومعهما هدية، وكتاب يتضمن دخوله فى طاعة السلطان، وأنه أقام الخطبة وضرب السكة باسم السلطان الملك الأشرف، وجهز الدنانير والدراهم بالسكة السلطانية. وعلى يد شمس الدين القطماوى كتب الأمراء المجردين. وكان سبب ذلك أن الأمراء لما قدمت حلب، كاتبوا حمزة المذكور يدعوه إلى طاعة السلطان وقدومه إليهم، فأجاب بالسمع والطاعة، وأقام الخطبة، وضرب السكة باسم السلطان، وجهز هديته وما ضربه من المال، فلم يتفق قدوم ذلك إلا بعد موت السلطان، فأكرم الرسولان وأنزلا ثم أعيدا بالجواب، ومعهما هدية وتشريف للأمير حمزة.

وفيه خلع على الأمير طوخ مازى، واستقر فى نيابة غزة، وكانت شاغرة منذ مات نائبها.

وفى يوم السبت عشرينه: وقع بين جكم الخاصكى - خال السلطان - وبين الأمير

---

(١) تقع تجاه رباط الآثار، وقد وقفها نجم الدين أيوب بن شادى وقطعة من بركة الحبش، فجعل نصف ذلك على الشيخ الصابونى وأولاده، والآخر على الصوفية. انظر المواعظ والاعتبار ١٨٥/٢.

أينال مفاوضة، آلت إلى شر؛ وسبب ذلك أن الكلام والتحدث فى أمور المملكة صار بين ثلاثة: الأمير الكبير نظام الملك جقمق، والقاضى زين الدين عبد الباسط، والأمير أينال. ولزم السلطان السكوت، فلا يتكلم فأنكر جكم على أينال أمره ونهيه فيما يتعلق بأمر الدولة، وكونه أقام بالقلعة وصار يبيت بها، فغضب منه أينال، ونزل من القلعة إلى داره، فكان هذا ابتداء وقوع الخلف الذى آل إلى ما سيأتى ذكره، إن شاء الله تعالى.

وفيه تجمع كثير من المماليك تحت القلعة، وأرادوا أن يفتكوا بالقاضى زين الدين عبد الباسط. فلما نزل من القلعة أحاطوا به، وجرت بينهم وبينه مقاولات، أغلظوا فيها عليه، ولم يقدروا على غير ذلك، وخلص منهم إلى بيته.

وفى هذا الشهر: - والذى قبله - فشا الموت بالطاعون فى الإسكندرية، ودمياط، وفوه، ودمنهور، وما حول تلك الأعمال، فمات بها عالم كبير. وتجاوزت عدة من يموت بالإسكندرية فى كل يوم مائة إنسان.

وفى يوم السبت سابع عشرينه: ابتدئ بالنداء على النيل، فزاد خمسة أصابع.

وجاءت القاعدة خمسة أذرع وثلاثة وعشرين أصبعا، واستمرت الزيادة فى كل يوم. ولله الحمد.

وفيه أنعم بإقطاع السلطان على الأمير نظام الملك جقمق، بعدما سئل السلطان فى ذلك فأبى، ثم غلب عليه حتى أخرجه له. وأنعم بإقطاع الأمير جقمق على الأمير تمراز القرمشى أس نوبه أحد المجردين. وأنعم بإقطاع الأمير تمرار على الأمير تمرباى الدوادار، وأنعم بإقطاع الأمير تمرباى على الأمير على بيه. وأنعم باقطاع الأمير طوخ مازى نائب غزة على الأمير يخشى بيه أمير أخور ثانى، وأنعم باقطاع يخشى بيه على يل خجا الساقى رأس نوبة، وأنعم باقطاع يل خجا وإمرته - وهى إمرة عشرة - على قانبيه الجركسى، وخلع على الأمير أينال، واستقر دوادارًا عوضا عن الأمير تمرباى.

وفى يوم الأحد ثامن عشرينه: خلع على على بيه، واستقر شاد الشرابخاناه، عوضا عن الأمير أينال الدوادار.

وفى يوم الإثنين تاسع عشرينه: خلع على سيف الدين دمرداش - أحد المماليك الأشرفية - واستقر فى ولاية القاهرة، عوضا عن تغرى بردى التاجى.

وفيه تجمع كثير من المماليك تحت القلعة، وأحاطوا بالأمير الكبير نظام الملك عند

نزوله من الخدمة السلطانية بالقلعة إلى جهة بيتـه؛ ليوقعـوا بـه، فتخلـص منهـم مـن غـير سوء، هذا والقاضى زين الدين عبد الباسط من المماليك فى عناء شديد.

وقدم الخبر بأن العسكر المجرد لما قصـد مدينـة آقشـهر [١] تلقـاهم سـلطان أحمـد بـن قليج أرسلان صاحب تلى صار - وقد رغب فى الطاعة السلطانية - وسار معهم حتـى نازلوا مدينة آقشهر فى أول ذى الحجة، فهرب متملكها حسن الأيتاقى فى ليلـة الثلاثـاء ثانيه إلى قلعة برداش، فملك العسكر المدينة وقلعتهـا، وقبضـوا علـى عـدة مـن أعيانهـا، وبعثوا بسلطان أحمد بن قليج أرسلان على عسكر، فملك قلعتى فارس وتمشلى، فـأقروه علـى نيابـة السـلطنة بهمـا. وسـاروا لمحاصرة حسـن بقلعـة بـرداش ففـر منهـا إلى قلعـة بزطلش، فنزل من العسكر عليهـا حتـى أخذهـا فـى ثـامن عشـره الأمـير قرقمـاس أمـير سلاح، بعد أن قاتل أهلها بضعة عشر يوما. ثم هدمها حتى سوى بها الأرض، وقد فـر منها حسن أيتافى. ثم سار الأمير قرقماس بمن معه مع بقية العسـاكر يريـدون أرزنكـان، فقدم عليهم الأمير مرزا ابن الأمير يعقوب ابن الأمـير قرايلـك رسـولا مـن أبيـه يعقـوب صاحب أرزنكان وكماخ [٢] وقد خرج عن أرزنكـان ونـزل كمـاخ، وقـدم مـع مـرزا زوجة أبيه وعدة مـن القضـاة والأعيـان بأرزنكـان، يسـألون العفـو عـن الأمير يعقـوب وإعفائه من قدومه إليهم وأن يجهز لنيابة السلطنة بأرزنكان الأمير جهان كير ابـن الأمـير ناصر الدين على باك بن قرايلوك، فأجيبوا إلى ذلك كله، وخلع على الأمير مرزا، ودفـع إليه خلعة لأبيه الأمير يعقوب، وفرس بقماش ذهب. وأعيد وصحبته الأمير جهـان كـير، وقـد خلـع عليـه بنيابـة أرزنكـان. وسـاروا وقـد جهـز إلى أرزنكـان بالأمـير سـودون النوروزى دوادار نائب حلب، ومعه نائب دوركى ونائب بهنسـنى، فتسـلموا أرزنكـان بلا مانع، وأقاموا بها. ثم توجه القاضى معين الديـن عبـد اللطيـف ابـن القـاضى شـرف الديـن الأشـقر كـاتب السـر بحلـب، حتـى حلـف أهـل أرزنكـان بالإقامـة علـى طاعـة السلطان، ثم سارت العساكر من آقشهر فى ثانى عشرينه حتـى نزلـت علـى أرزنكـان، وعسكروا هناك، فخرج إليهم أهلها، وباعوا عليهـم مـا أرادوا منهـم، وفتحـت أبـواب المدينة، والعساكر يدخل منها المدينة من أراد ذلك، من غير ضرر ولا نهـب، واسـتمروا على ذلك إلى آخر الشهر.

---

(١) آقشهر: تقع إلى الشمال الغربى من قونية على مسيرة ثلاثة أيام منها. انظر تقويم البلدان.

(٢) كماخ: كَمْخُ: مدينة بالروم، وسـأل يـاقوت واحـدًا مـن تلـك النواحـى فقـال هـى: كمـاخ بالألف لا شك فيها، وبين كماخ وأرزنجان يوم واحد. انظر معجم البلدان ٤٧٩/٤.

وقدم الخبر بأن ملك البرتقال صاحب مدينة شلب [١] من الأندلس سار يريد مدينة طنجة، فنزل على سبتة فى المحرم، ومضى منهما وهى بيده فى البر والبحر، ومعه فيما يقال ثمانية عشر ألف رام، وستة آلاف فارس، حتى نزل على طنجة فحصرها مدة شهر إلى أن أتته جموع المسلمين من فاس ومكناسة [٢] وأصيلا [٣] فى شهر ربيع الآخر، فكانت بينهم وبين البرتقال من النصارى حروب عظيمة، نصر الله فيها المسلمين، وقتل نحو الثلثين من النصارى. والتجأ باقيهم إلى محلتهم فضايقهم المسلمون حتى طلبوا الأمان على أن يسلموا المسلمين مدينة سبتة، ويفرجوا عن سبعمائة أسير من المسلمين، ويدفعوا ما بأيديهم من آلات الحرب للمسلمين فأمنوهم، وبعثوا برهائنهم على ذلك، فصار المسلمون يأخذون النصارى ويوصلونهم إلى أسطولهم بالبحر. فحسد أحمد اللحيانى - القائم بتدبير مكناسة - الأزرق وهو أبو زكريا حى بن زيان بن عمر الوطاسى - القائم بتدبير مدينة فاس - وقتل عدة من النصارى، ورحل، فحنق النصارى؛ من ذلك، وحطموا على المسلمين حطمة قتل فيها جماعة، وخلصوا إلى أصطولهم وبقى ابن ملكهم فى يد المسلمين، فلما وصلوا إلى بلادهم، لم يرض أكابرهم بتسليم سبتة للمسلمين، وبعثوا فى فداء ابن الملك بمال، فلم يقع بينهم وبين الرسول اتفاق، وسجنوه مع ابن الملك المرتهن عند صالح بن صالح بن حمو، بطنجة فيقول المكثر أن الذى قتل من النصارى فى هذه الواقعة خمسة وعشرون ألفا، وغنم المسلمون منهم أموالا كثيرة. ولله الحمد.

* * *

ومات فى هذه السنة

بالطاعون وفى الحرب عالم عظيم جدا من أهل الأرض، فممن له ذكر وشهرة: سعد الدين إبراهيم بن كريم الدين عبد الكريم بن سعد الدين بركة [٤]، المعروف بابن كاتب جكم ناظر الخاص ابن ناظر الخاص، فى يوم الخميس سابع عشر شهر ربيع الأول، عن نحو ثلاثين سنة. وكان من المترفين، المنهمكين فى اللذات المنغمسين فى الشهوات، ونزل السلطان فصلى عليه تحت القلعة، ودفن عند أبيه بالقرافة.

---

(١) شِلْبُ: وهى مدينة بغربى الأندلس بينها وبين باجة ثلاثة أيام، وهى غربى قرطبة. انظر معجم البلدان ٣/٣٥٥.

(٢) سبق ترجمتها.

(٣) تقع غربى طنجة، وبينهما مرحلة انظر معجم البلدان.

(٤) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٣٦٤.

ومات الأمير تمراز المؤيدى [١] خنقا بالإسكندرية، فى ثالث عشرين جمادى الآخرة، وهو أحد المماليك المؤيدية شيخ، رباه صغيرًا إلى أن تغير عليه، وضربه، ونفاه إلى طرابلس، فتنقل بعد موت المؤيد إلى أن ركب مع الأمير قانباى، فقبض عليه، وسجن بقلعة الروم مدة. ثم أفرج عنه، وأنعم عليه بإمرة عشرة بحلب، ثم نقل بعد مدة على إمرة بدمشق. ثم ولى نيابة صفد، ونقل منها لنيابة غزة، ثم قبض عليه لما قدم على السلطان وسجن بالإسكندرية وبها قتل، ولم يكن مشكورا.

ومات الأمير جانبك الصوفى [٢] فى يوم الجمعة خامس عشر شهر ربيع الآخر، وهو أحد المماليك الظاهرية برقوق. ترقى فى الخدم، وصار من أمراء الألوف، وتنقلت به الأحوال حتى قبض عليه الأشرف برسباى، وسجنه، ففر من سجنه بالإسكندرية، وأعيا السلطان تطلبه، وامتحن جماعة بسببه، إلى أن ظهر عند ابن دلغادر، وحاول ما لم يقدر عليه، فهلك دون بلوغ مراده. وحمل رأسه إلى السلطان، كما مر ذكره مشروحا. وكان ظالما، عاتيا، جبارا، لم يعرف بدين ولا كرم.

ومات شمس الدين محمد بن الخضر بن داود بن يعقوب، المصرى شهرة، الحلبى الشافعى [٣] فى يوم الأحد النصف من شهر رجب، وكان خيرًا دينًا كثير التلاوة للقرآن، فاضلا، حسن المحاضرة وتصرف فى الكتابة بديوان الإنشاء مدة. ثم توجه إلى القدس بعدما أقام بالقاهرة سنين، فمات هناك. رحمه الله.

ومات بمكة - شرفها الله - الأمير جانبك الحاجب، المجرد على المماليك إلى مكة، فى حادى عشر شعبان. ومستراح منه.

ومات بدمشق الشيخ علاء الدين محمد بن محمد بن محمد البخارى الحنفى [٤] فى خامس شهر رمضان. وكان ورعا بارعا فى علوم، من عربية ومعان وبيان وغير ذلك، وله فى الدولة مكانة. سكن بلاد الهند، وعظم عند ملكها، ثم قدم القاهرة، وتصدر لإفادة العلم فقرأ عليه جماعة، وعظم قدره. ثم سكن دمشق حتى مات بها.

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٣٦٦.

(٢) هو الأمير الكبير سيف الدين جانبك بن عبد الله الصوفى الظاهرى، صاحب الوقائع والأهوال والحروب. انظر النجوم الزاهرة ١٤/٣٦٤.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٣٦٦ وقد كان دينا خيرا وله رواية عالية بسنن ابن ماجة وحدث وأسمع سنين.

(٤) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٣٦٧.

ومات بالقاهرة الشيخ علاء الدين على بن موسى بن إبراهين الرومى الحنفى (١) فى يوم الأحد عشرين شهر رمضان، وكان قدم من بلاد الروم، وولى تدريس المدرسة الأشرفية برسباى، ومشيخة التصوف بها مدة، ثم عزل عنها، وكان فاضلا فى عدة علوم، مع طيش وخفة، وجرأة بلسانه على ما لا يليق، وفحش فى مخاطبته عند البحث معه. عفا الله عنه.

ومات الأمير آق بردى نائب غزة، فأراح الله بموته من جوره وطمعه.

ومات ناصر الدين محمد بن بدر الدين حسن بن سعد الدين محمد الفاقوسى (٢) موقع الدست، فى ليلة الإثنين تاسع عشر شوال، عن بضع وسبعين سنة. وكان حشما، رئيسا، له مروءة وفيه أفضال وبر وصدقات. رحمه الله.

ومات الأمير دولات خجا، أحد المماليك الظاهرية. ولى ولاية القاهرة ثم حسبتها. وكان عسوفا جبارًا كثير الشر، يصفه من يعرفه بأنه ليس بمسلم، وأنه لا يخاف الله، وكان موته يوم السبت أول ذى القعدة، وقد شاخ (٣).

ومات الأمير القاضى صلاح الدين محمد ابن الصاحب الأمير الوزير بدر الدين حسن بن نصر الله (٤) فى ليلة الأربعاء خامس ذى القعدة، وقد أناف على الخمسين، وكان جميل الصورة عاقلا، رزينا، يكتب الخط المنسوب، ويعرف الحساب معرفة جيدة. ولى الحجوبية من صغره مدة، ثم باشر أستادارية السلطان مرتين، وولى حسبة القاهرة ثم صار جليس السلطان وسميره. وولاه مع مجالسته كتابة السر مسئولا بها فباشرها مع الحسبة، ونظر دار الضرب، ونظر الأوقاف، وغير ذلك حتى مات. رحمه الله. فلقد أحزننا فقده. ومولده فى رمضان سنة إحدى وتسعين وسبعمائة.

ومات شهاب الدين أحمد ابن الأمير علاء الدين على ابن الأمير سيف الدين قرطاى، المعروف بابن بنت الأمير بكتمر الساقى (٥) سبى جده قرطاى من بلاد الروم، وجىء به إلى الديار المصرية - فترقى فى الخدم، حتى صار من جملة الأمراء. وولى ابنه

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٣٦٨.

(٢) كان حشما وقورًا، وله فضل وأفضال، وحدث سنين، وسمع منه خلائق وكان معدودًا من الرؤساء بالديار المصرية. انظر النجوم الزاهرة ١٤/٣٦٩.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٣٦٩.

(٤) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٣٧٠.

(٥) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٣٧١.

على بن قرطاى نقابة الجيش، وتزوج بابنة الأمير ناصر الدين محمد ابن الأمير بكتمر الساقى، فولد له منها أحمد فى يوم الأحد ثالث عشرين شعبان سنة ست وثمانين وسبعمائة. ونشأ فى عز وترف وحشمة ورياسة وسعة دنيا. فمال إلى الفضائل، وكتب على شيخنا علاء الدين عصفور، فبرع فى الكتابة وفنونها، حتى فاق فى كتابة المنسوب أبناء عصره. ونظم الشعر المليح، وأتقن صنائع عديدة. ونظر فى عدة علوم حتى مات، فى ليلة الإثنين عاشر ذى القعدة. وكان مجموعًا حسنًا، ذا فضائل جمة، ووجه جميل، وشكل مليح، وخلق رضى، ونفس سمحة، وذكاء، وحسن تصور، وثراء واسع، وحشمة وافرة. رحمه الله، فلقد كان لى به أنس، ومنه نفع. كتب إلى وقد قدمت من الحجاز من شعره:

أيا مولاى دم أبدًا بخير ... وعزما جرت شمس النهار
لرؤيتك السنية مت شوقًا ... وقد دنت الديار، من الديار

ومات الأمير سليمن بن أورخان بك بن محمد كرشجى بن عثمان. ملك جدة محمد كرشجى بلاد الروم، وقبض عمه مراد بن محمد كرشجى ملك الروم على أبيه أورخن بك، وسجنه حتى مات. وقد ولد سليمان ففر به مملوك أبيه، حتى قدم على السلطان الأشرف برسباى فأكرمه ورباه. ثم فر به مملوك أبيه، يريد بلاد الروم، فقبض عليه برسباى وسجنه، ثم أفرج عنه، وتزوج السلطان بأخته شاه زاده.

ومات إسكندر بن قرايوسف ملك تبريز، بعدما تشتت مدة، ثم انهزم إلى قلعة يلنجا، فذبحه ابنه شاه قوماط، فى شهر ذى القعدة. وكان شجاعًا مقدامًا جريئًا، أهوج، لا يرجع إلى دين ولا عقل، بل خرب البلاد، وأكثر فى الأرض الفساد.

ومات نور الدين على بن مفلح، وكيل بيت المال وناظر المارستان، فى يوم الجمعة ثانى عشر ذى الحجة. كان أبوه عبدًا أسود للطواشى كافور الهندى، فأعتقه، وقرأ ابنه على القرآن، وخدم عدة من أهل الدولة، حتى تقرر يقرئ المماليك فى الطباق السلطانية بالقلعة. وأكثر من مداخلتهم، إلى أن تردد إلى القاضى زين الدين عبد الباسط، فارتفع به قدره، وولى الوكالة ونظر المارستان. وعد من رؤساء الناس، وكانت له مروة، وفيه عصبية، وتقعير [1] فى كلامه من غير إعراب ولا علم، إنما هو الحظ لا غيره.

---

(١) وقعر فى كلامه وتقعر تشدق وتكلم بأقصى قعر فمه، وقيل: تكلم بأقصى حلقه. ورجل قيعر وقيعار: متقعر فى كلامه. والتقعير: التعميق. والتقعير فى كلام: التشدق فيه. والتقعير فى الكلام: التشدق فيه. والتقعير: التعمق. وقعر الرجل إذا روى فنظر فيما يغمض من الرأى حتى يستخرجه. ابن الأعرابى: القعر العقل التام. يقال: هو يتقعر فى كلامه إذا كان يتنحى وهو لحانة، ويتعاقل وهو هلباجة. انظر لسان العرب ٣٦٩١. انظر القاموس المحيط (قعر).

ومات السلطان الملك الأشرف برسباى الدقماقى الظاهرى [١] فى يوم السبت ثالث عشر ذى الحجة، وقد أناف على الستين. كان أبوه من أوضع أهل بلاده قدرًا، وأشدهم فقرًا، فأسلم ابنه هذا لحداد، فكان ينفخ عنده بالكير. ثم مات، فتزوجت امرأته برجل، فباع برسباى هذا - وهو صغير - من رجل يهودى اسمه صادق. فخدمه مدة، وتلقن أخلاقه، وتطبع بطباعه، حتى جلبه إلى ديار مصر، فابتاعه الأمير دقماق. ثم بعث به فى جملة تقدمه لما استقر فى نيابة ملطية. فأنزله السلطان الملك الظاهر برقوق فى جملة مماليك الطباق. ثم أخرج له قبل موته خيلا، وأنزله من الطباق، وقد أعتقه. فلما كانت الأيام الناصرية فرج، خرج فيمن خرج إلى الشام، وانتمى إلى الأمير نوروز، ثم إلى الأمير شيخ، فلما قدم الأمير شيخ بعد قتل الناصر إلى مصر، كان فيمن قدم معه، فرقاه، وصار من جملة أمراء الألوف، وعمل كشف التراب. ثم ولاه نيابة طرابلس، وعزله، وسجنه بقلعة المرقب. ثم أنعم عليه بإمرة فى دمشق. فلما مات المؤيد شيخ، قبض عليه الأمير جقمق نائب الشام، وسجنه. ثم أفرج عنه الأمير ططر لما توجه بابن المؤيد إلى الشام. ثم أنعم عليه بإمرة ألف، وعمله دوادار السلطان، لما تسلطن، وقدم به إلى القاهرة، فلما مات الظاهر ططر قام بأمر ولده، ثم خلعه وتسلطن، فدانت له البلاد وأهلها، وخدمته السعود حتى مات. وكانت أيامه هدوء وسكون، إلا أنه كان له فى الشح والبخل والطمع، مع الجبن والجور وسوء الظن ومقت الرعية وكثرة التلون وسرعة التقلب فى الأمور وقلة الثبات، أخبار لم نسمع بمثلها، وشمل بلاد مصر والشام فى أيامه الخراب، وقلة الأموال بها. وافتقر الناس وساءت سير الحكام والولاة، مع بلوغه آماله ونيله أغراضه، وقه أعدائه وقتلهم بيد غيره؛ لتعلموا أن الله على كل شىء قدير.

ومات الأمير سودون بن عبد الرحمن [٢] وهو مسجون بثغر دمياط، فى يوم السبت العشرين من ذى الحجة. وهو من جملة المماليك الظاهرية برقوق. ترقى فى الخدم حتى صار نائب الشام، ثم عزل، وسجن حتى مات، وكان مصرًا على ما لا تبيحه الشريعة من شهواته الخسيسة، وأحدث فى دمشق - أيام نيابته بها - عدة أماكن لبيع الخمر ووقوف البغايا والأحداث، وضمنها بمال فى كل شهر، فاستمرت من بعده. واقتدى به فى ذلك غير واحد، فعملوا فى دمشق خمارات مضمنة بأموال، من غير أن ينكر عليه أحد ذلك، ليقضى الله أمرًا كان مفعولا.

* * *

(١) انظر النجوم الزاهرة ٣٦٣/١٤.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٣٧٢/١٤.

سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة

أهلت هذه السنة ومعظم عساكر مصر والشام فى التجريدة، وبقيتهم بالقاهرة وظواهرها فى اختلاف.

شهر الله المحرم، أوله الثلاثاء:

فيه رحل العسكر المجرد عن مدينة أرزنكان، عائدًا إلى حلب.

وفى رابعه: توجه الأمير تغرى بردى المؤذى على عدة من المماليك السلطانية إلى البحيرة، بسبب قرب لبيد - عرب برقة - من البلاد.

وفيه خلع على جكم الخاصكى خال السلطان، واستقر خازندارًا، عوضًا عن على بيه.

وفى يوم الإثنين سابعه: قدم مبشرو الحاج.

وفى ثامنه: خلع على شهاب الدين أحمد بن شمس الدين محمد المعروف بابن النسخة شاهد القيمة. واستقر فى وكالة بيت المال، وكانت شاغرة منذ وفاة نور الدين على بن مفلح. وخلع على نظام الدين بن مفلح الدمشقى الواعظ، وأعيد إلى قضاء الحنابلة بدمشق، عوضًا عن عز الدين عبد العزيز البغدادى.

وفى يوم الإثنين ثالث عشره: استدعى الشيخ سعد الدين سعد ابن قاضى القضاة شمس الدين محمد الديرى المقدسى شيخ الجامع المؤيدى، وخلع عليه. وقد فوض إليه قضاء الحنفية بديار مصر، عوضًا عن بدر الدين محمود العينى، بعدما سئل بذلك مرارًا وهو يمتنع، ثم أجاب، وشرط على الأمراء أنه لا يقبل رسالة أحد منهم، وأن لا يتجوه[1] عليه فى شىء.

وفيه أنعم على سبعة من المماليك بأمريات عشرة، وهم قانبك الساقى، وقانم التاجر، وجانم الدوادار، وجانبك الساقى، وجكم المجنون، وجكم خال السلطان، وجرباش رأس نوبة الجمدارية.

وفى خامس عشره: أعيد مراد بك قاصد الأمير حمزة بن قرايلك صاحب ماردين

---

(١) يقال: نظر بجوة سوء بوجه سوء.انظر تاج العروس فى شرح القاموس (جوه).

وآمد، والقاضى شمس الدين القطماوى موقع الدست بحلب. وجهز صحبتهما مبارك شاه البريدى، وعلى يده جواب كتاب الأمير حمزه، بشكره والثناء عليه، وتشريف له بنيابة السلطنة، وفرس بقماش ذهب، وهدية ما بين ثياب سكندرى وغيره، وسلاح، ونسخة يمين ليحلف بها على طاعة السلطان ومناصحته. وأجيب الأمراء المجردون أيضًا عن كتبهم، وأن يسارعوا بالحضور.

وفى يوم السبت تاسع عشره: خلع على أزبك خجا المؤيدى رأس نوبة، وعين لتقليد الأمير الجكمى نائب الشام، واستقراره على عادته. وخلع على قانصوه الخاصكى، وعين لتقليد الأمير تغرى برمش نائب حلب، واستقراره على عادته. وعين لتقليد الأمير جلبان نائب طرابلس الأمير أينال الخاصكى، وعين دولات باى الخاصكى لتقليد الأمير قانباى الحمزاوى نائب حماة، ولتقليد على بن طغرق بن دلغادر التركمانى نائب حمص. وعين يشبك الخاصكى لتقليد الأمير أينال الأجرود نائب صفد. وخلع عليهم. هذا، والنواب المذكورين فى التجريدة. وكتب إليهم جميعًا بسرعة قدومهم.

وفيه حل بالقاضى زين الدين عبد الباسط حالة غير مرضية من بعض المماليك فى وقت الخدمة السلطانية، بعدما نزل به من المماليك فى هذه الأيام أنواع من المكاره، ما بين تهديد وإساءة، احتاج من أجل ذلك إلى بذل لأموال لهم ليكفوا من شرهم عنه.

وفى يوم الإثنين عشرينه: قدم المماليك المجردون فى السنة الماضية إلى مكة، وقد مات أميرهم بها. وكثر شرهم بمكة، وإفسادهم، واستخفافهم بحرمة الكعبة.

وفى ثانى عشرينه: قدم الركب الأول من الحجاج، وقدم المحمل فى يوم الخميس ثالث عشرينه ببقية الحجاج، بعدما نزل بالحاج بلاء عظيم، وهو أن ركب الغزاويين، ومن انضم إليهم من أهل الرملة، ومن أهل القدس، وبلاد الساحل، وأهل ينبع، لما نزلوا فى عودهم من مكة بوادى عنتر قريب من أزلم خرج عليهم من عرب بلى [1] نحو أربعين فارسًا، ومائة وعشرين راجلا، يطلبون منهم مالا، فأما الينابعة فإنهم جبوا لهم مبلغًا من الذهب دفعوه إليهم، فكفوا عنهم، وتركوهم، فلحقوا الركب، وأما الغزاويون فاستعد مقدمهم ورمى العرب بالنشاب، وقتل منهم ثلاثة، فحملوا عليه حملة منكرة، أخذوه فيها، ومالوا على الركب يقتلون ويأسرون وينهبون، فما عفوا ولا كفوا، فيقول المكثر إنهم أخذوا ثلاثة آلاف جمل بأحمالها، وعليها من المال ما بين ذهب وفضة وبضائع وأزودة الحاج ما لا يقدر قدره كثرة. وخلص من تفلت من الركب،

---

(١) هم بطن من قضاعة من القحطانية. انظر نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب ص١٧٠.

وهم عراة حفاة، يريدون اللحاق بالمحمل، فمات منهم عدة، ولحق بالمحمل عدة، وتأخر بالبرية منهم عدة. قدم منهم إلى القاهرة من تأخرت منيته فيما بعد من البر والبحر، بأسوأ حال، وفقد الناس من الرجال والنساء والصبيان والبنات عددًا كبيرًا، فكانت هذه الحادثة من شنائع ما أدركناه. ولم يمتعض لها أحد لإهمال أهل الدولة الأمور، وإعراضهم عن عمل المصالح. ولا قوة إلا بالله.

وفى يوم السبت خامس عشرينه: خلع على الطواشى شاهين الساقى، واستقر فى مشيخة الخدام بالمسجد النبوى، عوضًا عن ولى الدين محمد بن قاسم المحلى، مضحك السلطان.

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشرينه: [١] قدم مماليك نواب الشام، وعلى أيديهم المطالعات، تتضمن أنهم ملكوا مدينة أرزكنان على ما تقدم ذكره، ومن العجب أن مدينة آقشهر وقلاعها، ومدينة أرزنكان، أخذت للسلطان الملك الأشرف برسباى، وباسمه وهو ميت، وسطوته ومهابته فى قلوب أهل تلك البلاد، مع بعدها عنه، وأوامره نافذة فى تلك الرعايا، ولو علموا أنه قد مات لما أمكن العسكر السلطانية فعل شىء من ذلك ولكن الله يفعل ما يريد، وإذا أراد الله بقوم سوءًا فلا مرد له.

وفى هذا الشهر: - بعد رحيل العساكر السلطانية عن أرزنكان - سار الأمير حمزة ابن قرايلك من ماردين لأخذ أرزنكان. وقد تنكر على أخيه يعقوب من أجل أنه سالم العساكر السلطانية، حتى دخلوا المدينة، فخرج إليه جهان كير[٢] ابن أخيه، وأقام

(١) فى النجوم يوم الثلاثاء تاسع عشرين المحرم ١٥/١٢.

(٢) جهان كير بن على بك بن عثمان، المدعو قَرَايُلك بن قطلوبك. الأمير سيف الدين، صاحب آمد ومادين وأرزنكان وغيرهم. مولده بديار بكر فى حدود العشرين ثمانمائة تقريبًا. ونشأ تحت كنف والده وجده قرايلك. وقدم مع والده إلى الديار المصرية، وأنعم عليه بإمرة بحلب، فتوجه إلى حلب. وأقام بها مدة إلى أن ولاه الملك الظاهر جقمق نيابة الرها، فباشرها مدة طويلة، وعظم وكثرت جنوده، ثم ملك آمد بعد موت عمه حمزة بعد حروب، ثم أرزنكان، ثم ملك ماردين، ولازال يملك قلعة بعد قلعة حتى صار حاكم ديار بكر وأميرها. فلما ضخم وأثرى أظهر الخلاف على الملك الظاهر، ضرب بعض بلاد السلطان، وانضم عليه الأمير بَيْغُوت من صفر خُجَا المؤيدى الأعرج لما عُنى من نيابة حماة سنة أربع وخمسين وثمانمائة، ووافقهما خلائق، وعظم جمعه فبينما هو فى ذلك إلا طرف جَهضان شاه بن قرا يوسف صاحب تبريز بغداد وغيرهما فى السنة المذكورة، وشتت شمله «ومزق عساكره، وأباده» وأخذ منه أرزنكان ومدينة ماردين فى «سنة أربع وخمسين»، ووقع بين عساكر جَهَان شاه وبين جهان كير هذا حروب فى هذه المدة. فلما ضاق الأمر عليه أرسل بوالدته إلى البلاد الشامية، وتستأذن نواب البلاد الشامية - وكانوا جميعًا بالبلاد الحلبية - فى قدومها إلى=

جعفر ابن أخيه يعقوب بمدينة أرزنكان، فعندما التقى الجمعان خامر أكثر من مع حمزة، وصاروا إلى جهان كير، فانهزم بعد وقعة كانت بينهما، وقد جرح.

شهر صفر، أوله الخميس:

فيه تجمع عدة من المماليك على القاضى زين الدين عبد الباسط عند نزوله من القلعة. وهموا به، فولى يريد القلعة وهم فى طلبه، حتى امتنع منهم بدخوله القلعة، وقد حماه جماعة، فأقام يومه وبات بها، وهو يطلب الإعفاء من نظر الجيش والأستادارية[١]. فلما أصبح يوم الجمعة طلع الأمير الكبير نظام الملك جقمق، وجميع أهل الدولة، وخرج السلطان إلى الحوش، فاستدعى بالقاضى عبد الباسط. وجرت بينه وبين الأمير الكبير مخاطبات فى استمراره على عادته، وهو يطلب الإعفاء من المباشرة، إلى أن خلع عليه، وعلى مملوكه الأمير جانبك أستادار. ونزلا من القلعة على فرسين أخرجا لهما من الإسطبل، بقماش ذهب، وقد ركب معه إلى داره عظماء الدولة.

وفى يوم الأحد رابعه: وردت مطالعة الأمير أينال الجمكى نائب الشام، بقدومه حلب، هو والعساكر المجردة، فى العشرين من المحرم، إلا الأمير تغرى برمش نائب حلب، فإنه لما بلغه وفاة السلطان الملك الأشرف عزم أن يكبس الأمراء المصريين، فبلغهم ذلك، فاستعدوا له حتى دخلوا حلب، فبلغهم أنه كتب إلى نائب الغيبة ألا يمكنهم من المدينة، هذا وقد جمع عليه عدة من طوائف التركمان وأن الأمير أينال نائب الشام أخذ فى تخذيلهم عنه، وأرسل إليه يعتبه على انفراده عنهم، فاعتذر بتخوفه من الأمراء المصريين [٢].

وفى يوم السبت عاشره: رسم أن يقتصر فى حضور الخدمة السلطانية على أربعة

=الديار المصرية تسترضى الخواطر الشريفة على ولدها جهان كير المذكور. وكان جهان كير أيضًا أرسل بولده قبل تاريخه يسأل الدخول فى طاعة السلطان، فمنعوها نواب البلاد الشامية من قدومها إلى الديار المصرية، ثم عادت إلى آمد. وبعد عودها أرسل جهان كير هذا بأخيه حسن فى شرذمة من عسكره إلى عمه الشيخ حسن بن قرايلك. وكان الشيخ حسن المذكور فى عسكر كثيف من عسكر جهان كير، فطرقه حسن بنته، فظفر به وقتله وبعث رأسه إلى أخيه جهان كير، وقتل حسن أيضًا جماعة من عسكر جهان شاه الذين كانوا مع عمه الشيخ حسن. فلما بلغ جهان شاه ذلك غضب، واشتد حنقه، وقدم إلى آمد وحصرها وبها جهان كير هذا. انظر المنهل الصافى ٥/ ٢٨: ٣٠، النجوم ١/ ٤٣٣.

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٥/ ١٢/ ١٣.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٥/ ١٣.

أيام فى الأسبوع، وأن تكون الخدمة بالقصر فقط. ويتوفر حضور أهل الدولة إلى القلعة فى يوم الأحد ويوم الأربعاء ويوم الجمعة، وهى الأيام التى عمل فيها الخدمة بالحوش. ثم انتقض ذلك بعد قليل [١].

وفى يوم الإثنين ثانى عشره: قدم مملوك الأمير تغرى برمش نائب حلب بكتابه، يتضمن رحيل الأمراء ونائب الشام جميعًا عن حلب إلى جهة دمشق فى سادس عشرين المحرم، وأنه قدم بعدهم إلى حلب فى ثامن عشرينه.

وفى ثانى عشره: تجمع المماليك الأشرفية بالقلعة يريدون قتل خشداشيهم الأمير أينال الدوادار، ففر منهم بحماية بعضهم له، ونزل إلى داره، فوقفوا خارج القصر وسألوا الأمير الكبير جقمق أن يكون هو المستبد بالحكم، وأن تكف يد أينال وغيره عن الحكم والتصرف، فوعدهم ذلك، فانفضوا، ووقف من الغد يوم الثلاثاء جماعة منهم تحت القلعة بغير سلاح، فكانت بينهم وبين جماعة الأمير أينال وقعة بالدبابيس. ثم عادوا بكرة يوم الأربعاء إلى مواقفهم تحت القلعة، وقد صار العسكر قسمين: إحداهما مع الأمير الكبير نظام الملك جقمق، ويقال لهم القرانصة، وهم الأمراء، والمماليك الظاهرية برقوق والناصرية فرج بن برقوق، والمؤيدية، والنوروزية، والجكمية، ومعهم طائفة من الأشرفية قد فارقوا إخوتهم وصاروا مع هؤلاء. وكل من الأمير الكبير وممن معه يظهر أنه فى طاعة السلطان، وإنما يريد أن تنزل طائفة من الأشرفية - سموهم - إلى عند الأمير الكبير جقمق، فإنهم هم الذين يثيرون الفتنة. والقسم الآخر المماليك الأشرفية وهم بالقلعة مع السلطان، وعندهم الخليفة، وبأيديهم فى القلعة خزائن الأموال وحواصل السلاح الكثير، إلا أنهم أغمار جهال، لم يجربوا الأمور، ولا أدربتهم الأيام، فلا ينقاد صغيرهم لكبيرهم. والقرانصة وإن كانوا أقل مالا ورجالا، إلا أنهم أقعد من الأشرفية بأعمال الحرب، وأعرف بتصاريف الأمور، وقد اجتمعوا على الأمير الكبير جقمق، وانقادوا له، وأجمعوا على الحرب معه. فلما أصبحوا يوم الخميس، لم يصعد الأمير الكبير جقمق إلى القلعة، وتحول من داره المطلة على بركة الفيل، ونزل فى بيت قوصون تجاه باب السلسلة، وجمع عليه من وافقه من القرانصة، ومن الزعر وأوغاد العامة. وقد وعدهم بالنفقة فيهم. فاستعد الأشرفية فى القلعة، وباتوا على ذلك. وظلوا نهار الجمعة سادس عشره على تعبئتهم إلى بعد صلاة العصر. ثم زحف أتباع الأمير جقمق على القلعة، وقد لبسوا أسلحتهم، وهم - فيما يظهر - دون أهل القلعة فى العَدد والعِدد، فرماهم الأشرفية بالنشاب حتى أبعدوهم، فمالوا نحو باب القرافة،

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٣/١٥.

وهدموا جانبًا من سور الميدان وعبروه. فنزل طائفة من الأشرفية وقاتلوهم حتى أخرجوهم منه. فحال بينهم الليل، وباتوا على حذر، وقد طرق الأشرفية الزردخاناه بالقلعة، وأخذوا من السلاح شيئًا كثيرًا، ونصبوا مكاحل النفط على سور القلعة، وغدوا على حربهم يوم السبت، فهلك بينهم من العامة بالنشاب والأسهم الخطائية جماعة. هذا، والقضاة وغيرهم تردد بينهم فى إخماد الفتنة بإرسال أربعة نفر إلى الأمير الكبير - منهم جكم خال السلطان - إلى أن أذعنوا لذلك بعد امتناع كثير، فنزل جكم ومعه الثلاثة المطلوبون بعد عصر يوم السبت، ظنًا من الأشرفية أنه لا يصيب جكم وأصحابه سوء، سوى أنهم يمنعون من سكنى القلعة فقط. فما هو إلا أن عبروا إلى الأمير جقمق، أحيط بهم، وسجنوا، ثم رحل بهم وبمن معه من بيت قوصون عائدًا إلى دار سكنه على بركة الفيل، فكان هذا أول وهن وقع فى الأشرفية (١).

وأصبحوا يوم الأحد ثامن عشره: والرسل تتردد من الأمير جقمق إلى الأشرفية بالقلعة، فى طلب جماعة أخرى حتى نزل إليه منهم الأمير على بيه الخازندار، والأمير يخشباى أمير أخور، وهما من عظماء الأشرفية وأعيانهم. فللحال طلب الأمير جقمق الأمير خشقدم مقدم المماليك، وألزمه بإنزال جميع الأشرفية من الطباق بالقلعة، فاستسلموا بأجمعهم، ونزلوا طبقة بعد طبقة، وقد حضر القضاة وأهل الدولة، فحلفوا للأمير الكبير جقمق، وحكم قاضى القضاة سعد الدين سعد الديرى الحنفى بسفك دم من خالف منهم هذا اليمين. وزعم أن فى مذهبه نقلا بذلك. فكان هذا الحكم أيضًا مما لم نعهد مثله. ثم أمر جميع المماليك الأشرفية بإخلاء طباقهم من القلعة إلا المماليك الكتابية فقط - فما منهم إلا من بادر وحول ما كان له بطبقته من القلعة من أثاث وغيره، حتى خلت منهم، فكان هذا من أعجب ما سمعنا به فى الخذلان، فإن عددهم يبلغ ألف وخمسمائة وعندهم خزائن الأموال الجمة العدد، وحواصل الأسلحة العظيمة القدر فى الكثرة والقيمة، وهم بالقلعة دار الملك وسرير السلطنة، ومعهم السلطان، ولهم من الأمتاع والأموال والنعم ما لا يقدر قدره، إلا أنهم أغمار جهال، متفرقون فى إجتماعهم ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ﴾ (٢).

ومن حينئذ تبين إدبار أمر الأشرفية، وزوال عزهم، وإقبال جد الأمير جقمق، وتجديد سعادته.

وسبب هذه الكائنة أن جكم خال السلطان اتفق هو وعدة من الأشرفية على أن

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٥، ١٤، ١٥.

(٢) سورة الحشر، الآية ١٤.

يقبضوا على الأمير جقمق ومن معه من الأمراء، وعلى أخذ عبد الباسط وناظر الخاص، فلم يوافقهم الأمير أينال، ومنعهم من ذلك مرارًا. فلما علم جكم بمخالفة أينال له؛ أخذ يدبر مع أصحابه فى قتل أينال، فعندما أرادوا الإيقاع به، أعلمه بعض أصحابه بذلك، ففر منهم، وقد حماه منهم بعضهم كما تقدم ذكره، والتجأ إلى الأمير جقمق، وقص عليه الخبر. ومازال يوضحه للأمير حتى تبين له صحة مقالته، فاختص به، وباين من حينئذ أينال الأشرفية، وصار فى جملة الأمير جقمق، هو وجماعته، فكان هذا أول زوال دولة العزيز، وصار أينال يبكى فى خلواته ويقول: «ما كان جزاء الملك الأشرف منى أنه اشترانى وربانى وعلمنى القرآن، وخولنى فى نعمه، أن أخرب بيته بيدى» ولقد بلغنى من جهة صحيحة أن الأشرف برسباى نظر إلى أينال هذا فى مرض موته ثم قال لمن حضره عنده – وأينال قائم على قدميه – «هذا مخرب بيتى». وقد قيل قديمًا: «اتق شر من أحسنت إليه» (١).

وفى يوم الأحد هذا: قدم الأمير تغرى بردى المؤذى، ومن معه من التجريدة إلى البحيرة، بعدما عاثوا وأفسدوا كما هى عادتهم.

وفيه قدم الخبر بأن العسكر المجرد قدم إلى دمشق فى خامسه.

وفى يوم الثلاثاء عشرينه: أفرج عن جكم خال السلطان، ومن سجن معه، وخلع عليه بشفاعة السلطان فيهم.

وفى يوم الخميس ثانى عشرينه: صعد الأمير الكبير جقمق، وسائر الأمراء والمباشرون، إلى الخدمة السلطانية. ومنع المماليك الأشرفية من العبور إلى القصر فى وقت الخدمة، وذلك أن الأمير الكبير لما ظهر عليهم، وأنزلهم من الطباق التى بالقلعة، كان مما حلفهم عليه ألا يدخل إلى القصر فى الخدمة منهم أحد إلا من له نوبة، فى يوم نوبته لا غير.

وفيه خلع على الأمير الكبير جقمق تشريف جليل، ونزل من القصر – بعد انقضاء الخدمة – إلى الحراقة بباب السلسلة، وسكنها على أنه على أمور الدولة وتدبير المملكة، وتخرج الإقطاعات على ما يريد ويختار، ويولى ويعزل، ومعنى هذا أن السلطان لا يبقى له أمر ولا نهى، ويقتصر من السلطنة على مجرد الاسم فقط. فشق ذلك على الأشرفية، وركب عدة منهم، ووقفوا تحت القلعة بالرميلة، وأكثروا من الكلام فى الإنكار، لما كان من سكنى الأمير الكبير بباب السلسلة. ثم انفضوا فأخذ الأمير الكبير يحصن

---

(١) مثل مازال محفوظًا حتى الآن.

الإصطبل، ويستعد بالسلاح والرجال، ونزل الخدمة السلطانية بالقلعة. فمال الناس بأجمعهم من الأمراء والقضاة والمباشرين إلى جهته، وترددوا إلى مجلسه، وتلاشى أمر السلطان، وأخذ فى الانحلال.

وفى يوم الثلاثاء سابع عشرينه – وسادس عشرى مسرى: - كان وفاء النيل ستة عشر ذراعًا وفتح فيه الخليج على العادة، وقد نزل لذلك الأمير أسنبغا الطيارى الحاجب. وكان الناس لما أبطأ عليهم الوفاء أخذوا فى شراء الغلال، فارتفع سعرها قليلا.

شهر ربيع الأول، أوله السبت:

فى يوم الأربعاء خامسه: قدم الأمراء المجردون – ما عدا الأمير سودون خجا [(١)] – فصعد منهم ستة أمراء إلى الحراقة بباب السلسلة، وتأخر منهم الأمير يشبك حاجب الحجاب، فإنه قدم ليلا فى محفة، ونزل داره، وهو موعوك البدن. وكان قد كتب إليهم الأمير الكبير نظام الملك جقمق بما قصده الأشرفية من القبض على الأمراء، وحذرهم منهم، فدخلوا مستعدين بأطلابهم، ولم تجر بذلك عادة، وكان الأمير نظام الملك قد ألزم السلطان أن يقعد للأمراء القادمين فى شباك القصر المطل على الإصطبل، فلم يجد بدًا من جلوسه، لأنه سلب جميع تعلقات السلطنة، حتى لم يبق له سوى مجرد الاسم، وبطل عمل الخدمة السلطانية بالقصر، وصارت عند الأمير نظام الملك. فلما قدم الأمراء من التجريدة بأطلابهم وطبولهم تدق حربيًا، صعدوا من باب السلسلة، حتى نزلوا عن خيولهم على درج الحراقة، وأطلابهم واقفة [(٢)]. فقام الأمير نظام الملك يسعى مهرولا إليهم، وهو فى جمع كبير جدًا من الأمراء والمماليك، حتى سلم عليهم، وهم وقوف على أرجلهم، وسار بهم يريد الإصطبل السلطانى. وقد جلس السلطان فى شباك القصر، فوقفوا على بعد من موضعه، وأومأوا برءوسهم كأنهم يقبلون الأرض، ففى الحال أحضرت التشاريف، فألبسوها وأمأوا ثانيا برءوسهم، عوضًا عن تقبيل الأرض. وقدمت إليهم الخيول التى أخرجت من الإصطبل بالقماش الذهب، فأومأوا برءوسهم مرة ثالثة، وولوا راجعين، بلا زيادة على ذلك. وقد رجع معهم الأمير نظام الملك، حتى صعدوا معه إلى الحراقة، فسلموا عليه خدمة له، ثم ركبوا الخيول السلطانية بتشاريفهم، ومضوا نحو دورهم. فازداد الأمير نظام الملك بهذا المحفل عزًا إلى عزه، وكثرت مهابته، وتضاعفت فى القلوب مكانته وحرمته. وتلاشى أمر السلطان، وظهر انحلال أمره.

---

(١) هو سودون بن عبد الله السيفى بلاط الأعرج (ت٨٤٢هـ) يقال له: خجا سودون. انظر الضوء اللامع ٣/٢٧٧، والمنهل الصافى (ترجمته).

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٢٢.

وفى يوم الخميس سادسه: اجتمع الأمراء والمباشرون وأرباب الوظائف بالحراقة، فى خدمة الأمير الكبير نظام الملك. وقد تعين من الجماعة الأمير قرقماس أمير سلاح بجرأته واقتحامه على الرياسة بالتهور. وشارك الأمير نظام الملك فى مجلسه، وجلس من عداه على مراتبهم يمينًا وشمالا (١).

ونزل الطلب بمجىء جماعة من الأشرفية، فأحضروا سريعًا؛ فأشار قرقماس إلى جماعة - قد أعدهم - أن اقبضوا على هؤلاء، فقبض على الأمير جانم أمير أخور أحد من قدم أمس من التجريدة، وعلى الأمير الطواشى خشقدم مقدم المماليك، وعلى الطواشى فيروز الزينى نائب المقدم، وعلى الأمير على بيه شاد الشرابخاناه، وعلى الأمير جكم الخازندار خال السلطان، وعلى أخيه أبى يزيد، وعلى الأمير يخشى بك أمير أخور، وعلى الأمير دمرداش والى القاهرة، وعلى تانى بك الجقمقى نائب القلعة، وعلى جرباش أمير عشرة، وعلى خش كلدى رأس نوبة، وعلى أزبك البواب، وبيبرس الساقى، وتم الساقى، ويشبك الفقيه، وبيرم خجا أمير مشوى، وجانبك قلقسيز (٢) وأرغون شاه الساقى، وتنبك الفيسى، وأوثقوهم، جميعهم بالحديد، وأمر الأمير تمرباى الدوادار أن يتوجه لنيابة الإسكندرية، فلم يجد بدًا من الموافقة - فخلع عليه عوضًا عن الأمير زين الدين عبد الرحمن ابن القاضى علم الدين داود بن الكويز. وطلب بعض أتباعه وهو قراجا العمرى الخاصكى الناصرى وخلع عليه بولاية القاهرة، عوضًا عن دمرداش. وندب من الأمراء الأمير تنبك السيفى أحد أمراء الألوف، ومعه الأمير أقطوه من العشرات فى عدة من المماليك، فصعدوا إلى القلعة لحفظها، فكان يومًا مهولا، أظهر فيه الأمير قرقماس من الخفة والتسرع إلى الشر، وكثرة الحماقة والرعونة، ما أبان به كمائن ما كان فى نفسه من محبة الوثوب على الأمر، ومنع الله لنظام الملك، فإنه أخذ أعاديه بيد غيره، فجنى قرقماس ثمرات ذلك.

وفى يوم الجمعة سابعه: توجه الأمير تمرباى سائرا إلى الإسكندرية.

وفى يوم السبت ثامنه: أخرج بمن ذكرنا من الممسوكين فى الحديد إلى الإسكندرية، وقد اجتمع لرؤيتهم من الناس عالم كبير، فمن باك رحمة لهم، ومن شامت بهم، ومن معتبر بتقلب الدهر، وتصاريف الأمور، ومن ساه لاه.

وفيه أنفق على الأمراء القادمين من التجريدة مال كبير.

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٢٣.

(٢) فى النجوم الزاهرة كتبت « قلق سيز».

وفى يوم الأحد تاسعه: أحضر الطواشى عبد اللطيف العثمانى (١) وهو ممن كان مسخوطًا عليه فى الأيام الأشرفية برسباى، وأمر أن يصعد به إلى بين يدى السلطان ليخلع عليه، ويستقر مقدم المماليك، عوضًا عن خشقدم فخلع عليه.

وفى يوم الإثنين عاشره: ركب السلطان من الحوش بالقلعة، وركب معه القاضى زين الدين عظيم الدولة عبد الباسط ناظر الجيش، ونزلا إلى الميدان، وجميع المباشرين والأمير أينال الدوادار مشاة وراءهما، فركب الأمير نظام الملك جقمق، وفى خدمته الأمراء، من الحراقة بباب السلسلة، خلا الأمير قرقماس أمير سلاح، والأمير أركماس الدوادار، ودخلوا إلى السلطان بالميدان. فعندما رآهم القاضى عبد الباسط ترجل عن فرسه إلى الأرض، ونزل الأمراء أيضًا عن خيولهم. وقد وقف السلطان على فرسه، فقبلوا الأرض ووقفوا، فتقدم الأمير نظام الملك، فقبل رجل السلطان فى الركاب، وحادثه. ثم خلع بين يدى السلطان على الأمير يشبك حاجب الحجاب، فإنه كان يوم قدوم الأمراء ملازمًا الفراش فى داره لوعك به (٢). وانصرف الجميع عائدين فى خدمة الأمير نظام الملك. وكان سبب تأخر الأمير قرقماس عن هذه الخدمة أنه بلغه ما غير خاطره (٣). وذلك أنه كان فى نفسه أن يتسلطن، فلما فهم هذا عنه، تقرب إليه عدة من الذين يوهمون جهلة الناس أنهم أولياء الله، ولهم اطلاع على علم الغيب وصاروا يعدوه بأنه لابد له من السلطنة، وتخبره جماعة أخرى بمنامات تدل له على ذلك، ويزعم له آخرون بأنهم اطلعوا على ذلك من علم الرمل ومن علم النجوم، فتقرر ذلك فى ذهنه، ولم يقدر على إظهار ذلك، حتى بلغه وهو مسافر فى التجريدة موت الأشرف برسباى، فرأى أن دولته قد طلعت، فأخذ يترفع على من معه من الأمراء ترفعًا زائدًا. هذا مع ما يعرفونه من تكبره وإفراط جبروته، وشدة بطشه، فزادهم ذلك نفورًا منه، وداروه، حتى قدموا ظاهر القاهرة، وهو - وهم - على تخوف من الأشرفية، لما بلغهم عنهم من أنهم على عزم الإيقاع بهم. فأخذ قرقماس يطلق القول، ويبدى شيئًا مما فى نفسه، وفعل ما لم يسبقه أمير لفعله من قلة الأدب فى دخوله مطلبا، وعدم مثوله بين يدى السلطان بالقلعة. بل وقف فى الإصطبل على بعد، كما تقدم، كل ذلك لرعونته وفرط رقاعته، ثم كان من فحشه وجرأته فى القبض على الأمراء ما كان، وأخذ مع

---

(١) هو الزينى عبد اللطيف الطواشى الرومى المنجكى المعروف بالعثمانى أحد الجمدارية. انظر النجوم الزاهرة ٢٥/١٥.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٢٦/١٥.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ٢٦/١٥.

ذلك يجلس فى داره ويأتيه من المماليك ما شاء الله، حتى تمتلأ داره بهم. والأخبار تنقل إلى الأمير نظام الملك، ويقال ذلك لقرقماس. فتأخر عن الركوب فى هذا اليوم. فلما خرج الأمير نظام الملك من بين يدى السلطان، أرسل الأمير تمراز رأس نوبة النوب والأمير قراجا، والقاضى زين الدين عبد الباسط إلى الأمير قرقماس، فأبدى لهم ما عنده من تغير خاطره، لما نقل عنه، فمازالوا به حتى ركب معهم، وطلع للأمير نظام الملك بالحراقة، فدخلا فى جماعة من ثقاتهما خلوة وتعاتبا وتحالفا، ثم خرجا فأركبه الأمير نظام الملك فرسًا بقماش ذهب. ونزل إلى داره، وفى خدمته الأمير تمراز، وقراجا. فأركب كل منهما من داره فرسًا بقماش ذهب، وأخذ من حينئذ يسلك طريقًا تضاد ما كان عليه من طلب الأمر لنفسه، وألح على الأمير نظام الملك فى جلوسه على تخت الملك؛ ليحقق قول الحكيم الجاهل «لا يقع إلا طرفًا». بينما قرقماس لزهوه وإعجابه بنفسه يريد أن يتسلطن، إذ خدعه من خدعه، فمشت عليه خدعه، حتى أفرط به الانخداع، وصار يريد أن من خدعه يتسلطن، ويصير هو من أتباعه تمضى فيه أوامره، بعد أن كانا كحليف يتصاولان، فيخشى قرنه صولته؛ ليقضى الله أمرًا كان مفعولا.

وفى هذا اليوم: كتب عن السلطان وعن الأمير نظام الملك وعن الأمير قرقماس، باستدعاء المقر الكمالى محمد بن البارزى قاضى القضاة بدمشق؛ ليستقر فى كتابة السر، وجهز القاصد لإحضاره.

وفى يوم الخميس رابع عشره: [1] عملت الخدمة السلطانية بالقصر بين يدى السلطان، وحضرها الأمير نظام الملك جقمق، والأمير قرقماس، وعامة الأمراء والمباشرين وكانت الخدمة السلطانية قد تركت من مدة، وأطرح جانب السلطان، فتنبه له ذلك فى هذا اليوم المبارك.

وفى يوم الجمعة خامس عشره: صلى الأمير قرقماس فى المقصورة مع السلطان صلاة الجمعة، ومضى ولم يكلم واحد منهما الآخر، وتأخر نظام الملك عن حضور الجمعة مع السلطان [2].

وفى يوم السبت سادس عشره: عملت الخدمة بالقصر على العادة.

وفى يوم الإثنين: عملت الخدمة أيضًا، ولم يحضرها الأمير نظام الملك [3].

---

(١) وقعت فى النجوم «ثالث عشره».

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٢٩.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٢٩.

هذا والأمير قرقماس وسائر الأمراء وأرباب الوظائف تحضر عند الأمير نظام الملك الخدمة بالحراقة، وتأكل على سماطه، إلى أن خلع العزيز فى يوم الأربعاء تاسع عشره، فكانت مدته أربعة وتسعين يومًا، ومن الإتفاق الغريب أن عدة حروف عزيز - بالجمل - أربعة وتسعين.

* * *

السلطان الملك الظاهر أبو سعيد جقمق

العلائى الجركسى الظاهرى (١)

هذا الملك سبى صغيرا من بلاد الجركس، وجلب إلى القاهرة، وربى فى بيت الأمير أينال اليوسفى، وانتقل إلى الملك الظاهر برقوق من على ولد الأمير أينال، فتنقل فى الخدم إلى أن صار بعد الأشرف برسباى نظام الملك، كما تقدم ذكره.

فلما كان يوم الأربعاء تاسع عشر ربيع الأول: هذا، استدعى الخليفة والأمراء والقضاة وجميع أرباب الدولة إلى الحراقة بالإسطبل، وأثبت عدم أهلية الملك العزيز يوسف لأنه لا يحسن التصرف، فخلعه الخليفة، وفوض السلطنة للأمير نظام الملك جقمق فى آخر الساعة الثانية، وتلقب بالملك الظاهر أبى سعيد، وأفيضت عليه الخلع الخليفتية، وقلد بالسيف. وركب من الحراقة، والجميع مشاة فى خدمته، وقد دقت البشائر حتى صعد إلى القصر. وجلس على تخت الملك فقبل الأمراء الأرض وانصرفوا. ونودى فى القاهرة وظواهرها بالدعاء للملك الظاهر، وأن النفقة مائة دينار لكل مملوك.

وسجن العزيز فى بعض دور القلعة، ونزل عنده دادته سر النديم الحبشية، وعدة من جواريه، ما بين سرارى وخدم، وطواشيه صندل الهندى. ومكنت مرضعته من التزداد إليه والمبيت عنده. وأجرى له من اللحم والدجاج والأوز فى كل يوم ما يليق به، سوى عشرة آلاف درهم فى كل شهر من وقف أبيه. ورسم على بابه جماعة من المماليك. ثم بعد أيام رفع الترسيم عن بابه.

وكان القائم فى هذا الأمر قرقماس، فإنه لما قدم ترفع ترفعًا زائدًا إعجابًا بنفسه، وتكبرًا على غيره، وشرع يتصرف فى أمور الدولة بعجلة. وجلس للحكم بين الناس

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ٣٢/١٥، المنهل الصافى ٧٠٥/٢، الضوء اللامع ٧١/٣، أبناء الغمر ٣٩/٩، ما بعدها، بدائع الزهور ٣٣٢-٣٤٣ حوادث الدهور ٣٤٩/٢، شذرات الذهب ٢٩١/٧، الأعلام ١٣٢/٢.

فى داره. وقام فى القبض على أعيان الأشرفية قيامًا تبين فيه حمقه وطيشه. ثم انقطع فى داره وأظهر أنه بلغه عن نظام الملك أنه يريد مسكه، إلى أن خدعوه وساروا به إلى نظام الملك، فخادعه أشد المخادعة، حتى انفعل لما عنده من الخفة والحدة، واستحال عما كان عليه من التعاظم والكبر إلى التواضع المفرط، إما مكرًا أو سرعة استحالة. وأخذ يحث نظام الملك على أن يتسلطن وهو يأبى عليه فى عدة مرار إلى أن حنق قرقماس وقام من مجلس نظام الملك مغضبًا، فتلافاه حتى جلس، وهو يلح فى التأكيد عليه فى السلطنة، إلى أن أذعن، فبادر قرقماس وركب إليه سحر يوم الأربعاء، وألزمه بطلب الخليفة والقضاء والأمراء، ولم عندهم علم من ذلك. فلما اجتمعوا قام قرقماس بأعباء هذا الأمر وحده، حتى خلع العزيز وتسلطن نظام الملك، فكأنما سعى فى هلاك نفسه.

وفى هذا اليوم: قبض على الطواشى جوهر الزمام اللالا - وهو مريض - وسجن بالبرج من القلعة. واستقر زمام الدار عوضه الطواشى فيروز الساقى وكان الأشرف قد سخط عليه وأمره بلزوم داره، فأقام يترقب الموت إلى أن مات الأشرف، فاستدعى الآن، وخلع عليه، وتولى سجن العزيز وخلع أيضًا على سودون الجكمى أخى الأمير أينال نائب الشام؛ ليتوجه بالبشارة إلى نواب الشام، وخلع على دمرداش العلاى ليتوجه بالقبض على الأمير خجا سودون المؤيدى - أحد المجردين - وحمله إلى القدس بطالا.

وفى يوم الخميس عشرينه: خلع على الأمير قرقماس، واستقر أميرًا كبيرًا أتابك العساكر، وأنعم عليه باقطاع السلطان وهو نظام الملك، وزيد عليه بإمرة طبلخاناه بدمشق. وخلع على الأمير أقبغا التمرازى [١] واستقر أمير سلاح عوضا عن الأتابك قرقماس. وخلع على الأمير تمراز، واستقر أمير أخور، عوضا عن الأمير جانم. وخلع على الأمير يشبك الحاجب، واستقر أمير مجلس، عوضا عن أقبغا التمرازى. وخلع على الأمير تغرى بردى المؤذى، واستقر حاجب الحجاب، عوضا عن الأمير يشبك، وخلع على الأمير أركماس، واستقر على عادته دوادارا. وخلع على الأمير تنبك نائب القلعة فوقانى، وخلع على الأمير قراجا أيضا فوقانى، وخلع على الأمير قراقجا الحسنى [٢] واستقر رأس نوبة النوب، عوضا عن الأمير تمراز أمير أخور [٣].

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ٣٦/١٥، المنهل الصافى « ترجمة الأمير أقبغا بن عبد الله التمرازى»، الضوء اللامع ٣١٦/٢.

(٢) المنهل الصافى (ترجمة الأمير قراقجا بن عبد الله الحسنى الظاهرى) الضوء اللامع ٢١٦/٦، أنباء الغمر (حوادث سنة ٨٤٢هـ).

(٣) انظر النجوم الزاهرة ٣٦/١٥.

وفى يوم السبت ثانى عشرينه: خلع على الأمير تنم المؤيدى الخازندار، واستقر فى حسبة القاهرة، عوضا عن نور الدين على السويفى الإمام. وخلع على الأمير قانباى الجركسى رأس نوبة، واستقر شاد الشرابخاناه، عوضا عن على بيه. وخلع على قانبك الساقى، واستقر خازندارًا، عوضا عن جكم خال العزيز.

وفى هذا اليوم: نودى على النيل بزيادة إصبع واحد، لتتمة ثمانية عشر ذراعا وعشرين أصبعا؛ وهو سادس عشر توت، فأصبح يوم الأحد ثالث عشرينه، وسابع عشر توت - ويقال له عند أهل مصر عيد الصليب - وقد نقص ماء النيل، واستقر فى النقص، فلم يتم رى النواحى، وشرق كثير من الأراضى.

وكان قد اتفق فى يوم الأربعاء تاسع عشره عندما تسلطن الملك الظاهر جقمق هبوب ريح شديدة عاصفة حارة أثارت غبارا ملأ آفاق السماء، حتى كادت الشمس تخفى عن الأبصار، أو اختفت، وتمادت هذه الريح يوم الخميس، وسكنت يوم الجمعة، واشتد الحر طول النهار، وأقبل الليل وقد طبق السحاب الآفاق، وأمطرت يسيرًا غير مرة، حتى أصبح يوم السبت. فتطير الناس من ذلك، وزعم من عنده أثارة من علم أن هبوب هذه الرياح يؤذن بحدوث فتن، وأن المطر فى هذا الوقت يخاف منه نقص النيل، فكان كذلك، ونقص النيل فى يومه ويخاف عاقبة هذا النقص. إلا أن يشاء الله.

وفى يوم الإثنين رابع عشرينه: ابتدئ بالنفقة السلطانية، لكل واحد من المماليك مائة دينار.

وفى يوم الثلاثاء خامس عشرينه: قدم الأمير جرباش قاشق من دمياط، وقد أفرج السلطان عنه، وأنعم عليه بإمرة مائة تقدمة ألف، بعدما أقام عدة سنين مسجونا [١].

وفى يوم الخميس سابع عشرينه: عمل السلطان المولد النبوى بالقلعة على عادة من تقدمه من الملوك الجركسية، فكان وقتًا حسنًا، وأسمطة جليلة بالنسبة إلى الوقت. وانفض الجمع بعد صلاة المغرب [٢].

وفى يوم الجمعة ثامن عشرينه: كسف من الشمس قريب من ثلثى جرمها، بعد نصف النهار، فاصفرت الأرض وما عليها، حتى انجلت، ولم تجتمع الناس ولا صلوا صلاة الكسوف. وزعم أهل علم الحدثان أن ذلك يدل على خروج أهل الشام وأهل صعيد مصر عن طاعة السلطان.

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٣٧.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٣٨.

وفى يوم السبت تاسع عشرينه: تجمع تحت القلعة نحو الألف فارس من مماليك الأمراء يريدون إثارة الفتنة، من أجل أنه أنفق فى المماليك السلطانية و لم ينفق فيهم، و لم تجر العادة بالنفقة فى مماليك الأمراء، فأنفق فيهم لكل نفر [..(١)..] شهر ربيع الآخر، أوله الأحد.

فى يوم الثلاثاء ثالثه: خلع على شيخ الشيوخ القاضى محب الدين محمد بن الأشقر واستقر فى نظر المارستان، عوضا عن نور الدين على بن مفلح، وكانت شاغرة منذ مات.

وفيه قبض على الصاحب تاج الدين الخطير ناظر الإسطبل، وعلى ولده وأخذت خيولهما، وألزما بحمل عشرين ألف دينار؛ لتغير خاطر السلطان عليه من حين كان أمير أخور (٢).

وفيه ثارت عدة من المماليك القرانصة الذين قاموا مع السلطان قبل ذلك على الأشرفيه كما تقدم، وطلبوا الآن من السلطان الزيادة فى جوامكهم ومرتب لحمهم ووقفوا تحت القلعة وأصبحوا يوم الأربعاء وقد كثر جمعهم، حتى نزل الأمراء من خدمة السلطان، فصاروا يجتمعون على واحد واحد منهم، ويذكرون له ما يريدون إلى أن نزل الأمير الكبير الأتابك قرقماس فأحاطوا به وحدثوه، فوعدهم أن يتحدث لهم مع السلطان، فأبوا أن يمكنوه من العود إلى القلعة، وأرادوه أن يوافقهم على محاربة السلطان وساروا معه بأجمعهم إلى داره، وتلاحق بهم جماعة فلم يزالوا به حتى وافقهم بعد جهد منهم وامتناع منه، ولبسوا سلاحهم ولبس هو الآخر أيضا، وأتاه كثير من الأشرفية وساروا به حتى وقف بالرميلة تجاه باب السلسلة، وهم فى اجتماعهم مختلفة آراؤهم، فمنهم من يقول: «الله ينصر الملك العزيز». فإذا سمع ذلك قرقماس منهم قال: «الله ينصر الحق». وآخرون سواهم يقولون: «الله ينصر السلطان». وفى عزم الأشرفية إذا أخذوا السلطان بقرقماس قتلوا قرقماس فى الحال، وأقاموا العزيز. وفى ظن قرقماس أن تكون السلطنة له. واتفق أنه لما خرج من داره، وسمعهم ينوهون بالدعاء للعزيز، كشف رأسه وقال: «الله ينصر الحق». فتطير من له خبرة وتجارب بزوال أمره؛ لكشفه رأسه فى الشارع خارج باب زويلة، بمرأى من العامة، ثم لما وقف بالرميلة سقطت درقته عن كتفه إلى الأرض، وأظلمت الدنيا فى عينيه، فتأكدت الطيرة عليه بسقوط عزه وعماه عن الرشد، فكان كذلك. وعندما وقف تجاه باب السلسلة من القلعة سار بعض أتباعه

---

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٣٨.

ونادى فى القاهرة على لسانه بمجيء المماليك إلى الأمير قرقماس، وأنه ينفق فيهم مائتى دينار لكل واحد، وبمجيء الزعر إليه وأنه يعطى كل واحد منهم عشرين دينارا. فعظم جمعه، بحيث توهم كثير من الناس أن الأمر له.

وكان السلطان عند ذلك فى نفر قليل، فبادر بنزوله من القصر إلى المقعد الذى بجانب باب السلسلة، ومعه المال، وبعث بجماعة للقتال، فوقعت الحرب بين الفريقين مرارا، والجراح فاشية فيهم، وقد قتل جماعة وتعين الغلب لقرقماس ومن معه، إلا أن عدة من الأمراء فروا عنه، وصعدوا من باب السلسلة إلى السلطان، فسر بهم، ثم أقبل أيضا من جهة الصليبية عدة أمراء، ووقفوا تجاه قرقماس، فى هيئة أنهم جاءوا ليقاتلوا معه. ثم ساقوا خيولهم بمن معهم. ودخلوا باب السلسلة، وصاروا مع السلطان، فازداد بهم قوة، هذا وقد دقت الكوسات السلطانية حربيا بالطبلخاناه من القلعة، وقامت ثلاثة مشاعلية على سور القلعة تنادى من كان فى طاعة السلطان فليحضر وله من النفقة كذا وكذا. ونثر مع ذلك السلطان من المقعد على العامة ذهبا كثيرا. وصار يقف على قدميه ويحرض أصحابه على القتال، فأقبلت الفرسان نحوه شيئا بعد شيء داخلة فى طاعته، وتركت قرقماس. والحرب مع هذا كله قائمة بين الفريقين ضربا بالسيوف، وطعنا بالرماح إلا أن الرمى من القلعة على قرقماس ومن معه بالنشاب كثير جدا، مع رمى العامة لهم بالحجارة فى المقاليع لبغضها فى قرقماس وفى الأشرفية، فتناقص جمعهم، وتزايد جمع السلطان إلى قبيل العصر، فتوجه بعض الأشرفية وأخذوا فى إحراق باب مدرسة السلطان حسن؛ ليتمكنوا من الرمى على القلعة من أعلاها. فلم يثبت قرقماس، وفر وقد جرح، فثبتت الأشرفية وقاتلت ساعة، حتى غلبت بالكثرة عليها، فانهزمت بعدما قتل من الفرسان والرجالة، جماعة، وجرح الكثير. فمن جرح من السلطانية الأمير تغرى بردى المؤذى حاجب الحجاب من طعنة برمح فى شدقه، والأمير أسنبغا الطيارى الحاجب فى آخرين فكانت هذه الوقعة من الحروب القوية بحسب الوقت، إلا أن قرقماس جرى فيها على عادته فى العجلة والتهور، ففاته الحزم، وأخطأه التدبير من وجوه عديدة؛ ليقضى الله أمرا كان مفعولا ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾(١).

وعندما انهزم القوم ندب السلطان لأمير أقبغا التمرازى أمير سلاح فى جماعة لطلب المنهزمين، فتوجه نحو سرياقوس خشية أن يمضوا إلى الشام، فكانوا أعجز من ذلك، ولم يجد أحدًا فعاد (٢).

---

(١) سورة الرعد الآية ١٣.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٣٨ وما بعدها.

وفى يوم الخميس خامسه: جلس السلطان على تخت الملك بالقصر، وعملت الخدمة على العادة، فهنأه الناس بالظفر والنصر على أعدائه. وقد وقف على باب القلة من القلعة عدة لمنع من بقى من الأشرفية من الدخول إلى الخدمة، فكان المملوك منهم إذا جاء منع من الدخول، فإن لم يمتنع ضرب على رأسه حتى يرجع من حيث أتى. ورسم بقطع مرتبهم من اللحم فى كل يوم، ثم أعيد بعد ذلك [١].

وفيه اجتمع القضاة بجامع القلعة، وحكم قاضى القضاة شمس الدين محمد البساطى المالكى بهدم سلالم مأذنتى مدرسة السلطان حسن، وهدم سلالم سطحها. وألزم الناظر فى مجلس الحكم بهدم ذلك فمضى وهدمه، فكان هذا الحكم أيضا من الأحكام التى لم نعهد من القضاة مثله [٢].

وفيه خلع على علاء الدين على بن ناصر الدين محمد بن الطبلاوى، وأعيد إلى ولاية القاهرة، وكان قد بلغ الغاية من الفقر والفاقة والضعة.

وفى يوم الجمعة سادسه: قبض على الأمير قرقماس، وذلك أنه لما فر أوى إلى موضع بقية نهاره وليلة الخميس. ثم أصبح فبعث عشاء إلى القاضى زين الدين عبد الباسط يعلمه بمكانه وأنه يأخذ له الأمان، ففعل ذلك، وتوجه ومعه المقام الناصرى محمد ولد السلطان فلما رآهما قرقماس، قام وانحط يقبل قدمى ابن السلطان ويد عبد الباسط، فوضعا فى عنقه منديل الأمان الذى قدما به من السلطان، وأركبوه فرسا ومروا به، وقد اجتمع الخلائق لرؤيته فمنهم من يسبه ومنهم من يدعو عليه، حتى صعد القلعة، فعندما عاين السلطان خر على وجهه يقبل الأرض، ثم قام ومشى قليلا، وخر يقبل الأرض، وقام فمشى ثم خر ثالث مرة يقبل الأرض، وقد قرب من السلطان. فوعده بخير، وأمر به فأدخل إلى مكان وقيد بالحديد وهو يشكو من الجوع، فأتى بطعام. هذا وقد لهجت العامة فى الأسواق تقول «الفقر والإفلاس، ولا ذلتك يا قرقماس».

وفيه قبض على جماعة من المماليك الأشرفية، وأخذت خيولهم وبغالهم، وسجنوا بالبرج من القلعة.

وفى يوم السبت سابعه: أخرج بقرقماس فى الحديد، ومضوا به إلى ساحل النيل، وأركب فى الحراقة حتى سجن بالإسكندرية. وسمع فى مروره من القلعة إلى النيل من

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٤٦.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٤٦.

العامة مكروها كثيرًا، وحل به فى هذه المحنة نكال شديد، وخزى زائد فإنه كان من الكبر والزهو والإعجاب وفرط الرقاعة على جانب كبير مع العسف والجبروت وشدة البطش، بحيث كان إذا عاقب يضرب الألف ضربة وأزيد، فعوقب من جنس فعله. وصار مع ذلك مثلا، فلقد أقامت العامة مدة، تجهر فى الأسواق بقولها لمن تدعو عليه «لك ذلة قرقماس» (١).

وفيه خلع على الأمير أقبغا التمرازى، واستقر كبيرًا أتابك العساكر، عوضا عن قرقماس. وأنعم عليه بإقطاع إحدى التقدمتين اللتين كانتا مع قرقماس.

وخلع على الأمير يشبك، واستقر أمير سلاح، عوضا عن الأتابك أقبغا التمرازى. وخلع على الأمير جرباش قاشق، واستقر أمير مجلس، عوضا عن الأمير يشبك.

وفى يوم الإثنين تاسعه: اجتمع الأمراء والقضاة والمباشرون وسائر أهل الدولة للخدمة فى القصر على العادة، وقد جلس السلطان على التخت والخليفة والقضاة والأمراء على مراتبهم، وتقدم الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله كاتب السر فقرأ عهد أمير المؤمنين المعتضد بالله للسلطان، وهو من إنشاء القاضى شرف الدين أبى بكر الأشقر نائب كاتب السر.

ثم خلع على الخليفة وقضاة القضاة الأربع، وكاتب السر ونائبه، بعدما جرى بين قاضى القضاة شهاب الدين أحمد ابن شيخ الإسلام بن حجر الشافعى، وبين قاضى القضاة سعد الدين سعد الديرى الحنفى كلام اقتضى عزل ابن حجر نفسه من القضاة، فأعاده السلطان إلى وظيفة القضاة، وجدد له ولاية ثانية عنه. وأضاف إليه ما خرج عنه فى الأيام الأشرفية من نظر الأوقاف ونظر وقف قراقوش، ونظر وقف بيبغا التركمانى، ونظر وقف المدرسة الطيبرسية (٢) بجوار الجامع الأزهر، وأكد عليه فى أنه لا يقبل رسالة متجوه، ولا يؤجر وقفا لذى جاه، فما أحسن ذلك لو تم ودام.

وفيه جهز توقيع برهان الدين إبراهيم بن الباعونى بقضاء دمشق عوضا عن المقر

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٤٨.

(٢) كانت تقع بجوار الجامع الأزهر، أنشأها الأمير علاء الدين طيبرس الخازندارى. انظر المواعظ والاعتبار ٢/٣٨٣، وهو طيبرس بن عبد الله الجند علاء الدين: أديب نحوى، من المماليك. اشتراه أحد الأمراء فى البيرة وعلمه القرآن والخط، وأعتقه، فقدم دمشق، فتفقه ومهر فى الأدب ونظم ألفية ابن مالك ومقدمة ابن الحاجب، جامعا بينهما فى أرجوزة سماها الطرفة تسعمائة بيت، وشرحها ومات بالطاعون فى صالحية دمشق. انظر الدرر الكامنة ٢/٢٢٩، شذرات الذهب ٦/١٦١، بغية الوعاة، الأعلام ٣/٢٣٥.

الكمالى محمد بن البارزى كاتب السر، وحمل له التشريف أيضا بسفارة القاضى عبد الباسط.

وفى يوم السبت رابع عشره: أنعم على الأمير أينال بإقطاع إحدى تقدمتى قرقماس. وأنعم بإقطاع أينال على الأمير أسنبغا الطيارى، وأنعم على الأمير ألطنبغا المرقبى بإقطاع قراجا، واستقر من أمراء الألوف وكان قد خمل بعد موت المؤيد شيخ عدة سنين. وأنعم على الأمير قراجا بإقطاع الأتابك أقبغا التمرازى [1].

وفى يوم الثلاثاء سابع عشره: خلع على المقر الكمالى محمد بن البارزى، واستقر فى كتابة السر، وقد قدم من الشام. وهذه ولايته الثالثة بديار مصر.

وعزل الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله، خلع عليه جبة بفرو سمور، فنزل المقر الكمالى على فرس سلطانى بقماش ذهب فى موكب جليل إلى الغاية، وركب معه الأمير أركماس الدوادار، والصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله، وعامة أهل الدولة.

وفيه خلع على الأمير أسنبغا الطيارى، واستقر دوادارًا ثانيًا، عوضًا عن الأمير أينال. وخلع على الأمير يلبغا البهائى أمير منزل أحد أمراء العشرات، واستقر حاجبًا ثانيًا عوضًا عن أسنبغا الطيارى، وأنعم عليه بإمرته.

وفى يوم الخميس تاسع عشره: خلع على الأمير أينال، واستقر أمير الحاج. وأنعم عليه بعشرة آلاف دينار.

وفيه جهز المقر الكمالى كاتب السر تقدمة سنية للسلطان، ما بين خيل وثياب حرير وثياب صوف وفرو، وغير ذلك، مما قيمته زيادة على ألف وخمسمائة دينار (٢).

وفى هذا الشهر: شنع إفساد الدود للزروع، فإن الماء نزل سريعًا عن الأراضى قبل أوان نزوله، واشتد الحر مع ذلك فى هذه الأيام.

وفى يوم الأربعاء خامس عشرينه: نفى عدة من المماليك الأشرفية إلى الواحات، فخرجت عيالاتهم وأصحابهم يصرخون، فكان شيئًا نكرًا.

وفيه نفى أيضًا عز الدين عبد العزيز البغدادى قاضى الحنابلة بدمشق وقد قدم منها بعد عزله بابن مفلح، واجتمع بالسلطان، فما وفق فى الخطاب فغضب منه ونفاه.

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ٤٩/١٥.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٤٩/١٥.

وفى هذا الشهر: هدم جانب من المعلقة - إحدى معابد النصارى بمدينة مصر - وقد حضر القضاة مع أمين من قبل السلطان.

وفيه ادعى على بطرك اليعاقبة عند قضاة القضاة بين يدى السلطان بما وضع عليه يده من أموال من مات من النصارى ولا وارث له، فأجاب بأن عنده مستندًا بأخذ ذلك، فخرج فى الترسيم على البيان، ثم انحل أمره فى ذلك.

وفيه فشت الأمراض فى الناس بالحميات إلا أنها فى الأكثر سليمة تقلع فى السابع.

وفى آخر هذا الشهر: أفرج عن الخطير، على مال يحمله بعد أن عوقب، وأخذت خيوله وجواريه.

شهر جمادى الأولى، أوله الثلاثاء:

فى خامسه: رسم بنقل الأمير خشقدم الطواشى ونائبه من سجن الإسكندرية إلى دمياط على حمل خمسة عشر ألف دينار. وقدم كتاب الأمير تغرى برمش نائب حلب بأنه مقيم على الطاعة، وأنه لبس التشريف المجهز إليه، وقبل الأرض على العادة فلم يوثق بذلك منه، وأخذ فى العمل فى إمساكه والقبض عليه بملطفات كتب إلى أمراء حلب فى الباطل خفية لكثرة الإشاعات بسلوكه طريق من هو خارج عن الطاعة، فإنه أكثر من استخدام المماليك واستمال عدة طوائف من التركمان، إلى غير ذلك.

وفى يوم الإثنين سابعه: خلع على ولى الدين محمد السفطى مفتى دار العدل وأحد خواص السلطان واستقر فى وكالة بيت المال، عوضًا عن ابن النسخة شاهد القيمة.

وفى ثامنه: خلع على الشريف صخرة بن مقبل بن نخبار، واستقر فى إمرة ينبع، عوضًا عن الشريف عقيل بن وبير بن نخبار [١].

وفى هذا الشهر: - والذى قبله - زالت نعم جماعة كثيرة من الأشرفية ما بين أمير ومملوك وكاتب وغير ذلك، فمنهم من قتل ومنهم من سجن، ومنهم من نهب، ومنهم من صودر، وآخرون يترقبون ما يحل بهم.

وفى يوم الخميس عاشره: خلع على زين الدين يحيى قريب ابن أبى الفرج، واستقر فى نظر الإسطبل على مال وعد به، وخلع على محمد الصغير معلم النشاب، أحد معارف السلطان، واستقر فى ولاية دمياط، عوضا عن ناصر الدين محمد ابن الأمير فخر الدين بن أبى الفرج، وكان من قريب قد وليها فعزل بعد أيام [٢].

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٥٠.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٥٠.

وفي يوم السبت ثاني عشره: قبض على عمر أخي التاج والى القاهرة ورسم بنفيه إلى قوص. ثم أمر أن يلزم بيته على مال قرر عليه يقوم به.

وفي يوم الثلاثاء خامس عشره: ضرب الشيخ حسن العجمي بالمقارع ضربًا مبرحًا، وشهر بالقاهرة، ثم سجن، وهذا الرجل قدم القاهرة، ودار في الأسواق يستجدي ويكدي، فيتصدق الناس عليه. ثم تعرف بالأشرف برسباي، واختص به اختصاصًا زائدًا، بحيث يدخل خلواته متى شاء بغير إذن، ويقف فوق الأمراء، فتمكن من السلطان وعظم قدره. وبذل له الأكابر الأموال خشية منه. ثم بنى له السلطان قبة كبيرة بالصحراء، ووقف عليها وقفًا له متحصل كثير، فثقل على أهل الدولة لكثرة أخذه المال منهم، ولسوء أثره فيهم عند السلطان إلى أن زالت الدولة الأشرفية، وبدا لهم سيئات ما كسبوا. قبض على حسن هذا، وضربه السلطان، وسجنه، ثم ادعى عليه عند قاضي القضاة المالكي بما يوجب إراقة دمه، فلم يثبت ما ادعى به عليه فضرب هذا الضرب الثاني، ثم نفي بعد سجنه إلى قوص، وأخذ ما وجد له [١] وفي هذه الأيام رسم باستقرار تقي الدين أبي بكر بن أحمد بن محمد - عرف بابن قاضي شهبة [٢]- في قضاء دمشق، وذلك أن البرهان إبراهيم ابن الباعوني لما توجه إليه التوقيع والتشريف باستقراره في قضاء القضاة بدمشق، عوضًا عن المقر الكمال محمد بن البارزي كاتب السر، امتنع من القبول، فأتاه الأمير أينال الجكمي نائب الشام إلى بيته، وسأله أن يقبل، فلم يجبه، وصمم على الامتناع، فبعث النائب بذلك.

فرسم لابن قاضي شهبة بالقضاء وجهز له التشريف والتوقيع، ورسم باستقرار أبي اليمن أمين الدين محمد بن جمال الدين أبي الخير محمد ابن الفقيه علي النويري[٣]

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ٥١/١٥.

(١) ابن قاضي شُهْبَة (٧٧٩- ٨٥١هـ= ١٣٧٧-١٤٤٠م) أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين: فقيه الشام في عصره مؤرخها وعالمها، من أهل دمشق. اشتهر بابن قاضي شهبة، لأن أبا جده (نجم الدين عمر الأسدي) أقام قاضيا بشهبة (من قرى حوران) أربعين سنة من تصانيفه « الإعلام بتاريخ الإسلام: منتقى تاريخ الإسلام للذهبي وما أضيف إليه من تاريخي ابن كثير والكتبي وغيرهما و «مناقب الإمام الشافعي و الكواكب الدرية في سيرة نور الدين الشهيد محمود بن زنكي و طبقات النحاة واللغويين و مدارس دمشق وحماتها وطبقات الحنفية». انظر الضوء اللامع ٢١/١١، ونظم العقبان ٩٤، شذرات الذهب ٢٦٩/٧ حوادث الدهور ٢٥/١، وآداب اللغة ١٩٥/٣ الفهرس التمهيدي ٣٢٢ و٤٠٥و ٤٠٧ كشف الظنون ١٢٧، ١١٠١، إيضاح المكنون ٣٠٢/١ والأعلام ٦١/٢.

(٣) محمد بن محمد أبو القاسم محب الدين النويري (٨٠١-٨٥٧هـ=١٣٩٩-١٤٥٣) فقيه=

- خطيب الحرم - فى قضاء مكة وخطابتها، عوضًا عن أبى السعادات محمد بن أبى البركات محمد بن أبى السعود ابن ظهيرة، وجهز له التشريف والتوقيع.

وفى يوم الأحد سابع عشرينه: أنفق فى خمسمائة من المماليك الأشرفية، كل واحد عشرة دنانير، ليخرجوا تجريدة لقتال هوارة، ببلاد الصعيد.

شهر جمادى الآخرة، أوله الخميس:

فيه برز الأمير سودون المحمدى، ومن معه: وذلك أن السلطان عزم على غزو بلى، لما تقدم منهم من نهب الحجاب فندب سودون المحمدى لذلك، وعين معه مائة من المماليك الأشرفية، أنفق فيهم ثمانية آلاف دينار، سوى الخيل والجمال، حسابًا لكل مملوك ثمانون دينارًا، وأنعم على سودون المحمدى بثلاثة آلاف دينار، وولاه نظر الحرم بمكة، عوضًا عن ولى الدين محمد بن قاسم، ورسم بمسير عرب الكرك، وعرب ينبع معه.

وخلع على تاج الدين محمد بن حتى السمسار، واستقر فى نظر جدة، عوضًا عن سعد الدين إبراهيم بن المرة.

وفى يوم الجمعة ثانيه: أخرجت خطابة الجامع الطولونى ومشيخة الميعاد عن أبى اليسر محمد بن زين الدين أبى هريرة عبد الرحمن بن النقاش، وخطب عوضه برهان الدين إبراهيم بن ميلق، لشىء فى نفس السلطان من أبيه.

وفى يوم الإثنين خامسه: استقل سودون المحمدى بالمسير نحو الحجاز بمن معه، وسار بعده أمير أحمد بن على بن أينال فى عدة من المماليك وغيرهم لإصلاح مناهل طريق الحجاج، وتوجهت المماليك الأشرفية إلى الصعيد لقتال هوارة، وخلع على الأمير أقبغا التركمانى واستقر فى نيابة الكرك، عوضًا عن الوزير الأمير غرس الدين خليل، ونقل خليل إلى صفد، واستقر بها أميرًا كبيرًا.

وفى سابع عشره: ورد الخبر بأن جيهان شاه بن قرا يوسف ملك قلعة النجا من

=مالكى عالم بالقراءات ولد فى الميمون من قرى صعيد مصر. وتعلم بالقاهرة، رجع مرارا وأقام بغزة والقدس ودمشق وغيرها. وتوفى بمكة وكان يتكسب بالتجارة مستغنيا عن وظائف الفقهاء. عرض عليه القضاء فامتنع وجعل له مرتب فى كل يوم دينار، فرده وقال: يريد حقمق أن يستعبدنى. له تصانيف، منها «شرح المقامات الكافية فى النحو والصرف والعروض والقافية خ» وهى أرجوزة له و«الغيات» منظومة فى القراءات الثلاثة الزائدة على السبع وشرحها «وشرح طيبة النشر فى القراءات العشر خ» وهى لشيخه ابن الجرزى و«القول الجاز لمن قرأ بالشاذ» شرح الدره الحصينة - خ «فى القراءات. انظر الأعلام ٤٧/٦.

عمل توريز، وكانت بيد ابن أخيه إسكندر، فعوضه عنها قلعة أونيك[١] وأنه طلب أيضًا أرزن الروم من صاحبها، وأن جوكى ابن القان معين الدين شاه رخ بن تيمورلنك شتي على قرا باغ، وأن القان شاه رخ أرسل ثلاث خلع وشطفه[٢] إلى مراد بك بن عثمان ملك الروم، فخرج الوزراء إلى لقاء القادم بها، وأخروا إظهار الشطفة، ودخلوا بالرسل فى مجلس خاص، فلبس مراد الخلع، ودار بين الرسل وبينه حديث فى مصاهرة القان، بأن تكون بنات كل منهما لأولاد الآخر.

شهر رجب، أوله الخميس:

فيه أنفق المماليك نفقة الكسوة، وكانت عادتهم فى أيام الأشرف برسباى أن يدفع لكل واحد منهم خمسمائة درهم من الفلوس التى هى نقد مصر الآن، فوقفوا فى يوم الإثنين الماضى، وطلبوا أن ينفق فيهم عن ثمن الكسوة عشرة دنانير لكل واحد، فمازالوا بهم حتى أنفق فيهم ألف درهم لكل مملوك، وألف وخمسمائة لكل خاصكى.

وفيه رسم أن يكون نواب قاضى القضاة الشافعى خمسة عشر ونواب الحنفى عشرة، ونواب كل من المالكى والحنبلى أربعة، ثم ازدادت عدتهم بعد ذلك.

وفى يوم الأحد رابعه: ابتدئ بقراءة صحيح البخارى بين يدى السلطان بالقصر من القلعة، وزادت عدة من حضر ومنعوا من البحث، فإنه كان يقضى إلى خصام ومعاداة، فانكفوا عنه، و لله الحمد.

وفى يوم الخميس ثامنه: جمع القضاة والأمراء والمباشرون بالقصر وقت الخدمة وأقيم بعض نواب القاضى الشافعى وكيلا، فادعى على نقيب الحكم، وقد أقيم وكيلا عن الأمير قرقماس الشعبانى دعوى حسبة بين يدى قاضى شمس الدين محمد البساطى، المالكى، بأن الأمير قرقماس خرج عن طاعة السلطان، وحارب الله ورسوله، فقتل بسببه عدة أناس، وأن فى بقائه فى السجن مفسدة وإثارة فتن، وأن فى قتله مصلحة، فشهد بذلك جماعة من الأمراء، وحكم البساطى بموجب ذلك، فقيل له ما موجبه؟، فقال: «القتل»، فندب بعض المماليك لقتله، وجهز إلى الإسكندرية، فقتله فى يوم الإثنين ثانى عشره قتلة شنعاء، وهو أنه أخرج فى قيده من السجن إلى مجلس الأمير تمرباى نائب الإسكندرية، وقد جمع الناس، فأوقف على حكم البساطى بقتله، وقيل له «لك دافع أو مطعن فيما شهد به عليك؟»، فأجاب بعدم الدافع والمطعن، فأقيم قيالما

---

(١) قلعة حصينة فى كورة ياسين من أرض أرزن الروم. انظر معجم البلدان.

(٢) هى العصابة أو المنديل الذى يتدلى خلف الرأس.

عنيفا وأخرج إلى ظاهر المدينة، وأقعد عريانا، وتقدم المشاعلى، فضربه بالسيف، فأخطأ عنقه، ووقعت الضربة على الكتف، ثم ضربه ثانيا فقدَّت تحت كتفه، حتى ظهر داخل صدره، ثم ضربه مرة ثالثة، فأصابت العنق، ولم تقطعه، فحزه غير مرة حتى انفصل الرأس عن البدن، ونزل فى موضعه حتى واراه بعض أتباعه، فكان فى ذلك عبرة، ولم نعهد مثل ذلك، لا من حيث هذه الدعوى وهذا الحكم الذى زعموا أنه من الأحكام الشرعية، ولا من حيث أن أميرا من عظماء الدولة ترشح للسلطنة يقتل هذه القتلة الشنيعة ثم لا يحسن قتله، ﴿وَإِذَا أَرَادَ الله بِقَوْمٍ سُوءًا فَلا مَرَدَّ لَهُ﴾ [1].

وفى يوم الإثنين تاسع عشره: خلع على يلبغا البهائى أحد الحجاب، واستقر فى نيابة الإسكندرية، عوضا عن الأمير تمرباى.

وفيه ورد الخبر بأن الأمير سودون المحمدى توجه هو والشريف صخرة أمير ينبع، وأمير بنى عقبة، فى طلب بلى، حتى لقوهم بالقرب من أكره، فيما يلى الشرق عن يسار درب الحاج عند جبل الورد، فى يوم السبت ثالث شهر رجب وحاربهم بمن معه، وقتل منهم جماعة، وجرح كثيرا، فانهزموا، وقتل ممن معه جماعة وأنه مضى بجماعة يريد ينبع.

وفى يوم السبت رابع عشرينه: قدم الأمير على باك بن قرايلك، وكان ببلاد الروم، فوصل منها إلى أرزنكان، وبها ولده جهان شاه، وأخوه يعقوب بن قرايلك، فثار به أخوه يعقوب، وأخرجه هو وابنه جهان كير، فقدما حلب. وأقام ابنه جهان شاه فى حصن منصور - قريبا من بهسنى - ومعه جماعة ألاق من قبائل التركمان، ثم تحول حتى نزل بمن معه الساجور[2] قريبا من حلب وقدم هو راغبا فى طاعة السلطان، فخلع عليه، وأنزل، وأجرى عليه ما يليق به.

وفى سلخه: أقيم الملك الأشرف إسماعيل بن الظاهر عبد الله بن الأشرف إسماعيل ملكا بزبيد وتعز وعدن من بلاد اليمن، بعد موت أبيه، وله من العمر نحو العشرين سنة.

شهر شعبان، أوله السبت:

فى يوم الأربعاء خامسه: هدمت دار الشيخ زين الدين أبى هريرة عبد الرحمن ابن الشيخ شمس الدين أبى إمامة محمد بن النقاش، من زيادة الجامع الطولونى، وكان من خبر ذلك أن أبا هريرة بن النقاش أخذ خطابة الجامع الطولونى ومشيخة الميعاد من ابن

---

(١) سورة الرعد الآية ١٣.

(٢) ساجور: هو اسم نهر بمنبج. انظر معجم البلدان ٣/١٧٠.

السبكي - مغالبة - فأحب أن يكون سكنه بحذاء الجامع، فاستأجر قطعة أرض من زيادة الجامع وبنى بها دارًا بعد سنة ثمانين وسبعمائة، ثم فتح منها باب فى جدار الجامع، وصار يعبر منه إلى الجامع فى أوقات الصلوات وغيرها، ثم خرق فى جدار الجامع طاقات تشرف على الجامع فى مجلس عمله، وحفر فى هذه الدار صهريجا، وعمل بها إصطبلا لدوابه، فثار عليه جماعة، فإنه كان كثير الأعداء، وأنكروا عليه ذلك، فأخذ خطوط أهل العلم بجواز ما عمله، وكانت له - ولأخصامه - بسبب هذه الدار وقائع كثيرة ومنازعات طويلة، عقد له ولهم فيها مجالس عديدة فى كل دولة، وهو يستظهر عليهم فيها، وكان رحمه الله جلدا، صبورا، لا يصد ولا يرد، فمرت به من أجلها خطوب وكروب، حتى مات. وقد جعل هذه الدار وقفا على أولاده فجرى لهم بعده بسببها شرور كثيرة ومخاصمات طويلة، والحكام لا تقدم على هدمها، لما بأيدى أولاد ابن النقاش من فتاوى شيوخ العلم، وأحكام القضاة الذين كانوا لا يدرهنون[1] فى الفتوى ولا فى الحكم، إلى أن أظهر السلطان الوقيعة فى أبى هريرة بن النقاش وولديه، وأخرج عن أبى اليسر الخطابة ومشيخة الميعاد كما تقدم ذكره.

وعزم على هدم هذه الدار، فندب القضاة غير مرة للنظر فى أمرها، فلم يتجه لهم هدمها إلى أن أقدم البساطى على الحكم بذلك، فجمع هو وبقية القضاة بين يدى السلطان، وقام ولى الدين محمد السفطى وكيل بيت المال، وأدعى على أولاد أبى هريرة عند قاضى القضاة شمس الدين محمد البساطى بأن مدة إجارة الأرض الحاملة لبناء هذه الدار قد انقضت، وسأل رفع البناء عنها، فحكم البساطى على أولاد أبى هريرة برفع البناء الموقوف، ونزل حتى حضر هدمهم لها فى يوم الخميس غده. فكان هذا - مع ما تقدم - مما لم نسمع بمثله، غير أن فى ذلك عبرة لأولى النهى، وذلك أن شمس الدين أبا أمامة محمد بن النقاش قام على قطب الدين محمد بن الهرماس حتى هدم السلطان الملك الناصر حسن[2] داره من أجل أنه بناها فى زيادة جامع الحاكم، فعوقب بعد نحو ثمانين

---

(١) أى لا يدفعون تقول: درهت عن القوم دفعت عنهم. انظر لسان العرب (درأ).

(٢) الملك الناصر (٧٣٦-٧٦٢هـ =١٢٣٦-١٣٦١م) حسن (الناصر) بن محمد (الناصر) بن قلاوون، أبو المحاسن: من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. بويع بمصر، صغيرا، بعد مقتل أخيه (حاجى المظفر) سنة ٧٤٨هـ. وكان اسمه «قمارى فقلما ولى السلطنة تسمى «حسنا» وقام بأمور الدولة الأمير يلبغا أروس نائب السلطنة، ووزعت العطايا باسم الناصر. واستمر إلى سنة ٧٥٢هـ، فثار عليه بعض أمراء الجند، فخلعوه، وسجنوه بالقلعة فى دور الحرم، وولوا أخاه صالحا (الصالح الثانى) ثم خلعوه (سنة ٧٥٥هـ) وأعادوا الناصر، فقبض على زمام الأمور بحزم. وخافه الناس فأكمن له مملوكه الأمير «يلبغا» كمينا، وهو فى بر الجيزة، فأخذ على غرة، وقاتل بعد=

سنة، بأن هدمت دار ولده أبى هريرة من أجل أنها بنيت فى زيادة جامع ابن طولون، ولقد سمعت أمى أسماء ابنة محمد بن عبد الرحمن ابن الصايغ الحنفى - وكان ابن الصايغ من الأفراد فى أمور الدين والدنيا - يقول عن الله تعالى أنه قال: يا داود أنا الرب الودود، أعاقب الأبناء بما تفعله الجدود، فلقد عوقب فى هذه الحادثة أبو أمامة أبو اليسر، أبناء أبى هريرة - بما فعله جدهما أبو أمامة شمس الدين ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[1].

وفى يوم السبت ثامنه: جمع الحافظ قاضى القضاة شهاب الدين شيخ الإسلام أبو الفضل أحمد بن حجر، أعيان الدولة، وفيهم المقام الناصرى محمد ولد السلطان وغيره من الأمراء، وكاتب السر، وناظر الجيش، والوزير وناظر الجيش، والقضاة وشيوخ العلم فى عامة طلبة العلم وغيرهم، فاجتمعوا بأعلا الخمس الوجوه من أرض التاج خارج القاهرة.

وكان الوقت شتاء والأرض مخضرة بأنواع الزراعات، والخيول على مرابط ربيعها، وقدم لهم من أنواع الحلاوات وألوان الأطعمة الفاخرة ما يجل وصفه ويكثر مقداره، وقد أكمل تصنيف كتاب فتح البارى بشرح صحيح البخارى فى عشرين مجلدة، ثم قرئ من آخره بمجلس خفيف، وقام بعده ختمه الشعراء، فقرأ عدة منهم قصائد فى مدحه، هذا وقد اجتمع بهذه المنظرة وحولها من أسفلها عالم كبير من الرجال وغيرهم، ونصبت هناك سوق، وضربت خيام عديدة، فكان من الأيام المذكورة التى لم نعهد فى معناه مثله، أنفق فيه مال جزيل على ما تقدم من المآكل، وما أجيز به الشعراء فى هذا اليوم.

وفى يوم آخر بعده: اجتمعوا فيه بخانكاة بيبرس من القاهرة، قام فيه شعراء أخر بمدائحهم، فأجيزوا بجوائز سنية عديدة، وفرق أيضًا مال جم فى جماعة كثيرة، كتبوا هذا الشرح ، والحافظ المشار إليه يمليه عليهم بهذه الخانكاة، حتى أكملوا نسخه فى أعوام، فكان هذا من المآثر السنية، والفضائل الجليلة التى زادت فى رفعته.

وفى تاسع عشره: ورد الخبر بأن العسكر المجرد ببلاد الصعيد حارب هوارة عدة مرار، وأنهم محتاجون إلى نجدة.

=قليل من حاشية، قنجا. وتنكر بذى أعرابى، وأراد السفر إلى الشام، فقبض عليه فى المطرية، فكان آخر العهد به وقيل: خنق ورمى فى النيل. انظر ابن إياس: ١٩٠/١، ٢٠٢ ووليم سوير ١٠١ والبداية والنهاية ٢٢٤/١٤-٢٧٨، ٢٧٩. والأعلام ٢١٦/٢.

(١) سورة الكهف، الآية ١٨.

وفى هذا الشهر: وقع الوباء بالوجه البحرى من أرض مصر، وقدم الخبر أن الوباء وقع فى فصل الصيف ببلاد إفريقية كلها.

شهر رمضان، أوله الأحد:

فى ثانيه: توجه الأمير يشبك أمير سلاح على عسكر، نجدة لقتال هوارة، بعدما أنفق فيهم، وفيه.

وفى يوم الثلاثاء عاشره: خلع على من قدم من مشايخ بلى الذين أخذوا الحجاج، وقد سألوا العفو، والتزموا بحفظ الحاج.

وفيه قدم الطواشى خشقدم ونائبه فيروز الركنى الرومى من دمياط، فأمر بالتوجه إلى المدينة صحبة ركب الحاج، والإقامة بها.

وفى حادى عشره: قدم كتاب الأمير قانبيه الحمزاوى نائب حماة، يتضمن ورود الأمير بردبك العجمى حاجب حلب، وصحبته من أمراء حلب أميران إلى حماة، وذلك أن الأمير تغرى برمش نائب حلب، أراد من الأمير حطط نائب القلعة أن يمكنه منها، فلم يوافقه، ورمى عليه من القلعة، فركب وركب عليه الأمراء واقتتلوا، فانهزم الأمير بردبك بمن معه فى ليلة الجمعة ثامن عشرين شعبان. ودخلوا حماة، فى آخر يوم السبت سلخه، فكتب باستقرار بردبك المذكور فى نيابة حماة، عوضًا عن الأمير قانباى الحمزاوى، وأن ينتقل قانباى إلى نيابة طرابلس، عوضًا عن الأمير جلبان المؤيدى، وأن ينتقل جلبان إلى نيابة حلب، عوضًا عن تغرى برمش، لخروجه عن الطاعة، وتوجه الأمير على باى رأس نوبة لنقل الأمير جلبان من طرابلس إلى حلب ومعه تقليده وتشريفه، وتوجه لتقليد قانباى نيابة طرابلس الأمير جانبك المحمودى رأس نوبة، وكلاهما من أمراء العشرات.

وفى يوم الإثنين سادس عشره: ورد الخبر من الأمير طوخ مازى - نائب غزة - بأن الأمير ناصر الدين محمد بن منجك لما وصل من عند السلطان بما على يده إلى جسر يعقوب، بعث ملك الأمراء الأمير أينال الجكمى نائب الشام ساعيًا باستعجاله، وأردفه بآخر، حتى قدم يوم السبت سابع شهر رمضان، فخرج إلى لقائه، ولبس التشريف المجهز على يده، وركب الفرس المحضر معه، وقبل الأرض على العادة، ودخل فى الموكب جليل حتى نزل دار السعادة، فاطمأن الناس، بعدما كانت الإشاعة قوية بمخامرته(١).

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٥٧.

فلما كان يوم الإثنين تاسعه: ركب ملك الأمراء[1] فى الموكب على العادة، ودخل دار السعادة وجميع الأمراء وسائر المباشرين بين يديه، فما هو إلا أن استقر فى مجلسه، وإذا به قد قبض على الأمير برسباى حاجب الحجاب، وأغلق الباب، وقبض على الأمراء والمباشرين بأجمعهم، وأن جلبان وجانبك المتوجهين لتقليد نائب حلب ونائب طرابلس وصلا إلى غزة، وأقاما بها، فاضطرب السلطان لهذا الخبر وكثر قلقه، وجمع الأمراء، فأشاروا بسفره[2].

وفى يوم الأربعاء ثامن عشره: ورد الخبر بأن الأمير قطج أتابك حلب قدم إلى حماة، فارًا من تغرى برمش، وأن تغرى برمش أخذ عنتاب وقلعتها، وأن عدة من قبض عليه أينال الجكمى بدمشق تسعة عشر أميرًا، وقبض أيضًا على جمال الدين يوسف بن الصفى الكركى ناظر الجيش، وعلى بهاء الدين محمد بن حجى كاتب السر، وأن جانبك وجلبان توجها من غزة إلى نحو صفد[3].

وفى يوم الخميس عشرينه: ورد كتاب الأمير تغرى برمش، مؤرخ بثانى شهر رمضان، يتضمن أنه فى يوم الثالث والعشرين من شهر شعبان لبس الأمير حطط نائب قلعة حلب ومن معه بالقلعة السلاح، وقاموا على سور القلعة، ونصبوا المكاحل وغيرها، وأمروا من تحت القلعة من أرباب المعايش وسكان الحوانيت بالنقلة من هناك وأنه لما رأى ذلك بعث يسأل حطط عن سبب هذا، فلم يجبه. إلى أن كان ليلة التاسع والعشرين منه، ركب الأمير قطج الأتابك والأمير بردبك الحاجب فى عدة من الأمراء لابسين السلاح، ووقفوا تحت القلعة، فبعث إليهم جماعة من عسكره، فكانت بين الفريقين وقعة انهزم فيها قطج، وأنه باق على طاعة السلطان[4].

وأنه بعث يسأل نائب القلعة عن سبب هذه الحركة، فأجاب بأن الأمير بردبك الحاجب ورد عليه مرسوم السلطان «بالركوب عليك وأخذك»، وجهز أيضًا محضرًا ثابتًا على قضاة حلب بمعنى ما ذكر وأنه باق على طاعة السلطان، ولم يتعرض إلى القلعة، فلم يعول على ذلك لما تقرر من خروجه عن الطاعة، وورد أيضًا الخبر من الأمير فارس نائب قلعة دمشق بأن الأمير أينال الجكمى أجهر النداء بدمشق وأعمالها بالأمان والاطمئنان والدعاء للسلطان الملك العزيز يوسف بن برسباى، وأن تقى الدين أبا بكر

---

(١) يقصد الأمير أينال الجكمى.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٥٧.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٥٨.

(٤) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٥٨.

ابن قاضى شهبة قاضى القضاة دعا للعزيز على منبر جامع بنى أمية فى يوم الجمعة، وأن الخطبة بقلعة دمشق للسلطان الملك الظاهر جقمق.

وفى يوم السبت حادى عشرينه: خلع على القاضى بدر الدين محمد ابن شيخنا قاضى القضاة ناصر الدين أحمد التنسى أحد خلفاء الحكم، واستقر فى قضاء القضاة المالكية، عوضًا عن شمس الدين محمد البساطى، وقد مات(١).

وفى يوم الأحد ثانى عشرينه: نودى بعرض المماليك على السلطان.

وفيه عرضت الخاصكية على السلطان، فعين منهم للسفر إلى الشام ثلاثمائة وعشرين خاصكيًا.

وفى يوم الإثنين ثالث عشرينه: خلع على الأمير الكبير الأتابك أقبغا التمرازى، واستقر فى نيابة الشام، عوضًا عن أينال الجكمى؛ لخروجه عن الطاعة(٢).

وفيه قدم الخبر من الإسكندرية بأن طائفة القطلان عمَّروا اثنى عشر غرابًا؛ لتسير فى البحر نحو سواحل الشام وسواحل الروم، وأن مراد بن عثمان ملك الروم عمر مائة غراب، وأن متملك انكرس من الفرنج مات.

وفى يوم الثلاثاء رابع عشرينه: عرض السلطان المماليك، وعين منهم للسفر إلى الشام ثلاثمائة وثلاثين مملوكًا لتتمة ستمائة وخمسة وخمسين.

وفى يوم الأربعاء خامس عشرينه: عين للسفر من الأمراء الألوف قراقجا الحسنى رأس نوبة النوب، وتمر باى الظاهرى ططر، ومن الطبلخاناه طوخ التمرازى رأس نوبة ثانى، ومن أمراء العشرات عشرة، وهم: أقطوه الموسوى (٣)، وتنم بن عبد الرازق

(١) انظر النجوم الزاهرة ٥٩/١٥.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٥٩/١٥.

(٣) أقطوه بن عبد الله الموساوى الظاهرى، الأمير سيف الدين. هو من أصاغر المماليك الظاهرية برقوق، ومن أنيات الأتابك يلبغا الناصرى، وممن صار من جملة الدوادارية الصغار فى الدولة المؤيدية شيخ إلى أن أنعم عليه الملك الظاهر ططر بإمرة عشرة، ثم صار مهمندارًا فى الدولة الأشرفية برسباى، ثم أرسله الملك الأشرف بعد سنة وثلاثين إلى القان معين الدين شاه رخ بن تيمورلنك، فغاب مدة تزيد على سنة، وقدم إلى الديار المصرية بعد أن قاسى خطوبًا فى طريقه. واستمر على إمرته إلى أن مات الملك الأشرف برسباى إلى الملك الظاهر حقمق، أنعم عليه بإمرة طلبخاناه عوضًا عن الأمير طوخ من تمراز الناصرى المعروف بابنى بازق بحكم انتقال طوخ إلى طلبخاناه غيرها. وأستمر آقطوه على ذلك مدة، إلى أن نفاه السلطان إلى البلاد الشامية، وأنعم بإقطاعة على الأمير ألطنبغا اللفاف الظاهرى زيادة على ما بيده، فأقام المذكور بالبلاد الشامية مدة، ثم شفع فيه وطلب إلى القاهرة؛ فأقام بها مدة، وأنعم عليه بإمرة عشرة بعد موت الأمير=

المحتسب بالقاهرة ورأس نوبة، ثم أعفى بعد ذلك من السفر، ويشبك بن أزوباى رأس نوبة وبايزير بن صفر خجا رأس نوبة، وأقبردى الأشرفى أمير أخور ثالث، وطوغان السيفى ألان، وسودون قرقاش الأينالى[١] رأس نوبة، وسودون النوروزى السلاح دار رأس نوبة، وجانبك السيفى نوروز[٢] رأس نوبة، وخشكلدى الناصرى[٣].

=أبى يزيد الأشرفى فاستمر على ذلك مدة إلى أن خلع عليه بكشف الجسور وتوجه إلى ما ندب إليه، فلم تشكر سيرته، وشكاه بعض خواص الملك الظاهر له؛ فرسم بنفيه أيضًا، وأنعم بإقطاعه على الأمير تغرى برمش اليشبكى الزردكاش زيادة على ما بيده، ثم شفع فى أقطوه المذكور؛ ليقيم بالقاهرة بطالاً، فأمر له بذلك. قام بالقاهرة إلى أن توفى بعد مرض يسير فى شهر صفر سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة، وسنه نيف على السبعين، وخلف مالاً جزيلاً وعدة أملاك. وكان تركى الجنس، متوسط القد، خفيف اللحية، مسيكًا، إلا أنه كان عفيفًا عن القاذورات، ويشارك فى بعض مسائل، وبذاكر بالتاريخ مذاكرة هينة، رحمه الله تعالى.انظر الدليل ١/١٤٤، والنجوم ١٥/٥٢٥، الضوء اللامع ٢/٣١٩، التبر المسبوك ٢٣٧، بدائع الزهور ٢/٢٦٢.

(١) انظر ترجمته المنهل الصافى، الضوء اللامع ٣/٢٧٦.

(٢) جانبك بن عبد الله اليشبكى الساقى،والى القاهرة (٨٥٧ هـ = ١٤٥٣ م)، الأمير الزردكاشى، الأمير سيف الدين. أصله من مماليك الأمير يشبك الجمكى الأمير ىخور، واستمر بخدمة أستاذه المذكور إلى أن مات فى حبسه بثغر الإسكندرية، اتصل بخدمة الملك «الأشرف برسباى وصار خاصكيا، ثم صار ساقيا بعد موت الملك الأشرف إلى أن أنعم عليه الملك» الظاهر حقمق بعد سنة سبع وأربعين وثمانمائة بإمرة عشرة، ثم ولاه رأس نوبة من جملة رءوس النوب، ثم ولاه ولاية القاهرة على كره منه، بعد عزل منصور بن الطبلاوى، وأضيف إليه الحجوبية وشد الدواوين، كل ذلك زاىادة على ما بيده. واستمر على ذلك إلى سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة، أضيف إليه أيضًا حسبة القاهرة مضافا إلى ما بيده من الوظائف المذكورة، عوضا عن زين الدين يحيى الإستادار، فباشر الحسبة مدة إلى أن عزل عنها بيار على الطويل الخراسانى فى سنة أربع وخمسين، وبقى على ما بيده من الولاية وغيرها إلى أن تسلطن الملك المنصور عمان أخلع عليه بالزردكاشية، عوضا عن الأمير لاجين «الظاهرى، بحكم انتقال لاجين» لشد الشراب خاناة، عوضا عن الأمير يونس القباى. فباشر جانبك المذكور الزردكاشية أقل من شهر، ومرض فى أول سلطنة الملك الأشرف أينال بيوم واحد إلى أن مات فى ليلة الخميس ثامن عشر شهر ربيع الأول سنة سبع وخمسين وثمانمائة، ودفن من الغد، وتولى الزردكاشية من بعد نوكار الناصرى. وكان جانبك المذكور شابا ظريفا، عارفا بأنواع الملاعبة، وفيه ذكاء وفطنة، وعنده مشاركة ومذاكرة حلوة، وكان متجملا فى مركبه وملبسه ومماليكه، وبالجملة كان نادرة فى أبناء جنسه. انظر المنهل الصافى ٤/ ٢٣٥: ٢٣٧، الدليل الشافى ١/ ٢٣٧، النجوم الزاهرة ١٦/ ١٦٣، الضوء اللامع ٣/ ٦١، بدائع الزهور ٢/ ٣١١.

(٣) خَشْكَلدى بن عبد الله من سيدى بك الناصرى (٨٤٥ هـ = ١٤٤١ م)، الأمير سيف الدين، أحد أمراء العشرات فى الدولة الأشرفية برسباى، ورأس نوبة، المعروف بالجقمقى. أصله من=

وفيه كتب باستقرار الأمير موسى بن محمد بن حديثة فى إمرة الملا، عوضًا عن الغادر ابن عذراء بن نعير وجهز له تشريف.

وقدم الخبر من الأمير طوغان نائب القدس بأن أينال الجكمى أطلق الأمراء الذين قبض عليهم وحلفهم للعزيز، فعلم أهل المعرفة أن أمر أينال هذا لا يتم لتضييعه الحزم فى ركونه، وطمأنينته إلى الأمراء بعد أن أوحش ما بينه وبينهم بالقبض عليهم. وقد قيل:

إذا وترت أمرًا فاحذر عداوته ... من يزرع الشوك لا يحصد به عنبًا

إن العدو وإن أبدى مسالمة ... إذا رأى منك يومًا فرصة وثبا

وكان كذلك.

وفيه ورد الخبر بخروج الأمير أينال الأجرود ناب صفد منها، وأنه نزل بالرملة فى سابع عشره، بعدما دعاه أينال الجكمى إلى موافقته، وأعلمه أنه ما قام فى هذا الأمر حتى وافقه نواب الممالك وأركان الدولة بمصر، فلم يدخل فى طاعته، وخشى أن يكبس بصفد فأنزل حريمه بقلعة صفد، ونزل بالرملة مع من بها من نائب القدس وغيره.

وفى يوم الخميس سابع عشرينه: أنفق فى العسكر المجرد إلى الشام، وعدتهم ما بين خاصكى ومملوك ستمائة واثنان وخمسون فارسًا. كل واحد ثمانون دينارًا[١].

وقدم الخبر من مكة بأن الوباء شنع بمدينة صنعاء [٢] وصعدة[٣] من بلاد اليمن، حتى خلت من كبير وحاكم، لانقطاع الأئمة الزيدية منها بالفناء فبعث الملك الظاهر يحيى بن الأشرف إسماعيل صاحب زبيد وتعز وعدن بعض أمرائه، فأخذ له صعدة بغير ممانع، واستولى على ما فيهما من أموال من مات.

وقدم الخبر بأن الأمير جلبان المستقر فى نيابة حلب وصل إلى الرملة، فى يوم الإثنين

=مماليك الملك الناصر فرج ومن عتقائه، وخدم من بعده عند الأمير حقمق الأرغون شاوى الدوادار، وبه عرف، واتصل عند الملك الأشرف برسباى، وصار خاصكيا، ثم رأس نوبة الجمدارية، ثم أنعم عليه بإمرة عشرة، وجعله من جملة رءوس النوب. واستمر على ذلك إلى أن وقع بين الملك العزيز يوسف وبين الأتابك، ولازال من حزبه حتى قبض عليه الملك الظاهر حقمق، وحبسه بالإسكندرية، ثم أطلقه ونفاه غلى حلب بطالا، فدام بحلب إلى أن مات بعد سنة خمس وأربعين وثمانمائة تخمينا. وكان سكنًا، عاقلا، متواضعا، ضخمًا، إلا أنه كان مسرفًا على نفسه . انظر المنهل الصافى ٢١٤/٥، ٢١٥، الدليل ١/ ٢٨٧ النجوم ١٥/ ٢٣٨ -- ٢٤٦، الضوء ٣/ ١٧٧.

(١) انظر النجوم الزاهرة ٦١/١٥.

(٢) سبق ترجمتها.

(٣) سبق ترجمتها.

ثالث عشرينه، وسبب ذلك أن تغرى برمش استدعى جماعة كثيرة من التركمان إلى حلب فأتوه، وعمل مكحلة عظيمة من نحاس ليرمى بها على القلعة، واستمال من أهل القلعة جماعة بمال كبير بذله لهم؛ ليمكنوه منها، وشرع فى حصار القلعة، وأخذ ينقب مواضع من أسفلها، والقتال بينه وبين من فيها مستمر، إلى أن فطن الأمير حطط الدقماقى نائب القلعة بمن وافق تغرى برمش من القلية فقبض عليهم، ورمى ببعضهم عليه فى المنجنيق، وقتل جماعة منهم، وعلق رءوسهم على القلعة، ففات تغرى برمش قصده، وجد فى النقب والحصار، حتى كاد يشرف على أخذ القلعة ـ أو أشرف ـ فاتفق أنه نادى فى المدينة بالأمان، فكأنما ألقى فى آذان الناس بالنهب، فثارت العامة عند ذلك بأسلحتها، وأحاطت بدار السعادة حيث سكن تغرى برمش، فلم يثبت، وخرج فارًا يريد أن يخرج من المدينة حتى وقف خارج السور فى نحو الأربعين فارسًا، وقد نهبت العامة جميع ما كان بدار السعادة من المال والسلاح وغير ذلك، وامتدت أيديهم إلى أتباع تغرى برمش يقتلونهم أفحش قتل، وينهبون ما تصل أيديهم إليه، وذلك فى يوم الثلاثاء عاشر رمضان بعدما حوصرت القلعة ثلاثة عشر يوما، وتلاحق عدة من أصحاب تغرى برمش به، فسار يريد طرابلس، وانضم إليه الأمير طرعلي بن صقل سيز التركمانى، فلما قارب مدينة طرابلس لم يثبت الأمير جلبان، وخرج منها نحو الرملة، وقد جد فى سيره حتى دخلها فى سادس يوم، فدخل تغرى برمش طرابلس فى عشرينه، وأخذ من أهلها مالا كبيرًا، وأما جلبان فإنه انضم إلى من بالرملة من الأمير أينال الأجرود نائب صفد والأمير طوغان نائب القدس، والأمير طوخ مازى نائب غزة، وكتبوا يستدعون السلطان للمسير بنفسه بعد تجهيز العساكر بين يديه سريعًا.

وكان الذى قدم بهذا الخبر صرغتمش دوادار الأمير جلبان، فخلع عليه فى يوم الأحد تاسع عشرينه، واستقر دوادارًا بحلب، عوضًا عن الأمير سودون النوروزى.

وفيه قدم الأمير جانبك المحمودى رأس نوبة المتوجه لتقليد قانباى الحمزاوى نيابة طرابلس، بعد أن وصل إلى الرملة، ولم يتمكن من الوصول إلى حماة، فأثار عند قدومه شرورًا لها ما بعدها، فإنه زعم أنه ظفر بكتب جماعة من الأمراء وغيرهم إلى الثائرين ببلاد الشام، أوقف عليها السلطان.

وفى يوم الإثنين سلخه: عملت الخدمة بالقصر على العادة، ونزل الناس إلى دورهم، فبلغ السلطان أن الملك العزيز فقد من داره بالقلعة، فاشتد قلقه وتزايد اضطرابه، واستدعى الأمراء والمباشرين، وأعلمهم بذلك، فماج الناس، وكثرت أقاويلهم وترقبوا وقوع فتنة كبيرة، وكان سبب ذلك أن العزيز لما خلع أنزل فى بعض دور القلعة من

داخل باب الستارة حيث سكنى الحريم السلطانى، وأقرت عنده دادته التى ربته من صغره، ومعها عدة جوارى للعزيز، ما بين سرارى له وخدم، ومكنت مرضعته من التردد إليه، والإقامة عنده ما أحبت، وكان القائم بأمره فى قبض ما رتب له على السلطان من لحم ودجاج وأوز وحلوى فى كل يوم، وما فرض له من أوقاف أبيه فى كل شهر، طواشى من عتقاء أمه خوند جلبان هندى، لم يبلغ العشرين سنة، اسمه صندل، فيه يقظة وكيس، فاحتوى على جميع أحواله لانفراده بخدمته، وكان يشاع غير مرة الإرجاف بكحل العزيز وبنقله إلى الإسكندرية وهو يخبر العزيز بذلك، فيرتاع له إلى أن اشتهر أن بعض القضاة أفتى بأن فى قتل العزيز حقن الدماء وصيانة الأموال، فلم يطق صندل صبرًا على كتمان ذلك، وأكثر من إلقائه إلى العزيز وترويعه، وتحسين الفرار، إلى أن انفعل له.

وكان للعزيز طباخ أيام أبيه فداخله صندل فى إخراج العزيز فوافقه على أنه ينهض بإخراجه، وشرعت جوارى العزيز فى نقب موضع من الدار بمساعدة الطباخ من خارج، حتى تهيأ هذا، وصندل يحدث جماعة من الأشرفية فى القيام معه إذا خرج، وذلك أقصى مرادهم وغاية أملهم، فاتعدوا لذلك، حتى كان وقت الإفطار فى ليلة الإثنين، والناس فى شغل بأكلهم وقف الطباخ من خارج النقب، فخرج العزيز عريانا مكشوف الرأس، فألبسه الطباخ من خلقانه ثوبا مملوءًا بالدهن، وسواد القدور وجعل على رأسه قدرًا، وحمله على يده وعاء فيه طعام، بعد أن غير محاسن وجهه وبياض يديه ورجليه بسواد القدور، وخرج وهو معه، كأنه من جملة صبيان المطبخ، فلم يفطن أحد له، حتى خرج من باب القلعة، وقد خرج الأمراء من الفطر من عند السلطان، فضرب الطباخ العزيز ضربة منكرة وصادى به، ليرد بذلك الوهم، فمشى بين الأمراء على تلك الهيئة إلى أن نزل من باب القلعة، فإذا صندل وطوغان الزردكاش، وأزدمر فى آخرين من المماليك غير كثير، فقبلوا يده، ومضوا به إلى دار بعضهم.

وكان فى ظن العزيز ودادته وجواريه أنه إذا نزل من القلعة يجد مماليكه ومماليك أبيه مستعدين له، فإما يحارب بهم وإما يتوجه إلى الشام، فلما لم ير منهم ما كان يؤمل أراد أن يعود إلى موضعه، وليته عاد، فلم يمكنوه، وقام طوغان فى منعه من التوجه إلى الشام، والتزم أنه يمضى إلى بلاد الصعيد، ويأتى بمن هناك من المماليك الأشرفية، فى التجريدة لقتال هوارة، وهم سبعمائة فارس، ومضى من ليلته، فكان من أمره ما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى.

واختفى العزيز ـ هو وطواشيه صندل الهندى ومملوكه أزدمر وطباخه ـ وصار ينتقل

من موضع إلى موضع، والقوم فى طلبه، فمرت به فى مدة اختفائه أهوال وشدائد، حتى قبض عليه كما سنراه إن شاء الله تعالى[١].

شهر شوال، أوله الثلاثاء:

فى ليلة الثلاثاء: كانت بالقلعة حركات مزعجة، خرج فيها السلطان من الدور إلى القصر واجتمع معه من ثقاته غير واحد، ومرج أيضًا أمر من كان تحت القلعة، فصلى السلطان صلاة العيد بالقصر وهو على تخوف، وقد وقف جماعة بالسلاح مصلتا على رأسه، حتى قضى صلاته، ثم صعد قاضى القضاة شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن حجر - بعدما صلى إمامًا - على كرسى، فخطب وأوجز فى خطبته، كما أسرع فى صلاته، فما هو إلا أن فرغ من الخطبة إذ جاء الخبر بأن الأمير أينال قد تسحب ليلا، فعظم الخطب وجل الأمر، وكان سبب ذلك أن الطائفة المؤيدية لم يكن لها فى أيام الأشرف برسباى كبير حظ منه، فلما مات خافت المؤيدية من الأشرفية، وانضموا إذ ذاك على الأمير نظام الملك جقمق، وقاموا بأمره، حتى كان من أمره ما تقدم ذكره، وأخرج الأشرفية إلى السجن بالإسكندرية، وإلى الحجاز، وإلى الصعيد، فأهينوا بعد عزمهم، واتضع جانبهم بعد رفعتهم، وصار المؤيدية هى المشار إليها، وإليهم الحل والعقد، فجدوا فى الإغراء بالعزيز، كى يستريحوا من الأشرفية، فإنهم غير آمنين من ثورتهم وإقامة العزيز.

فلما قام الأمير أينال الجكمى بدمشق، ودعا للعزيز، وحلف أمراء دمشق على طاعته - وكان الأمير تغرى برمش أيضًا ممن يميل إلى العزيز - شق ذلك على المؤيدية، وعلموا أنهم مقتولون شر قتلة، إن كانت للعزيز دولة، فأخذوا فى التحريض على قتله، حتى اشتهر أنه إذا فرغ شهر رمضان أمضى فيه ما أرادوه، ففر العزيز لما خامر قلبه من الخوف الشديد، وخاف الأمير أينال أن يتهم به، واجتمع عنده فى ليلة العيد عدة من الأشرفية، فلم ينهض بشىء لخوره وضعفه، وتركهم وخرج من جانب داره على بغل فى ظلام الليل، ثم نزل عن البغل، ومضى على قدميه، فلم يعلم خبره، فلما بلغ السلطان تسحبه، أمر فنودى بالقاهرة ألا يتخلف أحد من المماليك عن الخدمة، وهدد من تخلف بالقتل، وقبض على جماعة من المماليك الأشرفية، ثم نودى أيضًا بإصلاح الناس الدروب وغلقهم أبواب دورهم، وألا يخرج أحد إلى الشوارع بعد عشاء الآخرة، وغلقت أبواب القاهرة قبل عادة إغلاقها من الليل، فكانت ليلة هذا العيد ويومه من الأوقات النكدة، حتى كأنه ليس بعيد.

---

(١) انظر الخبر فى النجوم الزاهرة ١٤/١٥ وما بعدها.

وفى يوم الخميس ثالثه: خلع على الأمير تنبك من تنبك، واستقر أمير الحاج، عوضًا عن أينال، وخلع على قراجا البواب، واستقر فى ولاية القاهرة، عوضًا عن علاء الدين على بن محمد بن الطبلاوى، فباشر الولاية بعسف، وخلع على الأمير ممجق[١] واستقر فى نيابة القلعة[٢].

وفيه قبض على عدة من الأشرفية.

وفيه دقت البشائر عند ورود كتاب الأمير حطط نائب قلعة حلب بكسرة تغرى برمش، وخروجه من حلب، كما تقدم ذكره.

وفى يوم الجمعة: رابعه سار عسكر من القاهرة تزيد عدته على سبعين فارسًا، يريدون المحلة الغربية، لمسك الأمير قراجا الأشرفى.

وفى يوم السبت خامسه: أخذت خيول الأمير أركماس الظاهرى الدوادار، وعزل من الدوادارية الكبرى، وأخذ إقطاعه، وأخرج من داره، وأخذت خيول الأمير قراجا، وإقطاعه، وشون غلاله.

وفيه قبض العسكر المتوجه على الأمير قراجا، وحمل فى الحديد إلى الإسكندرية، فسجن بها.

وفى يوم الإثنين سابعه: نودى بأن من وجد أحدًا من غرماء السلطان وطلع به فله خمسمائة دينار وإقطاع، ومن غمز عليه أنه أخفى أحدًا منهم حل ماله ودمه، هذا والمؤيدية قد تجردت للفحص عن العزيز وعن أينال، وعن المماليك الأشرفية فى جميع الأماكن، وقبض على الغلمان، حتى دلوهم على أماكن بعضهم.

وصاروا يكبسون الدور، والترب، وديارات النصارى، والبساتين، وضواحى القاهرة ومصر، ويرون بالليل فى الأزقة متنكرين إلى غير ذلك من أنواع الفحص والتفتيش، فإنهم صاروا هم الدولة فى هذه الأيام الظاهرية، و لله در القائل:

وإذا سخر الإله أناسًا ... لسعيد فإنهم سعداء

وفى يوم الثلاثاء ثامنه: أنعم بإقطاع الأمير قراجا على المقام الناصرى محمد ابن السلطان[٣] وبإقطاع الأمير أركماس الدوادار على الأمير أسنبغا الطيارى، وبإقطاع

---

(١) هو الأمير ممجق بن عبد الله النوروزى (ق٨٤٤هـ). انظر المنهل الصافى (ترجمة ممجق بن عبد الله)، الضوء اللامع ١٠/١٧٠.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٦٨.

(٣) محمد بن جقمق (٨٤٧هـ=١٤٤٤م).

الأمير أينال على الأمير جرباش[١] قاشق من عبد الكريم أمير مجلس، وأنعم بإقطاع جرباش هذا على الأمير شادى بك الظاهرى ططر، وبإقطاع شادى بك على الأمير جرباش كرت المحمدى[٢]، وبإقطاع أسنبغا الطيارى على الأمير دولات باى الساقى المؤيدى[٣]، وهو جمرة من جمراتهم.

---

(١) انظر الضوء اللامع ٣/٦٦، المنهل الصافى فى (ترجمة جرباش بن عبد الله).

(٢) جرباش بن عبد الله المحمدى الناصر (٨٧٧ هـ ــ ١٤٧٢ م)، الأمير سيف الدين، أحد مقدمى الألوف بالديار المصرية، المعروف بكرد. أصله من مماليك الملك الناصر فرج بن برقوق، وتنقل فى الدول حتى صار فى الدولة الأشرفية برسباى رأس نوبة الجمدارية، ثم أمير عشرة ورأس نوبة وتزوج بينت أستاذه الملك الناصر فرج خوند شقرا،واستمر على ذلك إلى أن نقله الملك الظاهر جقمق إلى إمرة طبلخاناه وجعله أمير آخورا ثانيا. عوضا عن الأمير دولات باى المحمدى بحكم انتقاله إلى الدوادارية الثانية، بعد الأمير أسنبغا الطيارى المنتقل إلى تقدم ألف بالديار المصرية. فاستمر المذكور فى هذه الوظيفة من سنة اثنتين وأربعين إلى سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة أنعم عليه بتقدم ألف بالديار المصرية، عوضا عن الأمير تنم من عبد الرزاق المؤيدى أمير مجلس، بحكم انتقال تنم إلى إقطاع الأمير قراقجا الحسنى بعد وفاته. انظر المنهل الصافى ٤/ ٢٦٠، ٢٦٢، الدليل الشافى ١/ ٢٤٣، الضوء اللامع ٣/ ٦٦، بدائع الزهور ٣/ ٨٣.

(٣) دولات باى بن عبد الله المحمودى (٨٥٧ هـ = ١٤٥٣ م)، الساقى المؤيدى الدوادار، الأمير سيف الدين قدم به خواجا محمود من بلاد الجاركس فى جملة مماليك إلى ثغر الإسكندرية فاشتراه نائبها الأمير آقبردى المنقار المؤيدى، «وجعله فى طبقة الطواشى مرجان الخازندار. ثم أعتقه، وجعله خاصكيا، ثم صار خازندارًا، ثم ساقيًا فى آخر دولته، أو بعد موته واستمر على ذلك إلى أن عزل عن الساقية فى دولة الملك الصالح محمد بن الملك الظاهر ططر. واستمر على إقطاعه دهرًا طويلا. وكان إقطاعه حصة من حينين القصر، إلى أن أنعم عليه الملك الأشرف برسباى بإمرة عشرة بسفارة صهره زوج بنته الأمير جانم أمير آخور، وقريب الملك الأشرف برسباى، وذلك فى حدود سنين خمس وثلاثين وثمانمائة. ثم جعله من جملة رءوس النوب الصغار. ولازال على ذلك إلى أن مات الملك الأشرف، وتسلطن ولده الملك العزيز يوسف من بعده، ثم وقع بين« العزيز وبين» الأتابك جقمق العلائى فانضم دولات باى هذا مع خشداشيته على الأتابك جقمق، وركبوا معه، وصاروا من حزبه إلى أن خلع الملك العزيز، وتسلطن جقمق، ولقب بالملك الظاهر، وأنعم على دولات باى المذكور بإمرة طبلخاناة، وجعله أمير آخور ثانيًا، عوضا عن الأمير تخشى باى الأشرفى المقبوض عليه. ثم نقله الملك الظاهر بعد مدة يسيرة إلى الدوادارية الثانية، بعد الأمير أسنبغا الطيارى بحكم انتقاله إلى تقدمة ألف بالديار المصرية. واستقر عوضه فى الأمير آخورية الثانية الأمير جرباش المحمدى، المعروف بكرد كل لك فى سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة، فباشر المذكور وظيفة الدوادارية الثانية بحرمة وافرة وعظمة زائدة، ونالته السعادة وأثرى، وعمر الأملاك الجيدة، وحصل الأموال الكثيرة، وطالت أيامه. وحج أمير الحج فى سنة تسع وأربعين وثمانمائة، ثم عاد إلى القاهرة. واستمر على ذلك إلى أن أنعم عليه الملك الظاهر جقمق بإمرة مائة وتقدمة=

وفى يوم الأربعاء تاسعه: دقت البشائر لورود الخبر من نائب غزة بقدوم الأمير برسباى الحاجب بدمشق، والأمير أينال الششمانى إلى الرملة، مفارقين لأينال الجكمى. ثم ظهر كذب هذا الخبر. هذا والأشرفية يقبض عليهم وتساق خيولهم وبغالهم إلى الإصطبل السلطانى، ويكتب إلى الأعمال بأخذ الطرقات عليهم برًا وبحرًا.

وفى يوم الخميس عاشره: برز الأمير أقبغا التمرازى نائب الشام بمن معه إلى الريدانية خارج القاهرة.

وفيه خلع على الأمير تمراز أمير أخور، واستقر أمير سلاح، عوضًا عن الأمير يشبك المجرد إلى بلاد الصعيد، وأنزل من الإصطبل، وسكن بالحراقة مكانه المقام الناصرى محمد ابن السلطان، وكتب للأمير يشبك باستقراره أميرًا كبيرًا أتابك العساكر، عوضًا عن الأمير أقبغا التمرازى نائب الشام، وخلع على الأمير قراقجا الحسنى رأس نوبة النوب، واستقر أمير أخور، عوضًا عن الأمير تمراز، وخلع على الأمير تمرباى نائب الإسكندرية - كان - واستقر رأس نوبة النوب، عوضًا عن قراقجا الحسنى، وخلع على الأمير تغرى بردى المؤذى حاجب الحجاب، واستقر دوادارًا كبيرًا، عوضًا عن أركماس الظاهرى، فباشر الدوادارية بتجبر وترفع زائد، وخلع على الأمير دولات باى المؤيدى الساقى أحد أمراء الطبلخاناه، وأمير أخور ثانى، واستقر دوادارًا ثانيًا، عوضًا عن أسنبغا الطيارى، وخلع على الأمير جرباش كرت رأس نوبة واستقر أمير أخور ثانى، عوضًا عن دولات باى.

=ألف بالديار المصرية، بعد موت الأمير تمراز القرمشى أمير سلاح بالطاعون فى يوم الإثنين ثالث عشر صفر سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة، وأنعم بطبلخانته على الأمير يونس السيفى آقباى شاد الشراب خاناة. واستقر عوضه فى الدوادارية الثانية الأمير تمربغا الظاهرى على إمرة عشرة، فلم يكن بعد أيام إلا وخلع عليه باستقراره فى الدوادارية الكبرى فى يوم الخميس ثانى عشرين صفر المذكور، عوضا عن الأمير قانى باى الجاركسى بحكم انتقاله إلى الأمير آخورية الكبرى بعد موت الأمير قراقجا الحسنى بالطاعون أيضا. وقيل إن توليه دولات باى المذكور للدوادارية الكبرى كانت على بَذْلِهِ نحوا من عشرين ألف دينار للخزانة الشريفة. ولا يبعد ذلك. واستمر دولات باى هذا فى الدوادارية مدة، ورسم له فى سنة خمس وخمسين بنيابة حلب ليفيض بدلا من السلطان على الأمير قانى باى الحمزاوى نائب حلب. ثم بطل ذلك من الغد، واستمر على وظيفته ألى أن قبض عليه المنصور عثمان بن جقمق فى صفر سنة سبع وخمسين، وحبسه بالإسكندرية مدة يسيرة، وبعد خلع عثمان أطلقه الأشرف أينال، فلم تطل مدته وتوفى فى السنة المذكورة وخلف مالا جما. انظر المنهل الصافى ٥/ ٣٢٦ وما بعدها والدليل ١/ ٢٩٩، النجوم ١٦/ ١٦٥، منتخبات من حوادث الدهور ص ٣٥٥، الضوء ٣/ ٢٢٠ بدائع الزهور ٢/ ٣١٢.

وفيه قدم الأمير يونس المؤيدى من دمشق، فارًا من أينال الجكمى، فأكرم وأنعم عليه.

وفى يوم السبت ثانى عشره: استقل الأمير أقبغا التمرازى، نائب الشام بالمسير من الريدانية.

وفيه نفى نور الدين على بن أحمد السويفى إمام الأشرف برسباى إلى دمياط.

وفيه دقت البشائر، لورود خبر سار.

وفى يوم الأحد ثالث عشره: كان مسير العساكر المخيمة بالرملة، إلى جهة دمشق.

وفى يوم الإثنين رابع عشره: استقل الأمير قراقجا الحسنى أمير أخور ومقدم العسكر بالمسير من الريدانية بمن معه من الأمراء والمماليك، وعدتهم ستمائة وخمسون فارسًا[1].

وفيه ورد الخبر بأن أينال الجكمى برز مخيمه إلى ظاهر مدينة دمشق. فلما كان يوم الخميس ثالث شوال هذا، عزم على الخروج من المدينة إلى المخيم ليسير نحو القاهرة، فركب عليه من أمراء دمشق الأمير برسباى الحاجب، والأمير قانباى البهلوان الأتابك فى عدة أمراء، وقاتلوه خارج المدينة، فقاتلهم وهزمهم، فوقفوا لحربه ثانيًا، فهزمهم بعد وقعة أخرى، فامتنعوا بالقلعة، وقد جرح منهم جماعة فأخذ خيولهم وأموالهم، ونزل بالميدان وأبطل الحركة للسفر، وسبب هذه الحركة أنه كتبت ملطفات سلطانية إلى أمراء دمشق، وجهزت إلى الأمير خشكلدى نائب قلعة صفد، فبعث بها على يد نصرانى إلى بهاء الدين محمد بن نجم الدين عمر بن حجى كاتب السر، ففرقها فى الأمراء واستمالهم حتى وافقوا على الركوب على أينال الجكمى وأخذه، ثم اختفى من ليلته، فركبوا هم من الغد، وكان من أمرهم ما ذكر.

ولما ورد هذا الخبر تفرس من له بصر بالأمور، واطلاع على أحوال الوجود، بأن أمر أينال الجكمى لا يتم، فإنه أخطأ الرأى أولا فى القبض على الأمراء لظنه بهم السوء، ثم إطلاقهم والركوب إليهم، حتى إذا أمكنتهم الفرصة وثبوا عليه ليقتلوه، فكانت له عليهم، وأنى يفلح ملك لا توافقه أعوانه. هيهات ثم هيهات، لا يكون ذلك أبدًا.

وفيه ورد الخبر بأن الأمير يشبك المستقر - أتابك العساكر - انتهى بمن معه من الأمراء والمماليك فى طلب هوارة إلى مدينة إسنا[2] فلم يقع بهم، وأنه رجع بالعسكر إلى مدينة

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٧٣.

(١) إسنا: مدينة بأقصى الصعيد، وليس وراءها إلا إدفو وأسوان ثم بلاد النوبة، وهى على شاطئ النيل من الجانب الغربى فى الإقليم الثانى. انظر معجم البلدان ١/١٨٩.

هو[١] فقدم عليه عدة من المشايخ الصلحاء ومعهم طائفة من مشايخ هوارة، راغبين فى الطاعة، وحلفوا على ذلك، وأنه قدم على العسكر فى يوم الأحد سادسه طوغان الزردكاش أحد الدوادارية، ودعا العسكر إلى طاعة الملك العزيز، والقيام بنصرته، فإنه أخرجه من حيث كان محبوسًا، ونزل من القلعة، واجتمع عليه جماعة من مماليكه، فلم يوافقوا على ذلك، وحلفوا أنهم مقيمون على طاعة السلطان. فدقت البشائر لذلك، وخلع على الواصل بهذا الخبر، وأجيب بحمل طوغان فى الحديد، وكان قد وصل الخبر قبل ذلك بتوجه طوغان هذا إلى بلاد الصعيد، وكتب بحمله.

وفيه كتب توقيع باستقرار أبى السعادات بن ظهيرة فى خطابة الحرم، عوضًا عن أبى اليمن ابن النويرى قاضى مكة، وجهز إليه، ثم بطل ذلك، وكتب باستقرار أبى اليمن فى الخطابة مع وظيفة القضاء.

وفى يوم الثلاثاء سادس عشره: ورد الخبر من الأمير يشبك بأنه نازل على مدينة أسيوط[٢] وأن يونس الخاصكى ورد عليه بمرسوم شريف يتضمن القبض على طوغان قاصد العزيز، وأن المماليك لم يمكنوه من ذلك، فكثر القلق لورود هذا الخبر، وخشى الناس وقوع الفتنة، ظنًا بالأشرفية أنهم رجال وإذا هم أشبه بربات الحجال[٣].

وفيه قدم قود الشريف بركان بن حسن بن عجلان أمير مكة ـ شرفها الله ـ وهو خمسة أفراس وطواشيان، وجاريتان، ومائتا شاش، وقطعتا ياقوت أحمر زنتهما خمسة عشر قيراطًا، وقطعة ماس زنتها تسعة عشر قيراطًا ونصف.

وفيه قدم الشريف عقيل بن وبير بن نخبار أمير ينبع المعزول بصحرة[٤] يسعى فى الإمرة، فوعد بخير.

وفيه قبض على الأمير أركماس الظاهرى المعزول عن الدوادارية الكبرى، وأخرج منفيًا إلى دمياط.

وفى هذا الشهر: وقع فى الناس بالقاهرة الموت بالطاعون، وبلغت عدة من رفع اسمه من ديوان المواريث بالقاهرة فى هذا اليوم أحد وعشرون إنسانًا.

---

(١) سبق ترجمتها.

(٢) أسيوط: مدينة على الضفة الغربية من نيل مصر وهى كبيرة عامرة آهلة جامعة لضروب المحاسن كثيرة الجنات والبساتين واسعة الأرضين جميلة حسنة بينها وبين أخميم صاعدًا من النيل نصف مجرى. انظر معجم البلدان ١/١٩٣، والروض المعطار ٥٨، والإدريسى ٤٨.

(٣) المقصود به النساء.

(٤) لقيته صحرة بحرة إذا لم يكن بينك وبينه شىء. انظر لسان العرب (صحر).

وفى يوم الخميس سابع عشره: خلع على الأمير تنبك بن تنبك أحد الأمراء الألوف، واستقر حاجب الحجاب، عوضًا عن الأمير تغرى بردى المؤذى المنتقل إلى الدوادارية الكبرى.

وفى هذه الأيام: كبست عدة أماكن فى طلب العزيز، وقبض على جماعة من الأشرفية، لكثرة الإرجاف بخروج من فى بلاد الصعيد من المماليك عن الطاعة، وأنهم عادوا يريدون القاهرة، فمنعت المراكب من التعدية فى النيل بكثير من الناس، وكثر الفحص والتفتيش، حتى كبست البساتين والترب، وغلقت بعض أبواب القاهرة نهارًا، وأخذ أهل الدولة من الأمراء ومن بالقلعة فى الاستعداد للحرب هذا مع ما فى الوجه البحرى من الوباء الشنيع فى سرعة الموتان الوحى السريع، وكثرة عدة الأموات لا سيما فى الأطفال والعبيد والإماء، بحيث مات من قرية واحدة مائتا صغير من أولاد أهلها، وحل بالتجار فى الإسكندرية ضيق شديد وبلاء عظيم، بسبب رمى الفلفل السلطانى عليهم. ونزل بأهل القاهرة ومصر خوف شديد بسبب اختفاء الأشرفية وتطلبهم، فإذا طرقت جهة من الجهات حل بأهلها من أنواع البلاء ما لا يوصف من النهب والهدم والعقوبة والغرامة، سواء وجد المطلوب أو لم يوجد، فما بقى أحد إلا وخامر قلبه الخوف خشية أن يرميه عدو له أو حاسد لنعمته أنه أخفى أحدًا من الأشرفية، فلا تتروى المؤيدية فى أمره، ولا تتمهل، بل تطرقه بغتة وتنزل به فجأة، وقد تبعها من غوغاء العامة عدد كالجراد المنتشر، وتهجم داره ودور من حوله، فيكون شيئًا مهولا، وكثيرًا ما فعلوا ذلك فلم يجدوا أحدًا، وكان من البلاء ما كان، حتى أنه هجم بعض المدارس، ونهبت، وكسر أبواب بيوتها، ونبش قبر كان بها، فلم يوجد بها أحد، ومع ذلك كله فالغلال ترمى على الناس من الديوان، فلا يقدر على ذى الجاه، ويهلك الضعيف من كثرة الغرامة.

وفى يوم السبت تاسع عشره: برز المحمل إلى الريدانية خارج القاهرة صحبة الأمير تنبك المستقر حاجب الحجاب فى عدة من المماليك السلطانية، ثم تبعه الحجاج شيئًا بعد شىء[1].

وفيه ورد الخبر بالقبض على طوغان الزردكاش وحمله فى الحديد، فقدم فى آخر النهار، وكان من خبره أن الأشرفية من حين كانت وقعة قرقماس لم يزالوا فى إدبار، وتقدمت المؤيدية عليهم - كما تقدم ذكره - فأخذوا فى التدبير لأنفسهم بغير معرفة ولا حفظ يسعدهم، فأخرجوا العزيز من موضعه، وأضاعوه، ثم قاموا مع الأمير أينال ليثوروا

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٧٦.

ليلا، فلما فطن بهم لعدم تحفظهم وقلة دربتهم، تسللوا من دار أينال وقد كاد يدركهم الطلب من السلطان، فلما وصل طوغان من عند العزيز لم يحسن التصرف فيما انتدب له، فإنه اشتهر فى مسيره، ثم لما وصل إلى من قصدهم، أعلم المماليك بأن العزيز خرج من سجنه ونزل من القلعة، فاجتمع عليه القوم وأنه محاصر للقلعة فأدركوه، فهيج هذا القول منه حفائظهم وحرك كوامنهم، هذا وقد ضيع نفسه بشهرته فى مدة توجهه من عند العزيز إلى أن وصل إلى المماليك.

وقد بلغ السلطان خبره ومروره بالبلاد التى نزل بها فى سفره، فكتب بالقبض عليه، فلم يدركه الطلب حتى وصل وروج على أصحابه بما لا حقيقة له، فبادر الأمير يشبك بمطالعة السلطان بخبر طوغان ثم ترادفت كتب السلطان وأخبار المسافرين بما تبين به كذب طوغان، وأن العزيز مخفى والمواضع تكبس عليه، فانحل ما عقده طوغان فى أنفس المماليك، وأثبت ما كان قد أوثقه بأيديهم، هذا وقد توجهوا من أسيوط يريدون القاهرة ليدركوا العزيز بزعمهم، فمازال الأمير يشبك يستميلهم ويخوفهم حتى أسلموه طوغان بعد إباء وامتناع، أفضى به ـ وبهم ـ أن جمع عليه الكاشف بالوجه القلبى وعدد كثيرة من عربان الطاعة وهم بمحاربتهم، فلم تكن لهم طاقة بمحاربته[1]، وتبين لهم فساد ما بنوا عليه أمرهم، فأذعنوا عند ذلك، وقادوه برمته حتى حمل فى الحديد، ورجعوا مع الأمير يشبك إلى ناحية جرجا، فبطل ما كانوا يعلمون، وا لله لا يصلح عمل المفسدين.

وعندما وصل طوغان تولى عقوبته المؤيدية، فما عفوا ولا كفوا، بل أنزلوا به أنواع العذاب المتلف، ما بين ضرب وعصر وغير ذلك، حتى أشفى على الموت، وعوقب معه ثلاثة نفر، فاجتمع من إقرارهم أن إبراهيم الطباخ لما أخرج العزيز بعد المغرب نزل من موضع بالمصنع تحت القلعة، وقد اجتمع عليه عدة من المماليك ليسيروا به إلى الشام، ثم انصرفوا عن هذا الرأى وتوجه طوغان ليأتى بالمماليك من الصعيد.

وفى يوم الثلاثاء ثانى عشرينه: أخرج بطوغان محمولا لعجزه عن الحركة من شدة العقوبة، حتى وسط عند باب السلسلة. ومن العجب أن طوغان هذا، مات الأشرف وهو من جملة الزردكاشية، فاستحال على خشداشيته وصار من جملة الأمير أينال، وانتمى معه إلى السلطان، وهو إذا ذاك أمير، واختص به فعمله من جملة الدوادارية، ثم استحال على السلطان، وأخرج العزيز، فكانت منيته على يده. هذا، والبلاء يشتد على الناس بسبب العزيز، فقبض على جماعة وسجن جماعة، وعوقب كثير من الناس.

وفى هذا اليوم: استقل الركب الأول بالمسير من بركة الحجاج بعدما فتش

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٧٦.

الحجاج. ثم استقل المحمل بالمسير مع أمير الحاج ببقية الحجاج في يوم الأربعاء ثالث عشرينه.

وفيه قبض على سر النديم الحبشية دادة العزيز، بعدما كبس عليها عدة بيوت، وعوقب جماعة، ثم قبض على الطواشي صندل الهندي، فتحقق منهما أن العزيز وأينال لم يخرجا من البلد، وأن الذي أشيع بين الناس من توجههما إلى الشام كذب، وأن العزيز لم يجتمع مع أينال، وأنه كان هو، وصندل هذا، وطباخه إبراهيم، ومملوكه أزدمر - بغير زيادة على هؤلاء - ينتقل وهم معه من موضع إلى موضع وأن صندل فارقه من أربعة أيام، وقد طرده أزدمر المذكور فدفع إليه العزيز خمسين دينارًا، فانصرف عنهم، وصار يتردد إلى بيوت معارفه في زي امرأة، فلم يؤوه أحد حتى دخل على بعض معارفه في الليل فآوته حتى أصبح، فدل زوجها عليه حتى أمسك وعوقب، ثم سجن.

وطلبت خوند مغل ابنة البارزي دادة العزيز، فسلمت لها من غير عقوبة، فأقامت عندها، وقبض على مرضعة العزيز، وعلى زوجها، وبعض أقارب زوجها، وعلى جماعات من الرجال، والنساء ممن كان من جواري الأشرف أو من معارفهن، وممن اتهم بأنه معرفة لإبراهيم الطباخ، وتعدى الحال إلى امرأة مسكينة تزعم أن لها تابعا من الجن يخبرها مما يكون، فتتكسب بذلك من النسوان ومن في معناهن من ضعفة الرجال، ما تقيم به بعض أودها: وذلك أنه وشى بها إلى أحد المؤيدية أن بعض الطواشية كان يتردد إليها فتخبره أن العزيز يعود إلى ملكه، فقبض على هذه المسكينة، وعلى عدة من يلوذ بها، وعوقبت، وكان الطواشي الذي قيل عنه أنه يأتي إليها فتخبره بعود ملك العزيز إليه، قد توجه للحج مع الركب، فكتب بضربه وحمله إلى القاهرة، فضرب ثم شهر في الركب، وكان قد كتب لإعفائه من الضرب والعود إلى القاهرة، فلم يدركه القاصد الثاني حتى ضرب وشهر، فتوجه بعد ذلك إلى الحج.

وفي يوم الخميس رابع عشرينه: وسط مملوك آخر من الأشرفية، عند باب السلسلة.

وفيه عزل الأمير فيروز الجركسي زمام الدار، من أجل أنه فرط في الحرص على العزيز حتى كان من أمره ما كان. وعين عوضه الأمير صفي الدين جوهر الخازندار.

وفي ليلة الجمعة ويوم الجمعة خامس عشرينه: كبست المؤيدية على مواضع متعددة بالقاهرة ومصر وظواهرهما، وكبست دور الصاحب أمين الدين بن الهيصم ودور جيرانه في طلب العزيز، فلم يوجد، وهرب الصاحب ثم ظهر وخلع عليه بعد ذلك، وقد شمل الخوف كثيرا من الناس، وكادت الأسواق أن تتعطل لكثرة الإرجاف بأن بيوت الناس كافة تكبس، ويعاقبوا حتى يظهر العزيز.

وفيه قدم من الصعيد بضعة عشر رأسا، علقت على باب النصر، وذلك أن الأمير يشبك لما قبض على طوغان، وبعث به كما تقدم ذكره، رجع بمن معه من المماليك والأمراء لمحاربة هوارة فلقيهم على ناحية بوتيج فى حادى عشرينه، وقاتلهم وهزمهم، بعدما قتل منهم مائه وستين رجلا، وأخذ لهم مائة فرس، فجهز من رءوس أعيانهم ستة عشر رأسا، هذا وقد خربت بلاد الصعيد، ورعيت زروعها، مع ما فى أراضيها من الشراقى، وأكل الفأر الكثير جدا ـ معظم الزرع ـ وهدم العرب الدواليب.

وفى يوم السبت سادس عشرينه: خلع على الأمير صفى الدين جوهر الخازندار، واستقر زمام الآدر السلطانية، عوضا عن الطواشى فيروز مضافا للخازندارية.

وفى ليلة الأحد سابع عشرينه: قبض على الملك العزيز، وذلك أنه ضاقت عليه الأماكن لكثرة ما يكبس عليه، وهو يتنقل من موضع إلى موضع آخر ومعه أزدمر شاد شراب خاناته، وصندل طواشيه، وإبراهيم طباخه، فطرد أزدمر صندل الطواشى، ومازال به حتى فارقهم من أربع ليال، ثم طرد الطباخ وانفرد هو والعزيز فيقال إن العزيز بعث إلى خاله ـ أخى أمه، واسمه بيبرس ـ ليختفى عنده، فواعده على أنه يأتيه. وخاف عاقبة أمره، فأعلم جار له من المؤيدية ـ يقال له يلبيه[١] رأس نوبة، بأمر مجىء العزيز، وأنه يقبح به أن يكون مسكه على يديه، ولكن «افعل أنت ذلك».

فترصده يلبيه حتى مر به ومعه أزدمر بعد عشاء الآخره، فى خط زقاق حلب[٢] وهما فى هيئة مغربيين. فوثب يلبيه بأزدمر ليقبض عليه، فامتنع منه، فضربه أدمى وجهه، وأعانه عليه أعوانه حتى أوثقوه وأخذوا العزيز وعليه جبة صوف، وقادوه وأزدمر إلى باب السلسلة وصعدوا بهما إلى السلطان ، والعزيز حاف، وقد أخذ رجل بأطواقه، يسحبه وجماعة محيطة به. فأوقف بين يدى السلطان ساعة، وهو يؤنبه ثم سجن فى موضع، حتى أصبح، وطلع الأمراء وغيرهم إلى الخدمة، فأعلموا بخبر العزيز ثم أدخله السلطان إلى قاعة العواميد، وأسلمه لزوجته خوند مغل بنت البارزى، وأمرها أن تجعله فى المخدع المعد لمبيت السلطان، ولا تبرح على بابه، وأن تتولى أمر أكله وشربه وحاجاته بنفسها، فأقام على ذلك حتى نقل من المخدع، كما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى.

وأما أزدمر فإنه سجن بالبرج من القلعة، حيث كان صندل وغيره من الأشرفية، ولم يوقف للطباخ على خبر، ويقال إن العزيز دفع إليه مبلغ ستمائة دينار، ودفع لصندل خمسين دينارا.

---

(١) هو يلبان الأينالى المؤيدى. انظر ترجمته الضوء اللامع ٢٨٧/١٠.

(٢) خارج باب زويلة، وكانت قديما من جملة مساكن الأجناد. انظر المواعظ والاعتبار ٢٣/٢.

ووجد مع العزيز ثمانمائة دينار دفع السلطان منها إلى يلبيه خمسمائة دينـار، ولمملوكه الذى عاونه فى القبض على أزدمر مائة دينار، وفرق باقى ذلـك، ونـزع عـن العزيـز مـا كان عليه من الثياب المغربية، وألبس من ثياب السلطنة ما يليـق بـه، ووعـد يلبيـه بـإمرة طلبخاناه.

وعندما صعد العزيز إلى القلعة دقت البشائر ليلا ومن الغـد، وركـب الأعيـان لتهنئـة السلطان، فإنه وأتباعه من أهل الدولة كانوا فى قلق زائد وخوف شديد لما داخلهـم مـن عود دولة العزيز بخروج نائبى دمشق وحلب عن طاعة السلطان، وقيـام الأشـرفية ببـلاد الصعيد، وكلهم جميعا فى طاعة العزيز، والله يؤيد بنصره من يشاء.

وفى يوم الأحد: هذا، توجه جانم المؤيدى إلى البلام الشامية وعلى يده عدة مثـالات سلطانية بالبشارة بالقبض على العزيز.

وفى يوم الثلاثاء تاسع عشرينه: أحضر بالأمير أينال البوبكـرى الأشـرفى[١] وذلـك

---

(١) إينال عبد الله الأبوبكرى الأشرفى الفقيه(٨٥٣ هـ = ١٤٤٩ م)، الأمير سيف الدين، أحد أمراء الألوف بديار مصر. هو من مماليك الأشرف برسباى، اشتراه فى أوائل دولته، ورقاه إلى أن، جعله خازندارًا، ثم أمره عشـرة، بعـد الأمـير سـنقر العـزى فـى سـنة سـت وثلاثـين وثمانمائـة، ثـم ولاه الخازندارية الكبرى، بعد الأمير قراجا الأشرفى، ثم جعله أمير طبلخانـاة، وشـاد الشـراب خانـاة، بعد الأمير قراجا أيضا، بحكم إنتقال قراجا إلى تقدمة ألف. وتولى الخزنداريـة عوضـه الأمـير على باى الأشرفى الساقى، ثم نُقل فى الدولة العزيزية يوسف إلى الدوادارية الثانية، بعد انتقـال الأمـير تمرباى الدوادار إلى تقدمة ألف، فدام على ذلك إلى أن أنعم عليه الملك الظاهر جقمق بتقدمة ألف بالديار المصرية، ورسم له بغمرة حاج المحمل، فـأخذ المذكـور فـى أمـر السـفر وتجهـيز احتياجـه. وركب مسايرة المحن فى شهر رمضان على عوائد أمراء الحج، فبينما هو ذلك، إذ تسحب الملك العزيز يوسف من محبسه بقلعة الجبل، ونزل إلى القاهرة بحيلة دبرها، واختفى بها. وكثر الكلام فى أمر المماليك الأشرفية، وخافهم الملك الظاهر جقمق، وحسن إليه جماعة من المؤيدية القبـض علـى أينال المذكور، فقبض عليه وأودعه سجن الإسكندرية مدة، ثم نقله إلى حبس آخر بالبلاد الشامية مع مَن نُقل من الأمراء الأشرفية وغيرهم، فدام أينال المذكور مدة سنين فى السجن، إلى أن أفـرج عنه فى سنة تسـع وأربعين تخمينـا، وتوجـه إلى القـدس بطـالا، فأقـام بـه مـدة ملازمـا للاشتغال والأشغال والعبادة إلى أن وشى به، فقبض عليه وحبس ثانيًا فى سنة اثنتين وخمسـين وثمانمائـة هـو والأمير شادّبك الجكمى، ثم أفرج عنه فى سـنة ثـلاث، ورسـم لـه بالتوجـه إلى الحـج وعـوده إلى القدس، فسار صحبة الحاج الغزاوى، وحج وعـاد، فمـات فـى عـوده خـارج مدينـة الينبـع، فـرد أصحابه برمته ودفنوه بمدينة الينبع فى يوم الجمعة، أو آخـر ذى الحجـة مـن سـنة ثـلاث وخمسـين وثمانمائة، وهو فى حدود الأربعين سنة تخمينـا. وكـان أمـيرا عـاقلا، سـاكنا، دينـا، فقيهـا، عالمـا، فاصلا، مقننا حافظا للفقه وفروعه، كثير الاستحضار لفـروع المذهـب، أعجوبـة فـى ذلـك. ولـه مشاركة فى العربية وغيرها. وكان، جيد التصور. هـذا مـع الشـكالة الحسـنة، والهيئـة الجميلـة،=

أنه مازال مختفيا حتى ظهر العزيز، فغرته الخدع التى خودع بها، من الثناء عليه وبسط عذره فى اختفائه، ودخل عشاء على الأمير جرباش قاشق أمير مجلس، واستجار به، فأجاره، وقد ظن أن السلطان يقبل شفاعته، ثم صعد به من الغد، وقد بعث يعلم السلطان به، فعندما وقع فى قبضة السلطان، أمر به فقيد وسجن حتى يحمل إلى الإسكندرية، والأمير جرباش يكرر تقبيل يد السلطان ورجله فى أن يشفعه فيه، فلم يفعل، وأخرج فى يومه إلى الإسكندرية فسجن بها.

وفى هذا الشهر: قدم ركب التكرور برقيق كثير وتبر، فسار أكثرهم إلى الحج، بعدما باعوا الرقيق، فهلك أكثره عند من اشتراهم.

وفيه ظهر فى السماء كوكب له ذنب نحو الذراعين، وكان يرى عشاء بحذاء كواكب برج السرطان، فأقام أياما.

شهر ذى القعدة، أوله الأربعاء:

فى ثانيه: خلع على بهاء الدين محمد بن نجم الدين عمر بن حجى كاتب السر بدمشق، واستقر فى قضاء القضاة الشافعية بدمشق، عوضا عن تقى الدين أبى بكر بن قاضى شهبة، مع ما بيده من كتابة السر، وذلك أن الأمير أينال الجكمى لما ثار بدمشق على ابن حجى، وأخذ منه مالا، فكتب إلى ابن حجى حتى فرق الملطفات السلطانية فى الأمراء فكان من ركوبهم على النائب ما كان، وفر ابن حجى وقدم القاهرة، فجوزى على ما كان منه بإضافة القضاء إليه بسفارة حميه المقر الكمالى محمد بن البارزى كاتب السر، وعناية عظيم الدولة زين الدين عبد الباسط به.

وفى يوم الأربعاء ثامنه: دقت البشائر عند ورود كتاب الأمير ألابغا حاجب غزة، يتضمن قتال عساكر السلطان الأمير أينال الجكمى، فى يوم الأربعاء مستهله، بالقرب من الخزانة، وانهزامه.

وفى ليلة الأربعاء: المذكور نقل العزيز من حبسه بالمخدع من قاعة العواميد إلى سجن ضيق فى الحوش تحت الدهيشة، بعد أن سدت طاقاته، ووكل به من يحفظه، ومنع من جميع خدمه.

وفى يوم الأربعاء: هذا أخذ ما كان للعزيز بالقاهرة من الحواصل التى تشتمل على

=والمعرفة التامة بفنون الفروسية وأنواع الملاعيب، كالرمح والنشاب وغيره. غير أنه عنده بعيض شمم. وكان شابًا طوالا، جميل الوجه، مدور اللحية، صغيرها، وهو صاحبنا من الصغر. انظر المنهل الصافى ٣/ ٢١٣ وما بعدها.

سروج وثياب وحلى وفرش وأوانى وغير ذلك، مما حمل على نيف وسبعين حمالا، ولها قيمة تزيد على خمسين ألف دينار سوى خمسة آلاف دينار وجدت له لتتمة ستين ألف دينار، وسوى جواهر لها قيمة عظيمة، وسوى حلى للنساء يجل وصفه وقيمته، مما كان لأمه.

وفى يوم الخميس تاسعه: دقت البشائر لورود الخبر بمسك الأمير أينال الجكمى، وانبثت قصاد السلطان فى أهل الدولة يبشرونهم بذلك، ويأخذون ممن يأتوه مالا على هذه البشرى، فمنهم من يعطى البشير أربعين دينارا، أو أقل من ذلك أو أكثر، وفعلوا مثل ذلك فى الليلة التى قبض على العزيز فيها، فكسبوا مالا جزيلا.

وفى يوم الجمعة عاشره: وردت مطالعة الأمير أقبغا التمرازى نائب الشام، ومطالعات الأمراء بذكر واقعة أينال الجكمى. وملخصها أن العساكر المتوجهة من القاهرة، والمتجمعة بالرملة، نزلوا فى يوم الأربعاء مستهله بمنزلة الخربة، وقد قدموا بين أيديهم جماعة لكشف الأخبار فجاءت الكشافة وأخبرت بقرب أينال الجكمى منهم، فركبوا وقد عبوا جموعهم ستة أطلاب، وهم الأمير أقبغا التمرازى نائب الشام والأمير جلبان نائب حلب[1]، والأمير أينال الأجرود نائب صفد، والأمير طوخ مازى نائب غزة، والأمير طوغان نائب القدس، والأمير غرس الدين خليل المستقر فى نيابة ملطية، وساروا بمن معهم من العربان والعشران جاليشا، حتى وصلوا إلى مضيق قرن الحرة، وإذا بجاليش أينال الجكمى، وهو الأمير قانصوه النوروزى، ومعه نائب بعلبك، وكاشف حوران، ومحمد الأسود بن القان، وشيخ العشير، وفرعلى الدكرى أمير التركمان، وخليل بن طور على بن سقل سيز التركمانى، وكثير من العربان، والجمع نحو ألف فارس، فكانت بين الفريقين وقعة كبيرة انهزمت فيها الأطلاب الستة، وإذا بالأمير أينال الجكمى قد أقبل، فركب أقفية القوم حتى أوصلهم إلى السنجق السلطانى، وتحته الأمير قراقجا الحسنى أمير أخور، والأمير تمرباى رأس نوبة النوب، وبقية الأمراء المصريين والمماليك السلطانية فثبتوا له وقاتلوه، وهو يقاتلهم مقدار ساعة، فهزموه بعد أن قتل جماعة من الفريقين، يقول المكثر زيادة على خمسمائة رجل، منهم الأمير صرغتمش

---

(١) جُلُبَّان بن عبد الله العمرى الظاهرى (٨٣٠ هـ = ١٤٢٦ م) الأمير سيف الدين، أحد أمراء العشرات والحجاب بالقاهرة، ثم حاجب الحجاب بغزة. أصله من مماليك الملك الظاهر برقوق. وأيضا فى الدولة الأشرفية برسباى وهو من جملة الحجاب بالقاهرة. وكان سليم الباطن، تركى الجنس، يميل إلى دين وخير، ثم ولى حجوبية غزة، وبها توفى بعد الثلاثين وثمانمائة تخمينا. انظر المنهل الصافى ٥/ ٧، الدليل ١/ ٢٤٨ الضوء ٣/ ٧٧.

المستقر دوادار حلب وجرح خلق كثير، وقبض على محمد بن الأمير قانصوه، وعلى الأمير تنم العلاى، والأمير خاير بك القوامى، والأمير بيرم صوفى، فى جماعة، وقد حال بينهم الليل، فلما أصبحوا يوم الخميس، ورد الخبر عليهم من دمشق بالقبض على أينال الجكمى من قرية حرستا(١) وقد اختفى بها فى مزرعة، ومعه نفر يسير، وذلك أن رجلا فطن به، فدل عليه نائب القلعة، فبعث فى طلبه جماعة طرقوه، فدافع عن نفسه، حتى طعن فى جنبه ودمى فى وجهه، فأخذ وجىء به على فرسه، وقد وقف من العى، فلم يصل إلى القلعة إلا بعد العصر، والناس فى جموع كثيرة لرؤيته، فسجن مقيدا فى القلعة، ودخل الأمير أقبغا التمرازى نائب الشام إلى دمشق أوائل نهار الجمعة ثالثه فى العساكر، وهم بسلاحهم، فنزل دار السعادة بغير ممانع.

وفى هذا اليوم: قتل بدمشق محمد المعروف ببلبان شيخ كرك نوح، وولده محمد الخرباني، وكان من خبره أنه قدم بجموعه نصرة لعساكر السلطان، فلم يصل حتى انقضت الوقعة، فدخل فى خدمة النائب حتى عبر دار السعادة، وتفرق الأمراء وغيرهم فى منازلهم، فتوجه بلبان فيمن توجه حتى كان عند المصلى، والعامة قد ملأت الطرقات، فصاح به وبمن معه من العشير جماعة من أراذل عامة دمشق قائلين «أبا بكر، أبا بكر» يكررون ذلك مرارا، يريدون نكاية بلبان وجماعته، فإنهم يرمون بأنهم رفضة.

فلما كثر ذلك من العامة أخذ بعض العشير يضرب واحدا منهم، فوثبوا به، وألقوه عن فرسه ليقتلوه، فاجتمع أصحابه ليخلصوه من العامة، وقاتلوهم، فبادروا وذبحوا ذلك البائس، وتناولوا الحجارة يرمون بها بلبان وقومه، ووضعوا أيديهم فقتلوا بلبان وابنه وجماعته، وهم خمسمائة أو يزيدون، بغير سبب ولا أمر سلطان ولا حاكم، فلم ينتطح فى قتلهم عنزان، ولا تحرك لهم اثنان، فكان ذلك من الحوادث الشنعة، وما أراه إلا أمرًا له ما بعده، و لله عاقبة الأمور.

وفى هذه الأيام: رسم بعقوبة الأمير جكم خال العزيز فى سجنه بالإسكندرية حتى يعترف بمتحصل العزيز فى أيام أبيه من إقطاعه ومن حماياته ومستأجراته، ومن الهدايا والتقادم التى كانت تأتيه، فأجابهم عن ذلك، ورسم بعقوبة الأمير يخشى بك بالسجن أيضًا، وذلك أنه لما كان فى التجريدة ببلاد الصعيد أيام الأشرف، ضبط عليه أنه سب بعض من يدعى أنه شريفا، فلما مات الأشرف، وأنزل بالأشرفية من القلعة ـ كما تقدم ـ أرادوا أن يدعوا على يخشى بك عند القاضى المالكى بأنه سب أبا الشريف ليريق دمه،

---

(١) حرستا: قرية كبيرة عامرة فى وسط بساتين دمشق، على طريق حمص، بينها وبين دمشق أكثر من فرسخ. انظر معجم البلدان.

فبادر حتى حكم قاضى شافعى بحقن دمه، فاطمأن لذلك فلم يتركوه بعد سجنه، وأرادوا قتله، فأوصلوا القضية بالمالكى، وسمع البينة عليه، فلم يمض قتله بناء على أن هذه الدعوى هى التى حكم فيها بحقن دمه، ونازعه فى ذلك قوم، وزعموا أن الدعوى التى حكم فيها بحقن دمه غير هذه، وكثر الاختلاف فى ذلك، وعقد فيه مجالس والغرض قتله، والحكم الشرعى بذلك، فلم يتجه، وتمادى الحال فى ذلك عدة أشهر، ثم تحركوا لقتله، واستمالوا بعض من تمشيخ وتمصلح من المالكية، حتى أفتى بقتله، وأريد من القاضى العمل بفتياه، فلم يتجاسر على الحكم بالقتل، وجرت أمور آخرها أن قيل يفوض الحكم لهذا المفتى حتى يحكم كما أفتى بقتله، فبكى لما قيل له ذلك، ولم يقدم عليه، فلما وقع اليأس من قتله بيد قضاة الشرع، رسم بعقوبته حتى يعترف بماله من الأموال، فعوقب أشد عقوبة، بحيث لم يبق إلا إرهاق نفسه.

وفى يوم الأحد ثانى عشره: كتب بقتل أينال الجكمى بسجنه من قلعة دمشق بعد تقريره على أمواله وذخائره، وبقتل جماعه ممن قبض عليه فى الوقعة.

وفى ثالث عشره: خلع على الأمير سودون المغربى، وأعيد إلى ولاية دمياط عوضا عن محمد الصغير.

وفيه ورد الخبر بأن الفأر مكثر بأراضى الزراعات، وأن فى ناحية البهنسى كانت للفيران حرب شهدها الناس، وقد اجتمع من الفيران عدد عظيم، اقتتلوا قتالا كبيرا، ثم تفرقوا، فوجدوا فى معتركهم من الفيران شيء كثير ما بين مقتول ومجروح ومقطوع بعض الأعضاء وأنه بلغهم أن ذلك كان بين الفيران فى موضع آخر. وعندى أن هذا منذر بحادث ينتظر.

وفى يوم الأحد تاسع عشره: وصل محمد بن الأمير قنصوه، فعفى عنه بشفاعات وقعت فيه.

وقدم الخبر بأن العساكر توجهت من دمشق فى حادى عشره إلى حلب، بعد أن عاد الأمير طوغان نائب القدس إليها، وتأخر الأمير أقبغا التمرازى نائب الشام بدمشق، وأن المتوجه إلى حلب الأمير جلبان نائب حلب، والأمير أينال نائب صفد، والأمير طوخ نائب غزة، والأمير قراقجا الحسنى، والأمير تمرباى، والمماليك السلطانية، وأنه قبض بدمشق على الأمير فرعلى الدكرى، وشنق بها، وأن تغرى برمش نزل على حلب وصحبته الأمير طرعلى بن سقل سيز، والأمير على بار بن أينال بجمائعهما من التركمان، والأمير غادر بن نعير بعربه من آل مهنا، والأمير فرج وأخيه إبراهيم ولدى صوجى، والأمير محمود بن الدكرى بجمائعهم من التركمان وعدة الجميع نحو ثلاثة

آلاف فارس، فى يوم الإثنين حادى عشرين شوال، وأن تغرى برمش خيم بالجوهرى وبعث عدة كبيرة إلى خارج باب المقام، فخرج إليهم الأمير برد بك نائب حماة، ومعه جماعة من أمراء حلب، ومن تركمان الطاعة، ومن العامة، فكانت بينهم وقعة قتل فيها وجرح جماعة من الفريقين، وعاد كل منهما إلى موضعه، ثم التقى الجمعان فى يوم الجمعة خامس عشرينه على باب النيرب[1] واقتتلوا يوما وليلة قتالا شديدًا، قتل فيه عدة من الناس، وجرح نائب حماة وطائفة من أمراء حلب وجمع كبير من العامة، ورجع كل فريق إلى موضعه، فرحل تغرى برمش فى يوم الأحد سابع عشرينه من موضعه، ونزل بالميدان، والحرب مستمرة، والعامة تبذل جهدها فى قتاله إلى أن كان يوم الخميس ثانى ذى القعدة أحضر تغرى برمش آلات الحرب فى مكاحل النفط، والجنويات والسلالم إلى خارج باب الفرج[2] ونصب صيوانه تجاه السور، وزحف زحفا قويا.

وأهل حلب يدًا واحدة على محاربته طول ذلك النهار مع ليلة الجمعة بطولها، والناس يتضرعون ويدعون الله تعالى، فرحل تغرى برمش فى يوم الجمعة، وعاد إلى الميدان بعدما كانت القضاة وشيوخ العلم والصلاح وقوفًا بالمصاحف والربعات على رءوسهم، وهم ينادون من فوق الأسوار «الغزاة معاشر الناس فى العدو، فإنه من قتل منكم كان فى الجنة ، ومن قتل من العدو صار إلى النار ....» فى كلام كثير يحرضون به العامة على القتال، ويقوون عزائمهم على الثبات، إلى أن رحل تغرى برمش بمن معه من الميدان إلى الجهة الشمالية، فى يوم الأحد خامسه، بعدما رعت مواشيهم زروع الناس وبساتينهم وكرومهم وقطعوا ونهبوا القرى التى حول المدينة، وخربوا غالب العمارات التى هى خارج السور وقطعوا القناة التى تعبر المدينة من ثلاثة أماكن وكان أشد الناس قتالا أهل بانقوسا والحوارنة، فحرق العدو أسواق بانقوسا وبيوتها، وفتحوا جباب الغلال وغيرها، ونهبوها، فداخل الناس من الخوف والرعب ما لا يوصف وطلب الأعيان بحرمهم وأموالهم إلى القلعة، وقطع تغرى برمش أيدى جماعة كثيرة من عامة حلب، وبالغ فى الإضرار بالناس، فكانت هذه النوبة من شنائع الحوادث، و لله عاقبة الأمور.

وفى يوم الخميس ثالث عشرينه: خلع على علاء الدين على بن يوسف ــ المعروف بالناسخ - قاضى المالكية بحلب، واستقر فى قضاء المالكية بدمشق عوضا عن محيى الدين

---

(١) النيرب قرية قديمة فى الجنوب الشرقى من حلب، إليها ينسب هذا الباب. انظر زبدة الحلب ٢١١/٢.

(٢) كان يسمى باب العبارة، وهو فى الشمال الغربى من مدينة حلب القديمة. انظر زبدة الحلب ١٤٩/١.

يحيى بن حسن بن محمد الحيحانى[1] المغربى بعد موته، واستقر شرف الدين يعقوب بن يوسف على المكناسى المغربى - أحد نواب الحكم بالقاهرة - فى قضاء المالكية بحلب عوضا عن علاء الدين الناسخ.

وفى يوم الخميس المبارك خامس عشرينه: دقت البشائر لورود الخبر بأن العساكر لما سارت من دمشق فى حادى عشره - كما تقدم ذكره - لقيهم تغرى برمش قريبا من حماة فى جموعه التى كانت معه على حلب، فلقوه فى يوم الجمعة سابع عشره وقاتلوه، وكانت بينهم وقعة كبيرة، قتل فيها وجرح خلق كثير فانهزم بمن معه، وحازت العساكر منهم غنائم لا تحصى، منها مائتى ألف رأس من الغنم، سوى ما تمزق، وهو قريب من ذلك.

وفى يوم الإثنين سابع عشرينه: قدم النجاب برأس الأمير أينال الجكمى، فشهرت على رمح، ثم علقت على باب زويلة، وكان قتله فى ليلة الإثنين ثانى عشرينه، بعدما قرر على أمواله، ونودى عليه هذا جزاء من حارب الله ورسوله، وقتل معه بقلعة دمشق الأمير تنم العلاى.

وفى هذه الأيام: بعث السلطان إلى قاضى القضاة علم الدين صالح ابن شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقينى بألف دينار ذهبًا، فإنه كان قدم له كتبا وغيرها قبل ذلك.

وفيها حكم بقتل الأمير يخشى بك، وقد تقدم أنه ادعى عليه أنه سب شريفا، ولعن والديه، فالتجأ إلى قاضى القضاة الشافعى، فحكم بعض نوابه بحقن دمه، وسكن الحال مدة أشهر، ثم تحركوا عليه بعد سجنه، وراودوا القاضى المالكى على قتله، فاحتج بحكم الشافعى بحقن دمه، فعورض بأن المطلوب الآن من الدعوى عليه غير المحكوم فيه بحقن الدم، فصمم على أنهما قضية واحدة، ووافقه غير واحد من المالكية على ذلك، فسكنت الثائرة مدة، ثم تحركوا لإراقة دمه، وأفتى بقتله بعض المالكية، ممن يظهر للناس نسكا على وظيفة وعد بولايتها، وأرادوا قاضى القضاة المالكى أن يحكم بمقتضى الفتوى فامتنع، فعرضت على غير واحد من نواب المالكى، فلم يقدم أحد على الحكم، وكان منهم واحد لم يوله القاضى نيابة الحكم، وأقام مدة بطالا، فأذن له السلطان فى الحكم فأقدم على ما أحجم عنه غيره، وحكم بقتل يخشى بك.

وفى يوم الخميس سلخه: خلع على ناصر الدين محمد ابن الأمير الوزير تاج الدين عبد الرزاق بن أبى الفرج، واستقر نقيب الجيش، عوضا عن ناصر الدين محمد ابن أمير طبر.

---

(١) انظر ترجمته الضوء اللامع ٢٢٥/١٠.

شهر ذى الحجة الحرام، أوله الجمعة:

فيه دقت البشائر بقلعة الجبل لورود خبر من غزة بأن التركمان الصوجية قبضوا على تغرى برمش، وعلى طرعلى بن سقل سيز.

وفى يوم الأحد ثالثه: وردت مطالعة الأمير جلبان نائب حلب، وقرينها مطالعات بقية النواب، وأمراء العساكر، تتضمن أن تغرى برمش لما انهزم على حماة مضى نحو الجبل الأقرع، وقد فارقه الغادر بن نعير، فقبض عليه أحمد وقاسم ولدى صوجى، وقبضا معه على دواداره كمشبغا، وعلى خازنداره يونس، وعلى الأمير طرعلى بن سقل سيز، والأمير صارم الدين إبراهيم بن الهذبانى نائب قلعة صهيون[١]، وكتبوا بذلك إلى نائب حلب، فورد الخبر على العسكر ـ وهم على خان طومان ـ فى يوم الإثنين من ذى القعدة، فجهز الأمير جلبان عند ذلك الأمير برد بك العجمى نائب حماة، والأمير أينال الأجرود نائب صفد، والأمير طوخ مازى نائب غزة، والأمير قطج أتابك حلب، والأمير سودون النوروزى حاجب الحجاب بحلب، بإحضار المذكورين ورحل بمن بقى معه يريد حلب، فدخلها فى يوم الثلاثاء حادى عشرينه وتسلم نائب حماة ومن معه من النواب تغرى برمش ومن قبض عليه معه، وأتوا بهم، فسمر طرعلى بن سقل سيز تسمير سلامة، وسمر الهذبانى ورفيقه تسمير العطب[٢] وساروا بهم، وتغرى برمش راكب فى الحديد، حتى دخلوا مدينة حلب، وهو ينادى عليهم فى يوم الخميس ثالث عشرينه، وقد اجتمع من الناس عدد لا ينحصر، حتى أوقفهم تحت القلعة[٣]، ثم وسط الهذبانى ورفيقه، وتسلم نائب القلعة تغرى برمش وطرعلى بن سقل سيز، وتسلم كمشبغا ويونس الأمير قراقجا الحسنى، فدقت البشائر بقلعة الجبل لورود هذا الخبر، وكتب بقتل تغرى برمش وطرعلى.

وفى يوم الأربعاء: جهز رجلان من موقعى الحكم بالقاهرة، وعلى يدهما الحكم بقتل يخشى بك. ودفع لهما ثلاثون دينارا، فمضيا إلى الإسكندرية، وأوصلا الحكم بقاضيها، فاستدعى يخشى بك من السجن، وضربت عنقه بعد صلاة الجمعة ثامنه، فى جمع عظيم وافر لرؤيته، وحسابه وحسابهم على الله، الذى يوفى كل عامل عمله.

وفى يوم الأحد سابع عشره: ابتدأ قاضى القضاة علم الدين صالح فى عمل الميعاد بين يدى السلطان.

---

(١) سبق ترجمتها.

(٢) التسمير: هو صلب المعاقب بواسطة المسامير على جدار أو خشب، فإن كان المراد من العقوبة هلاكه سمى «تسمير عطب» وإن كان خلاف ذلك سمى «تسمير سلامة».

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٩٠.

وفيه قتل تغرى برمش بقلعة حلب بعدما عوقب على أمواله، فظفر منها بخمسين ألف دينار عينا، وقتل معه طرعلى بن سقل سيز.

وفى يوم الأربعاء عشرينه: قبض على سودون المغربى متولى دمياط، وحمل مقيدًا حتى سجن بالإسكندرية. ورسم أن يعطى المسفر به مائة ألف درهم.

وفى يوم الإثنين رابع عشرينه: خلع على ناصر الدين محمد بن شهاب الدين أحمد ابن سلام، واستقر فى ولاية دمياط، عوضا عن سودون المغربى.

وفى يوم الخميس ثامن عشرينه: قبض على عظيم الدولة زين الدين عبد الباسط ناظر الجيش، وعلى ولده أبى بكر، وعلى زوجته شكربيه، وعلى دواداره أرغون، وعلى مباشره شرف الدين موسى بن البرهان، فى عدة من ألزامه. وقبض معه على الأمير جانبك أستادار، وأحيط بدورهما.

وأخذت خيولهما فكانت زيادة على سبعين فرسا، وأخذت بغالهما وجمالهما، وكتب بإيقاع الحوطة على ماله بالشام والإسكندرية والحجاز، من مال والبضائع، فكان بسبب ذلك انزعاج فى الناس بالقاهرة.

وفى يوم السبت سلخه: خلع على شيخ الشيوخ محب الدين محمد بن الأشقر واستقر فى نظر الجيش، عوضا عن عبد الباسط، وخلع على الأمير ناصر الدين محمد بن أبى الفرج نقيب الجيش، واستقر أستادارًا، عوضا عن جانبك الزينى عبد الباسط(١).

وفيه قدم رأس تغرى برمش، فطيف به على رمح، ثم علق بباب زويلة فتوالى على السلطان فى مدة أيام يسيرة الظفر بالملك العزيز، وبالمماليك الأشرفية الذين قاموا مع

---

(١) جنبك بن عبد الله، الزينى عبد الباسط (٨٥٨ هـ = ١٤٥٤ م)، الأمير سيف الدين الأستادار.
هو مملوك عبد الباسط ودواداره، استمر بخدمة أستاذه دهرا إلى أن أراد الملك الأشرف أن يتولى عبد الباسط الأستدارية وإن نكبه، ففطن لها عبد الباسط وكان قد قال قبل ذلك: أنه لا يلها أبدا، استدرك فارطه،وصار لا يمكنه ولايتها فيعلم به كل أحد أنه ليس خوفا، فعند ذلك قال: يلبسها مملوكى جانبك، فقال الملك الأشرف: المقصود سد باب السلطان، فولى جانبك المذكور الأستدارية وصار حسا لا معنى، وبقى لا يتصرف فى أمر من أمور الدولة إلا بأمر أستاذه عبد الباسط، ودام على ذلك إلى أن قبض الملك الظاهر جقمق على أستاذه عبد الباسط، فقبض على جانبك هذا أيضًا مع جملة من قبض عليه من حواشى عبد الباسط، إلى أن انتهت مصادرته توجه أيضا صحبة أستاذه إلى مكة، ثم إلى دمشق، ودام إلى أن حضر بعد سلطنة الملك الأشرف اينال، وأقام بالقاهرة إلى أن توفى فى سنة ثمان وخمسين وثمانمائة. ولم يكن جانبك هذا من أعيان الأمراء حتى تشكر سيرته أو تذام. انظر المنهل الصافى ٤/ ٢٤٩، ٢٥٠، الدليل الشافى ١/ ٢١٤، والنجوم الزاهرة ١٦/ ١٧٢، والضوء ٣/ ٥٦.

العزيز بالصعيد، وبأينال الجكمى نائب الشام، وبتغرى برمش نائب حلب، وهذا من النوادر الغريبة، و لله عاقبة الأمور.

فكانت هذه السنة ذات حوادث عظيمة، زالت فيها نعم خلائق بمصر والشام، فذلوا بعد عزهم، وأهينوا بعد تعاظمهم، جزاء بما كسبت أيديهم ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[١].

ووقع فى هذه السنة بعدن وغيرها من بلاد اليمن وباء هلك فيه خلق كثير.

وفيها جمع الإمام صلاح بن محمد الناس بصعدة؛ ليحارب قاسم بن سنقر المتولى على صنعاء، فخافه ابن سنقر، وكتب إلى الظاهر عبد الله صاحب زبيد وتعز، يستنجده ليملكه صنعاء فبعث إليه عسكرا وصل إلى ذمار[٢] على مرحلتين من صنعاء، فبلغهم أن الظاهر أشرف على الموت فعادوا، فإذا هو قد مات، وصلاح هذا يعرف بالهدوى نسبة إلى الهادى من أئمتهم[٣].

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

محدث الشام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبى بكر بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن مجاهد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن على، المعروف بابن ناصر الدين القيسى الدمشقى الشافعى، فى ثامن عشرين شهر ربيع الآخر بدمشق، ومولده فى المحرم سنة سبع وسبعين وسبعمائة[٤]، سمع على شيخنا أبو بكر بن المحب وغيره، وطلب الحديث، فصار حافظ بلاد الشام غير منازع، وصنف عدة مصنفات، و لم يخلف فى الشام بعده مثله.

ومات الطواشى صفى الدين جوهر الحبشى الزمام. وأصله من خدام الأمير بهادر المشرف، قدم به من مكة صغيرا، وأعطاه لأخته زوجة الأمير جلبان الحاجب، فربى عندها، وأعتقته، ثم خدم الأمير برسباى الدقماقى، فى أيام المؤيد شيخ وخرج معه لما ولى نيابة طرابلس، وخدمه لما سجن بقلعة المرقب.

---

(١) سورة فصلت، الآية ٤٦.

(٢) ذِمار: هو اسم قرية باليمن على مرحلتين من صنعاء. انظر معجم البلدان ٣/٧.

(٣) نسبة إلى الإمام الهادى إلى الحق يحيى بن الحسين القاسم الرس. انظر غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى ص٢٢٤.

(٤) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٢٠٥.

وصار يكاتب الطواشي جوهر، وهو إذ ذاك فى خدمة علم الدين داود بن الكويز ناظر الجيش، فيقضي له حوائجه إلى أن خلص برسباى، وعاد إلى القاهرة، صحبة الظاهر ططر، ثم تسلطن وتلقب بالملك الأشرف، فجعل جوهر هذا لالا ولده، فعرف بجوهر اللالا مدة، واشتهر ذكره لتمكنه من السلطان، ورعى حق أخيه جوهر، فتحدث له مع السلطان حتى عمله خازندارًا وتعاضدا وتعاونا، ثم ولاه السلطان زمام الدار، فصار من جملة الأمراء الألوف حتى مات، فعظم فى أيام ولده الملك العزيز، وصار هو المشار إليه إلى أن خلع، وقام فى السلطنة الأمير الكبير جقمق، وتلقب بالملك الظاهر، قبض عليه وسجنه، ثم صادره على مال كبير، وهو مريض، حتى مات فى يوم الأربعاء ثالث عشرين جمادى الأولى عن ستين سنة أو نحوها، وكان متدينا، يحب أهل الخير، ويحسن إليهم ويعتقدهم[1].

ومات الأمير قرقماس الشعبانى، وأصله من مماليك الظاهر برقوق، اشتراه صغيرا وأعطاه لولده الأمير فرج، فلما تسلطن بعد أبيه، وتلقب بالملك الناصر، رقاه فى خدمته، ثم خدم بعده المؤيد شيخ، وصار دوادارا، ثم أمير مائة فى أيام الأشرف، وعظم فى أيامه، وولاه حاجب الحجاب[2]، ثم ولاه نيابة حلب مدة، وأقدمه منها إلى ديار مصر، وعمله أمير سلاح، وأخرجه إلى التجريدة، وعمله مقدم العسكر، فسار وأخذ أرزنكان وغيرها فمات الأشرف وهو فى التجريدة، فقدم بعد موته، وبالغ فى خلع الملك العزيز يوسف بن الأشرف برسباى، فلما خلع وتسلطن الملك الظاهر جقمق، ركب عليه وقاتله، فلم يثبت وفر، فقبض عليه، وسجن بالإسكندرية، ثم ضربت عنقه بها فى يوم الإثنين ثانى عشر جمادى الآخرة، وقد بلغ الخمسين أو تجاوزها وكان يوصف بعفة عن القاذورات المحرمة، وبمعرفة، وخبرة، وفروسية، وشجاعة، إلا أنه أفسد أمره بزهوه وتعاظمه، وفرط رقاعته، وشدة إعجابه بنفسه، واحتقار الناس، والمبالغة فى العقوبة، وقلة الرحمة، لا جرم أن الله تعالى عامله فى محنته من جنس أعماله ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[3].

ومات شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان البساطى المالكى. قدم من الريف وطلب العلم، وعرف بعلوم العجم فى المنطق ونحوه. وعاش دهرا فى بؤس وقلة، بحيث أخبرنى أنه ينام على قش القصب، ثم تحرك له الحظ فولاه الأمير جمال الدين يوسف أستادار

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٢٠٥.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٢٠٥.

(٣) سورة الكهف، الآية ٤٩.

تدريس المالكية بمدرسته[١]، ثم ولى مشيخة التربة الناصرية فرج بالصحراء[٢]، واستنابه ابن عمه الجمال يوسف البساطى فى الحكم مدة ثم عزله، فلما مات الجمال عبد الله الأقفهسى قاضى المالكية، ولى المؤيد شيخ البساطى صاحب الترجمة قضاء القضاة المالكية بديار مصر، رغبة فى أنه فقير متعفف، فباشر ذلك نحو عشرين سنة، حتى مات ليلة الجمعة ثالث عشر شهر رمضان. ومولده فى محرم سنة ستين وسبعمائة، و لم يخلف بعده فى المالكية مثله، فيما نعلم.

ومات علم الدين أحمد بن تاج الدين محمد بن علم الدين محمد بن كمال الدين محمد ابن قاضى القضاة علم الدين محمد بن أبى بكر بن عيسى بن بدران الأخناى المالكى، أحد نواب الحكم بالقاهرة فى يوم الأربعاء خامس عشرين شهر رمضان. وكان فقيها حشما من بيت علم ورياسة[٣].

ومات الشريف أحمد بن حسن بن عجلان، وقد فارق أخاه أمير مكة - شرفها الله- بركات بن حسن، وسار إلى اليمن، فمات بزبيد[٤].

ومات محيى الدين يحيى بن حسن بن محمد الحيحانى المغربى المالكى، قاضى المالكية بدمشق، فى يوم الأربعاء حادى عشر ذى القعدة، وكان عفيفا فى أحكامه مهابا.

ومات أبو عبد الله ابن الفقيه على بن أحمد بن عبد العزيز بن القسم العقيلى النويرى المكى المالكى، قاضى المالكية بمكة - شرفها الله تعالى - فى سابع عشر ذى القعدة بمكة، ومولده سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة بمكة، وهو من بيت علم ورياسة، وكان عفيفا فى قضائه، حشما، جميل الهيئة، له مروءة وباشر حسبة مكة مدة.

ومات محمد - ويعرف ببلبان شيخ كرك نوح - قتله عامة دمشق وولده فى يوم الجمعة ثالث ذى القعدة، وقتلوا معه من قومه جماعة كبيرة بغيا وعدوانا، وكان يتهم بأنه رافضى، ولذلك قتلوه، وكان صاحب همة عالية ومروءة غزيرة، وأفضال وكرم من حال واسعة ومال جم.

ومات الأمير أينال الجكمى، وأصله من مماليك الأمير جكم، وانتقل بعده إلى الأمير شيخ المحمدى، وهو صغير، فربى عنده ورقاه فى خدمته لما تسلطن وعمله شاد الشرابخاناه، ثم صار بعد المؤيد شيخ من أمراء الألوف، وولاه الأشرف برسباى نيابة

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٠٦/١٥.

(٢) فى المنهل: ولاه الملك الناصر فرج مشيخة خانكاته التى أنشأها بالصحراء، على قبر أبيه الملك الظاهر برقوق. انظر: المنهل الصافى ٦٠٣/٤.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ٢٠٨/١٥.

(٤) انظر النجوم الزاهرة ٢٠٨/١٥.

الشام، فمات وهو على نيابتها[١]، فلما خلع العزيز بن برسباى، خرج عن طاعة السلطان الملك الظاهر جقمق ودعا بدمشق للملك العزيز، فبعث إليه السلطان العساكر فحاربته وهزمته، ثم قبض عليه وقتل بقلعة دمشق، فى ليلة الإثنين ثانى ذى القعدة، وكان مشهورا بالشجاعة، مشكور السيرة، إلا أنه لم يسعده جده.

ومات الأمير يخشى بك، أصله من المماليك المؤيدية، وصار من الأشرفية فرقاه الأشرف برسباى حتى صار من أمراء الطبلخاناه وعمله أمير آخور ثانيا، فلما مات الأشرف قبض عليه، وسجن بالإسكندرية، ثم ضرب عنقه فى يوم الجمعة ثامن ذى الحجة، بحكم بعض نواب قاضى المالكية بقتله من أجل أنه سب والدى بعض الأشراف، وكان جبار ظالما شريرًا.

ومات الأمير تغرى برمش، وهو من أهل مدينة بهسنى، واسمه حسين لم يمسه رق قط، وإنما قدم القاهرة وهو صبى، فحافظ بالأجرة فى الخط المعروف بالمصنع تحت قلعة الجبل، عند بعض الخياطين فى حانوت، وتسمى تغرى برمش[٢]، ثم خدم تبعا عند قراسنقر - من المماليك الظاهرية برقوق - مدة طويلة، وخدم بعده بعض الأمراء وصار معه إلى حلب، ثم خدم جقمق، فلما صار دوادار المؤيد شيخ، عمله دواداره إلى أن خرج لنيابة الشام، خرج معه، فلما مات المؤيد وقبض جقمق على الأمير برسباى الدقماقى وسجنه يريد قتله، قام تغرى برمش هذا فى مدافعة جقمق عنه، ومنعه من قتله، حتى كان من سلطنة الأمير ططر ما كان، وقدم من دمشق وقد عمل الأمير برسباى دوادار السلطان، رعى لتغرى برمش حق مدافعة جقمق عن قتله، وقربه، فلما تسلطن رقاه وجعله من جملة أمراء مصر، ثم ولاه أمير أخور كبيرًا، ومكنه من التصرف، واعتمد عليه، ثم ولاه نيابة حلب، فمات الأشرف برسباى وتغرى برمش عليها، وخرج مع العساكر فى التجريدة إلى أرزنكان، فاختلف مع الأمراء، وقدم حلب، فلما خلع العزيز بن برسباى خرج عن طاعة السلطان الملك الظاهر جقمق، فلم ينجح وقاتله أهل حلب وأخرجوه، ثم قاتلته عساكر السلطان وهزمته، ثم قبض عليه، وقتل بحلب فى يوم الأحد سابع عشر ذى الحجة، بعد عقوبات شديدة، وقد أخرب فى حروبه هذه حلب وما حولها، وأكثر من الفساد، وقتل العباد، وقتل معه الأمير طرعلى بن سقل سيز من أمراء التركمان.

ومات بالقاهرة الأمير حسام الدين حسن، فى يوم الأحد ثالث عشرين ذى الحجة،

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٥/ ٢٠٨.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٥/ ٢١٠، ٢١١.

وقد قدم من القدس وولى فى الأيام الناصرية فرج وما بعدها عدة نيابات بغزة والقدس وغيرهما.

ومات ملك اليمن الملك الظاهر هزبر الدين عبد الله بن الأشرف[1] إسماعيل بن على ابن داود بن يوسف بن عمر بن على بن رسول، يوم الخميس سلخ شهر رجب وله فى الملك نحو اثنتى عشر سنة، وضعفت مملكة اليمن فى أيامه لقلة مجابى أموالها، واستيلاء العربان على أعمالها، وأقيم بعده ابنه الأشرف إسماعيل، وله من العمر نحو العشرين سنة، فأكثر من سفك الدماء، وأخذ الأموال، وغير ذلك من أنواع الفساد، فقتل برقوق القائم بدولتهم فى عدة من الأتراك[2].

ومات باليمن الرئيس شرف الدين موسى بن نور الدين على بن جميع الصنعانى الأصل، العدنى المولد والمنشأ، وقد جاوز الخمسين، وكان قد استقر فى منصب أخيه وجيه الدين عبد الرحمن، وختم به بيت ابن جميع. وكان حاذقا عارفا بالأمور، كثير الاستحضار للنوادر، حسن المعاشرة، بعيد الغور.

ومات بعدن أيضا قاضيها الفقيه الفاضل الشافعى جمال الدين محمد بن سعيد بن كبن الطبرى الأصل، العدنى، فى سابع شهر رمضان، وقد جاوز الستين. وكان فاضلا فى الفقه وغيره حسن التأنى، لين الجانب.

ومات بزبيد الفقيه الشافعى المفتى موفق الدين على بن محمد بن فخر، فى شوال، ومولده سنة ثمان وخمسين وسبعمائة، وقد انتهت إليه رياسة العلم والفتوى بزبيد.

ومات بزبيد الفقيه الحنفى الفاضل جمال الدين محمد بن على المعروف بالمطيب، فى عشر رمضان. وهو فى عشر السبعين. وقد انتهت إليه رياسة الحنيفية بزبيد.

* * *

---

(١) عبدالله، وقيل يحيى بن إسماعيل بن على بن داود بن يوسف بن عمر بن على بن رسول (٨٤٢ هـ = ١٤٣٨ م)، الملك الظاهر هزبر الدين، صاحب اليمن، ابن الملك الأشرف. ملك اليمن فى شهر رجب سنة ثلاثين وثمانمائة، فأقام فى الملك نحو اثنتى عشرة سنة، وضعفت مملكته، وخربت ممالك اليمن فى أيامه لقلة محصوله بها من استيلاء العربان على أعمالها، ولم يزل على ذلك إلى أن توفى يوم الخميس سلخ شهر رجب سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة، وملك بعده ابنه الملك الأشرف إسماعيل، وله من العمر نحو العشرين سنة، فساءت سيرته فى الممالك من سفك الدماء وأخذ الأموال وغير ذلك من أنواع الفساد، وقتل الأمير سيف الدين برقوق - القائم فى عدة بدولتهم فى عدة من الأتراك وغيرهم. انظر المنهل الصافى ٧/ ٨٠. والدليل الشافى ١/ ٣٨٣، النجوم الزاهرة ١٥/ ٤٧٤، الضوء اللامع ٥/ ١٤.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٣١٢.



سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة

شهر الله المحرم الحرام، أوله يوم الأحد:

فيه أفرج عن زوجة القاضى زين الدين عبد الباسط، وعن أرغون دواداره.

وفيه حمل عبد الباسط الخزانة السلطانية ثلاثين ألف دينار ذهبًا، وأحيط له بخمسين ألف أردب من الغلة، وبمائة هجين فيها ما تبلغ قيمة الواحد منها آلاف، وبهار قيمته خمسون ألف دينار، وبعدة كثيرة من الجمال.

وفى ثانيه: خلع على ولى الدين محمد السفطى مفتى دار العدل، وأحد خواص السلطان، واستقر فى نظر الكسوة المحمولة إلى الكعبة المشرفة، عوضًا عن زين الدين عبد الباسط، مضافًا لما بيده من وكالة بيت المال، فإن شرط الواقف أن يكون وكيل بيت المال ناظر الكسوة.

وخلع على فتح الدين محمد بن أبى بكر بن أيوب المحرقى[1]، واستقر فى نظر الجوالى، عوضًا عن عبد الباسط. وكانت بيده قديمًا فأعيدت إليه.

وفى ثالثه: قدم مبشرو الحاج، وأخبروا بسلامة الحجاج، ورخاء الأسعار.

وفى خامسه: أفرج عن أبى بكر بن عبد الباسط، وعن شرف الدين موسى بن البرهان إبراهيم الكازرونى ـ مباشر ديوان عبد الباسط ـ على مال يقوم به. هذا وعبد الباسط يورد المال شيئًا بعد شىء، والسلطان مصمم على أنه لا يقنع منه بأقل من ألف ألف دينار، ويتهدد بعقوبته، ويعدد له ذنوبًا يحقدها عليه.

وفى يوم الأحد ثامنه: ابتدأ بالنداء على النيل، وقد بلغت القاعدة ـ وهى الماء القديم فى القياس ـ أربعة أذرع وعشرة أصابع، وأنه زاد ثلاثة أصابع.

وفى تاسعه: نقل الأمير جانبك الزينى أستادار من سجنه بقلعة الجبل إلى بيت الأمير تغرى بردى المؤذى الدوادار؛ ليحاسبه عما فى جهته للديوان المفرد، وألزم بحمل عشرة آلاف دينار، فلم يتأخر فى القلعة سوى زين الدين عبد الباسط بمفرده فى مقعد بالحوش من القلعة، وقد رسم عليه عدة من المماليك السلطانية، وأتباع تبيع أصناف أمواله وعقاره، وتورد أثمانها ذهبا إلى الخزانة السلطانية.

---

(١) انظر ترجمته فى الضوء ١٥٨/٧.

وفى حادى عشره: أفرج عن الأمير جانبك الزينى، ونزل من بيت الأمير تغرى بردى الدوادار إلى بيته، وقد شطب عليه بمبلغ ألف ألف درهم وثلاثمائة ألف درهم، وجبت عليه لديوان، أكثرها تحامل عليه، فإنها بواق فى جهات متسحبين وغير ذلك، مما لو أنصف لم تلزمه، وذلك سوى العشرة آلاف دينار التى ألم بها[1].

وفى رابع عشره: قدم القاضى معين الدين عبد اللطيف ابن القاضى شرف الدين أبى بكر كاتب السر بحلب، وحمل التقديمة فى خامس عشره، ما بين ثياب حرير، وفرو سمور وثياب صوف ، وثياب بعلبكى وخيل ، وبغال، قومت بألف وخمسمائة دينار.

وفيه رسم بنقل سودن المغربى من سجن الإسكندرية إلى القدس؛ ليقيم به بطالا، ورسم بسجن الخواجا شمس الدين محمد بن المزلق كبير تجار الشام فى قلعة دمشق، حتى يحمل ثلاثين ألف دينار للخزانة السلطانية، وعشرة آلاف دينار للديوان الخاص، فقدم ولده وصالح عن ذلك بخمسة آلاف دينار للخزانة وألف دينار للخاص، وخلع عليه.

وفى ثانى عشرينه: قدم الركب الأول من الحاج ثم قدم محمل الحاج ببقية الحجاج فى غده، وأخبروا برخاء الأسعار فى بلاد الحجاز وأمنها من الفتن. وأن وميان أمير المدينة النبوية عزل بسليمان بن عزير، وأن جماعة من الحجاج لما قدموا المدينة الشريفة مضوا لزيارة البقيع فخرج عليهم عدة من العربان وقاتلوهم، فقتل ثلاثة نفر من المماليك المجردين.

وفى هذه الأيام كثرت القالة باختلاف أمراء الدولة والمماليك السلطانية، فنودى فى يوم الخميس سادس عشرينه بألا يخرج أحد فى الليل وأن يصلح الناس دروب الحارات ونحوها.

وفى سلخه: قدم الأمير يشبك من بلاد الصعيد بمن معه من الأمراء والمماليك المجردين، فخلع عليه، واستقر أميرا كبيرا أتابك العساكر، وخلع على من قدم معه من الأمراء.

وفى هذا الشهر وقع الصلح بين الفنش ملك أشبيلية وقرطبة وغيرهما من ممالك الفرنج، وبين محمد بن الأحمر ملك المسلمين بغرناطة من بلاد الأندلس، بعدما امتدت الفتنة بين الفريقين عدة سنين، و لله الحمد.

شهر صفر، أوله يوم الإثنين:

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ٩٣/١٥.

فيه قدم الأمير قانبيه البهلوان[١] أتابك العساكر بدمشق، فأكرم وخلع عليه لنيابة صفد، عوضا عن الأمير أينال الأجرود المستقر فى جملة أمراء الألوف بديار مصر، ورسم باستقرار الأمير أينال الششمانى أحد أمراء الألوف بدمشق فى الأتابكية بها، عوضا عن الأمير قانبيه البهلوان.

وفى يوم الخميس رابعه: طبق السحاب آفاق السماء بالقاهرة وما حولها، ثم أمطرت مطرا غزيرا كثيرا، فكان هذا مما يستغرب، فإن الزمان صيف، والشمس فى برج الأسد، والنيل ينادى عليه، وقد بلغ نحو عشرة أذرع، ونحن فى شهر أبيب أحد شهور القبط ﴿وَلَكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[٢].

وفى سادسه قدم الأمراء المجردين إلى الشام بمن معهم من المماليك السلطانية فخلع على الأمير قراقجا الحسنى أمير آخور، ونزل بباب السلسلة من القلعة، وعلى الأمير تمرباى رأس نوبة النوب[٣].

وفى حادى عشره: نقل زين الدين عبد الباسط من المقعد بالحوش من القلعة إلى برج بها، وكانت حاله فى مدة سجنه بالمقعد على أجمل ما عهد ممن نكب، فإنه أنزل بهذا المقعد ـ وهو أحد المواضع المعدة لجلوس السلطان ـ ورتب له فى كل يوم سماط من أول النهار، وسماط فى آخره يحمل إليه من المطبخ السلطانى، مع الحلوى والفاكهة، ولم يمنع أحد من التردد إليه، فكان أمراء الدولة ومباشروها وأعيان الناس وجميع أتباعه وألزامه لا يزالون يتناوبون مجلسه، ويكونون بين يديه، كما هى عادتهم فى أيام دولته، بحيث لم يفقد مما كان عليه سوى الحركة والركوب، وهو مطلوب بألف ألف دينار، والسلطان مصمم على ذلك.

وقد توسط بينه وبين السلطان المقر الكمالى محمد بن البارزى كاتب السر، وراجع السلطان فى أمره مرارًا وعبد الباسط يورد من أثمان ما يباع له من ثيابه وأثاثه وحلى نسائه وأمتعتهم ومن عقاراته، حتى وقف طلب السلطان ـ بعد اللتيا والتى ـ على أربعمائة ألف دينار، وأبى أن يضع عنه منها شيئًا، إلى أن كان يوم الخميس هذا، تحدث كاتب السر مع السلطان فى الحطيطة من الأربعمائة ألف دينار، وأعانه عدة من أعيان الدولة فى التلطف بالسلطان، وسؤاله فى ذلك، فغضب، وأمر أن يخرج إلى البرج على

---

(١) هو الأمير قانى باى الأبوبكرى المغامرى المعروف بالبهلوانى. انظر النجوم الزاهرة ١٥/٩٣.

(٢) سورة الحج، الآية ١٤.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٥/ ٩٣.

حالة ردية، وأشار لبعض خواصه بالمضى لما رسم به، فأخرج فى الحال من المقعد، لكن على حالة غير ردية، ومضوا به ماشيًا حتى سجنوه بالبرج، ورسم له أن يدفع إلى المرسمين عليه بالمقعد - وهم ثمانية من خاصكية السلطان - مبلغ ألفى دينار ومائتى دينار، فدفعها إليهم، وإذا بوالى القاهرة قد دخل عليه بالبرج، وأمره أن يخلع جميع ما عليه من الثياب، فإنه نقل للسلطان أن معه الاسم الأعظم، ولذلك كلما هم بعقوبته صرفه الله عن ذلك. فخلع جميع ما كان عليه من الثياب والعمامة، ومضى بها الوالى، وبما فى أصابع يديه من الخواتيم، فواجد فى عمامته قطعة أديم، ذكر لما سئل أنها من نعل النبىﷺ، ووجدت فيها أوراق بها أدعية ونحوها.

وفى يوم السبت ثالث عشره: وهو أول مسرى نودى على النيل بزيادة خمسين إصبعًا، لتتمة أربعة عشره ذراعًا وإصبعين، وهذا المقدار مما يستكثر مثله فى أول مسرى، و لله الحمد.

وفى هذا الشهر: ارتفع سعر الغلال، فارتفع سعر القمح من مائة وأربعين درهمًا الأردب إلى مائة وتسعين، والشعير من ثمانين درهمًا الأردب إلى مائة وخمسين، وبلغ الفول نحو مائتى درهم الأردب، وشره الناس فى خزن الغلال، ظنًا منهم أن أسعارها تعلو من أجل أن أكثر أراضى الزرع كانت شراقى، ومع ذلك فتولد من الفأر شىء عظيم أفسد فى الزروع فسادًا كبيرًا، ووقعت ببلاد الصعيد فتن كبيرة، رعى فيها من الزروع ما شاء الله، فلذلك نقص متحصل غلال النواحى حتى أرجف المشنعون بوقوع الغلاء، ولهجوا بذكره، فأغاث الله العباد والبلاد، وأجرى النيل سريعًا غزيرًا، فضعفت قلوب خزان الغلال، واطمأنت قلوب الكفاية، فانكفوا عن كثرة الطلب لها ﴿**إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾[1].

وفى هذا اليوم: قدم الأمير أينال الأجرود من صفد، والأمير طوغان نائب القدس، والأمير طوخ أتابك العسكر بغزة، وقد صار من جملة مقدمى الألوف بدمشق على تقدمة مغلبية الجقمقى ، فخلع عليهم وأركبوا خيولا بقماش ذهب ، ونزلوا إلى دورهم.

وفى هذه الأيام: ندب السلطان من جرف جميع الأتربة التى كانت بالرميلة تحت القلعة، ونقلها إلى الكيمان، وجرف الأتربة التى كانت بالصوة تحت القلعة إلى قريب مدرسة الأمير أيتمش بطرف التبانة.

وفى رابع عشره: رسم بإحضار من فى سجن الإسكندرية، وهم جانم أمير آخور،

---

(١) سورة الحج، الآية ٦٥.

وأينال البوبكرى، وعلى باى الدوادار، وجكم، وبيبرس - خالى العزيز - وتنم ويشبك الدواداران، وتنبك القيسى، ويشبك الخاصكيان، وبيرم خجا أمير مشوى، وأزبك خجا رأس نوبة، وأن يترك الأمير قراجا بالسجن، فسار الأمير أسنبغا الطيارى لذلك.

وفيه توجه الأمير قانبيه البهلوان إلى محل كفالته بصفد[١] بعد ما أنعم عليه بمال جزيل[٢].

وفى يوم الخميس ثامن عشره: - الموافق له سادس مسرى: - نودى على النيل بزيادة عشر أصابع، فوفاه الله تعالى ستة عشر ذراعًا وإصبعين من سبعة عشره ذراعًا، وهذا أيضًا من النوادر فى وقت الوفاء، فركب الأمير الكبير يشبك الأتابك حتى خلق المقياس بين يديه، ثم فتح الخليج على العادة.

وفى ثانى عشرينه: قدم الأمير أسنبغا الطيارى بمن معه من المسجونين بالإسكندرية إلى بلبيس، وكلهم فى الحديد، وعدتهم أربعة عشر، فأفرج منهم عن بيرم خجا أمير مشوى، ونفى إلى طرابلس، وأخرج من البرج بقلعة الجبل رجلان أضيفا مع الثلاثة عشر، فصاروا خمسة عشر، فرسم أن يتوجه منهم سبعة نفر إلى قلعة صفد ليسجنوا بها، وهم: أينال، وعلى بيه، وتنبك القيسى، وأزبك خجا، وجرباش، وحزمان، وقانبيه اليوسفى، ومتسفرهم الأمير سمام[٣]، وأن يتوجه ثلاثة منهم إلى قلعة الصبيبة ليسجنوا بها، وهم جانم أمير أخور، وبيبرس خال العزيز، ويشبك بشقشى ومتسفرهم، هم ومن يمضى إلى المرقب، وهم خمسة نفر: أزبك البواب، وجكم خال العزيز، وتنم الساقى، ويشبك الفقيه، وجانبك قلقسيز، والأمير أينال أخو قشتمر، فساروا فى حالة سيئة ﴿ولا يظلم ربك أحدًا﴾[٤].

وفى سابع عشرينه: قدم الأمير طوخ مازى نائب غزة فخلع عليه، وأنزل فى بيته.

وفى تاسع عشرينه: نقل زين الدين عبد الباسط من البرج إلى موضع يشرف على باب القلعة، ووعد بخير بعد ما كان يوعد بالعقوبة.

وفى سلخه - وهو ثامن عشر مسرى -: نودى بزيادة ثلاثة أصابع لتتمة عشرة ذراعًا وإصبعين من عشرين، وهذا مقدار يندر وقوع مثله فى ثامن عشر مسرى و لله الحمد.

---

(١) سبق ترجمتها.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٩٥.

(٣) هو الأمير سهام الحسنى الظاهرى برقوق. انظر الضوء اللامع ٣/٢٧٣.

(٤) سورة الكهف، الآية ٤٩.

شهر ربيع الأول، أوله يوم الأربعاء:

فى سادسه: خلع على الأمير طوخ مازى، وتوجه عائدًا إلى محل كفالته بغزة. وقد أنعم عليه، وأكرم[١].

وفى عاشره: نودى بتجهيز الناس للسفر إلى مكة - شرفها الله - فى شهر رجب، فسر الناس بذلك وأخذوا فى أسباب السفر.

وفيه توجه الكاشف محمد الصغير - ومعه جماعة - لأخذ سواكن بعد ما أنفق فيهم.

وفى ليلة السبت حادى عشره: أخرج بالعزيز يوسف من محبسه بالقلعة، وأركب فرسا، وقد وكل به جماعة، حتى أنزل فى الحراقة، ومضوا به إلى الإسكندرية، ومعه جانبك القرمانى[٢] أحد أمراء العشرات ليودعه بالبرج، محتفظًا به، ورسم أن يصرف له من مال أوقاف الأشرف ألف دينار، وحمل مع العزيز ثلاث جوارى لخدمته، وجهز من أوقافه بما لابد منه بحسب الحال، ورتب له فى كل يوم ألف درهم من أوقافه، وخرج عدة من جوارى أبيه يبكين، وعدن بعد انحداره فى النيل، فجمعن من رفاقهن وصواحباتهن كثيرا، وعملن عزاء فى تربة الأشرف برسباى، وتربة جلبان أم العزيز.

وفى حادى عشره: خلع على شمس الدين أبى المنصور نصر الله كاتب اللالا، واستقر فى نظر الإصطبل، عوضًا عن زين الدين يحيى قريب بن أبى الفرج[٣].

وفى يوم الأحد ثانى عشره: عمل المولد النبوى بين يدى السلطان بالحوش من القلعة.

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ٩٦/١٥.

(٢) جانبك بن عبد الله القرمانى الظاهرى (٨٦١ هـ = ١٤٥٦ م)، الأمير سيف الدين حاجب الحجاب بالديار المصرية. أصله من مماليك الملك الظاهر برقوق، وتأمر عشرة بعد موت الملك المؤيد شيخ، بعد أن قاسى خطوب الدهر ألوانا حتى أنه سمر على جمل ورسم بتوسيطه فى الدولة الناصرية فرج، ثم شفع فيه وحبس ثم أطلق، ولما تسلطن الأشرف برسباى جعله من جملة معلمى الرمح، واستمر على ذلك إلى أن تسلطن الملك الظاهر جقمق غير إقطاعه بعد مدة، ثم أنعم عليه بإمرة طبلخاناه، ثم ولاه رأس نوبة ثانيا بعد طوخ الجكمى، بحكم تعطله لرمد أصابه عمى منه، فدام على ذلك إلى أن تسلطن الملك الأشرف أينال أنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية فى يوم الخميس حادى عشر شهر ربيع الأول سنة سبع وخمسين وثمانمائة، ثم بعد أيام قليلة نقل حجوبية بالديار المصرية، بعد الأمير قراجا الظاهرى، الخازندار بعد توجهه إلى القدس بطالا، وكان قراجا المذكور من خيار الناس.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ٩٦/١٥.

وفى سابع عشره - وهو خامس أيام النسىء: - نودى بزيادة إصبع واحد تكملة عشرين ذراعًا، وهذا المقدار من زيادة النيل قبل النوروز مما يندر وقوعه، وربنا المحمود على جزيل نعمائه.

وفى هذه الأيام أخرج بجماعة من الأشرفية منفيين.

وفى ثامن عشره: أخرج عز الدين محمد بن قاضى القضاة جمال الدين يوسف البساطى المالكى أحد نواب القضاة المالكية، وناصر الدين محمد الشنشى أحد نواب القضاة الحنفية فى الترسيم إلى بلاد الصعيد منفيين. ثم أعيد البساطى بشفاعة وقعت فيه، ومضى الشنشى وابنه إلى قوص، ونفى أيضًا أربعة من المماليك الأشرفية.

وفى تاسع عشره: سارت تجريدة فى النيل، تريد ثغر رشيد، وقد ورد الخبر بأن أربع شوانى للفرنج قاربت رشيد، وأخذت أبقارا أو غيرها، فأخرج لذلك الأمير شادى بك الظاهرى ططر، والأمير أسنبغا الطيارى، وهما من أمراء الألوف، وحمل لكل منهما خمسمائة دينار، فما هو إلا أن انحدرت سفنهم احترق مركب الطيارى من مدفع نفط رموا به، فعاد عليهم، وأحرق كثيرا مما معهم، وأصاب بعضهم، فألقى الطيارى بنفسه فى النيل حتى نجا، ثم ركب فى السفينة وساروا.

وفى عشرينه صعد الخليفة المعتضد أبو الفتح داود إلى السلطان، ومعه الأمير بيبرس ابن بقر، وقد استجار به، فقبل السلطان شفاعته، وأمنه، ونزل مع الخليفة، ولم يتعرض له بعد ذلك.

وفى العشر الثالث من هذا الشهر: اتفق حادث شنيع، وهو أن طباخًا خارج باب الفتوح من القاهرة يطبخ كروش البقر ويبيعها مدة سنين فى كل يوم، فباع على عادته فى بعض أيام هذا العشر، فما دخل الليل إلا وعدة كثيرة ممن اشترى منه وأكل قد مرضوا، وتتابع الموت فيهم، بحيث أنه مات فى يومين سبعة نفر، وبقى نحو الأربعين مرضى، لم ينضبط لى ما جرى لهم، ثم بلغنى أنه مات منهم جماعة.

وفى سادس عشرينه: رسم بتوجه القاضى زين الدين عبد الباسط إلى الحجاز بأهله وأولاده، فأخذ يتجهز للسفر.

وفيه وردت مطالعة الأمير أقبغا التمرازى نائب الشام، يشكو فيها من بهاء الدين محمد بن حجى قاضى القضاة وكاتب السر بدمشق، فرسم بعزله وإخراجه من دمشق إلى القدس، ثم رسم له بتدريس الصلاحية بالقدس ونظرها، عوضًا عن عز الدين

القدسى، وتوجه الأمير يلبغا الجركسى رأس نوبة وأحد خواص السلطان لذلك، وأن يكشف عن شكوى نائب الشام من أرباب الوظائف بدمشق.

وفيه ورد الخبر بأن الأمير أقبغا التركمانى الناصرى نائب الكرك، لما قدم عليه من الأبواب السلطانية - جائزًا من بنى عقبة - ابن منجد أمير بنى عقبة، وعليه الخلعة السلطانية، ونزعها عنه وقتله.

وفى سابع عشرينه: رسم بسفر خمسين من المماليك السلطانية صحبة زين الدين عبد الباسط، وأقيم عليهم منهم رأس باش.

وفى تاسع عشرينه: جهز إلى الأمير أركماس الظاهرى الدوادار[1] - كان - فرس

---

(١) أركماس بن عبد الله الظاهرى الدوادار، الأمير سيف الدين. أحد المماليك الظاهرية برقوق، مات أستاذه وهو من جملة المماليك السلطانية ودام على ذلك دهرا إلى أن آلت السلطنة إلى الملك الظاهر ططر جعله نائب قلعة دمشق، فاستمر على ذلك مدة طويلة إلى أن استدعاه الملك الأشرف برسباى إلى الديار المصرية وأنعم عليه بتقدمة ألف بها، وولى مكانه فى نيابة قلعة دمشق، صرغتمش السيفى تغرى بردى المدعو يابو، أعنى مملوك والدى، فدام أركماس المذكور على ذلك مدة طويلة إلى أن خلع عليه باستقراره رأس نوبة النوب بعد مسك الأمير تغرى بردى المحمودى، وأنعم بإقطاعه عليه أيضا، وأنعم باقطاع أركماس هذا وهى تقدمة ألف على الأمير قطج من تمراز، وذلك فى شهر جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وثمانمائة، فاستمر فى وظيفته إلى أن نقله الملك الأشرف إلى الدوادارية الكبرى بعد نفى الأمير تمراز القرشى الظاهرى المعزول عن نيابة عزة قبل تاريخه بمدة يسيرة. ولما ولى أركماس الدوادارية عظم فى الدولة وضخم وأثرى، ودامت أيامه، وهو فى غالب أيامه ملازم للفراش لما كان يعتريه من ألم المفاصل، لا يباشر الوظيفة فى السنة إلا أياما يسيره، وكان غيره عارف، ليس له دربة بهذه الوظيفة ولا بغيرها، فإنه كان لا يحسن الكلام باللغة التركية فكيف العربية، وكان فى أحكامه أعجوبة، حضرته غير مرة فكان إذا دخل قاصد، أو محاكمة نظر إلى وجه دواداره سودون وإلى وجه رأس نوبته، وموقعة، فمهما حكموا به أمضى لهم ذلك، وقال كقولهم، أو أشار بيده، وهو مع ذلك له حرمة وكلمة نافذة فى الدولة، وسافر عدة تجاريد إلى البلاد الشامية، غالبها فى محفة، حتى لما سافر إلى آمد صحبة السلطان الملك الأشرف برسباى سنة ست وثلاثين وثمانمائة، كان أيضا فى غالب أيامه فى المحفة. وكان بخيلا مسيكا، كان يضعف المدة الطويلة وينقطع عن الخدمة السلطانية إلى شهر رمضان يتعافى ويلازم الخدمة ويبيت بالقلعة من أجل أنه يفطر على سماط السلطان، ويحيل مماليكه على عاداتهم من سماطه فى السنة، إلا أنه كان عفيفا عن المنكرات والفروج، وأيضا عن البر والصدقات، وكان متوسط السيرة لا يميل لا لخير صحبة الأمراء المصريين إلى أرزنكان فى سنة إحدى وأربعين ومرض السلطان وهم فى تلك البلاد ومات فى ذى الحجة من السنة وتسلطن ولده الملك العزيز يوسف، ووقع ما سنحكيه فى غير موضع، إلى أن عادوا من التجريدة، وقد استفحل أمر الأتابك جقمق، وأخذ أمر العزيز فى انحطاط، فقبلوا الأرض من الإسطبل السلطانى والملك العزيز واقف بالقصر الأبلق، وخلع عليهم، ونزلوا إلى دورهم، فلم يكن إلا بعد أيام قلائل=

وبغل بقماش من الإصطبل السلطانى، وأذن له أن يركب من دمياط، ويسير حيث شاء من أقطار البلد، فقط.

شهر ربيع الآخر، أوله يوم الجمعة:

فيه خلع على شهاب الدين أحمد العجلونى[١] موقع الأمير أركماس الدوادار - كان - واستقر فى كتابة السر بدمشق، عوضا عن بهاء الدين محمد بن حجى، ورسم باستمرار عز الدين عبد السلام القدسى[٢] على عادته فى تدريس الصلاحية بالقدس ونظرها، وأن يحضر ابن حجى إلى القاهرة، ورسم بنقل صلاح الدين خليل بن محمد ابن محمد بن محمود بن سابق من كتابة السر بحماة إلى نظر الجيش بحلب، عوضًا عن سراج الدين عمر بن شهاب الدين أحمد بن السفاح.

وفى ثانيه: خلع على ابن السفاح المذكور، واستقر فى نظر الجيش بدمشق، عوضًا عن جمال الدين يوسف بن الصفى الكركى، وكان قد قدم القاهرة.

وفيه - وهو رابع عشر مسرى -: بلغ النيل عشرين ذراعا وعشرة أصابع.

وفيه ادعى رجل على بعض نواب القاضى الشافعى أنه سجن غريمًا له على دين ثبت له عليه، فأثبت الغريم إعساره على آخر من نواب القاضى، فأخرجه من السجن، فأنكر السلطان إخراج الغريم من السجن بغير إعذار رب الدين وأمر بالقاضى الذى أخرجه من السجن أن يسجن حتى يدفع لرب الدين دينه - وهو ثمانية آلاف درهم - فسجن بالبرج من قلعة الجبل، حتى دفع ذلك إليه من ماله، وهذا من نوادر الأحكام.

=وقد خلع العزيز وتسلطن الأتابك حقمق، فمن ثم أخذ أمر أركماس هذا إلى خلف، فخلع عليه الملك الظاهر حقمق باستقراره على وظيفته الدودارية، ونزل إلى داره، وكل أحد يعلم أنه سيعزل عن قريب، فدام مدة يسيرة وأشيع بالقاهرة بمسكه، ولهج الناس بذلك، فبادر أركماس المذكور وطلب الإقالة واستعفى من الإمرة والوظيفة، وأراد التوجه إلى دمياط فرسم له بلك، فتوجه إلى الثغر المذكور وأقام به سنين طويلة إلى ان طلب العود إلى القاهرة بطالا، فأجيب إلى ذلك وعاد إلى الديار المصرية، وقبل الأرض للسلطان الملك الظاهر حقمق، فحصل له إكرام زائد، وخلع عليه كاملية بسمور، وقيد له فرس من مراكب السلطان، ونزل ملازما لداره إلى أن توفى يوم الجمعة ثامن عشرين شوال سنة أربع وخمسين وثمانمائة، وحضر السلطان الصلاة عليه بمصلاة المؤمنين، وسنه نيف على السبعين، وكان قدومه ثغر دمياط بعد سنة خمسين وثمانمائة تخمينا، رحمه الله تعالى، وخلف ولدا ذكرا. انظر الترجمة فى: الدليل الشافى ١/١٠٩، والنجوم الزاهرة ١٥/٥٤٤، والضوء اللامع ٢/٢٦٩. والمنهل الصافى ٣٢٩.

(١) هو أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن شرف بن منصور الشهاب ابن الزين الدمشقى الشافعى. انظر ترجمته فى الضوء اللامع ١/٣٣٥.

(٢) انظر ترجمته فى الضوء اللامع ٤/٢٠٣.

وفيه رسم بعزل نواب القضاة الأربع بأجمعهم. وألا يستنيب الشافعى سوى أربعة فقط، وكل من الثلاثة لا يستنيب إلا اثنين لا غير.

وفى سابعه: أنفق فى المماليك المجردين إلى مكة صحبة زين الدين عبد الباسط ـ وهم خمسون فارسًا ـ مبلغ خمسين دينارًا لكل واحد، سوى الخيل والجمال.

وفيه خلع على شمس الدين محمد بن إسماعيل بن محمد الونائى(١) واستقر فى قضاء الشافعية بدمشق، عوضًا عن ابن حجى، وأنعم عليه السلطان بخيل وجمال، ورسم بتجهيزه. والونائى هذا مولده فى شعبان سنة ثمان وثمانين وسبعمائة بقرية ونا(٢) من عمل الفيوم، وقدم القاهرة، واشتغل بها ـ من سنة سبع وثمانمائة، فبرع فى الفقه والعربية، وتكسب بتحمل الشهادة مدة، ثم اشتهر وتصدى للأشغال، فقرأ عليه جماعة، وصحب عدة من أعيان الدولة الأشرفية برسباى، منهم الأمير جقمق فلما تسلطن جقمق لزم الترداد إلى مجلسه حتى ولاه مسئولا بالولاية، ونعم الرجل هو علمًا ودينًا.

وفى عاشره: استدعى السلطان بأولاد القاضى زين الدين عبد الباسط الثلاثة، وخلع عليهم كوامل حرير بفرو سمور وقاقم، ونزلوا إلى دورهم مكرمين.

وفى حادى عشره: ورد الخبر من دمياط بأن العامة قتلوا رجلا نصرانيًا اسمه جرجس ابن ضو الطرابلسى ـ بعد ما أظهر الإسلام ـ ثم نهبوا كنائس النصارى.

وفى ثانى عشره: استدعى السلطان بزين الدين عبد الباسط من محبسه، فدخل فى جماعة من أعيان الدولة إلى السلطان، فبالغ فى إكرامه، وخلع عليه وعلى عتيقه الأمير جانبك، ونزل من القلعة وفى خدمته أعيان الدولة، وقد اجتمع خلائق لرؤيته فرحًا به، حتى نزل بمخيمه قريبًا من قبة النصر ليتوجه إلى الحجاز بأولاده ونسائه وأتباعه، بعد ما حمل إلى الخزانة السلطانية مائتى ألف دينار وخمسين ألف دينار ذهبًا، سوى ما أخذ له من الخيول والجمال وغير ذلك وسوى تحفًا جليلة قدمها، فحماه الله فى محنته فلم يسمع فيها ما يكره، بل كان فى هذه المدة يتردد إليه أمراء الدولة ومباشروها، وهو من العز والكرامة على حاله فى أيام دولته، ولا أعلم أحدا رأى من الإجلال والاحترام فى أيام نكبته ما رآه، ورأى ذلك بما كان يجريه الله على يديه من الصدقات، سرا وجهرًا.

وفى ثالث عشره: عزل أبو المنصور من نظر الإصطبل، بعد ما حمل مما التزم به نحو

---

(١) انظر ترجمته فى الضوء اللامع ٧/ ١٤٠.

(٢) من القرى القديمة من أعمال البهنساوية. انظر التحفة السنية، القاموس الجغرافى ج٣ القسم٢ص١٣٣.

سبعمائه دينار، واستقر عوضه تاج الدين محمد بن نور الدين على بن القلاقسى الفوى، على مال التزم به.

وفى سحر يوم الجمعة خامس عشره: رحل زين الدين عبد الباسط من منزلته بقبة النصر، حتى أناخ ببركة الحجاج، ورافقه فى سفره جماعات من الرجال والنساء، فصار فى ركب من الحجاج، وكان يتردد إليه فى منزلته هذه عامة الأمراء، والمقام الناصرى محمد ولد السلطان، وجميع مباشرى الدولة، من الوزير، وكاتب السر، وناظر الجيش، وناظر الخاص، ومعظم أعيان القاهرة من القضاة، ومشايخ العلم، والتجار، وغيرهم من سائر طبقات الناس، فأقام ببركة الحجاج وهم يترددون إليه، ويحملون له المبالغ الكثيرة من الذهب والثياب والخيول والأغنام وغير ذلك، حتى استقل بالمسير فى ليلة الإثنين ثامن عشره، فما زادته هذه المحنة إلا رفعة وعزا، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

وفى خامس عشرينه: عزل ناصر الدين محمد بن أحمد بن سلام عن ولاية دمياط، ولعزله خبر يذكر، وهو أن جماعة من المطوعة بدمياط ركبوا البحر يريدون جهاد الفرنج، فمضوا من دمياط حتى أرسوا بميناء بيروت، وهم فى ثلاثة مراكب، فاجتمع عليهم عدة من الغزاة، وساروا غير بعيد، وإذا بطائفة كبيرة من الفرنج فى أربعة مراكب قد أقبلوا فاحتربوا معهم حربًا شديدة، حتى استشهدوا بأجمعهم، إلا طائفة من البحارة فإنهم ألقوا أنفسهم فى البحر، وأخذ الفرنج مراكب المسلمين بما فيها وأقلعوا، فما هو إلا أن وصل الخبر بذلك إلى دمياط وإذا بالعزاء والمآتم قد أقيمت على من فقد من الغزاة حيث عم ذلك أهل البلد بأسرهم، إلا رجلا من نصارى دمياط يقال له جرجس بن ضو، فإنه فى وقت عزاء الناس عمل فرحًا، وجمع على طعامه عدة أناس، وأظهر الشماتة والمسرة بما أصاب المسلمين، وكان قبل يتهمه الناس بدمياط أنه يكاتب الفرنج ويدلهم على عورات المسلمين، ويحضهم على محاربتهم، فلما عمل هذا المجتمع، لم تصبر العامة على ذلك، وثاروا به وأخرجوه، وادعوا عليه عند القاضى بقوادح، قامت عليه بها بينات أوجبت قتله، فلما أيقن بالهلاك أظهر الإسلام، وتلفظ بالشهادتين، فقام ابن سلام على العامة، وتخلصه من بين أيديهم على مال فيما زعموا أنه وعده به، فتعصبت العامة، وقتلت النصرانى الأسلمى، وأحرقوه بالنار، ونهبوا كنائس النصارى، فحنق ابن سلام، وكتب إلى السلطان وإلى ناظر الخاص، وهو يشنع الأمر، ويذكر أن حرمة السلطان قد انكسرت، وضاع مال السلطان، وتعطل استخراجه، فاشتد غضب ناظر الخاص، وأغرى السلطان بأهل دمياط، حتى غضب عليهم، وبعث ثلاثين مملوكًا صحبة بعض

الأمراء ليقبضوا على التجار بدمياط، وعلى أعيانها، فدخلوا دمياط وقد طار الخبر إليها، فرحل جمهور أهلها، وتركوا دورهم وضعفة أهاليهم.

هذا، وكتب ابن سلام تتواتر مرة بعد أخرى بإغراء السلطان بأهل دمياط، وقد طار الخبر إليها، والسلطان يشتد غضبه على العامة، ويهم أن يفتك بهم، فأخذ جماعة من أعيان الدولة فى تسكين غضبه، وبالغوا فى تقبيل يديه، وسألوه العفو عنهم، حتى تمهل عن قتلهم، ورسم بعزل ابن سلام، وقد اتضح أمره.

وفى خامس عشرينه: قدم أحد حجاب دمشق بسيف الأمير أقبغا التمرازى نائب الشام، وقد مات فجأة، فى سادس عشره، فرسم لنائب حلب الأمير جلبان باستقراره فى نيابة الشام، وأن ينتقل نائب طرابلس الأمير قانباى الحمزاوى إلى نيابة حلب، وينتقل الأمير برسباى الناصرى[1] ـ حاجب الحجاب بدمشق ـ إلى نيابة طرابلس، ويستقر عوضه فى الحجوبية الكبرى بدمشق الأمير سودون النوروزى حاجب حلب، وينتقل حاجب حماة الأمير سودون المؤيدى إلى الحجوبية الكبرى بحلب، وأن يستقر الأمير جمال الدين يوسف بن قلندور نائب خرت برت[2] فى نيابة ملطية، عوضًا عن الوزير الأمير غرس الدين خليل، ويستقر خليل المذكور أحد أمراء الألوف بدمشق، عوضًا عن الأمير

---

(١) برسباى بن عبد الله من حمزة الناصرى (٨٥١ هـ = ١٤٤٧ م)، نائب حلب، الأمير سيف الدين هو من مماليك الملك الناصر فرج ومن خاصكيته، وحبس بعد موت أستاذه مدة، ثم أطلق، وأنعم عليه بإمرة بالبلاد الشامية، ثم صار حاجب حجاب دمشق فى دولة الأشرف برسباى بكمالها إلى أن خرج الأمير أينال الجمكى نائب دمشق عن طاعة الملك الظاهر جقمق وقبض على أمراء دمشق الأكابر. كان برسباى هذا ممن قبض عليه، وحبس بقلعة دمشق إلى أن أطلقهم الأمير أينال المذكور بعد أن أخذ عليهم العهود والمواثيق. فلما خرجوا من الحبس فروا من عنده، وصاروا من حزب الملك الظاهر جقمق إلى أن ظفر الظاهر بأينال.استقر برسباى المذكور على عادته فى حجوبية دمشق إلى أن نقله إلى نيابة طرابلس وبعد انتقال الأمير قانى باى الحمزاوى إلى نيابة حلب بعد الأمير جُلبان، بحكم انتقاله إلى نيابة دمشق، بعد موت الأمير آقبغا التمرازى، فباشر نيابة طرابلس سنين إلى أن برز المرسوم الشريف باستقراره فى نيابة حلب بعد موت الأمير قانى باى البهلوان فى سنة إحدى وخمسين وثمانمائة، فتوجه إلى حلب مريضًا، فأرسل يستعفى، فأعفى. وتوفى بعد أن خرج من حلب فى السنة المذكورة، وكان دينًا، خيرًا، عفيفًا عن المنكرات، عاقلا، سيوسًا، مشكور السيرة، إلا أنه كان يحب جمع المال، ويستكثر من العمائر، وكان يقيم أشهرا لا يتناول شرب الماء – على ما قيل – وقد شهر عنه ذلك. وكان للطويل أقرب، طويل اللحية، مليح الشكل، تام الخلقة، حسن الخلق. انظر المنهل الصافى ٣/ ٢٧٧، ٢٧٨.

(٢) سبق ترجمتها.

ألطنبغا الشريفى(١)، ويستقر الشريفى المذكور أميرا كبيرًا بحلب، عوضًا عن الأمير قطج وأن يحضر الأمير قطج إلى القاهرة، وجهزت تقاليدهم ومناشيرهم فى سابع عشرينه، ورسم للأمير دولات باى المؤيدى الدوادار أن يكون متسفر الأمير جلبان نائب الشام، وأن يكون الأمير أرنبغا اليونسى رأس نوبة متسفر الأمير قانباى الحمزاوى نائب حلب، وأن يكون الأمير سودون المحمدى - المعروف بأتمكجى(٢) - رأس نوبة - متسفر الأمير برسباى نائب طرابلس(٣)، وخلع عليهم فى تاسع عشرينه خلع السفر، فسافروا.

وثبتت زيادة النيل إلى يوم الثلاثاء سابع عشرينه - الموافق له ثامن بابة - على أصابع من عشرين ذراعًا، وقد انقضت أيام الزيادة وشمل الرى أراضى الزراعات بالنواحى، ولم نعهد منذ سنين أن زيادة النيل ثبتت إلى هذا التاريخ من شهور القبط على هذا المقدار، إلا أن أسعار الغلال ارتفعت عما كانت عليه، لا سيما الفول، فإنه تجاوز المائتى درهم الأردب، بعد ثمانين، وقل وجود اللحم الضأن من قلة مراعى بلاد الصعيد، ولما وقع بها من الفتن.

وفى يوم الخميس - ويوم الجمعة سلخه: - طبق الأفق بالقاهرة جراد منتشر، فأضرب ببعض الزروع، وهلك سريعًا.

وفيه أعيد محمد الصغير إلى ولاية دمياط، عوضًا عن ابن سلام.

شهر جمادى الأولى، أوله يوم السبت:

---

(١) ألطنبغا بن عبد الله الشريفى (٨٤٤ هـ = ١٤٤٠ م)، الأمير علاء الدين، المعروف بالجمقدار، أحد الأمراء المقدمين بدمشق. أصله من مماليك الملك الناصر فرج، ونسبته بالشريفى إلى تاجره. كان من أعيان المماليك الناصرية، وتأمر فى أواخر دولة أستاذه، ثم حُبس بعد قتل أستاذه وتعطُّل الدولة المؤيدية شيخ بكاملها، وإلى أن أنعم عليه الملك الأشرف برسباى بإمرة عشرة، ثم جعله من جملة رءوس النوب. واستمر على ذلك مدة طويلة إلى أن نقله إلى إمرة مائة وتقدمة ألف بدمشق - بعد موت طوغان عتيق والدى - وتوجه إلى دمشق، ودام بها إلى أن توفى الملك الأشرف برسباى وافتضت السلطنة بعد خلع الملك العزيز إلى الملك الظاهر جقمق قدم الأمير ألطنبغا المذكور إلى القاهرة هو والأمير أينال الششمانى الناصرى أتابك دمشق، فأكرمهما الملك الظاهر وأنعم عليهما، وعادا إلى محل إقامتهما، فلم تطل إقامة الأمير ألطنبغا الشريفى بدمشق بعد ذلك. ومات فى سنين نيف وأربعين وثمانمائة، وهو فى عشر الستين تخمينًا. وكان تركى الجنس، للقصر أقرب، ذا لحية مليحة، مع سكون وعقل تام وسلامة باطن، وكان مشهورًا بالشجاعة. انظر المنهل الصافى ٣/ ٨٢، وما بعدها.

(٢) أتمكجى تعنى الخباز. انظر الضوء اللامع ٣/٢٨٦.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٩٧، ٩٨.

فيه نودى من أراد السفر فى رجب إلى الحجاز فليتجهز على المسير فى نصفه، فسر الناس، وجدوا فى أمر سفرهم.

وفى عاشره: برز الأمير شهاب الدين أحمد ابن الأمير أينال أحد خواص السلطان، ليتوجه - وصحبته أربعين مملوكًا - لقتال بلى من عرب الحجاز.

وفى خامس عشره: استقر الأمير مازى - أحد الأمراء الألوف بدمشق - فى نيابة الكرك، عوضًا عن أقبغا التركمانى، وقد قبض عليه وسجن بقلعة الكرك[١].

وفيه استقر محمد الصغير والى قوص فى كشف الوجه القبلى، عوضًا عن أركماس الجاموس، وجهز له التشريف.

وفى عشرينه: خلع على الأمير أسنبغا الطيارى، واستقر فى نيابة الإسكندرية، عوضًا عن يلبغا البهائى بعد وفاته، وأقر إقطاعه بيده.

ومضى فى هذا الشهر عدة أيام من هتور - أحد شهور القبط -: والنيل ثابت على تسعة عشر ذراعًا، وهذا من النوادر.

وفى خامس عشرينه: رسم بالإفراج عن الأمير قراجا الأشرفى برسباى، وحضروه ليستقر أميرًا كبيرًا بحلب.

شهر جمادى الآخرة، أوله يوم الأحد:

فى خامسه: اتفقت بالقاهرة حادثة شنيعة، وهى أن بعض التجار تردد إليه قبانى لوزن بضائعه مرارا وسافر معه إلى الحجاز، فعرف بكثرة ملازمته له كثيرا من ماله، وداخله الطمع، بحيث عزم على أنه يقتله ويأخذ ماله. ثم جاء إليه فى الليل ومعه سكين ماضية قد أعدها لقتله، وأخفاها بين ثيابه، وقال. «قد وقع بينى وبين زوجتى مخاصمة، وجئت لأبيت عندكم». فأقام يحادث عبيده طائفة من الليل، وكان قد ورد إلى التاجر رجل مغربى من أصحابه وبات عنده، فلما ناموا، وهو يراقبهم حتى جن الليل، دخل على التاجر وذبحه، فانتبه من نومه، وقد مضت السكين على حلقه، ولم تفرى وديجيه، ودافعه عن نفسه، ومر لينجو وهو يصيح، فخرج البائس وذبح المغربى وهو نائم فقتله، ومال على عبد صغير فذبحه أيضًا، فثار به، وهذا البائس يضربه بالسكين مرارا حتى مات، هذا وقد قام التاجر ودماؤه تشخب حتى صعد سطح الدار، وصاح بالجيران يغيثوه، فخرج إليه منهم طائفة، وإذا هم بهذا البائس قد خرج من بيت التاجر لينجو

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ٩٨/١٥.

بنفسه، فقبضوا عليه، وأخذوا منه السكين، فقال إن «عبد التاجر قام وذبح أستاذه وأراد ذبحي فدافعته عني وقتلته»، فرابهم أمره لكثرة ما رأوه عليه من دماء، ودخلوا به إلى بيت التاجر، فرأوا المغربي والعبد مذبوحين، والتاجر قد قطع خده وبعض رقبته، وكانوا قد بعثوا فى طلب والى القاهرة، فأدركهم سريعًا، ورأى ما هنالك، وأعلمه التاجر بما جرى عليه من القبانى، فتسلمه وأوثقه بالحديد، وطلع به بكرة إلى السلطان، فبعث على أنه إنما قتل العبد دفعًا عن نفسه، وأن العبد هو الذى قتل المغربى، وفعل بالتاجر ما فعل «وأنى صرخت فى العبد لما انحط على، فأخطأت يده حلقى، وقام عنى، فثرت به عند ذلك»، فأمر السلطان أن ينظر القضاة فى أمره، فحكم بعضهم نواب الحنفية بقتله، لأنه اعترف أنه قتل عبد التاجر ومذهبهم أن الحر يقتل بالعبد.

فسمره عند ذلك الوالى، وشهره على جمل، ثم وسطه، وقد اجتمع لرؤيته عالم لا يحصيهم إلا الذى خلقهم، فأكدت هذه الحادثة قول الأول «وإذا كان الغدر فى الناس طباعًا فالثقة بكل أحد عجز»، وكان هذا القبانى شابًا عمره نحو العشرين سنة، وهو نحيف الجسم، وهو وأبوه وأمه وزوجته معروفون، فتكشف عن جرأة عظيمة، وتهور زائد، نعوذ بالله من سوء عاقبة القضاء.

وفى هذا اليوم: قدم رسول القان معين شاه رخ ملك المشرق.

وفى ثانيه: قدم الأمير قراجا فخلع عليه، واستقر أميرا كبيرا بحلب وسار إليها فى ثانى عشره.

وفيه أحضر رسول القان وقت الخدمة السلطانية بالقصر، فقدم كتابه، فإذا فيه أنه بلغه موت الأشرف وجلوس السلطان على تخت الملك، فأراد أن يتحقق علم ذلك فأكرم وأنزل، ورسم بكتابة جوابه.

وفى هذا الشهر - والذى قبله -: ارتفعت أسعار كثير من المأكولات، وقل وجود الأجبان والألبان والسمن واللحم، وعاشت الدودة فى الزروع فأكلتها، وأعيد البذر مرة، وفى بعض النواحى أكلت الدودة ما زرع ثانيًا، فزرع ثالث مرة، وغلا أيضًا سعر التبن والفول والشعير، ثم انحل فى هذا الشهر سعر الغلال.

وفى هذا الشهر: كان بين أصبهان بن قرا يوسف التركمانى متملك بغداد وبين عليان أمير عرب العراق قتال انهزم فيه أصبهان أقبح هزيمة، ولحق ببغداد وقد خرجت بأجمها، ولم يبق بها من أهلها إلا من لا يؤبه له، وهم قليل جدا. وتعطلت منها الأسواق جملة، وجف معظم نخلها وانقطعت مياه أنهارها، وصارت دون أقل القرى، بعد أن

أربت فى العمارة على جميع مدائن الدنيا، حقًا على الله ما رفع شيئًا من هـذه الدنيـا إلا وضعه.

شهر رجب، وأوله يوم الثلاثاء:

فيه خرج ثقل الأمير قانبك المحمدى أمـير الرجبيـة ومقـدم المجردين إلى مكـة، وأنـاخ ببركة الحجاج، وتلاحق به المسافرين طائفة بعد طائفة، ثم استقلوا بالمسير من البركة فى خامسه.

وفى يوم الإثنين رابع عشره: أدير محمل الحاج بالقاهرة ومصر على العـادة فـى كـل سنة، وزاد السلطان فى عدة الصبيان الذين يلعبون بـالرمح عمـا كـانوا عليـه فـى الأيـام الأشرفية، وأنفق فى الفرسان الذين ركبوا فى هذا اليوم قدام المحمل مالا، ولم تجر بذلـك عادة، وكان الحال فى هـذا اليـوم، وفـى ليلتـه الماضيـة جميـلا، ولم يقـع فيـه شـىء مـن الشناعات التى كانت تقع فى الأيام الأشرفية، من فساد المماليك، ولله الحمد.

وفيه استقر فى نيابة غزة الأمير طوخ المؤيدى أحد أمراء الألوف بدمشق.

وفى عشرينه: قدم الأمير دولات باى الدوادار من دمشـق، وقـد كـثرت أموالـه مما حصل له فى هذه السفرة، فاستقر على ما هو عليه من الدوادارية.

وفى حادى عشرينه: قدم ابن أينال[1] من التجريدة إلى عـرب بلـى بالحجـاز، ومعـه أحد عشر رجلا، سمروا على الجمال، ثم طيف بهم القاهرة، ووسطوا، وكـان مـن خـبر ابن أينال معهم أنه لما سار من القاهرة لقيه الشريف عقيل المعزول عـن إمـرة ينبـع، وقـد كتب له بمساعدة المجردين على قتـال بلـى، فبعـث أخـاه ليـأتى بأكـابرهم إليـه، وكتـب يرغبهم فى طاعة السلطان، فلم يطمئنوا إليه، فسار هو وابن أينال بمن معهم من المماليك والعرب، حتى طرقوا بلى، وقبضوا منهم على الجماعة المذكورين، وفـر بـاقيهم، فنهبـوا من بيوت بلى ما قدروا عليه، وخرجوا من أوديتهم، ومضى من المماليك ثلاثون فارسًـا

---

(١) الملك المؤيد (٨٢٧-٨٩٣هـ=١٤٢٤-١٤٨٨م). أحمد (المؤيد) بن أينال (الأشرف) العلائـى الظاهرى، أبو الفتح، شهاب الدين: من ملوك دولة الجراكسة فى مصر والشام والحجاز. كان أتابكى أبيه وبويع بالسلطنة فى القاهرة لما أشرف أبوه على الموت، وألبس شعار الملك وهو العمامـة السـوداء والجبة السوداء بالطراز المذهب، والسيف البدوى، وكان محببا للناس، قليل الأذى ثـار عليـه المـماليك فخلعوه، ومدة سلطنته أربعة أشهر وثلاثة أيام وأرسله الظاهر خشقدم إلى سجن الإسكندرية، فأقام به مدة، وأطلق وأسكن بالإسكندرية، مرعى الكرامة إلى أن توفى ونقلـت جثتـه إلى القـاهرة. انظـر ابـن إياس ٢٨٤،٦٥٢ وحوادث الدهور: حوادث٨٦٥ وصفات لم تنتشر ٨٦ والأعلام ١٠٢/١.

إلى المدينة النبوية، بدلا من المماليك المجردة إليها صحبة الأمير خشقدم المقدم، وقدم من المماليك المتوجهة صحبة الأمير سودون المحمدى إلى مكة خمسون فارسًا، وعادوا إلى القاهرة.

وفى هذا الشهر – والذى قبله – : قل وجود اللحم بأسواق القاهرة، وارتفع سعر أكثر المأكولات، وتوالى هبوب الرياح المريسية أيامًا كثيرة، خيف على الزرع منها أن يجف ليبسها، وعدم وقوع المطر، هذا مع إتلاف الدودة كثيرا مما زرع.

وفيه أيضًا غرق فى البحر ما بين طرابلس الشام من دمياط بضعة عشر مركبًا موسوقة دبسًا وزبيبًا وغير ذلك، فارتفع سعر الدبس من سبعة دراهم الرطل إلى عشرة، وغرق أيضًا فيما بين جدة[1] والسويس[2] عدة مراكب، هلك فيها خلق من الحجاج، وتلف بها من الدقيق وغيره شىء كثير، و لله الأمر من قبل ومن بعد.

شهر شعبان، أوله يوم الأربعاء:

فى يوم الجمعة عاشره: تعذر وجود الخبز بأسواق القاهرة ومصر، وتمادى على ذلك من الغد وبعده.

وفى حادى عشره: خلع على بهاء الدين محمد بن نجم الدين عمر بن حجى، وكان قدم إلى القاهرة واستقر فى نظر الجيش بدمشق، عوضًا عن سراج الدين عمر بن أحمد ابن السفاح الحلبى، ورسم لابن السفاح بنظر الجيش بحلب على ما كان عليه فى الأيام الأشرفية، عوضًا عن صلاح الدين بن سابق.

وفيه خلع أيضًا على جمال الدين يوسف بن أحمد الباعونى[3] واستقر فى قضاء

(١) سبق ترجمتها.

(٢) سويس: بليدة على ساحل بحر القلزم (الأحمر حاليا) من نواحى مصر، وهو ميناء أهل مصر اليوم إلى مكة والمدينة. انظر معجم البلدان ٣٨٦/٣.

(٣) يوسف بن أحمد الباعونى (٨٣٢هـ=١٤٢٩م) يوسف بن أحمد بن ناصر بن خليفة الباعونى المقدسى الشافعى، ثم الصالحى الدمشقى، أبو المحاسن، جمال الدين: فاضل. مولده بالقدس، ومنشأه ووفاته بدمشق تعلم بها وبالقاهرة. وولى كتابة السر بصفد ثم القضاء بها. وتنقل فى القضاء بين طرابلس ودمشق وحلب، وحمدت سيرته. ولما عزل قال الشهاب المنصورى: «يقول منصب حكم الشرع: كيف حرى حتى يغير جمال الدين باعونى؟» ومات منفصلا عن القضاء. كان فقيه النفس، سريع النظم مع حسنه ـ كما يقول السخاوى ـ بدأ ينظم «المنهاج» للنووى، ولم يكمله، وشرع فى عمل «كتاب» على نمط «عنوان الشرف الوافى» بزيادة علم الهندسة، فكتب منه أوراقا وتركه. انظر نظم العقيان ١٧٨ والضوء اللامع ٢٩٨:١٠ وصفحات لم تنشر من بدائع الزهور ١٥٦ وحوادث الدهور، لابن تغرى بردى: انظر فهرسته. الأعلام ٨-٢١٥.

طرابلس، وكان ولى منذ أيام رجل من أهل دمشق يعرف بابن الزهرى وتوجه من القاهرة، فعزل بابن الباعونى قبل وصوله إلى طرابلس، وكلاهما تكلف مالا، ولا قوة إلا با لله.

وقدم الخبر بأن دوكات ميلان - يعنى صاحب ميلان - وهى طائفة من الفرنج، تجاوز مملكة البندقية، و لم يزالوا يحاربونهم، ولدوكات هذا مملكة متسعة، وله سطوة، ويوصف بعقل ومعرفة، وكان قد ملك جنوه مدة، ثم انتزعت منه فى سنة أربعين وثمانمائة، فلما كان فى هذه الأيام كتب إلى البابا بروميه يسأله ويرغب إليه فى أن يجتمع به فى محفل يجتمع فيه القسيسون والرهبان وأعيان الروم والفرنج؛ ليتفقوا جميعًا على أمر دينى يعقدوه، فأجابه إلى ذلك، فساروا جميعًا حتى توافوا على فرارة - وهى فى طرف مملكة دوكات ميلان بجوار مملكة فرنتين، وكان ذلك جمعًا عظيمًا بحيث ضاق بهم الفضاء، فساروا بأجمعهم ونزلوا أرض مدينة فرنتين، وذلك فى فصل الصيف وفصل الخريف، ثم افترقوا، وعاد كل منهم إلى وطنه، فبينما الدوك سائر إذ طرقه البنادقة على حين غفلة، فكانت بينهما وقعة عظيمة، قتل فيها ما شاء ا لله، وانهزم دوكات أقبح هزيمة، وقد فنى معظم عسكره ونهبت أمواله، و لله الحمد، فإنه يقال إن اجتماعه بالبابا كان بسبب محاربته للمسلمين، وأن يفوض إليه التصرف والحكم، فكفى ا لله أمره.

وفى ثالث عشره: خلع على القاضى علاء الدين على بن محمد بن سعد المعروف بابن خطيب الناصرية، وأعيد إلى قضاء حلب ، وكان قدم القاهرة وعزل ابن الجزرى.

وفى يوم الجمعة: استقر وجود الخبز بحوانيت الأسواق بعد ما كان تعذر وجوده خمسة عشر يومًا بعامة أسواق القاهرة ومصر والجيزة، وتكالب الناس على طلبَ الدقيق من الطواحين، وكثر ازدحامهم على أبوابها، وقل وجود الغلال، وارتفع سعرها، حتى بلغ سعر القمح ثلاثمائة درهم الأردب. وتجاوزت البطة من الدقيق مائة درهم، وقل مع ذلك وجود الشعير والفول والتبن، فقلق أرباب الدواب، وعزت المأكولات، لاسيما الألبان، فإنا لم نعهد فيما أدركناه من الغلوات أن اللبن قل كما قل فى هذه السنة، و لله عاقبة الأمور.

شهر رمضان، أهل بيوم الجمعة:

والقمح بثلاثمائة وثلاثين درهمًا الأردب، والبطة من الدقيق بمائة عشرة دراهم، والخيول مرتبطة على البراسيم، وقد بلغ الفدان البرسيم زيادة على ألفى درهم، وقل وجود اللحم من الضأن بالأسواق عدة أيام فى هذا الشهر، و لم يكد يوجد السمن ولا

عسل النحل، هذا مع علو النيل وطول مكثه، ومع ذلك فلم تنجب عدة أنواع من الزروع، كاللفت، والفجل، والكزبرة، ونحو ذلك.

وفى حادى عشره: رسم بعزل معين الدين عبد اللطيف(١) بن شرف الدين أبى بكر الأشقر من كتابة السر بحلب، وأضيفت لابن السفاح مع نظر الجيش، على مبلغ ستة آلاف دينار يقوم بحملها.

وفى ثامن عشره: رسم لوالى القاهرة أن يستخدم مائة ماش يسعون فى ركابه، وبين يديه إذا ركب، ونودى بألا يخرج أحد من المماليك السلطانية بالليل، وكانت الإشاعة بين الناس قد قويت باختلاف أهل الدولة.

وقدم الخبر بأن الأمير جلبان نائب الشام ركب فى الموكب يوم السبت تاسعه على العادة، فوقفت العامة له تستغيث من غلاء اللحم، فإنه بلغ الرطل سبعة دراهم بعد ثلاثة دراهم، فلم يلتفت لهم، بل أمر مماليكه بضربهم، وكان جمع العامة كثيرا فما هو إلا أن ضرب بعضهم إذا هم قد رجموا النائب ومن معه رجمًا متتابعًا، فانهزم منهم من باب الجابية(٢) وقد ركبوا قفاه، وأقفية أصحابه، حتى عبروا من باب النصر إلى دار السعادة، وأغلق أبوابها، فتسوروا الحيطان، وعبثوا بطبلخاناته يدقوها، وجمعوا الأحطاب والقوها

---

(١) عبد اللطيف بن أبى بكر بن سليمان (٨١٢ - ٨٦٣ هـ = ١٤٠٩ - ١٤٥٨ م) القاضى معين الدين بن القاضى شرف الدين الحلبى الأصل، المصرى المولد والمنشأ، الشافعى، نائب كاتب السر بالديار المصرية، وكاتب سر حلب، وابن كاتب سرها، المعروف بابن العجمى، وبابن شرف الدين الأشقر. مولدها بالقاهرة فى سنة اثنتى عشرة وثمانمائة تخمينا، ونشأ بها تحت كنف والده، وحفظ القرآن العزيز، وصلى بالناس فى سنة أربع وعشرين، وحفظ عدة مختصرات، وتفقه على الشيخ شرف الدين السبكى، وقرأ المعقول على شيخنا العلامة تقى الدين الشمنى، وعلى الشيخ شمس الدين الرومى، وكتب الخط المنسوب، وشارك فى الفقه والعربية، وتدرب بوالده وغيره، وكتب فى التوقيع بديوان الإنشاء بالديار المصرية، وخدم عند الأمير تمراز القرمشى رأس نوبة النوب، ثم ولى كتابة سر حلب بعد عزل والده فى أواخر الدولة الأشرفية برسباى، فباشر كتابة سر حلب على أحسن وجه، وحظى عند نائبها الأمير تغرى برمش بن أحمد، واستمر إلى أن توفى الملك الأشرف، وخرج تغرى برمش المذكور عن طاعة الملك الظاهر جقمق فعرف المكور كيف سار فى تلك الأيام حتى طلب إلى الديار المصرية وعزل عن كتابة سر حلب وعاد إلى توقيع الدست بالقاهرة، واستمر على ذلك إلى أن توفى والده القاضى شرف الدين الأشقر فى شهر رمضان سنة أربع وأربعين وثمانمائة وأخلع عليه واستقر عوضه فى نيابة كتابة السر بالديار المصرية. انظر المنهل الصافى ٣٥٢/٧، ٣٥٣. والدليل الشافى ٤٢٦/١، النجوم الزاهرة ٢٠٦/١٦، الضوء اللامع ٣٢٥/٤.

(٢) الجابية: هى قرية من أعمال دمشق ثم من عمل الجيدور من ناحية الجولان قرب مدرج الصفر فى شمالى حوران. انظر معجم البلدان ٩١/٢.

ليضرموا النار فيها، فأدركه الأمراء والقضاة، وكتبوا محضرا بصورة الحال، وبعثوا بـه إلى السلطان، وتلطفوا بالعامة حتى تفرقوا، فورد المحضر فى يوم الجمعة ثانى عشرينه، فاشتد غضب السلطان على عامة دمشق، وجمع فـى يـوم الأحـد رابع عشرينه أمـراء الدولـة، واستدعى بالقضاة الأربع فحضر قاضى القضاة سعد الدين سعد الديرى الحنفى، وقاضى القضاة بدر الدين محمد التنسى المـالكى، وتـأخر حضـور قـاضى القضـاة شيخ الإسـلام شهاب الدين أبى الفضل أحمد بن حجـر الشـافعى، وقـاضى القضـاة محب الديـن أحمـد الحنبلى، حتى حنق السلطان، وأمر فقرئ المحضر الوارد من دمشـق، وأخـذ يعـدد لعامـة دمشق ذنوبًا، منها قيامهم مع أينال الجكمى مدة عصيانه، ونهبهم بيوت الأمراء، وقتلهم جلبان شيخ كرك نوح، وصمم على وضع السيف فيهم، واستلحامهم[1] عـن آخرهـم، فكثرت مراجعة الأمراء فى طلب العفو عنهم، والتأنى بهم، إلى أن تقـررت الحـال علـى أن يجهز للنائب تشريف وفرس بقماش ذهب، وتقوى يـده، وأن يكتـب بالإنكـار علـى العامة وتهديدهم، وبينما هم فى ذلك إذ استؤذن على القاضيين أحمد بـن حجـر ومحب الدين البغدادى، فلم يؤذن لهما، وأظهر السلطان الغضب لبطئهما، وانفض الجمع.

وفيه رسم بعزل الونائى، واستقرار ابن قاضى شهبة فى قضاء دمشق عوضـه، ورسـم بحضور الأمير أينال الششمانى والأمير ألطنبغا الشريفى، وجهـزت المراسـيم بذلـك، وأن يقرأ كتاب العامة فى يوم الجمعة بجامع بنى أمية.

وفى هذا الشهر: ختمت قـراءة صحيـح البخـارى بـالقصر مـن قلعـة الجبـل بحضـرة السلطان، وخلع على قضاة القضـاة الأربـع، ومشـايخ العلـم الحـاضرين، وفرقـت صـرر الدراهم فى جميع من حضر، وزادت عدتهم فـى هـذه السنة عـن عـدة الحـاضرين عـن السنين الماضية زيادة كبيرة.

وفى ثامن عشرينه: خلع على الأمير علاء الدين على بـن محمـد بـن الطبـلاوى والى القاهرة ـ كان ـ واستقر نقيب الجيش، بعد موت ناصر الدين محمد أمير طبر.

وفيه ورد كتاب الأمير ناصر الدين محمد بن منجك من دمشق، يخبر بـورود كتـاب القاضى زين الدين عبد الباسط إليه من مكة يشكو من ثقل الإقامة عليه بمكـة، وأنهـا لم توافقه ولا أهله، وأنه يرغب فى النقلة من مكة إلى القدس، فمازال القاضى كمال الدين محمد بن البارزى يتلطف بالسلطان حتى سمح بذلك، فكتب لابن منجك بأنـه إذا توجـه للحج فى الموسم ينقله بأهله وولده ومملوكه الأمير جانبك إلى القـدس، علـى أنـه يكـون

---

(١) يقال: لحم رجلا من العدو: قتله. انظر لسان العرب (لحم).

فى ضمانه، وكتب إلى الشريف بركات أمير مكة بذلك، وجهزت الكتب إلى ابن منجك.

وفى هذا الشهر - والذى قبله: - وقع بالطائف[١] ووج[٢] ولية[٣] وعامة بلاد الحجاز، وباء عظيم، هلك من ثقيف وغيرهم من العرب عالم لا يحصيهم إلا خالقهم، بحيث صارت أنعامهم هملا، وأخذها من ظفر بها. وامتد الوباء إلى نخلة على يوم من مكة.

شهر شوال، أوله السبت:

فى هذا الشهر: انحل سعر الغلة، وكثر وجودها، وأبيع القمح من مائتى درهم إلى مائتين وخمسين درهمًا الأردب.

فى هذا الشهر: انحلت أسعار الغلال، ودخلت الغلة الجديدة، ثم بعد أيام تحرك سعر الغلال وارتفع ثم اتضع.

وفى يوم الخميس رابعه: عقد السلطان على الخاتون بنت الأمير ناصر الدين محمد بيك بن دلغادر، بعد أن حمل لها المهر ألف دينار وشقق حرير وغير ذلك، وكانت تحت الأمير جانبك الصوفى، وأتت منه بابنة لها من العمر نحو الثلاث سنين.

وفيه خلع على الشيخ على بن العجمى - أحد خواص السلطان - كاملية بفرو سمور، واستقر فى حسبة مصر، فسار فيها سيرة حسنة، بعفة ونهضة.

وفيه نودى بعرض أجناد الحلقة، فابتدئ بعرضهم على السلطان فى يوم السبت سادسه، فامتحنهم فى رمى النشاب، وأكد عليهم فى تعليمه، ولم يبد هم منه إلا الجميل، ثم فوض عرضهم إلى الأمير تغرى بردى الدودار.

واتفق فى هذا الشهر حادث شنيع، وهو أن السلطان يريد أن تكون تصرفاته على مقتضى أهل العلم، وهو يعلم أن القان معين الدين شاه رخ ملك المشرق كان يبعث بالإنكار على الأشرف برسباى لأخذه بجدة ساحل مكة من التجار الواردين إليها من

---

(١) الطائف: مخلاف من مخاليف مكة على مرحلتين من مكة، وقيل بينهما ستون ميلاً، وهى إحدى القريتين المذكورتين فى القرآن، وكان اسم الطائف وج، سميت بوج بن عبد الحى من العمالقة، ثم سكنتها ثقيف، فبنوا عليها حائطًا مطيفًا بها فسموه الطائف. انظر معجم البلدان ٩/٤ وما بعدها، والروض المعطار ٣٧٩، ٣٨٠، ونزهة المشتاق ٥١، وفى صبح الأعشى ٢٥٨/٤.

(٢) وج: موضع عند الطائف، وقيل هو الطائف ذاتها. انظر معجم البلدان ١٠/٤.

(٣) لية: موضع من نواحى الطائف. انظر معجم البلدان.

الهند والصين، وهو من عشور أموالهم. وأن ذلك من المكس المحرم أخذه، فنمق بعض الفقهاء سؤالا يتضمن أن التجار المذكورين كانوا يردون إلى عدن من بلاد اليمن فيظلمون بأخذ أكثر أموالهم، وأنهم رغبوا فى القدوم إلى جدة ليحتموا بالسلطان، وسألوا أن يدفعوا عشر أموالهم، فهل يجوز ذلك منهم فإن السلطان يحتاج إلى صرف مال كبير فى عسكر يبعثه إلى مكة، فكتب قضاة القضاة الأربع بجواز أخذه وصرفه فى المصالح، وتمحلوا لذلك ما قووا به فتواهم.

فانطلقت الألسنة بالوقيعة فى القضاة، وأنهم اعتادوا اتباع أهواء الملوك، خوفًا على مناصبهم أن يعزلوا منها، وأن هذه الفتوى بهذه الحادثة من جنس ما تقدم من الفتاوى فى قرقماس يخشى بك وإيمان المماليك وأى فرق بين ما يؤخذ بقطيًا من التجار الواردين من بلاد الشام والعراق، وما يؤخذ بالإسكندرية من التجار، وما يؤخذ بالقاهرة ومصر ودمشق وسائر بلاد الشام من الناس عند بيعهم العبيد والإماء والخيل والبغال والحمير والجمال وغير ذلك، وبين ما يؤخذ من أموال التجار الواردين إلى جدة فإن كل أحد يعلم أن ذلك كله مكس لا يحل تناوله ولا الأكل منه، وأن الآكل منه فاسق، لا تقبل شهادته لسقوط عدالته، ولكن الهوى يعمى ويصم، وما كفتهم وما أغنتهم هذه الحالة حتى بعثوا بالفتاوى، فقرئت بالمسجد الحرام على رءوس الأشهاد، ليقضى الله أمرا كان مفعولا.

وفى يوم الخميس عاشره: كتب باستقرار برهان الدين إبراهيم بن الباعونى فى خطابة الجامع الأموى بدمشق، عوضًا عن ابن قاضى شهبة.

وفى سادس عشره: قدمت رسل ملك الروم خوند كار مراد بن محمد كرشجىُ بن بايزيد بن عثمان.

وفى ثامن عشره: قدم الأمير أينال الششمانى، والأمير ألطنبغا الشريفى من دمشق.

وفيه خلع على ناصر الدين محمد بيك بن دلغادر خلعة السفر، وسافر يوم الإثنين ثانى عشرينه، بعد أن بلغت النفقة عليه ثلاثين ألف دينار.

وفيه حضرت رسل مراد بن عثمان وقت الخدمة بالقصر، وقدموا هديته، وهى عشرة مماليك، وثياب حرير، وفرو سمور، وغير ذلك مما تبلغ قيمته نحو خمسة آلاف دينار، وتضمن كتبه السلام، وتهنئة السلطان بجلوسه على تخت الملك، وإن تأخر إرساله بالتهنئة لاشتغاله بمحاربة بنى الأصفر حتى ظفره الله بهم.

وفيه رسم بفك قيد الأمير أينال، ونقله من سجنه بصفد إلى موضع أوسع منه، وأن يتوجه إليه من جواريه من تخدمه.

شهر ذى الحجة الحرام، أوله يوم الثلاثاء:

فيه خلع على نور الدين على بن أقبرس، أحد نواب الشافعية، واستقر فى نظر الأوقاف، عوضًا عن تقى الدين بن تاج الدين عبد الوهاب بن نصر الله، وهذا الرجل نشأ بالقاهرة فى سوق العنبرانيين[1] وطلب العلم، وناب فى الحكم عن الحافظ قاضى القضاة شهاب الدين أبى الفضل أحمد بن حجر، وصحب السلطان منذ سنين، وصار ممن يتردد إلى مجلسه أيام سلطنته، فداخل الناس منه وهم كبير، ولم يبد منه إلا خيرًا.

وفى يوم الأربعاء سادس عشره: نودى بمنع المعاملة بالدراهم الأشرفية، وأن تكون المعاملة بالدراهم الظاهرية الجدد، وهدد من خالف ذلك، فاضطرب الناس لتوقف أحوالهم فى المبيعات، فنودى آخر النهار بأن الفضة الأشرفية تدفع إلى الصيارف بسعرها، وهو كل درهم بعشرين درهمًا من الفلوس، وأن تكون المعاملة بالظاهرية الجدد، وهى دراهم ضربت باسم السلطان، على أن يكون وزن كل درهم فضة بأربعة وعشرين درهمًا من الفلوس، وجعلت عددًا لا وزنًا، فمنها ما هو نصف درهم عن اثنا عشر درهمًا ومنها ما هو ربع درهم فيصرف بستة دراهم، على أن كل دينار من الدنانير الأشرفية - التى هى الآن النقد الرائج - بمائتين وخمسة وثمانين درهمًا من الفلوس وكانت الصيارف قد جمعت، ودفع إليها من الدراهم الظاهرية المذكورة جملة ليفرقوها فى الناس، فجلسوا لذلك، وصاروا يأخذون الأشرفية على عادتها بعشرين درهمًا، كل درهم وزنًا، ويعوضون عنها من الظاهرية الجدد كل درهم بأربعة وعشرين، لكنها بالعدد لا بالوزن.

ثم يدخلون بالأشرفية إلى دار الضرب ويعيدونها ظاهرية، هذا والناس مع ذلك يتعاملون فى بيعهم وشرائهم وقيم أعمالهم بالأشرفية على عادتهم وزنًا، فصار للناس بالقاهرة ستة نقود، ثلاثة من الذهب، واثنان من الفضة، وواحد من الفلوس، فأما الذهب فإنه هرجة، وهو قليل جدا، وأفرنتى من ضرب الفرنج، وقد قل عما كان عليه منذ أخذ الأشرف برسباى فى ضرب الأشرفية وسبك الأفرنتية وإعادتها أشرفية، والنقد الثالث من الذهب الدنانير الأشرفية وهى النقد الرائج، وقد كثرت بأيدى الناس لاسيما منذ أنفق السلطان ذخائر الأشرف فى المماليك وغيرهم.

---

(١) يقع بين سوق الحرير وبين قيسارية العصفر، تجاه الخراطين. انظر المواعظ والاعتبار ١٠٢/٢.

وأما الفضة فإن الدراهم الأشرفية دائرة فى أيدى الناس على ما هى عليه وزنا لعشرين درهما كل درهم، والدراهم الظاهرية الجدد يتعامل بها عددا بحساب كل درهم بأربعة وعشرين درهما، وأما الفلوس الأشرفية والظاهرية، فإنها عددا لا وزنا، يعد فى كل درهم ثمانية فلوس، فيصرف الدرهم الأشرفى بمائة وستين فلسا، ويصرف الدرهم الظاهرى الجديد بمائة واثنين وتسعين فلسا، وإذا اعتبرت بالوزن كان كل رطل منها بستة وثلاثين درهما من الفلوس، ولا أعلم أنه وقع فى تعدد النقود المتعامل بها مثل ذلك، وإنما كان الناس قديما وحديثا نقدهم الرائج الذى تنسب إليه أثمان المبيعات وقيم الأعمال الذهب الهرجة المضروب بالسكة الإسلامية، ومع هذا الذهب الدراهم والفلوس، ثم كثرت الدراهم الكاملية والظاهرية بمصر والشام والحجاز فى الدولة التركية، حتى صارت هى النقد الرائج، وإليها ينسب سعر الدينار الهرجة وأثمان المبيعات كلها وقيم الأعمال بأسرها، والفلوس مع ذلك إنما هى لشراء المحقرات من المبيعات.

فلما أكثر الأمير محمود الأستادار ـ فى الأيام الظاهرية برقوق ـ من ضرب الفلوس، صارت الفلوس هى النقد الرائج دون الذهب والفضة، ونسب إليها سعر الدينار الذهب والدرهم الفضة، وجميع أثمان المبيعات بأسرها، وعامة قيم الأعمال إلى أن ضرب المؤيد شيخ الدراهم، صار للناس ثلاثة نقود وهى الذهب والفضة والفلوس.

وكان الذهب أربعة أقسام: هرجة وهو قليل جدا، وسالمى وهو قليل لا يوجد منه إلا فى النادر، وأفرنتى وهو كثير جدا قد طبق الأرض وكثر بعامة بلاد الله، والدينار الناصرى وهو أقل من الأفرنتى، والنقد الثانى الدراهم المؤيدية وتعامل الناس بها عددًا لا وزنا، والنقد الثالث الفلوس، ويتعامل بها وزنا كل رطل بستة دراهم، وربما زاد الرطل عن الستة دراهم، وهذه الفلوس هى النقد الرائج المنسوب إليه أثمان المبيعات وقيم الأعمال، وأراد المؤيد شيخ أن يجعل قيم الأعمال وأثمان المبيعات منسوبة إلى الدراهم المؤيدية، فعمل ذلك مدة يسيرة، ثم عادت الفلوس هى المنسوب إليها قيم الأعمال وثمن المبيعات فلما كانت الأيام الأشرفية برسباى، وضرب الدراهم الأشرفية عملها وزنا كل درهم بعشرين درهما من الفلوس، فبطلت الدراهم المؤيدية.

وضرب أيضا الدنانير الأشرفية، وجد فى إبطال الدنانير الأفرنتية، حتى قلت، وجدد أيضا ضرب الفلوس الأشرفية عددًا، ومات والنقود على هذا، فمازالت كذلك حتى جدد السلطان الآن هذه الدراهم الظاهرية الجدد، وقد تقدم فى هذا الكتاب تفصيل هذه الجملة فى أوقاتها.

وفى ثانى عشرينه: خلع على غرس الدين خليل بن أحمد بن على السخاوى ــ أحد خواص السلطان ـ واستقر فى نظر القدس والخليل عوضا عن الأمير طوغان نائب القدس، وهذا الرجل قدمت به وبأخيه أمهما إلى القدس صبيان، فنشأ بها، ثم قدم القاهرة واستوطنها مدة وعانى المتجر وتعرف بالأمير جقمق وصحبه سنين، وتحدث فى إقطاعه وما يليه من نظر الأوقاف، فعرض بالنهضة، وشهر بالخير والديانة، فلما تسلطن الأمير جقمق لازم حضور مجلسه حتى ولاه نظر القدس والخليل.

وفى هذا اليوم: توجه الأمير علاء الدين على بن أينال[١] ـ أحد خواص السلطان ــ إلى ملك الروم مراد بن عثمان بهدية جليلة.

وفيه قدم مبشرو الحاج، وأخبروا بسلامة الحجاج، وأن كراء الجمال بلغ الغاية لكثرة من بمكة من المجاورين، بحيث بلغ كراء الجمل أربعين دينارا. وأن الشريف بركات بن حسن بن عجلان أعفى من تقبيل خف جمل المحمل، فشكر هذا من فعل السلطان، وأن الفتاوى الذى تقدم ذكرها بسبب أخذ العشور من التجار بجدة قرئت بالمسجد الحرام على رءوس الأشهاد، وقرئ المرسوم السلطانى أيضا بألا يؤخذ من التجار الواردين فى البحر إلى جدة سوى العشر فقط، ويؤخذ صنفا لا مالا من كل عشرة واحد، وأن يبطل ما كان يؤخذ سوى العشر من رسوم المباشرين ونحوهم، فكان هذا من جميل ما فعل، ورسم أيضا بأن تمنع الباعة من المصريين الذين سكنوا مكة وجلسوا بالحوانيت فى المسعى وحكروا المعايش، وتلقوا الجلب من ذلك، وأن يخرجوا من مكة، فشكر ذلك أيضا، فإن هؤلاء الباغين كثر ضررهم، واستقووا بحماية المماليك لهم، فغلوا الأسعار وأحدثوا بمكة ما لم يعهد بها، وعجز الحكام عن منعهم لتقوية المماليك المجردين لهم بما يأخذونه منهم من المال.

وفى تاسع عشرينه: أفرج عن ابن أبى الفرج أستادار، وخلع عليه.

وفى هذا العام: جرت حروب بأفريقية من بلاد المغرب، وذلك أنه لما مات أبو فارس عبد العزيز، وقام من بعده حفيده المنتصر أبو عبد الله محمد بن أبى عبد الله ولى عمه أبا الحسن على بن أبى فارس بجاية وأعمالها، فلما مات المنتصر، وقام من بعده أخوه أبو عمرو عثمان بن أبى عبد الله، امتنع عمه أبو الحسن من مبايعته، ورأى أنه أحق منه، ووافقه فقيه بجاية منصور بن على بن عثمان ـ وله عصبة وقوة ـ فاستبد بأمر

---

(١) انظر ترجمته فى الضوء اللامع ١٩٥/٥.

بجاية وأعمالها، فسار أبو عمرو من تونس فى جمع كبير لقتاله، فالتقيا قريبا من تبسة[١] وتحاربا، فانهزم أبو الحسن إلى بجاية، ورجع أبو عمرو إلى تونس، ثم خرج أبو الحسن من بجاية، وضم إليه عبد الله بن صخر من شيوخ إفريقية، ونزل بقسطنطينة وحصرها وقاتل أهلها مدة، فسار إليه أبو عمرو من تونس فى جمع كبير، فلما قرب منه سار أبو الحسن عائدا إلى جهة بجاية، فتبعه أبو عمرو حتى لقيه وقاتله، فانهزم منه بعد ما قتل أبو الحسن عدة من أصحابه، وعاد كل منهما إلى بلده، فلما كان فى هذه السنة أعمل أبو عمرو الحيلة فى قتل عبد الله بن صخر حتى قتله، وحملت رأسه إليه بتونس، ففت ذلك فى عضد أبى الحسن، ثم جهز أبو عمرو العساكر من تونس فى إثر ذلك، فنازلت بجاية عدة أيام، حتى خرج الفقيه منصور بن على إلى قائد العسكر، وعقد معه الصلح ودخل به إلى بجاية، وعبر الجامع وقد اجتمع به الأعيان.

وجاء أبو الحسن ووافق على الصلح وأن تكون الخطبة لأبى عمرو، ويكون هو ببجاية فى طاعته، وترجع العساكر عن بجاية إلى تونس، فلما تم عقد الصلح أقيمت الخطبة باسم أبى عمرو، وعادت العساكر تريد تونس فبلغهم أن أبا عمرو خرج من تونس نحوهم لقتال أبى الحسن، فأقاموا حتى وافاهم، ووقف على ما كان من أمر الصلح، فرضى به، وأخذ فى العود إلى جهة تونس، فورد عليه الخبر بأن أبا الحسن خاف على نفسه من أهل بجاية، فخرج ليلا حتى نزل جبل عجيسة[٢] فأقر عساكره حيث ورد عليه الخبر، وسار جريدة فى ثقاته، ودخل مدينة بجاية، فسر أهلها بقدومه، وزينوا البلد، فرتب أحوالها واستخلف بها أصحابه، وعاد إلى معسكره، واستدعى شيوخ عجيسة فأتاه طائفة منهم فأرادهم على تسليم أبى الحسن إليه، وبذل لهم المال، فأبوا أن يسلموه، فتركهم وعاد إلى تونس فكثر جمع أبى الحسن بالجبل، وأقام به مدة، ثم خاف من عجيسة أن تغدر به، ولم يأمنهم على نفسه، فسار ونزل جبل عياض قريبًا من الصحراء، ولله عاقبة الأمور.

وفى هذا الشهر: قدم عسكر من مدينة طرابلس، فنازلوا قلعة الكهف ومدينتها ـ وبها إسماعيل بن العجمى أمير الإسماعيلية ـ مدة أيام، حتى أخذوها، وهدموا القلعة حتى سووا بها الأرض، وأنعم على إسماعيل المذكور بإمرة فى طرابلس، فزالت قلعة الكهف،

---

(١) تبسة: بلد مشهور من أرض إفريقية، بينه وبين قفصة ست مراحل فى قفر سبيبة وهو بلد قديم به آثار الملوك، وقد خرب الآن. انظر معجم البلدان ٢/١٣.

(٢) بنى عجيسة: هم بطن من البرانس من البربر، مساكنهم ببلاد المغرب. انظر نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب ص٣٢٥.

وكانت أحد الحصون الإسماعيلية المنيعة وذلك بسعاية ناصر الدين محمد، وحجى، وفرج، أولاد عز الدين الداعى.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

الأمير أقبغا التمرازى نائب الشام[١] وهو من مماليك الأمير تمراز أحد مماليك الظاهر برقوق، ترقى بعد موت أستاذه حتى صار من الأمراء، وولى نيابة الإسكندرية مدة، ثم عاد إلى القاهرة، حتى ولى نيابة الشام فلم تطل مدته بها حتى مات فى يوم السبت سادس عشر شهر ربيع الآخر من غير تقدم مرض، بل ركب ولعب بالكرة فى الميدان، ثم لعب بالرمح، وإذا به مال عن سرجه، فتلقوه ووضعوه فى بيت، ثم حملوه ـ وهو غائب ـ إلى دار السعادة فمات فى آخر النهار، وكان مشهورا بالفروسية، معروفا بالديانة، وقيام الليل، والعقل، والتؤدة.

ومات الأمير يلبغا البهائى نائب الإسكندرية، فى يوم الخميس ثالث عشر جمادى الأولى.

ومات الأمير طوخ مازى نائب غزة، وأحد المماليك الناصرية فرج، فى ليلة السبت خامس شهر رجب، ومستراح منه، فقد كان من شرار خلق الله، فسقا، وظلما، وطمعا[٢].

ومات الأمير قطج الناصرى[٣] فى يوم الإثنين ثامن عشر شهر رمضان، وهو أحد المماليك الناصرية فرج، ترقى فى الخدم حتى صار من الأمراء مقدمى الألوف ثم أخرج إلى الشام فتنقل فى إمريات بحلب ودمشق، ثم قدم القاهرة ووعد بإمرة، فلم تطل إقامته حتى مات، وترك مالا جزيلا، وكان من الشح المفرط والطمع الزائد فى غاية يستحى من ذكرها.

ومات الأمير ناصر الدين محمد أمير طبر ونقيب الجيش، ليلة الخميس ثامن عشرين رمضان، وكان مشكورا.

ومات قاضى حلب علاء الدين على بن محمد بن سعد بن محمد بن على بن

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢١٣/١٥ وما بعدها.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٢١٥/١٥.

(٣) هو سيف الدين قطج بن عبد الله بن تمراز الظاهرى.

عثمان[١] المعروف بابن خطيب الناصرية الحلبي الشافعي، في ليلة الثلاثاء تاسع ذي القعدة بحلب، ومولده سنة أربع وسبعين وسبعمائة، وكان بارعا في الفقه والأصول والعربية، مشاركا في الحديث والتاريخ، وغير ذلك مع الرياسة، وشهرة الذكر، وكثرة المال. قدم القاهرة غير مرة، وبلونا منه علما جما واستحضارًا كثيرًا ، مع الإتقان وحسن المحاضرة، ولم يخلف بعده بحلب مثله، وكتب تاريخا لحلب، ذيل به على تاريخ ابن العديم.

ومات جمال الدين محمد بن أحمد بن محمد بن محمود بن إبراهيم بن أحمد بن روزبة الكازروني[٢] الأصل، المدني المولد والمنشأ والوفاة، الشافعي، في يوم الأربعاء عاشر ذي القعدة، بالمدينة النبوية، ودفن بالبقيع، مولده في ليلة الجمعة سابع عشر ذي القعدة، سنة سبع وخمسين وسبعمائة بالمدينة. برع في الفقيه وغيره، وولي قضاء المدينة مدة يسيرة، ثم عزل، ولم يعد إلى ولايتها وقدم القاهرة مرارًا، وصحبني سنين، رحمه الله.

ومات مجد الدين ماجد بن النحال كاتب المماليك، في ليلة السبت سادس ذي الحجة، وكان من نصارى مصر، وتخرج في الحساب على الأسعد البحلاق، وخدم بديوان الأمير نوروز الحافظي بدمشق، ثم بديوان الأمير جقمق الدوادار في أيام المؤيد شيخ، وأظهر الإسلام، ثم ولي كتابة المماليك، ولا دين ولا دنيا.

ومات نائب الكرك الأمير أقبغا التركماني، وهو في السجن بالكرك.

ومات سودون المغربي متولي دمياط بالقاهرة بطالا، وقد أعيد من النفي في ذي الحجة، وكان عفيفا عن الفواحش.

* * *

---

(١) علي بن محمد بن سعد (٧٧-٨٤٣هـ =١٣٧٢-١٤٤٠م) علي بن محمد بن سعد بن محمد بن علي، أبو الحسن، علاء الدين الطائي الجبريني المعروف بابن خطيب الناصرية: مؤرخ، من القضاة. من أهل حلب مولدا ووفاة أصله من بيت جبرين الفستق بشرقي حلب. من كتبه «الدر المنتخب في تاريخ حلب» «وسيرة المؤيد» وتفسير الفاتحة وغير ذلك.

انظر الضوء اللامع ٣٠٣/٥، البدر الطالع ٤٧٦/١، أعلام النبلاء ٢٢٤/٥ كشف الظنون ٢٤٩/١ نهر الذهب ٩/١. الأعلام ٨/٥.

(٢) نسبة إلى كازَرُون وهي مدينة بفارس بين البحر وشيراز. انظر معجم البلدان ٤٢٩/٤

سنة أربع وأربعين وثمانمائة

أهلت هذه السنة، والخليفة المعتضد بالله أبو الفتح داود بن المتوكل، وسلطان الإسلام الملك الظاهر سيف الدين أبو سعيد جقمق، والأمير الكبير يشبك الظاهرى ططر، وأمير سلاح الأمير تمراز القرمشى، وأمير مجلس الأمير جرباش الكريمى قاشق، والمقام الناصرى محمد ابن السلطان أحد مقدمى الألوف، والدوادار الكبير الأمير تغرى بردى البكلمشى ويعرف بالمؤذى، وأمير أخور كبير الأمير قراجا الحسنى الناصرى، وحاجب الحجاب الأمير تنبك بن تنبك، ورأس نوبة الأمير تمرباى الظاهرى ططر، وبقية الأمراء المقدمين الأمير أينال العلاى الأجرود، والأمير شادى بك الظاهرى ططر، والأمير ألطنبغا المرقبى، والأمير أسنبغا الطيارى - وهو نائب الإسكندرية، ونائب الشام الأمير جلبان المؤيدى، ونائب حلب الأمير قانباى الحمزاوى ونائب طرابلس الأمير برسباى الناصرى، ونائب حماة الأمير برد بك العجمى، ونائب صفد الأمير قانبيه البهلوان، ونائب غزة الأمير طوخ المؤيد، ونائب القدس الأمير طوغان السيفى ألطنبغا العثمانى، ونائب الكرك الأمير مازى، ونائب الوجه القبلى من ديار مصر الأمير محمد الصغير، ونائب البحيرة الأمير قشتمر المؤيدى، وكاتب السر القاضى كمال الدين محمد بن البارزى، وناظر الجيش شيخ الشيوخ محب الدين محمد بن الأشقر، والوزير الصاحب كريم الدين ابن كاتب المناخ، وناظر الخاص الصاحب جمال الدين يوسف ابن كاتب جكم، وأستادار الأمير ناصر الدين محمد بن أبى الفرج، وقضاة القضاة على حالهم، والمحتسب الأمير تنم المؤيدى، والوالى الأمير قراجا البواب، والأسعار رخية بحمد الله.

شهر الله المحرم الحرام، أهل بيوم الخميس:

ففى يوم الخميس ثامنه: خلع على طوغان السيفى علان ويقال له رقز، أحد أمراء العشرات، ومن جملة أمراء أخورية، واستقر أستادار السلطان عوضا عن ابن أبى الفرج، وقبض على ابن أبى الفرج، وعوق بالقلعة إلى يوم الأحد حادى عشره، تسلمه الصاحب الوزير كريم الدين ابن كاتب المناخ، ونزل به إلى بيته.(١)

وفى يوم الإثنين ثانى عشره: خلع على سراج الدين عمر الحمصى(٢) وأعيد إلى

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٠١/١٥.

(٢) هو عمر بن الذين الحمصى ثم الدمشقى أحد فضلاء دمشق فى مذهبه ممن يستحضر الكثير من الروضة مع الدين والخير وتكسبه من أنوال حرير يدولبها . انظر اضوء اللامع ١٣٦/٦.

قضاء القضاة بدمشق، عوضا عن ابن قاضى شهبة. وكان قد قدم إلى القاهرة، وعنى به بعض أهل الدولة، حتى أعيد إلى وظيفة القضاء، وسار من القاهرة إلى محل ولايته بدمشق فى عشرينه.

وفى يوم الثلاثاء عشرينه: نودى على النيل بزيادة ثلاثة أصابع، وجاءت القاعدة وهى الماء القديم ست أذرع وأربع أصابع.

وفى يوم الأربعاء حادى عشرينه: قدم الأمير جرباش الكريمى قاشق من الحج، ومعه ابنته زوجة السلطان فى ركب من الحجاج، وحكيت عنه أمورا، منها أنه رسم على قاضى المدينة النبوية ليحضر لخوند ابنته خمسين صاعا من تمر، فبعد لأى أخذ منه ثلاثين صاع تمر وأشياء من هذا، مع المال الجم والشيخوخة. ثم قدم من الغد ركب ثان، وقدم محل الحاج بركب ثالث فى يوم الجمعة ثالث عشرينه، تتمة أربع ركوب، وقد مات جماعة كثيرة فى الطريق من حر بسموم محرق، وهلك معظم الجمال، بحيث مشى من لم يعتد بالمشى، ورمى الناس أمتعهم لعجزهم عن حملها، مع عسف أرماء الركب، فكانت رجعتهم مشقة لما نزل بهم من أنواع البلاء.

وفى يوم السبت رابع عشرينه: خلع على زين الدين يحيى الأشقر قريب بن أبى الفرج، واستقر فى نظر الديوان المفرد رفيقا للأمير طوغان قز، عوضا عن عبد العظيم بن صدقة وقد قبض عليه ونقل ابن أبى الفرج من تسليم الوزير، وسلم - هو وعبد العظيم للأمير طوغان قز الأستادار، فعاقب ابن أبى الفرج، وأفحش فى عقوبته من غير تجمل ولا احتشام.

وفى يوم الإثنين سادس عشرينه: قبض على بهاء الدين أبى البركات الهيتمى، أحد نواب قاضى القضاة الشافعى، وسجن فى البرج بالقلعة، بغير موجب يقتضى ذلك. ثم أفرج عنه.

وفى يوم الجمعة سلخه: أمر شيخ الإسلام قاضى القضاة شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على بن حجر الشافعى أن يلزم بيته، واستدعى برهان الدين إبراهيم بن شهاب الدين أحمد بن إبراهيم بن الشيخ شهاب الدين أحمد بن ميلق أحد نواب القاضى الشافعى حتى خطب بجامع القلعة، وصلى السلطان صلاة الجمعة.

ونقل ابن أبى الفرج من بيت الأمير طوغان قز أستادار إلى تسليم الصاحب برهان الدين إبراهيم ابن كاتب جكم ناظر الخاص، بعدما حمل عشرة آلاف دينار وتأخر عليه أربعة آلاف دينار، مما ألزم به، وأسلم عبد العظيم إلى الوزير الصاحب كريم الدين ابن كاتب المناخ، ليحمل ألفى دينار.

وفى هذه الأيام: وقع الاهتمام بتجهيز تجريدة فى البحر لغزو الفرنج.

وفيها قدم القاضى زين الدين عبد الباسط بأهله وعتيقه الأمير جانبك أستادار من مكة إلى بيت المقدس، ليقيم به حسب ما رسم له به، فنزل بمدرسته التى أنشأها على مسجد بيت المقدس، فسكن جأشه، لأنه كان كثير القلق وهو بمكة.

شهر صفر، أوله يوم السبت:

فى يوم الإثنين ثالثه: خلع على الحافظ قاضى القضاة شهاب الدين أبى الفضل أحمد ابن على بن حجر الشافعى واستمر على عادته، بعد أن عين شمس الدين محمد الونائى لولاية قضاء القضاة، فقام المقام الناصرى محمد ابن السلطان فى استقرار الحافظ شهاب الدين حتى استقر، ولله الحمد، فوالله ما يبلغ أحدهم فى العلم مده[1] ولا نصيفه، وكان سبب هذه الحادثة أن رجلا أسند وصيته بعد موته لامرأتيه، وأقام عليهما ناظرًا سماه فى وصيته. ومات الموصى، فأقام القاضى رجلا يتحدث مع الناظر، فاختلفا وترافعا إلى السلطان فأنكر السلطان إقامة الرجل المتحدث مع الناظر، وسجن أبا البركات الهيتمى من أجل أنه أثبت أهلية المذكور، وأذن له فى التحدث مع الناظر فى تركة الموصى. وأمر بالرجل المتحدث مع الناظر، فعمل فى الحديد، وسجن أيضا فكثرت الشناعة على ابن حجر بلا موجب، إلى أن فوض السلطان أمر تركة الموصى إلى من يثق به من أمرائه، فجمع الناظر على التركة والرجل الذى أقامه القاضى يتحدث معه وحسابهما، فلم يجد فى جهة المتحدث مع الناظر شيئا من التركة، وظهر أن تلك الشناعات كلها كذب. فلما تبين للسلطان حقيقة الأمر سكنت حدة غضبه، وأفرج عن الهيتمى وعن الرجل المتحدث مع الناظر، وأقر قاضى القضاة على عادته.

وفى يوم الأربعاء ثانى عشره: قدمت تقدمة القاضى زين الدين عبد الباسط من القدس، على يد دوادره أرغون أحد مماليكه، وهى فرسان، وعشرون جملا، وشاشات، وأزر، وصينى، وثياب حرير، وتخت[2] يمانى، وغير ذلك مما تبلغ قيمة الجميع نحو الألفى دينار، فقبل السلطان ذلك، وقرئ عليه كتابه، فشكره، وخلع على أرغون.

---

(١) المُدّ : مكيال قديم اختلف الفقهاء فى تقديره بالكيل المصرى، فقدره الشافعية بنصف قدح، وقدره المالكية بنحو ذلك، وهو رطل وثلث عند أهل الحجاز، وعند أهل العراق رطلان، والجمع أمداد، ومداد. وفى المنجد: ضرب من المكاييل سمى بذلك؛ لأنه يمد المكيل بالمكيل مثله . والمد يساوى ١٨ لترا إفرنجيا على التقريب . انظر المنجد ص / ٧٥.

(٢) التخت : جمع تخوت : وهو لفظ فارسى، وهو وعاء تصان فيه الثياب، ومكان مرتفع للجلوس أو للنوم، والمقصود هنا المقعد، السرير . انظر المعجم الوسيط ٨٦/١، لسان العرب ٤٢٢ المنجد ص ٥٩.

وفيه أفرج عن ابن أبى الفرج، فلزم داره.

وفى يوم الإثنين خامس عشرينه - وهو أول مسرى - : نودى على النيل بزيادة ثلاثين إصبعا، لتتمة أربع عشرة ذراعا وإصبعين، وهذا القدر من الزيادة ومبلغ الأذرع مما يستكثر فى أول مسرى و لله الحمد.

وفيه خلع على الأمير عيسى بن يوسف بن عمر الهوارى أمير هوارة بالصعيد، وقد رضى السلطان عن بنى عمر بن عبد العزيز - أمراء هوارة - ورسم بإحضار أخيه الأمير إسماعيل من سجنه بمدينة الكرك، ليستقر على عادته فى إمرة هوارة، على أن يحمل سبعين ألف دينار، يعجل منها أربعين ألف دينار.

وفى يوم الأربعاء سادس عشرينه: رضى السلطان على الأمير أيتمش الخضرى، وخلع عليه بشفاعة بعض الأمراء.

وفى يوم الخميس سابع عشرينه - ورابع مسرى - : نودى بوفاء النيل ست عشرة ذراعا وإصبعين، من سبع عشره، فركب المقام الناصرى محمد إلى المقياس حتى خلق العامود بين يديه على العادة، ثم فتح الخليج، وكان وفاء النيل فى رابع مسرى من النوادر التى يجب الحمد لله عليها.

شهر ربيع الأول، أوله يوم الأحد:

وفى هذا الشهر - والذى قبله -: كثرت الفواكه والبطيخ، بزيادة فى الطيب والخصب ورخص السعر، و لله الحمد.

وفى يوم الإثنين تاسعه: انحدر من ساحل بولاق - ظاهر القاهرة - خمسة عشر غرابا لغزو الفرنج، بأحسن هيئة، وأكمل عدة، وأتم زاد، وفيها من الأجناد والمطوعة جماعة. فعلى الأجناد - وعدتهم مائتان - تغرى برمش الزردكاش من أمراء العشرات، ويونس المحمدى أمير آخور من العشرات أيضا، وسبب هذه التجريدة كثرة عبث المتجرمة من الفرنج، وأخذها مراكب التجار بما فيها، فأنشأ السلطان هذه الأغربة وشحنها بما تحتاج إليه من العدد والأسلحة والمقاتلة، وسيرها، عسى الله أن يظفرهم، فانضم إليهم طوائف من أوغاد العامة، وأراذل المفسدين، ومن الزعر المجرمين، حتى بلغوا ألفا أو يزيدون. ولم ينفق فى المماليك مال.

وفى يوم الأربعاء حادى عشرينه: ضربت رقبة رجل من سقاط العجم وسفلتهم، وقد ثبت عليه - بشهادة جماعة - قوادح وعظائم أوجبت إراقة دمه شرعا، وكان من

جملة أشياع الأمير قرقماس المقتول، وتكلم فى السلطان وفى الأنبياء وغيرهم تعجل به العقوبة ﴿ومن ورائه عذاب غليظ﴾[١].

وفى يوم الخميس ثانى عشره: خلع على الأمير إسماعيل بن يوسف بن عمر بن عبد العزيز الهوارى، واستقر فى إمرة هوارة على عادته، وكان قد عزل بيوسف بن محمد بن إسماعيل بن مازن، وسجن وأشيع أنه يقتل، وخرجت العساكر إلى بلاد الصعيد لقتال هوارة، ثم نفى إلى الكرك[٢]، وسجن بها، فلم تطع هوارة ابن مازن، وجرت مفاسد ببلاد الصعيد آلت إلى فرار ابن مازن وعوده خائبا إلى السلطان، فقام عدة من الأمراء فى عود بنى عمر، حتى أجابهم السلطان بعد ما اختلت أحوال البلاد خللا فاحشا، و لله عاقبة الأمور.

وفى هذه الأيام: رسم بتتبع من فى القاهرة وظواهرها من العجم الذين يطوفون بالأسواق وفى الطرقات، يستجدون الناس تارة، ويظهرون الصلاح تارة، فقبض على عدة منهم، فضرب قوم نفى جماعة، وضرر هذه الطائفة كثير جدًا فإن كثيرًا منهم ينتحلون مذهب الإلحاد، ويصرحون بتعطيل الصانع تعالى[٣]، وينكرون شرائع الأنبياء، ويجهرون بإباحة المحرمات، فا لله يبيدهم، ويعجل بعقوبة من ينصرهم.

وفى يوم الأحد سادس عشره: عمل المولد النبوى بقلعة الجبل بين يدى السلطان على العادة فى مثل ذلك.

وفى خامس عشرينه: جهزت كاملية حرير بفرو سمور للقاضى زين الدين عبد الباسط، على يد مملوكه أرغون، وكتب بشكره على تقدمته.

وفيه تأخر المقر الكمالى محمد بن البارزى عن الركوب إلى الخدمة السلطانية، تبرمًا بثقل مقالبة الخدمة السلطانية، وطلبا للإعفاء من المباشرة، فأتاه عظماء الدولة يتلافوا خاطره، وهو مصمم على ترك المباشرة، فما زالوا به حتى ركب من الغد يوم الأربعاء سادس عشرينه إلى الخدمة، فخلع عليه، ونزل فى موكب جليل إلى داره، وأعيان الدولة وأماثلها بين يديه، فباشر الأمور، ونفذ أحوال الناس على عادته.

---

(١) سورة إبراهيم الآية ١٧.

(٢) سبق ترجمتها.

(٣) يقصد مذهب المعطلة التى تعطل صفات الله تعالى، فيقولون قائل بلا قول عالم بلا علم ... إلخ تعالى الله عما يصفون علوا كبيرا، فصفاته تحمل على ما زراد بلا تعطيل ولا تكيف ولا تحريف ولا تمثيل ولا تشبيه . انظر العقيدة الواسطية لابن تعجيمة، العقيدة التدمرية له، كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب.

وفى يوم الأحد سلخه - وهو آخر أيام النسيء [(١)] - : نودى على النيل بزيادة إصبع لتتمة عشرين ذراعا إلا إصبعا واحدًا، وهذا القدر من الزيادة فى مثل هذا الوقت من الشهور القبطية كثير جدًا، وهو مما يندر وقوعه، و لله الحمد.

وفيه كتب باستقرار صلاح الدين خليل بن محمد بن محمد بن محمد بن سابق الحموى فى كتابة السر بدمشق، عوضا عن شهاب الدين أحمد بن زين الدين عبد الرحمن العجلونى.

شهر ربيع الآخر، أوله يوم الثلاثاء:

فيه وقع الشروع فى الاهتمام بملاقاة رسل القان معين الدين شاه رخ بن تيمور كركان ملك المشرق.

وفى يوم الإثنين سابعه: خلع على قاضى القضاة بدر الدين محمود العينى الحنفى وأعيد إلى حسبة القاهرة، وكان منذ عزل عن قضاء القضاة الحنفية متوافرا على مباشرة نظر الأحباس.

وفى يوم الثلاثاء ثامنه: وردت تقدمة ثانية من زين الدين عبد الباسط من القدس، وهى ثمانية أفراس، ومائة درهم مينا فضة.

وفى يوم الخميس رابع عشرينه - وخامس عشرين توت [(٢)] - : انتهت زيادة النيل إلى أحد وعشرين إصبعا من أحد وعشرين ذراعا، فشمل الرى الأراضى وعم به النفع، و لله الحمد.

وفى يوم السبت سادس عشرينه: قدم رسل شاه رخ إلى القاهرة، وقد زينت الشوارع لقدومهم، وخرج المقام الناصرى ولد السلطان وعدة أمراء إلى لقائهم. واجتمع الناس لرؤيتهم، فكان يوما مشهودا، لم نعهد مثله لقدوم الرسل فى الدول المتقدمة، ثم أنزلوا فى دار أعدت لهم، ثم توجهوا من دارهم بخط بين القصرين إلى القلعة فى يوم الإثنين ثامن عشرينه، والمدينة مزينة بأحسن زينة، والشموع وغيرها تشعل، وقد اجتمع عالم عظيم لرؤيتهم، وأوقفت العساكر من تحت القلعة إلى باب القصر فى وقت الخدمة، فلما مثل الرسل بين يدى السلطان بالقصر، قرئ كتاب القان، فإذا هو يتضمن السلام والتهنئة بجلوس السلطان على تخت الملك وسرير السلطنة، ثم

---

(١) يقصد أيام الأشهر الحرم.

(٢) أحد الشهور القبطية.

قدمت الهدية، وهى مائة فص فيروزج، وإحدى وثمانون قطعة من الحرير، وعدة ثياب، وفرو، ومسك، وثلاثون بختيا من الجمال، وغير ذلك، مما تبلغ قيمته خمسة آلاف دينار، ثم قدمت هدية جوكى بن القان وكتابه وأعيد الرسل إلى منزلهم، وأجرى لهم من المأكل والحلوى والفاكهة والمال ما عمهم، ثم قلعت الزينة فى يوم الثلاثاء سلخه، وكان الناس قد تفننوا فى أمور بديعة، أبدوها من أعمالهم فى الزينة، ونصبوا قلاع وفى ظنهم أنها تتمادى أيام، فانقضى أمرها بخير[١].

شهر جمادى الأولى، أهل بيوم الأربعاء:

وماء النيل آخذ فى النقص، والناس قد شرعوا فى زراعة الأراضى.

وفى يوم الإثنين سادسه: نودى بمنع النساء من الخروج إلى الشوارع والأسواق إلا العجائز والجوارى، فامتنعن، ثم نودى لهن بالخروج إلى الأسواق والشوارع من غير تبرج بزينة.

وفى يوم الخميس تاسعه: خلع على شمس الدين أبى المنصور كاتب اللالا، وأعيد إلى نظر الإسطبل، عوضا عن ابن القلانسى.

وفى يوم الجمعة عاشره: ورد الخبر بنصرة الغزاة المجردين على الفرنج[٢].

وفى يوم الأحد ثانى عشره: جمع السلطان الرسل الواردين من القان بين يديه على وليمة عملها لهم، ثم خلع عليهم، ونزلوا فى تجمل زائد.

وفى يوم الإثنين عشرينه: خلع على القاضى بدر الدين أبى المحاسن محمد بن ناصر الدين محمد بن الشيخ شرف الدين عبد المنعم البغدادى، أحد نواب الحنابلة، واستقر قاضى القضاة الحنابلة، عوضا عن محب الدين أحمد بن نصر الله بعد موته[٣].

وفى يوم الثلاثاء حادى عشرينه: قدم الغزاة فى البحر، وكان من خبرهم أنهم انحدروا فى النيل من ساحل بولاق إلى دمياط، ثم ركبوا بحر الملح من دمياط وساروا إلى جزيرة قبرس فقام لهم متملكها بزوادتهم، ومروا إلى العلايا فأمدهم صاحبها بطائفة فى غرابين. ومضوا إلى رودس، وقد استعد أهلها لقتالهم، فكانت بينهم محاربة طول يومهم، لم يكن فيها نصفه. وقتل من المسلمين اثنا عشر من المماليك، وجرح كثير، وقتل

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٠٣/١٥

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٠٣/١٥

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٠٣/١٥

وجرح من الفرنج كثير فلما خلص المسلمون بعد جهد، مروا بقرية من قرى رودس، فقتلوا وأسروا ونهبوا ما فيها، وقدموا دمياط، ثم ركبوا النيل إلى القاهرة، وأسفر وجه الأمراء أنهم لم يكن لهم طاقة بأهل رودس.

وفى ليلة الخميس ثالث عشرينه: سقطت قنطرة باب البحر خارج القاهرة، وهلك طائفة ممن كان عليها.

وفى يوم السبت خامس عشرينه: ورد جواب السيد الشريف بركات بن حسن بن عجلان أمير مكة المشرفة، الذى جهز إليه بحضوره، يتضمن أنه تجهز للقدوم، ودخل المسجد الحرام ليطوف طواف الوداع، فتعلق به التجار، وجماعة المجاورين، وأهل مكة، يسألونه ويرغبون إليه فى أن يقيم ولا يسافر، فإنه حتى سافر لا يأمنون على أنفسهم، وأنه بعرض ذلك على الآراء الشريفة فإن اقتضت أن يحضر حضر، وإن اقتضت أن يقيم أقام، وورد قرين مطالعته مطالعة الأمير سودون المحمدى المقيم بمكة، يشير بأن المصلحة فى إقامة الشريف وعدم سفره، فبعد اللتيا واللتى أذن له فى الإقامة، وأعفى من الحضور، على أن يحمل عشرة آلاف دينار، وجهز له تشريف.

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشرينه: خلع على خواجا كلال - رسول القان شاه رخ - خلعة السفر، وقد اعتنى بها عناية لم تتقدم مثلها لرسول، وهى حرير مخمل بوجهين، وطراز زركش فيه خمس مائة مثقال من الذهب، وأركب فرسا بسرج ذهب وكنفوش ذهب فيها ألف دينار ذهبا، وجهزت صحبته هدية، ما بين ثياب حرير سكندرى، وسرج وكنفوش ذهب وسيوف مغلفة بذهب وغير ذلك مما تبلغ قميته سبعة آلاف دينار، سوى الهدية المذكورة[1].

وفى هذا الشهر: ادعى على يهودى متزوج أنه زنى بيهودية، فعنى به بعض خواص السلطان حتى حكم له بعض نواب القضاء الحنفية برفع الرجم عنه. ونفذ حكمه من عداه من القضاة الذين مذهبهم رجمه، فكان هذا من شنيع ما حكم به زمننا. وهو وإن كان مذهب الحنفية أن الكتابى المتزوج لا يرجم، فإنه لم يحكم به قاض فيما أدركناه، لكن حكم بعض نواب القضاة الحنفية فى الأيام الأشرفية برسباى بشنعاء، وقد ضرب العفيف النصرانى بحضرة السلطان حتى أظهر الإسلام. وكان له أولاد بالغون، فكره إسلامهم، وخاف أن يكرهوا عليه، فرغب إلى من حكم له ببقائهم على النصرانية، وأن لا يدخلوا فى دين الإسلام، فجاء من حكمه بطامة لم يعص الله بأقبح منها، وعدت مع

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٠٤/١٥

ذلك أنها حكم شرعى، فيا لله، ما أخوفنى من سوء عاقبة هذه الأحكام، و لله در القائل:

إذا جار الأمير وصاحباه وقاض الحكم داهن فى القضاء
فويل ثم ويل ثم ويل لقاضى الأرض من قاضى السماء

شهر جمادى الآخرة، أهل بيوم الجمعة: وأهل النواحى مشغولون بزراعة الأراضى.

وفى يوم السبت ثانيه: ضرب شهاب الدين أحمد بن إسماعيل بن عثمان الكورانى(١) الشافعى، ورسم بنفيه. وكان من خبره أنه قدم إلى القاهرة قبيل سنة أربعين وثمانمائة وهو فى فاقة، فاستدناه المقر الكمالى محمد بن البارزى كاتب السر، ووالى إحسانه عليه، فتعرف بالناس، وتردد إلى الأمراء، واختص بالقاضى زين الدين عبد الباسط، وصارت له وظائف ومرتبات، وتردد إلى السلطان، وعرف بالفضيلة، فصار له أعداء، واتفق أن كانت بينه وبين شخص من الحنفية تعصب بسببها على الكورانى جماعة، وكأنه طاش فى رياسته، ونقم السلطان وغيره عليه أشياء، ساعدهم فيها سوء المقدور عليه، حتى أهين فى مجلس السلطان بحضرة القضاة، وأخرجت وظائف لغيره، ونفى إلى دمشق ثم أخرج منها، وقد عزم على الحج إلى جهة حلب، فلم يشعروا به إلا وقد وصل إلى الطور، فرسم عليه، وأخرج من الطور إلى الشام، ورسم أن يعدى به من الفرات، وكثر ذامه لسوء حظه، ولا قوة إلا با لله(٢).

وفى ثالثه: استقلت رسل شاه رخ بالمسير إلى بلادهم، بجواب كتابه، والهدية المذكورة.

وفيه نودى من كانت له مظلمة فعليه بالوقوف للسلطان فى يومى الثلاثاء والسبت.

وفى يوم الإثنين رابعه: خلع على الأمير تمرباى رأس نوبة النوب، واستقر أمير الحاج.

---

(١) الكورانى (٨١٣ - ٨٩٣هـ = ١٤١٠ - ١٤٨٨م).

أحمد بن إسماعيل بن عثمان الكورانى شهاب الدين الشافعى ثم الحنفى: مفسر كردى الأصل، من أهل شهرزور. تعلم بمصر ورحل إلى بلاد الترك فعهد إليه السلطان مراد بن عثمان بتعليم ولى عهده محمد الفاتح وولى القضاء فى أيام الفاتح، وتوفى بالقسطنطينية، وصلى عليه السلطان بايزيد. له كتب منها «غاية الأمانى فى تفسير السبع المثانى - خ» و«الدرر اللوامع فى شرح جمع الجوامع للسبكى» فى الأصول والكوثر الجارى، وهو شرح البخارى فى عدة مجلدات وشرح الكافية لابن الحاجب فى النحو. انظر الشقائق النعمانية ١ / ٨٨، والضوء اللامع ١ / ٢٤١، ٢ / ٢٢٤، ونظم العقيان ٣٨، وتاريخ السليمانية ٢٣٣، وهدية العارفين ١ / ١٣٥، والأعلام ١ / ٩٨.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٥/١٠٤.

وفى يوم الثلاثاء خامسه: ابتدأ السلطان بالجلوس للحكم بين الناس.

وفى يوم الخميس سابعه: خلع على الشريف بدر الدين حسين بن أبى بكر الفراء الحسينى[1] واستقر نقيب الأشراف، عوضا عن الشريف حسن بن على بن أحمد بن على بن حسين الحسنى المعروف بابن قاضى العسكر الأرموى.

وفى يوم الخميس رابع عشره: قدم الأمير سيف الدين جلبان المؤيدى نائب الشام، فركب السلطان من القلعة إلى لقائه، ومنذ تسلطن لم ينزل من القلعة إلا هذا اليوم، فلقيه بمطعم الطيور طرف الريدانية خارج القاهرة، وعاد والنائب فى خدمته، حتى أنزل فى بيت أعد له.

وفى يوم السبت سادس عشره: أحضر نائب الشام تقدمته، وهى ثمانون فرسا بغير سروج، وثلاثون بختيا، وعدة بغال، وقماش ما بين ثياب حرير وثياب بعلبكى وثياب صوف مربع، وفرو ما بين وشق[2] وسمور (٣) وقاقم وسنجاب (٤)، وغير ذلك مما قيمة الجميع نحو عشرة آلاف دينار، وجلبان هذا من جملة مماليك الأمير تنبك أمير آخور الظاهرى برقوق، رباه صغيرا، ثم صار من بعد موته فى خدمة الأمير جركس المصارع، وانتقل من بعده إلى خدمة الأمير شيخ المحمودى، وتقلب معه فى أطوار تلك الفتن حتى تسلطن شيخ وتلقب بالملك المؤيد، فأنعم عليه بإمرة، ثم عمله أمير آخور، وولى نيابة حماة فى الأيام الأشرفية برسباى عدة سنين، كثر فيها شكاته، ثم نقل بعد موت الأشرف إلى نيابة حلب، ثم إلى نيابة الشام.

وفى ليلة الإثنين ثامن عشره: قدم قاضى القضاة الحنفية بدمشق، شمس الدين محمد ابن على بن عمر الصفدى فى الترسيم، فسلم إلى المقر الكمالى محمد بن البارزى كاتب السر، وقد رسم للذى أحضره من دمشق أن يأخذ تسفيره ألف دينار، توزعها وناظر

---

(١) هو حسين بن أبى بكر حسن البدر الحسينى القاهرى، نقيب الأشراف، وكان يلقب بالشاطر، وقيل : ابن الفراء . انظر الضوء اللامع ١٣٨/٢.

(٢) حيوان من فصيلة القط، ورتبة اللواحم، من الثدييات، وهو بين القط والنمر رأسه كبير، وعلى طرفى كل من أذنيه خصلة من شعر، وذيلة قصير، يقطن الغابات، كما يوجد فى الصحارى والمناطق الزارعية انظر المعجم الوسيط (وشق).

(٣) السمور: حيوان ثديى ليلى، من الفصيلة السمورية، مناكلات اللحوم، يتخذ من جلده فرو ثمين، ويقطن شمالى آسية. انظر المعجم الوسيط (سمر).

(٤) السنجاب: حيوان أكبر من الجرذ، له ذنب طويل، كثيف الشعر يرفعه صعدا انظر المعجم الوسيط.

الجيش وكاتب السر بدمشق، وسبب ذلك أن رجلا بغداديا من فقهاء الحنفية - يذكر أنه من ولد الإمام أبى حنيفة رحمه الله - قدم من دمشق، وتردد إلى مجلس السلطان، فكانت محنة أحمد الكورانى بسببه كما هو مذكور فى ترجمته من كتاب «درر العقود الفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة» ثم أفرغ سمه ثانيا فى شمس الدين الصفدى، ووشى به إلى السلطان أنه سئل عن الحكمة فى كثرة جماع النبى ﷺ نساءه، فقال: «ليحصنهن من الزنا» وأن هذا كفر يوجب إراقه دمه، وشنع، وأبدى وأعاد﴿**وأعانه عليه قوم آخرون**﴾[1] فرسم بإحضاره، وفى الذهن أنه يقتل.

وفى هذه الأيام: مرت سحابة، فأصبح كثير من المزروعات وقد صقع وأسود، كالخيار والفول والجزر، فلم ينتفع به، وأفسدت الدودة كثيرا من البرسيم المزدرع بالوجه البحرى، فأعيد بذره.

وفيه أيضا غلا سعر اللبن والجبن واللحم، وقل وجود ذلك بالأسواق.

وفى يوم الإثنين خامس عشرينه: خلع على تقى الدين عبد الرحمن بن تاج الدين عبد الوهاب بن نصر الله، أحد موقعى الدست، وناظر دار الضرب، واستقر فى نظر جده، عوضا عن تاج الدين بن حتى السمسار، وخلع على شاهين - أحد المماليك - واستقر شاد جده، وخلع على الأمير جلبان نائب الشام خلعة السفر، وتوجه من الغد - يوم الثلاثاء سادس عشرينه إلى محل كفالته.

وفيه أنعم بإقطاع الأمير ممجق [2]بعد موته على تغرى برمش بن جركس. ثم خلع فى يوم الإثنين ثالثه، واستقر نائب القلعة، عوضا عن ممجق وتغرى برمش من محاسن هذه الدولة، لمعرفته الحديث ورجاله المعرفة الجيدة إلى غير ذلك من الفضائل.

شهر رجب أوله يوم السبت:

فى يوم الإثنين ثالثه: ركب السلطان بثياب جلوسه، ومضى من القلعة، فمر من صليبة جامع ابن طولون إلى الميدان الكبير بخط موردة الحبس - وقد خرب - فكشف ما يحتاج إليه من العمارة، ورسم بمرمته، وعاد سريعا وهذه ثانى ركبة ركبها فى سلطنته[3].

---

(١) سورة الفرقان، الآية (٤).

(٢) هو الأمير ممجق بن عبدالله المورورزى (ت٨٤٤ هـ) . انظر المنهل الصافى، الضوء اللامع

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٠٥/١٥.

وفى يوم الإثنين عاشره: أنعم بإقطاع الأمير ألطنبغا المرقبى بعد موته على الأمير طوخ الجمكى[1] رأس نوبة ثانيا، وأنعم بإقطاع الأمير طوخ على الأمير قانبيه الجركسى شاد الشراب خاناه، وأنعم بإقطاع قانبيه على ثلاثه نفر: الأمير تغرى برمش واستقر نائب القلة عوضا عن الأمير ممجق، وعلى الأمير يوسف بن محمد بن الأمير إسماعيل بن مازن واستقر شيخ لهانة بالبهنساوية، وعلى تغرى بردى دوادار قراسنقر وهو كاشف الجيزة.

وفى هذه الأيام: أيضا برزت التجريدة المتوجهة إلى المدينة النبوية، حتى أناخت بالريدانية خارج القاهرة، وعدتها خمسون مملوكا، عليهم الأمير جانبك المعروف بنائب بعلبك، أحد أمراء العشرات، واستقلت بالمسير فى يوم الجمعة رابع عشره وتوجه صحبتهم ناظر جدة وشادها، وعدة ممن يريد الحج والعمرة، وتوجه أيضا أحد خاصكيه السلطان لإحضار ولى الدين محمد بن قاسم - مضحك السلطان الملك الأشرف برسباى - وكان قد رسم بإحضاره غير مرة آخرها أن كتب للأمير سودون المحمدى بتجهيزه من مكة فى البحر إلى القاهرة، فأخرجه من مكة وأركبه البحر من جدة، فنزل ينبع، ومضى إلى المدينة النبوية. ثم عاد إلى ينبع، واعتذر عن الحضور، فلم يقبل عذره، وجهز له الخاصكى، ورسم به أن يأخذه تسفيره من ابن قاسم ألف دينار.

وفى يوم الأحد سادس عشره: عقد مجلس بن يدى السلطان، حضرة قضاة القضاة الأربع، وجىء بشمس الدين محمد الصفدى قاضى الحنفية بدمشق من منزله بجوار كاتب السر، فأوقف، وأدعى عليه غريمه حميد الدين بن أبى حنيفة عند قاضى القضاة

---

(١) طوخ بن عبد الله الجكمى، الأمير سيف الدين (٨٦٨ هـ = ١٤٦٣ م)، الأمير سيف الدين، أحد أمراء الطبلخاناه وثانى رأس نوبة. أصله من مماليك الأمير حكم من عوض المتغلب على حلب، ثم نقل فى الخدم بعد موت أستاذه سنين إلى أن تأمر فى أوائل الدولة الأشرفية برسباى عشرة، ثم قبض عليه بعد مدة يسيرة، ثم أطلقه وأنعم عليه بإمرة عشرة على عادته أولا ودام على ذلك سنين إلى أن نقله الملك الظاهر حقمق إلى إمرة طبلخاناه بعد يلبغا البهائى بالإسكندرية بحكم وفاته، ثم صار نوبة ثانيا بعد خروج الأمير يلبغا الساقى إلى نيابة غزة فى سنة ثمان وأربعين وثمانمائة أخرج السلطان إقطاعه للأمير بيسق البشبكى وغيره، وبحكم ضعف بصره، وطول رمده، وأخلع على الأمير جانبك القرمانى باستقرار رأس نوبة ثانيا من بعده. واستمر طوخ المذكور ملازما لداره بالذل والقهر والصغار وهو مستحق لذلك، فإنه متجاهر بالمعاصى، مدمن للخمر- بلغ من السن ما بلغه وطالت أيامه فى الإمرة هذه المدة الطويلة وهو إلى الآن لم يحج ولا قضى الفرض هذا على ما اشتمل عليه من الكبر والجبن والبخل وعدم معرفته لأنواع الفروسية ولا يعرف فيه من المحاسن غير أنه كان حركسى الجنس من جنس الفرم لاغير. انظر المنهل الصافى ٧/ ١٦، ١٧، الدليل الشافى ١/ ٣٧٢، النجوم الزاهرة ١٦/ ٣٢٥، الضوء اللامع ٤/ ١٠.

شهاب الدين أحمد بن حجر بأنه قال: «أنا اتخير فى الحكم، فتارة أحكم بقول أبى حنيفة، وتارة بمذهب الشافعى أو مالك» فأجاب: «بأنى إنما قلت أتخير من قول أبى حنيفة وأصحابه أبى يوسف ومحمد وزفر، وأحكم بما أختاره من ذلك»، فأجاب القضاة الأربع بأنه لا شىء عليه فى ذلك، ودفعوا خصمه بحجاج وجدال طويل، وهو يأبى إلا أن يعزر، حتى قال الشافعى للسلطان: «وأى تعزير حمله من دمشق إلى مصر، وغرمه للمسفر ما غرم، ثم ها هو قائم على رجليه يدعى عليه» فانفضوا على ذلك، وجلس بين يدى السلطان وقبل يده، وانصرف منصورًا بعناية القاضى الشافعى وكاتب السر به، وإلا فما كان ظن المتعصبين مع حميد الدين إلا أنه ينكل بالصفدى، ويحكم بفسقه، وتخرج وظائفه، إلى غير ذلك، وكان قد كتب إلى دمشق بالكشف عما نسب إليه من قوله فى أمهات المؤمنين - رضى الله عنهن - أن رسول الله - ﷺ - يحصنهن من الزنا؛ فكتب جماعة من قضاتها وأعيان فقهائها بأنهم فحصوا عن ذلك فلم يجدوا له أصلا، وأبدوا مخاصمة وقعت بينهما، فلما سكن غضب السلطان عند قراءة ذلك عليه، علم حميد الدين وعصبته أنه قد نجا غريمهم من القتل برغمهم، فعدلوا إلى ما يوجب بزعمهم النكال به؛ فكان ما كان، ورد الله حاسده بغيظه، لم ينل بسعيه عرضا.

وفى يوم الإثنين سابع عشره: عزل سراج الدين عمر الحمصى عن قضاء القضاة بدمشق؛ وقد وشى به شخص إلى السلطان من خواصه أنه أخذ على حكمه - فى قضية ذكرها - مبلغا من المال، وكان السلطان لما ولى الحمصى لم يكلفه لمال، وشرط عليه أن لا يرتشى فى أحكامه. وعين السلطان شمس الدين محمد بن الونائى لقضاء دمشق.

وفيه خلع على الأمير يوسف بن محمد بن إسماعيل بن مازن، واستقر أمير هوارة البحرية، عوضا عن على بن غريب، وذلك أنه كانت فى هذه الأيام فتن بين فزارة ومحارب، وبين هوارة البحرية بناحية البهنساوية، فقبض الكاشف على ابن غريب، فولى السلطان عوضه ابن مازن، وعين معه تجريدة.

وفى يوم الخميس عشرينه: خلع على شمس الدين محمد بن على بن عمر الصفدى، واستقر على عادته فى قضاء الحنفية بدمشق.

وفى يوم الإثنين رابع عشرينه: ورد كتاب الغالب بالله عبد الله بن محمد بن الأمير أبى الجيوش نصر بن أمير المسلمين أبى عبد الله بن أمير المسلمين أبى الحجاج بن أبى الوليد إسماعيل بن نصر، متملك أغرناطة من الأندلس، يتضمن ما فيه المسلمون بغرناطة من الشدة مع النصارى أهل قرطبة وأشبيلية، ويسأل النجدة.

شهر شعبان، وأوله يوم الإثنين:

فيه ركب السلطان إلى الرصد المطل على بركة الجيش، خارج مدينة مصر الفسطاط، ومعه الأمراء ومباشرو الدولة، وعمل لهم مدة، فأكلوا وعادوا فى أثناء نهارهم.

وفيه توجه الأمير سيف الدين طوغا قز السيفى أستادار إلى ناحيتى الشرقية والغربية، لأخذ ضيافات أهلها التى أحدثوها على أهل النواحى، فيحل بالناس من ذلك بلاء لا يوصف.

وفيه أضيف نظر دار الضرب إلى نظر الخاص كما هى العادة القديمة، عوضا عن جوهر الخازندار والزمام بعد موته.

وفى يوم الأربعاء ثالثه: سارت التجريدة مع ابن مازن إلى بلاد البهنساوية، وعدتها ثلاثمائة مملوك وعليهم بايزيد، أحد أمراء العشرات.

وفى يوم السبت سادسه: خلع على الطواشى زين الدين هلال شاد الحوش[١] ونائب الزمام، وهو أحد خواص خدام السلطان الملك الظاهر برقوق، ربى فى داره بين حرمه، واستقر زمام الدار، عوضا عن جوهر السيفى قناق باى[٢] بعد موته[٣].

وفى يوم الأحد سابعه: خلع على الأمير زين الدين عبد الرحمن ابن القاضى علم الدين داود بن زين الدين عبد الرحمن بن الكويز، واستقر أستادار الذخيرة عوضا عن الجوهر المذكور وخلع على الطواشى جوهر التمرازى الحبشى[٤]، واستقر خازندارًا عوضا عن جوهر السيفى المتوفى[٥].

---

(١) هو هلال الدين الرومى الظاهرى برقوق الطواشى (ت٨٦٤ هـ) . انظر الضوء اللامع ١٠/١٠٨.

(٢) هو جوهر بن عبدا لله القنقباى . انظر المنهل الصافى، الضوء اللامع.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٥/١٠٥.

(٤) جوهر بن عبد ا لله التمرازى الخازندار (٨٥٠ هـ = ١٤٤٦ م)، الأمير صفى الدين الطواشى الحبشى. كان أصله من خدام الأمير تِمرْاز الناصرى نائب السلطنة بالديار المصرية، واتصل من بعده بخدمة الملك المؤيد شيخ، وصار من جملة الجمدارية الكبار ودام على ذلك دهرا إلى أن ولاه الملك الظاهر حقمق الخازندارية، بعد موت جوهر القُنُقَبائى فباشر وظيفة الخازندارية، إلى أن عزل عنها بالأمير فيروز فى سنة ست وأربعين وثمانمائة. وَرَسَّمَ السلطان عليها، وأخذ منه مبلغًا ليس بذاك، فلزم المذكور داره إلى سنة ثمان وأربعين وثمانمائة أخلع عليه الملك الظاهر باستقراره فى مشيخة الخُدام بالحرم النبوى عى ساكنه أفضل الصلاة والسلام – بعد موت الأمير فيروز الركنى نائب مقدم المماليك السلطانية فى الدولة الأشرفية برسباى. فتوجه المذكور إلى المدينة، ودام إلى أن مات فى سنة خمسين وثمانمائة، وهو فى الخمسين من العمر تقريبًا. وكان صبيحًا، بشوشا، مليح الشكل، عنده كرم، وحشمة وأدب. انظر المنهل الصافى ٥/ ٤٢ وما بعدها، الدليل ١/ ٢٥٤ النجوم ١٥/ ٥١٨، الضوء ٣/ ٨، منتخبات من حوادث الظاهرى ص ٥٦٢، بدائع الزهور ٢/ ٢٥٦ عقد الجمان حودات سنة ٨٥٠ هـ.

(٥) انظر النجوم الزاهرة ١٥/١٠٥.

وفى تاسعه: هبت ريح شرقية بطرابلس الشام وأعمالها، واشتدت، فهدمت الدور والموادن وصعقت أقصاب السكر بإجمعها.

وفى هذه الأيام: اشتد البرد بالقاهرة، حتى جمدت المياه بعدة مواضع، وأبيع الجليد بالأسواق فى يوم الخميس حادى عشره، وجمدت بركة من مستنقع ماء النيل فى بعض الضواحى بحيث صارت قطعة واحده، ومشى فوقها الأوز، وأصبحت زروع كثيرة من الفول وقد اسودت وجفت، فحملت وأوقدت فى الأفران، واسود ورق كثير من شجر الجميز وغيره.

وفى يوم الأربعاء سابع عشره: ولى شمس الدين محمد الونائى قضاء القضاة بدمشق، عوضا عن الحمصى، و لم يخلع عليه، وحملت له الخلعة ليلبسها إذا قدم دمشق بسؤاله ذلك، وأمهل بالسفر إلى أثناء شوال، وأضيف إليه عدة وظائف، منهما خطابة الجامع الأموى، عوضا عن البرهان إبراهيم بن الباعونى، ونظر الأسوار، ونظر الأسرى، وأخرج له من الإسطبل السلطانى بغلة بقماش كامل وزنارى، وهذا شىء قد بطل منذ سنين، فجدد له عناية من السلطان يه.

وفى يوم السبت عشرينه: ركب السلطان من القلعة ونزل بخليج الزعفران، كعادة المؤيد شيخ والأشرف برسباى، ومدت للأمراء أسمطة جليله بحسب الوقت، وحمل جماعة من المباشرين أنواعا من الحلوى والفواكه وغيرها، ثم ركب بعد صلاة الظهر، ودخل من باب النصر، فشق شارع القاهرة، وخرج من باب زويلة إلى القلعة، وهذه أول مرة شق فيها القاهرة بعد سلطنته، وكان هذا وهو بثياب جلوسه، و لم يكن هذا فى القديم، وأول من ترخص فيه الناصر فرج، فإنه ركب بثياب جلوسه، ثم اقتدى به فى ذلك الملك المؤيد شيخ، ومن بعده، وعد هذا مما ضيع من قوانين المملكة، وبطل من رسومها(١).

وفى هذا الشهر: هم السلطان بإخراج الرزق الأحباسية عمن هى بيده. ثم استقر الحال على أن جبى من الرزق الأحباسية التى بأراضى الجيزة التى ببلاد الملك من ضواحى القاهرة، عن كل فدان مائة درهم من الفلوس، فجبيت، وأنعم بما يجبى من الجيزة على الوزير إعانة له، وما يجبى من الضواحى يصرف فى عمل الجسور.

وفيه أيضا رسم بفك قيد الأمير جانم أمير آخور الأشرفى، ففك وبقى فى سجنه بالمرقب بغير قيد.

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٥/١٠٥،١٠٦.

وفى ثامن عشره: قبض بمكة على أمين الدين محمد بن قاسم، فألزمه المتسفر لإحضاره ألف دينار، فأورد له منها، ونزلا فى البحر يريدان القاهرة.

شهر رمضان، أوله يوم الثلاثاء:

فيه ورد الخبر بأنه قبض على الأمير قانصوه بدمشق، فرسم بسجنه فى القلعة.

وفى يوم الخميس عاشره: خلع على شمس الدين محمد بن عامر أحد نواب الحكم المالكية، واستقر فى قضاء الإسكندرية، عوضا عن جمال الدين عبد الله الدمامينى.

وفى يوم السبت ثانى عشره: خلع على القاضى معين الدين عبد اللطيف بن شرف الدين أبى بكر الأشقر، واستقر فى نيابة كتابة السر وغيرها من وظائف أبيه بعد موته(١).

وفى هذه الأيام: ألزم القاضى زين الدين عبد الباسط بحمل خمسة آلاف دينار. وذلك أنه وجد فى تركة جوهر الخازندار الزمام أنه حمل إلى عبد الباسط فى أيام مصادرته خمسة آلاف دينار، فتوجه القاصد إليه بحملها فعوض عنها قماشا، وأذن أن يباع من عقاره بالقاهرة ما يكمل تتمة ذلك، فسامحه السلطان بألف دينار، فأورد إلى الخزانه أربعة آلاف دينار.

وفيها أيضا فوض السلطان نظر الجامع الحاكمى بالقاهرة إلى الأمير دولت بيه الدوادار. وأنعم برسم عمارته بألف دينار، وحملت إليه من الخزانة السلطانية فركب وكشف أحواله، فوجد سقوفه قد سقط منها مواضع، وفيها مواضع ساقطة، وبلاطه قد تلف منه كثير، ومقاصيره الخشب قد تلف كثير منها، وميضات الجامع متهدمة، وأحوال الجامع بمرور النساء والصبيان وغيرهم ملعبة فمنع دخول النساء الجامع وألزم بوابيه أن لا يمكنوا امرأة ولا صغيرا من الجلوس فيه، ولا المرور منه، وكان هذا الجامع قد فسدت أحواله، فأصلحه الله على يد هذا الأمير، وغلقت أبوابه عدة أيام، سوى بابين، ثم فتحت أبوابه كلها، وامتنع الناس كافة من المرور فى صحن الجامع بنعالهم، وشرع فى عمارة السقوف والمقاصير والبلاط، وهدم الميضأة بأسرها، وأنشأها إنشاء جديدًا وتشدد فى جباية ريعه، واستولى على جميع ما هو موقوف عليه، وهو ثلاث جهات: إحدها الوقف القديم، وهو ما بين مساكن وأحكار، وكان من القديم إلى آخر وقت بيد قضاة القضاة الشافعية، ومنه تصرف معاليم المؤذنين، والإمام والخطيب، والقومة

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٥/١٠٦.

ونحو ذلك، وهو وقف ضعيف متهدم، والجهة الثانية: وقف المظفر بيبرس الجاشنكير[1] على أرباب وظائف - سماها فى كتاب وقفة - ما بين دروس فقه وحديث وقراء وملء صهريج بالجامع، ونظره أيضا للقاضى الشافعى، والجهة الثالثة: رزقة وقفها الناصر حسن، على الهرماس وذريته، وأن يشترى منها حصر وزيت للجامع، ونظرها لهم، فاستوى دولت بيه على جميع ذلك.

وفى هذا الشهر: أيضا رسم بنقل الطواشى خشقدم المقدم من المدينة النبوية إلى القدس، وإقامته هناك بطالا.

وفى سلخه: قدم الأمير طوغان قز أستادار من الوجه البحرى، وقد جبى من أموال أهله الضيافات التى أحدثوها، وحمل تقدمته ما بين خيل وجمال وغير ذلك مما تبلغ قيمته زيادة على عشرة آلاف دينار.

شهر شوال، أوله يوم الخميس:

فيه صلى السلطان صلاة العيد بجامع القلعة على العادة، وعندما سلم الإمام فى آخر الصلاة، وثب كثير من المماليك يدًا واحدة يريدون المبادرة لدخول القصر حتى تلبس أرباب الخلع خلعهم، وقام بقيامهم جماعة، فاشتد زحام الناس بحيث مات والى باب القلة، وسقط جماعة أشفوا على الموت مغمى عليهم، فأفاق أكثرهم، ومات بعضهم.

---

(١) بيبرس بن عبد الله (٧٠٩ هـ = ١٣٠٩ م)، الملك المظفر ركن الدين بيبرس البُرْجى المنصورى الجاشنكير. أصله من مماليك الملك المنصور قلاوون وعتقائه، وتنقل فى الخدم حتى صار من جملة الأمراء بالديار المصرية. وتولى الأستادارية للملك الناصر محمد بن قلاوون. وكان إقطاعه كبير، فيه عدقة إقطاعات لأمراء. ولما كان أستادار مان سلار نائبا بالديار المصرية، فحكما فى البلاد وتصرفا فى المماليك، وصار الملك الناصر ليس له من السلطنة إلا الاسم فقط. وكان نواب البلاد الشامية خشداشية الجاشنكير من البرجية، فقوى أمره بهم، إلى أن توجه الملك الناصر إلى الحجاز ورد من الطريق إلى الكرك وأقام بها وأرسل يعلم أمراء الديار المصرية، ليقيمو سلطانًا. لعب الأمير سيف الدين سلار بالجاشنكير هذا، وحسن له السلطنة حتي تسلطن، ولقب بالملك المظفر بعد أن أفتى له جماعة من القضاة والفقهاء بذلك وكتب محضرًا مثبوتًا على القضاة، ونائب سلار له، وأستوفى له الأمر. وكانت سلطنته فى يوم السبت بعد العصر ثالث عشرين شوال سنة ثمان وسبعمائة - وقيل فى ذى الحجة فى بيت سلار -، وكتب من بيت سلار بخلعة السلطنة إلى القلعة، ومشوا الأمراء بين يديه، ودقت البشائر، وسارت البريدية بذلك إلى سائر الممالك، وكتب له الخليفة المستكفى بالله على تقليده بخطه. انظر المنهل الصافى ٣/ ٤٦٧ وما بعدها، الدليل ١/ ٢٠٣، والنجوم، ٨/ ٢٢: ٢٧٧، مورد اللطافة ق ٧٨٠، الدرر ٢/ ٣٦، الوافى ١٠/ ٣٤٨، تذكرة النبية ٢/ ١٧، البداية ١٤/ ٥٥، الخطط ٢/ ٣١٦ - ٤١٧، كنز الدرر ٩/ ١٥٦: ٢٠٥، بدائع الزهور ١/ ٤٢٣: ٤٣٥.

وفى يوم الجمعة ثانيه: كتب بعزل ابن عامر عن قضاء الإسكندرية، وطلب ابن الدمامينى.

وفى ثالثه: قدم الأمير بايزيد ومن معه من المجردين بالبهنساوية، وقد قرروا على هوارة ما لا يقومون به.

وفى يوم الثلاثاء ثالث عشره: قدم قود الشريف بركات أمير مكة، وأخبر قاصده بوصول ما رسم به - وهو فلفل بعشرة آلاف دينار- إلى الطور، فبطل الأرجاف بعزله وولاية أخيه، وقدم أيضا القاضى جمال الدين عبد الله بن الدمامينى من الإسكندرية، فخلع عليه فى يوم الخميس نصفه، واستقر فى قضاء الإسكندرية على عادته، وعاد بن عامر إلى منزله، فلزمه بطالا، لا حاجتك قضيت ولا صديقك أبقيت.

وفى يوم الإثنين تاسع عشره: خرج محمل الحاج مع الأمير تمرباى رأس نوبة النوب[١]. وخرج فى هذه السنة للحج ثلاثة من أمراء الألوف: تمرباى هذا، وطوخ، وتمراز أمير سلاح، وسبعة أمراء ما بين عشرات وطبلخاناه، منهم والى القاهرة، ومنهم سودون قرقاش النوروزى أحذ رءوس النوب، وأمير عشرة وهو أمير الركب الأول، فرحل من بركة الحجاج الأمير تمراز فى حادى عشرينه، وتبعه كثير من الحجاج، ورحل سودون قرقاش فى ركب كبير من الغد، ورحل الأمير تمرباى بمحمل الحاج فى ثالث عشرينه، وكتب إلى الشريف بركات، وإلى أمير المدينة النبوية، وإلى أمير ينبع بإعفائهم مما كانوا يقومون به من المال لأمير الركب فى كل سنة، وأكد السلطان على الأمراء عندما ودعوه أن لا يأخذوا من المذكورين شيئا، فما أجمل هذا وأحسنه إن عمل به[٢].

وفى حادى عشرينه: قدم بن قاسم من مكة، فسلم إلى الأمير دولت بيه الدوادار.

وفى هذا الشهر: خربت مدينة الفيوم، وجلا أهلها عنها، لغلبة ماء بحر يوسف[٣].

شهر ذى القعدة أوله يوم الجمعة:

فى ثالثه: ركب مولانا السلطان لهدم ميضأتين ودور فى زيادة الجامع الطولونى، كما هدم دار ابن النقاش، فصرف الله قلبه عن ذلك، ومضى من الجامع، بعدما كشف أحواله إلى الميدان الكبير، فنظر ما عمر فى سورة، وعاد سريعا.

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٥/١٠٦.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٥/١٠٦.

(٣) هو أحد فروع النيل، وهو يمر بمدينة الفيوم، ومازال يعرف ببحر يوسف حتى الآن.

وفى يوم السبت تاسعه: قدم الأمير قانباى الحمزاوى نائب حلب باستدعاء، فركب السلطان إلى مطعم الطيور ونزل به، وتقدم الأمير الكبير الأتابك فىعدة من الأمراء حتى قدموا به، فخلع عليه، وعاد السلطان وهو فى الخدمة، فصعد السلطان إلى القلعة، ومضى النائب إلى دار أعدت له، فنزلها، وقدم من الغد تقدمته، وهى مماليك، وخيول، وجمال، وقماش، وفرو، وغير ذلك مما قيمته نحو عشرة آلاف دينار.

وفى يوم الإثنين حادى عشره: توجه الأمير أينال الأجرود مجردا فى جماعة من المماليك نحو بلاد الصيد، لقتال محارب.

وفى هذه الأيام: أفرج عن ولى الدين محمد بن قاسم من عاقته ببيت الأمير دولت بيه، على أن يحمل خمسة عشر ألف دينار، ضمنه فيها جماعة.

وفيها زاد النيل نحو ذراعين ونصف، حتى صار فى اثنى عشر ذراعا ونصف، والوقت زمن الربيع، والشمس فى برج الحمل، ويوافق من شهور القبط برمودة، وجرت العادة أن فى مثل هذا الزمان يأخذ النيل فى النقصان، ويسمى الاحتراق، وهذا من النوادر، إلا أنه وقع مثل ذلك فى سنة تسع وثلاثين وثمانمائة. وكثر فى هذا الزمان تخاصم الناس، وتعدى بعضهم على بعض، وتزايد وقوع الشر فيما بينهم، وشنع جهرهم بالسوء، وتناجيهم بالإثم والعدوان، فالله تعالى يكفى شر ذلك. وقدم الخبر بأن صاحب قشتيلة[1] من بلاد الفرنج عمر أربعين بيونى[2] وعشرة أغربة يريد رودس، ليأخذ بثأرهم من المسلمين.

وفيها منع الأمير أيتمش الخضرى من الاجتماع بالسلطان،وأمر بلزوم بيته، وهذا ثانى مرة منع فيها.

وفى حادى عشرينه: استقل نائب حلب بالمسير عائدا إلى محل كفالته على عادته، بعد أن خلع عليه.

وفى رابع عشرينه: قدم الخبر أيضا من طرابلس بأن أهل رودس قد استعدوا للحرب، وهم فى انتظار عمارة الفنش صاحب قشتيلة، وأن كثيرا من المسلمين سكان الساحل قد أخلوا ضياعهم، وصعدوا إلى الجبال.

وفى يوم الأربعاء سابع عشرينه: ورد الخبر بأن عشرة أغربة من عمارة الفنش

---

(١) سبق ترجمتها.

(٢) على هامش ط: نوع من السفن.

وصلت إلى ساحل بيروت، فأخذت مركبا مشحونا بالبضائع، وأنهم باعوا ممن أسروا منه من المسلمين أربعين رجلا، وأقلعوا من غير أن يقاتلهم أحد، فأمر بعرض أجناد ليخرجوا إلى السواحل، فبدأ الأمير تغرى بردى الدوادار.

فى يوم السبت سلخه: بعرضهم، على أيخرج منهم مائة جندى إلى رشيد والطينة.

شهر ذى الحجة، أوله يوم الأحد:

فى يوم الأربعاء رابعه: عرض الأمير تغرى بردى الدوادار أجناد الحلقة المجردين، ولم يعين إلا من كان سجل إقطاعه بثلاثين ألف درهم فما فوقها، ثم عفوا من التجريدة لما جرت به عادتهم من تداول كلمة ألقاها الشيطان بينهم، أن من تعرض لأجناد الحلقة زالت دولته.

وفى يوم الأربعاء خامس عشرينه: قدم مبشرو الحاج وأخبرت كتبهم بكثرة المراعى ورخاء الأسعار وأمن الحجاج وسلامتهم، وأن الشريف بركات أمير مكة قابل الأمراء ولبس التشريف السلطانى على العادى، إلا أنه كانت وقعة قريب خليص[1] بين أمير ركب الكركيين وبين حجاج ينبع، قتل فيها من الينابعة زيادة على عشرين رجلا، ونهبت أموالهم، وبلغت نفقات السلطان فى نفقات المماليك وصلات الأمراء والتراكمين وغيرهم وفى أثمان مماليك اشتراهم ونفقات تجاريد جردها وغير ذلك، فى مدة أولها موت الأشرف برسباى وآخرها سلخ هذه السنة، وذلك مدة ثلاث سنين، مبلغ ثلاثة آلاف ألف دينار ذهبا، وهى ما خلفه الأشرف برسباى من الذهب والدراهم والبهار، والجمال، والخيل، وثياب الحرير، والبعلبكى، وأنواع الفرو، ومن الغلال والقنود، والأعسال، والسلاح، وغير ذلك، مع ما دخل إلى الخزانة فى أيام سلطنته وهو نحو خمسمائة ألف دينار، نفذ ذلك كله، وعلى الله العوض.

وفى هذا الشهر: زاد النيل بعد نقصه حتى تجاوز اثنى عشر ذراعان وذلك فى بشنس.

وفيه وردت تقدمة أربعة من القاضى زين الدين عبد الباسط، بعد ما وصلت له كاملية بفرو سمور، وحجرة بقماش كامل، فكانت تقدمته هذه خيلا وفروا وثياب وحرير.

وفى هذه السنة: تجددت عمارة مواضع عديدة، منها مشهد السيدة رقية - قريبا من

---

(١) حصن يقع بين مكة والمدينة، على ثلاث مراحل من مكة . انظر معجم البلدان.

المشهد النفيسى - كان قد اتخذه بعض الناس سكنا، وتعطلت زيارته مدة سنين، فجدد عمارته السيد بدر الدين حسين بن الفراء نقيب الأشراف، فى أول شعبان.

وفى هذا الشهر: أيضا جددت عمارة جامع الصالح طلائع بن رزيك خارج باب زويلة، وقام بذلك رجل من الباعة وجدد أيضا جامع الفاكهيين[1] بالقاهرة، وجامع الفخر بخط سويقة الموفق قريب من بولاق[2] وجدد أيضا عمارة جامع الصارم قريب من بولاق[3].

وفى يوم الجمعة رابع شهر رمضان: أقيمت الجمعة بالجامع الذى أنشأه فى هذه السنة الطواشى جوهر نائب مقدم المماليك بالرميلة تحت القلعة.

وفى أول شوال: أقيمت الجمعة بالجامع الذى أنشأه الأمير تغرى بردى البكلمشى الدوادار المعروف بالمؤذى، بخط الصليبة.

وأما اليمن فقد خرج عن متملكها ضياع تعز[4]، وحسبه أنه يحفظها، فإن البلاد خرجت عنه من زبيد[5] إلى بيت حسين، وصارت العرب المعازبة تركب فى نحو ألف فارس.

* * *

ومات فى هذه السنة مما له ذكر

موفق الدين على بن أبى بكر الناشرى، قاضى القضاة ببلاد اليمن، فى خامس عشرين صفر بمدينة تعز عن تسعين سنة.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير صارم الدين إبراهيم بن الأمير منجك

---

(١) هذا الجامع كان يعرف أولا بجامع الظافر، ثم عرف بهذا الاسم بعد، وهو يقع بالقاهرة وسط السوق الذى كان يعرف قديما بسوق السراجين. انظر المواعظ والاعتبار ٢ / ٢٩٣. وينظر الخطط التوفيقية.

(٢) انظر المواعظ والاعتبار ٢/٣١١.

(٣) انظر المواعظ والاعتبار ٢/٣٢٥.

(٤) سبق ترجمتها.

(٥) زبيد: مدينة باليمن بقرب الجند ومعاثر، تسير فى صحراء ورمال حتى تنتهى إلى زبيد، وليس باليمن بعد صنعاء أكبر من زبيد ولا أغنى أهلاً ولا أكثر خيرًا منها. انظر الروض المعطار ٢٨٤، ٢٨٥، والبكرى ٦٧، ونزهة المشتاق ٢٠، والمقدسى ٨٤، وابن الوردى ٤٢.

اليوسفى[١]، فى يوم الأحد خامس عشر شهر ربيع الأول، عن نحو سبعين سنة بدمشق، وكان يوصف بدين وعفة، وحظى فى الدولة المؤيدية شيخ، والدولة الأشرفية برسباى، وكان يقدم فى كل سنة إلى السلطان بهدية، ويشاور فى الأمور، وكان له غنى وثراء، وأفضال على قوم يعتقدهم بدمشق.

ومات سعد الدين إبراهيم بن المرة فى يوم الخميس عاشر شهر ربيع الآخر بالقاهرة، وقد أناف على الستن سنة بعد ما تعطل من المباشرة، ولزمه دين كبير، حبس من أجله مدة، احتاج فيها إلى سؤال الناس، وكان له بر وأفضال، وكان حشما، يحب الفخر ويكثر من إتلاف المال، فالله يعفو عنه.

ومات مبارك شاه رسول القان شاه رخ مات بغزة فى يوم الأحد ثالث عشر ربيع الآخر، وكان يوصف بمعرفة وفضيلة وعقل.

ومات الخواجا كلان بن مبارك شاه المذكور، قام بعد موت أبيه، وقدم بالهدية والكتاب إلى السلطان وهو متمرض، فمثل بين يدى السلطان حتى ثقل مرضه، ومات فى يوم الثلاثاء تاسع جمادى الأولى، فدفن خارج باب النصر من القاهرة؛ ثم نقل هو وأبوه إلى القدس، فدفنا هناك.

ومات القاضى شهاب الدين أحمد بن أبى بكر بن رسلان البلقينى، المعروف بالعجمى الشافعى [٢]، قاضى المحلة، فى يوم الثلاثاء رابع عشر جمادى الأولى، وكان من فضلاء الشافعية.

ومات قاضى القضاة محب الدين أبو الفضل أحمد ابن شيخنا جلال الدين نصر الله ابن أحمد بن محمد بن عمر الششترى الأصل، البغدادى المولد والمنشأ، الحنبلى، فى يوم الأربعاء خامس عشر جمادى الأولى، ومولده ببغداد فى شهر رجب سنة خمس وستين وسبعمائة، وقدم القاهرة فى سنة ثمان وثمانين، ولزم شيخنا صلاح الدين محمد بن الأعمى الحنبلى، وتفقه به، وواظب شيخنا شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقينى[٣]

(١) انظر الضوء اللامع ٥/ ٢٠٥.

(٢) أحمد بن أبى بكر بن رسلان، القاضى شهاب الدين المعروف بالعجيمى، الشافعى قاضى المحلة. كان فقيهاه عالما فاضلا، ولى نيابة الحكم بالحكم وغيرها عدة سنين، وأكثر ما له من ذلك، وكان له ثروة ووجاهة، واستمر على ذلك إلى أن توفى يوم الثلاثاء رابع عشرين جمادى الأولى سنة أربع وأربعين وثمانمائة. انظر ترجمة فى: الدليل الشافى ١/ ٣٧، والنجوم الزاهرة ١٥/ ٤٨٥، والضوء اللامع ١/ ٢٥٣.

(٣) عمر بن رسلان (٧٢٤ - ٨٠٥هـ = ١٣٢٤ - ١٤٠٣م). عمر بن رسلان بن نصير بن=

وشيخنا سراج الدين عمر بن الملقن، وبرع فى الفقه والأصول والحديث والعربية، وقرأ بنفسه وسمع على شيوخنا عدة كتب، وناب فى الحكم عن ابن المغلى، ثم ولى القضاء مستقلا عدة سنين حتى مات، ودرس فى عدة مواضع، ولم يخلف فى الحنابلة بعده مثله، ولا أعلم فيه ما يعاب به، لكثرة نسكه ومتابعته للسنة، إلا أنه ولى القضاء، فالله تعالى يرضى عنه أخصامه.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن بوالى[1] بدمشق فى سابع عشره، وقد ولى أستادارًا فى الأيام المؤيدية شيخ، ثم استمر أستادارًا بدمشق، وهو معدود من الظلمة.

ومات القاضى شهاب الدين أحمد بن عيسى الحنبلى، أحد نواب الحكم بالقاهرة، فى يوم الخميس ثالث عشر جمادى الأولى، وقد رأس، وشكرت سيرته، واشتهر بالعفة.

ومات أمين الدين عبد الله بن سعد الدين أبى الفرج بن تاج الدين موسى، فى يوم الأحد ثالث جمادى الآخرة وكانت له رياسة ضخمة فى أيام أبيه سعد الدين ناظر الخاص، وتولى بعده نظر الإصطبل، ثم انحط قدره، وتكسح، وعرف بصحبة جماعة من أهل الدول، فإذا دخل إليهم خدمه حتى يجلس ثم يحملوه إذا ركب، وحج غير مرة، وشاهدته وهو محمول يطوف بالبيت، وبلوت منه مروءة وخفة روح، عفى الله عنه.

ومات الأمير سيف الدين الطنبغا المرقبى فى يوم الإثنين عاشر شهر رجب، وهو من جملة المؤيدية، عمله المؤيد شيخ فى أيام تلك الفتن بقلعة المرقب من عمل طرابلس، فأقام بها مدة فعرف بينهم بالمرقبى، فلما تسلطن، رقاه حتى صار أمير مائة مقدم ألف حاجب الحجاب، ثم حمل بعد موت المؤيد طول الأيام الأشرفية، وتلاشت أحواله. فلما كانت أيام السلطان الملك الظاهر جقمق، انتعش وصار من جملة الأمراء الألوف حتى مات بها.

ومات زين الدين قاسم بن البشتكى، فى يوم السبت ثامن رجب، بناحية يبنا من عمل فلسطين، ولم يدفن إلا فى يوم الإثنين عاشره، وكان حشما سريا فخورا، له ثراء

=صالح الكنانى، العسقلانى الأصل، ثم البلقينى المصرى الشافعى، أبو حفص، سراج الدين، مجتهد حافظ للحديث، من العلماء الدين. ولد فى بلقينة (من غربية مصر) وتعلم بالقاهرة، وولى قضاء الشام سنة ٧٦٩ هـ، وتوفى بالقاهرة. من كتبه «التدريب فى فقه الشافعية، لم يتمه»، «وتصحيح المنهاج والملمات برد المهمات»، «محاسن الاصطلاح» فى الحديث وغيرها. انظر لحظ الألحاظ وذيل طبقات الحفاظ. والتبيان - خ -والضوء اللامع ٦ / ٨٥. شذرات الذهب ٧ / ٥١، حسن المحاضرة ١٨٣/١. الأعلام ٤٦/٥.

(١) هو الأمير ناصر الدين، محمد المعروف بابن بوالى . انظر النجوم الزاهرة أحداث سنة ٨٤٤هـ، الضوء اللامع ٢٠٧/٧

واسع ومال جم، ورثه، وإفضال كثير، وفضيلة، ثم تردد إلى مجلس السلطان الملك المؤيد، واختص به مدة، إلى أن تنكر له وضربه وشهره، فاتضع جانبه، وصار يكثر من التردد إلى ينبا، حتى مات بها، فالله يرحمه، فلقد شاهدنا منه كرما جما، وإفضالا زائدا، ومروءة غزيرة، ونعمة ضخمة.

ومات الأمير ممجق نائب قلعة الجبل فى أول يوم من رجب، وهو ممن انتشأ فى الأيام الظاهرية جقمق.

ومات الأمير الطواشى صفى الدين جوهر السيفى قنقباى اللالا[1] زمام الدور خازندار السلطان فى ليلة الإثنين أول شعبان عن نحو سبعين سنة، وصلى عليه السلطان، ودفن بمدرسته، بجوار الجامع الأزهر. وكان من جملة هدية الحطى داود بن سيف أرعد ملك بلاد الحبشة إلى السلطان الملك الظاهر برقوق، فأنعم به على الأمير قنقباى اللالا،

---

(١) جوهر بن عبد الله القنقبائى الطواشى الحبشى، الأمير صفى الدين الخازندار، والزمام، وعظيم الدولة الأشرفية برسباى، والعزيزية يوسف، والظاهرية جقمق. لأصله من خادم داود بن سيف أرعد متملك بلاد الحبشة، أرسله فى جملة تقدمة إلى الملك الظاهر برقوق؛ فأنعم به الظاهر بعد مدة على الأمير قنقبائى الأجائى اللالا؛ فأعتقه قنقبائى المذكور، ودام بخدمته إلى أن مات. تنقل جوهر فى مدة خدم، وقاسى من الفقر إلى أن اتصل بخدمة علم الدين داود بن الكُوَيْز، وكاتب السر، ودام عنده إلى أن مات علم الدين ابن الكويز. وكان ابن جوهر هذا وبين جوهر الجلبانى اللالا صحبة وأخوة قديمة، وحب زائد. فصار جوهر يحسن جوهر هذا حسانًا زائدًا، ونزله بباب السلطان من جملة الخدام. واستمر على ذلك دهرا إلى أن مات الأمير الطواشى كافور الصرغمشى الزمام فى يوم الأحد خامس عشرين شهر ربيع الآخر سنة ثلاثين وثمانمائة. واستقر زمَّامًا من بعده الأمير خشقدم الظاهرى الخازندار، وشغرت وظيفة الخازندارية من بعد مدة يسيرة، وطلب الملك الأشرف من يوليه الخازندارية من بعده، فذكر له أرباب الدولة عدة من أعيان الخدام، فلم يرضى بأحد منهم، وقال: أريد أن يكون عاقلا، عارفا له جوهر اللالا يامولانا السلطان عندى مَن هو غرض السلطان ، غير أن لم يكن من أعيان الخادم. فقال الأشر: من هُوَ قال: أخى جوهر القنقبائى، ويُجَرِّبه السلطان، ويحدثه فيما يختار. فطلبه السلطان فى الوقت، وكلمه فأعجبه كلامه، وولاه الخازندارية، «وتسلم الخزانة» الشريفة، وضبط الأموال، وساس الأمور. وكان حاذق، عاقلا، عارفا، وعنده سكون ووزانة. فلما رأى الأشرف منه ذلك أضاف إليه التكلم فى الذخيرة وغيرها. وعظم فى الدولة، ونالته السعادة، وحظى عند الأشرف، وانقاد إليه بكليته، وكثر ترداد النائب « إلى بابه، وبل صار هو صاحب العقد والحل، والمشار إليه فى الممالك».... وكانت وفاته فى ليلة الإثنين أول شعبان سنة أربع وأربعين وثمانمائة، وعمره نحوا من سبعين سنة تخمينا، ودفن بمدرسته التى أنشاها بالقرب من حامع الأزهر. وحضر السلطان الصلاة عليه. وكان عاقلا، دينًا تاليا لكتاب الله، عارفا بالقراءات. انظر المنهل الصافى ٥/ ٣٨ وما بعدها، الدليل ١/ ٢٥٤، النجوم ١٥/ ٤٨٥، الضوء ٣/ ٨٢، بدائع الزهور ٢/ ٢٢٧، عقد الجمان حوادث سنة ٨٤٤ هـ.

لالا المقام الناصرى محمد ولد السلطان، فرباه وهو صغير، وأقرأه القرآن العظيم، ثم خدم من بعد قنقباى جماعة من الأمراء، زماما لدورهم، وعارك خطوب الدهر ألوانا، حتى استدعاه الأشرف برسباى، وعمله خازندارًا، فتمكن منه تمكنا زائدا، وانبسطت يده فى تحصيل الأموال للذخيرة بقوة وشهامة وضبط، فلما مات الأشرف أضيفت إليه أزمة الدور، فباشر ذلك حتى مات، و لم يخلف فى أبناء جنسه بعده مثله، وكان عفيفا، له بر وأفضال مع رصانة عقل، وجد من غير هزل، وكان مهابا يتلو القرآن بالسبع، إلا أنه فتن بصحبة السلطان، فحرص على رضاه، واقتحم المهالك، بحيث أنه لم يكن فى الدولة الأشرفية أحد أخص منه بالسلطان ولا أقوى تمكنا، فا لله يعفو عنه بمنه.

ومات القاضى شرف الدين الأشقر، واسمه أبو بكر بن سليمان، المعروف بابن العجمى الحلبى، نائب كاتب السر، فى يوم الأربعاء تاسع رمضان، وقد أناف على الستين، قدم من حلب فى أيام الأمير جمال الدين يوسف أستادار، وعنده يومئذ بنت أخى جمال الدين، فنوه به، وأقره فى توقيع الدوادار الكبير، فيعد من رؤساء القاهرة، حتى زالت دولة جمال الدين، فنكب فى جملة من نكب من ألزامه نكبة نجاه ا لله منها، بعدما أشفى على الهلاك، فلما كانت الأيام المؤيدية شيخ عاد إلى ما كان عليه من مباشرة التوقيع عند الأستادارية مدة سنين ثم رغب عن ذلك، وباشر فى ديوان الإنشاء مع ابن مزهر كاتب السر ومن بعده، وصار نائب كاتب السر، به حل الديون وعقده، ثم ولى كتاب السر بحلب مدة، وتركها لولده معين الدين، وعاد إلى نيابة كتابة السر حتى مات، وكان ماهرًا بصناعة الإنشاء، جميل المحاضرة، بشوشا، متوددا، حشما، فخورا، له فضيلة، وسيرته مشكورة.

ومات العبد الصالح شهاب الدين أحمد بن حسين بن حسن بن رسلان[1] الفقيه الشافعى المحدث المفسر بمدينة القدس، فى يوم الإثنين عشرين شهر رمضان عن إحدى وسبعين سنة، و لم يخلف بتلك الديار بعده مثله علما ونسكا.

ومات القاضى شمس الدين محمد بن شعبان فى حادى عشرين شوال عن نيف وستين سنة وولى حسبة القاهرة مرارًا عديدة، ولا فضل ولا فضيلة.

---

(١) أحمد بن حسين بن حسن بن أرسلان، الشيخ الإمام العالم الصالح شهاب الدين المقدسى الشافعى. كان إماما بارعا صالحا، عالما بالفقه والحديث والتفسير وغير ذلك، مع التدين والعبادة والصلاح. توفى بالقدس فى يوم الإثنين لثمان بقين من شهر رمضان سنة أربع وأربعين وثمانمائة، عن إحدى وسبعين سنة، و لم يخلف بعده بتلك الديار مثله، رحمه ا لله تعالى وعفا عنه. انظر أنباء الغمر، وفيات سنة ٨٤٤هـ، الأنس الجليل ٢/ ٥١٥ وديوان الإسلام – خ –، البدر الطالع ١/ ٤٩، وشذرات الذهب ٢٤٨/٧، الأعلام ١١٧/١.

ومات الشيخ نور الدين على بن عمر بن حسن بن حسين التلوانى، فى يوم الإثنين ثالث عشرين ذى القعدة، وقد أناف على الثمانين، وأصل آبائه من بلاد المغرب، وسكن أبوه ناحية جروان، وأقرأ الأطفال القرآن. ثم تحول إلى تلوانه[١] وولد له بها على وغيره، ثم قدم على القاهرة وتفقه على مذهب الإمام الشافعى - رحمه الله - حتى درس وأفتى، وولى مشيخة الخانقاه الركنية بيبرس ثم عزل عنها وولى تدريس المدرسة الناصرية بجوار قبة الإمام الشافعى من القرافة مدة سنين. وكان دينًا خيرًا، له مروءة وفيه قوة، وله أفضال، رحمه الله.

ومات الشيخ شمس الدين محمد بن عمار محمد المالكى[٢] فى يوم السبت رابع عشر شهر ذى الحجة عن نيف وثمانين سنة، وقد كتب على الفتوى ودرس، وصار ممن يعتقد فيه الخير.

ومات الرئيس إبراهيم بن فرج الله بن عبد الكافى الإسرائيلى اليهودى الداودى العافانى، فى يوم الجمعة عشرين ذى الحجة، وقد أناف على السبعين و لم يخلف بعده من يهود مصر مثله فى كثرة حفظ نصوص التوارة، وكتب الأنبياء، وفى تنسكه فى دينه، مع حسن علاجه لمعرفته بالطب وتكسبه به. وكان يقر بنبوة رسول الله ﷺ، ويجهر بأنه رسول إلى العرب، ويقول فى المسيح عيسى بن مريم عليه السلام إنه صدق، وهذا خلاف ما يقوله اليهود - لعنهم الله وخزاهم - فما أكثر طعنهم فى أنبياء الله ورسله، على ما وقفت عليه من أقوالهم من كتبهم.

ومات شهاب الدين أبى العباس أحمد بن صالح بن تاج الدين المحلى الشافعى[٣]، فى يوم الأربعاء ثامن عشر ذى الحجة، وكان فاضلا فى الفقه والفرائض [٤] والنحو وله سلوك ونسك، وللناس فيه اعتقاد، ودرس وخطب مدة، رحمه الله تعالى.

* * *

(١) قرية قديمة من أعمال المنوفية. ينظر قوانين الدواوين.

(٢) انظر الضوء اللامع ١/١١٦،١١٧.

(٣) أحمد بن صالح، الشيخ الإمام العلامة شهاب الدين أبو العباس المحلى الشافعى. مولده. كان إماما بارعا فى الفقه والصول والفرائض والنحو والتصريف، وتصدر للتدريس عدة سنين، وخطب مدة مع سلوك ونسك وعبادة وصلاح، وكان للناس فيه إعتقاد حسن، ولم يزل على ذلك إلى أن توفى يوم الأربعاء ثامن عشرين ذى الحجة سنة أربع وأربعين وثمانمائة. رحمه الله. والمحلة المدينة كبيرة من قرى الغربية من أعمال القاهرة. انتهى. انظر الترجمة فى: الدليل الشامى ١/٥٠، الضوء اللامع ١/٣١٥، شذرات الذهب ٧/٢٥٠.

(٤) الفرائض: جمع فريضة، وهو على تعرف به قسمة المواريث الشرعية. انظر المعجم الوسيط (فرض).

فهرس محتويات

الجزء السابع
من
السلوك لمعرفة دول الملوك



المحتويات